

المجلد الثالث

دار الفكر العربي



البداية والنهاية

(في التاريخ)

للإمام الحافظ المفسر المؤرخ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل

ابن عمر بن كثير ، القرشي ، الدمشقي ، المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

(الطبعة الثانية — سنة ١٣٨٧ هـ)

الجزء الخامس

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي



سنة تسع من الهجرة

﴿ ذكر غزوة تبوك فى رجب منها ﴾

قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عَيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء ، إن الله عليم حكيم ، قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يُعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) .

روى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك وغيرهم : أنه لما أمر الله تعالى أن يمنع المشركون من قربان المسجد الحرام فى الحج وغيره ، قالت قريش : لتنقطعن عنا المتاجر والأسواق أيام الحج وليذهبن ما كنا نصيب منها ، فعوضهم الله عن ذلك بالأمر بقتال أهل الكتاب حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون .

قلت : فعزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتال الروم لأنهم أقرب الناس إليه وأولى الناس بالدعوة إلى الحق لقربهم إلى الإسلام وأهله ، وقد قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين) فلما عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على غزو الروم عام تبوك ، وكان ذلك فى حر شديد وضيق من الحال جلى للناس أمرها ، ودعى من حوله من أحياء الأعراب للخروج معه ، فأوعب معه بشر كثير كما سيأتى قريباً من ثلاثين ألفاً ، وتخلف آخرون فعاتب الله من تخلف منهم لغير عذر من

المنافقين والمقصرين ، ولامهم ووبخهم وقرعهم أشد التقريع وفضحهم أشد الفضيحة وأنزل فيهم قرآنا يتلى وبين أمرهم فى سورة براءة كما قد بينا ذلك مبسوطا فى التفسير وأمر المؤمنين بالنفر على كل حال . فقال تعالى (انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، لو كان عرضا قريبا وسفراً قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون) ثم الآيات بعدها . ثم قال تعالى (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) فقيل إن هذه ناسخة لتلك وقيل لا فالله أعلم .

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ما بين ذى الحجة إلى رجب — يعنى من سنة تسع — ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم . فذكر الزهرى ويزيد بن رومان وعبد الله ابن أبى بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم من علمائنا كل يحدث عن غزوة تبوك ما بلغه عنها وبعض القوم يحدث مالم يحدث بعض أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم وذلك فى زمان عسرة من الناس وشدة من الحر وجدب من البلاد وحين طابت الثمار فالناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص فى الحال من الزمان الذى هم عليه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قل ما يخرج فى غزوة إلا كنّى عنها إلا ما كان من غزوة تبوك فإنه بينها للناس لبعد المشقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذى يصمد إليه ليتأهب الناس لذلك أهبته . فأمرهم بالجهاد وأخبرهم أنه يريد الروم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو فى جهازه ذلك للجد بن قيس أحد بنى سلمة « يا جد هل لك العام فى جلاد بنى الأصفر ؟ » فقال يا رسول الله أو تأذن لى ولا تفتنى فوالله لقد عرف قومى أنه ما رجل بأشد عجبا بالنساء منى وإنى أخشى إن رأيت نساء بنى الأصفر أن لا أصبر ، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « قد أذنت لك » ففى الجد أنزل الله هذه الآية (ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض : لا تنفروا فى الحر زهادة فى الجهاد وشكا فى الحق وإرجافا بالرسول صلى الله عليه وسلم فأنزل الله فيهم (وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون ، فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون) . قال ابن هشام : حدثنى الثقة عمن حدثه عن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن عن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله بن حارثة عن أبيه عن جده قال : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ناسا من المنافقين يجتمعون فى بيت سويلم اليهودى — وكان بيته عند جاسوم — يثبطون الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فبعث إليهم طلحة بن عبيد الله فى نفر من أصحابه وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم ، ففعل طلحة فاقتحم الضحاك بن خليفة من

ظهر البيت فانكسرت رجله ، واقتحم أصحابه فأفلتوا فقال الضحاك فى ذلك :

كادت وبيت الله نار محمد يشيط بها الضحاك وابن أبيرق

وظلت وقد طبقت كبس[1] سويلم أنوء على رجلى كسيراً ومرفق

سلام عليكم لا أعود لمثلها أخاف ومن تشمل به النار يحرق

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جد فى سفره وأمر الناس بالجهاز والانكماش[2] وحض أهل الغنى على النفقة والحملان فى سبيل الله لحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا وأنفق عثمان بن عفان نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها . قال ابن هشام : فحدثنى من أثق به أن عثمان أنفق فى جيش العسرة فى غزوة تبوك ألف دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم ارض عن عثمان فإنى عنه راض » . وقد قال الإمام أحمد حدثنا هارون بن معروف ثنا ضمرة ثنا عبد الله بن شوذب عن عبد الله بن القاسم عن كثة مولى عبد الرحمن بن سمرة قال جاء : عثمان بن عفان إلى النبى صلى الله عليه وسلم بألف دينار فى ثوبه حين جهز النبى صلى الله عليه وسلم جيش العسرة قال فصبها فى حجر النبى صلى الله عليه وسلم فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقلبها بيده ويقول « ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم » ورواه الترمذى عن محمد بن إسماعيل عن الحسن بن واقع عن ضمرة به وقال حسن غريب وقال عبد الله بن أحمد فى مسند أبيه حدثنى أبو موسى العنزى حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنى سكن بن المغيرة حدثنى الوليد بن أبى هشام عن فرقد أبى طلحة عن عبد الرحمن بن خباب السلمى . قال : خطب النبى صلى الله عليه وسلم فحث على جيش العسرة ، فقال عثمان بن عفان على مائة بعير بأحلاسها وأقتابها ، قال ثم نزل مرقاة من المنبر ثم حث فقال عثمان : على مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها قال فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بيده هكذا يحركها ، وأخرج عبد الصمد يده كالمتعجب « ما على عثمان ما عمل بعد هذا » وهكذا رواه الترمذى عن محمد بن يسار عن أبى داود الطيالسى عن سكن بن المغيرة أبى محمد مولى لآل عثمان به وقال غريب من هذا الوجه . ورواه البيهقى من طريق عمرو بن مرزوق عن سكن بن المغيرة به وقال ثلاث مرات وأنه التزم بثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها . قال عبد الرحمن : فأنا شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر « ما ضر عثمان بعدها — أو قال — بعد اليوم » وقال أبو داود الطيالسى حدثنا أبو عوانة عن حصين بن عبد الرحمن عن عمرو بن جاوان عن الأحنف بن قيس قال سمعت عثمان بن عفان يقول لسعد بن أبى وقاص وعلى والزبير وطلحة : أنشدكم بالله هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من جهز جيش العسرة غفر الله له » فجهزتهم حتى ما يفقدون خطاما ولا عقالا ؟ قالوا اللهم نعم ! ورواه النسائى من حديث حصين به .

---

(١) الكبس : البيت الصغير . (٢) فى القاموس : كشه أعجله وتكمش أسرع كانكمش .

﴿ فصل ﴾

﴿ فيمن تخلّف معذوراً من البكّائين وغيرهم ﴾

قال الله تعالى : (وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم ، وقالوا : ذرنا نكن مع القاعدين ، رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطُبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ، لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيراتُ وأولئك هم المفلحون ، أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ، وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذّبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم ، ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ، ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألاّ يجدوا ما ينفقون ، إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون) ، قد تكلمنا على تفسير هذا كله فى التفسير بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة ، والمقصود ذكر البكائين الذين جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحملهم حتى يصحبوه فى غزوته هذه فلم يجدوا عنده من الظهر ما يحملهم عليه فرجعوا وهم يبكون تأسفا على ما فاتهم من الجهاد فى سبيل الله والنفقة فيه ، قال ابن إسحاق : وكانوا سبعة نفر من الأنصار وغيرهم ، فمن بنى عمرو بن عوف سالم بن عمير ، وعلبة بن زيد أخو بنى حارثة ، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب أخو بنى مازن بن النجار ، وعمرو بن الحمام بن الجموح أخو بنى سلمة ، وعبد الله بن المغفل المزنى ، وبعض الناس يقولون بل هو عبد الله بن عمرو المزنى ، وهرمى بن عبد الله أخو بنى واقف ، وعرباض بن سارية الفزارى ، قال ابن إسحاق : فبلغنى أن ابن يامين بن عمير بن كعب النضرى لقى أبا ليلى وعبد الله بن مغفل وهما يبكيان ، فقال : ما يبكيكما ؟ قالا جئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحملنا فلم نجد عنده ما يحملنا عليه وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه فأعطاهما ناضحا له فارتحلاه وزودهما شيئا من تمر فخرجا مع النبى صلى الله عليه وسلم ، زاد يونس بن بكير عن ابن إسحاق وأما علبة بن زيد فخرج من الليل فصلى من ليلته ما شاء الله ، ثم بكى وقال : اللهم إنك أمرت بالجهاد ورغبت فيه ثم لم تجعل عندى ما أتقوى به ولم تجعل فى يد رسولك ما يحملنى عليه وإنى أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابنى فيها فى مال أو جسد أو عرض ثم أصبح مع الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أين المتصدق هذه الليلة » فلم يقم أحد ثم قال : « أين المتصدق فليقم » فقام إليه فأخبره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أبشر فوالذى نفسى بيده لقد كتبت فى الزكاة المتقبلة » ، وقد أورد الحافظ البيهقى هاهنا

حديث أبي موسى الأشعري ، فقال : حدثنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا أحمد بن عبد الحميد المازني حدثنا أبو أسامة عن بريد عن أبي بردة عن أبي موسى قال : أرسلني أصحابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله لهم الحملان إذ هم معه في جيش العسرة وهو في غزوة تبوك ، فقلت : يا نبي الله إن أصحابي أرسلوني إليك لتحملهم ، فقال : « والله لا أحملكم على شيء » ووافقته وهو غضبان ولا أشعر ، فرجعت حزينا من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن مخافة أن يكون رسول الله قد وجد في نفسه على فرجعت إلى أصحابي فأخبرتهم بالذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ألبث إلا سويعة إذ سمعت بلالا ينادي أين عبد الله بن قيس ؟ فأجبته فقال أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فلما أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « خذ هذين القرينين وهذين القرينين وهذين القرينين » لستة أبعرة ابتاعهن حينئذ من سعد ، فقال : « انطلق بهن إلى أصحابك فقل إن الله أو إن رسول الله يحملكم على هؤلاء » ، فقلت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحملكم على هؤلاء ولكن والله لا أدعكم حتى ينطلق معي بعضكم إلى من سمع مقالة رسول الله حين سألته لكم ومنعه لي في أول مرة ثم إعطائه إياي بعد ذلك لا تظنوا أني حدثتكم شيئاً لم يقله ، فقالوا لي : والله إنك عندنا لمصدق ولنفعلن ما أحببت ، قال فانطلق أبو موسى بنفر منهم حتى أتوا الذين سمعوا مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم من منعه إياهم ثم إعطائه بعد فحدثوهم بما حدثهم به أبو موسى سواء ، وأخرجه البخاري ومسلم جميعاً عن أبي كريب عن أبي أسامة وفي رواية لهما عن أبي موسى قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من الأشعريين ليحملنا ، فقال « والله لا أحملكم وما عندي ما أحملكم عليه » ، قال ثم جيء رسول الله صلى الله عليه وسلم بنهب إبل فأمر لنا بست ذود غر الذرى فأخذناها ثم قلنا تغفلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمينه والله لا يبارك لنا ، فرجعنا له ، فقال : « ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم » ، ثم قال : « إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير وتحللتها » .

قال ابن إسحاق : وقد كان نفر من المسلمين أبطأت بهم الغيبة حتى تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير شك ولا ارتياب منهم كعب بن مالك بن أبي كعب أخو بني سلمة ، ومرارة بن ربيع أخو بني عمرو بن عوف ، وهلال بن أمية أخو بني واقف ، وأبو خيثمة أخو بني سالم بن عوف ، وكانوا نفر صدق لا يتهمون في إسلامهم .

قلت : أما الثلاثة الأول فستأتي قصتهم مبسوطة قريباً إن شاء الله تعالى وهم الذين أنزل الله فيهم (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه) وأما أبو خيثمة فإنه عاد وعزم على اللحوق برسول الله صلى الله عليه وسلم كما سيأتي .

﴿ فصل ﴾

قال يونس بن بكير عن ابن إسحاق : ثم استتب برسول الله صلى الله عليه وسلم سفره وأجمع السير فلما خرج يوم الخميس ضرب عسكره على ثنية لوداع ومعه زيادة على ثلاثين ألفا من الناس، وضرب عبد الله بن أبيّ عدو الله عسكره أسفل منه — وما كان فيما يزعمون بأقل العسكرين — فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبيّ فى طائفة من المنافقين وأهل الرَّيب ، قال ابن هشام : واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة محمد بن مسلمة الأنصارى قال : وذكر الدراوردى أنه استخلف عليها عام تبوك سباع بن عرفطة ، قال ابن إسحاق: وخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب على أهله وأمره بالإقامة فيهم فأرجف به المنافقون ، وقالوا : ما خلفه إلا استثقالا له وتخففا منه فلما قالوا ذلك أخذ على سلاحه ثم خرج حتى لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف فأخبره بما قالوا ، فقال : « كذبوا ولكنى خلفتك لما تركت ورائى فارجع فاخلفنى فى أهلى وأهلك أفلا ترضى يا على أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى » فرجع على ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفره ، ثم قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة عن إبراهيم بن سعد ابن أبى وقاص عن أبيه سعد أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلى هذه المقالة ، وقد روى البخارى ومسلم هذا الحديث من طريق شعبة عن سعد بن إبراهيم عن إبراهيم بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه به ، وقد قال أبو داود الطيالسى فى مسنده حدثنا شعبة عن الحكم عن مصعب ابن سعد عن أبيه قال : خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب فى غزوة تبوك ، فقال : يا رسول الله أتخلفنى فى النساء والصبيان ؟ فقال : « أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبى بعدى » ، وأخرجاه من طرق عن شعبة نحوه ، وعلقه البخارى أيضاً من طريق أبى داود عن شعبة ، وقال الإمام أحمد حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا حاتم بن إسماعيل عن بكير بن مسمار عن عامر بن سعد عن أبيه . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له وخلفه فى بعض مغازيه ، فقال على : يا رسول الله تخلفنى مع النساء والصبيان ؟ فقال : « يا على أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى » ورواه مسلم والترمذى عن قتيبة ، زاد مسلم ومحمد بن عباد كلاهما عن حاتم بن إسماعيل به ، وقال الترمذى حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

قال ابن إسحاق: ثم إن أبا خيثمة رجع بعد ما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما إلى أهله فى يوم حار فوجد امرأتين له فى عريشين لهما فى حائطه قد رشت كل واحدة منهما عريشها وبردت فيه ماء وهيأت له فيه طعاما فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الضح والريح والحر وأبو خيثمة فى ظل بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء فى ماله مقيم ما هذا بالنصف

والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فهيئا زاداً ففعلتا ثم قدم ناضحه فارتحله ثم خرج فى طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل تبوك، وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجمحى فى الطريق يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فترافقا حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير بن وهب : إن لى ذنباً فلا عليك أن تخلف عنى حتى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففعل ، حتى إذا دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس : هذا راكب على الطريق مقبل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كن أبا خيثمة » فقالوا : يا رسول الله هو والله أبو خيثمة ، فلما بلغ أقبل فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له « أولى لك يا أبا خيثمة » ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، فقال « خيراً » ودعا له بخير .

وقد ذكر عروة بن الزبير وموسى بن عقبة قصة أبى خيثمة بنحو من سياق محمد بن إسحاق وأبسط ، وذكر أن خروجه عليه السلام إلى تبوك كان فى زمن الخريف ، فالله أعلم . قال ابن هشام : وقال أبو خيثمة واسمه مالك بن قيس فى ذلك :

لما رأيت الناس فى الدين نافقوا ... أتيت التى كانت أعف وأكرما
وبايعت باليمنى يدى لمحمد ... فلم أكتسب إثماً ولم أغش محرما
تركت خضيباً فى العريش وصرمة ... صفايا كريماً بسرها قد تحمما
وكنت إذا شك المنافق أسمحت ... إلى الدين نفسى شطره حيث يمما

قال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق عن بريدة عن سفيان عن محمد بن كعب القرظى عن عبد الله بن مسعود قال : لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك جعل لا يزال الرجل يتخلف ، فيقولون يا رسول الله تخلف فلان ، فيقول « دعوه إن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه » حتى قيل : يا رسول الله تخلف أبو ذر وأبطأ به بعيره ، فقال « دعوه إن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه » ، فتلوم أبو ذر بعيره فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فجعله على ظهره ثم خرج يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشياً ، ونزل رسول الله فى بعض منازله ونظر ناظر من المسلمين فقال : يا رسول الله ، إن هذا الرجل ماش على الطريق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كن أبا ذر » فلما تأمله القوم قالوا : يا رسول الله هو والله أبو ذر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يرحم الله أبا ذر ، يمشى وحده ويموت وحده ويبعث وحده » قال : فضرب الدهر ضربه ، وسُيِّر أبو ذر إلى الربذة فلما حضره الموت أوصى امرأته وغلامه ، فقال : إذا مِتُّ فاغسلانى وكفنانى من الليل ثم ضعانى على قارعة الطريق ، فأول ركب يمرون بكم فقولوا هذا أبو ذر ، فلما مات فعلوا به كذلك . فاطلع ركب فما علموا به حتى كادت ركابهم تطأ سريره فإذا ابن مسعود فى رهط من أهل الكوفة

فقال : ما هذا ؟ فقيل جنازة أبى ذر ، فاستهل ابن مسعود يبكي وقال : صدق رسول الله ، يرحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده ، فنزل فوليه بنفسه حتى أجنه إسناده حسن ولم يخرجوه .

قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر أخبرنا عبد الله بن محمد بن عقيل فى قوله (الذين اتبعوه فى ساعة العسرة) قال: خرجوا فى غزوة تبوك الرجلان والثلاثة على بعير واحد وخرجوا فى حر شديد فأصابهم فى يوم عطش حتى جعلوا ينحرون إبلهم لينفضوا أكراشها ويشربوا ماءها ، فكان ذلك عسرة فى الماء وعسرة فى النفقة وعسرة فى الظهر ، قال عبد الله بن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبى هلال عن عتبة بن أبى عتبة عن نافع بن جبير عن عبد الله بن عباس أنه قيل لعمر بن الخطاب : حدثنا عن شأن ساعة العسرة ، فقال عمر : خرجنا إلى تبوك فى قيظ شديد فنزلنا منزلا وأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع ، حتى إن كان أحدنا ليذهب فيلتمس الرحل فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع ، حتى إن الرجل لينحر بعيره فيعتصر فرثه فيشربه ثم يجعل ما بقى على كبده ، فقال أبو بكر الصديق : يا رسول الله إن الله قد عودك فى الدعاء خيراً فادع الله لنا ، فقال « أوتحب ذلك ؟ » قال : نعم ؛ قال : فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعهما حتى قالت[1] السماء فأطلت ثم سكبت فملئوا ما معهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر ، إسناده جيد ولم يخرجوه من هذا الوجه .

وقد ذكر ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه أن هذه القصة كانت وهم بالحجر ، وأنهم قالوا لرجل معهم منافق : ويحك ! هل بعد هذا من شيء ؟ فقال : سحابة مارة وذكر أن ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ضلت فذهبوا فى طلبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمارة بن حزم الأنصارى — وكان عنده — « إن رجلا قال هذا محمد يخبركم أنه نبى ويخبركم خبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته ، وإنى والله لا أعلم إلا ما علمنى الله ، وقد دلنى الله عليها ، هى فى الوادى قد حبستها شجرة بزمامها » فانطلقوا فجاءوا بها ، فرجع عمارة إلى رحله فحدثهم عما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبر الرجل ، فقال رجل ممن كان فى رحل عمارة : إنما قال ذلك زيد بن اللصيت وكان فى رحل عمارة قبل أن يأتى ، فأقبل عمارة على زيد يجأ فى عنقه ويقول : إن فى رحلى لداهية وأنا لا أدرى ؟ أخرج عنى يا عدو الله فلا تصحبنى ، فقال بعض الناس إن زيداً تاب ، وقال بعضهم لم يزل متهما[2] بشر حتى هلك .

قال الحافظ البيهقى : وقد روينا من حديث ابن مسعود شبيهاً بقصة الراحلة ثم روى من حديث الأعمش وقد رواه الإمام أحمد عن أبى معاوية عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة أو عن

(١) قالت : بمعنى استعدت وتهيأت ، القاموس .
(٢) كذا فى الحلبية ، وفى المصرية : لم يزل مصرا .

أبى سعيد الخدرى ـ شك الأعمش ـ قال : لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة ، فقالوا يا رسول الله لو أذنت لنا فننحر نواضحنا فأكلنا وادّهنا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « افعلوا » فجاء عمر فقال : يا رسول الله إن فعلت قل الظهر ، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ، وادع الله لهم فيها بالبركة لعل الله أن يجعل فيها البركة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم » فدعا بنطع فبسطه ثم دعا بفضل أزوادهم ، فجعل الرجل يجيء بكف ذرة ويجيء الآخر بكف من التمر ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال لهم « خذوا فى أوعيتكم » فأخذوا فى أوعيتهم حتى ما تركوا فى العسكر وعاء إلا ملئوها ، وأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، لا يلقى الله بها عبد غير شاك فيحجب عن الجنة » ، ورواه مسلم عن أبى كريب عن أبى معاوية عن الأعمش به ، ورواه الإمام أحمد من حديث سهيل عن أبيه عن أبى هريرة ولم يذكر غزوة تبوك بل قال كان فى غزوة غزاها .

﴿ ذكر مروره عليه السلام فى ذهابه إلى تبوك
بمساكن ثمود وصرختهم بالحجر ﴾

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر نزلها واستقى الناس من بئرها فلما راحوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تشربوا من مائها شيئاً ولا تتوضئوا منه للصلاة وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل ولا تأكلوا منه شيئاً » هكذا ذكره ابن إسحاق بغير إسناد . وقال الإمام أحمد حدثنا يعمر بن بشر حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا معمر عن الزهرى أخبرنى سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال : « لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم » وتقنع بردائه وهو على الرحل . ورواه البخارى من حديث عبد الله بن المبارك وعبد الرزاق كلاهما عن معمر بإسناده نحوه ، وقال مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه « لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم » ورواه البخارى من حديث مالك ومن حديث سليمان بن بلال كلاهما عن عبد الله بن دينار ، ورواه مسلم من وجه آخر عن عبد الله بن دينار نحوه وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا صخر ـ هو ابن جويرية ـ عن نافع عن ابن عمر قال : نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس عام تبوك الحجر عند بيوت ثمود فاستقى الناس من الآبار التى كانت تشرب منها ثمود فعجنوا ونصبوا القدور باللحم فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهرقوا القدور وعلفوا العجين الابل ثم ارتحل بهم حتى نزل على البئر التى كانت تشرب منها الناقة ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عُذّبوا [فقال] « إنى أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا

تدخلوا عليهم » وهذا الحديث إسناده على شرط الصحيحين من هذا الوجه ولم يخرجوه وإنما أخرجه البخارى ومسلم من حديث أنس بن عياض عن أبى ضمرة عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر به ، قال البخارى وتابعه أسامة عن عبيد الله ، ورواه مسلم من حديث شعيب بن إسحاق عن عبيد الله عن نافع به ، وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن عبد الله ابن عثمان بن خثيم عن أبى الزبير عن جابر قال : لما مر النبى صلى الله عليه وسلم بالحجر قال : « لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فكانت ترد من هذا الفج[1] وتصدر من هذا الفج فعتوا عن أمر ربهم فعقروها[2] وكانت تشرب ماءهم يوما ويشربون لبنها يوما فعقروها فأخذتهم صيحة أهمد الله مَنْ تحت أديم السماء منهم إلا رجلا واحداً كان فى حرم الله » قيل من هو يارسول الله؟ قال « هو أبو رغال فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه » إسناده صحيح ولم يخرجوه ، وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا المسعودى عن إسماعيل بن واسط عن محمد بن أبى كبشة الأنمارى عن أبيه قال : لما كان فى غزوة تبوك تسارع الناس إلى أهل الحجر يدخلون عليهم ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودى فى الناس الصلاة جامعة قال فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ممسك بعيره وهو يقول : « ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم » فناداه رجل نعجب منهم ؟ قال : « أفلا أنبئكم بأعجب من ذلك ؟ رجل من أنفسكم ينبئكم بما كان قبلكم وما هو كائن بعدكم فاستقيموا وسددوا فإن الله لا يعبأ بعذابكم شيئاً ، وسيأتى قوم لا يدفعون عن أنفسهم شيئاً » إسناده حسن ولم يخرجوه ، وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن حزم عن العباس بن سهل بن سعد الساعدى — أو عن العباس ابن سعد الشك منى — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر ونزلها واستقى الناس من بئرها فلما راحوا منها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس « لا تشربوا من مائها شيئاً ولا تتوضئوا منه للصلاة ، وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل ولا تأكلوا منه شيئاً ، ولا يخرجن أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له » ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا رجلين من بنى ساعدة ، خرج أحدهما لحاجته ، وخرج الآخر فى طلب بعير له فأما الذى ذهب لحاجته فإنه خنق على مذهبه ، وأما الذى ذهب فى طلب بعيره فاحتملته الريح حتى ألقته بجبل طىء ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : « ألم أنهكم أن يخرج رجل إلا ومعه صاحب له » ، ثم دعا للذى أصيب على مذهبه فشفى ، وأما الآخر فإنه وصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك وفى رواية زياد عن ابن إسحاق أن طيئا أهدته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رجع إلى المدينة .

قال ابن اسحاق : وقد حدثنى عبد الله بن أبى بكر أن العباس بن سهل سمى له الرجلين لكنه استكتمه إياهما فلم يحدثنى بهما ، وقد قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا وهيب بن خالد ثنا عمرو

(١) فى التيمورية : ترد من هذا الوجه ، وتصدر الخ . (٢) الضمير راجع إلى ناقة صالح وهى آيته .

ابن يحيى عن العباس بن سهل بن سعد الساعدى عن أبى حميد الساعدى قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام تبوك حتى جئنا وادى القرى ، فإذا امرأة فى حديقة لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « أخرصوا » نخرص القوم وخرص رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة أوسق ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمرأة « احصى ما يخرج منها حتى أرجع إليك إن شاء الله » قال : نخرج حتى قدم تبوك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنها ستهب عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقومن فيها رجل ، فمن كان له بعير فليوثق عقاله » قال أبو حميد : فعقلناها فلما كان من الليل هبت علينا ريح شديدة فقام فيها رجل فألقته فى جبل طىء ، ثم جاء رسول الله ملك إيلة فأهدى لرسول الله بغلة بيضاء ، وكساه رسول الله برداً وكتب له بحيرهم[1] ثم أقبل وأقبلنا معه حتى جئنا وادى القرى قال للمرأة « كم جاءت حديقتك؟» قالت عشرة أوسق خرص رسول الله ، فقال رسول الله « إنى متعجل فمن أحب منكم أن يتعجل فليفعل » قال : فخرج رسول الله وخرجنا معه حتى إذا أوفى على المدينة قال : « هذه طابه » ، فلما رأى أحداً قال « هذا أحد[2] يحبنا ونحبه ، ألا أخبركم بخير دور الأنصار ؟ » قلنا بلى يارسول الله قال : « خير دور الأنصار بنو النجار ، ثم دار بنى عبد الأشهل ، ثم دار بنى ساعدة ، ثم فى كل دور الأنصار خير » ، وأخرجه البخارى ومسلم من غير وجه عن عمرو بن يحيى به نحوه ، وقال الإمام مالك رحمه الله عن أبى الزبير عن أبى الطفيل عامر بن واثلة أن معاذ بن جبل أخبره أنهم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام تبوك ، فكان يجمع بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء ، قال : فأخر الصلاة يوما ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعاً ، ثم دخل ثم خرج فصلى المغرب والعشاء جميعاً ، ثم قال : « إنكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك وإنكم لن تأتوها حتى يُضْحى ضُحَى النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتى » قال : فجئناها وقد سبق إليها رجلان والعين مثل الشراك تبض بشىء من ماء ، فسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل مسستما من مائها شيئاً » ، قالا نعم فسبهما وقال لهما ما شاء الله أن يقول ثم غرفوا من العين قليلا قليلا حتى اجتمع فى شىء ، ثم غسل رسول الله فيه وجهه ويديه ، ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير فاستقى الناس ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يا معاذ يوشك إن طالت بك حياة أن ترى ما ها هنا قد ملىء جنانا » أخرجه مسلم من حديث مالك به .

﴿ ذكر خطبته عليه السلام إلى تبوك إلى نخلة هناك ﴾

روى الإمام أحمد عن أبى النضر هاشم بن القاسم ويونس بن محمد المؤدب[3] وحجاج بن محمد

---

(١) فى الأصول الثلاثة : يحبرهم ، والتصحيح عن ابن هشام . (٢) فى التيمورية : هذا جبل .

(٣) كذا فى الأصلين وفى التيمورية : المؤذن وهو خطأ .

ثلاثتهم عن الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير عن أبى الخطاب عن أبى سعيد الخدرى أنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عام تبوك خطب الناس وهو مسند ظهره إلى نخلة ، فقال : «ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس ، إن من خير الناس رجلا عمل فى سبيل الله على ظهر فرسه أو على ظهر بعيره أو على قدميه حتى يأتيه الموت ، وإن من شر الناس رجلا فاجراً جريئاً يقرأ كتاب الله لا يرعوى إلى شىء منه» ورواه النسائى عن قتيبة عن الليث به وقال أبو الخطاب لا أعرفه ، وروى البيهقى من طريق يعقوب بن محمد الزهرى عن عبد العزيز ابن عمران حدثنا مصعب بن عبد الله عن منظور بن جميل بن سنان[1] أخبرنى أبى سمعت عقبة ابن عامر الجهنى خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، فاسترقد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستيقظ حتى كانت الشمس قيد رمح ، قال : «ألم أقل لك يا بلال اكلأ لنا الفجر» ، فقال : يا رسول الله ذهب بى من النوم مثل الذى ذهب بك ، قال : فانتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزله غير بعيد ثم صلى وسار بقية يومه وليلته فأصبح بتبوك ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : «أيها الناس أما بعد ؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأوثق العرى كلمة التقوى ، وخير الملل ملة إبراهيم ، وخير السنن سنة محمد ، وأشرف الحديث ذكر الله ، وأحسن القصص هذا القرآن ، وخير الأمور عوازمها[2] وشر الأمور محدثاتها ، وأحسن الهدى هدى الأنبياء وأشرف الموت قتل الشهداء ، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى ، وخير الأعمال ما نفع ، وخير الهدى ما اتبع ، وشر العمى عمى القلب ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى ، وشر المعذرة حين يحضر الموت ، وشر الندامة يوم القيامة ، ومن الناس من لا يأتى الجمعة إلا دُبُراً ، ومن الناس من لا يذكر الله إلا هجراً ، ومن أعظم الخطايا اللسان الكذوب ، وخير الغنى غنى النفس ، وخير الزاد التقوى ، ورأس الحكمة مخافة الله عز وجل ، وخير ما وقر فى القلوب اليقين ، والارتياب من الكفر ، والنياحة من عمل الجاهلية ، والغلول من حثا جهنم ، والشعر من إبليس ، والخمر جماع الإثم ، والنساء حبائل الشيطان ، والشباب شعبة من الجنون ، وشر المكاسب كسب الربا ، وشر المآكل أكل مال اليتيم ، والسعيد من وعظ بغيره ، والشقى من شقى فى بطن أمه ، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربعة أذرع والأمر إلى الآخرة ، وملاك العمل خواتمه ، وشر الروايا روايا الكذب ، وكل ما هو آت قريب ، وسباب المؤمن فسوق ، وقتال المؤمن كفر ، وأكل لحمه من معصية الله ، وحرمة ماله كحرمة دمه ، ومن يتألى على الله يكذبه ، ومن يستغفره يغفر له ، ومن يعف يعف الله عنه ، ومن يكظم يأجره الله ، ومن يصبر على الرزية يعوضه الله ، ومن يبتغى السمعة يسمع الله به ،

(١) فى التيمورية : ابن يسار . (٢) كذا فى المصرية وفسرها فى النهاية بالفرائض التى عزم الله بفعلها ، وفى الحلبية : غوارفها ، وفى التيمورية : غواريها .

ومن يصبر يضعف الله له ، ومن يعص الله يعذبه الله ، اللهم اغفر لى ولأمتى ، اللهم اغفر لى ولأمتى ، اللهم اغفر لى ولأمتى » قالها ثلاثاً ثم قال « أستغفر الله لى ولكم » ، وهذا حديث غريب وفيه نكارة وفى إسناده ضعف والله أعلم بالصواب . وقال أبو داود حدثنا أحمد بن سعيد الهمدانى وسليمان بن داود ، قالا : أخبرنا ابن وهب أخبرنى معاوية عن سعيد بن غزوان عن أبيه أنه نزل بتبوك وهو حاج فإذا رجل مقعد ، فسألته عن أمره فقال : سأحدثك حديثاً فلا تحدث به ما سمعت أنى حى ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بتبوك إلى نخلة فقال : هذه قبلتنا ثم صلى إليها ، قال : فأقبلت وأنا غلام أسعى حتى مررت بينه وبينها ، فقال : قطع صلاتنا قطع الله أثره [قال : فما قمت عليها إلى يومى هذا ، ثم رواه أبو داود من حديث سعيد بن عبد العزيز التنوخى عن مولى ليزيد بن نمران عن يزيد بن نمران ، قال : رأيت بتبوك مقعداً فقال : مررت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا على حمار وهو يصلى فقال : « اللهم اقطع أثره » فما مشيت عليها بعدها ، وفى رواية « قطع صلاتنا قطع الله أثره »] [1] .

﴿ ذكر الصلاة على معاوية بن أبى معاوية إن صح الخبر فى ذلك ﴾

روى البيهقى من حديث يزيد بن هارون أخبرنا العلاء أبو محمد الثقفى قال سمعت أنس بن مالك قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك ، فطلعت الشمس بضياء ولها شعاع ونور لم أرها طلعت فيما مضى ، فأتى جبريل رسول الله فقال « يا جبريل ، مالى أرى الشمس اليوم طلعت بيضاء ونور وشعاع لم أرها طلعت فيما مضى ؟ » قال : ذلك أن معاوية بن أبى معاوية الليثى مات بالمدينة اليوم فبعث الله إليه سبعين ألف ملك يصلون عليه ، قال « ومم ذاك ؟ » قال : بكثرة قراءته قل هو الله أحد بالليل والنهار ، وفى ممشاه وفى قيامه وقعوده ، فهل لك يا رسول الله أن أقبض لك الأرض فتصلى عليه ؟ قال « نعم ! » قال : فصلى عليه ثم رجع ، وهذا الحديث فيه غرابة شديدة ونكارة ، والناس يسندون أمرها إلى العلاء بن زيد هذا وقد تكلموا فيه ، ثم قال البيهقى أخبرنا على بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا هشام بن على أخبرنا عثمان بن الهيثم حدثنا محبوب بن هلال عن عطاء بن أبى ميمونة عن أنس قال : جاء جبريل فقال يا محمد مات معاوية بن أبى معاوية المزنى ، أفتحب أن تصلى عليه ؟ قال « نعم ! » فضرب بجناحه فلم يبق من شجرة ولا أكمة إلا تضعضعت له ، قال : فصلى وخلفه صفان من الملائكة فى كل صف سبعون ألف ملك ، قال قلت « يا جبريل بم نال هذه المنزلة من الله ؟ » قال : بحبه قل هو الله أحد يقرؤها قائماً وقاعداً ، وذاهباً وجائياً ، وعلى كل حال . قال عثمان : فسألت أبى أين كان

---

(١) ما بين المربعين لم يرد فى الحلبية .

النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : بغزوة تبوك بالشام ، ومات معاوية بالمدينة ، ورفع له سريره حتى نظر إليه وصلى عليه ، وهذا أيضاً منكر من هذا الوجه .

﴿ قدوم رسول قيصر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا إسحاق بن عيسى حدثنا يحيى بن سليم بن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن أبي راشد قال : لقيت[1] التنوخي رسول هرقل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمص[2] وكان جاراً لي شيخاً كبيراً قد بلغ العقد أو قرب ، فقلت ألا تخبرني عن رسالة هرقل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ؟ قال : بلى ، قدم رسول الله تبوك فبعث دحية الكلبي إلى هرقل فلما أن جاءه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا قسيسي الروم وبطارقتها ، ثم أغلق عليه وعليهم الدار ، فقال : قد نزل هذا الرجل حيث رأيتم ، وقد أرسل إليّ يدعوني إلى ثلاث خصال : يدعوني أن أتبعه على دينه ، أو على أن نعطيه مالنا على أرضنا والأرض أرضنا ، أو نلقي إليه الحرب ، والله لقد عرفتم فيما تقرؤون من الكتب لتأخذن[3] فهلم فلنتبعه على دينه أو نعطيه مالنا على أرضنا ، فنخروا نخرة رجل واحد حتى خرجوا من برانسهم وقالوا تدعونا إلى أن نذر النصرانية أو نكون عبيداً لأعرابي جاء من الحجاز ؟ فلما ظن أنهم إن خرجوا من عنده أفسدوا عليه الروم رقأهم ولم يكد ، وقال : إنما قلت ذلك لأعلم صلابتكم على أمركم ، ثم دعا رجلا من عرب تجيب كان على نصارى العرب ، قال : ادع لي رجلا حافظاً للحديث عربي اللسان أبعثه إلى هذا الرجل بجواب كتابه ، فجاء بي فدفع إليّ هرقل كتابا فقال : اذهب بكتابي إلى هذا الرجل ، فما سمعت من حديثه فاحفظ لي منه ثلاث خصال ، انظر هل يذكر صحيفته إليّ التي كتب بشيء ، وانظر إذا قرأ كتابي فهل يذكر الليل ، وانظر في ظهره هل به شيء يريبك . قال : فانطلقت بكتابه حتى جئت تبوكاً فإذا هو جالس بين ظهراني أصحابه محتبياً على الماء ، فقلت : أين صاحبكم ؟ قيل : ها هو ذا ، فأقبلت أمشي حتى جلست بين يديه ، فناولته كتابي فوضعه في حجره ثم قال « ممن أنت ؟ » فقلت : أنا أخو تنوخ قال « هل لك إلى الإسلام ، الحنيفية ملة أبيكم إبراهيم ؟ » قلت : إني رسول قوم وعلى دين قوم لا أرجع عنه حتى أرجع إليهم ، فضحك وقال « إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ، يا أخا تنوخ إني كتبت بكتاب إلى كسرى والله ممزقه وممزق ملكه ، وكتبت إلى النجاشي بصحيفة فخرقها والله مخرقه ومخرق[4] ملكه ، وكتبت إلى صاحبك بصحيفة فأمسكها

(١) كذا بالمصرية والتيمورية وفي الحلبية : رأيت .
(٢) في الحلبية : بمصر .
(٣) في التيمورية : لتأخذن ، ولعلها لتؤخذن .
(٤) في التيمورية : خرقها خرق ملكه .

فلن يزال الناس يجدون منه بأساً ما دام في العيش خير » قلت : هذه إحدى الثلاث التي أوصاني بها صاحبي ، فأخذت سهماً من جعبتي فكتبتها في جنب سيفي ، ثم إنه ناول الصحيفة رجلا عن يساره ، قلت : من صاحب كتابكم الذي يقرأ لكم ؟ قالوا : معاوية ، فإذا في كتاب صاحبي : تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت المتقين فأين النار ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سبحان الله ! أين الليل إذا جاء النهار ؟ » قال : فأخذت سهما من جعبتي فكتبته في جلد سيفي ، فلما أن فرغ من قراءة كتابي قال « إن لك حقاً وإنك لرسول ، فلو وجدت عندنا جائزة جوزناك بها ، إنا سفر مرملون » قال : فناداه رجل من طائفة الناس قال : أنا أجوزه ؛ ففتح رحله فإذا هو يأتي بحلة صفورية فوضعها في حجري ، قلت : من صاحب الجائزة ؟ قيل لي عثمان ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيكم ينزل هذا الرجل ؟ » فقال فتى من الأنصار أنا ، فقام الأنصاري وقمت معه حتى إذا خرجت من طائفة المجلس ناداني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « تعال يا أخا تنوخ » فأقبلت أهوى حتى كنت قائماً في مجلسي الذي كنت بين يديه ، فحل حبوته عن ظهره وقال « ها هنا أمض لما أمرت به » فجلت في ظهره فإذا أنا بخاتم في موضع غضون الكتف مثل المحجمة[1] الضخمة . هذا حديث غريب وإسناده لا بأس به تفرد به الإمام أحمد .

﴿ مصالحته عليه الصلاة والسلام ملك أيلة وأهل جرباء وأذرح
وهو مقيم على تبوك قبل رجوعه ﴾

قال ابن إسحاق : ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك أتاه يحنة بن رؤبة صاحب أيلة فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه الجزية وأتاه أهل جرباء وأذرح فأعطوه الجزية ، وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً فهو عندهم ، وكتب ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذه أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة سفنهم وسياراتهم في البر والبحر لهم ذمة الله ومحمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه ، وأنه طيب لمن أخذه من الناس ، وأنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقاً يردونه من بر أو بحر » زاد يونس بن بكير عن ابن اسحاق بعد هذا ، وهذا كتاب جهيم بن الصلت وشرحبيل بن حسنة بإذن رسول الله .

قال يونس عن ابن إسحاق : وكتب لأهل جرباء وأذرح « بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب

---

(١) كذا في الأصلين ، وفي التيمورية : مثل البيضة ، فليراجع .
(٢) في التيمورية عنوانه : كتابه صلى الله عليه وسلم ليحنة . . . إلخ .

من محمد النبي رسول الله لأهل جرباء وأذرح ، أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ، وأن عليهم مائة دينار فى كل رجب ، ومائة أوقية طيبة وأن الله عليهم كفيل بالنصح والإحسان إلى المسلمين ، ومن لجأ إليهم من المسلمين . قال وأعطى النبي صلى الله عليه وسلم أهل أيلة برده مع كتابه أمانا لهم ، قال فاشتراه بعد ذلك أبو العباس عبد الله بن محمد بثلثمائة دينار .

﴿ بعثه عليه السلام خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة ﴾

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خالد بن الوليد فبعثه إلى أكيدر دومة ، وهو أكيدر بن عبد الملك رجل من بنى كنانة[1] كان ملكا عليها وكان نصرانيا ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد « إنك ستجده يصيد البقر » فخرج خالد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين وفى ليلة مقمرة صائفة وهو على سطح له ومعه امرأته . وباتت البقر تحك بقرونها باب القصر ، فقالت له امرأته هل رأيت مثل هذا قط ؟ قال لا والله ، قالت فمن يترك هذا ؟ قال لا أحد فنزل فأمر بفرسه فأسرج له وركب معه نفر من أهل بيته فيهم أخ له يقال له حسان فركب وخرجوا معه بمطاردهم ، فلما خرجوا تلقتهم خيل للنبي صلى الله عليه وسلم فأخذته وقتلوا أخاه وكان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب ، فاستلبه خالد فبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه عليه ، قال فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن أنس بن مالك قال : رأيت قباء أكيدر حين قدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ويتعجبون منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتعجبون من هذا [فوالذى نفسى بيده] لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن من هذا » .

قال ابن إسحاق : ثم إن خالد بن الوليد لما قدم بأكيدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم حقن له دمه فصالحه على الجزية ، ثم خلى سبيله فرجع إلى قريته ، فقال رجل من بنى طيء يقال له بجير بن بجرة فى ذلك :

تبارك سائق البقرات إنى ... رأيت الله يهدى كل هاد

فمن يك حائدا عن ذى تبوك ... فإنا قد أمرنا بالجهاد

وقد حكى البيهقى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهذا الشاعر « لا يفضض الله فاك » فأتت عليه سبعون سنة ما تحرك له فيها ضرس ولا سن . وقد روى ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خالدا مرجعه من تبوك فى أربعمائة وعشرين فارسا إلى أكيدر دومة فذكر نحو ما تقدم إلا أنه ذكر أنه ماكره حتى أنزله من الحصن ، وذكر أنه قدم مع أكيدر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانمائة من السبي ، وألف بعير ، وأربعمائة رمح ، وذكر أنه لما سمع عظيم أيلة يحنة[2] ابن رؤبة بقصة أكيدر دومة أقبل قادما إلى

(١) كذا فى الأصلين والذى فى ابن هشام والتيمورية : رجل من كندة . (٢) فى الأصل يحنا .

رسول الله صلى الله عليه وسلم يصالحه فاجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك فالله أعلم . وروى يونس بن بكير عن سعد بن أوس عن بلال بن يحيى أن أبا بكر الصديق كان على المهاجرين فى غزوة دومة الجندل ، وخالد بن الوليد على الأعراب فى غزوة دومة الجندل ، فالله أعلم.

فصل

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة لم يجاوزها ثم انصرف قافلا إلى المدينة ، قال وكان فى الطريق ماء يخرج من وشل يروى الراكب والراكبين والثلاثة بواد يقال له وادى المشقق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سبقنا إلى ذلك الماء فلا يستقين منه شيئا حتى نأتيه » قال فسبقه إليه نفر من المنافقين فاستقوا ما فيه ، فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليه فلم ير فيه شيئاً فقال « من سبقنا إلى هذا الماء ؟ » فقيل له يا رسول الله فلان وفلان ، فقال أو لم أنههم أن يستقوا منه حتى آتيه ، ثم لعنهم ودعا عليهم ، ثم نزل فوضع يده تحت الوشل فجعل يصب فى يده ما شاء الله أن يصب ، ثم نضحه به ومسحه بيده ودعا بما شاء الله أن يدعو ، فانخرق من الماء - كما يقول من سمعه - ما أن له حسا كحس الصواعق ، فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لئن بقيتم أو من بقى منكم ليسمعن بهذا الوادى وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه » .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى أن عبد الله بن مسعود كان يحدث قال : قمت من جوف الليل وأنا مع رسول الله فى غزوة تبوك ، فرأيت شعلة من نار فى ناحية العسكر فاتبعتها أنظر إليها ، قال فإذا رسول الله وأبو بكر وعمر وإذا عبد الله ذو البجادين قد مات وإذا هم قد حفروا له ، ورسول الله فى حفرته ، وأبو بكر وعمر يدليانه ، وإذا هو يقول « أدنيا إلى أخاكما » فدلياه إليه ، فلما هيأه لشقه قال « اللهم إنى قد أمسيت راضيا عنه فارض عنه » قال يقول ابن مسعود ياليتنى كنت صاحب الحفرة . قال ابن هشام : إنما سمى ذو البجادين لأنه كان يريد الإسلام فمنعه قومه وضيقوا عليه حتى خرج من بينهم وليس عليه إلا بجاد - وهو الكساء الغليظ - فشقه باثنين فائتزر بواحدة وارتدى بالأخرى ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمى ذو البجادين[1] .

قال ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهرى عن ابن أكيمة الليثى عن ابن أخى أبى رُهْم الغفارى أنه سمع أبا رهم كلثوم بن الحصين - وكان من أصحاب الشجرة - يقول : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك فسرت ذات ليلة معه ونحن بالأخضر وألقى الله على النعاس وطفقت أستيقظ وقد دنت راحلتى من راحلة النبى صلى الله عليه وسلم فيفزعنى دنوها

---

(١) أورد له أبو نعيم ترجمة وافية فى الحلية التى نقوم بطبعها فليراجع هناك .

معه مخافة أن أصيب رجله فى الغرز ، فطفقت أحوز راحلتى عنه حتى غلبتنى عينى فى بعض الطريق فزاحمت راحلتى راحلته ورجله فى الغرز ، فلم أستيقظ إلا بقوله «حَس» فقلت يا رسول الله استغفر لى ، قال « سر » فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألنى عمن تخلف عنه من بنى غفار فأخبره به . فقال وهو يسألنى « ما فعل النفر الحمر الطوال الثّطاط[١] الذين لا شعر فى وجوههم ؟ » فحدثته بتخلفهم ، قال « فما فعل النفر السود الجعاد القصار » قال قلت والله ما أعرف هؤلاء منا قال « بلى الذين لهم نعم بشبكة شدخ[٢] » فتذكرتهم فى بنى غفار فلم أذكرهم حتى ذكرت أنهم رهط من أسلم كانوا حلفاء فينا ، فقلت يا رسول الله أولئك رهط من أسلم حلفاء فينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما منع أحد أولئك حين تخلف أن يحمل على بعير من إبله امرءاً نشيطاً فى سبيل الله ، إن أعز أهلى على أن يتخلف عنى المهاجرون والأنصار وغفار وأسلم » .

قال ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة بن الزبير قال : لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك إلى المدينة هم جماعة من المنافقين بالفتك به وأن يطرحوه من رأس عقبة فى الطريق فأخبر بخبرهم فأمر الناس بالمسير من الوادى وصعد هو العقبة وسلكها معه أولئك النفر وقد تلثموا ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان أن يمشيا معه ، عمار آخذ بزمام الناقة ، وحذيفة يسوقها ، فبينما هم يسيرون إذ سمعوا بالقوم قد غَشَوْهم ، فغضب رسول الله وأبصر حذيفة غضبه فرجع إليهم ومعه محجن فاستقبل وجوه رواحلهم بمحجنه ، فلما رأوا حذيفة ظنوا أن قد أظهر على ما أضمروه من الأمر العظيم فأسرعوا حتى خالطوا الناس ، وأقبل حذيفة حتى أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهما فأسرعا حتى قطعوا العقبة ووقفوا ينتظرون الناس ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحذيفة « هل عرفت هؤلاء القوم ؟ » قال ما عرفت إلا رواحلهم فى ظلمة الليل حين غشيتهم ، قال « علمتما ما كان من شأن هؤلاء الركب ؟ » قالا لا ، فأخبرهما بما كانوا تمالئوا عليه وسماهم لهما واستكتمهما ذلك ؟ فقالا يا رسول الله أفلا تأمر بقتلهم ؟ فقال « أكره أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه » وقد ذكر ابن إسحاق هذه القصة إلا أنه ذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم إنما أعلم بأسمائهم حذيفة بن اليمان وحده وهذا هو الأشبه والله أعلم . ويشهد له قول أبى الدرداء لعلقمة صاحب ابن مسعود : أليس فيكم - يعنى أهل الكوفة - صاحب السواد والوساد - يعنى ابن مسعود - أليس فيكم صاحب السر الذى لا يعلمه غيره - يعنى حذيفة - أليس فيكم الذى أجاره الله من الشيطان على لسان محمد - يعنى عماراً - وروينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال لحذيفة :

---

(١) الثطاط بالثاء المثلثة جمع ثط وهو الذى لا لحية له عن السهيلى ، وفى الأصل الشطاط وفسره الخشنى بالصغير شعر اللحية .

(٢) شبكة شدخ اسم ماء لأسلم من بنى غفار بالحجاز . عن المعجم .

أقسمت عليك بالله أأنا منهم ؟ قال لا ولا أبرىء بعدك أحداً – يعني حتى لا يكون مفشيا سر النبي صلى الله عليه وسلم – .

قلت : وقد كانوا أربعة عشر رجلا . وقيل كانوا اثني عشر رجلا ، وذكر ابن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم حذيفة بن اليمان فجمعهم له فأخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان من أمرهم وبما تمالئوا عليه . ثم سرد ابن إسحاق أسماءهم قال وفيهم أنزل الله عز وجل (وهموا بما لم ينالوا) .

وروى البيهقي من طريق محمد بن مسلمة عن أبي إسحاق عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن حذيفة بن اليمان قال : كنت آخذاً بخطام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقود به وعمار يسوق الناقة – أو أنا أسوق وعمار يقود به – حتى إذا كنا بالعقبة إذا باثني عشر رجلا راكبا قد اعترضوه فيها ، قال فأنبهت رسول الله صلى الله عليه وسلم فصرخ بهم فولوا مدبرين ، فقال لنا رسول الله « هل عرفتم القوم » قلنا لا يا رسول الله قد كانوا متلثمين ولكنا قد عرفنا الركاب ، قال « هؤلاء المنافقون إلى يوم القيامة ، وهل تدرون ما أرادوا ؟ » قلنا لا قال « أرادوا أن يزحموا رسول الله في العقبة فيلقوه منها » قلنا يا رسول الله أولا تبعث إلى عشائرهم حتى يبعث إليك كل قوم برأس صاحبهم ؟ قال « لا ، أكره أن يتحدث العرب بينها أن محمداً قاتل بقومه ، حتى إذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم » ثم قال « اللهم ارمهم بالدبيلة » قلنا يارسول الله وما الدبيلة ؟ قال « هي شهاب من نار تقع على نياط قلب أحدهم فيهلك » وفي صحيح مسلم من طريق شعبة عن قتادة عن أبي نضرة عن قيس بن عبادة . قال : قلت لعمار أرأيتم صنيعكم هذا فيما كان من أمر علي أرأي رأيتموه أم شيء عهده إليكم رسول الله ؟ فقال : ما عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً لم يعهده إلى الناس كافة ، ولكن حذيفة أخبرني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « في أصحابي اثنا عشر منافقا منهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط » . وفي رواية من وجه آخر عن قتادة « إن في أمتي اثني عشر منافقا لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ، ثمانية منهم تكفيكهم الدبيلة ، سراج من النار يظهر بين أكتافهم حتى ينجم من صدورهم » . قال الحافظ البيهقي : وروينا عن حذيفة أنهم كانوا أربعة عشر – أو خمسة عشر – وأشهد بالله أن اثني عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، وعذر ثلاثة أنهم قالوا : ما سمعنا المنادي ولا علمنا بما أراد . وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد في مسنده قال حدثنا يزيد – هو ابن هارون – أخبرنا الوليد بن عبد الله بن جميع عن أبي الطفيل . قال : لما أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك أمر مناديا فنادى إن رسول الله آخذ بالعقبة فلا يأخذها أحد ، فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوده حذيفة ويسوقه عمار إذ أقبل رهط متلثمون على الرواحل فغشوا عماراً وهو يسوق برسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل عمار يضرب وجوه الرواحل ، فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم لحذيفة « قَدْ قد » حتى هبط رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوادى ، فلما هبط ورجع قال « يا عمار هل عرفت القوم ؟ » قال قد عرفت عامة الرواحل والقوم متلثمون قال «هل تدرى ما أرادوا ؟» قال الله ورسوله أعلم ، قال « أرادوا أن ينفروا برسول الله فيطرحوه » قال فسارّ عمار رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقال : نشدتك بالله كم تعلم كان أصحاب العقبة ؟ قال أربعة عشر رجلا ، فقال إن كنت فيهم فقد كانوا خمسة عشر ، قال فعذر رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ثلاثة قالوا ما سمعنا منادى رسول الله وما علمنا ما أراد القوم . فقال عمار : أشهد أن الاثنى عشر الباقين حرب لله ولرسوله فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد .

﴿ قصة مسجد الضرار ﴾

قال الله تعالى (والذين اتخذوا مسجدا ضراراً وكفراً وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون ، لا تقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين ، لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم) وقد تكلمنا على تفسير ما يتعلق بهذه الآيات الكريمة فى كتابنا التفسير بما فيه كفاية ولله الحمد . وذكر ابن إسحاق كيفية بناء هذا المسجد الظالم أهله وكيفية أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بخرابه مرجعه من تبوك قبل دخوله المدينة ، ومضمون ذلك أن طائفة من المنافقين بنوا صورة مسجد قريبا من مسجد قباء وأرادوا أن يصلى لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه حتى يروج لهم ما أرادوه من الفساد والكفر والعناد ، فعصم الله رسوله صلى الله عليه وسلم من الصلاة فيه وذلك أنه كان على جناح سفر إلى تبوك ، فلما رجع منها فنزل بذى أوان ـ مكان بينه وبين المدينة ساعة ـ نزل عليه الوحى فى شأن هذا المسجد وهو قوله تعالى (والذين اتخذوا مسجداً ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل) الآية . أما قوله ضراراً فلأنهم أرادوا مضاهاة مسجد قباء ، وكفراً بالله لا للإيمان به ، وتفريقا للجماعة عن مسجد قباء وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وهو أبو عامر الراهب الفاسق قبحه الله وذلك أنه لما دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فأبى عليه ، ذهب إلى مكة فاستنفرهم . فجاؤا عام أحد فكان من أمرهم ما قدمناه ، فلما لم ينهض أمره ذهب إلى ملك الروم قيصر ليستنصره على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو عامر على دين هرقل ممن تنصر معهم من العرب وكان يكتب إلى إخوانه الذين نافقوا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا ، فكانت مكاتباته ورسله تفد اليهم كل حين . فبنوا هذا المسجد فى الصورة الظاهرة وباطنه دار حرب ومقر لمن يفد من عند أبى عامر الراهب ، ومجمع لمن

هو على طريقتهم من المنافقين ، ولهذا قال تعالى (وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل) . ثم قال (وليحلفن) أى الذين بنوه (إن أردنا إلا الحسنى) أى إنما أردنا ببنيانه الخير ، قال الله تعالى (والله يشهد إنهم لكاذبون) ثم قال الله تعالى إلى رسوله (لا تقم فيه أبداً) فنهاه عن القيام فيه لئلا يقرر أمره ثم أمره وحثه على القيام فى المسجد الذى أسس على التقوى من أول يوم وهو مسجد قباء لما دل عليه السياق والأحاديث الواردة فى الثناء على تطهير أهله مشيرة إليه ، وما ثبت فى صحيح مسلم من أنه مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينافى ما تقدم لأنه إذا كان مسجد قباء أسس على التقوى من أول يوم فمسجد الرسول أولى بذلك وأحرى ، وأثبت فى الفضل منه وأقوى ، وقد أشبعنا القول فى ذلك فى التفسير ولله الحمد ، والمقصود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بذى أوان دعا مالك بن الدخشم ومعن بن عدى ـ أو أخاه عاصم بن عدى ـ رضى الله عنهما فأمرهما أن يذهبا إلى هذا المسجد الظالم أهله فيحرقاه بالنار ، فذهبا فحرقاه بالنار ، وتفرق عنه أهله .

قال ابن إسحاق : وكان الذين بنوه اثنى عشر رجلا وهم : خذام بن خالد ـ وفى جنب داره كان بناء هذا المسجد ـ وثعلبة بن حاطب ، ومعتب بن قشير ، وأبو حبيبة بن الأزعر ، وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف ، وجارية بن عامر ، وابناه مجمع وزيد ، ونبتل بن الحارث ، وبحزج وهو إلى بنى ضبيعة ، وبجاد بن عثمان وهو من بنى ضبيعة ، ووديعة بن ثابت وهو إلى بنى أمية .

قلت : وفى غزوة تبوك هذه صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف عبد الرحمن بن عوف صلاة الفجر أدرك معه الركعة الثانية منها ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب يتوضأ ومعه المغيرة بن شعبة فأبطأ على الناس ، فأقيمت الصلاة فتقدم عبد الرحمن بن عوف ، فلما سلم الناس أعظموا ما وقع فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « أحسنتم وأصبتم » وذلك فيما رواه البخارى رحمه الله قائلا حدثنا . وقال البخارى حدثنا أحمد بن محمد حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا حميد الطويل عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة فقال : « إن بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم » فقالوا يا رسول الله وهم بالمدينة ؟ قال « وهم بالمدينة حبسهم العذر » تفرد به من هذا الوجه . قال البخارى حدثنا خالد بن مخلد حدثنا سليمان حدثنى عمرو بن يحيى عن العباس بن سهل بن سعد عن أبى حميد قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك حتى إذا أشرفنا على المدينة قال « هذه طابة ، وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه » ورواه مسلم من حديث سليمان بن بلال به نحوه . قال البخارى حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سفيان عن الزهرى عن السائب بن يزيد قال : أذكر أنى خرجت مع الصبيان نتلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ثنية الوداع مقدمه من غزوة تبوك . ورواه أبو داود والترمذى من حديث سفيان بن عيينة به ، وقال الترمذى حسن صحيح . وقال البيهقى

أخبرنا أبو نصر بن قتادة أخبرنا أبو عمرو بن مطر سمعت أبا خليفة يقول سمعت ابن عائشة يقول: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جعل النساء والصبيان والولائد يقلن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

قال البيهقي : وهذا يذكره علماؤنا عند مقدمه المدينة من مكة لا أنه لما قدم المدينة من ثنيات الوداع عند مقدمه من تبوك والله أعلم . فذكرناه ها هنا أيضا ، قال البخاري رحمه الله حديث كعب بن مالك رضي الله عنه : حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب بن مالك - وكان قائد كعب من بنيه حين عمي - قال سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن قصة تبوك قال كعب : لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك غير أني كنت تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحداً تخلف عنها، إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عير قريش ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حتى تواثبنا[1] على الإسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر ، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها ، كان من خبري أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزوة ، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزاة ، ولم يكن رسول الله يريد غزوة إلا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله في حر شديد . واستقبل سفرا بعيداً وعدوا وعدادا كثيرا فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فأخبرهم بوجهه الذي يريد والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ - يريد الديوان - قال كعب : فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي الله ، وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم [تلك الغزوة] حين طابت الثمار والظلال ، وتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئاً ، فأقول في نفسي أنا قادر عليه فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد بالناس الجد فأصبح رسول الله والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئاً فقلت أتجهز بعد يوم أو يومين ثم ألحقهم فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز فرجعت ولم أقض شيئاً ، ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئا ، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو وهممت أن ارتحل فأدركهم - وليتني فعلت - فلم يقدر لي ذلك ، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله فطفت فيهم أحزنني أني لا أرى إلا رجلا مغموصا عليه النفاق ، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ، ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك « ما فعل كعب ؟ » فقال رجل من

(١) كذا بالأصلين ، وفي البخاري : حين تواثقنا .

بنى سلمة : يا رسول الله حبسه برداه ونظره فى عطفيه ، فقال معاذ بن جبل : بئس ما قلت ، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كعب ابن مالك : قال فلما بلغنى أنه توجه قافلا حضرنى همى وطفقت أتذكر الكذب وأقول بماذا أخرج غداً من سخطه واستعنت على ذلك بكل ذى رأى من أهلى ، فلما قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادما زاح عنى الباطل وعرفت أنى لن أخرج منه أبداً بشىء فيه كذب ، فأجمعت صدقه وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما فكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاء المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا ، فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله عز وجل ، فجئته فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال « تعال » فجئت أمشى حتى جلست بين يديه ، فقال لى « ما خلفك ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك » فقلت بلى إنى والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر — ولقد أعطيت جدلا — ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ليوشكن الله أن يسخطك على ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد على فيه إنى لأرجو فيه عفو الله ، لا والله ما كان لى من عذر ، ووالله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضى الله فيك » فقمت فثار رجال من بنى سلمة فاتبعونى فقالوا لى : والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر إليه المخلفون ، وقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك فوالله مازالوا يؤنبونى حتى هممت أن أرجع فأكذب نفسى ، ثم قلت لهم هل لقى هذا معى أحد ؟ قالوا نعم رجلان قالا مثل ما قلت وقيل لهما مثل ما قيل لك ، فقلت من هما ؟ قالوا مرارة بن الربيع العمرى وهلال بن أمية الواقفى فذكروا لى رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما أسوة فمضيت حين ذكروهما ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا نحن الثلاثة من بين من تخلف ، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت فى نفسى الأرض فما هى التى أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان ، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف فى الأسواق ولا يكلمنى أحد ، وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة وأقول فى نفسى هل حرك شفتيه برد السلام على أم لا ، ثم أصلى قريبا منه فأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتى أقبل إلى وإذا التفت نحوه أعرض عنى حتى إذا طال على ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبى قتادة — وهو ابن عمى وأحب الناس إلى — فسلمت عليه فوالله مارد على السلام فقلت يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمنى أحب الله

ورسوله ؟ فسكت فعدت له فنشدته فسكت فعدت له فنشدته فقال الله ورسوله أعلم ، ففاضت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار ، قال : وبينا أنا أمشى بسوق المدينة إذا نبطى من أنباط أهل الشام ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدلنى على كعب بن مالك ؟ فطفق الناس يشيرون له ، حتى إذا جاءنى دفع إلى كتابا من ملك غسان [فى سرة من حرير] فإذا فيه : أما بعد فإنه قد بلغنى أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة ، فالحق بنا نواسيك ، فقلت لما قرأتها : وهذا أيضاً من البلاء فتيممت بها التنور فسجرته بها فأقمنا على ذلك حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتينى ، فقال : رسول الله يأمرك أن تعتزل امرأتك ، فقلت أطلقها أم ماذا أفعل ؟ قال لا بل اعتزلها ولا تقربها ، وأرسل إلى صاحبى بمثل ذلك ، فقلت : لامرأتى الحقى بأهلك فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر ، قال كعب ، فجاءت امرأة هلال بن أمية إلى رسول الله ، فقالت : يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه ، قال : « لا ولكن لا يقربك » قالت إنه والله ما به حركة إلى شىء ، والله ما زال يبكى منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا ، فقال لى بعض أهلى لو استأذنت رسول الله فى امرأتك كما استأذن هلال بن أمية أن تخدمه ، فقلت : والله لا أستأذن فيها رسول الله وما يدرينى ما يقول رسول الله إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب ، قال فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله عن كلامنا ، فلما صليت الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينا أنا جالس على الحال التى ذكر الله عز وجل قد ضاقت على نفسى وضاقت على الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع [يقول] بأعلى صوته : يا كعب أبشر ، فخررت ساجداً وعرفت أن قد جاء فرج وآذن رسول الله [للناس] بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، وذهب قبل صاحبى مبشرون ، وركض رجل إلى فرسا ، وسعى ساع من أسلم فأوفى على الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس ، فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى نزعت له ثوبى فكسوته إياهما ببشراه والله ما أملك غيرهما يومئذ ، واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقانى الناس فوجا فوجا يهنئونى بالتوبة يقولون ليهنك توبة الله عليك ، قال كعب : حتى دخلت المسجد فإذا برسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس ، فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحنى وهنأنى ، والله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة ، قال كعب : فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور « أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك » قال : قلت أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : « لا بل من عند الله » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه ، فلما جلست

بين يديه ، قلت : يا رسول الله إن من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة إلى الله وإلى رسوله ، قال رسول الله « أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك » قلت فإنى أمسك سهمى الذى بخيبر ، وقلت يا رسول الله إن الله إنما نجانى بالصدق ، وإن من توبتى ألا أحدث إلا صدقا ما بقيت ؛ فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله فى صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله أحسن مما أبلانى ، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومى هذا كذبا ، وإنى لأرجو أن يحفظنى الله فيما بقيت ، وأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم (لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار) إلى قوله (وكونوا مع الصادقين) فوالله ما أنعم الله على من نعمة قط بعد أن هدانى للإسلام أعظم فى نفسى من صدقى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا فإن الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحى شر ما قال لأحد ، قال الله تعالى : (سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم) إلى قوله (فإن الله لايرضى عن القوم الفاسقين) قال كعب : وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله حين حلفوا له فبايعهم[1] واستغفر لهم وأرجأ رسول الله أمرنا حتى قضى الله فيه فبذلك قال الله تعالى : (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) ليس الذى ذكر الله مما خلفنا من الغزو وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منهم ، وهكذا رواه مسلم من طريق الزهرى بنحوه ، وهكذا رواه محمد بن إسحاق عن الزهرى مثل سياق البخارى ، وقد سقناه فى التفسير من مسند الإمام أحمد وفيه زيادات يسيرة ولله الحمد والمنة .

﴿ ذكر أقوام تخلفوا من العصاة غير هؤلاء ﴾

قال على بن طلحة الوالبى عن ابن عباس فى قوله تعالى : (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله هو التواب الرحيم) قال كانوا عشرة رهط تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوه تبوك ، فلما حضروا رجوعه أوسق سبعة منهم أنفسهم بسوارى المسجد فلما مر بهم رسول الله قال : « من هؤلاء ؟ » قالوا أبا لبابة وأصحاب له تخلفوا عنك حتى تطلقهم وتعذرهم قال : « وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله عز وجل هو الذى يطلقهم ، رغبوا عنى وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين » فلما أن بلغهم ذلك ، قالوا : ونحن لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله هو الذى يطلقنا ، فأنزل الله عزّ وجل (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) الآية ، وعسى من الله واجب[2] فلما أنزلت أرسل إليهم رسول الله فأطلقهم وعذرهم ، فجاؤا بأموالهم ، وقالوا : يا رسول الله هذه أموالنا فتصدق بها عنا واستغفر لنا ، فقال

---

(١) كذا فى الاصلين ، وفى ابن هشام : فعذرهم .   (٢) كذا فى الاصلين .

« ما أمرت أن آخذ أموالكم » فأنزل الله (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم) إلى قوله (وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم) وهم الذين لم يربطوا أنفسهم بالسوارى فأرجئوا حتى نزل قوله تعالى : (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين خلفوا) إلى آخرها ، وكذا رواه عطية بن سعيد العوفى عن ابن عباس بنحوه .

وقد ذكر سعيد بن المسيب ومجاهد ومحمد بن اسحاق قصة أبى لبابة وما كان من أمره يوم بنى قريظة وربط نفسه حتى تيب عليه ، ثم إنه تخلف عن غزوة تبوك فربط نفسه أيضاً حتى تاب الله عليه ، وأراد أن ينخلع من ماله كله صدقة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يكفيك من ذلك الثلث » قال مجاهد وابن اسحاق : وفيه نزل (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) الآية ، قال سعيد بن المسيب : ثم لم ير منه بعد ذلك فى الإسلام إلا خيراً رضى الله عنه وأرضاه .

قلت : ولعل هؤلاء الثلاثة لم يذكروا معه بقية أصحابه واقتصروا على ذكره لأنه كان كالزعيم لهم كما دل عليه سياق ابن عباس والله أعلم ، وروى الحافظ البيهقى من طريق أبى أحمد الزبيرى عن سفيان الثورى عن سلمة بن كهيل عن عياض بن عياض عن أبيه عن ابن مسعود قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « إن منكم منافقين فمن سميت فليقم قم يا فلان ، قم يا فلان ، قم يا فلان » حتى عد ستة وثلاثين ، ثم قال : « إن فيكم - أو إن منكم - منافقين فسلوا الله العافية » قال فمر عمر برجل متقنع وقد كان بينه وبينه معرفة ، فقال : ما شأنك ؟ فأخبره بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال بعداً لك سائر اليوم .

قلت : كان المتخلفون عن غزوة تبوك أربعة أقسام ، مأمورون مأجورون كعلى بن أبى طالب ومحمد بن مسلمة ، وابن أم مكتوم ، ومعذورون وهم الضعفاء والمرضى ، والمقلون وهم البكاؤن ، وعصاة مذنبون وهم الثلاثة ، أبو لبابة وأصحابه المذكورون ، وآخرون ملومون مذمومون وهم المنافقون.

﴿ ذكر ما كان من الحوادث بعد رجوعه عليه السلام إلى المدينة ومنصرفه من تبوك ﴾

قال الحافظ البيهقى : حدثنا أبو عبد الله الحافظ إملاء أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أبو البخترى عبد الله بن شاكر حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا عم أبى زخر[1] بن حصن عن جده حميد بن منهب قال سمعت جدى خريم بن أوس بن حارثة بن لام يقول : هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفه من تبوك ، فسمعت العباس بن عبد المطلب يقول : يا رسول الله إنى أريد أن أمتدحك ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قل لا يفضض الله فاك » فقال :

من قبلها طبت فى الظلال وفى مستودع حيث يخصف الورق

(١) فى الأصل زجر (بالجيم) والتصحيح من الأصابة وضبطه بفتح الزاى وسكون المعجمة .

ثم هبطت البــلاد لا بشر   أنت ولا نطفــــة ولا علق

بل نطفة تركب السفين وقد   ألجم نسرا وأهـــله الغرق

تنقل من صالب إلى رحم   إذا مضى عالم بدا طبق

حتى احتوى بيتك المهيمن من   خندف علياء تحتها النطق

وأنت لما ولدت أشرقت الأر   ض فضاءت بنورك الأفق

فنحن فى ذلك الضياء وفى النـــور وسبل الرشـــاد نخترق

ثم رواه البيهقى من طريق أخرى عن أبى السكن زكريا بن يحيى الطائى ، وهو فى جزء له مروى عنه . قال البيهقى وزاد : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذه الحيرة البيضاء رفعت لى ، وهذه الشيماء بنت نفيلة[1] الأزدية على بغلة شهباء معتجرة بخمار أسود » فقلت : يا رسول الله إن نحن دخلنا الحيرة فوجدتها كما تصف فهى لى ؟ قال : « هى لك » ، قال : ثم كانت الردة فما ارتد أحد من طيىء وكنا نقاتل من يلينا من العرب على الإسلام ، فكنا نقاتل قيساً وفيها عيينة بن حصن ، وكنا نقاتل بنى أسد وفيهم طليحة بن خويلد ، وكان خالد بن الوليد يمدحنا ، وكان فيما قال فينا :

جزى الله عنا طيئاً فى ديارها   بمعترك الأبطال خــير جزاء

هموا أهل رايات السماحة والندى   إذا ما الصبا ألوت بكل خباء

هموا ضربوا قيساً على الدين بعدما   أجابوا منادى ظلمـــة وعماء

قال : ثم سار خالد إلى مسيلمة الكذاب فسرنا معه ، فلما فرغنا من مسيلمة أقبلنا إلى ناحية البصرة فلقينا هرمز بكاظمة فى جيش هو أكبر من جمعنا ، ولم يكن أحد[2] من العجم أعدى للعرب والإسلام من هرمز ، فخرج إليه خالد ودعاه إلى البراز ، فبرز له فقتله خالد ، وكتب بخبره إلى الصديق فنفله سلبه ، فبلغت قلنسوة هرمز مائة ألف درهم ، وكانت الفرس إذا شرف فيها الرجل جعلت قلنسوته بمائة ألف درهم ، قال : ثم قفلنا على طريق الطف إلى الحيرة ، فأول من تلقانا حين دخلناها الشيماء بنت نفيلة ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة شهباء معتجرة بخمار أسود ، فتعلقت بها وقلت : هذه وهبها لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعانى خالد عليها بالبينة ، فأتيته بها ، وكانت البينة محمد بن مسلمة ومحمد بن بشير الأنصارى فسلمها إلى ، فنزل إلى أخوها عبد المسيح يريد الصلح فقال : بعنيها ، فقلت : لا أنقصها والله عن عشرة مائة درهم ، فأعطانى ألف درهم وسلمتها إليه ، فقيل : لو قلت مائة ألف لدفعها إليك ، فقلت : ما كنت أحسب أن عدداً أكثر من عشر مائة .

(١) فى الأصل : بقيلة (بالباء) والتصحيح عن الإصابة . (٢) فى الحلبية : ولم يكن أحد من العرب وفى المصرية : من الناس .

﴿ قدوم وفد ثقيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان من سنة تسع ﴾

تقدم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ارتحل عن ثقيف سئل أن يدعو عليهم ، فدعا لهم بالهداية ، وقد تقدم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسلم مالك بن عوف النصرى أنعم عليه وأعطاه وجعله أميراً على من أسلم من قومه ، فكان يغزو بلاد ثقيف ويضيق عليهم حتى ألجأهم إلى الدخول فى الإسلام ، وتقدم أيضاً فيما رواه أبو داود عن صخر بن العيلة الأحمسى أنه لم يزل بثقيف حتى أنزلهم من حصنهم على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل بهم إلى المدينة النبوية بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم له فى ذلك .

وقال ابن إسحاق : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من تبوك فى رمضان ، وقدم عليه فى ذلك الشهر وفد من ثقيف ، وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عنهم أتبع أثره عروة بن مسعود حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة فأسلم ، وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم — كما يتحدث قومه — : « إنهم قاتلوك » ، وعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن فيهم نخوة الامتناع للذى كان منهم ، فقال عروة : يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبكارهم ، وكان فيهم كذلك محبباً مطاعاً ، فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء أن لا يخالفوه لمنزلته فيهم ، فلما أشرف على علية له وقد دعاهم إلى الإسلام وأظهر لهم دينه ، رموه بالنبل من كل وجه فأصابه سهم فقتله ، فيزعم بنو مالك أنه قتله رجل منهم يقال له أوس بن عوف أخو بنى سالم بن مالك ، ويزعم الأحلاف أنه قتله رجل منهم من بنى عتاب يقال له وهب بن جابر ، فقيل لعروة : ما ترى فى دينك[1] ؟ قال : كرامة أكرمنى الله بها ، وشهادة ساقها الله إلىّ فليس فىّ إلا ما فى الشهداء الذين قُتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يرتحل عنكم ، فادفنونى معهم ، فدفنوه معهم ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه : « إن مثله فى قومه كمثل صاحب يس فى قومه » وهكذا ذكر موسى بن عقبة قصة عروة ولكن زعم أن ذلك كان بعد حجة أبى بكر الصديق ، وتابعه أبو بكر البيهقى فى ذلك ، وهذا بعيد ، والصحيح أن ذلك قبل حجة أبى بكر ، كما ذكره ابن إسحاق ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق : ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهراً ، ثم إنهم ائتمروا بينهم ورأوا أنهم لاطاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا ، فائتمروا فيما بينهم وذلك عن رأى عمرو ابن أمية أخى بنى علاج فائتمروا بينهم ثم أجمعوا على أن يرسلوا رجلاً منهم ، فأرسلوا عبد ياليل بن عمرو بن عمير ومعه اثنان من الأحلاف وثلاثة من بنى مالك ، وهم الحكم بن عمرو بن وهب بن معتب ، وشرحبيل بن غيلان بن سلمة بن معتب ، وعثمان بن أبى العاص ، وأوس بن عوف أخو

---

(١) فى دينك وأحسبه تصحيف دينك ؟ وفى ابن هشام : ماترى فى دمك ؟

بنى سالم ، ونمير بن خرشة بن ربيعة وقال موسى بن عقبة : كانوا بضعة عشر رجلا فيهم كنانة ابن عبد ياليل — وهو رئيسهم — وفيهم عثمان بن أبى العاص وهو أصغر الوفد . قال ابن إسحاق فلما دنوا من المدينة ونزلوا قناة، ألفوا المغيرة بن شعبة يرعى فى نوبته ركاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآهم ذهب يشتد ليبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدومهم ، فلقيه أبو بكر الصديق فأخبره عن ركب ثقيف أن قدموا يريدون البيعة والإسلام بأن يشرط لهم رسول الله شروطاً ويكتبوا كتابا فى قومهم ، فقال أبو بكر للمغيرة : أقسمت عليك لا تسبقنى إلى رسول الله حتى أكون أنا أحدثه ، ففعل المغيرة فدخل أبو بكر فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدومهم ، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه فروح الظهر معهم وعلمهم كيف يحيون رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية ، ولما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت عليهم قبة فى المسجد وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذى يمشى بينهم وبين رسول الله . فكان إذا جاءهم بطعام من عنده لم يأكلوا منه حتى يأكل خالد بن سعيد قبلهم ، وهو الذى كتب لهم كتابهم . قال : وكان مما اشترطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدع لهم الطاغية ثلاث سنين ، فما برحو يسألونه سنة سنة ويأبى عليهم حتى سألوه شهراً واحداً بعد مقدمهم ليتألفوا سفهاءهم فأبى عليهم أن يدعها شيئاً مسمى إلا أن يبعث معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة ليهدماها ، وسألوه مع ذلك أن لا يُصَلوا وأن لا يكسروا أصنامهم بأيديهم فقال « أما كسر أصنامكم بأيديكم فسنعفيكم من ذلك ، وأما الصلاة فلا خير فى دين لا صلاة فيه » فقالوا : سنؤتيكها وإن كانت دناءة . وقد قال الإمام أحمد حدثنا عفان ثنا محمد بن مسلمة عن حميد عن الحسن عن عثمان بن أبى العاص أن وفد ثقيف قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزلهم المسجد ليكون أرق لقلوبهم فاشترطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يحشروا ولا يعشروا ولا يجبوا ولا يستعمل عليهم غيرهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكم أن لا تحشروا[1] ولا تجبوا ولا يستعمل عليكم غيركم ولا خير فى دين لا ركوع فيه » وقال عثمان بن أبى العاص : يا رسول الله علمنى القرآن واجعلنى إمام قومى وقد رواه أبو داود من حديث أبى داود الطيالسى عن حماد بن سلمة عن حميد به وقال أبو داود حدثنا الحسن بن الصباح ثنا اسماعيل بن عبد الكريم حدثنى ابراهيم بن عقيل بن معقل بن منبه عن وهب سألت جابراً عن شأن ثقيف إذ بايعت قال : اشترطت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا صدقة عليها ولا جهاد ، وأنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعد ذلك « سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا » . قال ابن إسحاق : فلما أسلموا وكتب لهم كتابهم أمر عليهم عثمان بن أبى العاص — وكان أحدثهم سناً — لأن الصديق قال : يا رسول الله إنى رأيت هذا الغلام من أحرصهم على التفقه فى الإسلام وتعلم القرآن ، وذكر موسى بن عقبة أن وفدهم كانوا إذا أتوا

(١) أى لا يندبون إلى المغازى ولا تضرب عليهم البعوث إلا . عن النهاية .

رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفوا عثمان بن أبي العاص في رحالهم فإذا رجعوا وسط النهار جاء هو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن العلم فاستقرأه القرآن ، فإن وجده نائماً ذهب إلى أبي بكر الصديق فلم يزل دأبه حتى فقه في الاسلام وأحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حباً شديداً . قال ابن إسحاق : حدثني سعيد بن أبي هند عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن عثمان ابن أبي العاص . قال : كان من آخر ما عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثني إلى ثقيف قال « ياعثمان تجوّز في الصلاة ، وأقدر الناس بأضعفهم فإن فيهم الكبير والصغير والضعيف وذا الحاجة » وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا سعيد الجريري عن أبي العلاء عن مطرف عن عثمان بن أبي العاص قال : قلت يا رسول الله اجعلني إمام قومي ، قال : « أنت إمامهم فاقتد بأضعفهم واتخذ مؤذناً لا يأخذ على أذانه أجراً » رواه أبو داود والترمذي من حديث حماد بن سلمة به . ورواه ابن ماجة عن أبي بكر بن أبي شيبة عن اسماعيل بن علية عن محمد بن إسحاق كما تقدم . وروى أحمد عن عفان عن وهب وعن معاوية بن عمرو عن زائدة كلاهما عن عبد الله بن عثمان بن خُثَيم عن داود بن أبي عاصم عن عثمان بن أبي العاص أن آخر ما فارقه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استعمله على الطائف أن قال « إذا صليت بقوم فخفف بهم حتى وَقّتَ لي اقرأ باسم ربك الذي خلق وأشباهها من القرآن » وقال أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة سمعت سعيد بن المسيب قال : حدث عثمان بن أبي العاص قال : آخر ما عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال « إذا أممت قوماً فخفف بهم الصلاة » ورواه مسلم عن محمد بن مثنى وبندار كلاهما عن محمد بن جعفر عن غندر به . وقال أحمد حدثنا أبو أحمد الزبيري ثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى الطائفي عن عبد الله بن الحكم أنه سمع عثمان بن أبي العاص يقول : استعملني رسول الله صلى الله عليه وسلم على الطائف ، فكان آخر ما عهد إلى أن قال « خفف عن الناس الصلاة » تفرد به من هذا الوجه وقال أحمد حدثنا يحيى ابن سعيد أخبرنا عمرو بن عثمان حدثني موسى — هو ابن طلحة — أن عثمان بن أبي العاص حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يؤم قومه ثم قال : « منّ أم قوماً فليخفف بهم فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة ، فإذا صلى وحده فليصل كيف شاء » ورواه مسلم من حديث عمرو بن عثمان به . وقال أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن النعمان بن سالم سمعت أشياخا من ثقيف قالوا ثنا عثمان بن أبي العاص أنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمّ قومك وإذا أممت قوماً فخفف بهم الصلاة فإنه يقوم فيها الصغير والكبير والضعيف والمريض وذو الحاجة » وقال أحمد ثنا إبراهيم بن إسماعيل عن الجريري أبي العلاء بن الشخير أن عثمان قال : يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي ، قال « ذاك شيطان يقال له خنزب فإذا أنت حسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثاً » قال : ففعلت ذلك فأذهبه الله عني .

ورواه مسلم من سعيد الجريرى به ، وروى مالك وأحمد ومسلم وأهل السنن من طرق عن نافع ابن جبير بن مطعم عن عثمان بن أبى العاص أنه شكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعا يجده فى جسده فقال له « ضع يدك على الذى يألم من جسدك وقل بسم الله ثلاثاً ، وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر » وفى بعض الروايات : ففعلت ذلك فأذهب الله ما كان بى فلم أزل آمر به أهلى وغيرهم وقال عبد الله بن ماجه حدثنا محمد بن يسار ثنا محمد بن عبد الله الأنصارى حدثنى عيينة بن عبد الرحمن — هو ابن جوشن — حدثنى أبى عن عثمان ابن أبى العاص ، قال : لما استعملنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الطائف جعل يعرض لى شىء فى صلاتى حتى ما أدرى ما أصلى فلما رأيت ذلك رحلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ابن أبى العاص ؟ » قلت نعم يا رسول الله ! قال « ما جاء بك ؟ » قلت : يا رسول الله ، عرض لى شىء فى صلاتى حتى ما أدرى ما أصلى ، قال « ذاك الشيطان ، أدن » فدنوت منه ، فجلست على صدور قدمى ، قال : فضرب صدرى بيده وتفل فى فمى وقال « أخرج عدو الله » ، فعل ذلك ثلاث مرات ثم قال « الحق بعملك » ، قال فقال عثمان : فلعمرى ما أحسبه خالطنى بعد ، تفرد به ابن ماجه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عيسى بن عبد الله عن عطية بن سفيان بن ربيعة الثقفى عن بعض وفدهم قال : كان بلال يأتينا حين أسلمنا وصمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بقى من شهر رمضان بفطورنا وسحورنا فيأتينا بالسحور وإنا لنقول إنا لنرى الفجر قد طلع ؟ فيقول : قد تركت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسحر لتأخير السحور ، ويأتينا بفطرنا وإنا لنقول ما نرى الشمس ذهبت كلها بعد ، فيقول ما جئتكم حتى أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يضع يده فى الجفنة فيلقم منها .

وروى الامام أحمد وأبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عبد الرحمن ابن يعلى الطائفى عن عثمان بن أوس عن جده أوس بن حذيفة قال : قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد ثقيف ، قال : فنزلت الأحلاف على المغيرة بن شعبة ، وأنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى مالك فى قبة له كل ليلة يأتينا بعد العشاء يحدثنا قائماً على رجليه حتى يراوح بين رجليه من طول القيام ، فأكثر ما يحدثنا ما لقى من قومه من قريش ، ثم يقول « لا آسى وكنا مستضعفين مستذلين بمكة ، فلما خرجنا إلى المدينة كانت سجال الحرب بيننا وبينهم ندال عليهم ويدالون علينا » فلما كانت ليلة أبطأ عنا الوقت الذى كان يأتينا فيه فقلنا لقد أبطأت علينا الليلة ؟ فقال « إنه طرأ على حزبى[1] من القرآن فكرهت أن أجىء حتى أتمه » قال أوس : سألت أصحاب رسول الله كيف يحزبون القرآن ؟ فقالوا : ثلاث ، وخمس ، وسبع ، وتسع ، وإحدى عشر ، وثلاث عشرة ، وحزب المفصل وحده ، لفظ أبى داود . قال ابن إسحاق : فلما فرغوا

من أمرهم وتوجهوا إلى بلادهم راجعين ؛ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فى هدم الطاغية ، فخرجا مع القوم حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة أن يقدم أبا سفيان فأبى ذلك عليه أبو سفيان وقال ادخل أنت على قومك وأقام أبو سفيان بماله بذى الهرم ، فلما دخل المغيرة علاها يضربها بالمعول وقام قومه بنى معتب دونه خشية أن يرمى أو يصاب كما أصيب عروة بن مسعود قال وخرج نساء ثقيف حسراً يبكين عليها ويقلن :

* لنبكين دفاع ، أسلمها الرضاع ، لم يحسنوا المصاع[1] *

قال ابن إسحاق : ويقول أبو سفيان : والمغيرة يضربها بالفأس وآهاً لك آهاً لك ، فلما هدمها المغيرة وأخذ مالها وحليها أرسل إلى أبى سفيان فقال إن رسول الله قد أمرنا أن نقضى عن عروة ابن مسعود وأخيه الأسود بن مسعود والد قارب بن الأسود دينهما من مال الطاغية فقضى ذلك عنهما.

قلت : كان الأسود قد مات مشركا ولكن أمر رسول الله بذلك تأليفا وإكراما لولده قارب بن الأسود رضى الله عنه . وذكر موسى بن عقبة أن وفد ثقيف كانوا بضعة عشر رجلا ، فلما قدموا أنزلهم رسول الله المسجد ليسمعوا القرآن ، فسألوه عن الربا والزنا والخمر فحرم عليهم ذلك كله فسألوه عن الربة ما هو صانع بها ؟ قال « اهدموها » قالوا هيهات لو تعلم الربة أنك تريد أن تهدمها قتلت أهلها ، فقال عمر بن الخطاب : ويحك يا ابن عبد ياليل ما أجهلك ، إنما الربة حجر ، فقالوا إنا لم نأتك يا ابن الخطاب ، ثم قالوا يا رسول الله تول أنت هدمها أما نحن فإنا لن نهدمها أبدا ، فقال « سأبعث إليكم من يكفيكم هدمها » فكاتبوه على ذلك واستأذنوه أن يسبقوا رسله إليهم ، فلما جاءوا قومهم تلقوهم فسألوهم ما وراءكم فأظهروا الحزن وأنهم إنما جاءوا من عند رجل فظ غليظ قد ظهر بالسيف يحكم ما يريد وقد دوخ العرب ، قد حرم الربا والزنا والخمر ، وأمر بهدم الربة ، فنفرت ثقيف وقالوا لا نطيع لهذا أبدا ، قال فتأهبوا للقتال وأعدوا السلاح ، فمكثوا على ذلك يومين ـ أو ثلاثة ـ ثم ألقى الله فى قلوبهم الرعب فرجعوا وأنابوا وقالوا ارجعوا إليه فشارطوه على ذلك وصالحوه عليه قالوا فإنا قد فعلنا ذلك ووجدناه أتقى الناس وأوفاهم وأرحمهم وأصدقهم ، وقد بورك لنا ولكم فى مسيرنا إليه وفيما قاضينا عليه فافهموا القضية واقبلوا عافية الله ، قالوا فلم كتمتمونا هذا أولا؟ قالوا أردنا أن ينزع الله من قلوبكم نخوة الشيطان ، فأسلموا مكانهم ومكثوا أياما ثم قدم عليهم رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أمر عليهم خالد بن الوليد وفيهم المغيرة بن شعبة ، فعمدوا إلى اللات وقد استكفت ثقيف رجالها ونساءها والصبيان حتى خرج العواتق من الحجال ولا يرى عامة ثقيف أنها مهدومة ويظنون أنها ممتنعة ، فقام المغيرة بن شعبة فأخذ الكرزين ـ يعنى المعول ـ وقال لأصحابه : والله لأضحكنكم من ثقيف ، فضرب بالكرزين ثم سقط يركض برجله فارتج أهل

(١) فى السهيل : إذ كرهوا المصاع ، أى أسلمها اللئام حين كرهوا القتال والمصاع الضرب .

الطائف بصيحة واحدة وفرحوا وقالوا أبعد الله المغيرة قتلته الربة ، وقالوا لأولئك من شاء منكم فليقترب ، فقام المغيرة فقال : والله يا معشر ثقيف إنما هى لكاع حجارة ومدر ، فاقبلوا عافية الله واعبدوه ، ثم إنه ضرب الباب فكسره ، ثم علا سورها وعلا الرجال معه فما زالوا يهدمونها حجراً حجراً حتى سووها بالأرض ، وجعل سادنها يقول : ليغضبن الأساس فليخسفن بهم ، فلما سمع المغيرة قال لخالد : دعنى أحفر أساسها فحفروه حتى أخرجوا ترابها وجمعوا ماءها وبناءها، وبهتت عند ذلك ثقيف ، ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم أموالها من يومه وحمدوا الله تعالى على إعزاز دينه ونصرة رسوله .

قال ابن إسحاق : وكان كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كتب لهم : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد النبى رسول الله إلى المؤمنين إن عضاه وَجّ[1] وصيده لا يعضد من وجد يفعل شيئا من ذلك فانه يجلد وتنزع ثيابه ، وإن تعدى ذلك فإنه يؤخذ فيبلغ به النبى محمدا وإن هذا أمر النبى محمد وكتب خالد بن سعيد بأمر الرسول محمد بن عبد الله فلا يتعداه أحد فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله . وقد قال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن الحارث — من أهل مكة مخزومى — حدثنى محمد بن عبد الله بن انسان — وأثنى عليه خيراً — عن أبيه عن عروة بن الزبير قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من لِيَّة[2] حتى إذا كنا عند السدرة وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طرف القرن حذوها فاستقبل نخبسا ببصره — يعنى واديا — ووقف حتى اتفق الناس كلهم ثم قال « إن صيد وج وعضاهه حرم محرم لله » وذلك قبل نزوله الطائف وحصاره ثقيفا ، وقد رواه أبو داود من حديث محمد بن عبد الله بن إنسان الطائفى وقد ذكره ابن حبان فى ثقاته ، وقال ابن معين ليس به بأس ، تكلم فيه بعضهم وقد ضعف أحمد والبخارى وغيرهما هذا الحديث، وصححه الشافعى وقال بمقتضاه والله أعلم :

﴿ ذكر موت عبد الله بن أبىّ قبحه الله ﴾

قال محمد بن إسحاق : حدثنى الزهرى عن عروة عن أسامة بن زيد ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن أبى يعوده فى مرضه الذى مات فيه ، فلما عرف فيه الموت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما والله إن كنت لأنهاك عن حب يهود » فقال قد أبغضهم أسعد بن زرارة فه ؟ . وقال الواقدى مرض عبد الله بن أبىّ فى ليال بقين من شوال ، ومات فى ذى القعدة ، وكان مرضه عشرين ليلة ، فكان رسول الله يعوده فيها ، فلما كان اليوم الذى مات فيه دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يجود بنفسه فقال « قد نهيتك عن

---

(١) وج : هى أرض الطائف وحرم عضاهه وشجره على غير أهله كتحريم المدينة ومكة حكاه السهيلى . (٢) لية (بتشديد الياء وكسر اللام) من نواحى الطائف .

حب يهود » فقال : قد أبغضهم أسعد بن زرارة فما نفعه ؟ ثم قال يا رسول الله ليس هذا الحين عتاب هو الموت فاحضر غسلي وأعطني قميصك الذي يلي جلدك فكفني فيه وصل على واستغفر لي ففعل ذلك به رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى البيهقي من حديث سالم بن عجلان عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس نحواً مما ذكره الواقدي فالله أعلم . وقد قال إسحاق بن راهويه : قلت لأبي أسامة أحدثكم عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال : لما توفي عبد الله بن أبي بن سلول جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله أن يعطيه قميصه ليكفنه فيه فأعطاه ، ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عليه فقام عمر بن الخطاب فأخذ بثوبه فقال : يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك الله عنه ، فقال رسول الله « إن ربي خيرني فقال استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وسأزيد على السبعين » فقال إنه منافق أتصلي عليه ؟ فأنزل الله عز وجل (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله) فأقر به أبو أسامة وقال نعم ! وأخرجاه في الصحيحين من حديث أبي أسامة ، وفي رواية للبخاري وغيره قال عمر : فقلت يا رسول الله تصلي عليه وقد قال في يوم كذا كذا ، وقال في يوم كذا كذا وكذا ؟ ! فقال « دعني يا عمر فإني بين خيرتين ، ولو أعلم أني إن زدت على السبعين غفر له لزدت » ثم صلى عليه فأنزل الله عز وجل (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره) الآية . قال عمر : فعجبت من جرأتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم . وقال سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار سمع جابر بن عبد الله يقول : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر عبد الله بن أبي بعد ما أدخل حفرته فأمر به فأخرج فوضعه على ركبتيه — أو فخذيه — ونفث عليه من ريقه وألبسه قميصه فالله أعلم . وفي صحيح البخاري بهذا الإسناد مثله وعنده أنه إنما ألبسه قميصه مكافأة لما كان كسى العباس قميصا حين قدم المدينة فلم يجدوا قميصا يصلح له إلا قميص عبد الله بن أبيّ ، وقد ذكر البيهقي هاهنا قصة ثعلبة بن حاطب وكيف افتتن بكثرة المال ومنعه الصدقة ، وقد حررنا ذلك في التفسير عند قوله تعالى (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله) الآية .

فصل

قال ابن إسحاق : وكانت غزوة تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه يعدد أيام الأنصار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر مواطنهم معه في أيام غزوه ، قال ابن هشام وتروى لابنه عبد الرحمن ابن حسان :

ألست خير معد كلها نفرا ... ومعشراً إن هموا عموا وإن حصلوا

قوم هم الذين شهدوا بدراً بأجمعهم ... مع الرسول فما ألوا وما خذلوا
وبايعوه فلم ينكث به أحـــد ... منهم ولم يك في إيمانه دخـــل
ويوم صبحهم في الشعب من أحد ... ضرب رصين كحر النـــار مشتعل
ويوم ذى قرد يوم استثار بهم ... على الجياد فما خانوا ولا نكلوا
وذا العشيرة جاســـوها بخيلهم ... مع الرسول عليها البيض والأســل
ويوم ودان أجلوا أهله رقصــا ... بالخيل حتى نهانا الحزن والجبل
وليـــلة طلبوا فيها عدوهم ... لله والله يجزيهم بما عمـــلوا
وليلة بحنـــين جالدوا معه ... فيها يعلهم فى الحرب إذ نهلوا
وغزوة يوم نجـــد ثم كان لهم ... مع الرسول بها الأسلاب والنفل
وغزوة القاع فرقنا العـــدو به ... كما يفرق دون المشرب الرسل
ويوم بويع كانوا أهل بيعته ... على الجلاد فآسوه وما عدلوا
وغزوة الفتح كانوا في سريته ... مرابطين فـــا طاشوا وما عجلوا
ويوم خيبر كانوا فى كتيبته ... يمشون كلهم مستبسل بطل
بالبيض ترعش فى الأيمان عارية ... تعوج بالضرب أحياناً وتعتدل
ويوم سار رسول الله محتسباً ... إلى تبـــوك وهم راياته الأول
وساسة الحرب إن حرب بدت لهم ... حتى بدا لهم الإقبال والقفـــل
أولئك القوم أنصار النبى وهم ... قومى أصير إليهم حين أتصل
ماتوا كراماً ولم تنكث عهودهم ... وقتلهم فى سبيل الله إذ قتلوا

﴿ ذكر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصدّيق أميراً على الحج ﴾

﴿ سنة تسع ، ونزول سورة براءة ﴾

قال ابن إسحاق بعد ذكره وفود أهل الطائف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان كما تقدم بيانه مبسوطاً . قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقية شهر رمضان ، وشوالا ، وذا القعدة ، ثم بعث أبا بكر أميراً على الحج من سنة تسع ليقيم المسلمين حجهم ، وأهل الشرك على منازلهم من حجهم ، لم يصدوا بعد عن البيت ، ومنهم من له عهد مؤقت إلى أمد ، فلما خرج أبو بكر رضى الله عنه بمن معه من المسلمين ، وفصل من البيت ، أنزل الله عز وجل هذه الآيات من أول سورة التوبة : (براءة من الله ورســـوله إلى الذين عاهدتم من من المشركين ، فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر) إلى قوله (وأذان من الله ورسوله إلى

الناس يوم الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله) إلى آخر القصة ، ثم شرع ابن إسحاق يتكلم على هذه الآيات وقد بسطنا الكلام عليها فى التفسير ولله الحمد والمنة ، والمقصود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عليا رضى الله عنه بعد أبى بكر الصديق ليكون معه ويتولى على بنفسه إبلاغ البراءة إلى المشركين نيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكونه ابن عمه من عصبته .

قال ابن إسحاق : حدثنى حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن أبى جعفر محمد بن على أنه قال : لما نزلت براءة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بعث أبا بكر الصديق رضى الله عنه ليقيم للناس الحج ، قيل له : يا رسول الله لو بعثت بها إلى أبى بكر فقال : « لا يؤدى عنى إلا رجل من أهل بيتى » ثم دعا على بن أبى طالب فقال : « أخرج بهذه القصة من صدر براءة وأذن فى الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى ألا إنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله عهد فهو له إلى مدته » فخرج على بن أبى طالب على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء حتى أدرك أبا بكر الصديق ، فلما رآه أبو بكر قال : أمير أو مأمور ؟ فقال : بل مأمور ، ثم مضيا فأقام أبو بكر للناس الحج والعرب إذ ذاك فى تلك السنة على منازلهم من الحج التى كانوا عليها فى الجاهلية ، حتى إذا كان يوم النحر قام على بن أبى طالب فأذن فى الناس بالذى أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم ليرجع كل قوم إلى مأمنهم وبلادهم ، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة إلا أحد كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدته فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطف بالبيت عريان ، ثم قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا مرسل من هذا الوجه ، وقد قال البخارى : باب حج أبى بكر رضى الله عنه بالناس سنة تسع حدثنا سليمان بن داود أبو الربيع حدثنا فليح عن الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن عن أبى هريرة : أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه بعثه فى الحجة التى أمره عليها النبى صلى الله عليه وسلم قبل حجة الوداع فى رهط يؤذن فى الناس أن لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوفن بالبيت عريان ، وقال البخارى فى موضع آخر حدثنا عبد الله بن يوسف ثنا الليث حدثنى عقيل عن ابن شهاب أخبرنى حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال : بعثنى أبو بكر الصديق فى تلك الحجة فى المؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوفن بالبيت عريان ، قال حميد ثم أردف النبى صلى الله عليه وسلم بعلى فأمره أن يؤذن ببراءة قال أبو هريرة : فأذن معنا على فى أهل منى يوم النحر ببراءة أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان ، وقال البخارى فى كتاب الجهاد حدثنا أبو اليمان أنبأنا شعيب عن الزهرى أخبرنى حميد ابن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال : بعثنى أبو بكر الصديق فيمن يؤذن يوم النحر بمنى ، لا يحج

بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ويوم الحج الأكبر يوم النحر ، وإنما قيل الأكبر من أجل قول الناس العمرة الحج الأصغر ، فنبذ أبو بكر إلى الناس فى ذلك العام فلم يحج عام حجة الوداع الذى حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مشرك ، ورواه مسلم من طريق الزهرى به نحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن مغيرة عن الشعبى عن محرز بن أبى هريرة عن أبيه ، قال : كنت مع على بن أبى طالب حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما كنتم تنادون ؟ قالوا : كنا ننادى أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فإن أجله — أو أمده — إلى أربعة أشهر ، فإذا مضت الأربعة أشهر فإن الله برىء من المشركين ورسوله ، ولا يحج هذا البيت بعد العام مشرك ، قال : فكنت أنادى حتى صحل صوتى[1] ، وهذا إسناد جيد لكن فيه نكارة من جهة قول الراوى إن من كان له عهد فأجله إلى أربعة أشهر ، وقد ذهب إلى هذا ذاهبون ولكن الصحيح أن من كان له عهد فأجله إلى أمده بالغا ما بلغ ولو زاد على أربعة أشهر ومن ليس له أمد بالكلية فله تأجيل أربعة أشهر ، بقى قسم ثالث وهو من له أمد يتناهى إلى أقل من أربعة أشهر من يوم التأجيل وهذا يحتمل أن يلتحق بالأول ، فيكون أجله إلى مدته وإن قل ، ويحتمل أن يقال إنه يؤجل إلى أربعة أشهر لأنه أولى ممن ليس له عهد بالكلية والله تعالى أعلم ، وقال الإمام أحمد حدثنا عفان ثنا حماد عن سِمَاك عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث براءة مع أبى بكر فلما بلغ ذا الحليفة قال : « لا يبلغها إلا أنا أو رجل من أهل بيتى » فبعث بها مع على بن أبى طالب، وقد رواه الترمذى من حديث حماد بن سلمة وقال حسن غريب من حديث أنس ، وقد روى عبد الله بن أحمد عن لوين عن محمد بن جابر عن سماك عن حنش عن على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أردف أبا بكر بعلى فأخذ منه الكتاب بالجحفة رجع أبو بكر فقال : يا رسول الله نزل فى شىء ؟ قال : « لا ولكن جبريل جاءنى ، فقال لا يؤدى عنك إلا أنت أو رجل منك » وهذ ضعيف الإسناد ومتنه فيه نكارة والله أعلم ، وقال الإمام أحمد ثنا سفيان عن أبى إسحاق عن زيد بن أثيع — رجل من همدان — قال : سألنا عليا بأى شىء بعثت ؟ يوم بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبى بكر فى الحجة ، قال : بأربع ، لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان بينه و بين رسول الله عهد فعهده إلى مدته ، ولا يحج المشركون بعد عامهم هذا ، وهكذا رواه الترمذى من حديث سفيان — هو ابن عيينة — عن أبى إسحاق السبيعى عن زيد بن أثيع عن على به ،

---

(١) صحل صوتى : أى بح .

وقال حسن صحيح ، ثم قال : وقد رواه شعبة عن أبى إسحاق فقال عن زيد بن أثيل ، ورواه الثورى عن أبى إسحاق عن بعض أصحابه عن على .

قلت : ورواه ابن جرير من حديث معمر عن أبى إسحاق عن الحارث عن على ، وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أخبرنا أبو زرعة وهب الله بن راشد أخبرنا حيوة ابن شريح أخبرنا ابن صخر أنه سمع أبا معاوية البجلى من أهل الكوفة يقول سمعت أبا الصهباء البكرى وهو يقول : سألت على بن أبى طالب عن يوم الحج الأكبر فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر بن أبى قحافة يقيم للناس الحج ، وبعثنى معه بأربعين آية من براءة حتى أتى عرفة فخطب الناس يوم عرفة ، فلما قضى خطبته التفت إلى فقال : قم ياعلى فأد رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت فقرأت عليهم أربعين آية من براءة ثم صدرنا فأتينا منى فرميت الجمرة ونحرت البدنة ثم حلقت رأسى وعلمت أن أهل الجمع لم يكونوا حضورا كلهم خطبة أبى بكر رضى الله عنه يوم عرفة ، فطفقت أتتبع بها الفساطيط أقرؤها عليهم ، قال على فمن ثم أخال حسبتم أنه يوم النحر ، ألا وهو يوم عرفة ، وقد تقصينا الكلام على هذا المقام فى التفسير وذكرنا أسانيد الأحاديث والآثار فى ذلك مبسوطا بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة .

قال الواقدى وقد كان خرج مع أبى بكر من المدينة ثلثمائة من الصحابة منهم عبد الرحمن بن عوف ، وخرج أبو بكر معه بخمس بدنات ، وبعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرين بدنة ثم أردفه بعلى فلحقه بالعرج فنادى ببراءة أمام الموسم .

فصل

كان فى هذه السنة — أعنى فى سنة تسع — من الأمور الحادثة غزوة تبوك فى رجب كما تقدم بيانه ، قال الواقدى وفى رجب منها مات النجاشى صاحب الحبشة ونعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس ، وفى شعبان منها — أى من هذه السنة — توفيت أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسلتها أسماء بنت عميس وصفية بنت عبد المطلب ، وقيل غسلها نسوة من الأنصار فيهن أم عطية .

قلت : وهذا ثابت فى الصحيحين ، وثبت فى الحديث أيضاً أنه عليه السلام لما صلى عليها وأراد دفنها قال : « لا يدخله أحد قارف الليلة أهله » فامتنع زوجها عثمان لذلك ودفنها أبو طلحة الأنصارى رضى الله عنه [ويحتمل أنه أراد بهذا الكلام من كان يتولى ذلك ممن يتبرع بالحفر والدفن من الصحابة كأبى عبيدة وأبى طلحة ومن شابههم ، فقال : « لا يدخل قبرها إلا من لم يقارف أهله من هؤلاء » إذ يبعد أن عثمان كان عنده غير أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا بعيد والله أعلم][1] وفيها صلح ملك أيلة وأهل جرباء وأذرح وصاحب دومة الجندل كما تقدم إيضاح ذلك كله فى مواضعه ، وفيها هدم مسجد الضرار الذى بناه جماعة من المنافقين

(١) مابين المربعين لم يرد فى المصرية .

صورة مسجد وهو دار حرب فى الباطن فأمر به عليه السلام فحرق . وفى رمضان منها قدم وفد ثقيف فصالحوا عن قومهم ورجعوا إليهم بالأمان وكسرت اللات كما تقدم . وفيها توفى عبد الله ابن أبىّ بن سلول رأس المنافقين لعنه الله فى أواخرها ، وقبله بشهر توفى معاوية بن معاوية الليثى — أو المزنى — وهو الذى صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بتبوك إن صح الخبر فى ذلك . وفيها حج أبو بكر رضى الله عنه بالناس عن إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم له فى ذلك . وفيها كان قدوم عامة وفود أحياء العرب ولذلك تسمى سنة تسع سنة الوفود ، وها نحن نعقد لذلك كتابا برأسه اقتداء بالبخارى وغيره

﴿ كتاب الوفود الواردين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

قال محمد بن إسحاق : لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وفرغ من تبوك وأسلمت ثقيف وبايعت ضربت إليه وفود العرب من كل وجه ، قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة أن ذلك فى سنة تسع وأنها كانت تسمى سنة الوفود ، قال ابن إسحاق : وإنما كانت العرب تربص بإسلامها أمر هذا الحى من قريش ، لأن قريشا كانو إمام الناس وهاديتهم وأهل البيت والحرم وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم وقادة العرب لا ينكرون ذلك ، وكانت قريش هى التى نصبت الحرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافه ، فلما افتتحت مكة ودانت له قريش ودوخها الإسلام ، عرفت العرب أنهم لا طاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عداوته فدخلوا فى دين الله كما قال الله عز وجل أفواجا يضربون إليه من كل وجه ، يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) أى فاحمد الله على ما ظهر من دينك واستغفره إنه كان توابا ، وقد قدمنا حديث عمرو بن مسلمة قال : كانت العرب تلوّم بإسلامهم الفتح فيقولون اتركوه وقومه ، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبى صادق ، فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم ، وبدر — أى قومى — بإسلامهم ، فلما قدم قال جئتكم والله من عند النبى حقا ، قال صلوا صلاة كذا فى حين كذا ، وصلاة كذا فى حين كذا ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكثركم قرآنا ، وذكر تمام الحديث وهو فى صحيح البخارى .

قلت : وقد ذكر محمد بن إسحاق ثم الواقدى والبخارى ثم البيهقى بعدهم من الوفود ما هو متقدم تاريخ قدومهم على سنة تسع بل وعلى فتح مكة ، وقد قال الله تعالى (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعدُ وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى)، وتقدم قوله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح « لا هجرة ولكن جهاد ونية » فيجب التمييز بين السابق

من هؤلاء الوافدين على زمن الفتح ممن يعد وفوده هجرة ، وبين اللاحق لهم بعد الفتح ممن وعد الله خيراً وحسنى ، ولكن ليس في ذلك كالسابق له في الزمان والفضيلة والله أعلم. على أن هؤلاء الأئمة الذين اعتنوا بإيراد الوفود قد تركوا فيما أوردوه أشياء لم يذكروها ونحن نورد بحمد الله ومنّه ما ذكروه وننبه على ما ينبغي التنبيه عليه من ذلك ونذكر ما وقع لنا مما أهملوه إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان .

وقد قال محمد بن عمر الواقدي حدثنا كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جده ، قال : كان أول من وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم من مضر أربعمائة من مزينة وذاك في رجب سنة خمس فجعل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الهجرة في دارهم وقال «أنتم مهاجرون حيث كنتم فارجعوا إلى أموالكم » فرجعوا إلى بلادهم ، ثم ذكر الواقدي عن هشام بن الكلبي بإسناده أن أول من قدم من مزينة خزاعي بن عبد نهم ومعه عشرة من قومه فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على إسلام قومه ، فلما رجع إليهم لم يجدهم كما ظن فيهم فتأخروا عنه ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت أن يعرض بخزاعي من غير أن يهجوه ، فذكر أبياتاً فلما بلغت خزاعياً شكى ذلك إلى قومه فجمعوا له وأسلموا معه وقدم بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان يوم الفتح دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم لواء مزينة - وكانوا يومئذ ألفاً - إلى خزاعي هذا ، قال وهو أخو عبد الله ذي البجادين[1] وقال البخاري رحمه الله :باب وفد بني تميم حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن أبي صخرة عن صفوان بن محرز المازني عن عمران بن حصين ، قال : أتى نفر من بني تميم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « اقبلوا البشرى يا بني تميم » قالوا : يا رسول الله بشرتنا فأعطنا ، فرؤي ذلك في وجهه ، ثم جاء نفر من اليمن فقال : « اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم » قالوا قبلنا يا رسول الله ، ثم قال البخاري حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبره عن ابن أبي مليكة أن عبد الله بن الزبير أخبرهم : أنه قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر : أمّر القعقاع ابن معبد بن زرارة ، فقال عمر : بل أمّر الأقرع بن حابس ، فقال أبو بكر : ما أردت إلا خلافي ، فقال عمر : ما أردت خلافك ، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما ، فنزلت (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) حتى انقضت ، ورواه البخاري أيضاً من غير وجه عن ابن أبي مليكة بألفاظ أخر وقد ذكرنا ذلك في التفسير عند قوله تعالى (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) الآية .

وقال محمد بن إسحاق : ولما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفود العرب قدم عليه عطارد بن حاجب بن زرارة بن عدس التميمي في أشراف بني تميم منهم الأقرع بن حابس التميمي والزبرقان ابن بدر التميمي - أحد بني سعد - وعمرو بن الأهتم ، والحتحات[2] بن يزيد ، ونعيم بن يزيد

(١) في الإصابة : ذي النجادين . (٢) في الحلبية : الحبحاب ، وفي التيمورية : الحجاب ، وفي ابن اسحاق الحتحات ، وقال ابن هشام الحتات ووافقه السهيلي واستشهد بقول الفرزدق على أنه الحتات .

وقيس بن الحارث وقيس بن عاصم أخو بنى سعد فى وفد عظيم من بنى تميم . قال ابن إسحاق : ومعهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى ، وقد كان الأقرع بن حابس وعيينة شهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحنين والطائف ، فلما قدم وفد بنى تميم كانا معهم ، ولما دخلوا المسجد نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته أن اخرج إلينا يا محمد ، فآذى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من صياحهم ، فخرج إليهم فقالوا : يا محمد جئناك نفاخرك فأذن لشاعرنا وخطيبنا ، قال : « قد أذنت لخطيبكم فليقل » فقام عطارد بن حاجب فقال : الحمد لله الذى له علينا الفضل والمن وهو أهله الذى جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عدداً وأيسره عدة ، فمن مثلنا فى الناس ؟ ألسنا برءوس الناس وأولى فضلهم ؟ فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددنا ، وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام ولكن نخشى من الإكثار فيما أعطانا ، وإنا نعرف [بذلك] أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا ، وأمر أفضل من أمرنا ، ثم جلس.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس أخى بنى الحارث بن الخزرج : « قم فأجب الرجل فى خطبته » فقام ثابت فقال : الحمد لله الذى السموات والأرض خلقه ، قضى فيهن أمره ، ووسع كرسيه علمه ، ولم يك شىء قط إلا من فضله ، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا واصطفى من خيرته رسولا أكرمه نسباً وأصدقه حديثاً وأفضله حسباً ، فأنزل عليه كتابا وائتمنه على خلقه فكان خيرة الله من العالمين ثم دعا الناس إلى الإيمان به فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوى رحمه أكرم الناس أحسابا وأحسن الناس وجوهاً ، وخير الناس فعالا ، ثم كان أول الخلق إجابة واستجاب لله حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن ، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله نقاتل الناس حتى يؤمنوا ، فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه فى الله أبداً وكان قتله علينا يسيراً ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم وللمؤمنين والمؤمنات ، والسلام عليكم .

فقام الزبرقان بن بدر فقال :

نحن الكرام فلا حىّ يعادلنا ... منا الملوك وفينا تنصب البيع

وكم قسرنا من الأحياء كلهم ... عند النهاب وفضل العز يتبع

ونحن يطعم عند القحط مطعمنا ... من الشواء إذا لم يؤنس القزع

بما ترى الناس تأتينا سراتهم ... من كل أرض هويا ثم نصطنع

فننحر الكوم عُبطافى أرومتنا ... للنازلين إذا ما أنزلوا شبعوا

فما ترانا إلى حى نفاخرهم ... إلا استفادوا وكانوا الرأس يقتطع

فمن يفاخرنا فى ذاك نعرفه ... فيرجع القوم والأخبار تستمع

إنا أبينا ولم يأبى لنا أحد ... إنا كذلك عند الفخر نرتفع

قال ابن إسحاق : وكان حسان بن ثابت غائباً ، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فلما انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقام شاعر القوم ، فقال ما قال أعرضت فى قوله وقلت على نحو ما قال ، فلما فرغ الزبرقان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت : « قم يا حسان فأجب الرجل فيما قال » ، فقال حسان :

إن الذوائب من فهر وإخوتهم ... قد بينوا سنّة للناس تتبع

يرضى بها كل من كانت سريرته ... تقوى الإله وكل الخير يصطنع

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم ... أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا

سجية تلك منهم غير محدثة ... إن الخلائق — فاعلم — شرها البدع

إن كان فى الناس سباقون بعدهم ... فكل سبق لأدنى سبقهم تبع

لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم ... عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا

إن سابقوا الناس يوماً فاز سبقهم ... أو وازنوا أهل مجد بالندى منعوا[1]

أعفة ذكرت فى الوحى عفتهم ... ولا يطمعون ولا يرديهم طمع

لا يبخلون على جارٍ بفضلهم ... ولا يمسهم من مطمع طبع

إذا نصبنا لحى لم ندب لهم ... كما يدب إلى الوحشية الذرع

نسموا إذا الحرب نالتنا مخالبها ... إذا الزعانف من أظفارها خشعوا

لا يفخرون إذا نالوا عدوهم ... وإن أصيبوا فلا خور ولا هلع[2]

كأنهم فى الوغى والموت مكتنع ... أسد بحليةَ فى أرساغها فدع

خذ منهم ما أتوا عفواً إذا غضبوا ... ولا يكن همك الأمر الذى منعوا

فإنّ فى حربهم — فاترك عداوتهم — ... شَرًّا يخاض عليه السم والسلع

أكرم بقوم رسول الله شيعتهم ... إذا تفاوتت الأهواء والشيع

أهدَى لهم مدحتى قلب يؤازره ... فيما أحب لسان حائك صنع

فإنهم أفضل الأحياء كلهمُ ... إن جد فى الناس جد القول أو شمعوا[3]

وقال ابن هشام : وأخبرنى بعض أهل العلم بالشعر من بنى تميم أن الزبرقان لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد بنى تميم قام فقال :

---

(١) كذا فى الحلبية ، وفى التيمورية : قنعوا ، وفى ابن هشام : متعوا .

(٢) لم يرد هذا البيت فى الحلبية ، وإنما ورد فى التيمورية وابن هشام .

(٣) فى الاصل سمعوا بالسين المهملة . وهى فى ابن هشام شمعوا وفسرها السهيلى ضحكوا .

أتيناك كيما يعلم الناس فضلنا ... إذا اختلفوا عند احتضار المواسم
بأنا فروع الناس فى كل موطن ... وأن ليس فى أرض الحجاز كدارم
وأنا نذود المعلمين إذا انتخوا ... ونضرب رأس الأصيد المتفاقم
وإن لنا المرباع فى كل غارة ... تغير بنجد أو بأرض الأعاجم

قال : فقام حسان فأجابه ، فقال :

هل المجد إلا السؤدد العود والندى ... وجاه الملوك واحتمال العظائم
نصرنا وآوينا النبى محمـــداً ... على أنف راض من معد وراغم
بحى حريد أصـــله وثراؤه ... بجابية الجولان وسط الأعاجم
نصرناه لمـا حل بين بيوتنا ... بأسيافنا من كل باغ وظالم
جعلنا بنينا دونه وبناتنا ... وطبنا له نفسا بفىء المغانم
ونحن ضربنا الناس حتى تتابعوا ... على دينه بالمرهفات الصوارم
ونحن ولدنا من قريش عظيمها ... ولدنا نبى الخير من آل هاشم
بنى دارم لا تفخروا إن فخركم ... يعود وبالا عند ذكر المكارم
هبلتم علينا تفخرون وأنتم ... لنا خول من بين ظئر وخادم
فإن كنتم جئتم لحقن دمائكم ... وأموالكم أن تقسموا فى المقاسم
فلا تجعلوا لله ندًّا وأسلموا ... ولا تلبسوا زيًّا كزىّ الأعاجم

قال ابن إسحاق : فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله ، قال الأقرع بن حابس : وأبى إن هذا لمؤتى له لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أعلا من أصواتنا ، قال : فلما فرغ القوم أسلموا وجوزهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسن جوائزهم ، وكان عمرو ابن الأهتم قد خلفه القوم فى رحالهم وكان أصغرهم سنًّا ، فقال قيس بن عاصم — وكان يبغض عمرو بن الأهتم — : يا رسول الله إنه كان رجل منا فى رحالنا وهو غلام حدث وأزرى به فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطى القوم ، قال عمرو بن الأهتم حين بلغه أن قيساً قال ذلك يهجوه :

ظللت مفترش الهلباء تشتمنى ... عند الرسول فلم تصدق ولم تصب
سدناكم سؤدداً رهواً وسؤددكم ... بادٍ نواجـــذه مقع على الذنب

وقد روى الحافظ البيهقى من طريق يعقوب بن سفيان حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن محمد بن الزبير الحنظلى ، قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبرقان بن بدر ، وقيس بن عاصم ، وعمرو بن الأهتم ، فقال لعمرو بن الأهتم : «أخبرنى عن الزبرقان ، فأما هذا فلست

أسألك عنه » وأراه كان قد عرف قيسا ، قال فقال: مطاع فى أدنيه شديد العارضة مانع لما وراء ظهره ، فقال الزبرقان : قد قال ما قال وهو يعلم أنى أفضل مما قال ، قال فقال عمرو : والله ماعلمتك إلا زمر المروءة ، ضيق العطن ، أحمق الأب، لئيم الخال ، ثم قال يا رسول قد صدقت فيهما جميعا ، أرضانى فقلت بأحسن ما أعلم فيه وأسخطنى فقلت بأسوء ما أعلم . قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن من البيان سحراً » وهذا مرسل من هذا الوجه . قال البيهقى وقد روى من وجه آخر موصولا أنبأنا أبو جعفر كامل بن أحمد المستملى ثنا محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عثمان البغدادى ثنا محمد بن عبد الله بن الحسن العلاف ببغداد حدثنا على بن حرب الطائى أنبأنا أبو سعد ابن الهيثم بن محفوظ عن أبى المقوم يحيى بن يزيد الأنصارى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس . قال : جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قيس بن عاصم والزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم التميميون ، ففخر الزبرقان فقال يا رسول الله أنا سيد تميم والمطاع فيهم والمجاب ، أمنعهم من الظلم وآخذ لهم بحقوقهم وهذا يعلم ذلك ـ يعنى عمرو بن الأهتم ـ قال عمرو بن الأهتم : إنه لشديد العارضة ، مانع لجانبه ، مطاع فى أدنيه ، فقال الزبرقان والله يا رسول الله لقد علم منى غير ما قال وما منعه أن يتكلم إلا الحسد ، فقال عمرو بن الأهتم أنا أحسدك فوالله إنك لائيم الخال ، حديث المال ، أحمق الوالد ، مضيع فى العشيرة ، والله يا رسول الله لقد صدقت فيما قلت أولا، وما كذبت فيما قلت آخراً ولكنى رجل إذا رضيت قلت أحسن ماعلمت ، وإذا غضبت قلت أقبح ماوجدت، ولقد صدقت فى الأولى والأخرى جميعا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن من البيان سحراً » وهذا إسناد غريب جداً [وقد ذكر الواقدى سبب قدومهم وهو أنه كانوا قد شهروا السلاح على خزاعة فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن بدر فى خمسين ليس فيهم أنصارى ولا مهاجرى ، فأسر منهم أحد عشر رجلا وإحدى عشرة امرأة وثلاثين صبيا فقدم رؤساهم بسبب أسراهم ويقال قدم منهم تسعون ـ أو ثمانون ـ رجلا فى ذلك منهم عطارد والزبرقان وقيس بن عاصم وقيس بن الحارث ونعيم بن سعد والأقرع بن حابس ورباح بن الحارث وعمرو بن الأهتم ، فدخلوا المسجد وقد أذن بلال الظهر والناس ينتظرون رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرج إليهم فعجل هؤلاء فنادوه من وراء الحجرات فنزل فيهم ما نزل ، ثم ذكر الواقدى خطيبهم وشاعرهم وأنه عليه الصلاة والسلام أجازهم على كل رجل اثنى عشر أوقية ونَشّا إلا عمرو بن الأهتم فإنما أعطى خمس أواق لحداثة سنه والله أعلم][1] .

قال ابن إسحاق : ونزل فيهم من القرآن قوله تعالى (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ، ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم) قال ابن

---

(١) ما بين المربعين تأخر فى المصرية إلى آخر الفصل .

جرير : حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث المروزى حدثنا الفضل بن موسى عن الحسين بن واقد عن أبى إسحاق عن البراء فى قوله (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات) . قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد إن حمدى زين ، وذمى شين . فقال : « ذاك الله عز وجل » وهذ إسناد جيد متصل . وقد روى عن الحسن البصرى وقتادة مرسلا عنهما ، وقد وقع تسمية هذا الرجل فقال الإمام أحمد حدثنا عفان ثنا وهيب ثنا موسى بن عقبة عن أبى سلمة عن عبد الرحمن عن الأقرع بن حابس أنه نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد يا محمد ، وفى رواية يا رسول الله فلم يجبه ، فقال : يا رسول الله إن حمدى لزين ، وإن ذمى لشين . فقال : « ذاك الله عز وجل » .

﴿ حديث فى فضل بنى تميم ﴾

قال البخارى حدثنا زهير بن حرب حدثنا جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبى زُرْعة عن أبى هريرة . قال : لا أزال أحب بنى تميم بعد ثلاث سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولها فيهم : « هم أشد أمتى على الدجال » وكانت فيهم سبية عند عائشة فقال : « أعتقيها فإنها من ولد إسماعيل » وجاءت صدقاتهم فقال : « هذه صدقات قوم ـ أو قومى ـ » وهكذا رواه مسلم عن زهير بن حرب به ، [وهذا الحديث يرد على قتادة ما ذكره صاحب الحماسة وغيره من شعر من ذمهم حيث يقول :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ... ولو سلكت طرق الرشاد لضلت
ولو أن برغوثا على ظهر قملة ... رأته تميم من بعيد لولت [1]]

﴿ وفد بنى عبد القيس ﴾

ثم قال البخارى بعد وفد بنى تميم : باب وفد عبد القيس حدثنا أبو إسحاق حدثنا أبو عامر العقدى حدثنا قرة عن أبى جمرة ، قال : قلت لابن عباس : إن لى جرة ينتبذ لى فيها فأشربه حلواً فى جرّ إن أكثرت منه ، فجالست القوم فأطلت الجلوس خشيت أن أفتضح ، فقال : قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « مرحبا بالقوم غير خُزَايا ولا الندامى » فقال : يا رسول الله ، إن بيننا وبينك المشركين من مضر ، وإنا لا نصل إليك إلا فى الشهر الحرام ، فحدثنا بجميل من الأمر إن عملنا به دخلنا الجنة وندعوا به من وراءنا ، قال : « آمركم بأربع ، وأنهاكم عن أربع ، الإيمان بالله ، هل تدرون ما الإيمان بالله ، شهادة أن لا إله إلا الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وأن تعطوا من المغانم الخمس ، وأنهاكم عن أربع : ما ينتبذ فى الدباء ، والنقير ، والحنتم ، والمزفت » ، وهكذا رواه مسلم من حديث قرة بن خالد عن أبى جمرة وله طرق فى الصحيحين عن أبى جمرة . وقال أبى

(١) لم يرد ما بين المربعين فى المصرية .

داود الطيالسي في مسنده حدثنا شعبة عن أبي جمرة سمعت ابن عباس يقول : إن وفد عبد القيس لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ممن القوم ؟ » قالوا من ربيعة ، قال : « مرحبا بالوفد غير الخزايا ولا الندامى » ، فقالوا يارسول الله : إنا حي من ربيعة ، وإنا نأتيك شقة بعيدة ، وإنه يحول بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر ، وإنا لا نصل إليك إلا في شهر حرام فمرنا بأمر فصل ندعوا إليه من وراءنا وندخل به الجنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع ، آمركم بالإيمان بالله وحده أتدرون ما الإيمان بالله شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا من المغانم الخمس ، وأنهاكم عن أربع ؛ عن الدباء والحنتم والنقير والمزفت ـ وربما قال والمقير ـ فاحفظوهن وادعوا إليهن من وراءكم » وقد أخرجه صاحبا الصحيحين من حديث شعبة بنحوه ، وقد رواه مسلم من حديث سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد بحديث قصتهم بمثل هذا السياق ، وعنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأشج عبد القيس « إن فيك لخلتين يحبهما الله عز وجل ، الحلم والأناة » وفي رواية « يحبهما الله ورسوله » فقال : يارسول الله [تخلقتهما أم جبلني الله عليهما ؟ فقال : « جبلك الله عليهما » فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله[1]] .

وقال الإمام أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا مطر بن عبد الرحمن سمعت هند بنت الوازع أنها سمعت الوازع يقول : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والأشج المنذر بن عامر ـ أو عامر بن المنذر ـ ومعهم رجل مصاب فانتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبوا من رواحلهم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلوا يده ، ثم نزل الأشج فعقل راحلته وأخرج عيبته ففتحها فأخرج ثوبين أبيضين من ثيابه فلبسهما ، ثم أتى رواحلهم فعقلها فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا أشج إن فيك خصلتين يحبهما الله عز وجل ورسوله : الحلم والأناة » ، فقال : يا رسول الله أنا تخلقتهما أو جبلني الله عليهما ؟ فقال : « بل الله جبلك عليهما » ، قال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله عز وجل ورسوله ، فقال الوازع : يا رسول الله إن معي خالا لي مصابا فادع الله له ؛ فقال : « أين هو آتيني به » قال فصنعت مثل ما صنع الأشج ألبسته ثوبيه وأتيته فأخذ من ورائه يرفعهما حتى رأينا بياض إبطه ، ثم ضرب بظهره ، فقال : « أخرج عدو الله » فولى وجهه وهو ينظر بنظر رجل صحيح ، وروى الحافظ البيهقي من طريق هود بن عبد الله بن سعد أنه سمع جده مزيدة العبدي ، قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه إذ قال لهم : « سيطلع من ها هنا ركب هم خير أهل المشرق » ، فقام عمر فتوجه نحوهم فتلقى ثلاثة عشر راكبا ، فقال من القوم ؟ فقالوا : من بني عبد القيس ، قال : فما أقدمكم هذه البلاد التجارة ؟ قالوا : لا ، قال أما إن النبي صلى الله

(١) ما بين المربعين لم يرد في المصرية .

عليه وسلم قد ذكركم آنفا فقال خيراً ، ثم مشوا معه حتى أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر للقوم : هذا صاحبكم الذي تريدون ، فرمى القوم بأنفسهم عن ركائبهم فنهم من مشى ومنهم من هرول ومنهم من سعى حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا بيده فقبلوها ، وتخلف الأشج فى الركاب حتى أناخها وجمع متاع القوم ثم جاء يمشي حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن فيك خلتين يحبهما الله ورسوله » ، قال : جبل جبلت أم تخلقا مني؟ قال عليه بل جبل، فقال : الحمد لله الذى جبلني على ما يحب الله ورسوله.

وقال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارود بن عمرو بن حنش أخو عبد القيس قال ابن هشام وهو الجارود بن بشر بن المعلى فى وفد عبد القيس وكان نصرانياً ، قال ابن إسحاق وحدثني من لا أتهم عن الحسن[1] قال لما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمه فعرض عليه الإسلام ودعاه إليه ورغبه فيه ، فقال : يا محمد إنى كنت على دين وإنى تارك ديني لدينك أفتضمن لى ديني ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم أنا ضامن أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه » قال فأسلم وأسلم أصحابه ، ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحملان فقال : « والله ما عندى ما أحملكم عليه » ، قال : يا رسول الله إن بيننا وبين بلادنا ضوالا من ضوال الناس أفنتبلغ عليها إلى بلادنا ؟ قال لا إياك وإياها فإنما تلك حرق النار قال فخرج الجارود راجعاً إلى قومه وكان حسن الإسلام صلباً على دينه حتى هلك ، وقد أدرك الردة فلما رجع من قومه من كان أسلم منهم إلى دينهم الأول مع الغرور بن المنذر بن النعمان بن المنذر قام الجارود فتشهد شهادة الحق ودعا إلى الإسلام ، فقال : أيها الناس إنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأكفر من لم يشهد ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث العلاء بن الحضرمي قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوى العبدى فأسلم فحسن إسلامه ثم هلك بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ردة أهل البحرين ، والعلاء عنده أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم على البحرين ، ولهذا روى البخارى من حديث إبراهيم بن طهمان عن أبي جمرة عن ابن عباس ، قال : أول جمعة جمعت فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد عبد القيس بجوانا من البحرين ، وروى البخارى عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخر الركعتين بعد الظهر بسبب وفد عبد القيس حتى صلاهما بعد العصر فى بيتها .

قلت : لكن فى سياق ابن عباس ما يدل على أن قدوم وفد عبد القيس كان قبل فتح مكة لقولهم وبيننا وبينك هذا الحي من مضر لا نصل إليك إلا فى شهر حرام والله أعلم .

﴿ قصة ثمامة ووفد بنى حنيفة ومعهم مسيلمة الكذاب لعنه الله ﴾

قال البخارى باب وفد بنى حنيفة وقصة ثمامة بن أثال حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث

---

(١) فى ابن هشام : عن الحسين .

ابن سعد حدثني سعيد بن أبي سعيد سمع أبا هريرة قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج إليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « ما عندك يا ثمامة » ؟ قال : عندي خير يا محمد إن تقتلني تقتل ذا دم وإن تنعم تنعم على شاكر ، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت ، فتركه حتى كان الغد ثم قال له : « ما عندك يا ثمامة » ؟ فقال عندي ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكر ، فتركه حتى بعد الغد فقال : « ما عندك يا ثمامة » ؟ فقال عندي ما قلت لك ، فقال : «أطلقوا ثمامة» فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، يا محمد والله ما كان على وجه الأرض وجه أبغض إلي من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي ، والله ما كان دين أبغض إلي من دينك فأصبح دينك أحب الدين إلي ، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى ؟ فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر ، فلما قدم مكة قال له قائل أصبوت ؟ قال : لا ! ولكن أسلمت مع محمد صلى الله عليه وسلم، ولا والله لا تأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد رواه البخاري في موضع آخر ومسلم وأبو داود والنسائي كلهم عن قتيبة عن الليث به ، وفي ذكر البخاري هذه القصة في الوفود نظر وذلك أن ثمامة لم يفد بنفسه وإنما أسر وقدم به في الوثاق فربط بسارية من سواري المسجد ثم في ذكره مع الوفود سنة تسع نظر آخر ، وذلك أن الظاهر من سياق قصته أنها قبيل الفتح لأن أهل مكة عيروه بالإسلام وقالوا أصبوت ؟ فتوعدهم بأنه لا يفد إليهم من اليمامة حبة حنطة ميرة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدل على أن مكة كانت إذ ذاك دار حرب لم يسلم أهلها بعد والله أعلم ، ولهذا ذكر الحافظ البيهقي قصة ثمامة بن أثال قبل فتح مكة وهو أشبه ولكن ذكرناه ها هنا اتباعا للبخاري رحمه الله ، وقال البخاري حدثنا أبو اليمان ثنا شعيب عن عبد الله ابن أبي حسين ثنا نافع بن جبير عن ابن عباس ، قال : قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول : إن جعل لي محمد الأمر من بعده اتبعته ، وقدم في بشر كثير من قومه فأقبل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه ، فقال له : «لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها ، ولن تعدو أمر الله فيك ، ولئن أدبرت ليعقرنك الله ، وإني لأراك الذي رأيت فيه ما أريت ، وهذا ثابت يجيبك عني» ثم انصرف عنه ، قال ابن عباس فسألت عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك الذي رأيت فيه ما أريت ، فأخبرني أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما ، فأوحي إلي في المنام أن انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان بعدي أحدهما الأسود العنسي والآخر مسيلمة »

ثم قال البخارى حدثنا إسحاق بن نصر ثنا عبد الرزاق أخبرنى معمر عن هشام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بينا أنا نائم أتيت بخزائن الأرض فوضع فى كفى سواران من ذهب فكبرا علىّ فأوحى إلى أن انفخهما فنفختهما فذهبا فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما : صاحب صنعاء وصاحب اليمامة » . ثم قال البخارى ثنا سعيد بن محمد الجرمى ثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبى عن صالح عن ابن عبيدة بن نشيط ـ وكان فى موضع آخر اسمه عبد الله ـ أن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة . قال : بلغنا أن مسيلمة الكذاب قدم المدينة فنزل فى دار بنت الحارث وكان تحته بنت الحارث بن كريز وهى أم عبد الله بن عامر بن كريز ، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ثابت بن قيس بن شماس وهو الذى يقال له خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم قضيب فوقف عليه فكلمه فقال له مسيلمة : إن شئتَ خليتَ بيننا وبين الأمر ، ثم جعلته لنا بعدك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو سألتنى هذا القضيب ما أعطيتكه ، وإنى لأراك الذى رأيت فيه ما رأيت ، وهذا ثابت بن قيس وسيجيبك عنى » فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عبد الله : سألت ابن عباس عن رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ذكر فقال ابن عباس : ذكر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بينا أنا نائم أريت أنه وضع فى يدى سواران من ذهب فقطعتهما وكرهتهما فأذن لى فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين [يخرجان » فقال عبيد الله : أحدهما العنسى الذى قتله] فيروز باليمن والآخر مسيلمة الكذاب .

وقال محمد بن إسحاق : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بنى حنيفة فيهم مسيلمة [بن حبيب الكذاب قال ابن هشام : وهو مسيلمة] ابن ثمامة بن كثير بن حبيب بن الحارث بن عبد الحارث بن هماز بن ذهل بن الزول بن حنيفة ، ويكنى أبا ثمامة وقيل أبا هارون وكان قد تسمى بالرحمان فكان يقال له رحمان اليمامة وكان عمره يوم قتل مائة وخمسين سنة ، وكان يعرف أبوابا من النيرجات فكان يدخل البيضة إلى القارورة وهو أول من فعل ذلك ، وكان يقص جناح الطير ثم يصله ويدعى أن الظبية تأتيه من الجبل فيحلب منها . قلت : وسنذكر أشياء من خبره عند ذكر مقتله لعنه الله .

قال ابن إسحاق : وكان منزلهم فى دار بنت الحارث امرأة من الأنصار ثم من بنى النجار ، قال السهيلى : هى زينب وقيل : كُيَيْسَة بنت الحارث بن كريز بن حبيب بن عبد شمس وكان مسيلمة قد تزوجها قد بما ثم فارقها فلهذا نزلوا فى دارها . قال ابن إسحاق : فحدثنى بعض علمائنا من أهل المدينة أن بنى حنيفة أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم تستره بالثياب ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى أصحابه معه عسيب من سعف النخل فى رأسه خوصات ، فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يسترونه بالثياب كلمه وسأله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو سألتنى هذا العسيب ما أعطيتكه » قال ابن إسحاق : وحدثنى شيخ من بنى حنيفة من أهل اليمامة أن حديثه كان على غير هذا ، وزعم أن وفد بنى حنيفة أتوا

رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفوا مسيلمة فى رحالهم ، فلما أسلموا ذكروا مكانه فقالوا : يا رسول الله إنا قد خلفنا صاحباً لنا فى رحالنا وفى ركائبنا يحفظها لنا، قال فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما أمر به للقوم ، وقال « أما أنه ليس بشركم مكاناً » أى لحفظه ضيعة أصحابه ذلك الذى يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءوا مسيلمة بما أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ وتكذب لهم ، وقال : إنى قد أشركت فى الأمر معه ، وقال لوفده الذين كانوا معه ألم يقل لكم حين ذكرتمونى له أما إنه ليس بشركم مكاناً ؟ ما ذاك إلا لما كان يعلم أنى قد أشركت فى الأمر معه ثم جعل يسجع لهم السجعات ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن : لقد أنعم الله على الحبلى ، أخرج منها نسمة تسعى ، من بين صفاق وحشا ، وأحل لهم الخمر والزنا ، ووضع عنهم الصلاة ، وهو مع هذا يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه نبى ، فأصفقت معه بنو حنيفة على ذلك . قال ابن إسحاق : فالله أعلم أى ذلك كان .

وذكر السهيلى وغيره أن الرحّال بن عنفوة — واسمه نهار بن عنفوة — وكان قد أسلم وتعلم شيئاً من القرآن وصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة ، وقد مر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع أبى هريرة وفرات بن حيان فقال لهم : « أحدكم ضرسه فى النار مثل أحد » فلم يزالا خائفين حتى ارتد الرحال مع مسيلمة وشهد له زوراً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشركه فى الأمر معه ، وألقى إليه شيئاً مما كان يحفظه من القرآن فادعاه مسيلمة لنفسه فحصل بذلك فتنة عظيمة لبنى حنيفة ، وقد قتله زيد بن الخطاب يوم اليمامة كما سيأتى . قال السهيلى : وكان مؤذن مسيلمة يقال له حجير ، وكان مدبر الحرب بين يديه محكم بن الطفيل ، وأضيف إليهم سجاح وكانت تكنى أم صادر تزوجها مسيلمة وله معها أخبار فاحشة ، واسم مؤذنها زهير بن عمرو ، وقيل جنبة بن طارق ، ويقال إن شبث بن ربعى أذن لها أيضاً ثم أسلم ، وقد أسلمت هى أيضاً أيام عمر بن الخطاب فحسن إسلامها .وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق: وقد كان مسيلمة بن حبيب كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله ، سلام عليك أما بعد. فإنى قد أشركت فى الأمر معك فإن لنا نصف الأمر ولقريش نصف الأمر، ولكن قريشاً قوماً يعتدون . فقدم عليه رسولان بهذا الكتاب فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » قال: وكان ذلك فى آخر سنة عشر — يعنى ورود هذا الكتاب — وقد روى البخارى قصة هذا الكتاب فى صحيحه . قال يونس بن بكير عن ابن إسحاق فحدثنى سعد بن طارق عن سلمة بن نعيم بن مسعود عن أبيه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاءه رسولا مسيلمة الكذاب بكتابه يقول لهما « وأنتما تقولان مثل ما يقول؟ » قالا نعم ! فقال « أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما » وقال أبو داود الطيالسى حدثنا المسعودى عن عاصم

عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود ، قال : جاء ابن النواحة وابن أثال رسولين لمسيلمة الكذاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال لهما : « أتشهدان أني رسول الله؟ » فقالا نشهد أن مسيلمة رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « آمنت بالله ورسله ، ولو كنت قاتلا رسولا لقتلتكما » قال عبد الله بن مسعود فمضت السنّة بأن الرسل لا تقتل . قال عبد الله : فأما ابن أثال فقد كفاه الله ، وأما ابن النواحة فلم يزل في نفسي منه حتى أمكن الله منه . قال الحافظ البيهقي أما أسامة بن أثال فإنه أسلم وقد مضى الحديث في إسلامه . وأما ابن النواحة فأخبرنا أبو زكريا بن أبي إسحاق المزني أنبأنا أبو عبدالله محمد بن يعقوب ثنا محمد بن عبد الوهاب ثنا جعفر بن عون أنبأنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم . قال : جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود فقال إني مررت ببعض مساجد بني حنيفة وهم يقرؤن قراءة ما أنزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم : والطاحنات طحناً ، والعاجنات عجناً ، والخابزات خبزاً ، والثاردات ثرداً ، واللاقمات لقماً . قال فأرسل إليهم عبد الله فأتى بهم وهم سبعون رجلا ورأسهم عبد الله ابن النواحة ، قال فأمر به عبد الله فقتل ثم قال ما كنا بمحرزين الشيطان من هؤلاء ولكن نحوزهم إلى الشام لعل الله أن يكفيناهم ، وقال الواقدي كان وفد بني حنيفة بضعة عشر رجلا عليهم سلمى بن حنظلة وفيهم الرحال بن عنفوة وطلق بن علي وعلي بن سنان ومسيلمة بن حبيب الكذاب ، فأنزلوا في دار مسلمة بنت الحارث وأجريت عليهم الضيافة فكانوا يؤتون بغداء وعشاء مرة خبزاً ولحماً ، ومرة خبزاً ولبناً ، ومرة خبزاً ، ومرة خبزاً وسمناً ، ومرة تمراً ينثر لهم ، فلما قدموا المسجد أسلموا وقد خلفوا مسيلمة في رحالهم ، ولما أرادوا الانصراف أعطاهم جوائزهم خمس أواق من فضة ، وأمر لمسيلمة بمثل ما أعطاهم ، لما ذكروا أنه في رحالهم فقال « أما إنه ليس بشركم مكانا » فلما رجعوا إليه أخبروه بما قال عنه فقال إنما قال ذلك لأنه عرف أن الأمر لي من بعده وبهذه الكلمة تشبث قبحه الله حتى ادعى النبوة ، قال الواقدي وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث معهم بإداوة فيها فضل طهوره وأمرهم أن يهدموا بيعتهم وينضحوا هذا الماء مكانه ويتخذوه مسجداً ففعلوا وسيأتي ذكر مقتل الأسود العنسي في آخر حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومقتل مسيلمة الكذاب في أيام الصديق ، وما كان من أمر بني حنيفة إن شاء الله تعالى .

﴿ وفد أهل نجران ﴾

قال البخاري : حدثنا عباس بن الحسين ثنا يحيى بن آدم عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن صلة بن زفر عن حذيفة ، قال : جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان أن يلاعناه ، قال فقال أحدهما لصاحبه لا تفعل فوالله لئن كان نبيا فلاعناه لا نفلح نحن

ولا عَقِبُنا من بعدنا ، قالا إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلا أمينا ولا تبعث معنا إلا رجلا أمينا ، فقال « لأبعثن معكم رجلا أمينا حق أمين » فاستشرف لها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال قم يا أبا عبيدة بن الجراح ، فلما قام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا أمين هذه الأمة » وقد رواه البخارى أيضاً ومسلم من حديث شعبة عن أبى إسحاق به ، وقال الحافظ أبو بكر البيهقى أنبأنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد محمد بن موسى بن الفضل قالا ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن سلمة بن يسوع عن أبيه عن جده ـ قال يونس وكان نصرانيا فأسلم ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى نجران قبل أن ينزل عليه طس سليمان[1] ، باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، من محمد النبى رسول الله إلى أسقف نجران أسلِمْ أنتم فإنى أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، أما بعد فإنى أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد ، فإن أبيتم فالجزية ، فإن أبيتم آذنتكم بحرب والسلام .

فلما أتى الأسقف الكتاب فقرأه فظع به وذعر به ذعراً شديداً وبعث إلى رجل من أهل نجران يقال له شرحبيل بن وداعة ـ وكان من همدان ولم يكن أحد يدعى إذا نزلت معضلة قبله إلا الأتهم[2] ولا السيد ولا العاقب ـ فدفع الأسقف كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شرحبيل فقرأه ، فقال الأسقف يا أبا مريم ما رأيك ؟ فقال شرحبيل : قد علمت ما وعد الله إبراهيم فى ذرية إسماعيل من النبوة فما تؤمن أن يكون هذا هو ذاك الرجل ليس لى فى النبوة رأى ، ولو كان أمر من أمور الدنيا لأشرت عليك فيه برأى وجهدت لك ، فقال له الأسقف تنح فاجلس ، فتنحى شرحبيل فجلس ناحيته فبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له عبد الله بن شرحبيل وهو من ذى أصبح من حمير فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأى فقال له مثل قول شرحبيل ، فقال له الأسقف تنح فاجلس فتنحى فجلس ناحيته ، وبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له جبار بن فيض من بنى الحارث بن كعب أحد بنى الحماس فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأى فيه فقال له مثل قول شرحبيل وعبد الله ، فأمره الأسقف فتنحى فجلس ناحيته فلما اجتمع الرأى منهم على تلك المقالة جميعا ، أمر الأسقف بالناقوس فضرب به ورفعت النيران والمسوح فى الصوامع وكذلك كانوا يفعلون إذا فزعوا بالنهار ، وإذا كان فزعهم ليلا ضربوا بالناقوس ورفعت النيران فى الصوامع ، فاجتمع حين ضرب بالناقوس ورفعت المسوح أهل الوادى أعلاه وأسفله وطول الوادى مسيرة يوم للراكب السريع وفيه ثلاث وسبعون قرية وعشرون ومائة ألف

---

(١) يريد السورة التى فيها الآية الكريمة (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم) وقوله أسلم أنتم كذا فى الأصول ولعله أسلم تسلم . (٢) كذا فى الأصول ، وفى ابن هشام : الأيهم بالياء وجعله اسم السيد فيكون سياق العبارة لا الأيهم وهو السيد ، واسم العاقب عبد المسيح وليحرر .

مقاتل فقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألهم عن الرأى فيه ، فاجتمع رأى أهل الرأى منهم على أن يبعثوا شرحبيل بن وداعة الهمدانى وعبد الله بن شرحبيل الأصبحى وجبار بن فيض الحارثى فيأتوهم بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال فانطلق الوفد حتى إذا كانوا بالمدينة وضعوا ثياب السفر عنهم ولبسوا حللا لهم يجرونها من حبرة وخواتيم الذهب ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه فلم يرد عليهم السلام ، وتصدوا لكلامه نهاراً طويلا فلم يكلمهم وعليهم تلك الحلل والخواتيم الذهب ، فانطلقوا يتبعون عثمان ابن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكانوا يعرفونهما فوجدوهما فى ناس من المهاجرين والأنصار فى مجلس ، فقالوا : يا عثمان ويا عبد الرحمن إن نبيكم كتب إلينا بكتاب فأقبلنا مجيبين له فأتيناه فسلمنا عليه فلم يرد سلامنا وتصدينا لكلامه نهاراً طويلا فأعيانا أن يكلمنا فما الرأى منكما ، أترون أن نرجع ؟ فقالا لعلى بن أبى طالب وهو فى القوم ما ترى يا أبا الحسن فى هؤلاء القوم ، فقال على لعثمان ولعبد الرحمن أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يعودوا إليه ، ففعلوا فسلموا فرد سلامهم . ثم قال : « والذى بعثنى بالحق لقد أتونى المرة الأولى وإن ابليس لمعهم » ، ثم سألهم وسألوه فلم تزل به وبهم المسألة حتى قالوا ما تقول فى عيسى فإنا نرجع إلى قومنا ونحن نصارى يسرنا إن كنت نبيا أن نسمع ما تقول فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما عندى فيه شىء يومى هذا فأقيموا حتى أخبركم بما يقول الله فى عيسى » فأصبح الغد وقد أنزل الله عز وجل هذه الآية (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) . فأبوا أن يقروا بذلك ، فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد بعد ما أخبرهم الخبر أقبل مشتملا على الحسن والحسين فى خميل له وفاطمة تمشى عند ظهره للملاعنة وله يومئذ عدة نسوة ، فقال شرحبيل لصاحبيه : قد علمتما أن الوادى إذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يردوا ولم يصدروا إلا عن رأيى ، وإنى والله أرى أمراً ثقيلا ، والله لئن كان هذا الرجل ملكا متقويا فكنا أول العرب طعن فى عيبته ورد عليه أمره لا يذهب لنا من صدره ولا من صدور أصحابه حتى يصيبونا بجائحة وإنا أدنى العرب منهم جواراً ، ولئن كان هذا الرجل نبيا مرسلا فلاعناه لا يبقى على وجه الأرض منا شعر ولا ظفر إلا هلك ، فقال له صاحباه : فما الرأى يا أبا مريم ؟ فقال رأيى أن أحكمه فإنى أرى رجلا لا يحكم شططا أبداً فقالا له أنت وذاك ، قال فتلقى شرحبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنى قد رأيت خيراً من ملاعنتك فقال « وما هو » ؟ فقال حكمك اليوم إلى الليل وليلتك إلى الصباح ، فمهما حكمت فينا فهو جائز ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لعل وراءك أحد يثرب عليك ؟ » فقال شرحبيل سل صاحبى ، فقالا ما يَرِدُ

الوادى ولا يصدر إلا عن رأى شرحبيل ، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يلاعنهم حتى إذا كان الغد أتوه فكتب لهم هذا الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما كتب محمد النبى الأمى رسول الله لنجران أن كان عليهم حكمه فى كل ثمرة وكل صفراء وبيضاء ورقيق فأفضل عليهم وترك ذلك كله على ألفى حلة ، فى كل رجب ألف حلة، وفى كل صفر ألف حلة، وذكر تمام الشروط ، إلى أن قال: شهد أبو سفيان بن حرب وغيلان بن عمرو ومالك بن عوف من بنى نصر والأقرع بن حابس الحنظلى والمغيرة ، وكتب حتى إذا قبضوا كتابهم انصرفوا إلى نجران ومع الأسقف أخ له من أمه وهو ابن عمه من النسب يقال له بشر بن معاوية وكنيته أبو علقمة ، فدفع الوفد كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأسقف ، فبينما هو يقرأه وأبو علقمة معه وهما يسيران إذ كبت ببشر ناقته فتعّس بشر غير أنه لا يكنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له الأسقف عند ذلك قد والله تعّست نبيا مرسلا ، فقال له بشر لا جرم والله لا أحل عنها عقداً حتى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال : وصرف وجه ناقته نحو المدينة وثنى الأسقف ناقته عليه ، فقال له : إفهم عنى إنما قلت هذا ليبلغ عنى العرب مخافة أن يروا أنا أخذنا حقه أو رضينا بصوته أو نخعنا لهذا الرجل بما لم تنخع به العرب ونحن أعزهم وأجمعهم داراً؟ فقال له بشر لا والله لا أقبل ما خرج من رأسك أبداً ، فضرب بشر ناقته وهو مولى الأسقف ظهره وارتجز يقول :

إليك تغدو قلقا وضينها ... معترضا فى بطنها جنينها

مخالفا دين النصارى دينها

حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ولم يزل معه حتى قتل بعد ذلك ، قال : ودخل الوفد نجران فأتى الراهب ابن أبى شمر الزبيدى وهو فى رأس صومعته ، فقال له : إن نبيا بعث بتهامة فذكر ما كان من وفد نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه عرض عليهم الملاعنة فأبوا وإن بشر بن معاوية دفع إليه فأسلم فقال الراهب أنزلونى وإلا ألقيت نفسى من هذه الصومعة قال فأنزلوه فأخذ معه هدية وذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منها هذا البرد الذى يلبسه الخلفاء وقعب وعصا ، فأقام مدة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع الوحى ثم رجع إلى قومه ولم يقدر له الإسلام ووعد أنه سيعود فلم يقدر له حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن الأسقف أبا الحارث أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه السيد والعاقب ووجوه قومه فأقاموا عنده يسمعون ما ينزل الله عليه وكتب للأسقف هذا الكتاب ولأساقفة نجران بعده: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبى للاسقف أبى الحارث وأساقفة نجران وكهنتهم ورهبانهم وكل ما تحت أيديهم من قليل وكثير جوار الله ورسوله لا يغير أسقف من أسقفته ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته ولا يغير حق من حقوقهم ولا سلطانهم ولا ما كانوا عليه من ذلك ، جوار الله ورسوله أبدا ما أصلحوا ونصحوا عليهم غير مبتلين بظلم ولا ظالمين وكتب المغيرة بن شعبة .

وذكر محمد بن إسحاق أن وفد نصارى نجران كانوا ستين راكبا يرجع أمرهم إلى أربعة عشر منهم وهم العاقب واسمه عبد المسيح والسيد وهو الأتهم[1] وأبو حارثة بن علقمة وأوس بن الحارث وزيد وقيس ويزيد ونبيه وخويلد وعمرو وخالد وعبد الله ويحنس وأمر هؤلاء الأربعة عشر يؤول إلى ثلاثة منهم وهم العاقب وكان أمير القوم وذا رأيهم وصاحب مشورتهم والذى لا يصدرون إلا عن رأيه والسيد وكان ثمالهم[2] وصاحب رحلهم وأبو حارثة بن علقمة وكان أسقفهم وحبرهم وكان رجل من العرب من بكر بن وائل ولكن دخل فى دين النصرانية فعظمته الروم وشرفوه وبنوا له الكنائس ومولوه وأخدموه لما يعرفون من صلابته فى دينهم وكان مع ذلك يعرف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن صده الشرف والجاه من اتباع الحق ، وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق حدثنى بريدة بن سفيان عن ابن البيلمانى عن كرز[3] بن علقمة ، قال : قدم وفد نصارى نجران ستون راكبا منهم أربعة وعشرون رجلا من أشرافهم والأربعة والعشرون منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم العاقب والسيد وأبو حارثة أحد بنى بكر بن وائل أسقفهم وصاحب مدارستهم وكانوا قد شرفوه فيهم ومولوه وأكرموه ، وبسطوا عليه الكرامات وبنوا له الكنائس لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده فى دينهم ، فلما توجهوا من نجران جلس أبو حارثة على بغلة له وإلى جنبه أخ له يقال له كرز بن علقمة يسايره إذ عثرت بغلة أبى حارثة ، فقال كرز : تعس الأبعد ـ يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فقال له أبو حارثة : بل أنت تعست فقال له كرز ولم يا أخى فقال والله إنه للنبى الذى كنا ننتظره فقال له كرز وما يمنعك وأنت تعلم هذا ؟ فقال له : ما صنع بنا هؤلاء القوم شرفونا ومولونا وأخدمونا وقد أبوا إلا خلافه ، ولو فعلت نزعوا منا كل ما ترى قال فأضمر عليها منه أخوه كرز حتى أسلم بعد ذلك ، وذكر ابن إسحاق أنهم لما دخلوا المسجد النبوى دخلوا فى تجمل وثياب حسان وقد حانت صلاة العصر فقاموا يصلون إلى المشرق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فكان المتكلم لهم أبا حارثة بن علقمة والسيد والعاقب حتى نزل فيهم صدر من سورة آل عمران والمباهلة فأبوا ذلك وسألوا أن يرسل معهم أمينا فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح كما تقدم فى رواية البخارى وقد ذكرنا ذلك مستقصى فى تفسير سورة آل عمران ولله الحمد والمنة .

﴿ وفد بنى عامر * وقصة عامر بن الطفيل * وأربد بن مقيس[4] لعنهم الله ﴾

قال ابن إسحاق وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بنى عامر فيهم عامر بن الطفيل

---

(١) تقدم عن ابن هشام : أنه الأيهم (بالياء).

(٢) الثمال : الملجأ والغياث حكاه فى النهاية . (٣) سماه ابن هشام كوز بن علقمة فى جميع المواضع

(٤) كذا فى الأصول : وفى ابن هشام أربد بن قيس .

وأربد بن مقيس بن جزء بن جعفر بن خالد وجبار[1] بن سلمى بن مالك بن جعفر وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم وقدم عامر بن الطفيل عدو الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يريد الغدر به ، وقد قال له قومه يا أبا عامر إن الناس قد أسلموا فأسلم ، قال : والله لقد كنت آليت ألا انتهى حتى تتبع العرب عقبي فأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش ؟ ثم قال لأربد إن قدمنا على الرجل فإني سأشغل عنك وجهه فإذا فعلت ذلك فأعله بالسيف ، فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عامر بن الطفيل : يا محمد خالني قال : « لا والله حتى تؤمن بالله وحده » قال يا محمد خالني ، قال وجعل يكلمه وينتظر من أربد ما كان أمره به فجعل أربد لا يحير شيئاً ، فلما رأى عامر ما يصنع أربد قال يا محمد خالني ، قال : « لا حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له » فلما أبى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا فلما ولى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم اكفني عامر بن الطفيل » فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر بن الطفيل لأربد أين ما كنت أمرتك به والله ما كان على ظهر الأرض رجل أخوف على نفسي منك ، وأيم الله لا أخافك بعد اليوم أبداً ، قال : لا أبالك لا تعجل علي والله ما هممت بالذي أمرتني به إلا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك أفأضربك بالسيف ؟! وخرجوا راجعين إلى بلادهم حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله عز وجل على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فقتله الله في بيت امرأة من بني سلول ، فجعل يقول : يا بني عامر أغدة كغدة البكر في بيت امرأة من بني سلول ؟ قال ابن هشام : ويقال أغدة كغدة الإبل وموت في بيت سلولية ، وروى الحافظ البيهقي من طريق الزبير بن بكار حدثتني فاطمة بنت عبد العزيز بن موءلة عن أبيها عن جدها موءلة بن حميل[2] قال أتى عامر بن الطفيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : « يا عامر أسلم » فقال : أسلم على أن لي الوبر ولك المدر ؟ قال « لا » ثم قال أسلم ، فقال : أسلم على أن لي الوبر ولك المدر قال لا فولى وهو يقول : والله يا محمد لأملأنها عليك خيلا جردا ورجالا مرداً ولأربطن بكل نخلة فرسا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اكفني عامراً واهد قومه ، فخرج حتى إذا كان بظهر المدينة صادف امرأة من قومه يقال لها سلولية فنزل عن فرسه ونام في بيتها فأخذته غدة في حلقه فوثب على فرسه وأخذ رمحه وأقبل يجول وهو يقول غدة كغدة البكر وموت في بيت سلولية ، فلم تزل تلك حاله حتى سقط عن فرسه ميتا ، وذكر الحافظ أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب في أسماء الصحابة موءلة هذا فقال هو موءلة بن كثيف الضبابي الكلابي العامري من بني عامر بن صعصعة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشرين سنة فأسلم وعاش في الإسلام مائة سنة وكان يدعى ذا اللسانين من فصاحته ، روى عنه ابنه عبد العزيز وهو الذي روى قصة عامر بن الطفيل غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية .

(١) في الأصل حيان (٢) في القاموس : موءلة بن كثيف بن حمل وفي الإصابة ابن حميل .

قال الزبير بن بكار: حدثتني ظمياء بنت عبد العزيز بن موءلة بن كثيف بن حميل بن خالد بن عمرو بن معاوية وهو الضباب بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة قالت : حدثني أبي عن أبيه عن موءلة أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وهو ابن عشرين سنة وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسح يمينه وساق إبله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصدقها بنت لبون ثم صحب أبا هريرة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاش في الإسلام مائة سنة وكان يسمى ذا اللسانين من فصاحته . قلت : والظاهر أن قصة عامر بن الطفيل متقدمة على الفتح ، وإن كان ابن إسحاق والبيهقي قد ذكراها بعد الفتح ، وذلك لما رواه الحافظ البيهقي عن الحاكم عن الأصم أنبأنا محمد بن إسحاق أنبأنا معاوية بن عمرو ثنا أبو إسحاق الفزاري عن الأوزاعي عن إسحاق ابن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس في قصة بئر معونة وقتل عامر بن الطفيل حرام بن ملحان خال أنس بن مالك وغدره بأصحاب بئر معونة حتى قتلوا عن آخرهم سوى عمرو بن أمية كما تقدم . قال الأوزاعي قال يحيى : فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو على عامر بن الطفيل ثلاثين صباحا اللهم اكفني عامر بن الطفيل بما شئت وابعث عليه ما يقتله فبعث الله عليه الطاعون . وروى عن همام عن إسحاق بن عبد الله عن أنس في قصة حرام بن ملحان قال : وكان عامر بن الطفيل قد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أخيرك بين ثلاث خصال يكون لك أهل السهل ويكون لي أهل الوبر وأكون خليفتك من بعدك أو أغزوك بغطفان بألف أشقر وألف شقراء ، قال فطعن في بيت امرأة ، فقال أغدة كغدة البعير وموت في بيت امرأة من بني فلان ، ائتوني بفرسي فركب فمات على ظهر فرسه .

قال ابن إسحاق : ثم خرج أصحابه حتى واروه حتى قدموا أرض بني عامر شاتين ، فلما قدموا أتاهم قومهم فقالوا : ما وراءك يا أربد ؟ قال : لا شيء ، والله لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت لو أنه عندي الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله الآن ، فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يبيعه فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما . قال ابن إسحاق : وكان أربد بن قيس أخا لبيد بن ربيعة لأمه ، فقال لبيد يبكي أربد :

ما أن تعدى المنون من أحد ... لا والد مشفق ولا ولد
أخشى على أربد الحتوف ولا ... أرهب نوء السماك والأسد
فعين هلا بكيت أربد إذ ... قمنا وقام النساء في كبد
إن يشغبوا لا يبال شغبهم ... أو يقصدوا في الحكوم يقتصد
حلو أريب ، وفي حلاوته ... من اصيق الأحشاء والكبد
وعين هلا بكيت أربد إذ ... ألوت رياح الشتاء بالعضد

وأصبحت لاقحـــاً مصرمة | حتى تجلت غوابر المـــدد
أشجع من ليـــث غابة لحم | ذو نهمة فى العـــلا ومنتقد
لا تبلغ العـــين كل نهمتها | ليلة تمسى الجيـــاد كالقدد
الباعث النـــوح فى مآتمه | مثل الظباء الأبكار بالجـــرد
فجعنى البرق والصواعق بالفا | رس يوم الكريهة النجـــد
والحـ ـرب الجابر الحريب إذا | جاء نكيباً وإن يعـــد يعد
يعفو على الجهد والسؤال كما | ينبت غيث الربيع ذو الرصـد
كل بنى حـرة مصـــيرهم | قل ، وإن كثروا من العـدد
إن يغبـــطوا يهبطوا وإن | أمروا يوما فهم للهلاك والنفد

وقد ذكر ابن إسحاق عن لبيد أشعاراً كثيرة فى رثاء أخيه لأمه أربد بن قيس تركناها اختصاراً واكتفاء بما أوردناه والله الموفق للصواب .

قال ابن هشام : وذكر زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قال : فأنزل الله عز وجل فى عامر وأربد : (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد ، وكل شىء عنده بمقدار ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ، سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر أربد وقتله فقال الله تعالى : (وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال ، هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعاً وينشىء السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ، ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال) .

قلت : وقد تكلمنا على هذه الآيات الكريمات فى سورة الرعد ولله الحمد والمنة ، وقد وقع لنا إسناد ما علقه ابن هشام رحمه الله فروينا من طريق الحافظ أبى القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى فى معجمه الكبير حيث قال حدثنا مسعدة بن سعد العطار حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامى حدثنى عبد العزيز بن عمران حدثنى عبد الرحمن وعبد الله ابنا زيد بن أسلم عن أبيهما عن عطاء بن يسار عن ابن عباس أن أربد بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر بن كلاب وعامر بن الطفيل بن مالك قدما المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتهيا إليه وهو جالس فجلسا بين يديه ، فقال عامر ابن الطفيل : يا محمد ما تجعل لى إن أسلمت؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم » قال عامر : أتجعل لى الأمر إن أسلمت من بعدك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس ذلك لك ولا لقومك ولكن لك أعنة الخيل » قال : أنا الآن فى أعنة خيل

نجدة ، اجعل لى الوبر ولك المدر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا» فلما قفل من عنده ، قال عامر : أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يمنعك الله» فلما خرج أربد وعامر قال عامر : يا أربد أنا أشغل عنك محمداً بالحديث فاضربه بالسيف فإن الناس إذا قتلت محمداً لم يزيدوا على أن يرضوا بالدية ويكرهوا الحرب فسنعطيهم الدية ، قال أربد أفعل ، فأقبلا راجعين إليه ، فقال عامر : يا محمد قم معى أكلمك فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم فخليا إلى الجدار ووقف معه رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمه ، وسل أربد السيف فلما وضع يده على السيف يبست يده على قائم السيف فلم يستطع سل السيف ، فأبطأ أربد على عامر بالضرب ، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أربد وما يصنع فانصرف عنهما ، فلما خرج أربد وعامر من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كانا بالحرة حرة واقم نزلا فخرج إليهما سعد بن معاذ وأسيد بن حضير فقالا : أشخصا يا عدوا الله لعنكما الله ، فقال عامر : من هذا يا سعد ؟ قال : أسيد بن حضير الكتائب ، فخرجا حتى إذا كانا بالرقم أرسل الله على أربد صاعقة فقتلته ، وخرج عامر حتى إذا كان بالحرة أرسل الله قرحة فأخذته فأدركه الليل فى بيت امرأة من بنى سلول فجعل يمس قرحته فى حلقه ويقول : غدة كغدة الجمل فى بيت سلولية يرغب [عن] أن يموت فى بيتها ، ثم ركب فرسه فأحضرها حتى مات عليه راجعاً فأنزل الله فيهما (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد) إلى قوله (له معقبات من بين يديه ومن خلفه) يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر أربد وما قتله به فقال (ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) الآية ، وفى هذا السياق دلالة على ما تقدم [من] قصة عامر وأربد وذلك لذكر سعد بن معاذ فيه والله أعلم . وقد تقدم وفود الطفيل بن عامر الدوسى رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وإسلامه وكيف جعل الله له نوراً بين عينيه ثم سأل الله فحوله له إلى طرف سوطه ، وبسطنا ذلك هنالك فلا حاجة إلى إعادته هاهنا كما صنع البيهقى وغيره .

﴿ قدوم ضمام بن ثعلبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وافداً عن قومه بنى سعد بن بكر ﴾

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن الوليد بن نويفع عن كريب عن ابن عباس قال : بعث بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدم إليه وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله ثم دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى أصحابه ، وكان ضمام رجلا جلداً أشعر ذا غديرتين فأقبل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه فقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا ابن عبد المطلب » ، فقال : يا محمد ! قال « نعم » قال : يا ابن عبد المطلب إنى سائلك ومغلظ عليك فى المسألة فلا تجدن فى نفسك ، قال صلى الله عليه وسلم « لا أجد فى نفسى ، فسل عما بدا لك» فقال : أنشدك إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك آلله بعثك إلينا رسولا ؟ قال « اللهم نعم ! » قال : فأنشدك

الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده ولا نشرك به شيئاً وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون ؟ قال : اللهم نعم ! قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك آلله أمرك أن نصلي هذه الصلوات الخمس ؟ قال : نعم ! قال : ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة الزكاة ، والصيام ، والحج وشرائع الإسلام كلها ينشده عند كل فريضة منها كما ينشده في التي قبلها ، حتى إذا فرغ قال : فإني أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وسأؤدي هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتني عنه ، ثم لا أزيد ولا أنقص ، ثم انصرف إلى بعيره راجعاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن صدق ذو العقيصتين دخل الجنة » قال : فأتى بعيره فأطلق عقاله ثم خرج حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه فكان أول ما تكلم به أن قال : بئست اللات والعزى ، فقالوا : مه يا ضمام ! اتق البرص ، اتق الجذام ، اتق الجنون ، فقال : ويلكم إنهما والله لا يضران ولا ينفعان ، إن الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه ، وإني أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه ، قال : فوالله ما أمسى من ذلك اليوم وفي حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً . قال : يقول ابن عباس فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة .

وهكذا رواه الإمام أحمد عن يعقوب بن إبراهيم الزهري عن أبيه عن ابن إسحاق فذكره ، وقد روى هذا الحديث أبو داود من طريق سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن سلمة بن كهيل ومحمد بن الوليد بن نويفع عن كريب عن ابن عباس بنحوه ، وفي هذا السياق ما يدل على أنه رجع إلى قومه قبل الفتح لأن العزى خربها خالد بن الوليد أيام الفتح .

وقد قال الواقدي : حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن كريب عن ابن عباس ، قال : بعثت بنو سعد بن بكر في رجب سنة خمس ضمام بن ثعلبة وكان جلداً أشعر ذا غديرتين وافداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فأغلظ في المسألة ، سأله عمن أرسله وبما أرسله ؟ وسأله عن شرائع الإسلام فأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك كله فرجع إلى قومه مسلماً قد خلع الأنداد فأخبرهم بما أمرهم به ونهاهم عنه ، فما أمسى في ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً وبنوا المساجد وأذنوا بالصلاة .

وقال الإمام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم ثنا سليمان ــ يعني ابن المغيرة ــ عن ثابت عن أنس بن مالك ، قال : كنا نهينا أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل يسأله ونحن نسمع ، فجاء رجل من أهل البادية فقال : يا محمد أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك ، قال : صدق ! قال : فمن خلق السموات ؟ قال :

الله ، قال : فمن خلق الأرض؟ قال : الله ،قال : فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل ؟ قال: الله ، قال : فبالذى خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال آلله أرسلك ؟ قال : نعم ! قال : وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات فى يومنا وليلتنا ؟ قال : صدق ، قال:فبالذى أرسلك آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ! قال : وزعم رسولك أن علينا زكاة فى أموالنا ؟ قال : صدق ، قال فبالذى أرسلك آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ! قال : وزعم رسولك أن علينا صوم شهر فى سنتنا قال : صدق ، قال : فبالذى أرسلك آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ! قال : وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلا ؟ قال : صدق ، قال : ثم ولى فقال : والذى بعثك بالحق لا أزيد عليهن شيئاً ولا أنقص عليهن شيئاً ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « إن صدق ليدخلن الجنة » . وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين وغيرهما بأسانيد وألفاظ كثيرة عن أنس بن مالك رضى الله عنه . وقد رواه مسلم من حديث أبى النضر هاشم بن القاسم عن سليمان بن المغيرة وعلقه البخارى من طريقه وأخرجه من وجه آخر بنحوه . فقال الإمام أحمد حدثنا حجاج ثنا ليث حدثنى سعيد ابن أبى سعيد عن شريك بن عبد الله بن أبى نمر أنه سمع أنس بن مالك يقول : بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوس فى المسجد دخل رجل على جمل فأناخه فى المسجد ثم عقله ، ثم قال : أيكم محمد؟ ورسول الله صلى الله عليه وسلم متكىء بين ظهرانيهم ، قال فقلنا هذا الرجل الأبيض المتكىء ، فقال الرجل : يا ابن عبد المطلب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أجبتك ، فقال الرجل : يا محمد إنى سائلك فمشدد عليك فى المسألة فلا تجد على فى نفسك ، فقال : سل ما بدا لك ؛ فقال الرجل : أنشدك بربك ورب من كان قبلك آلله أرسلك إلى الناس كلهم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم نعم ! » قال : قال : فأنشدك الله آلله أمرك أن نصلى الصلوات الخمس فى اليوم والليلة ؟ قال «اللهم نعم !» قال : فأنشدك الله آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اللهم نعم!» قال: أنشدك الله آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا ؟ فقال«اللهم نعم!». قال الرجل : آمنت بما جئت به وأنا رسول من ورائى من قومى وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بنى سعد بن بكر. وقد رواه البخارى عن عبد الله بن يوسف عن الليث بن سعد عن سعيد المقبرى به، وهكذا رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه عن الليث به . والعجب أن النسائى رواه من طريق آخر عن الليث قال حدثنى ابن عجلان وغيره من أصحابنا عن سعيد المقبرى عن شريك عن أنس بن مالك فذكره، وقد رواه النسائى أيضاً من حديث عبيد الله العمرى عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة فلعله عن سعيد المقبرى من الوجهين جميعاً والله أعلم.

﴿ فصل ﴾

وقد قدمنا ما رواه الإمام أحمد عن يحيى بن آدم عن حفص بن غياث عن داود بن أبى هند عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قدوم ضماد الأزدى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة

قبل الهجرة وإسلامه وإسلام قومه كما ذكرنا مبسوطاً بما أغنى عن إعادته ها هنا ولله الحمد والمنة .

﴿ وفد طيء مع زيد الخيل رضي الله عنه ﴾

وهو زيد بن مهلهل بن زيد بن منهب ، أبو مكنف الطائي ، وكان من أحسن العرب وأطوله رجلا ، وسمى زيد الخيل لخمس أفراس كن له ، قال السهيلي : ولهن أسماء لايحضرني الآن حفظها . - قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد طيء وفيهم زيدالخيل وهو سيدهم فلما انتهوا إليه كلموه وعرض عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام فأسلموا فحسن إسلامهم ؛ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثني من لا أتهم من رجال طيء « ما ذكر رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيته دون مايقال فيه إلا زيد الخيل فإنه لم يبلغ كل الذى فيه» ثم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير وقطع له فيداً وأرضين معه وكتب له بذلك فخرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى قومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن ينج زيد من حمى المدينة فإنه قال » وقد سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم غير الحمى وغير أم ملدم ـ لم يثبته ـ قال : فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه يقال له فردة أصابته الحمى فمات بها ، ولما أحس بالموت قال :

أمرتحل قومي المشارق غدوة وأترك في بيت بفردة منجد

ألا رب يوم لو مرضت لعادني عوائد من لم يبر منهن يجهد(١)

قال : ولما مات عمدت امرأته بجهلها وقلة عقلها ودينها إلى ما كان معه من الكتب فحرقتها بالنار . قلت : وقد ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد أن علي بن أبي طالب بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن بذهيبة في تربتها فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أربعة : زيد الخيل ، وعلقمة بن علاثة ، والأقرع بن حابس ، وعيينة بن بدر ، الحديث ، وسيأتي ذكره في بعث علي إلى اليمن إن شاء الله تعالى .

﴿ قصة عدي بن حاتم الطائي ﴾

قال البخاري في الصحيح : وفد طيء وحديث عدي بن حاتم حدثنا موسى بن اسماعيل ثنا أبو عوانة ثنا عبد الملك بن عمير عن عمرو بن حريث عن عدي بن حاتم قال: أتينا عمر بن الخطاب في وفد فجعل يدعو رجلا رجلا يسميهم ، فقلت : أما تعرفني يا أمير المؤمنين ؟ قال : بلى ،أسلمت إذ كفروا ، وأقبلت إذ أدبروا ، ووفيت إذ غدروا ، وعرفت إذ نكروا ، فقال عدي : لا أبالي إذاً ، وقال ابن اسحاق : وأما عدي بن حاتم فكان يقول فيما بلغني : ما رجل من العرب كان أشد كراهة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به مني ، أما أنا فكنت امرءاً شريفاً وكنت

(١) كذا في الأصول وفي ابن هشام ، وفي معجم البلدان لياقوت :

اُمطلع صحبي المشارق غدوة وأترك في بيت بفردة منجد

هنالك لو أني مرضت لعادني عوائد من لم يشف منهن يجهد

نصرانيا وكنت أسير فى قومى بالمرباع وكنت فى نفسى على دين وكنت ملكا فى قومى لما كان يصنع بى ، فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته فقلت لغلام كان لى عربى وكان راعيا لإبلى لا أبالك أعدد لى من إبلى أجمالا ذللا سمانا فاحتبسها قريبا منى فإذا سمعت بجيش لمحمد قد وطىء هذه البلاد فأذنى ففعل ، ثم إنه أتانى ذات غداة فقال : يا عدى ما كنت صانعا إذا غشيتك خيل محمد فاصنعه الآن ، فإنى قد رأيت رايات فسألت عنها فقالوا هذه جيوش محمد ، قال : قلت : فقرب إلى أجمالى ، فقربها فاحتملت بأهلى وولدى ثم قلت ألحق بأهل دينى من النصارى بالشام فسلكت الجوشية وخلفت بنتا لحاتم فى الحاضر ، فلما قدمت الشام أقمت بها وتخالفنى خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فتصيبت ابنة حاتم فيمن أصابت فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبايا من طىء وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هربى إلى الشام ، قال فجعلت ابنة حاتم فى حظيرة بباب المسجد كانت السبايا تحبس بها فمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقامت إليه وكانت امرأة جزلة . فقالت : يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن على مَنَّ الله عليك . قال : ومن وافدك ؟ قالت عدى بن حاتم ، قال : الفار من الله ورسوله قالت ثم مضى وتركنى حتى إذا كان الغد مربى فقلت له مثل ذلك وقال لى مثل ما قال بالأمس ، قالت حتى إذا كان بعدالغد مربى وقد يئست فأشار إلى رجل خلفه أن قومى فكلميه . قالت فقمت إليه فقلت : يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن على مَنَّ الله عليك ، فقال صلى الله عليه وسلم قد فعلت فلا تعجلى بخروج حتى تجدى من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك ثم آذنينى ، فسألت عن الرجل الذى أشار إلى أن كلميه فقيل لى على بن أبى طالب قالت وأقمت حتى قدم من بلى أو قضاعة قالت وإنما أريد أن آتى أخى بالشام فجئت فقلت يا رسول الله قد قدم رهط من قومى لى فيهم ثقة وبلاغ ، قالت : فكسانى وحملنى وأعطانى نفقة فخرجت معهم حتى قدمت الشام قال عدى فوالله إنى لقاعد فى أهلى فنظرت إلى ظعينة تصوب إلى قومنا قال فقلت ابنة حاتم قال فإذا هى هى فلما وقفت على انسحلت تقول القاطع الظالم احتملت بأهلك وولدك وتركت بقية والدك عورتك ؟ قال قلت أى أخية لا تقولى إلا خيراً فوالله مالى من عذر لقد صنعت ما ذكرت قال ثم نزلت فأقامت عندى فقلت لها وكانت امرأة حازمة ماذا ترين فى أمر هذا الرجل ؟ قالت أرى والله أن تلحق به سريعا فإن يكن الرجل نبيا فللسابق اليه فضله وإن يكن ملكا فلن تزل فى عز اليمن وأنت أنت . قال : قلت والله إن هذا الرأى قال فخرجت حتى أقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخلت عليه وهو فى مسجده فسلمت عليه . فقال : من الرجل ؟ فقلت عدى بن حاتم ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانطلق بى إلى بيته فوالله إنه لعامد بى إليه إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها قال قلت فى نفسى والله ما هذا بملك . قال : ثم مضى بى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا دخل بيته تناول وسادة من أدم محشوة ليفا فقذفها إلى فقال « اجلس على هذه »

قال قلت بل أنت فاجلس عليها . قال « بل أنت » فجلست وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض ، قال قلت فى نفسى والله ما هذا بأمر ملك ، ثم قال « إيه ياعدى بن حاتم ألم تك ركوسيا[1] ؟» قال قلت بلى ! قال« أو لم تكن تسير فى قومك بالمرباع ؟ » قال قلت بلى ! قال « فإن ذلك لم يكن يحل لك فى دينك » قال قلت أجل ! والله . قال وعرفت أنه نبى مرسل يعلم ما يُجْهل ثم قال « لعلك ياعدى إنما يمنعك من دخول فى هذا الدين ما ترى من حاجتهم فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف ، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان فى غيرهم وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم » . قال : فأسلمت ، قال فكان عدى يقول مضت اثنتان وبقيت الثالثة والله لتكونن وقد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت ، ورأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت ، وأيم الله لتكونن الثالثة ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه . هكذا أورد ابن إسحاق رحمه الله هذا السياق بلا إسناد وله شواهد من وجوه أخر . فقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت سماك بن حرب سمعت عباد بن حبيش يحدث عن عدى بن حاتم قال : جاءت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا بعقرب[2] فأخذوا عمتى وناسا فلما أتوا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فصفوا له ، قالت : يا رسول الله بان الوافد وانقطع الولد وأنا عجوز كبيرة ما بى من خدمة فمنّ على منّ الله عليك ، فقال : ومن وافدك قالت عدى ابن حاتم قال الذى فر من الله ورسوله ، قالت فمنّ على فلما رجع ورجل إلى جنبه — نرى أنه على — قال سليه حملانا قال فسألته فأمر لها قال عدى فأتتنى فقالت لقد فعلت فعلة ما كان أبوك يفعلها وقالت إيته راغبا أو راهبا فقد أتاه فلان فأصاب منه وأتاه فلان فأصاب منه ، قال فأتيته فإذا عنده امرأة وصبيان أو صبى فذكر قربهم منه فعرفت أنه ليس ملك كسرى ولا قيصر ، فقال له : يا عدى بن حاتم ما أفرك ؟ أفرك أن يقال لا إله إلا الله فهل من إله إلا الله ، ما أفرك أفرك أن يقال الله أكبر فهل شىء هو أكبر من الله عز وجل ، فأسلمت فرأيت وجهه استبشر وقال إن المغضوب عليهم اليهود وإن الضالين النصارى ، قال ثم سألوه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فلكم أيها الناس أن ترضخوا من الفضل ارتضخ امرؤ بصاع ببعض صاع بقبضة ببعض قبضة قال شعبة — وأكثر علمى أنه قال بتمرة بشق تمرة — وإن أحدكم لاقى الله فقائل ما أقول ألم أجعلك سميعا بصيراً ألم أجعل لك مالاً وولداً فماذا قدمت ؟ فينظر من بين يديه ومن

---

(١) الركوسية : هو دين بين النصارى والصابئين ذكره فى النهاية تفسيرا لهذا الخبر .

(٢) كذا فى الأصول ولعلها عقرباء : كورة من كور دمشق ، ومكان باليمامة .

خلفه وعن يمينه وعن شماله فلا يجد شيئا فما يتقى النار إلا بوجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوه فبكلمة لينة ، إنى لا أخشى عليكم الفاقة لينصرنكم الله وليعطينكم ـ أو ليفتحن عليكم ـ حتى تسير الظعينة بين الحيرة ويثرب ، إن أكثر ما تخاف السرق على ظعينتها . وقد رواه الترمذى من حديث شعبة وعمرو بن أبى قيس كلاهما عن سماك ثم قال حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث سماك . وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا يزيد أنبأنا هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبى عبيدة ـ هو ابن حذيفة ـ عن رجل . قال قلت لعدى بن حاتم : حديث بلغنى عنك أحب أن أسمعه منك قال نعم ! لما بلغنى خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم كرهت خروجه كراهية شديدة فخرجت حتى وقعت ناحية الروم ـ وفى رواية حتى قدمت على قيصر ـ قال فكرهت مكانى ذلك أشد من كراهتى لخروجه قال قلت والله لو أتيت هذا الرجل فإن كان كاذبا لم يضرنى وإن كان صادقا علمت قال فقدمت فأتيته فلما قدمت قال الناس عدى بن حاتم ؟ فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى : ياعدى بن حاتم أسلم تسلم ثلاثا قال قلت إنى على دين . قال : أنا أعلم بدينك منك فقلت أنت تعلم بدينى منى؟ قال نعم ! ألست من الركوسية وأنت تأكل مرباع قومك؟ قلت بلى ! قال فإن هذا لا يحل لك فى دينك قال نعم ! فلم يعد أن قالها فتواضعت لها قال أما إنى أعلم الذى يمنعك من الإسلام تقول إنما اتبعه ضعفة الناس ومن لاقوة لهم وقد رمتهم العرب ، أتعرف الحيرة ؟ قلت : لم أرها وقد سمعت بها قال فوالذى نفسى بيده ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت فى غير جوار أحد ، وليفتحن كنوز كسرى بن هرمز قال قلت كنوز ابن هرمز؟ قال نعم ! كسرى بن هرمز وليبذلن المال حتى لا يقبله أحد . قال عدى بن حاتم : فهذه الظعينة [تخرج] من الحيرة تطوف بالبيت فى غير جوار ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى ، والذى نفسى بيده لتكونن الثالثة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قالها . ثم قال أحمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبى عبيدة بن حذيفة عن رجل . وقال حماد وهشام عن محمد بن أبى عبيدة ولم يذكر عن رجل . قال : كنت أسأل الناس عن حديث عدى بن حاتم وهو إلى جنبى ولا أسأله قال فأتيته فسألته فقال نعم ! فذكر الحديث ، وقال الحافظ أبو بكر البيهقى أنبأنا أبو عمرو الأديب أنبأنا أبو بكر الإسماعيلى أخبرنى الحسن بن سفيان حدثنا إسحاق بن إبراهيم أنبأنا النضر بن شميل أنبأنا إسرائيل أنبأنا سعد الطائى أنبأنا محل بن خليفة عن عدى بن حاتم ، قال : بينا أنا عند النبى صلى الله عليه وسلم إذ أتاه رجل فشكى إليه الفاقة ، وأتاه آخر فشكى إليه قطع السبيل ، قال : ياعدى بن حاتم هل رأيت الحيرة ؟ قلت لم أرها وقد أنبئت عنها قال فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لاتخاف أحـــدا إلا الله عز وجل ، قال قلت فى نفسى فإن دعارطىء ـ

الذين سعروا البلاد — ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى بن هرمز قلت كسرى بن هرمز ؟ قال كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج بملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه ، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه ليس بينه وبينه ترجمان فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن شماله فلا يرى إلا جهنم . قال عدى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا شق تمرة فبكلمة طيبة » قال عدى فقد رأيت الظعينة ترتحل من الكوفة حتى تطوف بالبيت لا تخاف إلا الله عز وجل ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة سترون ما قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم . وقد رواه البخارى عن محمد بن الحكم عن النضر بن شميل به بطوله . وقد رواه من وجه آخر عن سعدان بن بشر عن سعد أبى مجاهد الطائى عن محل بن خليفة عن عدى به . ورواه الإمام أحمد والنسائى من حديث شعبة عن سعد أبى مجاهد الطائى به . وممن روى هذه القصة عن عدى عامر بن شرحبيل الشعبى فذكر نحوه . وقال : لا تخاف إلا الله والذئب على غنمها . وثبت فى صحيح البخارى من حديث شعبة وعند مسلم من حديث زهير بن معاوية كلاهما عن أبى إسحاق عن عبد الله بن معقل بن مقرن المزنى عن عدى بن حاتم . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا النار ولو بشق تمرة » ولفظ مسلم « من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمرة فليفعل » طريق أخرى فيها شاهد لما تقدم وقد قال الحافظ البيهقى أنبأنا أبو عبد الله الحافظ حدثنى أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن يوسف ثنا أبو سعيد عبيد بن كثير ابن عبد الواحد الكوفى ثنا ضرار بن صرد ثنا عاصم بن حميد عن أبى حمزة الثمالى عن عبد الرحمن ابن جندب عن كميل بن زياد النخعى . قال قال على بن أبى طالب : ياسبحان الله ما أزهد كثيرا من الناس فى خير عجبا لرجل يجيئه أخوه المسلم فى الحاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا ، فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا لكان ينبغى له أن يسارع فى مكارم الأخلاق فإنها تدل على سبيل النجاح ، فقام إليه رجل فقال فداك أبى وأمى يا أمير المؤمنين سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال نعم ! وما هو خير منه لما أتى بسبايا طىء وقفت جارية حمراء لعساء ذلفاء عيطاء شماء الأنف معتدلة القامة والهامة درماء الكعبين خدلة الساقين لفاء الفخذين خميصة الخصرين ضامرة الكشحين مصقولة المتنين قال : فلما رأيتها أعجبت بها وقلت لأطلبن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يجعلها فى فيئى فلما تكلمت أنسيت جمالها من فصاحتها . فقالت : يا محمد إن رأيت أن تخلى عنا ولا تشمت بنا أحياء العرب فإنى ابنة سيد قومى وإن أبى كان يحمى الذمار ويفك العانى ويشبع الجائع ويكسو العارى ويقرى الضيف ويطعم الطعام ويفشى السلام ولم يرد طالب حاجة قط ، أنا ابنة حاتم طىء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جارية هذه صفة المؤمنين حقا لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه خلو عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق والله يحب

مكارم الأخلاق ، فقام أبو بردة بن نيار ، فقال : يا رسول الله تحب مكارم الأخلاق [1] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى بيده لا يدخل أحد الجنة إلا بحسن أخلاق » . هذا حديث حسن المتن غريب الإسناد جداً عزيز المخرج وقد ذكرنا ترجمة حاتم طيء أيام الجاهلية عند ذكرنا من مات من أعيان المشهورين فيها وما كان يسديه حاتم إلى الناس من المكارم والإحسان إلا أن نفع ذلك فى الآخرة معذوق بالإيمان [2] وهو ممن لم يقل يوما من الدهر رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين . وقد زعم الواقدى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث على بن أبى طالب فى ربيع الآخر من سنة تسع إلى بلاد طيء فجاء معه بسبايا فيهم أخت عدى بن حاتم وجاء معه بسيفين كانا فى بيت الصنم يقال لأحدهما الرسوب والآخر المخذم كان الحارث بن أبى سمر [3] قد نذرهما لذلك الصنم :

قال البخارى رحمه الله :

﴿ قصه دوس والطفيل بن عمرو ﴾

حدثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن ابن ذكوان ـ هو عبدالله بن زياد ـ [4] عن عبد الرحمن الأعرج عن أبى هريرة قال : جاء الطفيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن دوسا قد هلكت وعصت وأبت فادع الله عليهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم اهد دوسا وأت بهم » ، انفرد به البخارى من هذا الوجه ثم قال حدثنا محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة حدثنا إسماعيل عن قيس عن أبى هريرة قال لما قدمت على النبى صلى الله عليه وسلم قلت فى الطريق :

يا ليلة من طولها وعنائها ... على أنها من دارة الكفر نجت

وأبق لى غلام فى الطريق ، فلما قدمت على النبى صلى الله عليه وسلم وبايعته فبينا أنا عنده إذ طلع الغلام فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم : يا أبا هريرة هذا غلامك فقلت هو حر لوجه الله عز وجل فأعتقته انفرد به البخارى من حديث اسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم وهذا الذى ذكره البخارى من قدوم الطفيل بن عمرو فقد كان قبل الهجرة ثم إن قُدِّر قدومه بعد الهجرة فقد كان قبل الفتح لأن دوسا قدموا ومعهم أبو هريرة وكان قدوم أبى هريرة ورسول الله صلى الله عليه وسلم محاصر خيبر ثم ارتحل أبو هريرة حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر بعد الفتح فرضخ لهم شيئا من الغنيمة وقد قدمنا ذلك كله مطولا فى مواضعه .

قال البخارى رحمه الله :

---

(١) كذا بالأصلين . (٢) أى معلق به كما يفهم من غريب النهاية .

(٣) كذا فى الأصل : وفى التيمورية ابن أبى إسحاق .

(٤) فى التيمورية أبو الزناد وهو الصحيح كما فى الخلاصة .

﴿ قدوم الأشعريين وأهل اليمن ﴾

ثم روى من حديث شعبة عن سليمان بن مهران الأعمش عن ذكوان أبي صالح السمان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبا ، الإيمان يمان ، والحكمة يمانية ، والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل ، والسكينة والوقار في أهل الغنم » ، ورواه مسلم من حديث شعبة ثم رواه البخاري عن أبي اليمان عن شعيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « أتاكم أهل اليمن أضعف قلوبا وأرق أفئدة الفقه يمان ، والحكمة يمانية » ثم روى عن اسماعيل عن سليمان عن ثور عن أبي المغيث عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الإيمان يمان ، والفتنة هاهنا هاهنا يطلع قرن الشيطان » ورواه مسلم عن شعيب عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة . ثم روى البخاري من حديث شعبة عن اسماعيل عن قيس عن أبي مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الإيمان هاهنا ، وأشار بيده إلى اليمن ، والجفاء وغلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذناب الإبل من حيث يطلع قرنا الشيطان ربيعة ومضر » وهكذا رواه البخاري أيضا ومسلم من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي مسعود عقبة بن عمرو . ثم روى من حديث سفيان الثوري عن أبي صخرة جامع بن شداد حدثنا صفوان بن محرز عن عمران بن حصين قال : جاءت بنو تميم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أبشروا يا بني تميم » فقالوا : أما إذا بشرتنا فأعطنا ، فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء ناس من أهل اليمن فقال : «اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم» فقالوا : قبلنا يا رسول الله. وقد رواه الترمذي والنسائي من حديث الثوري به ، وهذا كله مما يدل على فضل وفود أهل اليمن وليس فيه تعرض لوقت وفودهم ووفد بني تميم وإن كان متأخراً قدومهم لا يلزم من هذا أن يكون مقارنا لقدوم الأشعريين بل الأشعريون متقدم وفدهم على هذا فإنهم قدموا صحبة أبي موسى الأشعري في صحبة جعفر بن أبي طالب وأصحابه من المهاجرين الذين كانوا بالحبشة ، وذلك كله حين فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر كما قدمناه مبسوطاً في موضعه ، وتقدم قوله صلى الله عليه وسلم : «والله ما أدري بأيهما أسر أبقدوم جعفر أو بفتح خيبر » والله سبحانه وتعالى أعلم .

قال البخاري :

﴿ قصة عمان والبحرين ﴾

حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا سفيان سمع محمد بن المنكدر سمع جابر بن عبد الله يقول : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو قد جاء مال البحرين لقد أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا » ثلاثا فلم يقدم مال البحرين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قدم على أبي بكر أمر مناديا

فنادى من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم دين أو عِدَة فليأتنى ، قال جابر فجئت أبا بكر فأخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :« لو قد جاء مال البحرين أعطيتك، هكذا وهكذا ثلاثاً » قال : فأعرض عنى ، قال جابر فلقيت أبا بكر بعد ذلك فسألته فلم يعطنى ثم أتيته فلم يعطنى ثم أتيته الثالثة فلم يعطنى فقلت له : قد أتيتك فلم تعطنى ثم أتيتك فلم تعطنى فإما أن تعطنى وإما أن تبخل عنى ، قال قلت : تبخل عنى ؟ قال: وأى داء أدوأ من البخل قالها ثلاثا ، ما منعتك من مرة إلا وأنا أريد أن أعطيك وهكذا رواه البخارى ها هنا وقد رواه مسلم عن عمرو الناقد عن سفيان بن عيينة به ثم قال البخارى بعده : وعن عمرو عن محمد بن على سمعت جابر بن عبد الله يقول : جئته فقال لى أبو بكر عدَّها فعددتها فوجدتها خمسمائة ، فقال : خذ مثلها مرتين وقد رواه البخارى أيضا عن على بن المدينى عن سفيان هو ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن محمد بن على أبى جعفر الباقر عن جابر كروايته له عن قتيبة ورواه أيضا هو ومسلم من طرق أخر عن سفيان ابن عيينة عن عمرو عن محمد بن على عن جابر بنحوه ، وفى رواية أخرى له أنه أمره فحثى بيديه من دراهم فعدها فإذا هى خمسمائة فأضعفها له مرتين، يعنى فكان جملة ما أعطاه ألفا وخمسمائة درهم

﴿ وفود فروة بن مُسَيك المرادى أحد رؤساء قومه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

قال ابن إسحاق : وقدم فروة بن مسيك المرادى مفارقا لملوك كندة ومباعداً لهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بين قومه مراد وبين همدان وقعة قبيل الإسلام أصابت همدان من قومه حتى أثخنوهم وكان ذلك فى يوم يقال له الردم ، وكان الذى قاد همدان إليهم الأجدع بن مالك قال ابن هشام : ويقال مالك بن خريم الهمدانى . قال ابن إسحاق : فقال فروة بن مسيك فى ذلك اليوم:

مررن عَلَى لفات وهن خوص ... ينازعْن الأعنة ينتحينا
فإن نُغْلب فغلابون قدما ... وإن نُغْلب فغير مغلبينا
وما إن طبُّنا جبن ولكن ... منايانا وطعمة آخرينا
كذاك الدهر دولته سجال ... تكر صروفه حينا فحينا
فبينا ما نسر به ونرضى ... ولو لُبست غضارته سنينا
إذا انقلبت به كرات دهر ... فألفى فى الألى غبطوا طحينا
فمن يُغْبط بريب الدهر منهم ... يجد ريب الزمان له خؤونا
فلو خلد الملوك إذاً خلدنا ... ولو بقى الكرام إذاً بقينا
فأفنى ذلكم سروات قومى ... كما أفنى القرون الأولينا

قال ابن إسحاق : ولما توجه فروة بن مسيك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقا ملوك كندة قال :

لما رأيت ملوك كندة أعرضت ... كالرجل خان الرجل عرق نسائها

قربت راحلتي أؤم محمداً ... أرجو فواضلها وحسن ثنائها

قال : فلما انتهى فروة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له — فيما بلغني — « يا فروة هل ساءك ما أصاب قومك يوم الردم ؟ » فقال : يا رسول الله من ذا الذى يصيب قومه ما أصاب قومي يوم الردم لا يسوءه ذلك ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما إن ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلا خيراً » واستعمله على مراد وزبيد ومذحج كلها وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

﴿ قدوم عمرو بن معديكرب في أناس من زبيد ﴾

قال ابن إسحاق : وقد كان عمرو بن معديكرب قال لقيس بن مكشوح المرادي حين انتهى إليهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا قيس إنك سيد قومك وقد ذكر لنا أن رجلا من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز يقال إنه نبي فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه فإن كان نبياً كما يقول فإنه لن يخفى علينا إذا لقيناه اتبعناه وإن كان غير ذلك علمنا علمه ، فأبى عليه قيس ذلك وسفه رأيه ، فركب عمرو بن معديكرب حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، وصدقه وآمن به فلما بلغ ذلك قيس بن مكشوح توعد عمراً وقال خالفني وترك أمري ورأيي ، فقال عمرو ابن معديكرب في ذلك :

أمرتك يوم ذي صنعاء ... أمراً باديا رشده

أمرتك باتقاء الله والمعروف ... تتعده

خرجت من المنى مثل الحمير ... غره وتده

تمناني على فرس ... عليه جالساً أسده

علي مفاضة كالنهي ... أخلص ماءه جدده

ترد الرمح منثني السنان ... عوائراً قصده

فلو لاقيتني للقيت ... ليثاً فوقه لبده

تلاقي شنبثاً شثن البراثن ... ناشراً كتده

يسامي القرن إن قرن ... تيممه فيعتضده

فيأخذه فيرفعه ... فيخفضه فيقتصده

فيدمغه فيحطمه ... فيخضمه فيزدرده

ظلوم الشرك فيما أحرزت ... أنيابه ويده

قال ابن إسحاق فأقام عمرو بن معديكرب فى قومه من بنى زبيد وعليهم فروة بن مسيك فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد عمرو بن معديكرب فيمن ارتد وهجا فروة بن مسيك ، فقال :

وجدنا ملك فروة شر ملك ... حمـــار ساف منخره بثفر
وكنت إذا رأيت أبا عمـــير ... ترى الحولاء من خبث وغدر

قلت : ثم رجع إلى الإسلام وحسن إسلامه وشهد فتوحات كثيرة فى أيام الصديق وعمر الفاروق رضى الله عنهما وكان من الشجعان المذكورين والأبطال المشهورين والشعراء المجيدين توفى سنة إحدى وعشرين بعد ما شهد فتح نهاوند وقيل بل شهد القادسية وقتل يومئذ ، قال أبو عمر بن عبد البر وكان وفوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع وقيل سنة عشر فيما ذكره ابن إسحاق والواقدى ، قلت : وفى كلام الشافعى ما يدل عليه فالله أعلم ، قال يونس : عن ابن إسحاق وقد قيل إن عمرو بن معديكرب لم يأت النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد قال فى ذلك :

إننى بالنبى موقنة نفسـ ... ـى وإن لم أر النبى عيانا
سيد العالمين طراً وأدنا ... هم إلى الله حين بان مكانا
جاء بالناموس من لدن الله و ... كان الأمين فيه المعانا
حكمة بعـــد حكمة وضياء ... فاهتدينا بنورها من عمانا
وركبنا السبيل حين ركبنـ ... ـاه جديداً بكرهنا ورضانا
وعبـــدنا الإله حقا وكنا ... للجهالات نعبـــد الأوثانا
وائتلفنا به وكنا عـــدواً ... فرجعنا به معـــاً إخوانا
فعليه السلام والسلام منا ... حيث كنا من البلاد وكانا
إن نكن لم نر النبى فإنا ... قد تبعنا سبيـــله إيمانا

﴿ قدوم الأشعث بن قيس فى وفد كندة ﴾

قال ابن إسحاق وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الأشعث بن قيس فى وفد كندة فحدثنى الزهرى أنه قدم فى ثمانين راكباً من كندة فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده قد رجلوا جممهم وتكحلوا عليهم جبب الحبرة قد كففوها بالحرير فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم : ألم تسلموا ؟ قالوا بلى ! قال فما بال هذا الحرير فى أعناقكم قال فشقوه منها فألقوه ثم قال له الأشعث بن قيس : يا رسول الله نحن بنو آكل المرار وأنت ابن آكل المرار قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب وربيعة بن الحارث وكانا تاجرين إذ أشاعا فى العرب فسئلا ممن أنتما قالا نحن بنو آكل المرار

يعنى ينتسبان إلى كندة ليعزا فى تلك البلاد لأن كندة كانوا ملوكا ، فاعتقدت كندة أن قريشا منهم لقول عباس وربيعة نحن بنو آكل المرار وهو الحارث بن عمرو[1] بن معاوية بن الحارث ابن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندى ـ ويقال ابن كندة ـ ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم : « لا ، نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفوا أمنا ولا ننتفى من أبينا » ، فقال لهم الأشعث بن قيس والله يا معشر كندة لا أسمع رجلا يقولها إلا ضربته ثمانين ، وقد روى هذا الحديث متصلا من وجه آخر فقال الإمام أحمد حدثنا بهز وعفان قالا حدثنا حماد بن سلمة حدثنى عقيل بن طلحة وقال عفان فى حديثه أنبأنا عقيل بن طلحة السلمى عن مسلم بن هيصم عن الأشعث ابن قيس أنه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد كندة ـ قال عفان[2] ـ لا يرونى أفضلهم ، قال : قلت يا رسول الله : أنا ابن عم إنكم منا ، قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفوا أمنا ولا ننتفى من أبينا » قال : وقال الأشعث فوالله لا أسمع أحداً نفى قريشا من النضر بن كنانة إلا جلدته الحد. وقد رواه ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة عن يزيد بن هارون ، وعن محمد بن يحيى عن سليمان بن حرب ، وعن هارون بن حيان عن عبد العزيز بن المغيرة ثلاثتهم عن حماد بن سلمة به نحوه ، وقال الإمام أحمد حدثنا شريح بن النعمان حدثنا هُشَيم أنبأنا مجالد عن الشعبى حدثنا الأشعث بن قيس ، قال : قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد كندة ، فقال لى : هل لك من ولد ؟ قلت : غلام ولد لى فى مخرجى إليك من ابنة جَمَد ولوددت أن مكانه شِبَع[3] القوم ، قال : لا تقولن ذلك فإن فيهم قرة عين وأجراً إذا قبضوا ثم وانن قلت ذاك إنهم لمجبنة محزنة إنهم لمجبنة محزنة ، تفرد به أحمد وهو حديث حسن جيد الإسناد .

﴿ قدوم أعشى بنى مازن على النبى صلى الله عليه وسلم ﴾

قال عبد الله بن الإمام أحمد حدثنى العباس بن عبد العظيم العنبرى ثنا أبو سلمة عُبيد بن عبد الرحمن الحنفى قال حدثنى الجنيد بن أمين بن ذِروة بن نضلة بن طريف بن نهصل الحرمازى حدثنى ابى أمين عن أبيه ذروة عن أبيه نضلة : أن رجلا منهم يقال له الأعشى واسمه عبد الله

(١) كذا فى الاصلين الحلبية والمصرية وفى التيمورية خلاف كثير فليرجع اليه ، وفى ابن هشام: الحارث بن عمرو بن حجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور إلى آخره .
(٢) فى الحلبية : عثمان ، وفى التيمورية عفان وأحسبه : ابن مسلم بن عبد الله الأنصارى وهو من رواة حماد بن سلمة ومن شيوخ أحمد والله أعلم . (٣) فى الاصلين : ابنة حمد ، سبع القوم والتصحيح من المسند .

الأعور كانت عنده امرأة يقال لها مُعاذة خرج في رجب يمير أهله من هجر فهربت امرأته بعده ناشزا عليه فعاذت برجل منهم يقال له مطرف بن نهشل بن كعب بن قميثع بن دلف بن أهضم ابن عبد الله بن الحرماز[1] فجعلها خلف ظهره فلما قدم لم يجدها في بيته وأخبر أنها نشزت عليه وأنها عاذت بمطرف بن نهشل فأتاه فقال يا ابن عم أعندك امرأتي معاذة فادفعها إلي قال ليست عندي ولو كانت عندي لم أدفعها إليك قال وكان مطرف أعز منه قال فخرج الأعشى حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فعاذ به فأنشأ يقول :

يا سيد النـــاس وديان العرب	إليك أشكو ذربة من الذرب
كالذئبة الغنساء في ظل السرب	خرجت أبغيها الطعام في رجب
فخالفتـــني بنزاع وهرب	أخلفت الوعد ولطت بالذنب
وقذفتني بين عصر مؤتشب	وهن شر غالب لمن غلب

فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك : « وهن شر غالب لمن غلب » ، فشكى إليه امرأته وما صنعت به وأنها عند رجل منهم يقال له مطرف بن نهشل فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم إلى مطرف انظر امرأة هذا معاذة فادفعها إليه ، فأتاه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم فقرئ عليه فقال لها يا معاذة هذا كتاب النبي صلى الله عليه وسلم فيك فأنا دافعك إليه فقالت خذ لي عليه العهد والميثاق وذمة نبيه أن لا يعاقبني فيما صنعت فأخذ لها ذلك عليه ودفعها مطرف إليه فأنشأ يقول :

لعمرك ماحبي معـــاذة بالذي	يغيره الواشي ولا قدم العهد
ولا سوء ما جاءت به إذ أزالها	غواة الرجال إذ يناجونها بعدي

﴿ قدوم صرد بن عبد الله الأزدي في نفر من قومه ثم وفود أهل جرش بعدهم ﴾

قال ابن إسحاق وقدم صرد بن عبد الله الأزدي على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد من الأزد فأسلم وحسن إسلامه وأمَّره رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه وأمَّره أن يجاهد بمن أسلم من يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن فذهب فحاصر جرش وبها قبائل من اليمن وقد ضوت إليهم خثعم حين سمعوا بمسيره إليهم فأقام عليهم قريبا من شهر فامتنعوا فيها منه ثم رجع عنهم حتى إذا كان قريبا من جبل يقال له شكر فظنوا أنه قد ولى عنهم منهزما فخرجوا في طلبه فعطف عليهم فقتلهم قتلا شديدا وقد كان أهل جرش بعثوا منهم رجلين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فبينما هما عنده بعد العصر إذ قال بأي بلاد الله شكر؟ فقام الجرشيان ، فقالا : يا رسول الله ببلادنا جبل يقال له كشر وكذلك تسميه أهل جرش ، فقال : إنه ليس بكشر ولكنه شكر قالا فما شأنه يا رسول الله ؟ فقال : إن بدن الله لتنحر عنده الآن ، قال : فجلس الرجلان إلى أبي بكر أو إلى عثمان ، فقال لهما : ويحكما إن رسول الله

---

(١) في الإصابة : مطرف بن بهصلة بن كعب بن قشع بن دلف بن هضم الخ وليراجع .

صلى الله عليه وسلم الآن لينعى إليكما قومكما فقوما إليه فاسألاه أن يدعو الله فيرفع عن قومكما فقاما إليه فسألاه ذلك فقال : « اللهم ارفع عنهم » فرجعا فوجدا قومهما قد أصيبوا يوم أخبر عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء وفد أهل جرش بمن بقى منهم حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا وحسن إسلامهم وحمى لهم حول قريتهم .

﴿ قدوم رسول ملوك حمير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

قال الواقدى وكان ذلك فى رمضان سنة تسع ، قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله كتاب ملوك حمير ورسلهم بإسلامهم مقدمه من تبوك وهم الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان قيل ذى رعين ومعافر وهمدان وبعث إليه زرعة ذو يزن مالك بن مرة الرهاوى بإسلامهم ومفارقتهم الشرك وأهله ، فكتب إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله النبى إلى الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان قيل ذى رعين ومعافر وهمدان ، أما بعد ذلكم فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو فإنه قد وقع نبأ رسولكم مقلبنا من أرض الروم فلقينا بالمدينة فبلغ ما أرسلتم به وخبرنا ما قبلكم وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين وأن الله قد هداكم بهداه إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من المغانم خمس الله وسهم النبى صلى الله عليه وسلم وصفيه وما كتب على المؤمنين فى الصدقة من العقار عشر ما سقت العين وسقت السماء وعلى ما سقى الغرب نصف العشر وأن فى الإبل فى الأربعين ابنة لبون وفى ثلاثين من الإبل ابن لبون ذكر وفى كل خمس من الإبل شاة وفى كل عشر من الإبل شاتان وفى كل أربعين من البقر بقرة وفى كل ثلاثين تبيع جذع أو جذعة وفى كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة إنها فريضة الله التى فرض على المؤمنين فى الصدقة فمن زاد خيراً فهو خير له ومن أدى ذلك وأشهد على إسلامه وظاهر المؤمنين على المشركين فإنه من المؤمنين له ما لهم وعليه ما عليهم وله ذمة الله وذمة رسوله ، وإنه من أسلم من يهودى أو نصرانى فإنه من المؤمنين له ما لهم وعليه ما عليهم ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يرد عنها وعليه الجزية على كل حالم ذكر وأنثى حر أو عبد دينار واف[1] من قيمة المعافرى أو عرضه[2] ثيابا فمن أدى ذلك إلى رسول الله فإن له ذمة الله وذمة رسوله ومن منعه فإنه عدو لله ولرسوله ، أما بعد فإن رسول الله محمداً النبى أرسل إلى زرعة ذى يزن أن إذا أتاك رسلى فأوصيكم بهم خيراً معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك بن عبادة وعقبة بن نمر ومالك بن مرة وأصحابهم ، وأن اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخاليفكم وأبلغوها رسلى وإن أميرهم معاذ بن جبل فلا

---

(١) فى المصرية : وافر . (٢) فى ابن هشام : أو عوضه ، والمعافرى : برود منسوبة إلى معافر

ينقلبن إلا راضيا ، أما بعد فإن محمداً يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله ثم إن مالك بن مرة الرهاوى قد حدثنى أنك أسلمت من أول حمير وقتلت المشركين. فأبشر بخير وآمرك بحمير خيراً ولا تخونوا ولا تخاذلوا فإن رسول الله هو مولى غنيكم وفقيركم وإن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهل بيته وإنما هى زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل وإن مالكا قد بلغ الخبر وحفظ الغيب فآمركم به خيراً وأنى قد أرسلت إليكم من صالحى أهلى وأولى دينهم وأولى علمهم فآمركم بهم خيراً فإنهم منظور إليهم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا عمارة عن ثابت عن أنس بن مالك أن مالك ذى يزن أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حلة قد أخذها بثلاثة وثلاثين بعيراً أو ثلاثة وثلاثين ناقة ، ورواه أبو داود عن عمرو بن عون الواسطى عن عمارة بن زاذان الصيدلانى عن ثابت البنانى عن أنس به ، وقد رواه الحافظ البيهقى هاهنا ـ حديث كتاب عمرو بن حزم فقال أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو العباس الأصم ثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق حدثنى عبد الله بن أبى بكر عن أبيه أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال هذا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا الذى كتبه لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن يفقه أهلها ويعلمهم السنة ويأخذ صدقاتهم فكتب له كتابا وعهداً وأمره فيه أمره ، فكتب : « بسم الله الرحمن الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من الله ورسوله يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود عهداً من رسول الله لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن أمره بتقوى الله فى أمره كله فإن الله مع الذين اتقوه والذين هم محسنون ، وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله وأن يبشر الناس بالخير ويأمرهم به ، ويعلم الناس القرآن ويفقههم فى الدين ، وأن ينهى الناس فلا يمس أحد القرآن إلا وهو طاهر ، وأن يخبر الناس بالذى لهم والذى عليهم ، ويلين لهم فى الحق ويشتد عليهم فى الظلم فإن الله حرم الظلم ونهى عنه فقال ألا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ، وأن يبشر الناس بالجنة وبعملها وينذر الناس النار وعملها ويستألف الناس حتى يتفقهوا فى الدين ، ويعلم الناس معالم الحج وسننه وفرائضه وما أمره الله به والحج الأكبر الحج والحج الأصغر العمرة ، وأن ينهى الناس أن يصلى الرجل فى ثوب واحد صغير إلا أن يكون واسعا فيخالف بين طرفيه على عاتقيه ، وينهى أن يحتبى الرجل فى ثوب واحد ويفضى بفرجه إلى السماء ولا ينقض شعر رأسه إذا عفى فى قفاه ، وينهى الناس إن كان بينهم هيج أن يدعوا إلى القبائل والعشائر وليكن دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له فمن لم يدع إلى الله ودعى إلى العشائر والقبائل فليعطفوا بالسيف حتى يكون دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له ، ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين وأن يمسحوا رؤوسهم كما أمرهم الله عز وجل ، وأمروا بالصلاة لوقتها وإتمام الركوع والسجود وأن يغلس بالصبح وأن يهجر بالهاجرة

حتى تميل الشمس وصلاة العصر والشمس فى الأرض مبدرة والمغرب حين يقبل الليل لا تؤخر حتى تبدو النجوم فى السماء والعشاء أول الليل ، وأمره أن يأخذ من المغانم خمس الله ما كتب على المؤمنين من الصدقة من العقار فيما سقى الغل[1] وفيما سقت السماء العشر وما سقى الغرب فنصف العشر ، وفى كل عشر من الإبل شاتان وفى عشرين أربع شياه وفى أربعين من البقر بقرة وفى كل ثلاثين من البقر تبيع أو تبيعة جذع أو جذعة وفى كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة فإنها فريضة الله التى افترض على المؤمنين فمن زاد فهو خير له ، ومن أسلم من يهودى أو نصرانى إسلاما خالصاً من نفسه فدان دين الإسلام فإنه من المؤمنين له ما لهم وعليه ما عليهم ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يغير عنها وعلى كل حالم ذكر وأنثى حر أو عبد دينار واف أو عوضه من الثياب فمن أدى ذلك فإن له ذمة الله ورسوله ومن منع ذلك فإنه عدو الله ورسوله والمؤمنين جميعاً ، صلوات الله على محمد والسلام عليه ورحمة الله وبركاته » ، قال الحافظ البيهقى : وقد روى سليمان بن داود عن الزهرى عن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده هذا الحديث موصولا بزيادات كثيرة ونقصان عن بعض ما ذكرناه فى الزكاة والديات وغير ذلك .

قلت : ومن هذا الوجه رواه الحافظ أبو عبد الرحمن النسائى فى سننه مطولا وأبو داود فى كتاب المراسيل وقد ذكرت ذلك بأسانيده وألفاظه فى السنن ولله الحمد والمنة ، وسنذكر بعد الوفود بعث النبى صلى الله عليه وسلم الأمراء إلى اليمن لتعليم الناس وأخذ صدقاتهم وأخماسهم معاذ بن جبل وأبو موسى وخالد بن الوليد وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين .

﴿ قدوم جرير بن عبد الله البجلى وإسلامه ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا أبو قطن حدثنى يونس عن المغيرة بن شبل ، قال : قال جرير : لما دنوت من المدينة أنخت راحلتى ثم حللت عيبتى ثم لبست حلتى ثم دخلت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فرمانى الناس بالحدق ، فقلت لجليسى يا عبد الله هل ذكرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم ! ذكرك بأحسن الذكر بينما هو يخطب إذ عرض له فى خطبته وقال يدخل عليكم من هذا الباب أو من هذا الفج من خير ذى يمن إلا أن على وجهه مسحة مُلك قال جرير فحمدت الله عز وجل على ما أبلانى قال أبو قطن فقلت له سمعته منه أو سمعته من المغيرة بن شبل، قال نعم ! ثم رواه الإمام أحمد عن أبى نعيم وإسحاق بن يوسف وأخرجه النسائى من حديث الفضل بن موسى ثلاثتهم

---

(١) كذا فى المصرية وفى الحلبية العل (بالعين المهملة) وكلاهما خطأ . وفى الخراج ليحيى بن آدم البعل (بالباء والعين المهملة) . وفى بعض روايات هذا الكتاب الغين كما تقدم ولعل ذلك الصواب .

عن يونس عن أبي إسحاق السبيعي عن المغيرة بن شبل ـ ويقال ابن شبيل ـ عن عوف البجلي الكوفي عن جرير بن عبد الله وليس له عنه غيره . وقد رواه النسائي عن قتيبة عن سفيان بن عيينة عن إسماعيل ابن إبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير نصه : « يدخل عليكم من هذا الباب رجل على وجهه مسحة مُلك » الحديث وهذا على شرط الصحيحين . وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن عبيد ثنا إسماعيل عن قيس عن جرير . قال : ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم في وجهي ، وقد رواه الجماعة إلا أبا داود من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عنه . وفي الصحيحين زيادة وشكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أني لا أثبت على الخيل فضرب بيده في صدري . وقال : « اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا » ورواه النسائي عن قتيبة عن سفيان بن عيينة عن إسماعيل عن قيس عنه وزاد فيه ـ يدخل عليكم من هذا الباب رجل على وجهه مسحة ملك ، فذكر نحو ما تقدم .

قال الحافظ البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو عمرو وعثمان بن أحمد السماك حدثنا الحسن بن سلام السواق حدثنا محمد بن مقاتل الخراساني حدثنا حصين بن عمر الأحمسي حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ـ أو قيس بن أبي حازم ـ عن جرير بن عبد الله . قال : بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا جرير لأي شيء جئت؟ قلت أسلم على يديك يا رسول الله قال فألقى على كساء ثم أقبل على أصحابه فقال « إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه » ثم قال يا جرير أدعوك إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وأن تؤمن بالله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وتصلي الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة ففعلت ذلك فكان بعد ذلك لا يراني إلا تبسم في وجهي ، هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد القطان حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله قال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم ، وأخرجاه في الصحيحين من حديث إسماعيل بن أبي خالد به وهو في الصحيحين من حديث زياد بن علاقة عن جرير به وقال الإمام أحمد حدثنا أبو سعيد حدثنا زائدة ثنا عاصم عن سفيان يعني ـ أبا وائل ـ عن جرير ، قال قلت يا رسول الله اشترط علي فأنت أعلم بالشرط قال : « أبايعك على أن تعبد الله وحده لا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتنصح للمسلم ، وتبرأ من الشرك » . ورواه النسائي من حديث شعبة عن الأعمش عن أبي وائل عن جرير وفي طريق أخرى عن الأعمش عن منصور عن أبي وائل عن أبي نخيلة عن جرير به فالله أعلم ، ورواه أيضا عن محمد ابن قدامة عن جرير عن مغيرة عن أبي وائل والشعبي عن جرير به ورواه عن جرير عبد الله ابن عميرة رواه أحمد منفرداً به وابنه عبيد الله بن جرير أحمد أيضا منفرداً به وأبو جميلة وصوابه نخيلة ورواه أحمد أيضاً والنسائي ورواه أحمد أيضا عن غندر عن شعبة عن منصور عن أبي وائل

عن رجل عن جرير فذكره ، والظاهر أن هذا الرجل هو أبو بجيلة البجلي والله أعلم ، وقد ذكرنا بعث النبي صلى الله عليه وسلم له حين أسلم إلى ذى الخلصة بيت كان يعبده خثعم وبجيلة وكان يقال له الكعبة اليمانية يضاهون به الكعبة التي بمكة ويقولون للتي بمكة الكعبة الشامية ولبيتهم الكعبة اليمانية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تريحني من ذى الخلصة ؟ فحينئذ شكى إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يثبت على الخيل فضرب بيده الكريمة في صدره حتى أثرت فيه وقال : « اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا » ، فلم يسقط بعد ذلك عن فرس ونفر إلى ذى الخلصة في خمسين ومائة راكب من قومه من أحمس فخرب ذلك البيت وحرقه حتى تركه مثل الجمل الأجرب ، وبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم بشيرا يقال له أبو أرطاة فبشره بذلك فبرّك رسول الله صلى الله عليه وسلم على خيل أحمس ورجالها خمس مرات والحديث مبسوط في الصحيحين وغيرهما كما قدمناه بعد الفتح استطراداً بعد ذكر تخريب بيت العزى على يدى خالد بن الوليد رضى الله عنه والظاهر أن إسلام جرير رضي الله عنه كان متأخراً عن الفتح بمقدار جيد، فإن الإمام أحمد قال حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا زياد بن عبد الله بن علاثة عن عبد الكريم بن مالك الجزرى عن مجاهد عن جرير بن عبد الله البجلي ، قال : إنما أسلمت بعد ما أنزلت المائدة وأنا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح بعد ما أسلمت ، تفرد به أحمد وهو إسناد جيد اللهم إلا أن يكون منقطعا بين مجاهد وبينه وثبت في الصحيحين أن أصحاب عبد الله بن مسعود كان يعجبهم حديث جرير في مسح الخف لأن إسلام جرير إنما كان بعد نزول المائدة وسيأتي في حجة الوداع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له استنصت الناس يا جرير وإنما أمره بذلك لأنه كان صَيِّتاً وكان ذا شكل عظيم كانت نعله طولها ذراع وكان من أحسن الناس وجها وكان مع هذا من أغض الناس طرفا ، ولهذا روينا في الحديث الصحيح عنه أنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجأة فقال اصرف بصرك .

﴿ وفادة وائل بن حجر بن ربيعة بن وائل بن يعمر الحضرمي ﴾
﴿ ابن هنيد أحد ملوك اليمن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

قال أبو عمر بن عبد البر كان أحد أقيال حضرموت وكان أبوه من ملوكهم ، ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر أصحابه قبل قدومه به وقال يأتيكم بقية أبناء الملوك فلما دخل رحب به وأدناه من نفسه وقرب مجلسه وبسط له رداءه ، وقال : « اللهم بارك في وائل وولده وولد ولده » ، واستعمله على الأقيال من حضرموت وكتب معه ثلاث كتب ، منها كتاب إلى المهاجر بن أبي أمية ، وكتاب الى الأقيال والعياهلة وأقطعه أرضا وأرسل معه معاوية بن أبي سفيان ، فخرج معه راجلا فشكى إليه حر الرمضاء فقال انتعل ظل الناقة فقال وما يغني عني

ذلك لو جعلتني ردفا . فقال له وائل : اسكت فلست من أرداف الملوك ثم عاش وائل بن حجر حتى وفد على معاوية وهو أمير المؤمنين فعرفه معاوية فرحب به وقربه وأدناه وأذكره الحديث وعرض عليه جائزة سنية فأبى أن يأخذها ، وقال أعطها من هو أحوج إليها مني . وأورد الحافظ البيهقي بعض هذا وأشار إلى أن البخاري في التاريخ روى في ذلك شيئاً . وقد قال الإمام أحمد حدثنا حجاج أنبأنا شعبة عن سماك بن حرب عن علقمة بن وائل عن أبيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطعه أرضا قال وأرسل معي معاوية أن أعطيها اياه — أو قال أسلمها اياه — قال فقال معاوية أردفني خلفك فقلت لا تكون من أرداف الملوك قال فقال أعطني نعلك فقلت انتعل ظل الناقة قال فلما استخلف معاوية أتيته فأقعدني معه على السرير فذكرني الحديث — قال سماك — فقال وددت أني كنت حملته بين يدي . وقد رواه أبو داود والترمذي من حديث شعبة وقال الترمذي صحيح .

﴿ وفادة لقيط بن عامر بن المنتفق أبي رَزِين العقيلي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

قال عبد الله بن الإمام أحمد حدثني أبي حدثنا عبد الله كتب إلى ابراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة بن مصعب ابن الزبير الزبيري : كتبت إليك بهذا الحديث وقد عرضته وسمعته على ما كتبت به اليك فحدث بذلك عني . قال حدثني عبد الرحمن بن المغيرة الحزامي حدثني عبد الرحمن بن عياش السمعي الأنصاري القبائي من بني عمرو بن عوف عن دلهم بن الأسود بن عبد الله بن حاجب بن عامر بن المنتفق العقيلي [عن أبيه عن عمه لقيط بن عامر قال دلهم وحدثنيه أبي الأسود عن عاصم بن لقيط أن لقيطا خرج وافداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه صاحب له يقال له نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق][1] قال لقيط فخرجت أنا وصاحبي حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انسلاخ رجب فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافيناه حين انصرف من صلاة الغداة فقام في الناس خطيبا ، فقال : « أيها الناس ألا إني قد خبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام ألا لأسمعنكم ألا فهل من امرئ بعثه قومه » فقالوا أعلم لنا ما يقول رسول الله ألا ثم قال ألا لعله أن يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو يلهيه الضلال ألا إني مسئول هل بلغت ؟ ألا فاسمعوا تعيشوا ألا اجلسوا ألا أجلسوا [قال] فجلس الناس وقمت أنا وصاحبي حتى اذا فرغ لنا فؤاده وبصره قلت يا رسول الله ما عندك من علم الغيب؟ فضحك لعمر الله وهز رأسه وعلم أني ابتغي لسقطه ، فقال : « ضن ربك عز وجل بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله » وأشار بيده قلت وما هي ؟ قال علم المنية قد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه ، وعلم [المني حين يكون في

---

(١) ما بين المربعين لم يرد إلا في الحلبية .

الرحم قد علمه ولا تعلمون وعلم] ما في غد وما أنت طاعم غداً ولا تعلمه ، وعلم يوم الغيث يشرف عليكم أزلين مسنتين[١] فيظل يضحك قد علم أن غيركم إلى قريب » : قال لقيط : قلت لن نعدم من رب يضحك خيراً - وعلم يوم الساعة ، قلنا : يا رسول الله علمنا مما لا يعلم الناس ومما تعلم ، فإنا من قبيل لا يصدقون تصديقنا أحد ، من مذحج التي تربو علينا وخثعم التي توالينا وعشيرتنا التي نحن منها[٢] ، قال : تلبثون ما لبثتم ثم يتوفى نبيكم ثم تلبثون ما لبثتم ثم تبعث الصائحة لعمر إلهك ما تدع على ظهرها من شيء إلا مات والملائكة الذين مع ربك فأصبح ربك عز وجل يطوف بالأرض وقد خلت عليه البلاد فأرسل ربك السماء تهضب من عند العرش فلعمر إلهك ما تدع على ظهرها من مصرع قتيل ولا مدفن ميت إلا شقت القبر عنه حتى تخلقه من عند رأسه ، فيستوي جالسا فيقول ربك عز وجل مهيم - لما كان فيه - فيقول يارب أمس اليوم فلعهده بالحياة يحسبه حديثا بأهله ، قلت : يا رسول الله كيف يجمعنا بعد ما تفرقنا الرياح والبلى والسباع؟ فقال : أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله الأرض أشرفت عليها وهي مدرة بالية فقلت لا تحيى أبداً ثم أرسل ربك عليها السماء فلم تلبث عليك [إلا] أياما حتى أشرفت عليها وهي شربة[٣] واحدة فلعمر إلهك لهو أقدر على أن يجمعكم من الماء على أن يجمع نبات الأرض فتخرجون من الأصواء[٤] ومن مصارعكم فتنظرون إليه وينظر إليكم . قال : قلت يا رسول الله وكيف ونحن ملء الأرض وهو عز وجل شخص واحد ينظر إلينا وننظر إليه ؟ فقال : أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونها ويريانكم ساعة واحدة لا تضارون في رؤيتهما . ولعمر إلهك لهو أقدر على أن يراكم وترونه من أن ترونهما ويريانكم لا تضارون في رؤيتهما . قلت : يا رسول الله فما يفعل [بنا] ربنا إذا لقيناه ؟ قال : تعرضون عليه بادية صحائفكم ، لا يخفى عليه منكم خافية ، فيأخذ ربك عز وجل بيده غرفة من الماء فينضح قبلكم بها ، فلعمر إلهك ما يخطىء وجه أحدكم منها قطرة ، فأما المسلم فتدع على وجهه مثل الريطة[٥] البيضاء ، وأما الكافر فتخطمه بمثل الحمم[٦] الأسود ، ألا ثم ينصرف نبيكم وينصرف على أثره الصالحون فتسلكون جسراً من النار ، فيطأ أحدكم الجمر[ة] فيقول حس ، فيقول ربك عز وجل أوانه[٧] . فتطالعون

---

(١) كذا في الحلبية : والازل الشدة . وفي المصرية مشفقين بدل مسنتين . وفي مسند احمد : آزلين آدلين مشفقين وكتب مصححه عليها علامة التوقف . (٢) كذا في الاصول وفي مسند احمد قلت يارسول الله علمنا مما تعلم الناس وما تعلم فانا من قبيل لا يصدقون تصديقنا أحد من مذحج التي تربؤ (كذا بالهمزة) علينا إلى قوله : فاصبح ربك يطيف في الارض وخلت عليه البلاد .

(٣) الشربة : الحنظلة الخضراء .

(٤) الأصواء : القبور .

(٥) الريطة : كل ثوب لين رقيق . (٦) الحمم : الفحم .

(٧) كذا في الاصلين والمسند مع علامة التوقف والاوان : الحين والزمان .

على حوض الرسول على أظماء[1] والله ناهلة عليها ما رأيتها قط ، فلعمر إلهك لا يبسط واحد منكم يده إلا وقع عليها قدح يطهره من الطوف[2] والبول والأذى وتحبس الشمس والقمر فلا ترون منهما واحداً ، قال : قلت يا رسول الله فبم نبصر ؟ قال : مثل بصرك ساعتك هذه ، وذلك مع طلوع الشمس فى يوم أشرقته الأرض وواجهته الجبال . قال : قلت يا رسول الله فيم نجزى من سيئاتنا وحسناتنا ؟ قال : الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها إلا أن يعفو . قال : قلت يا رسول الله إما الجنة وإما النار ؟ قال : لعمر إلهك إن للنار سبعة أبواب ما منهن [بابان] إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما [وإن للجنة لثمانية أبواب ما منها بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما] قلت : يا رسول الله فعلام نطالع من الجنة ؟ قال : على أنهار من عسل مصفى وأنهار من كأس ما بها من صداع ولا ندامة وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن وفاكهة لعمر إلهك ما تعلمون وخير من مثله معه وأزواج مطهرة . قلت : يا رسول الله ولنا فيها أزواج أو منهن مصلحات ؟ قال : الصالحات للصالحين تلذونهم مثل لذاتكم فى الدنيا ويلذونكم غير أن لا توالد . قال لقيط : قلت أقصى ما نحن بالغون ومنتهون إليه [فلم يجبه النبى صلى الله عليه وسلم] قلت : يا رسول الله علام أبايعك ؟ فبسط [النبى] يده وقال : على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وزيال الشرك وأن لا تشرك بالله إلها غيره . قال : قلت وإن لنا ما بين المشرق والمغرب ، فقبض النبى صلى الله عليه وسلم يده وبسط أصابعه وظن أنى مشترط شيئا لا يعطنيه ، قال قلت : نحل منها حيث شئنا ولا يجنى منها امرؤ إلا على نفسه ، فبسط يده وقال : ذلك لك تحل حيث شئت ولا تجنى عليك إلا نفسك قال : فانصرفنا عنه ، ثم قال : إن هذين من أتقى الناس [لعمر إلهك فى] الأولى والآخرة ، فقال له كعب بن الخُدَارية أحد بنى كلاب منهم : يا رسول الله بنو المنتفق أهل ذلك منهم ؟ قال : فانصرفنا وأقبلت عليه وذكر تمام الحديث إلى أن قال فقلت : يا رسول الله هل لأحد ممن مضى خير فى جاهليته ؟ قال فقال رجل من عرض قريش : والله إن أباك المنتفق لفى النار ، قال فلكأنه وقع حر بين جلدتى وجهى ولحمى مما قال لأبى على رءوس الناس ، فهممت أن أقول : وأبوك يا رسول الله ، ثم إذا الأخرى أجمل فقلت : يارسول الله وأهلك ؟ قال : وأهلى لعمر الله ، ما أتيت [عليه] من قبر عامرى أو قرشى من مشرك فقل أرسلنى إليك محمد فأبشرك بما يسوءك ، تجر على وجهك وبطنك فى النار ، قال قلت : يا رسول الله ما فعل بهم ذلك ، وقد كانوا على عمل لا يحسنون إلا إياه ، وقد كانوا يحسبون أنهم مصلحون ؟ قال : ذلك بأن الله [تعالى] يبعث فى آخر كل سبع أمم — يعنى نبيًّا — فمن عصى نبيه كان من الضالين ، ومن أطاع نبيه كان من المهتدين . هذا حديث غريب جداً ، وألفاظه فى بعضها نكارة وقد

(١) فى الحلبية أصباء والمصرية اطما والمسند اظمأ .

(٢) الطوف : الحدث ، وجميع الألفاظ المفسرة فيه من النهاية .

أخرجه الحافظ البيهقي في كتاب البعث والنشور ، وعبد الحق الإشبيلي في العاقبة ، والقرطبي في كتاب التذكرة في أحوال الآخرة ، وسيأتي في كتاب البعث والنشور إن شاء الله تعالى .

﴿ وفادة زياد بن الحارث الصدائي رضي الله عنه ﴾

قال الحافظ البيهقي أنبأنا أبو أحمد الأسداباذي بها أنبأنا أبو بكر بن مالك القطيعي حدثنا أبو على بشر بن موسى حدثنا أبو عبد الرحمن المقرىء عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم حدثني زياد بن نعيم الحضرمي سمعت زياد بن الحارث الصدائي يحدث قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته على الإسلام فأخبرت أنه قد بعث جيشاً إلى قومي فقلت: يارسول الله أردد الجيش وأنا لك بإسلام قومي وطاعتهم. فقال لي اذهب فردهم ، فقلت : يارسول الله إن راحلتي قد كلت ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فردهم ، قال الصدائي : وكتبت إليهم كتابا فقدم وفدهم بإسلامهم ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أخا صداء إنك لمطاع في قومك ، فقلت : بل الله هداهم للاسلام ، فقال: أفلا أؤمِّرك عليهم ، قلت : بلى يا رسول الله ، قال : فكتب لي كتابا أمرني ، فقلت : يا رسول الله مر لي بشيء من صدقاتهم ، قال : نعم ! فكتب لي كتابا آخر ، قال الصدائي : وكان ذلك في بعض أسفاره ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا فأتاه أهل ذلك المنزل يشكون عاملهم ويقولون أخذنا بشيء كان بيننا وبين قومه في الجاهلية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أوفعل ذلك ؟ قالوا : نعم ! فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وأنا فيهم ، فقال : « لا خير في الإمارة لرجل مؤمن » قال الصدائي : فدخل قوله في نفسي ، ثم أتاه آخر فقال : يا رسول الله أعطني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سأل الناس عن ظهر غنى فصداع في الرأس وداء في البطن » فقال السائل : أعطني من الصدقة ، فقال رسول الله « إن [الله] لم يرض في الصدقات بحكم نبي ولا غيره حتى حكم هو فيها فجزأها ثمانية أجزاء ، فإن كنت من تلك الاجزاء أعطيتك » قال الصدائي : فدخل في نفسي أني غني وأني سألته من الصدقة ، قال : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتشى من أول الليل فلزمته وكنت قريباً فكان أصحابه ينقطعون عنه ويستأخرون منه ولم يبق معه أحد غيري ، فلما كان أوان صلاة الصبح أمرني فأذنت فجعلت أقول أقيم يا رسول الله ؟ فجعل ينظر ناحية المشرق إلى الفجر ويقول لا حتى إذا طلع الفجر نزل فتبرز ثم انصرف إلي وهو متلاحق أصحابه فقال : هل من ماء يا أخا صداء ؟ قلت : لا ، إلا شيء قليل لا يكفيك ، فقال : اجعله في إناء ثم ائتني به ، ففعلت فوضع كفه في الماء ، قال : فرأيت بين أصبعين من أصابعه عيناً تفور فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لولا أني أستحي من ربي عز وجل لسقينا واستقينا » ناد في أصحابي من له حاجة في الماء فناديت فيهم فأخذ من أراد منهم شيئا ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة فأراد بلال أن يقيم فقال له رسول الله إن أخا

صداء أذّن ومن أذن فهو يقيم» ، قال الصدائى فأقمت فلما قضى رسول الله الصلاة أتيته بالكتابين فقلت : يا رسول الله اعفنى من هذين ، فقال : ما بدا لك ؟ فقلت سمعتك يا رسول الله تقول : لا خير فى الإمارة لرجل مؤمن وأنا أومن بالله وبرسوله ، وسمعتك تقول للسائل : من سأل الناس عن ظهر غنى فهو صداع فى الرأس وداء فى البطن ، وسألتك وأنا غنى ، فقال : هو ذاك فإن شئت فاقبل وإن شئت فدع ، فقلت : أدع ، فقال لى رسول الله فدلنى على رجل أؤمره عليكم فدللته على رجل من الوفد الذين قدموا عليه فأمره عليهم ، ثم قلنا يا رسول الله إن لنا بئراً إذا كان الشتاء وسعنا ماؤها واجتمعنا عليها وإذا كان الصيف قل ماؤها فتفرقنا على مياه حولنا فقد أسلمنا وكل من حولنا عدو فادع الله لنا فى بئرنا فيسعنا ماؤها فنجتمع عليه ولا نتفرق ! فدعا سبع حصيات فعركهن بيده ودعا فيهن ، ثم قال : اذهبوا بهذه الحصيات فإذا أتيتم البئر فألقوا واحدة واحدة واذكروا الله ، قال الصدائى : ففعلنا ما قال لنا فما استطعنا بعد ذلك أن ننظر إلى قعرها يعنى البئر ، وهذا الحديث له شواهد فى سنن أبى داود والترمذى وابن ماجه ، وقد ذكر الواقدى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعث بعد عمرة الجعرانة قيس بن سعد بن عبادة فى أربعمائة إلى بلاد صداء فيوطئها ، فبعثوا رجلا منهم ، فقال : جئتك لترد عن قومى الجيش وأنا لك بهم ثم قدم وفدهم خمسة عشر رجلا ، ثم رأى منهم حجة الوداع مائة رجل ، ثم روى الواقدى عن الثورى عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن زياد بن نعيم عن زياد بن الحارث الصدائى قصته فى الآذان .

﴿ وفادة الحارث بن حسان البكرى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثنى أبو المنذر سلام بن سليمان النحوى حدثنا عاصم ابن أبى النجود عن أبى وائل عن الحارث البكرى ، قال : خرجت أشكو العلاء بن الحضرمى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررت بالربذة فإذا عجوز من بنى تميم منقطع بها ، فقالت : يا عبد الله إن لى إلى رسول الله حاجة فهل أنت مبلغى إليه ؟ قال فحملتها فأتيت المدينة فإذا المسجد غاص بأهله وإذا راية سوداء تخفق وبلال متقلد السيف بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ما شأن الناس ؟ قالوا : يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجها ، قال فجلست فدخل منزله أو قال رحله فاستأذنت عليه فأذن لى فدخلت فسلمت ، فقال : هل كان بينكم وبين تميم شىء ؟ قلت نعم ! وكانت الدائرة عليهم ومررت بعجوز من بنى تميم منقطع بها فسألتنى أن أحملها إليك وها هى بالباب فأذن لها فدخلت ، فقلت : يا رسول الله إن رأيت أن تجعل بيننا وبين تميم حاجزاً فاجعل الدهناء ، فحميت العجوز واستوفزت وقالت : يا رسول الله أين تضطر مضرك ؟ قال قلت إن مثلى ما قال الأول معزى حملت حتفها حملت هذه ولا أشعر أنها كانت لى خصما أعوذ بالله

ورسوله أن أكون كوافد عاد ، قالت هي : وما وافد عاد ؟ وهي أعلم بالحديث منه ، ولكن تستطعمه ، قلت : إن عاداً قحطوا فبعثوا وافداً لهم يقال له قيل فمر بمعاوية بن بكر فأقام عنده شهراً يسقيه الخمر وتغنيه جاريتان يقال لهما الجرادتان فلما مضى الشهر خرج إلى جبال مهرة فقال : اللهم إنك تعلم لم أجيء إلى مريض فأداويه ، ولا إلى أسير فأفاديه ، اللهم اسق عاداً ما كنت تسقيه ، فمرت به سحابات سود فنودي منها اختر فأومأ إلى سحابة منها سوداء فنودي منها : خذها رماداً رمدداً ، لا تبقي من عاد أحداً ، قال : فما بلغني أنه أرسل عليهم من الريح إلا بقدر ما يجري في خاتمي هذا حتى هلكوا قال - أبو وائل وصدق - وكانت المرأة أو الرجل إذا بعثوا وافداً لهم قالوا لا يكن كوافد عاد ، وقد رواه الترمذي والنسائي من حديث أبي المنذر سلام بن سليمان به ، ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي بكر ابن عياش عن عاصم بن أبي النجود عن الحارث البكري ولم يذكر أبا وائل وهكذا رواه الإمام أحمد عن أبي بكر بن عياش عن عاصم عن الحارث والصواب عن عاصم عن أبي وائل عن الحارث كما تقدم .

﴿ وفادة عبد الرحمن بن أبي عقيل مع قومه ﴾

قال أبو بكر البيهقي أنبأنا أبو عبد الله إسحاق بن محمد بن يوسف السوسي أنبأنا أبو جعفر محمد ابن محمد بن عبد الله البغدادي أنبأنا علي بن الجعد [ثنا] عبد العزيز ثنا أحمد بن يونس ثنا زهير ثنا أبو خالد يزيد الأسدي ثنا عون بن أبي جحيفة عن عبد الرحمن بن علقمة الثقفي عن عبد الرحمن بن أبي عقيل ، قال : انطلقت في وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيناه فأنخنا بالباب وما في الناس رجل أبغض إلينا من رجل نلج عليه ، فلما دخلنا وخرجنا فما في الناس رجل أحب إلينا من رجل دخلنا عليه ، قال : فقال قائل منا : يا رسول الله ألا سألت ربك ملكاً كملك سليمان؟ قال: فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « فلعل صاحبك عند الله أفضل من ملك سليمان إن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا أعطاه دعوة فمنهم من اتخذها دنيا فأعطيها ، ومنهم من دعابها على قومه إذا عصوه فأهلكوا بها ، وإن الله أعطاني دعوة فاختبأتها عند ربي شفاعة لأمتي يوم القيامة » .

﴿ قدوم طارق بن عبد الله وأصحابه ﴾

روى الحافظ البيهقي من طريق أبي جناب الكلبي عن جامع بن شداد المحاربي حدثني رجل من قومي يقال له طارق بن عبد الله ، قال : إني لقائم بسوق ذي المجاز إذ أقبل رجل عليه جبة وهو يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » ورجل يتبعه يرميه بالحجارة وهو يقول : « يا أيها الناس إنه كذاب» فقلت من هذا ؟ فقالوا : هذا غلام من بني هاشم يزعم أنه رسول الله

قال : قلت من هذا الذى يفعل به هذا ؟ قالوا : هذا عمه عبد العزى، قال فلما أسلم الناس وهاجروا خرجنا من الربذة نريد المدنية نمتار من تمرها فلما دنونا من حيطانها ونخلها قلت لو نزلنا فلبسنا ثيابا غير هذه إذا رجل فى طمرين فسلم علينا وقال من أين أقبل القوم قلنا من الربذة قال وأين تريدون قلنا نريد هذه المدينة ، قال ما حاجتكم منها قلنا نمتار من تمرها قال ومعنا ظعينة لنا ومعنا جمل أحمر مخطوم ، فقال : أتبيعونى جملكم هذا ؟ قلنا نعم ! بكذا وكذا صاعا من تمر قال فما استوضعنا مما قلنا شيئاً وأخذ بخطام الجمل وانطلق ، فلما توارى عنا بحيطان المدينة ونخلها قلنا ما صنعنا والله ما بعنا جملنا ممن نعرف ولا أخذنا له ثمنا قال تقول المرأة التى معنا والله لقد رأيت رجلا كأن وجهه شقة القمر ليلة البدر أنا ضامنة لثمن جملكم ، إذ أقبل الرجل ، فقال : [أنا] رسول الله إليكم هذا تمركم فكلوا واشبعوا واكتالوا واستوفوا ، فأكلنا حتى شبعنا واكتلنا فاستوفينا ثم دخلنا المدينة فدخلنا المسجد فإذا هو قائم على المنبر يخطب الناس فأدركنا من خطبته وهو يقول : « تصدقوا فإن الصدقة خير لكم ، اليد العليا خير من اليد السفلى ، أمك وأباك وأختك وأخاك وأدناك أدناك ، إذ أقبل رجل من بنى يربوع أو قال رجل من الأنصار فقال : يارسول الله لنا فى هؤلاء دماء فى الجاهلية ، فقال : « إن أبا لايجنى على ولد ثلاث مرات[1] » وقد روى النسائى فضل الصدقة منه عن يوسف بن عيسى عن الفضل بن موسى عن يزيد بن زياد بن أبى الجعد عن جامع بن شداد عن طارق بن عبد الله المحاربى ببعضه ، ورواه الحافظ البيهقى أيضاً عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن يزيد بن زياد عن جامع ابن طارق بطوله كما تقدم ، وقال فيه فقالت الظعينة : لا تلاوموا فلقد رأيت وجه رجل لا يغدر ما رأيت شيئاً أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه .

﴿ قدوم وافد فروة بن عمرو الجذامى صاحب بلاد معان بإسلامه ﴾
﴿ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأظن ذلك إما بتبوك أو بعدها ﴾ .

قال ابن إسحاق وبعث فروة بن عمرو بن النافرة الجذامى ثم النفاثى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا بإسلامه وأهدى له بغلة بيضاء ، وكان فروة عاملا للروم على من يليهم من العرب وكان منزله معان وما حولها من أرض الشام ، فلما بلغ الروم ذلك من إسلامه طلبوه حتى أخذوه فحبسوه عندهم ، فقال فى محبسه ذلك :

طرقت سليمى موهنا أصحابى ... والروم بين الباب والقروان
صد الخيال وساءه ما قد رأى ... وهممت أن أغفى وقد أبكانى

---

(١) كذا فى المصرية وفى الحلبية على والد .

لا تكحلان العين بعدى إثمدا سلمى ولا تدين للاتيان[1]
ولقد علمت أبا كبيشة أننى وسط الأعزة لا يحص لسانى
فلئن هلكت لتفقدن أخاكم ولئن بقيت ليعرفن مكانى
ولقد جمعت أجل ما جمع الفتى من جودة وشجاعة وبيان

قال فلما أجمعت الروم على صلبه على ماء لهم يقال له عفرى بفلسطين ، قال :

ألا هل أتى سلمى بأن حليلها على ماء عفرى فوق إحدى الرواحل
على ناقة لم يضرب الفحل أمها يشد به[2] أطرافها بالمناجل

قال وزعم الزهرى أنهم لما قدموه ليقتلوه قال :

بلغ سراة المسلمين بأننى سلم لربى أعظمى ومقامى

قال ثم ضربوا عنقه وصلبوه على ذلك الماء رحمه الله ورضى عنه وأرضاه وجعل الجنة مثواه .

﴿ قدوم تميم الدارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإخباره إياه بأمر الجساسة ﴾
﴿ وما سمع من الدجال فى خروج النبى صلى الله عليه وسلم وإيمان من آمن به ﴾

أخبرنا أبو عبد الله سهل بن محمد بن نصرويه المروزى بنيسابور أنبأنا أبو بكر محمد بن أحمد ابن الحسن القاضى أنبأنا أبو سهل أحمد بن محمد بن زياد القطان حدثنا يحيى بن جعفر بن الزبير أنبأنا وهب بن جرير حدثنا أبى سمعت غيلان بن جرير يحدث عن الشعبى عن فاطمة بنت قيس، قالت : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم تميم الدارى فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ركب البحر فتاهت به سفينته فسقطوا إلى جزيرة فخرجوا إليها يلتمسون الماء فلقى إنسانا يجر شعره ، فقال له من أنت ؟ قال : أنا الجساسة قالوا فأخبرنا قال لا أخبركم ولكن عليكم بهذه الجزيرة ، فدخلناها فإذا رجل مقيد ، فقال : من أنتم ؟ قلنا ناس من العرب قال ما فعل هذا النبى الذى خرج فيكم ؟ قلنا : قد آمن به الناس واتبعوه وصدقوه ، قال : ذلك خير لهم قال أفلا تخبرونى عن عين زغر ما فعلت ؟ فأخبرناه عنها فوثب وثبة كاد أن يخرج من وراء الجدار ، ثم قال : ما فعل نخل بيسان هل أطعم بعد فأخبرناه أنه قد أطعم فوثب مثلها ، ثم قال أما لو قد أذن لى فى الخروج لوطئت البلاد كلها غير طيبة ، قالت : فأخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدث الناس فقال هذه طيبة وذاك الدجال ، وقد روى هذا الحديث الإمام أحمد ومسلم وأهل السنن من طرق عن عامر بن شراحيل الشعبى عن فاطمة بنت قيس وقد أورد له الإمام أحمد شاهداً من رواية أبى هريرة وعائشة أم المؤمنين وسيأتى هذا الحديث بطرقه وألفاظه فى كتاب الفتن ، وذكر الواقدى وفد الدارس من لخم وكانوا عشرة .

---

(١) كذا فى الحلبية وابن هشام وفى المصرية يدمن للاتيكانى . (٢) فى ابن هشام مشذبة .

﴿ وفد بنى أسد ﴾

وهكذا ذكر الواقدى : أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول سنة تسع وفد بنى أسد وكانوا عشرة ؛ منهم ضرار بن الأزور ، ووابصة بن معبد ، وطليحة بن خويلد الذى ادعى النبوة بعد ذلك ثم أسلم وحسن إسلامه ، ونفادة بن عبد الله بن خلف[1] ، فقال له رئيسهم حضرمى بن عامر : يا رسول الله أتيناك نتدرع الليل البهيم فى سنة شهباء ولم تبعث إلينا بعثا ، فنزل فيهم (يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين) ، وكان فيهم قبيلة يقال لهم بنو الزنية فغير اسمهم ، فقال : أنتم بنو الرِّشْدَة ، وقد استهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفادة بن عبد الله بن خلف ناقة تكون جيدة للركوب وللحلب من غير أن يكون لها ولد معها فطلبها فلم يجدها إلا عند ابن عم له فجاء بها فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلبها فشرب منها وسقاه سؤره ، ثم قال : « اللهم بارك فيها وفيمن منحها » ، فقال : يا رسول الله وفيمن جاء بها ، فقال : « وفيمن جاء بها » .

﴿ وفد بنى عبس ﴾

ذكر الواقدى : أنهم كانوا تسعة نفر وسماهم الواقدى ، فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم : « أنا عاشركم » وأمر طلحة بن عبيد الله فعقد لهم لواء وجعل شعارهم ياعشرة ، وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سألهم عن خالد بن سنان العبسى الذى قدمنا ترجمته فى أيام الجاهلية فذكروا أنه لا عقب له وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثهم يرصدون عيراً لقريش قدمت من الشام وهذا يقتضى تقدم وفادتهم على الفتح والله أعلم .

﴿ وفد بنى فزارة ﴾

قال الواقدى : حدثنا عبد الله بن محمد بن عمر الجمحى عن أبى وجزة السعدى ، قال : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك ، وكان سنة تسع قدم عليه وفد بنى فزارة بضعة عشر رجلا فيهم : خارجة بن حصن ، والحارث بن قيس بن حصن ، وهو أصغرهم على ركاب عجاف ، فجاؤا مقرين بالإسلام ، وسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بلادهم ، فقال أحدهم : يا رسول الله أسنتت بلادنا وهلكت مواشينا وأجدب جنابنا وغرث عيالنا ، فادع الله لنا فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر ودعا ، فقال : « اللهم اسق بلادك وبهائمك وانشر رحمتك وأحى بلدك الميت ، اللهم اسقنا غيثا مغيثاً مريا مريعاً طبقا واسعاً عاجلا غير آجل نافعا غير ضار ، اللهم اسقنا سقيا رحمة ولا تسقنا سقيا عذاب ولا هدم ، ولا غرق ، ولا محق ، اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الأعداء » ، قال : فمطرت فما رأوا السماء سبتا ، فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فدعا ،

---

(١) فى الإصابة ذكره بالفاء كما هنا ثم قال يأتى بالقاف وترجمه بالقاف أى سماه نقادة .

وقال : « اللهم حوالينا ولا علينا على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر فانجابت السماء عن المدينة انجياب الثوب » .

﴿ وفد بنى مرة ﴾

ذكر الواقدى : أنهم قدموا سنة تسع عند مرجعه من تبوك وكانوا ثلاثة عشر رجلا منهم الحارث بن عوف ، فأجازهم عليه السلام بعشر أواق من فضة وأعطى الحارث بن عوف ثنتى عشرة أوقية ، وذكروا أن بلادهم مجدبة فدعا لهم ، فقال : « اللهم اسقهم الغيث » ، فلما رجعوا إلى بلادهم وجدوها قد مطرت ذلك اليوم الذى دعا لهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

﴿ وفد بنى ثعلبة ﴾

قال الواقدى : حدثنى موسى بن محمد بن إبراهيم عن رجل من بنى ثعلبة عن أبيه ، قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة سنة ثمان ، قدمنا عليه أربعة نفر فقلنا نحن رسل مَنْ خلفنا من قومنا وهم يقرون بالإسلام ، فأمر لنا بضيافة وأقمنا أياما ثم جئناه لنودعه ، فقال : لبلال أجزهم كما تجيز الوفد فجاء بنقرة من فضة فأعطى كل رجل منا خمس أواق وقال ليس عندنا دراهم وانصرفنا إلى بلادنا .

﴿ وفادة بنى محارب ﴾

قال الواقدى : حدثنى محمد بن صالح عن أبى وجزة السعدى ، قال : قدم وفد محارب سنة عشر فى حجة الوداع وهم عشرة نفر فيهم سواء بن الحارث ، وابنه خزيمة بن سواء فأنزلوا دار رملة بنت الحارث ، وكان بلال يأتيهم بغداء وعشاء فأسلموا وقالوا نحن على مَنْ وراءنا ولم يكن أحد فى تلك المواسم أفظ ولا أغلظ على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ، وكان فى الوفد رجل منهم فعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : الحمد لله الذى أبقانى حتى صدقت بك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن هذه القلوب بيد الله عز وجل » ومسح رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه خزيمة بن سواء فصارت غرة بيضاء وأجازهم كما يجيز الوفد وانصرفوا إلى بلادهم .

﴿ وفد بنى كلاب ﴾

ذكر الواقدى : أنهم قدموا سنة تسع وهم ثلاثة عشر رجلا ، فيهم لبيد بن ربيعة الشاعر ، وجبار بن سلمى وكان بينه وبين كعب بن مالك خلة فرحب به وأكرمه وأهدى إليه ، وجاؤا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه بسلام الإسلام وذكروا له أن الضحاك بن سفيان الكلابى سار فيهم بكتاب الله وسنة رسوله التى أمره الله بها ودعاهم إلى الله فاستجابوا له وأخذ صدقاتهم من أغنيائهم فصرفها على فقرائهم .

﴿ وفد بنى رؤاس من كلاب (1) ﴾

ثم ذكر الواقدى : أن رجلا يقال له عمرو بن مالك بن قيس بن بجيد بن رؤاس بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ثم رجع إلى قومه فدعاهم إلى الله فقالوا حتى نصيب من بنى عقيل مثل ما أصابوا منا فذكر مقتلة كانت بينهم وأن عمرو ابن مالك هذا قتل رجلا من بنى عقيل ، قال : فشددت يدى فى غل وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغه ما صنعت فقال « لئن أتانى لأضربن ما فوق الغل من يده » فلما جئت سلمت فلم يرد عَلَىَّ السلام وأعرض عنى فأتيته عن يمينه فأعرض عنى فأتيته عن يساره فأعرض عنى فأتيته من قبل وجهه فقلت يا رسول الله إن الرب عز وجل ليُرتضى فيرضى فارض عنى رضى الله عنك . قال : « قد رضيت » .

﴿ وفد بنى عقيل بن كعب ﴾

ذكر الواقدى أنهم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقطعهم العقيق — عقيق بنى عقيل — وهى أرض فيها نخيل وعيون وكتب بذلك كتابا : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى محمد رسول الله ربيعاً ومطرفاً وأنساً ، أعطاهم العقيق ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وسمعوا وأطاعوا ، ولم يعطهم حقاً لمسلم » فكان الكتاب فى يد مطرف . قال : وقدم عليه أيضاً لقيط ابن عامر بن المنتفق بن عامر بن عقيل وهو أبو رزين فأعطاه ماء يقال له النظيم وبايعه عَلَى قومه وقد قدمنا قدومه وقصته وحديثه بطوله ولله الحمد والمنة .

﴿ وفد بنى قشير بن كعب ﴾

وذلك قبل حجة الوداع وقبل حنين ، فذكر فيهم : قرة بن هبيرة بن [عامر بن] سلمة الخير ابن قشير فأسلم فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساه برداً ، وأمره أن يلى صدقات قومه ، فقال قرة حين رجع :

حباها رسول الله إذ نزلت به ... وأمكنها من نائل غير منفد
فأضحت بروض الخضر وهى حثيثة ... وقد أنجحت حاجاتها من محمد
عليها فتى لا يردف الذم رحله ... يروى لأمر العاجز المتردد (2)

﴿ وفد بنى البكاء ﴾

ذكر أنهم قدموا سنة تسع ، وأنهم كانوا ثلاثين رجلا ، فيهم معاوية بن ثور بن [معاوية

---

(1) فى التيمورية : رؤاس بن كلاب

(2) أورد الأبيات فى الإصابة وفيها : * تروك لأمر العاجز المتردد *

ابن][1] عبادة بن البكاء وهو يومئذ ابن مائة سنة ومعه ابن له يقال له بشر ، فقال : يا رسول الله إنى أتبرك بمسّك وقد كبرت وابنى هذا برٌّ بى فامسح وجهه ، فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه وأعطاه أعنزا عفراً وبرّك عليهن فكانوا لا يصيبهم بعد ذلك قحط ولا سنة . وقال محمد بن بشر بن معاوية فى ذلك :

وأبى الذى مسح الرسول برأسه ... ودعا له بالخير والبركات

أعطاه أحمد إذ أتاه أعنزاً ... عفراً نواحل لسن باللحيات

يملأن وفد الحى كل عشية ... ويعود ذاك الملىء بالغدوات

بوركن من منح وبورك مانحاً ... وعليه منى ما حييت صلاتى

﴿ وفد كنانة ﴾

روى الواقدى بأسانيده : أن واثلة بن الأسقع الليثى قدم عَلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز إلى تبوك فصلى معه الصبح ثم رجع إلى قومه فدعاهم وأخبرهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أبوه : والله لا أحملك أبداً ، وسمعت أخته كلامه فأسلمت وجهزته حتى سار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك وهو راكب عَلَى بعير لكعب بن عجرة ، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع خالد إلى أُكَيْدِر دومة ، فلما رجعوا عرض واثلة على كعب بن عجرة ما كان شارطه عليه من سهم الغنيمة ، فقال له كعب : إنما حملتك لله عز وجل.

﴿ وفد أشجع ﴾

ذكر الواقدى : أنهم قدموا عام الخندق وهم مائة رجل ورئيسهم مسعود بن رُخَيْلة ، فنزلوا شعب سلع فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر لهم بأحمال التمر ، ويقال : بل قدموا بعد ما فرغ من بنى قريظة وكانوا سبعمائة رجل ، فوادعهم ورجعوا ثم أسلموا بعد ذلك .

﴿ وفد باهلة ﴾

قدم رئيسهم مطرف بن الكاهن بعد الفتح فأسلم ، وأخذ لقومه أماناً وكتب له كتاباً فيه الفرائض وشرائع الإسلام ، كتبه عثمان بن عفان رضى الله عنه .

(١) فى الحلبية : ابن مور ، وفى المصرية : دور ، والتصحيح عن الإصابة .

﴿ وفد بنى سليم [1] ﴾

قال : وقدم عَلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بنى سليم يقال له قيس بن نُشْبة فسمع كلامه وسأله عن أشياء فأجابه ، ووعى ذلك كله ، ودعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فأسلم ورجع إلى قومه من بنى سليم فقال : قد سمعت ترجمة الروم وهينمة فارس وأشعار العرب وكهانة الكهان وكلام مقاول حمير فما يشبه كلام محمد شيئاً من كلامهم ، فأطيعونى وخذوا بنصيبكم منه ، فلما كان عام الفتح خرجت بنو سليم فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقديد وهم سبعمائة ، ويقال : كانوا ألفا ، وفيهم العباس بن مرداس وجماعة من أعيانهم فأسلموا وقالوا اجعلنا فى مقدمتك واجعل لواءنا أحمر وشعارنا مقدما ، ففعل ذلك بهم ، فشهدوا معه الفتح والطائف وحنينا ، وقد كان راشد بن عبد ربه السلمى يعبد صنما ، فرآه يوما وثعلبان يبولان عليه فقال :

أربٌ يبول الثعلبان برأسه لقد ذل من بالت عليه الثعالب

ثم شد عليه فكسره ، ثم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما اسمك ؟ قال : غاوى بن عبد العزى ، فقال : بل أنت راشد بن عبد ربه، وأقطعه موضعا يقال له رهاط فيه عين تجرى يقال لها عين الرسول ، وقال : هو خير بنى سليم ، وعقد له على قومه وشهد الفتح وما بعدها .

﴿ وفد بنى هلال بن عامر ﴾

وذكر فى وفدهم : عبد عوف بن أصرم فأسلم وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ، وقبيصة بن مخارق الذى له حديث فى الصدقات ، وذكر فى وفد بنى هلال زياد بن الله بن مالك بن بجير بن الهدم بن رويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر فلما دخل المدينة يمم منزل خالته ميمونة بنت الحارث فدخل عليها فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزله رآه فغضب ورجع ، فقالت : يا رسول الله إنه ابن أختى ، فدخل ثم خرج إلى المسجد ومعه زياد فصلى الظهر ثم أدنى زياداً فدعا له ووضع يده عَلَى رأسه ثم حدرها على طرف أنفه فكانت بنو هلال تقول ما زلنا نتعرف البركة فى وجه زياد ، وقال الشاعر لعلى بن زياد :

يا ابن الذى مسح الرسول برأسه ودعا له بالخير عند المسجد
أعنى زياداً لا أريد سواءه من غابر أو متهم أو منجد
ما زال ذلك النور فى عرنينه حتى تبوأ بيته فى ملحد

(١) كذا فى الأصول ، وقوله رجل من بنى سليم الذى فى الإصابة : قيس بن نشبة السلمى ، وكذا عباس بن مرداس السلمى .

﴿ وفد بنى بكر بن وائل ﴾

ذكر الواقدى : أنهم لما قدموا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قس بن ساعدة . فقال : ليس ذاك منكم ذاك رجل من إياد تحنف فى الجاهلية فوافى عكاظ والناس مجتمعون فكلمهم بكلامه الذى حفظ عنه ، قال : وكان فى الوفد بشير بن الخصاصية وعبد الله بن مرثد وحسان بن خوط . فقال رجل من ولد حسان :

أنا ابن حسان بن خوط وأبى رسول بكر كلها إلى النبى

﴿ وفد بنى تغلب(١) ﴾

ذكر أنهم كانوا ستة عشر رجلا مسلمين ونصارى عليهم صلب الذهب ، فنزلوا دار رملة بنت الحارث فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم النصارى على أن لا يَصْبُغوا أولادهم فى النصرانية وأجاز المسلمين منهم .

﴿ وفادات أهل اليمن * وفد تجيب ﴾

ذكر الواقدى : أنهم قدموا سنة تسع وأنهم كانوا ثلاثة عشر رجلا فأجازهم أكثر مما أجاز غيرهم وأن غلاما منهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حاجتك ؟ فقال يا رسول الله أدع الله يغفر لى ويرحمنى ويجعل غناى فى قلبى . فقال : « اللهم اغفر له وارحمه ، واجعل غناه فى فى قلبه » . فكان بعد ذلك من أزهد الناس .

﴿ [وفد خولان ﴾

ذكر أنهم كانوا عشرة وأنهم قدموا فى شعبان سنة عشر وسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صنمهم الذى كان يقال له عم أنس فقالوا أبدلنا به خيراً منه ولو قد رجعنا لهدمناه . وتعلموا القرآن والسنن فلما رجعوا هدموا الصنم ، وأحلوا ما أحل الله وحرموا ما حرم الله(٢)] .

﴿ وفد جعفى ﴾

ذكر أنهم كانوا يحرمون أكل القلب فلما أسلم وفدهم أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأكل القلب وأمر به فشوى وناوله رئيسهم وقال لا يتم إيمانكم حتى تأكلوه فأخذه ويده ترعد فأكله وقال :

على أنى أكلت القلب كرها وترعد حين مسته بنانى

---

(١) كذا فى الحلبية وفى التيمورية بنى ثعلبة .

(٢) ما بين المربعين : لم يرد إلا بالتيمورية .

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

﴿ فصل فى قدوم وفد الأزد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

ذكر أبو نعيم فى كتاب معرفة الصحابة والحافظ أبو موسى المديني من حديث أحمد بن أبى الحوارى قال سمعت أبا سليمان الدارانى قال حدثنى علقمة بن يزيد بن سويد الأزدى قال حدثنى أبى عن جدى عن سويد بن الحارث ، قال : وفدت سابع سبعة من قومى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخلنا عليه وكلمناه فأعجبه ما رأى من سمتنا وزينا فقال : ما أنتم ؟ قلنا مؤمنون فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « إن لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وإيمانكم » قلنا خمس عشرة خصلة ، خمس منها أمرتنا بها رسلك أن نؤمن بها ، وخمس أمرتنا أن نعمل بها وخمس تخلقنا بها فى الجاهلية فنحن عليها إلا أن تكره منها شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما الخمسة التى أمرتكم بها رسلي أن تؤمنوا بها ؟» قلنا : أمرتنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت ، قال : « وما الخمسة التى أمرتكم أن تعملوا بها ؟ » قلنا أمرتنا أن نقول : لا إله إلا الله ، ونقيم الصلاة ، ونؤتى الزكاة ، ونصوم رمضان ، ونحج البيت من استطاع إليه سبيلا ، فقال « وما الخمسة الذى تخلقتم بها فى الجاهلية ؟ » : قلنا الشكر عند الرخاء ، والصبر عند البلاء ، والرضى بمر القضاء ، والصدق فى مواطن اللقاء ، وترك الشماتة بالأعداء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء » ثم قال : « وأنا أزيدكم خمسا فيتم لكم عشرون خصلة إن كنتم كما تقولون ، فلا تجمعوا ما لا تأكلون ، ولا تبنوا ما لا تسكنون ، ولا تنافسوا فى شىء أنتم عنه غداً تزولون ، واتقوا الله الذى إليه ترجعون وعليه تعرضون ، وارغبوا فيما عليه تقدمون ، وفيه تخلدون » ، فانصرف القوم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظوا وصيته وعملوا بها .

ثم ذكر : ﴿ وفد كندة ﴾

وأنهم كانوا بضعة عشر راكباً عليهم الأشعث بن قيس وأنه أجازهم بعشر أواق وأجاز الأشعث ثنتى عشرة أوقية وقد تقدم .

﴿ وفد الصَّدِف ﴾

قدموا فى بضعة عشر راكبا فصادفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر فجلسوا ولم يسلموا فقال « أمسلمون أنتم ؟ » قالوا نعم ! قال « فهلا سلمتم » فقاموا قياما فقالوا السلام عليك أيها النبى ورحمه الله وبركاته ، فقال : « وعليكم السلام ، اجلسوا » فجلسوا وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أوقات الصلوات .

(١) عن الحلبية فقط .

﴿ وفد خُشَين ﴾

قال : وقدم أبو ثعلبة الخشنى ورسول الله يتجهز إلى خيبر فشهد معه خيبر ، ثم قدم بعد ذلك بضعة عشر رجلا منهم فأسلموا .

﴿ وفد بنى سعد ﴾

ثم ذكر وفد بنى سعد هذيم وبلى وبهراء وبنى عذرة وسلامان وجهينة وبنى كلب والجرميين . وقد تقدم حديث عمرو بن سلمة الجرمى فى صحيح البخارى .

وذكر وفد الأزد ووفد غسان والحارث بن كعب وهمدان وسعد العشيرة وعبس ، ووفد الداريين والرهاويين وبنى غامد والنخع وبجيلة وخثعم وحضرموت . وذكر فيهم وائل بن حجر وذكر فيهم الملوك الأربعة جمدا ومخوسا ومشرحا وأبضعه . وقد ورد فى مسند أحمد امنهم مع أختهم العمردة وتكلم الواقدى فيهم كلاما فيه طول :

وذكر وفد أزدعمان وغافق وبارق ودوس وثمالة والجدار وأسلم وجذام ومهرة وحمير ونجران وجيشان . وبسط الكلام على هذه القبائل يطول جدا ، وقد قدمنا بعض ما يتعلق بذلك وفيما أوردناه كفاية والله أعلم ، ثم قال الواقدى .

﴿ وافد السباع ﴾

حدثنى شعيب بن عبادة عن عبد المطلب بن عبد الله بن حنطب قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بالمدينة فى أصحابه إذ أقبل ذئب فوقف بين يديه فعوى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا وافد السباع إليكم فإن أحببتم أن تفرضوا له شيئا لا يعدوه إلى غيره وإن أحببتم تركتموه وتحذرتم منه فما أخذ فهو رزقه » ، قالوا يا رسول الله ما تطيب أنفسنا له بشىء فأومأ إليه النبى صلى الله عليه وسلم بأصابعه الثلاث أى خالسهم فولى وله عسلان ، وهذا مرسل من هذا الوجه ويشبه هذا الذئب الذئب الذى ذكر فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا القاسم بن الفضل الحدانى عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى ، قال : عدا الذئب على شاة فأخذها فطلبها الراعى فانتزعها منه فأقعى الذئب على ذنبه فقال ألا تتقى الله تنزع منى رزقا ساقه الله إلى فقال يا عجبا ذئب مقع على ذنبه يكلمنى كلام الأنس ، فقال: الذئب ألا أخبرك بأعجب من ذلك محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قدسبق قال فأقبل الراعى يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من زواياها ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودى الصلاة جامعة ثم خرج فقال للاعرابى أخبرهم فأخبرهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «صدق والذى نفس محمد بيده لاتقوم الساعة حتى تكلم

السباع الإنس ، وتكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله وتخبره فخذه بما أحدث أهله بعده ».
وقد رواه الترمذى عن سفيان بن وكيع بن الجراح عن أبيه عن القاسم بن الفضل به وقال : حسن غريب صحيح لا نعرفه إلا من حديث القاسم بن الفضل به ، وهو ثقة مأمون عند أهل الحديث ، وثقه يحيى وابن مهدى .

قلت : وقد رواه الإمام أحمد أيضاً حدثنا أبو اليمان أنبأنا شعيب هو ابن أبى حمزة ، حدثنى عبد الله بن أبى الحسين حدثنى مهران أن أبا أبو سعيد الخدرى حدثه ، فذكر هذه القصة بطولها بأبسط من هذا السياق . ثم رواه أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا عبد الحميد ابن بهرام حدثنا شهر قال : وحدث أبو سعيد فذكره ، وهذا السياق أشبه ، والله أعلم ، وهو إسناد على شرط أهل السنن ولم يخرجوه .

فصـــل

وقد تقدم ذكر وفود الجن بمكة قبل الهجرة، وقد تقصينا الكلام فى ذلك أيضاً عند قوله تعالى فى سورة الأحقاف : (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن) فذكرنا ما ورد من الأحاديث فى ذلك والآثار ، وأوردنا حديث سواد بن قارب الذى كان كاهناً فأسلم . وما رواه عن رئيه الذى كان يأتيه بالخبر حين أسلم الرئى حين قال له :

عجبت للجن وأنجاسـها ... وشدها العيس بأحلاسها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى ... ما مؤمنوا الجن كأرجاسها
فانهض إلى الصفوة من هاشم ... واسم بعينيك إلى راسها

ثم قوله :

عجبت للجن وتطلابها ... وشدها العيس بأقتابها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى ... ليس قدامها كأذنابها
فانهض إلى الصفوة من هاشم ... واسم بعينيك إلى بابها

ثم قوله :

عجبت للجن وتخبـارها ... وشدها العيس بأكوارها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى ... ليس ذوو الشر كأخيارها
فانهض إلى الصفوة من هاشم ... ما مؤمنوا الجن ككفارها

وهذا وأمثاله مما يدل على تكرار وفود الجن إلى مكة ، وقد قررنا ذلك هنالك بما فيه كفاية ، ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .

وقد أورد الحافظ أبو بكر البيهقى هاهنا حديثاً غريباً جداً بل منكراً أو موضوعاً ، ولكن

مخرجه عزيز أحببنا أن نورده كما أورده والعجب منه فإنه قال فى دلائل النبوة : باب قدوم هامة ابن الهيثم بن لاقيس بن إبليس على النبي صلى الله عليه وسلم وإسلامه . أخبرنا أبو الحسن محمد ابن الحسين بن داود العلوى رحمه الله أنبأنا أبو نصر محمد بن حمدويه بن سهل القارى المروزى ثنا عبد الله ابن حماد الآملى ثنا محمد بن أبى معشر أخبرنى عن نافع عن ابن عمر قال قال عمر رضى الله عنه : بينا نحن قعود مع النبي صلى الله عليه وسلم على جبل من جبال تهامة إذ أقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد ثم قال : « نغمة جن وغمغمتهم من أنت ؟ » قال أنا هامة ابن الهيثم بن لاقيس بن إبليس ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « فما بينك وبين إبليس إلا أبوان فكم أتى لك من الدهر » قال قد أفنيت الدنيا عمرها إلا قليلا ليالى قتل قابيل هابيل كنت غلاما ابن أعوام أفهم الكلام وأمر بالآكام وآمر بإفساد الطعام وقطيعة الأرحام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بئس عمل الشيخ المتوسم ، والشاب المتلوم » قال ذرنى من الترداد إنى تائب إلى الله عز وجل ، إنى كنت مع نوح فى مسجده مع من آمن به من قومه فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى وأبكانى وقال لا جرم إنى على ذلك من النادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين قال قلت يا نوح إنى كنت ممن اشترك فى دم السعيد الشهيد هابيل بن آدم فهل تجد لى عندك توبة ؟ قال : يا هام هُمَّ بالخير وافعله قبل الحسرة والندامة إنى قرأت فيما أنزل الله على أنه ليس من عبد تاب إلى الله بالغٌ أمره ما بلغ إلا تاب الله عليه ، قم فتوضأ واسجد لله سجدتين قال ففعلت من ساعتى ما أمرنى به ، فناداني ارفع رأسك فقد نزلت توبتك من السماء فخررت لله ساجداً ، قال : وكنت مع هود فى مسجده مع من آمن به من قومه فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى عليهم وأبكانى فقال لا جرم إنى على ذلك من النادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ، قال : وكنت مع صالح فى مسجده مع من آمن به من قومه فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى وأبكانى وقال أنا على ذلك من النادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ، وكنت أزور يعقوب ، وكنت مع يوسف فى المكان الأمين ، وكنت ألقى إلياس فى الأودية وأنا ألقاه الآن ، وإنى لقيت موسى بن عمران فعلمنى من التوراة وقال إن لقيت عيسى ابن مريم فأقره منى السلام ، وإنى لقيت عيسى ابن مريم فأقرأته عن موسى السلام ، وإن عيسى قال إن لقيت محمداً صلى الله عليه وسلم فأقره منى السلام فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عينيه فبكى ثم قال وعلى عيسى السلام ما دامت الدنيا وعليك السلام يا هام بأدائك الأمانة ، قال : يا رسول الله افعل بى ما فعل موسى إنه علمنى من التوراة قال فعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وقعت الواقعة ، والمرسلات ، وعم يتساءلون ، وإذا الشمس كورت ، والمعوذتين ، وقل هو الله أحد ، وقال : « ارفع إلينا حاجتك يا هامة ، ولا تدع زيارتنا » ، قال عمر فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعد إلينا فلا ندرى الآن أحى

هو أم ميت ؟ ثم قال البيهقى : ابن أبى معشر هذا قد روى عنه الكبار إلا أن أهل العلم بالحديث يضعفونه ، وقد روى هذا الحديث من وجه آخر هو أقوى منه والله أعلم .(١)

﴿ سنة عشر من الهجرة ﴾

﴿ باب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد ﴾

قال ابن إسحاق : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فى شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى سنة عشر إلى بنى الحارث بن كعب بنجران ؛ وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثا فإن استجابوا فاقبل منهم وإن لم يفعلوا فقاتلهم ، فخرج خالد حتى قدم عليهم فبعث الركبان يضربون فى كل وجه ويدعون إلى الإسلام ويقولون : أيها الناس أسلموا تسلموا فأسلم الناس ودخلوا فيما دعوا إليه ، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم كما أمره رسول الله إن هم أسلموا ولم يقاتلوا ، ثم كتب خالد بن الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد النبى رسول الله من خالد بن الوليد السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو أما بعد يا رسول الله صلى الله عليك فإنك بعثتنى إلى بنى الحارث بن كعب وأمرتنى إذا أتيتهم أن لا أقاتلهم ثلاثة أيام وأن أدعوهم إلى الإسلام فإن أسلموا قبلت منهم وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه وإن لم يسلموا قاتلتهم ، وإنى قدمت عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمرنى رسول الله ، وبعثت فيهم ركبانا [قالوا] يا بنى الحارث أسلموا تسلموا فأسلموا ولم يقاتلوا وأنا مقيم بين أظهرهم آمرهم بما أمرهم الله به وأنهاهم عما نهاهم الله عنه وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبى صلى الله عليه وسلم ، حتى يكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبى رسول الله إلى خالد بن الوليد سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله هو أما بعد فإن كتابك جاءنى مع رسولك يخبر أن بنى الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن قد هداهم الله بهداه فبشرهم وأنذرهم وأقبل ، وليقبل معك وفدهم والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » ، فأقبل خالد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل معه وفد بنى الحارث بن كعب ؛ منهم قيس بن الحصين ذو الغصة ، ويزيد بن عبد المدان ، ويزيد بن المحجل ، وعبد الله بن قراد الزيادى ، وشداد بن عبيد الله القنانى ، وعمرو ابن عبد الله الضبابى ، فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورآهم ، قال من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند ؟ قيل : يا رسول الله هؤلاء بنو الحارث بن كعب ، فلما وقفوا

(١) إلى هنا آخر الجزء الثالث من نسخة المؤلف عن الحلبية .

على رسول الله صلى الله عليه وسلم سلموا عليه وقالوا نشهد أنك رسول الله وأنه لا إله إلا الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله . ثم قال : « أنتم الذين إذا زجروا استقدموا » فسكتوا فلم يراجعه منهم أحد ثم أعادها الثانية ، ثم الثالثة فلم يراجعه منهم أحد ثم أعادها الرابعة . قال يزيد بن عبد المدان : نعم يا رسول الله ! نحن الذين إذا زجروا استقدموا قالها أربع مرات ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أن خالداً لم يكتب إلى أنكم اسلمتم ولم تقاتلوا لألقيت رؤسكم تحت أقدامكم » ، فقال يزيد بن عبد المدان أما والله ما حمدناك ولا حمدنا خالدا ، قال فمن حمدتم ؟ قالوا حمدنا الله الذى هدانا بك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقتم ، ثم قال : بم كنتم تغلبون من قاتلكم فى فى الجاهلية ؟ قالوا : لم نك نغلب أحدا ، قال بلى قد كنتم تغلبون من قاتلكم ، قالوا كنا نغلب من قاتلنا يا رسول الله إنا كنا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدأ أحداً بظلم قال « صدقتم » ثم أمر عليهم قيس بن الحصين .

قال ابن إسحاق : ثم رجعوا إلى قومهم فى بقية شوال أو فى صدر ذى القعدة ، قال ثم بعث إليهم بعد أن ولى وفدهم عمرو بن حزم ليفقههم فى الدين ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام ويأخذ منهم صدقاتهم ، وكتب له كتابا عهد إليه فيه عهده وأمره أمره ، ثم أورده ابن إسحاق وقد قدمناه فى وفد ملوك حمير من طريق البيهقى وقد رواه النسائى نظير ما ساقه محمد بن إسحاق بغير إسناد .

﴿ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراء إلى أهل اليمن ﴾
﴿ قبل حجة الوداع يدعونهم إلى الله عز وجل ﴾

قال البخارى : باب بعث أبى موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع ، حدثنا موسى ثنا أبو عوانة ثنا عبد الملك عن أبى بردة : قال بعث النبى صلى الله عليه وسلم أبا موسى ومعاذ ابن جبل إلى اليمن قال وبعث كل واحد منهما على مخلاف قال واليمن مخلافان ، ثم قال : « يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا » وفى رواية : وتطاوعا ولا تختلفا ، وانطلق كل واحد منهما إلى عمله قال : وكان كل واحد منهما اذا سار فى أرضه وكان قريبا من صاحبه أحدث به عهداً [فسلم عليه] فسار معاذ فى أرضه قريبا من صاحبه أبى موسى فجاء يسير على بغلته حتى انتهى اليه فإذا هو جالس وقد اجتمع الناس اليه واذا رجل عنده قد جمعت يداه الى عنقه فقال له معاذ يا عبد الله بن قيس أيم[1] هذا ؟ قال : هذا رجل كفر بعد إسلامه ، قال : لا أنزل حتى يقتل قال إنما جىء به لذلك فانزل قال ما أنزل حتى يقتل فأمر به فقتل ثم نزل ، فقال يا عبد الله كيف تقرأ القرآن ؟ قال أتفوقه تفوقا قال فكيف تقرأ أنت يا معاذ ؟ قال أنام أول الليل

---

(١) كذا فى الأصل كما فى البخارى ، وفى التيمورية أثم هذا .

فأقوم وقد قضيت جزئى من النوم فأقرأ ما كتب الله لى فاحتسب نومتى كما أحتسب قومتى .
انفرد به البخارى دون مسلم من هذا الوجه ثم قال البخارى ثنا إسحاق ثنا خالد عن الشيبانى عن سعيد بن أبى بردة عن أبيه عن أبى موسى الأشعرى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى اليمن فسأله عن أشربة تصنع بها فقال ما هى ؟ قال البتع والمزر فقلت لأبى بردة ما البتع ؟ قال نبيذ العسل والمزر نبيذ الشعير ، فقال : « كل مسكر حرام » ورواه جرير وعبد الواحد عن الشيبانى عن أبى بردة ، ورواه مسلم من حديث سعيد بن أبى بردة .

وقال البخارى : حدثنا حبان أنبأنا عبد الله عن زكريا بن أبى إسحاق عن يحيى بن عبد الله ابن صيفى عن أبى معبد مولى ابن عباس عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن : « إنك ستأتى قوما أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » . وقد أخرجه بقية الجماعة من طرق متعددة . وقال الإمام أحمد ثنا أبو المغيرة ثنا صفوان حدثنى راشد بن سعد عن عاصم بن حميد السكونى عن معاذ بن جبل . قال : لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن خرج معه يوصيه ومعاذ راكب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى تحت راحلته فلما فرغ قال : يا معاذ إنك عسى أن لا تلقانى بعد عامى هذا ولعلك أن تمر بمسجدى هذا وقبرى ، فبكى معاذ خشعا لفراق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم التفت بوجهه نحو المدينة فقال : « إن أولى الناس بى المتقون من كانوا وحيث كانوا » ثم رواه عن أبى اليمان عن صفوان بن عمرو عن راشد بن سعد عن عاصم بن حميد السكونى : أن معاذاً لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن خرج معه يوصيه ومعاذ راكب ورسول الله يمشى تحت راحلته ؛ فلما فرغ قال يامعاذ « إنك عسى أن لا تلقانى بعد عامى هذا ولعلك أن تمر بمسجدى هذا وقبرى » فبكى معاذ خشعا لفراق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال « لاتبك يا معاذ للبكاء أوان ، البكاء من الشيطان » . وقال الامام أحمد حدثنا أبو المغيرة ثنا صفوان حدثنى أبو زياد يحيى بن عبيد الغسانى عن يزيد بن قطيب عن معاذ أنه كان يقول : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فقال « لعلك أن تمر بقبرى ومسجدى فقد بعثتك إلى قوم رقيقة قلوبهم يقاتلون على الحق مرتين ، فقاتل بمن أطاعك منهم من عصاك ، ثم يفيئون إلى الإسلام حتى تبادر المرأة زوجها والولد والده والأخ أخاه ، فانزل بين الحيين السكون والسكاسك » .

وهذا الحديث فيه إشارة وظهور وإيماء إلى أن معاذاً رضى الله عنه لا يجتمع بالنبى صلى الله

عليه وسلم بعد ذلك ، وكذلك وقع فإنه أقام باليمن حتى كانت حجة الوداع ، ثم كانت وفاته عليه السلام بعد أحد وثمانين يوما من يوم الحج الأكبر . فأما الحديث الذى قال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن الأعمش عن أبى ظبيان عن معاذ أنه لما رجع من اليمن قال : يارسول الله رأيت رجالا باليمن يسجد بعضهم لبعض أفلا نسجد لك قال : « لو كنت آمر بشراً أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » وقد رواه أحمد عن ابن نمير عن الأعمش سمعت أبا ظبيان يحدث عن رجل من الأنصار عن معاذ بن جبل قال أقبل معاذ من اليمن فقال : يا رسول الله إنى رأيت رجالا . فذكر معناه فقسد دار على رجل مبهم ومثله لا يحتج به ولا سيما وقد خالفه غيره ممن يعتد به فقالوا لما قدم معاذ من الشام كذلك رواه أحمد وقال أحمد ثنا إبراهيم بن مهدى ثنا إسماعيل بن عياش عن عبد الرحمن بن أبى حسين عن شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مفاتيح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله » وقال أحمد ثنا وكيع ثنا سفيان عن حبيب بن أبى ثابت عن ميمون بن أبى شبيب عن معاذ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معاذ اتبع السيئة الحسنة تمحها له : « وخالق الناس بخلق حسن » قال وكيع وجدته فى كتابى عن أبى ذر وهو السماع الأول وقال سفيان مرةً عن معاذ ثم قال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل عن ليث عن حبيب بن أبى ثابت عن ميمون بن أبى شبيب عن معاذ أنه قال : يارسول الله أوصنى ، فقال : « اتق الله حيثما كنت » قال زدنى قال « اتبع السيئة الحسنة تمحها » قال زدنى قال « خالق الناس بخلق حسن » . وقد رواه الترمذى فى جامعه عن محمود بن غيلان عن وكيع عن سفيان الثورى به وقال حسن . قال شيخنا فى الأطراف وتابعه فُضَيْل بن سليمان عن ليث بن أبى سليم عن الأعمش عن حبيب به وقال أحمد ثنا أبو اليمان ثنا إسماعيل بن عياش عن صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمى عن معاذ بن جبل قال أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر كلمات قال : « لا تشرك بالله شيئا وإن قتلت وحرقت ، ولا تعقن [والديك] وإن أمراك أن تخرج من مالك وأهلك ، ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمداً فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله ، ولا تشربن خمراً فإنه رأس كل فاحشة ، وإياك والمعصية فإن بالمعصية يحل سخط الله ، وإياك والفرار من الزحف وإن هلك الناس ، وإذا أصاب الناس موت وأنت فيهم فاثبت ، وأنفق على عيالك من طولك ، ولا ترفع عنهم عصاك أدبا ، وأخفهم فى الله عز وجل » وقال الإمام أحمد ثنا يونس ثنا بقية عن السرى بن ينعم عن شريح عن مسروق عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعثه إلى اليمن قال : « إياك والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين » قال أحمد ثنا سليمان بن داود الهاشمى ثنا أبو بكر - يعنى ابن عياش - ثنا عاصم عن أبى وائل عن معاذ قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن وأمرنى أن آخذ من كل حالم ديناراً أو عدله من المعافر ، وأمرنى أن آخذ من كل أربعين بقرة مسنة ومن

كل ثلاثين بقرة تبيعا حوليا وأمرنى فيما سقت السماء العشر ، وما سقى بالدوالى نصف العشر » ، وقد رواه أبو داود من حديث أبى معاوية والنسائى من حديث محمد بن إسحاق عن الأعمش كذلك .

وقد رواه أهل السنن الأربعة من طرق عن الأعمش عن أبى وائل عن مسروق عن معاذ وقال أحمد ثنا معاوية عن عمرو وهارون بن معروف قالا : ثنا عبد الله بن وهب عن حيوة عن يزيد بن أبى حبيب عن سلمة بن أسامة عن يحيى بن الحكم . أن معاذاً قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدق أهل اليمن ، فأمرنى أن آخذ من البقر من كل ثلاثين تبيعا قال هارون ـ والتبيع الجذع أو جذعة ـ ومن كل أربعين مسنة ، فعرضوا على أن آخذ ما بين الأربعين والخمسين وما بين الستين والسبعين وما بين الثمانين والتسعين فأبيت ذلك . وقلت لهم أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقدمت فأخبرت النبى صلى الله عليه وسلم فأمرنى أن آخذ من كل ثلاثين تبيعا ومن كل أربعين مسنة ومن الستين تبيعين ومن السبعين مسنة وتبيعا ومن الثمانين مسنتين ومن التسعين ثلاثة أتباع ومن المائة مسنة وتبيعين ومن العشرة ومائة مسنتين وتبيعا ومن العشرين ومائة ثلاث مُسنَّات أو أربعة أتباع ، قال وأمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا آخذ فيما بين ذلك شيئا إلا أن يبلغ مسنة أو جذع وزعم أن الأوقاص لا فريضة فيها وهذا من أفراد أحمد ، وفيه دلالة على أنه قدم بعد مصيره إلى اليمن على رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحيح أنه لم ير النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك كما تقدم فى الحديث . وقد قال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهرى عن أبى بن كعب بن مالك . قال كان معاذ بن جبل شابا جميلا سمحا من خير شباب قومه لا يسأل شيئا إلا أعطاه حتى كان عليه دين أغلق ماله فكلم رسول الله فى أن يكلم غرماءه ففعل . فلم يضعوا له شيئا فلو ترك لأحد بكلام أحد لترك لمعاذ بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فدعاه رسول الله فلم يبرح أن باع ماله وقسمه بين غرمائه . قال فقام معاذ ولا مال له ، قال فلما حج رسول الله بعث معاذاً إلى اليمن قال فكان أول من تجر فى هذا المال معاذ ، قال فقدم على أبى بكر الصديق من اليمن وقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء عمر فقال هل لك أن تطيعنى فتدفع هذا المال إلى أبى بكر فإن أعطاكه فاقبله ، قال فقال معاذ : لن أدفعه إليه وإنما بعثنى رسول الله ليجبرنى فلما أبى عليه انطلق عمر إلى أبى بكر فقال أرسل إلى هذا الرجل فخذ منه ودع له . فقال أبو بكر ما كنت لأفعل إنما بعثه رسول الله ليجبره فلست آخذ منه شيئا . قال فلما أصبح معاذ انطلق إلى عمر فقال ما أرانى إلا فاعل الذى قلت إنى رأيتنى البارحة فى النوم ـ فيما يحسب عبد الرازق قال ـ أجر إلى النار وأنت آخذ بحجزتى ، قال فانطلق إلى أبى بكر بكل شىء جاء به حتى جاءه بسوطه وحلف له أنه لم يكتمه شيئا . قال فقال أبو بكر رضى الله عنه : هولك لا آخذ منه شيئا . وقد رواه أبو ثور عن معمر عن الزهرى

عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك فذكره إلا أنه قال : حتى إذا كان عام فتح مكة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على طائفة من اليمن أميراً ، فمكث حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قدم فى خلافة أبى بكر وخرج إلى الشام قال البيهقى : وقد قدمنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلفه بمكة مع عتاب بن أسيد ليعلِّم أهلها ، وأنه شهد غزوة تبوك ، فالأشبه أن بعثه إلى اليمن كان بعد ذلك والله أعلم . ثم ذكر البيهقى لقصة منام معاذ شاهداً من طريق الأعمش عن أبى وائل عن عبد الله وأنه كان من جملة ما جاء به عبيد فأتى بهم أبا بكر فلما رد الجميع عليه رجع بهم ، ثم قام يصلى فقاموا كلهم يصلون معه ، فلما انصرف قال : لمن صليتم ؟ قالوا : لله ، قال : فأنتم له عتقاء ، فأعتقهم . وقال الإمام أحمد ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن أبى عون عن الحارث بن عمرو ابن أخى المغيرة بن شعبة عن ناس من أصحاب معاذ من أهل حمص عن معاذ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثه إلى اليمن قال : كيف تصنع إن عرض لك قضاء ؟ قال : أقضى بما فى كتاب الله ، قال: فإن لم يكن فى كتاب الله ؟ قال : فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فإن لم يكن فى سنة رسول الله ؟ قال : أجتهد وإنى لا آلو . قال : فضرب رسول الله صدرى ثم قال : « الحمد لله الذى وفق رسولَ رسول الله لما يرضى رسول الله » . وقد رواه أحمد عن وكيع عن عفان عن شعبة بإسناده ولفظه ، وأخرجه أبو داود والترمذى من حديث شعبة به ، وقال الترمذى : لا نعرفه إلا من هذا الوجه وليس إسناده عندى بمتصل . وقد رواه ابن ماجه من وجه آخر عنه إلا أنه من طريق محمد بن سعد بن حسان – وهو المصلوب أحد الكذابين – عن عبادة بن نُسى عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ به نحوه

وقد روى الإمام أحمد عن محمد بن جعفر ويحيى بن سعيد عن شعبة عن عمرو بن حكيم عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن معمر عن أبى الأسود الدئلى ، قال : كان معاذ باليمن فارتفعوا إليه فى يهودى مات وترك أخاً مسلماً ، فقال معاذ : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الإسلام يزيد ولا ينقص » فورثه ، ورواه أبو داود من حديث ابن بريدة به. وقد حكى هذا المذهب عن معاوية بن أبى سفيان راويه يحيى بن معمر القاضى وطائفة من السلف وإليه ذهب إسحاق بن راهويه وخالفهم الجمهور ، ومنهم الأئمة الأربعة وأصحابهم محتجين بما ثبت فى الصحيحين عن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر » والمقصود أن معاذ رضى الله عنه كان قضيا للنبى عليه الصلاة والسلام باليمن وحاكما فى الحروب ومصدقاً إليه تدفع الصدقات كما دل عليه حديث ابن عباس المتقدم ، وقد كان بارزاً للناس يصلى بهم الصلوات الخمس ، كما قال البخارى حدثنا سليمان بن حرب ثنا شعبة عن حبيب بن أبى ثابت عن سعيد بن جبير عن عمرو بن ميمون أن معاذاً لما قدم اليمن صلى بهم الصبح فقرأ (واتخذ الله إبراهيم خليلا) فقال رجل من القوم لقد قرت عين إبراهيم انفرد به البخارى

ثم قال البخاري :

﴿ باب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن ﴾

﴿ قبل حجـــة الوداع ﴾

حدثنا أحمـد بن عثمان ثنا شريح بن مسلمة ثنا ابراهيم بن يوسف بن أبي إسحاق حدثني أبي عن أبي اسحاق سمعت البراء بن عازب قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع خالد بن الوليد إلى اليمن ، قال : ثم بعث علياً بعد ذلك مكانه ، قال : مر أصحاب خالد من شاء منهم أن يعقب معك فليعقب ومن شاء فليقبل ، فكنت فيمن عقب معه ، قال : فغنمت أواق ذات عدد ، انفرد به البخاري من هذا الوجه ، ثم قال البخاري حدثنا محمد بن بشار ثنا روح بن عبادة ثنا على ابن سويد بن منجوف عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم علياً إلى خالد بن الوليد ليقبض الخمس ، وكنت أبغض علياً ، فأصبح وقد اغتسل ، فقلت لخالد : ألا ترى إلى هذا ؟ فلما قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم ذكرت ذلك له فقال : « يا بريدة تبغض علياً ؟ » فقلت نعم ! فقال : « لا تبغضه فإن له في الخمس أكثر من ذلك » انفرد به البخاري دون مسلم من هذا الوجه وقال الإمام أحمد ثنا يحيى بن سعيد ثنا عبد الجليل قال : انتهيت إلى حلقة فيها أبو مجلز وابنا بريدة ، فقال عبد الله بن بريدة حدثني أبي بريدة قال : أبغضت علياً بغضاً لم أبغضه أحداً قط ، قال : وأحببت رجلا من قريش لم أحبه إلا على بغضه علياً ، قال : فبعث ذلك لرجل على خيل فصحبته ما أصحبه إلا على بغضه علياً ، قال : فأصبنا سبياً ، قال : فكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابعث إلينا من يخمسه ، قال : فبعث إلينا علياً ، وفي السبي وصيفة من أفضل السبي ، قال : فخمس وقسم فخرج ورأسه يقطر ، فقلنا : يا أبا الحسن ما هذا ؟ فقال : ألم تروا إلى الوصيفة التي كانت في السبي فإني قسمت وخمست فصارت في الخمس ثم صارت في أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ثم صارت في آل على ووقعت بها ، قال : فكتب الرجل إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم فقلت ابعثني فبعثني مصدقا ، فجعلت أقرأ الكتاب وأقول صدق ، قال : فأمسك يدي والكتاب فقال : « أتبغض علياً » قال : قلت نعم ! قال : « فلا تبغضه ، وإن كنت تحبه فازدد له حبا فوالذي نفس محمد بيده لنصيب آل على في الخمس أفضل من وصيفة » قال : فما كان من الناس أحد بعد قول النبي صلى الله عليه وسلم أحب إلى من على . قال عبد الله بن بريدة : فوالذي لا إله غيره ما بيني وبين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث غير أبي بريدة . تفرد به بهذا السياق عبد الجليل بن عطية الفقيه أبو صالح البصري ووثقه ابن معين وابن حبان ، وقال البخاري : إنما يتهم في الشيء بعد الشيء .

وقال محمد بن اسحاق ثنا أبان بن صالح عن عبد الله بن نيار[1] الأسلمي عن خاله عمرو بن شأس

(١) في المصرية : هان ، والتيمورية : مار ، والتصحيح عن الإصابة .

الأسلمي وكان من أصحاب الحديبية ، قال : كنت مع علي بن أبي طالب في خيله التي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فجفاني علي بعض الجفاء فوجدت في نفسي عليه ، فلما قدمت المدينة اشتكيته في مجالس المدينة وعند من لقيته ، فأقبلت يوما ورسول الله جالس في المسجد ، فلما رآني أنظر إلى عينيه نظر إلي حتى جلست إليه فلما جلست إليه قال : « إنه والله يا عمرو بن شأس لقد آذيتني » فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، أعوذ بالله والإسلام أن أوذي رسول الله ، فقال : « من آذى علياً فقد آذاني » وقد رواه البيهقي من وجه آخر عن ابن اسحاق عن أبان بن الفضل ابن معقل بن سنان عن عبد الله بن نيار عن خاله عمرو بن شأس فذكره بمعناه .

وقال الحافظ البيهقي أنبأنا محمد بن عبد الله الحافظ أنبأنا أبو اسحاق المزكي ثنا عبيدة بن أبي السفر سمعت ابراهيم بن يوسف بن أبي إسحاق عن أبيه عن أبي اسحاق عن البراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام ، قال البراء: فكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد ، فأقمنا ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه ، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث علي بن أبي طالب وأمره أن يقفل خالداً إلا رجلا كان ممن مع خالد فأحب أن يعقب مع علي فليعقب معه ، قال البراء : فكنت فيمن عقب مع علي ، فلما دنونا من القوم خرجوا الينا ثم تقدم فصلى بنا علي ثم صفنا صفاً واحداً ثم تقدم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت همدان جميعاً ، فكتب علي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامهم ، فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب خر ساجداً ثم رفع رأسه فقال : « السلام على همدان ، السلام على همدان » قال البيهقي : رواه البخاري مختصراً من وجه آخر عن ابراهيم بن يوسف .

وقال البيهقي أنبأنا أبو الحسين محمد بن الفضل القطان أنبأنا أبو سهل بن زياد القطان ثنا اسماعيل ابن أبي أويس حدثني أخي عن سليمان بن بلال عن سعد بن اسحاق بن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب بن عجرة عن أبي سعيد الخدري أنه قال : بعث رسول الله علي بن أبي طالب إلى اليمن ، قال أبو سعيد فكنت فيمن خرج معه فلما أخذ من إبل الصدقة سألناه أن نركب منها ونريح إبلنا - وكنا قد رأينا في إبلنا خللا - فأبى علينا وقال : إنما لكم فيها سهم كما للمسلمين ، قال : فلما فرغ علي وانطلق من اليمن راجعاً أمّر علينا انساناً وأسرع هو وأدرك الحج فلما قضى حجته قال له النبي عليه الصلاة والسلام « ارجع الى أصحابك حتى تقدم عليهم » قال أبو سعيد : وقد كنا سألنا الذي استخلفه ما كان علي منعنا اياه ففعل ، فلما عرف في إبل الصدقة أنها قد ركبت ، ورأى أثر الركب قدّم الذي أمّره ولامه ، فقلت : أما إن لله علي لئن قدمت المدينة لأذكرن لرسول الله ما لقينا من الغلظة والتضييق ، قال : فلما قدمنا المدينة غدوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد أن أفعل ما كنت حلفت عليه ، فلقيت أبا بكر خارجا من عند رسول الله ،

فلما رآني وقف معي ورحب بي وساءلني وساءلته . وقال : متى قدمت ؟ فقلت : قدمت البارحة فرجع معي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل ، وقال : هذا سعد بن مالك ابن الشهيد ، فقال : ائذن له ، فدخلت فحييت رسول الله وحياني وأقبل عليّ وسألني عن نفسي وأهلي وأحفى المسألة ، فقلت : يا رسول الله ما لقينا من عليّ من الغلظة وسوء الصحبة والتضييق ، فانتبذ رسول الله وجعلت أنا أعدد ما لقينا منه حتى إذا كنت في وسط كلامي ضرب رسول الله على فخذي وكنت منه قريباً وقال : « يا سعد بن مالك ابن الشهيد مه بعض قولك لأخيك عليّ ، فوالله لقد علمت أنه أخشن في سبيل الله » قال : فقلت في نفسي ثكلتك أمك سعد بن مالك ، ألا أراني كنت فيما يكره منذ اليوم ولا أدري ؟ لا جرم والله لا أذكره بسوء أبداً سراً ولا علانية ، وهذا إسناد جيد على شرط النسائي ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة .

وقد قال يونس عن محمد بن إسحاق حدثني يحيى بن عبد الله بن أبي عمرة عن يزيد بن طلحة ابن يزيد بن ركانة قال : إنما وجد جيش علي بن أبي طالب الذين كانوا معه باليمن لأنهم حين أقبلوا خلف عليهم رجلا وتعجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فعمد الرجل فكسى كل رجل حلة فلما دنوا خرج عليهم علي يستقبلهم فإذا عليهم الحلل قال علي : ما هذا ؟ قالوا : كسانا فلان ، قال : فما دعاك إلى هذا قبل أن تقدم على رسول الله فيصنع ما شاء ؟ فنزع الحلل منهم ، فلما قدموا على رسول الله اشتكوه لذلك ، وكانوا قد صالحوا رسول الله ، وإنما بعث علياً إلى جزية موضوعة .

قلت : هذا السياق أقرب من سياق البيهقي ، وذلك لأن علياً سبقهم لأجل الحج وساق معه هدياً وأهل بإهلال النبي عليه الصلاة والسلام فأمره أن يمكث حراما ، وفي رواية البراء بن عازب أنه قال له إني سقت الهدى وقرنت ، والمقصود أن علياً لما كثر فيه القيل والقال من ذلك الجيش بسبب منعه إياهم استعمال إبل الصدقة واسترجاعه منهم الحلل التي أطلقها لهم نائبه ، وعلي معذور فيما فعل لكن اشتهر الكلام فيه في الحجيج ، فلذلك والله أعلم لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجته وتفرغ من مناسكه ورجع إلى المدينة فمر بغدير خم قام في الناس خطيبا فبرأ ساحة عليّ ورفع من قدره ونبه على فضله ليزيل ما وقر في نفوس كثير من الناس ، وسيأتي هذا مفصلا في موضعه إن شاء الله وبه الثقة .

وقال البخاري : ثنا قتيبة ثنا عبد الواحد عن عمارة بن القعقاع عن شبرمة حدثني عبد الرحمن بن أبي نعم سمعت أبا سعيد الخدري يقول : بعث علي بن أبي طالب إلى النبي عليه السلام من اليمن بذهيبة في أديم مقروظ لم تحصل من ترابها ، قال فقسمها بين أربعة بين عيينة بن بدر ، والأقرع بن حابس ، وزيد الخيل ، والرابع إما علقمة بن علاثة وإما عامر بن الطفيل ، فقال رجل من أصحابه : كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « ألا تأمنوني ؟ وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحا ومساء » قال فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشز الجبهة

كث اللحية محلوق الرأس مشمر الإزار، فقال: [يا رسول الله اتق الله! فقال: ويلك أولست أحق الناس أن يتقى الله؟ قال: ثم ولى الرجل. قال خالد بن الوليد]: يا رسول الله ألا أضرب عنقه؟ قال: لا لعله أن يكون يصلي، قال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم. قال: ثم نظر إليه وهو مقف فقال: «إنه يخرج من ضئضئ[2] هذا قوم يتلون كتاب الله رطبا لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» — أظنه قال: لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود — وقد رواه البخاري في مواضع أخر من كتابه، ومسلم في كتاب الزكاة من صحيحه من طرق متعددة إلى عمارة بن القعقاع به.

ثم قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن عليّ، قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن وأنا حديث السن، قال: فقلت: تبعثني إلى قوم يكون بينهم أحداث ولا علم لي بالقضاء، قال: «إن الله سيهدي لسانك ويثبت قلبك» قال: فما شككت في قضاء بين اثنين. ورواه ابن ماجه من حديث الأعمش به. وقال الإمام أحمد: حدثنا أسود بن عامر حدثنا شريك عن سماك عن حنش عن عليّ، قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن، قال: فقلت: يا رسول الله تبعثني إلى قوم أسن مني وأنا حدث لا أبصر القضاء، قال: فوضع يده على صدري وقال: «اللهم ثبت لسانه واهد قلبه، يا عليّ إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر ما سمعت من الأول، فإنك إذا فعلت ذلك تبين لك» قال: فما اختلف عليّ قضاء بعد، أو ما أشكل عليّ قضاء بعد. ورواه أحمد أيضاً وأبو داود من طرق عن شريك والترمذي من حديث زائدة كلاهما عن سماك ابن حرب عن حنش بن المعتمر، وقيل: ابن ربيعة الكناني[3] الكوفي عن عليّ به. وقال الإمام أحمد حدثنا سفيان بن عيينة عن الأجلح عن الشعبي عن عبد الله بن أبي الخليل عن زيد ابن أرقم أن نفراً وطئوا امرأة في طهر، فقال عليّ لاثنين: أتطيبان نفساً لذا[4]؟ فقالا: لا، وأقبل على الآخرين فقال: أتطيبان نفساً لذا؟ فقالا: لا! فقال: أنتم شركاء متشاكسون، فقال: إني مقرع بينكم، فأيكم قرع أغرمته ثلثي الدية وألزمته الولد. قال: فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: لا أعلم إلا ما قال عليّ. وقال أحمد: حدثنا شريح بن النعمان حدثنا هشيم أنبأنا الأجلح عن الشعبي عن أبي الخليل عن زيد بن أرقم أن علياً أتى في ثلاثة نفر إذ كان في اليمن اشتركوا في ولد، فأقرع بينهم، فضمن الذي أصابته القرعة ثلثي الدية وجعل

(١) ما بين المربعين من التيمورية. (٢) الضئضىء: الأصل.
(٣) في الخلاصة: أو ابن ربيعة بن المعتمر الكناني أبو المعتمر الكوفي عن علي.
(٤) كذا في المصرية: وفي التيمورية أتطيبان نفسا كما.

الولد له . قال زيد بن أرقم : فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقضاء عليّ ، فضحك حتى بدت نواجذه . ورواه أبو داود عن مسدد عن يحيى القطان ، والنسائي عن عليّ بن حُجْر عن عليّ بن مسهر كلاهما عن الأجلح بن عبد الله عن عامر الشعبي عن عبد الله بن الخليل ، وقال النسائي في رواية عبد الله بن أبي الخليل عن زيد بن أرقم قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من أهل اليمن فقال : إن ثلاثة نفر أتوا عليًّا يختصمون في ولد وقعوا على امرأة في طهر واحد ، فذكر نحو ما تقدم . وقال : فضحك النبي صلى الله عليه وسلم . وقد روياه أعني أبا داود والنسائي من حديث شعبة عن سلمة بن كهيل عن الشعبي عن أبي الخليل أو ابن الخليل[1] عن عليّ قوله ، فأرسله ولم يرفعه . وقد رواه الإمام أحمد أيضاً عن عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن الأجلح عن الشعبي عن عبد خير عن زيد بن أرقم ، فذكر نحو ما تقدم . وأخرجه أبو داود والنسائي جميعاً عن حنش بن أصرم وابن ماجه عن إسحاق بن منصور كلاهما عن عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن صالح الهمداني عن الشعبي عن عبد خير عن زيد بن أرقم به . قال شيخنا في الأطراف : لعل عبد خير هذا هو عبد الله بن الخليل ، ولكن لم يضبط الراوي اسمه . قلت : فعلى هذا يقوى الحديث ، وإن كان غيره كان أجرد لمتابعته له ، لكن الأجلح ابن عبد الله الكندي فيه كلام ما ، وقد ذهب إلى القول بالقرعة في الأنساب الإمام أحمد ، وهو من أفراده . وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد حدثنا إسرائيل حدثنا سماك عن حنش عن عليّ ، قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن ، فانتهينا إلى قوم قد بنوا زبية للأسد فبينما هم كذلك يتدافعون إذ سقط رجل ، فتعلق بآخر ، ثم تعلق آخر بآخر حتى صاروا فيها أربعة فجرحهم الأسد ، فانتدب له رجل بحربة فقتله ، وماتوا من جراحتهم كلهم . فقام أولياء الأول إلى أولياء الآخر فأخرجوا السلاح ليقتتلوا ، فأتاهم عليّ على تعبية ذلك فقال : تريدون أن تقاتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم حيّ ، إني أقضي بينكم قضاء إن رضيتم فهو القضاء ، وإلا أحجز بعضكم عن بعض حتى تأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فيكون هو الذي يقضي بينكم فمن عدا بعد ذلك فلا حق له ، اجمعوا من قبائل الذين حفروا البئر ربع الدية وثلث الدية ونصف الدية والدية كاملة ، فللأول الربع لأنه هلك ، والثاني ثلث الدية ، والثالث نصف الدية ، والرابع الدية ، فأبوا أن يرضوا ، فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو عند مقام إبراهيم فقصوا عليه القصة ، فقال : أنا أحكم بينكم ، فقال رجل من القوم : يا رسول الله إن عليًّا قضى علينا ، فقصوا عليه القصة ، فأجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم رواه الإمام أحمد أيضاً عن وكيع عن حماد بن سلمة عن سماك بن حرب عن حنش عن عليّ ، فذكره .

---

(١) في الخلاصة : أبو الخليل عن علي هو عبد الله بن الخليل .

﴿ كتاب حجة الوداع فى سنة عشر ﴾

﴿ ويقال لها : حجة البلاغ ، وحجة الإسلام ، وحجة الوداع ﴾

لأنه عليه الصلاة والسلام ودع الناس فيها ولم يحج بعدها ، وسميت حجة الإسلام لأنه عليه الصلاة والسلام لم يحج من المدينة غيرها ، ولكن حج قبل الهجرة مرات قبل النبوة وبعدها . وقد قيل : إن فريضة الحج نزلت عامئذ ، وقيل : سنة تسع ، وقيل : سنة ست ، وقيل : قبل الهجرة ، وهو غريب ، وسميت حجة البلاغ لأنه عليه الصلاة والسلام بلّغ الناس شرع الله فى الحج قولا وفعلا ، ولم يكن بقى من دعائم الإسلام وقواعده شىء إلا وقد بينه عليه الصلاة والسلام ، فلما بيّن لهم شريعة الحج ووضحه وشرحه أنزل الله عز وجل عليه وهو واقف بعرفة (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا) .

وسيأتى إيضاح لهذا كله ، والمقصود ذكر حجته عليه الصلاة والسلام كيف كانت ، فإن النقلة اختلفوا فيها اختلافاً كثيراً جداً بحسب ما وصل إلى كل منهم من العلم ، وتفاوتوا فى ذلك تفاوتاً كثيراً لا سيما من بعد الصحابة رضى الله عنهم ، ونحن نورد بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ما ذكره الأئمة فى كتبهم من هذه الروايات ، ونجمع بينها جمعاً يثلج قلب من تأمله وأنعم النظر فيه ، وجمع بين طريقى الحديث ، وفهم معانيه إن شاء الله ، وبالله الثقة وعليه التكلان ، وقد اعتنى الناس بحجة رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتناء كثيراً من قدماء الأئمة ومتأخريهم ، وقد صنف العلامة أبو محمد بن حزم الأندلسى رحمه الله مجلداً فى حجة الوداع أجاد فى أكثره ، ووقع له فيه أوهام سننبّه عليها فى مواضعها ، وبالله المستعان .

﴿ باب ﴾

بيان أنه عليه الصلاة والسلام لم يحج من المدينة إلا حجة واحدة ، وأنه اعتمر قبلها ثلاث عمر ، كما رواه البخارى ومسلم عن هدبة عن همام عن قتادة عن أنس ، قال : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عمر كلهن فى ذى القعدة إلا التى فى حجته ، الحديث . وقد رواه يونس ابن بكير عن عمر بن ذر عن مجاهد عن أبى هريرة مثله . وقال سعد بن منصور عن الدراوردى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ، قالت : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عمر عمرة فى شوال وعمرتين فى ذى القعدة ، وكذا رواه ابن بكير عن مالك عن هشام بن عروة . وروى الإمام أحمد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر ثلاث عمر كلهن فى ذى القعدة . وقال أحمد : حدثنا أبو النضر حدثنا داود ــ يعنى العطار ــ عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عمر : عمرة الحديبية ، وعمرة القضاء ، والثالثة من الجعرانة ، والرابعة التى مع حجته . ورواه أبو داود والترمذى والنسائى من حديث داود العطار ، وحسنه الترمذى .

[وقد تقدم هذا الفصل عند عمرة الجعرانة ، وسيأتى فى فصل من قال إنه عليه السلام حج قارنا وبالله المستعان ، فالأولى ، من هذه العمر] عمرة الحديبية التى صد عنها ، ثم بعدها عمرة القضاء ويقال بل عمرة القصاص ويقال عمرة القضية ، ثم بعدها عمرة الجعرانة مرجعه من الطائف حين قسم غنائم حنين وقد قدمنا ذلك كله فى مواضعه ، والرابعة عمرته مع حجته وسنبين اختلاف الناس فى عمرته هذه مع الحجة هل كان متمتعا بأن أوقع العمرة قبل الحجة وحل منها أو منعه من الإحلال منها سوقه الهدى أو كان قارنا لها مع الحجة كما نذكره من الأحاديث الدالة على ذلك أو كان مفرداً لها عن الحجة بأن أوقعها بعد قضاء الحجة ، قال وهذا هو الذى يقوله من يقول بالإفراد كما هو المشهور عن الشافعى وسيأتى بيان هذا عند ذكرنا إحرامه صلى الله عليه وسلم كيف كان مفرداً أو متمتعا أو قارنا .

قال البخارى : ثنا عمرو بن خالد ثنا زهير ثنا أبو إسحاق حدثنى زيد بنْ أرقم أن النبى صلى الله عليه وسلم غزا تسع عشرة غزوة وأنه حج بعد ما هاجر حجة واحدة ، قال أبو إسحاق و بمكة أخرى وقد رواه مسلم من حديث زهير وأخرجاه من حديث شعبة . زاد البخارى وإسرائيل ثلاثتهم عن أبى إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعى عن زيد به وهذا الذى قال أبو إسحاق من أنه عليه السلام حج بمكة حجة أخرى أى أراد أنه لم يقع منه بمكة إلا حجة واحدة كما هو ظاهر لفظه فهو بعيد فإنه عليه السلام كان بعد الرسالة يحضر مواسم الحج ويدعو الناس إلى الله ويقول: « مَنْ رجل يؤوينى حتى أبلغ كلام ربى فإن قريشاً قد منعونى أن أبلغ كلام ربى عز وجل » حتى قيض الله له جماعة الأنصار يلقونه ليلة العقبة أى عشية يوم النحر عند جمرة العقبة ثلاث سنين متتاليات حتى إذا كانوا آخر سنة بايعوه ليلة العقبة الثانية وهى ثالث اجتماعهم به ثم كانت بعدها الهجرة إلى المدينة كما قدمنا ذلك مبسوطا فى موضعه والله أعلم .

وفى حديث جعفر بن محمد بن على بن الحسين عن أبيه عن جابر بن عبد الله ، قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تسع سنين لم يحج ثم أذن فى الناس بالحج فاجتمع بالمدينة بشر كثير فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لخمس بقين من ذى القعدة أو لأربع. فلما كان بذى الحليفة صلى ثم استوى على راحلته فلما أخذت به فى البيداء لبى وأهللنا لا ننوى إلا الحج ، وسيأتى الحديث بطوله وهو فى صحيح مسلم وهذا لفظ البيهقى من طريق أحمد بن حنبل عن إبراهيم ابن طهمان عن جعفر بن محمد به .

﴿ باب ﴾

﴿ تاريخ خروجه عليه السلام من المدينة لحجة الوداع بعد ما استعمل عليها أبا دجانة سماك ابن خرشة الساعدى ، ويقال سباع بن عُرْفطة الغفارى حكاهما عبد الملك بن هشام ﴾

قال محمد بن إسحاق : فلما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو القعدة من سنة عشر

تجهز للحج ، وأمر الناس بالجهاز له فحدثنى عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه القاسم بن محمد عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحج لخمس ليال بقين من ذى القعدة وهذا إسناد جيد ، وروى الإمام مالك فى موطأه عن يحيى بن سعيد الأنصارى عن عمرة عن عائشة ورواه الإمام أحمد عن عبد الله بن نمير عن يحيى بن سعيد الأنصارى عن عمرة عنها وهو ثابت فى الصحيحين وسنن النسائى وابن ماجه ومصنف ابن أبى شيبة من طرق عن يحيى ابن سعيد الأنصارى عن عمرة عن عائشة ، قالت : خرجنا مع رسول الله لخمس بقين من ذى القعدة لا نرى إلا الحج الحديث بطوله كما سيأتى ، وقال البخارى حدثنا محمد بن أبى بكر المقدمى ثنا فضيل بن سليمان ثنا موسى بن عقبة أخبرنى كريب عن ابن عباس ، قال : انطلق النبى صلى الله عليه وسلم من المدينة بعد ما ترجل وادهن ولبس أزاره ورداءه ولم ينه عن شىء من الأردية ولا الأزر إلا المزعفرة التى تردع الجلد[1] فأصبح بذى الحليفة ركب راحلته حتى استوى على البيداء وذلك لخمس بقين من ذى القعدة فقدم مكة لخمس خلون من ذى الحجة تفرد به البخارى فقوله ـ وذلك لخمس بقين من ذى القعدة ـ إن أراد به صبيحة يومه بذى الحليفة صح قول ابن حزم[2] فى دعواه أنه صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة يوم الخميس وبات بذى الحليفة ليلة الجمعة وأصبح بها يوم الجمعة وهو اليوم الخامس والعشرين من ذى القعدة وإن أراد ابن عباس بقوله وذلك لخمس من ذى القعدة يوم انطلاقه عليه السلام من المدينة بعد ما ترجل وادهن ولبس إزاره ورداءه كما قالت عائشة وجابر أنهم خرجوا من المدينة لخمس بقين من ذى القعدة بَعُدَ قول ابن حزم وتعذر المصير إليه وتعين القول بغيره ولم ينطبق ذلك إلا على يوم الجمعة إن كان شهر ذى القعدة كاملا ولا يجوز أن يكون خروجه عليه السلام من المدينة كان يوم الجمعة لما روى البخارى حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا وهيب ثنا أيوب عن أبى قلابة عن أنس بن مالك ، قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن معه الظهر بالمدينة أربعا والعصر بذى الحليفة ركعتين ثم بات بها حتى أصبح ثم ركب حتى استوت به راحلته على البيداء حمد الله عز وجل وسبح و[كبر] ثم أهل بحج وعمرة ، وقد رواه مسلم والنسائى جميعاً عن قتيبة عن حماد بن زيد عن أيوب عن أبى قلابة عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالمدينة أربعاً والعصر بذى الحليفة ركعتين ، وقال أحمد حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن محمد ـ يعنى ابن المنكدر ـ وإبراهيم بن ميسرة عن أنس ابن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالمدينة أربعاً والعصر بذى الحليفة ركعتين ، ورواه البخارى عن أبى نعيم عن سفيان الثورى به وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائى من حديث سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر وإبراهيم بن ميسرة عن أنس به ، وقال أحمد ثنا محمد بن بكير ثنا ابن جريج عن محمد بن المنكدر عن أنس قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة

---

(١) الردع تغيير اللون إلى الصفرة . (٢) فى المصرية : قول ابن اسحاق .

الظهر أربعا والعصر بذى الحليفة ركعتين ، ثم بات بذى الحليفة حتى أصبح فلما ركب راحلته واستوت به أهل ، وقال أحمد ثنا يعقوب ثنا أبى عن محمد بن إسحاق حدثنى محمد بن المنكدر التيمى عن أنس بن مالك الأنصارى : قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر فى مسجده بالمدينة أربع ركعات ثم صلى بنا العصر بذى الحليفة ركعتين آمنا لا يخاف فى حجة الوداع تفرد به أحمد من هذين الوجهين الآخرين وهما على شرط الصحيح وهذه ينفى كون خروجه عليه السلام يوم الجمعة قطعا ولا يجوز على هذا أن يكون خروجه يوم الخميس كما قال ابن حزم لأنه كان يوم الرابع والعشرين من ذى القعدة لأنه لا خلاف أن أول ذى الحجة كان يوم الخميس لما ثبت بالتواتر والإجماع من أنه عليه السلام وقف بعرفة يوم الجمعة وهو تاسع ذى الحجة بلا نزاع ، فلو كان خروجه يوم الخميس الرابع والعشرين من ذى القعدة لبقى فى الشهر ست ليال قطعاً ليلة الجمعة والسبت والأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء فهذه ست ليال ، وقد قال ابن عباس وعائشة وجابر أنه خرج لخمس بقين من ذى القعدة وتعذر أنه يوم الجمعة لحديث أنس فتعين على هذ أنه عليه السلام خرج من المدينة يوم السبت وظن الراوى أن الشهر يكون تاما فاتفق فى تلك السنة نقصانه فانسلخ يوم الأربعاء واستهل شهر ذى الحجة ليلة الخميس ويؤيده ما وقع فى رواية جابر لخمس بقين أو أربع وهذا التقرير على هذا التقدير لا محيد عنه ولابد منه والله أعلم .

{ باب }

{ صفة خروجه عليه السلام من المدينة إلى مكة للحج }

قال البخارى : حدثنا إبراهيم بن المنذر ثنا أنس بن عياض عن عبيد الله هو ابن عمر عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج من طريق الشجرة ويدخل من طريق المعرّس وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج إلى مكة يصلى فى مسجد الشجرة وإذا رجع صلى بذى الحليفة ببطن الوادى وبات حتى يصبح . تفرد به البخارى من هذا الوجه، وقال الحافظ أبو بكر البزار وجدت فى كتابى عن عمرو بن مالك عن يزيد بن زريع عن هشام عن عزرة بن ثابت عن ثمامة عن أنس ، أن النبى صلى الله عليه وسلم : حج على رحل رث وتحته قطيفة وقال « حجة لا رياء فيها ولا سمعة » وقد علقه البخارى فى صحيحه ، فقال : وقال محمد بن أبى بكر المقدمى حدثنا يزيد بن زريع عن عزرة بن ثابت عن ثمامة قال : حج أنس على رحل رث ولم يكن شحيحاً وحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حج على رحل وكانت زاملته ، هكذا ذكره البزار والبخارى معلقاً مقطوع الإسناد من أوله وقد أسنده الحافظ البيهقى فى سننه ، فقال : أنبأنا أبو الحسن على بن محمد بن على المقرىء أنبأنا أبو الحسن على بن محمد بن إسحاق ثنا يوسف

ابن يعقوب القاضي ثنا محمد بن أبي بكر ثنا يزيد بن زريع فذكره وقد رواه الحافظ أبو يعلى في مسنده من وجه آخر عن أنس بن مالك فقال حدثنا علي بن الجعد أنبأنا الربيع بن صبيح عن يزيد الرقاشي عن أنس قال : حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على رحل رث وقطيفة تساوى - أو لا تساوى - أربعة دراهم ، فقال : « اللهم حجة لا رياء فيها » وقد رواه الترمذي في الشمائل من حديث أبي داود الطيالسي وسفيان الثوري وابن ماجه من حديث وكيع بن الجراح ثلاثتهم عن الربيع بن صبيح به وهو إسناد ضعيف من جهة يزيد بن أبان الرقاشي فإنه غير مقبول الرواية عند الأئمة . وقال الإمام أحمد حدثنا هاشم ثنا اسحاق بن سعيد عن أبيه قال : صدرت مع ابن عمر فمرت بنا رفقة يمانية ورحالهم الأدم وخطم إبلهم الخرز ، فقال عبد الله : من أحب أن ينظر إلى أشبه رفقة وردت العام برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إذ قدموا في حجة الوداع فلينظر إلى هذه الرفقة ، ورواه أبو داود عن هناد عن وكيع عن إسحاق عن سعيد بن أبي عمرو بن سعيد ابن العاص عن أبيه عن ابن عمر .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ وأبو طاهر الفقيه وأبو زكريا بن أبي اسحاق وأبو بكر بن الحسن وأبو سعيد بن أبي عمرو قالوا ثنا أبو العباس هو الأصم أنبأنا محمد ابن عبد الله بن الحكم أنبأنا سعيد بن بشير القرشي حدثنا عبد الله بن حكيم الكناني - رجل من أهل اليمن من مواليهم - عن بشر بن قدامة الضبابي ، قال : أبصرت عيناي حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفاً بعرفات مع الناس على ناقة له حمراء قصواء تحته قطيفة بولانية وهو يقول : « اللهم اجعلها حجة غير رياء ولا منا[1] ولا سمعة » والناس يقولون : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن إدريس ثنا ابن اسحاق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن لزبير عن أبيه أن أسماء بنت أبي بكر قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجاجا حتى أدركنا بالعرج نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلست عائشة إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلست إلى جنب أبي ، وكانت زمالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمالة أبي بكر واحدة مع غلام أبي بكر ، فجلس أبو بكر ينتظر أن يطلع عليه فطلع عليه وليس معه بعيره ، فقال : أين بعيرك ؟ فقال : أضللته البارحة ، فقال أبو بكر : بعير واحد تضله فطفق يضربه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم ويقول : « انظروا إلى هذا المحرم وما يصنع » ، وهكذا رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل ومحمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة ، وأخرجه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة ثلاثتهم عن عبد الله بن إدريس به .

فأما الحديث الذي رواه أبو بكر البزار في مسنده قائلا حدثنا اسماعيل بن حفص ثنا يحيى بن

---

(١) كذا في المصرية وفي التيمورية ولا هنا (كذا) ولم أقف على صحته . وفي ترجمة بشر من الإصابة : اللهم غير رياء ولا سمعة .

اليمان ثنا حمزة الزيات عن حمران بن أعين عن أبى الطفيل عن أبى سعيد قال : حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مشاة من المدينة إلى مكة قد ربطوا أوساطهم ومشيهم خالط المرولة ، فإنه حديث منكر ضعيف الإسناد وحمزة بن حبيب الزيات ضعيف وشيخه متروك الحديث . وقد قال البزار لا يروى إلا من هذا الوجه وإن كان إسناده حسن عندنا ، ومعناه أنهم كانوا فى عمرة إن ثبت الحديث لأنه عليه السلام إنما حج حجة واحدة وكان راكباً و بعض أصحابه مشاة قلت : ولم يعتمر النبى صلى الله عليه وسلم فى شىء من عمره ماشياً لا فى الحديبية ولا فى القضاء ولا الجعرانة ولا فى حجة الوداع ، وأحواله عليه السلام أشهر وأعرف من أن تخفى على الناس ، بل هذا الحديث منكر شاذ لا يثبت مثله ، والله أعلم .

﴿ فصل ﴾

تقدم أنه عليه السلام صلى الظهر بالمدينة أربعاً ثم ركب منها إلى الحليفة وهى وادى العقيق ، فصلى بها العصر ركعتين ، فدل على أنه جاء الحليفة نهاراً فى وقت العصر فصلى بها العصر قصراً وهى من المدينة على ثلاثة أميال ، ثم صلى بها المغرب والعشاء وبات بها حتى أصبح فصلى بأصحابه وأخبرهم أنه جاءه الوحى من الليل بما يعتمده فى الإحرام ، كما قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن آدم ثنا زهير عن موسى بن عقبة عن سالم بن عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم : أنه أتى فى المعرس من ذى الحليفة فقيل له : إنك ببطحاء مباركة ، وأخرجاه فى الصحيحين من حديث موسى بن عقبة به . وقال البخارى : حدثنا الحميدى ثنا الوليد وبشر ابن بكر قالا : ثنا الأوزاعى ثنا يحيى حدثنى عكرمة أنه سمع ابن عباس أنه سمع عمر يقول : سمعت رسول الله بوادى العقيق يقول « أتانى الليلة آت من ربى فقال صل فى هذا الوادى المبارك وقل عمرة فى حجة » تفرد به دون مسلم ، فالظاهر أن أمره عليه السلام بالصلاة فى وادى العقيق هو أمر بالإقامة به إلى أن يصلى صلاة الظهر لأن الأمر إنما جاءه فى الليل وأخبرهم بعد صلاة الصبح فلم يبق إلا صلاة الظهر فأمر أن يصليها هنالك وأن يوقع الإحرام بعدها ولهذا قال «أتانى الليلة آت من ربى عز وجل فقال صل فى هذا الوادى المبارك وقل عمرة فى حجة ، وقد احتج به على الأمر بالقران فى الحج ، وهو من أقوى الأدلة على ذلك كما سيأتى بيانه قريباً ، والمقصود أنه عليه السلام أمر بالإقامة بوادى العقيق إلى صلاة الظهر ، وقد امتثل صلوات الله وسلامه عليه ذلك فأقام هنالك وطاف على نسائه فى تلك الصبيحة وكن تسع نسوة وكلهن خرج معه ولم يزل هنالك حتى صلى الظهر كما سيأتى فى حديث أبى حسان الأعرج عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بذى الحليفة ثم أشعر بدنته ثم ركب فأهل وهو عند مسلم ، وهكذا قال الإمام أحمد حدثنا روح ثنا أشعث ــ هو ابن عبد الملك ــ عن الحسن عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر ثم ركب راحلته فلما علا شرف البيداء أهل . ورواه

أبو داود عن أحمد بن حنبل والنسائي عن إسحاق بن راهويه عن النضر بن شميل عن أشعث بمعناه ، وعن أحمد بن الأزهر عن محمد بن عبد الله الأنصارى عن أشعث أتم منه ، وهذا فيه رد على ابن حزم حيث زعم أن ذلك فى صدر النهار ، وله أن يعتضد بما رواه البخارى من طريق أيوب عن رجل عن أنس أن رسول الله بات بذى الحليفة حتى أصبح فصلى الصبح ثم ركب راحلته حتى إذا استوت به البيداء أهل بعمرة وحج ، ولكن فى إسناده رجل مبهم والظاهر أنه أبو قلابة والله أعلم . قال مسلم فى صحيحه : حدثنا يحيى بن حبيب الحارثى ثنا خالد - يعنى ابن الحارث - ثنا شعبة عن ابراهيم بن محمد بن المنتشر سمعت أبى يحدث عن عائشة أنها قالت : كنت أطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يطوف على نسائه ثم يصبح محرما ينضح طيباً .

وقد رواه البخارى من حديث شعبة وأخرجاه من حديث أبى عوانة ، ومسلم ومسعر وسفيان بن سعيد الثورى أربعتهم عن ابراهيم بن محمد بن المنتشر به ، وفى رواية لمسلم عن إبراهيم ابن محمد بن المنتشر عن أبيه قال : سألت عبد الله بن عمر عن الرجل يتطيب ثم يصبح محرما ، قال : ما أحب أنى أصبح محرما أنضح طيباً ، لأن أطلى القطران أحب إلىّ من أن أفعل ذلك ، فقالت عائشة : أنا طيبت رسول الله عند إحرامه ثم طاف فى نسائه ثم أصبح محرما . وهذا اللفظ الذى رواه مسلم يقتضى أنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتطيب قبل أن يطوف على نسائه ليكون ذلك أطيب لنفسه وأحب إليهن ، ثم لما اغتسل من الجنابة وللإحرام تطيب أيضاً للإحرام طيبا آخر . كما رواه الترمذى والنسائى من حديث عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تجرد لإهلاله واغتسل . وقال الترمذى حسن غريب . وقال الإمام أحمد حدثنا زكريا بن عدى أنبأنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن عروة عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يحرم غسل رأسه بخطمى وأشنان ودهنه بشىء من زيت غير كثير . الحديث تفرد به أحمد ، وقال أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعى رحمه الله أنبأنا سفيان بن عيينة عن عثمان بن عروة سمعت أبى يقول سمعت عائشة تقول : طَيَّبْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لحرمه ولحله ، قلت لها : بأى طيب ؟ قالت : بأطيب الطيب ، وقد رواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة وأخرجه البخارى من حديث وهب عن هشام بن عروة عن أخيه عثمان عن أبيه عروة عن عائشة به وقال البخارى حدثنا عبد الله بن يوسف أنبأنا مالك عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة قالت : كنت أطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم لإحرامه حين يحرم ، ولحله قبل أن يطوف بالبيت ، وقال مسلم حدثنا عبد بن حميد أنبأنا محمد بن أبى بكر أنبأنا ابن جريج أخبرنى عمر بن عبد الله بن عروة أنه سمع عروة والقاسم يخبران عن عائشة قالت : طيبت رسول الله بيدى بذريرة فى حجة الوداع للحل والإحرام . وروى مسلم من حديث سفيان بن عيينة عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى هاتين لحرمه حين أحرم ولحله قبل أن يطوف بالبيت .

وقال مسلم حدثنى أحمد بن منيع ويعقوب الدورقى قالا : ثنا هشيم أنبأنا منصور عن عبد الرحمن ابن القاسم عن أبيه عن عائشة قالت : كنت أطيب النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يحرم ويحل ويوم النحر قبل أن يطوف بالبيت بطيب فيه مسك ، وقال مسلم : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة وزهير بن حرب ، قالا : ثنا وكيع ثنا الأعمش عن أبى الضحى عن مسروق عن عائشة قالت : كأنى أنظر إلى وبيص المسك فى مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يلبى ، ثم رواه مسلم من حديث الثورى وغيره عن الحسن بن عبيد الله عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت : كأنى أنظر إلى وبيص المسك فى مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم ، ورواه البخارى من حديث سفيان الثورى ومسلم من حديث الأعمش كلاهما عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عنها ، وأخرجاه فى الصحيحين من حديث شعبة عن الحكم بن إبراهيم عن الأسود عن عائشة .

وقال أبو داود الطيالسى : أنبأنا أشعث عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة ، قالت : كأنى أنظر إلى وبيض الطيب فى أصول شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم ، وقال الإمام أحمد حدثنا عفان ثنا حماد بن سلمة عن إبراهيم النخعى عن الأسود عن عائشة ، قالت : كأنى أنظر إلى وبيص الطيب فى مفرق النبى صلى الله عليه وسلم بعد أيام وهو محرم ، وقال عبد الله بن الزبير الحميدى ثنا سفيان بن عيينة ثنا عطاء بن السائب عن إبراهيم النخعى عن الأسود عن عائشة ، قالت : رأيت الطيب فى مفرق رسول الله بعد ثالثة وهو محرم ، فهذه الأحاديث دالة على أنه عليه السلام تطيب بعد الغسل إذ لو كان الطيب قبل الغسل لذهب به الغسل ولما بقى له أثر ولا سيما بعد ثلاثة أيام من يوم الإحرام .

وقد ذهب طائفة من السلف منهم ابن عمر إلى كراهة التطيب عند الإحرام وقد روينا هذا الحديث من طريق ابن عمر عن عائشة ، فقال الحافظ البيهقى : أنبأنا أبو الحسين بن بشران - ببغداد - أنبأنا أبو الحسن على بن محمد المصرى ثنا يحيى بن عثمان بن صالح ثنا عبد الرحمن بن أبى الغمر ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر عن عائشة ، أنها قالت : طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغالية الجيدة عند إحرامه ، وهذا إسناد غريب عزيز المخرج ثم إنه عليه السلام لبد رأسه ليكون أحفظ لما فيه من الطيب وأصون له من استقرار التراب والغبار ، قال مالك عن نافع عن ابن عمر . إن حفصة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت : يا رسول الله ما شأن الناس حلوا من العمرة ولم تحل أنت من عمرتك ، قال : « إنى لبدت رأسى وقلدت هدى فلا أحل حتى أنحر » ، وأخرجاه فى الصحيحين من حديث مالك وله طرق كثيرة عن نافع .

وقال البيهقى أنبأنا الحاكم أنبأنا الأصم أنبأنا يحيى بن محمد بن يحيى ثنا عبيد الله بن عمر القواريرى ثنا عبد الأعلى ثنا محمد بن إسحاق عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبد رأسه بالعسل ،

وهذا إسناد جيد ثم إنه عليه السلام أشعر الهدى وقلده وكان معه بذى الحليفة ، قال الليث عن عقيل عن الزهرى عن سالم عن أبيه تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع بالعمرة إلى الحج وأهدى فساق معه الهدى من ذى الحليفة ، وسيأتى الحديث بتمامه وهو فى الصحيحين والكلام عليه إن شاء الله ، وقال مسلم : حدثنا محمد بن المثنى ثنا معاذ بن هشام هو الدستوائى حدثنى أبى عن قتادة عن أبى حسان عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أتى ذا الحليفة دعا بناقته فأشعرها فى صفحة سنامها الأيمن وسلت الدم وقلدها نعلين ثم ركب راحلته، وقد رواه أهل السنن الأربعة من طرق عن قتادة وهذا يدل على أنه عليه السلام تعاطى هذا الإشعار والتقليد بيده الكريمة فى هذه البدنة وولى إشعار بقية الهدى وتقليده غيره فإنه قد كان هدى كثير إما مائة بدنة أو أقل منها بقليل وقد ذبح بيده الكريمة ثلاثا وستين بدنة وأعطى عليا فذبح ما غبر وفى حديث جابر أن عليا قدم من اليمن ببدن للنبى صلى الله عليه وسلم وفى سياق ابن إسحاق أنه عليه السلام أشرك عليا فى بُدْنه والله أعلم ، وذكر غيره أنه ذبح هو وعلىّ يوم النحر مائة بدنة فعلى هذا يكون قد ساقها معه من ذى الحليفة وقد يكون اشترى بعضها بعد ذلك وهو محرم .

﴿ باب ﴾

﴿ بيان الموضع الذى أهل منه عليه السلام واختلاف الناقلين لذلك وترجيح الحق فى ذلك ﴾

﴿ ذكر من قال إنه عليه السلام أحرم من المسجد الذى بذى الحليفة بعد الصلاة ﴾

تقدم الحديث الذى رواه البخارى من حديث الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير عن عكرمة عن ابن عباس عن عمر ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادى العقيق يقول : أتانى آت من ربى ، فقال صل فى هذا الوادى المبارك وقل عمرة فى حجة ، وقال البخارى : باب الإهلال عند مسجد ذى الحليفة حدثنا على بن عبد الله ثنا سفيان ثنا موسى بن عقبة سمعت سالم بن عبد الله (ح) وحدثنا عبد الله بن مسلمة ثنا مالك عن موسى بن عقبة عن سالم بن عبد الله أنه سمع أباه يقول : ما أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من عند المسجد - يعنى مسجد ذى الحليفة ، وقد رواه الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن موسى بن عقبة ، وفى رواية لمسلم عن موسى بن عقبة عن سالم ونافع وحمزة بن عبد الله بن عمر ثلاثتهم عن عبد الله بن عمر فذكره ، وزاد فقال لبيك اللهم لبيك وفى رواية لهما من طريق مالك عن موسى بن عقبة عن سالم ، قال قال عبد الله بن عمر : بيداؤكم هذه التى تكذبون فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما أهل رسول الله إلا من عند المسجد ، وقد روى عن ابن عمر خلاف هذا كما يأتى فى الشق الآخر وهو ما أخرجاه فى الصحيحين من طريق مالك عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن عبيد بن جريج عن ابن عمر فذكر حديثا فيه أن عبد الله قال وأما الإهلال فإنى لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يهل حتى تنبعث به راحلته .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن ابن إسحاق حدثني خصيف عن عبد الرحمن الجزري عن سعيد بن جبير ، قال قلت : لعبد الله بن عباس يا أبا العباس عجبا لاختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في إهلال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أوجب ، فقال : إني لأعلم الناس بذلك إنما كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة واحدة فمن هناك اختلفوا ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجا فلما صلى في مسجده بذي الحليفة ركعتيه أوجب في مجلسه فأهل بالحج حين فرغ من ركعتيه فسمع ذلك منه قوم فحفظوا عنه ، ثم ركب فلما استقلت به ناقته أهل وأدرك ذلك منه أقوام وذلك أن الناس إنما كانوا يأتون أرسالا فسمعوه حين استقلت به ناقته يهل ، فقالوا : إنما أهل رسول الله حين استقلت به ناقته ، ثم مضى رسول الله فلما علا شرف البيداء أهل وأدرك ذلك منه أقوام ، فقالوا : إنما أهل رسول الله حين علا شرف البيداء ، وأيم الله لقد أوجب في مُصلاه ، وأهل حين استقلت به ناقته ، وأهلّ حين علا شرف البيداء ، فمن أخذ بقول عبد الله بن عباس [إنه] أهل في مصلاه إذا فرغ من ركعتيه ، وقد رواه الترمذي والنسائي جميعاً عن قتيبة عن عبد السلام بن حرب عن خُصَيف به نحوه ، وقال الترمذي حسن غريب لا نعرف أحداً رواه غير عبد السلام كذا قال وقد تقدم رواية الإمام أحمد له من طريق محمد بن إسحاق عنه ، وكذلك رواه الحافظ البيهقي عن الحاكم عن القطيعي عن عبد الله بن أحمد عن أبيه ، ثم قال : خُصَيف الجزَري غير قوي ، وقد رواه الواقدي بإسناد له عن ابن عباس ، قال البيهقي : إلا أنه لا يدفع متابعة الواقدي والأحاديث التي وردت في ذلك عن عمر وغيره مسانيدها قوية ثابتة والله تعالى أعلم .

قلت : فلو صح هذا الحديث لكان فيه جمع لما بين الأحاديث من الاختلاف وبسط لعذر من نقل خلاف الواقع ، ولكن في إسناده ضعف ثم قد روى عن ابن عباس وابن عمر خلاف ما تقدم عنهما كما سننبه عليه ونبينه وهكذا ذكر من قال أنه عليه السلام أهل حين استوت به راحلته ، قال البخاري : حدثنا عبد الله بن محمد ثنا هشام بن يوسف أنبأنا ابن جريج حدثني محمد بن المنكدر عن أنس بن مالك ، قال : صلى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة أربعاً وبذي الحليفة ركعتين ثم بات حتى أصبح بذي الحليفة فلما ركب راحلته واستوت به أهل ، وقد رواه البخاري ومسلم وأهل السنن من طرق عن محمد بن المنكدر وإبراهيم بن ميسرة عن أنس وثبت في الصحيحين من حديث مالك عن سعيد المقبري عن عبيد بن جريج عن ابن عمر ، قال : وأما الإهلال فإني لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يهل حتى تنبعث به راحلته وأخرجا في الصحيحين من رواية ابن وهب عن يونس عن الزهري عن سالم عن أبيه ، أن رسول الله كان يركب راحلته بذي الحليفة ثم يهل حين تستوي به قائمة ، وقال البخاري : باب من أهل حين استوت به راحلته حدثنا أبو عاصم ثنا ابن جريج أخبرني صالح بن كيسان عن نافع

عن ابن عمر ، قال : أهل النبي صلى الله عليه وسلم حين استوت به راحلته قائمة . وقد رواه مسلم والنسائي من حديث ابن جريج به . وقال مسلم : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا علي بن مسهر عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وضع رجله في الغرز وانبعثت به راحلته قائمة أهل من ذي الحليفة ، انفرد به مسلم من هذا الوجه ، وأخرجاه من وجه آخر عن عبيد الله بن عمر عن نافع عنه . ثم قال البخاري : باب الإهلال مستقبل القبلة . قال أبو معمر : حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب عن نافع ، قال : كان ابن عمر إذ صلى الغداة بذي الحليفة أمر براحلته فرحلت ، ثم ركب ، فإذا استوت به استقبل القبلة قائما ثم يلبي حتى يبلغ الحرم ، ثم يمسك حتى إذا جاء ذا طوى بات به حتى يصبح ، فإذا صلى الغداة اغتسل ، وزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك ، ثم قال : تابعه إسماعيل عن أيوب في الغسل . وقد علق البخاري أيضاً هذا الحديث في كتاب الحج عن محمد بن عيسى عن حماد بن زيد ، وأسنده فيه عن يعقوب بن إبراهيم الدورقي عن إسماعيل هو ابن عُلَيَّة . ورواه مسلم عن زهير بن حرب عن إسماعيل ، وعن أبي الربيع الزهراني وغيره عن حماد بن زيد ثلاثتهم عن أيوب عن أبي تميمة السختياني به . ورواه أبو داود عن أحمد بن حنبل عن إسماعيل بن علية به . ثم قال البخاري : حدثنا سليمان أبو الربيع حدثنا فليح عن نافع ، قال : كان ابن عمر إذا أراد الخروج إلى مكة أدّهن بدهن ليس له رائحة طيبة ، ثم يأتي مسجد ذي الحليفة فيصلي ثم يركب ، فإذا استوت به راحلته قائمة أحرم ، ثم قال : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ، تفرد به البخاري من هذا الوجه . وروى مسلم عن قتيبة عن حاتم بن إسماعيل عن موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه ، قال : بيداؤكم هذه التي تكذبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ، والله ما أهلّ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من عند الشجرة حين قام به بعيره وهذا الحديث يجمع بين رواية ابن عمر الأولى وهذه الروايات عنه ، وهو أن الإحرام كان من عند المسجد ، ولكن بعد ما ركب راحلته واستوت به على البيداء ــ يعني الأرض ــ وذلك قبل أن يصل إلى المكان المعروف بالبيداء . ثم قال البخاري في موضع آخر : حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا فضيل بن سليمان حدثنا موسى بن عقبة حدثني كريب عن عبد الله بن عباس ، قال : انطلق النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة بعد ما ترجل وادّهن ولبس إزاره ورداءه هو وأصحابه ولم ينه عن شيء من الأردية والأزر تلبس إلا المزعفرة التي تردع على الجلد ، فأصبح بذي الحليفة ركب راحلته حتى استوى على البيداء أهلّ هو وأصحابه وقلد بدنه ، وذلك لخمس بقين من [ذي القعدة ، فقدم مكة لأربع ليال خلون من] ذي الحجة ، فطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة ، ولم يحل من أجل بدنه لأنه قلدها ، ثم نزل بأعلا مكة عند الحجون وهو مهل بالحج ولم يقرب الكعبة بعد طوافه بها حتى رجع من عرفة ، وأمر أصحابه أن يطوفوا بالبيت وبين الصفا والمروة ثم يقصروا من رءوسهم ثم يحلوا ، وذلك

لمن لم يكن معه بدنة قلدها ، ومن كانت معه امرأته فهي له حلال والطيب والثياب ، انفرد به البخاري . وقد روى الإمام أحمد عن بهز بن أسد وحجاج وروح بن عبادة وعفان بن مسلم كلهم عن شعبة ، قال : أخبرني قتادة قال : سمعت أبا حسان الأعرج الأجرد ، وهو مسلم بن عبد الله البصري عن ابن عباس ، قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر بذي الحليفة ، ثم دعا ببدنته فأشعر صفحة سنامها الأيمن وسلت الدم عنها وقلدها نعلين ، ثم دعا براحلته ، فلما استوت على البيداء أهلّ بالحج . ورواه أيضاً عن هشيم أنبأنا أصحابنا منهم شعبة فذكر نحوه . ثم رواه الإمام أحمد أيضاً عن روح وأبي داود الطيالسي ووكيع بن الجراح كلهم عن هشام الدستوائي عن قتادة به نحوه ، ومن هذا الوجه رواه مسلم في صحيحه ، وأهل السنن في كتبهم ، فهذه الطرق عن ابن عباس من أنه عليه الصلاة والسلام أهلّ حين استوت به راحلته أصح وأثبت من رواية خصيف الجزري عن سعيد بن جبير عنه ، والله أعلم .

وهكذا الرواية المثبتة المفسرة أنه أهلّ حين استوت به الراحلة مقدمة على الأخرى لاحتمال أنه أراد أنه أحرم من عند المسجد حين استوت به راحلته ، ويكون رواية ركوبه الراحلة فيها زيادة علم على الأخرى ، والله أعلم . ورواية أنس في ذلك سالمة عن المعارض . وهكذا رواية جابر بن عبد الله في صحيح مسلم من طريق جعفر الصادق عن أبيه عن أبي الحسين زين العابدين عن جابر في حديثه الطويل الذي سيأتي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلّ حين استوت به راحلته سالمة عن المعارض ، والله أعلم . وروى البخاري من طريق الأوزاعي سمعت عطاء عن جابر بن عبد الله : أن إهلال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذي الحليفة حين استوت به راحلته . فأما الحديث الذي رواه محمد بن إسحاق بن يسار عن أبي الزناد عن عائشة بنت سعد ، قالت : قال سعد : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أخذ طريق الفرع أهلّ إذا استقلت به راحلته ، وإذا أخذ طريقاً أخرى أهلّ إذا علا على شرف البيداء . فرواه أبو داود والبيهقي من حديث ابن إسحاق وفيه غرابة ونكارة ، والله أعلم . فهذه الطرق كلها دالة على القطع أو الظن الغالب أنه عليه الصلاة والسلام أحرم بعد الصلاة وبعد ما ركب راحلته وابتدأت به السير زاد ابن عمر في روايته : وهو مستقبل القبلة .

﴿ باب ﴾

﴿ بسط البيان لما أحرم به عليه الصلاة والسلام في حجته هذه من الإفراد أو التمتع أو القران ﴾

﴿ ذكر الأحاديث الواردة بأنه عليه الصلاة والسلام كان مفرداً ﴾

رواية عائشة أم المؤمنين في ذلك ، قال أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي : أنبأنا مالك عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرد الحج . ورواه

مسلم عن إسماعيل عن أبي أويس ويحيى بن يحيى عن مالك . ورواه الإمام أحمد عن عبد الرحمن ابن مهدى عن مالك به . وقال أحمد حدثنا إسحاق بن عيسى حدثنى المنكدر بن محمد عن ربيعة ابن أبي عبدالرحمن عن القاسم بن محمد عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرد الحج . وقال الإمام أحمد ثنا شريح ثنا ابن أبي الزناد عن أبيه عن عروة عن عائشة ، وعن علقمة بن أبي علقمة عن أمه عن عائشة . وعن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرد الحج . تفرد به أحمد من هذه الوجوه عنها . وقال الإمام أحمد حدثني عبد الأعلى ابن حماد قال قرأت على مالك بن أنس عن أبي الأسود عن عروة عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرد الحج . وقال :حدثنا روح ثنا مالك عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن ابن نوفل — وكان يتيما في حجر عروة — عن عروة بن الزبير عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرد الحج . ورواه ابن ماجه عن أبي مصعب عن مالك كذلك . ورواه النسائي عن قتيبة عن مالك عن أبي الأسود عن عروة عن عائشة : أن رسول الله أهل بالحج وقال أحمد أيضا ثنا عبد الرحمن عن مالك عن أبي الأسود عن عروة عن عائشة . قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنا من أهل بالحج ومنا من أهل بالعمرة ومنا من أهل بالحج والعمرة وأهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج ، فأما من أهل بالعمرة فأحلوا حين طافوا بالبيت وبالصفا والمروة وأما من أهل بالحج أو بالحج والعمرة فلم يحلوا إلى يوم النحر . وهكذا رواه البخاري عن عبد الله بن يوسف والقعنبي وإسماعيل ابن أبي أويس عن مالك ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى عن مالك به . وقال أحمد حدثنا سفيان عن الزهري عن عروة عن عائشة : أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج وأهل ناس بالحج والعمرة وأهل ناس بالعمرة . ورواه مسلم عن ابن أبي عمر عن سفيان بن عيينة به نحوه . فأما الحديث الذي قال الإمام أحمد ثنا قتيبة بن سعيد ثنا عبد العزيز بن محمد عن علقمة بن أبي علقمة عن أمه عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس في حجة الوداع فقال من أحب أن يبدأ بعمرة قبل الحج فليفعل ، وأفرد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج ولم يعتمر . فإنه حديث غريب جداً تفرد به أحمد بن حنبل وإسناده لا بأس به ولكن لفظه فيه نكارة شديدة وهو قوله : فلم يعتمر . فإن أريد بهذا أنه لم يعتمر مع الحج ولا قبله هو قول من ذهب إلى الإفراد إن أريد أنه لم يعتمر بالكلية لا قبل الحج ولا معه ولا بعده ، فهذا مما لا أعلم أحداً من العلماء قال به ثم هو مخالف لما صح عن عائشة وغيرها من أنه صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عمر كلهن في ذي القعدة إلا التي مع حجته . وسيأتي تقرير هذا في فصل القران مستقصى والله أعلم وهكذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد قائلا في مسنده حدثنا روح ثنا صالح بن أبي الأخضر ثنا ابن شهاب أن عروة أخبر أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج والعمرة في حجة الوداع

وساق معه الهدى ، وأهل ناس معه بالعمرة وساقوا الهدى ، وأهل ناس بالعمرة ولم يسوقوا هديا . قالت عائشة : وكنت ممن أهل بالعمرة ولم أسق هديا ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم [قال] : من كان منكم أهل بالعمرة فساق معه الهدى فليطف بالبيت وبالصفا والمروة ولا يحل منه شيء حرم منه حتى يقضي حجه وينحر هديه يوم النحر ، ومن كان منكم أهل بالعمرة ولم يسق معه هديا فليطف بالبيت وبالصفا والمروة ثم ليقصر وليحلل ثم ليهل بالحج وليهد ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله . قالت عائشة فقدم رسول الله الحج الذي خاف فوته وأخر العمرة . فهو حديث من أفراد الإمام أحمد وفي بعض ألفاظه نكارة ولبعضه شاهد في الصحيح ، وصالح بن أبي الأخضر ليس من علية أصحاب الزهري لاسيما إذا خالفه غيره كما هنا في بعض ألفاظ سياقه هذا . وقوله فقدم الحج الذي يخاف فوته وأخر العمرة لايلتئم مع أول الحديث أهل بالحج والعمرة ، فإن أراد أنه أهل بهما في الجملة وقدم أفعال الحج ثم بعد فراغه أهل بالعمرة كما يقوله من ذهب إلى الإفراد فهو مما نحن فيه ههنا ، وإن أراد أنه أخر العمرة بالكلية بعد إحرامه بها فهذا لا أعلم أحداً من العلماء صار إليه ، وإن أراد أنه اكتفى بأفعال الحج عن أفعال العمرة ودخلت العمرة في الحج ، فهذا قول من ذهب إلى القران وهم يؤولون قول من روى أنه عليه الصلاة والسلام أفرد الحج أي أفرد أفعال الحج وإن كان قد نوى معه العمرة قالوا لأنه قد روى القران كل من روى الإفراد كما سيأتي بيانه والله تعالى أعلم .

رواية جابر بن عبد الله في الإفراد : قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله . قال : أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته بالحج . إسناده جيد على شرط مسلم . ورواه البيهقي عن الحاكم وغيره عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر . قال : أهل رسول الله في حجته بالحج ليس معه عمرة ، وهذه الزيادة غريبة جداً ورواية الإمام أحمد بن حنبل أحفظ والله أعلم وفي صحيح مسلم من طريق جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر . قال : وأهللنا بالحج لسنا نعرف العمرة . وقد روى ابن ماجه عن هشام بن عمار عن الدراوردي وحاتم بن إسماعيل كلاهما عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرد الحج ، وهذا إسناد جيد . وقال الإمام أحمد ثنا عبد الوهاب الثقفي ثنا حبيب — يعني المعلم — عن عطاء حدثني جابر بن عبد الله : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل هو وأصحابه بالحج ليس مع أحد منهم هدى إلا النبي صلى الله عليه وسلم وطلحة وذكر تمام الحديث وهو في صحيح البخاري بطوله كما سيأتي عن محمد بن المثنى عن عبد الوهاب.

رواية عبد الله بن عمر للإفراد : قال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل بن محمد ثنا عباد — يعني ابن عباد — حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر . قال : أهللنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحج مفردا . ورواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عون عن عباد بن عباد

عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل بالحج مفرداً ، وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا الحسن بن عبد العزيز ومحمد بن مسكين قالا حدثنا بشر بن بكر ثنا سعيد بن عبد العزيز بن زيد بن أسلم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل بالحج – يعني مفرداً – إسناده جيد ولم يخرجوه .

رواية ابن عباس للإفراد : روى الحافظ البيهقي من حديث روح بن عبادة عن شعبة عن أيوب عن أبي العالية البراء عن ابن عباس أنه قال : أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج ، فقدم لأربع مضين من ذي الحجة فصلى بنا الصبح بالبطحاء ، ثم قال: من شاء أن يجعلها عمرة فليجعلها ثم قال : رواه مسلم عن ابراهيم بن دينار عن ابن روح وتقدم من رواية قتادة عن أبي حسان الأعرج عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بذي الحليفة ، ثم أتى ببدنة فأشعر صفحة سنامها الأيمن ، ثم أتى براحلته فركبها فلما استوت به على البيداء أهل بالحج ،وهو في صحيح مسلم أيضاً . وقال الحافظ أبو الحسن الدارقطني ثنا الحسين بن إسماعيل ثنا أبو هشام ثنا أبو بكر بن عياش ثنا أبو حصين عن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه قال : حججت مع أبي بكر فجرد ، ومع عمر فجرد ، ومع عثمان فجرد ، تابعه الثوري عن أبي حصين ، وهذا إنما ذكرناه هنا لأن الظاهر أن هؤلاء الأئمة الأربعة رضي الله عنهم إنما يفعلون هذا عن توقيف والمراد بالتجريد ههنا الإفراد والله أعلم .

وقال الدارقطني ثنا أبو عبيد الله القاسم بن اسماعيل ومحمد بن مخلد قالا ثنا على بن محمد بن معاوية الرزاز ثنا عبد الله بن نافع عن عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر : أن النبي صلى الله عليه وسلم استعمل عتاب بن أسيد على الحج فأفرد ، ثم استعمل أبا بكر سنة تسع فأفرد الحج ، ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشر فأفرد الحج ، ثم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر فبعث عمر فأفرد الحج ، ثم حج أبو بكر فأفرد الحج ، وتوفي أبو بكر واستخلف عمر فبعث عبد الرحمن بن عوف فأفرد الحج ، ثم حج فأفرد الحج ، ثم حصر عثمان فأقام عبد الله بن عباس للناس فأفرد الحج ، في إسناده عبد الله بن عمر العمري وهو ضعيف ، لكن قال الحافظ البيهقي له شاهد بإسناد صحيح .

﴿ ذكر من قال إنه عليه الصلاة والسلام حج متمتعاً ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا حجاج ثنا ليث حدثني عقيل عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر قال : تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة إلى الحج وأهل فساق الهدي من ذي الحليفة ، وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهل بالعمرة ثم أهل بالحج ، وكان من الناس من أهدى فساق الهدي من ذي الحليفة ومنهم من لم يهد ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قال للناس : « من كان منكم أهدى فإنه لا يحل من شيء حرم منه حتى

يقضى حجه ومن لم يكن أهدى فليطف بالبيت وبالصفا والمروة وليقصر وليحلل ثم ليهل بالحج وليهد فمن لم يجد هديا فليصم ثلاثة أيام وسبعة إذا رجع إلى أهله » ، وطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم مكة ، استلم [الركن] أول شيء ثم خب ثلاثة أشواط من السبع ومشى أربعة أطواف ثم ركع حين قضى طوافه بالبيت عند المقام ركعتين ثم سلم فانصرف فأتى الصفا فطاف بالصفا والمروة ثم لم يحلل من شيء حرم منه حتى قضى حجه ونحر هديه يوم النحر وأفاض فطاف بالبيت ، وفعل مثل ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهدى فساق الهدى من الناس

قال الإمام أحمد : وحدثنا حجاج ثنا ليث حدثنى عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير أن عائشة أخبرته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تمتعه بالعمرة إلى الحج وتمتع الناس معه بمثل الذى أخبرنى سالم بن عبد الله عن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد روى هذا الحديث البخارى عن يحيى بن بكير ، ومسلم وأبو داود عن عبد الملك بن شعيب عن الليث عن أبيه ، والنسائى عن محمد بن عبد الله بن المبارك المخرمى عن حجين بن المثنى ثلاثتهم عن الليث بن سعد عن عُقيل عن الزهرى عن عروة عن عائشة كما ذكره الإمام أحمد رحمه الله . وهذا الحديث من المشكلات على كل من الأقوال الثلاثة ، أما قول الإفراد ففى هذا إثبات عمرة إما قبل الحج أو معه ، وأما على قول التمتع الخاص فلأنه ذكر أنه لم يحل من إحرامه بعد ما طاف بالصفا والمروة وليس هذا شأن المتمتع ، ومن زعم أنه إنما منعه من التحلل سوق الهدى كما يفهم من حديث ابن عمر عن حفصة أنها قالت : يا رسول الله ما شأن الناس حلوا من العمرة ولم تحل أنت من عمرتك؟ فقال : إنى لبدت رأسى وقلدت هدى فلا أحل حتى أنحر . فقولهم بعيد لأن الأحاديث الواردة فى إثبات القران ترد هذا القول وتأبى كونه عليه السلام إنما أهلّ أولا بعمرة ثم بعد سعيه بالصفا والمروة أهل بالحج فإن هذا على هذه الصفة لم ينقله أحد بإسناد صحيح بل ولا حسن ولا ضعيف . وقوله فى هذا الحديث : تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع بالعمرة إلى الحج ، إن أريد بذلك التمتع الخاص وهو الذى يحل منه بعد السعى فليس كذلك فإن فى سياق الحديث ما يرده ثم فى إثبات العمرة القارنة لحجه عليه السلام ما يأباه ، وإن أريد به التمتع العام دخل فيه القران وهو المراد . وقوله : وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهلّ بالعمرة ثم أهلّ بالحج ، إن أريد به بدأ بلفظ العمرة على لفظ الحج بأن قال لبيك اللهم عمرة وحجا ، فهذا سهل ولا ينافى القران ، وإن أريد به أنه أهل بالعمرة أولا ثم أدخل عليها الحج متراخ ولكن قبل الطواف فقد صار قارنا أيضا ، وإن أريد به أنه أهل بالعمرة ثم لما فرغ من أفعالها تحلل أو لم يتحلل بسوق الهدى كما زعمه زاعمون ، ولكنه أهل بحج بعد قضاء مناسك العمرة وقبل خروجه إلى منى ، فهذا لم ينقله أحد من الصحابة كما قدمنا ، ومن ادعاه من الناس فقوله مردود لعدم نقله ومخالفته الأحاديث الواردة فى إثبات القران كما سيأتى ، بل الأحاديث الواردة فى الإفراد كما سبق والله أعلم .

والظاهر والله أعلم أن حديث الليث هذا عن عقيل عن الزهري عن سالم عن ابن عمر مروى من الطريق الأخرى عن ابن عمر حين أفرد الحج زمن محاصرة الحجاج لابن الزبير فقيل له إن الناس كائن بينهم شيء فلو أخرت الحج عامك هذا ؟ فقال : إذاً أفعل كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم يعني زمن حصر عام الحديبية فأحرم بعمرة من ذى الحليفة ثم لما علا شرف البيداء قال : ما أرى أمرهما إلا واحداً فأهل بحج معها فاعتقد الراوى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا فعل ، سواء بدأ فأهل بالعمرة ثم أهل بالحج فرووه كذلك وفيه نظر لما سنبينه ، وبيان هذا في الحديث الذي رواه عبد الله بن وهب أخبرني مالك بن أنس وغيره أن نافعا حدثهم أن عبدالله ابن عمر خرج في الفتنة[1] معتمراً وقال : إن صُدِدْتُ عن البيت صنعنا كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج فأهل بالعمرة وسار حتى إذا ظهر على ظاهر البيداء التفت إلى أصحابه فقال : ما أمرهما إلا واحد أشهدكم أنى قد أوجبت الحج مع العمرة ، فخرج حتى جاء البيت فطاف به وطاف بين الصفا والمروة سبعاً لم يزد عليه ، ورأى أن ذلك مُجزٍ عنه وأهدى ، وقد أخرجه صاحب الصحيح من حديث مالك ، وأخرجاه من حديث عبيدالله عن نافع به ، ورواه عبدالرزاق عن عبيد الله وعبد العزيز بن أبى رواد عن نافع به بنحوه ، وفيه : ثم قال في آخره هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيما رواه البخارى حيث قال حدثنا قتيبة ثنا ليث عن نافع أن ابن عمر أراد الحج عام نزل الحجاج بابن الزبير ، فقيل له : إن الناس كائن بينهم قتال وإنا نخاف أن يصدوك ، قال : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة إذاً أصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنى أشهدكم أنى قد أوجبت عمرة ، ثم خرج حتى إذا كان بظاهر البيداء قال ما أرى شأن الحج والعمرة إلا واحداً ، أشهدكم أنى أوجبت حجا مع عمرتى فأهدى هديا اشتراه بقديد ولم يزد على ذلك ولم ينحر ولم يحل من شيء حرم منه ولم يحلق ولم يقصر حتى كان يوم النحر فنحر وحلق ، ورأى أن قد قضى طواف الحج والعمرة بطوافه الأول ، وقال ابن عمر كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال البخارى حدثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا ابن علية عن أيوب عن نافع : أن ابن عمر دخل [عليه] ابنه عبد الله بن عبد الله وظهره في الدار فقال : إنى لا آمن أن يكون العام بين الناس قتال فيصدوك عن البيت فلو أقمت ؟ قال : قد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فحال كفار قريش بينه وبين البيت ، فإن يحل بينى وبينه أفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، إذاً أصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم إنى أشهدكم أنى قد أوجبت مع عمرتى حجا ثم قدم فطاف لهما طوافا واحدا وهكذا رواه البخارى عن أبى النعمان عن حماد بن زيد عن أيوب بن أبى تميمة السختيانى عن نافع

(١) في الأصل (في السه) هكذا ولعل الصواب ما كتبناه .

ورواه مسلم من حديثهما عن أيوب به، فقد اقتدى ابن عمر رضى الله عنه برسول الله صلى الله عليه وسلم فى التحلل عند حصر العدو والاكتفاء بطواف واحد عن الحج والعمرة وذلك لأنه كان قد أحرم أولا بعمرة ليكون متمتعا فخشى أن يكون حَصْرٌ فجمعهما وأدخل الحج قبل العمرة قبل الطواف فصار قارنا ، وقال : ما أرى أمرهما إلا واحداً - يعنى لا فرق بين أن يحصر الإنسان عن الحج أو العمرة أو عنهما - فلما قدم مكة اكتفى عنهما بطوافه الأول كما صرح به فى السياق الأول الذى أفردناه ، وهو قوله : ورأى أن قد قضى طواف الحج والعمرة بطوافه الأول ، قال ابن عمر : كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعنى أنه اكتفى عن الحج والعمرة بطواف واحد - يعنى بين الصفا والمروة ، وفى هذا دلالة على أن ابن عمر روى القران ولهذا روى النسائى عن محمد بن منصور عن سفيان بن عيينة عن أيوب بن موسى عن نافع : أن ابن عمر قرن الحج والعمرة فطاف طوافا واحداً ، ثم رواه النسائى عن على بن ميمون الرقى عن سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن أمية ، وأيوب بن موسى ، وأيوب السختيانى ، وعبد الله بن عمر أربعتهم عن نافع : أن ابن عمر أتى ذا الحليفة فأهل بعمرة فخشى أن يصد عن البيت ، فذكر تمام الحديث من إدخاله الحج على العمرة وصيرورته قارنا .

والمقصود أن بعض الرواة لما سمع قول ابن عمر : إذاً أصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقوله كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ فأهل بالعمرة ثم أهل بالحج فأدخله عليها قبل الطواف فرواه بمعنى ما فهم ، ولم يُرد ابن عمر ذلك وإنما أراد ما ذكرناه والله أعلم بالصواب ، ثم بتقدير أن يكون أهل بالعمرة أولا ثم أدخل عليها الحج قبل الطواف فإنه يصير قارنا لا متمتعا التمتع الخاص فيكون فيه دلالة لمن ذهب إلى أفضلية التمتع والله تعالى أعلم ، وأما الحديث الذى رواه البخارى فى صحيحه حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا همام عن قتادة حدثنى مطرف عن عمران ، قال : تمتعنا على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن قال رجل برأيه ما شاء ، فقد رواه مسلم عن محمد بن المثنى عن عبد الصمد بن عبد الوارث عن همام عن قتادة به ، والمراد به المتعة التى أعم من القران والتمتع الخاص ويدل على ذلك ما رواه مسلم من حديث شعبة وسعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن مطرف عن عبد الله بن الشخير عن عمران بن الحصين : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع بين حج وعمرة وذكر تمام الحديث وأكثر السلف يطلقون المتعة على القران كما قال البخارى حدثنا قتيبة ثنا حجاج بن محمد الأعور عن شعبة عن عمرو بن مرة عن سعيد بن المسيب ، قال : اختلف علىّ وعثمان رضى الله عنهما وهما بعسفان فى المتعة ، فقال علىّ : ما تريد إلى أن تنهى عن أمر فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأى ذلك علىّ بن أبى طالب أهل بهما جميعاً ، ورواه مسلم من حديث شعبة أيضاً عن الحكم ابن عيينة عن علىّ بن الحسين عن مروان بن الحكم عنهما به ، وقال على : ما كنت لأدع سنة

رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول أحد من الناس، ورواه مسلم من حديث شعبة أيضاً عن قتادة عن عبد الله بن شقيق عنهما ، فقال له علي : لقد علمت إنما تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال أجل ! ولكنا كنا خائفين .

وأما الحديث الذي رواه مسلم من حديث غُنْدر عن شعبة وعن عبيد الله بن معاذ عن أبيه عن شعبة عن مسلم بن مخراق القُرّي سمع ابن عباس يقول : أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمرة وأهل أصحابه بحج فلم يحل رسول الله ولا من ساق الهدى من أصحابه وحل بقيتهم ، فقد رواه أبو داود الطيالسي في مسنده وروح بن عبادة عن شعبة عن مسلم القرى عن ابن عباس، قال: أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج - وفي رواية أبي داود - أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالحج فمن كان منهم لم يكن له متعة هدى حل ومن كان معه هدى لم يحل ، الحديث ، فإن صححنا الروايتين جاء القران وإن توقفنا في كل منهما وقف الدليل ، وإن رجحنا رواية مسلم في صحيحه في رواية العمرة فقد تقدم عن ابن عباس أنه روى الإفراد وهو الإحرام بالحج فتكون هذه زيادة على الحج فيجيء القول بالقران لاسيما وسيأتي عن ابن عباس ما يدل على ذلك ، وروى مسلم من حديث غندر ومعاذ بن معاذ عن شعبة عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذه عمرة استمتعنا بها فمن لم يكن معه هدى فليحل الحل كله فقد دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة ، وروى البخاري عن آدم بن أبي إياس ومسلم من حديث غندر كلاهما عن شعبة عن أبي جمرة ، قال : تمتعت فنهاني ناس فسألت ابن عباس فأمرني بها فرأيت في المنام كأن رجلا يقول [لي] حج مبرور ومتعة متقبلة ، فأخبرت ابن عباس فقال الله أكبر سنة أبي القاسم صلوات الله وسلامه عليه ، والمراد بالمتعة ههنا القران ، وقال القعنبي وغيره عن مالك بن أنس عن ابن شهاب عن محمد بن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب أنه حدثه أنه سمع سعد بن أبي وقاص والضحاك بن قيس عام حج معاوية بن أبي سفيان يذكر التمتع بالعمرة إلى الحج ، فقال الضحاك : لا يصنع ذلك إلا من جهل أمر الله ، فقال سعد : بئس ما قلت يا ابن أخي ، فقال الضحاك : فإن عمر بن الخطاب كان ينهى عنها ، فقال سعد : قد صنعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصنعناها معه ، ورواه الترمذي والنسائي عن قتيبة عن مالك ، وقال الترمذي صحيح ، وقال عبد الرزاق عن معتمر بن سليمان وعبد الله بن المبارك كلاهما عن سليمان التيمي حدثني غنيم بن قيس سألت سعد بن أبي وقاص عن التمتع بالعمرة إلى الحج ، قال : فعلتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يومئذ كافر في العُرُش - يعني مكة - ويعني به معاوية ، ورواه مسلم من حديث شعبة وسفيان الثوري ويحيى بن سعيد ومروان الفزاري أربعتهم عن سليمان التيمي سمعت غنيم بن قيس سألت سعدا عن المتعة ، فقال : قد فعلناها وهذا يومئذ كافر بالعُرُش ، وفي رواية يحيى بن سعيد - يعني معاوية - وهذا كله من باب إطلاق التمتع على ما هو أعم من

التمتع الخاص وهو الإحرام بالعمرة والفراغ منها ثم الإحرام بالحج ومن القران بل كلام سعد فيه دلالة على إطلاق التمتع على الاعتمار فى أشهر الحج وذلك أنهم اعتمروا ومعاوية بعد كافر بمكة قبل الحج أما عمرة الحديبية أو عمرة القضاء وهو الأشبه، فأما عمرة الجعرانة فقد كان معاوية أسلم مع أبيه ليلة الفتح ورويناأنه قصر من شعر النبى صلى الله عليه وسلم بمشقص فى بعض عمره وهى عمرة الجعرانة لا محالة والله أعلم .

﴿ ذكر حجة من ذهب إلى أنه عليه السلام كان قارنا وسرد الأحاديث فى ذلك ﴾

رواية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه : قد تقدم ما رواه البخارى من حديث أبى عمرو الأوزاعى سمعت يحيى بن أبى كثير عن عكرمة عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادى العقيق يقول : أتانى آت من ربى عز وجل ، فقال : صل فى هذا الوادى المبارك وقل عمرة فى حجة ، وقال الحافظ البيهقى أنبأنا على بن أحمد ابن عمر بن حفص المقبرى ببغداد أنبأنا أحمد بن سليمان قال قرئ على عبد الملك بن محمد وأنا أسمع حدثنا أبو زيد الهروى ثنا على بن المبارك ثنا يحيى بن أبى كثير ثنا عكرمة حدثنى ابن عباس حدثنى عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتانى جبرائيل عليه السلام وأنا بالعقيق ، فقال : صل فى هذا الوادى المبارك ركعتين وقل عمرة فى حجة فقد دخلت العمرة فى الحج إلى يوم القيامة ، ثم قال البيهقى : رواه البخارى عن أبى زيد الهروى ، وقال الإمام أحمد ثنا هاشم ثنا سيار عن أبى وائل أن رجلا كان نصرانيا يقال له الصبى بن معبد ، فأراد الجهاد فقيل له إبدأ بالحج فأتى الأشعرى فأمره أن يهل بالحج والعمرة جميعاً ففعل ، فبينما هو يلبى إذ مر بزيد بن صوحان وسلمان بن ربيعة ، فقال أحدهما لصاحبه : لهذا أضل من بعير أهله ، فسمعها الصبى فكبر ذلك عليه فلما قدم أتى عمر بن الخطاب فذكر ذلك له ، فقال له عمر : هديت لسنة نبيك صلى الله عليه وسلم ، قال : وسمعته مرة أخرى يقول وفقت لسنة نبيك صلى الله عليه وسلم ، وقد رواه الإمام أحمد عن يحيى بن سعيد القطان عن الأعمش عن شقيق عن أبى وائل عن الصبى بن معبد عن عمر بن الخطاب فذكره ، وقال : إنهما لم يقولا شيئاً ، هديت لسنة نبيك صلى الله عليه وسلم ، ورواه عن عبد الرزاق عن سفيان الثورى عن منصور عن أبى وائل به ، ورواه أيضاً عن غندر عن شعبة عن الحكم عن أبى وائل وعن سفيان بن عيينة عن عبدة بن أبى لبابة عن أبى وائل به قال : قال الصبى بن معبد كنت رجلا نصرانيا فأسلمت فأهللت بحج وعمرة فسمعنى زيد بن صوحان وسلمان بن ربيعة وأنا أهل بهما ، فقالا : لهذا أضل من بعير أهله ، فكأنما حمل على بكلمتهما جبل ، فقدمت على عمر فأخبرته فأقبل عليهما فلامهما وأقبل على فقال : هديت لسنة النبى صلى الله عليه وسلم ، قال عبدة : قال أبو وائل كثيراً ما ذهبت أنا ومسروق إلى الصبى

ابن معبد نسأله عنه وهذه أسانيد جيدة على شرط الصحيح . وقد رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من طرق عن أبي وائل شقيق ابن سلمة به . وقال النسائي في كتاب الحج من سننه حدثنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق ثنا أبي عن جمرة السكرى عن مطرف عن سلمة بن كهيل عن طاوس عن ابن عباس عن عمر . أنه قال : والله إني لأنهاكم عن المتعة وإنها لفي كتاب الله وقد فعلها النبي صلى الله عليه وسلم ، إسناد جيد .

رواية أميري المؤمنين عثمان وعلى رضى الله عنهما : قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن سعيد بن المسيب . قال : اجتمع على وعثمان بعسفان وكان عثمان ينهى عن المتعة أو العمرة فقال على : ما تريد إلى أمر فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم تنهى عنه فقال عثمان دعنا منك . هكذا رواه الإمام أحمد مختصراً . وقد أخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن سعيد بن المسيب . قال اختلف على وعثمان وهما بعسفان في المتعة . فقال على : ما تريد إلى أن تنهى عن أمر فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى ذلك على بن أبي طالب أهل بهما جميعا وهكذا لفظ البخاري . وقال البخاري ثنا محمد بن بشار ثنا غندر عن شعبة عن الحكم عن على بن الحسين عن مروان بن الحكم . قال : شهدت عثمان وعلياً وعثمان ينهى عن المتعة وأن يجمع بينهما ، فلما رأى على أهل بهما لبيك بعمرة وحج قال : ما كنت لأدع سنة النبي صلى الله عليه وسلم لقول أحد ورواه النسائي من حديث شعبة به ومن حديث الأعمش عن مسلم البطين عن على بن الحسين به . وقال الإمام أحمد ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن قتادة . قال قال عبد الله بن شقيق كان عثمان ينهى عن المتعة وعلى يأمر بها . فقال عثمان لعلى : إنك لكذا وكذا . ثم قال على : لقد علمت أنا تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : أجل ولكنا كنا خائفين ورواه مسلم من حديث شعبة فهذا اعتراف من عثمان رضى الله عنه بما رواه على رضى الله عنهما ومعلوم أن عليا رضى الله عنه أحرم عام حجة الوداع بإهلال كاهلال النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد ساق الهدى وأمره عليه السلام أن يمكث حراما وأشركه النبي صلى الله عليه وسلم في هديه كما سيأتي بيانه ، وروى مالك في الموطأ عن جعفر بن محمد عن أبيه أن المقداد بن الأسود دخل على علىّ بن أبي طالب بالسقيا وهو ينجع بكرات له دقيقا وخبطا . فقال : هذا عثمان بن عفان ينهى عن أن يقرن بين الحج والعمرة فخرج على وعلى يده أثر الدقيق والخبط — ما أنسى أثر الدقيق والخبط على ذراعيه — حتى دخل على عثمان . فقال: أنت تنهى أن يقرن بين الحج والعمرة ؟ فقال عثمان ذلك رأيى فخرج على مغضبا وهو يقول : لبيك اللهم لبيك بحجة وعمرة معا . وقد قال أبو داود في سننه ثنا يحيى بن معين ثنا حجاج ثنا يونس عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب ، قال : كنت مع على حين أمره رسول الله صلى

الله عليه وسلم على اليمن فذكر الحديث فى قدوم على ، قال على : فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف صنعت ؟ قال قلت : إنما أهللت بإهلال النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : إنى قد سقت الهدى وقرنت . وقد رواه النسائى من حديث يحيى بن معين بإسناده وهو على شرط الشيخين ، وعلله الحافظ البيهقى بأنه لم يذكر هذا اللفظ فى سياق حديث جابر الطويل وهذا التعليل فيه نظر لأنه قد روى القرآن من حديث جابر بن عبد الله كما سيأتى قريبا إن شاء الله تعالى ، وروى ابن حبان فى صحيحه عن على بن أبى طالب ، قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة وخرجت أنا من اليمن ، وقلت لبيك بإهلال كإهلال النبى ، فقال : النبى صلى الله عليه وسلم فإنى أهللت بالحج والعمرة جميعا .

﴿رواية أنس بن مالك رضى الله عنه ، وقد رواه عنه جماعة من التابعين ونحن نوردهم مرتبين على حروف المعجم﴾

بكر بن عبد الله المزنى عنه : قال الإمام أحمد حدثنا هشيم ثنا حميد الطويل أنبأنا بكر بن عبد الله المزنى ، قال : سمعت أنس بن مالك يحدث قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبى بالحج والعمرة جميعا ، فحدثت بذلك ابن عمر ، فقال : لبى بالحج وحده فلقيت أنسا فحدثته بقول ابن عمر ، فقال : ما تعدونا إلا صبيانا ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لبيك عمرة وحجا ، ورواه البخارى عن مسدد عن بشر بن الفضل عن حميد به ، وأخرجه مسلم عن شريح بن يونس عن هشيم به ، وعن أمية بن بسطام عن يزيد بن زريع عن حبيب بن الشهيد عن بكر بن عبد الله المزنى به .

ثابت البنانى عن أنس : قال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن ابن أبى ليلى عن ثابت عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : لبيك بعمرة وحجة معاً ، تفرد به من هذا الوجه الحسن البصرى عنه . قال الإمام أحمد ثنا روح ثنا أشعث عن أنس بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قدموا مكة وقد لبوا بحج وعمرة ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما طافوا بالبيت وبالصفا والمروة أن يحلوا وأن يجعلوها عمرة فكأن القوم هابوا ذلك . فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أنى سقت هديا لأحللت فأحل القوم وتمتعوا ، وقال الحافظ أبو بكر البزار ثنا الحسن بن قزعة ثنا سفيان بن حبيب ثنا أشعث عن الحسن عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم أهل هو وأصحابه بالحج والعمرة ، فلما قدموا مكة طافوا بالبيت وبالصفا والمروة ، أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحلوا فهابوا ذلك ، فقال : رسول الله صلى عليه وسلم : أحلوا فلولا أن معى الهدى لأحللت ، فحلوا حتى حلوا إلى النساء ، ثم قال : البزار لا نعلم رواه عن الحسن إلا أشعث بن عبد الملك .

حميد بن تيرويه الطويل عنه : قال الإمام أحمد حدثنا يحيى عن حميد سمعت أنسا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لبيك بحج وعمرة وحج ، هذا إسناد ثلاثى على شرط الشيخين

ولم يخرجاه ولا أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه ، لكن رواه مسلم عن يحيى بن يحيى عن هشيم عن يحيى بن أبي اسحاق وعبد العزيز بن صهيب وحميد أنهم سمعوا أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل بهما جميعاً : لبيك عمرة وحجاً لبيك عمرة وحجاً ، وقال الإمام أحمد حدثنا يعمر بن بشر ثنا عبد الله أنبأنا حميد الطويل عن أنس بن مالك ، قال : ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنا كثيرة ، وقال : لبيك بعمرة وحج ، وإني لعند فخذ ناقته اليسرى ، تفرد به أحمد من هذا الوجه أيضاً .

حميد بن هلال العدوى البصرى عنه : قال الحافظ أبي بكر البزار في مسنده حدثنا محمد بن المثنى ثنا عبد الوهاب عن أيوب عن أبي قلابة عن أنس بن مالك ، وحدثناه سلمة بن شبيب ثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن أيوب عن أبي قلابة وحميد بن هلال عن أنس ، قال : إني ردف أبي طلحة وإن ركبته لتمس ركبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يلبي بالحج والعمرة ، وهذا إسناد قوى على شرط الصحيح ولم يخرجوه ، وقد تأوله البزار على أن الذى كان يلبي بالحج والعمرة أبو طلحة ، قال : ولم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم . وهذا التأويل فيه نظر ولا حاجة إليه لمجيء ذلك من طرق عن أنس كما مضى وكما سيأتي ، ثم عود الضمير إلى أقرب المذكورين أولى وهو في هذه الصورة أقوى دلالة والله أعلم ، وسيأتي في رواية سالم بن أبي الجعد عن أنس صريح الرد على هذا التأويل .

زيد بن أسلم عنه : قال الحافظ أبو بكر البزار روى سعيد بن عبد العزيز التنوخي عن زيد بن أسلم عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم أهل بحج وعمرة ، حدثناه الحسن بن عبد العزيز الجروى ومحمد بن مسكين ، قالا : حدثنا بشر بن بكر عن سعيد بن عبد العزيز عن زيد ابن أسلم عن أنس ، قلت : وهذا إسناد صحيح على شرط الصحيح ولم يخرجوه من هذا الوجه . وقد رواه الحافظ أبو بكر البيهقي بأبسط من السياق ، فقال: أنبأنا أبو عبدالله الحافظ وأبو بكر أحمد ابن الحسن القاضي ، قالا : ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب أنبأنا العباس بن الوليد بن يزيد أخبرني أبي ثنا شعيب بن عبد العزيز عن زيد بن أسلم وغيره أن رجلا أتى ابن عمر فقال : بم أهلّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال ابن عمر : أهلّ بالحج فانصرف ، ثم أتاه من العام المقبل ، فقال : بم أهل رسول الله ؟ قال : ألم تأتني عام أول ؟ قال : بلى ! ولكن أنس بن مالك يزعم أنه قرن ، قال ابن عمر : إن أنس بن مالك كان يدخل على النساء وهن مكشفات الرءوس ، وإني كنت تحت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسنى لعابها أسمعه يلبي بالحج .

سالم بن أبي الجعد الغطفاني الكوفي عنه : قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن آدم ثنا شريك عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن أنس بن مالك يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم : أنه جمع بين الحج والعمرة فقال لبيك بعمرة وحجة معاً ، حسن ولم يخرجوه ، وقال الإمام أحمد ثنا عفان

ثنا أبو عوانة ثنا عثمان بن المغيرة عن سالم بن أبي الجعد عن سعد مولى الحسن بن على قال : خرجنا مع على فأتينا ذا الحليفة ، فقال على : إنى أريد أن أجمع بين الحج والعمرة ، فمن أراد ذلك فليقل كما أقول ، ثم لبى قال : لبيك بحجة وعمرة معاً ، قال وقال سالم : وقد أخبرنى أنس بن مالك قال : والله إن رجلى لتمس رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه ليهل بهما جميعا ، وهذا أيضا إسناد جيد من هذا الوجه ولم يخرجوه ، وهذا السياق يرد على الحافظ البزار ما تأول به حديث حميد بن هلال عن أنس كما تقدم .

سليمان بن طرخان التيمى عنه : قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا يحيى بن حبيب بن عربى ثنا المعتمر بن سليمان سمعت أبى يحدث عن أنس بن مالك قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يلبى بهما جميعا ، ثم قال البزار : لم يروه عن التيمى إلا ابنه المعتمر ولم يسمعه إلا من يحيى بن حبيب العربى عنه ، قلت : وهو على شرط الصحيح ولم يخرجوه .

سويد بن حجير عنه : قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن أبى قزعة سويد بن حجير عن أنس بن مالك قال : كنت رديف أبى طلحة فكانت ركبة أبى طلحة تكاد أن تصيب ركبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يهل بهما وهذا إسناد جيد تفرد به أحمد ولم يخرجوه وفيه رد على الحافظ البزار صريح .

عبد الله بن زيد أبو قلابة الجرمى عنه : قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن أيوب عن أبى قلابة عن أنس قال : كنت رديف أبى طلحة وهو يساير النبى صلى الله عليه وسلم قال : فإن رجلى لتمس غرز النبى صلى الله عليه وسلم فسمعته يلبى بالحج والعمرة معا . وقد رواه البخارى من طرق عن أيوب عن أبى قلابة عن أنس قال : صلى النبى صلى الله عليه وسلم الظهر بالمدينة أربعا والعصر بذى الحليفة ركعتين ، ثم بات بها حتى أصبح ثم ركب راحلته حتى استوت به على البيداء حمد الله وسبح وكبر وأهل بحج وعمرة وأهل الناس بهما جميعا ، وفى رواية له : كنت رديف أبى طلحة وإنهم ليصرخون بهما جميعا الحج والعمرة ، وفى رواية له عن أيوب عن رجل عن أنس قال : ثم بات حتى أصبح فصلى الصبح ثم ركب راحلته حتى إذا استوت به البيداء أهل بعمرة وحج .

عبد العزيز بن صهيب تقدمت روايته عنه مع رواية حميد الطويل عنه عند مسلم .

على بن زيد بن جدعان عنه : قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا ابراهيم بن سعيد ثنا على بن حكيم عن شريك عن على بن زيد عن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبى بهما جميعا ، هذا غريب من هذا الوجه ولم يخرجه أحد من أصحاب السنن وهو على شرطهم .

قتادة بن دعامة السدوسى عنه : قال الإمام أحمد حدثنا بهز وعبد الصمد المعنى ، قالا : حدثنا همام بن يحيى ثنا قتادة ، قال : سألت أنس بن مالك قلت : كم حج النبى صلى الله عليه وسلم ؟

قال : حجة واحدة واعتمر أربع مرات عمرته زمن الحديبية ، وعمرته فى ذى القعدة من المدينة ، وعمرته من الجعرانة فى ذى القعدة حيث قسم غنيمة حنين وعمرته مع حجته ، وأخرجاه فى الصحيحين من حديث همام بن يحيى به .

مصعب بن سليم الزبيرى مولاهم عنه : قال الإمام أحمد حدثنا وكيع ثنا مصعب بن سليم سمعت أنس بن مالك يقول : أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجة وعمرة ، تفرد به أحمد .

يحيى بن إسحاق الحضرمى عنه : قال الإمام أحمد ثنا هشيم أنبأنا يحيى بن اسحاق وعبدالعزيز ابن صهيب وحميد الطويل عن أنس أنهم سمعوه يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبى بالحج والعمرة جميعا ، يقول لبيك عمرة وحجا ، لبيك عمرة وحجا ، وقد تقدم أن مسلما رواه عن يحيى بن يحيى عن هشيم به ، وقال الإمام أحمد أيضا ثنا عبد الأعلى عن يحيى عن أنس قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ، قال : فسمعته يقول لبيك عمرة وحجا .

أبو أسماء الصيقل عنه : قال الإمام أحمد حدثنا حسن ثنا زهير وحدثنا أحمد بن عبدالملك ثنا زهير عن أبى إسحاق عن أبى أسماء الصيقل عن أنس بن مالك ، قال : خرجنا نصرخ بالحج فلما قدمنا مكة أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نجعلها عمرة ، وقال : لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لجعلتها عمرة ولكنى سقت الهدى وقرنت الحج بالعمرة ، ورواه النسائى عن هناد عن أبى الأحوص عن أبى اسحاق عن أبى أسماء الصيقل عن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبى بهما .

أبو قدامة الحنفى ، ويقال إن اسمه محمد بن عبيد عن أنس : قال الإمام أحمد ثنا روح بن عبادة حدثنا شعبة عن يونس بن عبيد عن أبى قدامة الحنفى قال : قلت لأنس بأى شىء كان رسول الله يلبى ؟ فقال : سمعته سبع مرات يلبى بعمرة وحجة ، تفرد به الإمام أحمد وهو إسناد جيد قوى ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة ؛ وروى ابن حبان فى صحيحه عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرن بين الحج والعمرة وقرن القوم معه ، وقد أورد الحافظ البيهقى بعض هذه الطرق عن أنس بن مالك ثم شرع يعلل ذلك بكلام فيه نظر ، وحاصله أنه قال : والاشتباه وقع لأنس لا لمن دونه ويحتمل أن يكون سمعه ورسول الله يعلم غيره كيف يهل بالقران لا أنه يهل بهما عن نفسه والله أعلم ، قال : وقد روى ذلك عن غير أنس بن مالك وفى ثبوته نظر ، قلت : ولا يخفى ما فى هذا الكلام من النظر الظاهر لمن تأمله ، وربما أنه كان ترك هذا الكلام أولى منه إذ فيه تطرق احتمال إلى حفظ الصحابى مع تواتره عنه كما رأيت آنفا وفتح هذا يفضى إلى محذور كبير والله تعالى أعلم .

حديث البراء بن عازب فى القران : قال الحافظ أبو بكر البيهقى أنبأنا أبو الحسين بن بشران أنبأنا على بن محمد المصرى حدثنا أبو غسان مالك بن يحيى ثنا يزيد بن هارون أنبأنا زكريا بن

أبى زائدة عن أبى إسحاق عن البراء بن عازب ، قال : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة عُمَر كلهن فى ذى القعدة ، فقالت عائشة : لقد علم أنه اعتمر أربع عمر بعمرته التى حج معها ، قال : البيهقى ليس هذا بمحفوظ ، قلت: سيأتى بإسناد صحيح إلى عائشة نحوه .

رواية جابر بن عبد الله رضى الله عنهما : قال الحافظ أبو الحسن الدارقطنى أخبرنا أبو بكر بن أبى داود ومحمد بن جعفر بن رميس والقاسم بن إسماعيل أبو عبيد وعثمان بن جعفر اللبان وغيرهم ، قالوا : حدثنا أحمد بن يحيى الصوفى ثنا زيد بن الحباب ثنا سفيان الثورى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله ، قال : حج النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث حجج حجتين قبل أن يهاجر وحجة قرن معها عمرة ، وقد روى هذا الحديث الترمذى وابن ماجه من حديث سفيان بن سعيد الثورى به ، أما الترمذى فرواه عن عبد الله بن أبى زياد عن زيد بن الحباب عن سفيان به ، ثم قال : غريب من حديث سفيان لا نعرفه إلا من حديث زيد بن الحباب ، ورأيت عبد الله ابن عبد الرحمن يعنى الدارمى روى هذا الحديث فى كتبه عن عبد الله بن أبى زياد وسألت محمداً عن هذا فلم يعرفه ورأيته لا يعده محفوظاً ، قال : وإنما روى عن الثورى عن أبى إسحق عن مجاهد مرسلا ، وفى السنن الكبير للبيهقى قال أبو عيسى الترمذى : سألت محمد بن إسماعيل البخارى عن هذا الحديث ، فقال : هذا حديث خطأ ، وإنما روى هذا عن الثورى مرسلا ، قال البخارى : وكان زيد بن الحباب إذا روى خطأ ربما غلط فى الشىء وأما ابن ماجه فرواه عن القاسم بن محمد بن عباد المهلبى عن عبد الله بن داود الخريبى عن سفيان به وهذه طريق لم يقف عليها الترمذى ولا البيهقى وربما ولا البخارى حيث تكلم فى زيد بن الحباب ظانا أنه انفرد به وليس كذلك والله أعلم .

طريق أخرى عن جابر : قال أبو عيسى الترمذى حدثنا ابن أبى عمر حدثنا أبو معاوية عن حجاج عن أبى الزبير عن جابر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرن الحج والعمرة وطاف لهما طوافا واحداً ، ثم قال : هذا حديث حسن وفى نسخة صحيح ، ورواه ابن حبان فى صحيحه عن جابر قال : لم يطف النبى صلى الله عليه وسلم إلا طوافا واحداً لحجه ولعمرته ، قلت : حجاج هذا هو ابن أرطاة ، وقد تكلم فيه غير واحد من الأئمة ولكن قد روى من وجه آخر عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله أيضاً كما قال الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده حدثنا مقدم بن محمد حدثنى عمى القاسم بن يحيى بن مقدم عن عبد الرحمن بن عثمان بن خيثم عن أبى الزبير عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم فقرن بين الحج والعمرة وساق الهدى ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لم يقلد الهدى فليجعلها عمرة ، ثم قال البزار : وهذا الكلام لا نعلمه يروى عن جابر إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد انفرد بهذه الطريق البزار فى مسنده وإسنادها غريب جداً وليست فى شىء من الكتب الستة من هذا الوجه والله أعلم .

رواية أبى طلحة زيد بن سهل الأنصارى رضى الله عنه . قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية ثنا حجاج — هو ابن أرطاة — عن الحسن بن سعد عن ابن عباس ، قال : أخبرنى أبو طلحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع بين الحج والعمرة ، ورواه ابن ماجه عن على بن محمد عن أبى معاوية بإسناده ولفظه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرن بين الحج والعمرة ، الحجاج بن أرطاة فيه ضعف والله أعلم .

رواية سراقة بن مالك بن جعشم : قال الإمام أحمد حدثنا مكى بن إبراهيم ثنا داود — يعنى ابن سويد — سمعت عبد الملك الزرّاد ، يقول سمعت النزال بن سبرة صاحب على يقول سمعت سراقة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : دخلت العمرة فى الحج إلى يوم القيامة ، قال وقرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع .

رواية سعد بن أبى وقاص عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه تمتع بالحج إلى العمرة وهو القرآن قال الإمام مالك عن ابن شهاب عن محمد بن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب أنه حدثه أنه سمع سعد بن أبى وقاص والضحاك بن قيس عام حج معاوية بن أبى سفيان يذكر التمتع بالعمرة إلى الحج ، فقال الضحاك : لا يصنع ذلك إلا من جهل أمر الله ، فقال سعد : بئس ما قلت يا ابن أخى ، فقال الضحاك : فإن عمر بن الخطاب كان ينهى عنها ، فقال سعد : قد صنعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصنعناها معه ، ورواه الترمذى والنسائى جميعاً عن قتيبة عن مالك به ، وقال الترمذى : هذا حديث صحيح ، وقال الإمام أحمد ثنا يحيى بن سعيد ثنا سليمان — يعنى التيمى — حدثنى غنيم ، قال : سألت ابن أبى وقاص عن المتعة ، فقال : فعلناها وهذا كافر بالعُرُش — يعنى معاوية — هكذا رواه مختصراً ، وقد رواه مسلم فى صحيحه من حديث سفيان بن سعيد الثورى وشعبة ومروان الفزارى ويحيى بن سعيد القطان أربعتهم عن سليمان ابن طرخان التيمى سمعت غنيم بن قيس سألت سعد بن أبى وقاص عن المتعة ؟ فقال : قد فعلناها وهذا يومئذ كافر بالعُرُش ، قال : يحيى بن سعيد فى روايته — يعنى معاوية — .ورواه عبد الرزاق عن معتمر بن سليمان وعبد الله بن المبارك كلاهما عن سليمان التيمى عن غنيم بن قيس سألت سعداً عن التمتع بالعمرة إلى الحج ، فقال : فعلتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يومئذ كافر بالعرش — يعنى مكة ويعنى به معاوية — وهذا الحديث الثانى أصح إسناداً وإنما ذكرناه اعتضاداً لا اعتماداً والأول صحيح الإسناد وهذا أصرح فى المقصود من هذا والله أعلم .

رواية عبد الله بن أبى أوفى : قال الطبرانى حدثنا سعيد بن محمد بن المغـــيرة المصرى حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا يزيد بن عطاء عن إسماعيل بن أبى خالد عن عبد الله بن أبى أوفى ، قال : إنما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحج والعمرة لأنه علم أنه لم يكن حاجا بعد ذلك العام .

رواية عبد الله بن عباس فى ذلك : قال الإمام أحمد ثنا أبو النضر ثنا داود — يعنى القطان —

عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عمر عمرة الحديبية وعمرة القضاء والثالثة من الجعرانة والرابعة التي مع حجته ، وقد رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من طرق عن داود بن عبد الرحمن العطار المكي عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس به ، وقال الترمذى حسن غريب ورواه الترمذى عن سعيد بن عبد الرحمن عن سفيان ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة مرسلا ، ورواه الحافظ البيهقى من طريق أبى الحسن على بن عبد العزيز البغوى عن الحسن بن الربيع وشهاب بن عباد كلاهما عن داود بن عبد الرحمن العطار فذكره ، وقال : الرابعة التى قرن مع الحجة ، ثم قال أبو الحسن على بن عبد العزيز : ليس أحد يقول فى هذا الحديث عن ابن عباس إلا داود بن عبد الرحمن .

ثم حكى البيهقى عن البخارى أنه قال : داود بن عبد الرحمن صدوق إلا أنه ربما يتهم فى الشيء ، وقد تقدم ما رواه البخارى من طريق ابن عباس عن عمر أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بوادى العقيق: « أتانى آت من ربى ، فقال : صل فى هذا الوادى المبارك وقل عمرة فى حجة » فلعل هذا مستند ابن عباس فيما حكاه والله أعلم .

رواية عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : قد تقدم فيما رواه البخارى ومسلم من طريق الليث عن عقيل عن الزهرى عن سالم عن ابن عمر ، أنه قال : تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع وأهدى فساق الهدى من ذى الحليفة وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهل بالعمرة ثم أهل بالحج ، وذكر تمام الحديث فى عدم إحلاله بعد السعى فعلم كما قررناه أولا أنه عليه السلام لم يكن متمتعا التمتع الخاص وإنما كان قارنا لأنه حكى أنه عليه السلام لم يكن متمتعا اكتفى بطواف واحد بين الصفا والمروة فى حجه وعمرته ، وهذا شأن القارن على مذهب الجمهور كما سيأتى بيانه والله أعلم ، وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى ثنا أبو خيثمة ثنا يحيى بن يمان على سفيان عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف طوافا واحداً لإقرانه لم يحل بينهما واشترى من الطريق — يعنى الهدى — وهذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات إلا أن يحيى بن يمان وإن كان من رجال مسلم فى أحاديثه عن الثورى نكارة شديدة والله أعلم ، ومما يرجح أن ابن عمر أراد بالإفراد الذى رواه إفراد أفعال الحج لا الأفراد الخاص الذى يشير إليه أصحاب الشافعى وهو الحج ثم الاعتمار بعده فى بقية ذى الحجة قول الشافعى أنبأنا مالك عن صدقة ابن يسار عن ابن عمر ، أنه قال : لأن أعتمر قبل الحج وأهدى أحب إلى من أن أعتمر بعد الحج فى ذى الحجة .

رواية عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما : قال الإمام أحمد حدثنا أبو أحمد — يعنى الزبيرى — حدثنا يونس بن الحارث عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما قرن خشية أن يصد عن البيت وقال إن لم يكن حجة فعمرة وهذا حديث غريب

سنداً ومتناً تفرد بروايته الإمام أحمد ، وقد قال أحمد فى يونس بن الحارث الثقفى : هذا كان مضطرب الحديث وضعّفه ، وكذا ضعفه يحيى بن معين فى رواية عنه والنسائى ، وأما من حيث المتن فقوله : إنما قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم خشية أن يصد عن البيت فمن الذى كان يصده عليه الصلاة والسلام عن البيت وقد أطد الله له[1] الإسلام وفتح البلد الحرام وقد نودى برحاب منى أيام الموسم فى العام الماضى أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان ، وقد كان معه عليه الصلاة والسلام فى حجة الوداع قريب من أربعين ألفاً فقوله : خشية أن يصد عن البيت عجيب وماهذا بأعجب من قول أمير المؤمنين عثمان لعلى بن أبى طالب حين قال له علىّ : لقد علمت أنا تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أجل ولكنا كنا خائفين ولست أدرى على م يحمل هذا الخوف من أى جهة كان ؟ إلا أنه تضمن رواية الصحابى لما رواه وحمله على معنى ظنه ، فما رواه صحيح مقبول وما اعتقده ليس بمعصوم فيه فهو موقوف عليه وليس بحجة على غيره ولا يلزم منه رد الحديث الذى رواه . وهكذا قول عبد الله بن عمرو ، لو صح السند إليه ، والله أعلم .

رواية عمران بن حصين رضى الله عنه : قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قالا : حدثنا شعبة عن حميد بن هلال سمعت مطرفا قال : قال لى عمران بن حصين : إنى محدثك حديثاً عسى الله أن ينفعك به إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جمع بين حجة وعمرة ثم لم ينه عنه حتى مات ولم ينزل قرآن فيه يحرمه ، وإنه كان يسلم عَلَىَّ ، فلما اكتويت أمسك عنى ، فلما تركته عاد إلىّ . وقد رواه مسلم عن محمد بن المثنى ومحمد بن بشار عن غندر عن عبيد الله بن معاذ عن أبيه ، والنسائى عن محمد بن عبد الأعلى عن خالد بن الحارث ثلاثتهم عن شعبة عن حميد ابن هلال عن مطرف عن عمران به ورواه مسلم من حديث شعبة وسعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن عمران بن الحصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع بين حج وعمرة ، الحديث . قال الحافظ أبو الحسن الدارقطنى : حديث شعبة عن حميد بن هلال عن مطرف صحيح ، وأما حديثه عن قتادة عن مطرف فإنما رواه عن شعبة كذلك بقية بن الوليد . وقد رواه غندر وغيره عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة .

قلت : وقد رواه أيضاً النسائى فى سننه عن عمرو بن علىّ الفلاس عن خالد بن الحارث عن شعبة ، وفى نسخة عن سعيد بدل شعبة عن قتادة عن مطرف عن عمران بن الحصين ، فذكره ، والله أعلم . وثبت فى الصحيحين من حديث همام عن قتادة عن مطرف عن عمران بن الحصين ، قال : تمتعنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم ينزل قرآن يحرمه ولم ينه عنها حتى مات رسول الله صلى الله عليه وسلم

رواية الهرماس بن زياد الباهلى : قال عبد الله بن الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن عمران بن على أبو محمد من أهل الرى وكان أصله أصبهانى حدثنا يحيى بن الضريس حدثنا عكرمة بن عمار

(١) أطد له : أى ثبته وأيده .

عن الهرماس ، قال : كنت ردف أبى فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو على بعير وهو يقول : « لبيك بحجة وعمرة معاً » وهذا على شرط السنن ولم يخرجوه .

رواية حفصة بنت عمر أم المؤمنين رضى الله عنها : قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن حفصة أنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم : مالك لم تحل من عمرتك ؟ قال : « إنى لبدت رأسى وقلدت هديى فلا أحل حتى أنحر » وقد أخرجاه فى الصحيحين من حديث مالك وعبيد الله بن عمرو ، زاد البخارى : وموسى بن عقبة ، زاد مسلم : وابن جريج كلهم عن نافع عن ابن عمر به ، وفى لفظهما أنها قالت : يا رسول الله ما شأن الناس حلوا من العمرة ولم تحل أنت من عمرتك ؟ فقال : « إنى قلدت هديى ولبدت رأسى فلا أحل حتى أنحر » وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا شعيب بن أبى حمزة ، قال : قال نافع : كان عبد الله بن عمر يقول: أخبرتنا حفصة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أزواجه أن يحللن عام حجة الوداع ، فقالت له فلانة : ما يمنعك أن تحل ، قال : « إنى لبدت رأسى وقلدت هديى فلست أحل حتى أنحر هديى » وقال أحمد أيضاً : حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبى عن أبى إسحاق حدثنى نافع عن عبد الله بن عمر عن حفصة بنت عمر أنها قالت : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه أن يحللن بعمرة ، قلنا : فما يمنعك يا رسول الله أن تحل معنا ؟ قال : « إنى أهديت ولبدت فلا أحل حتى أنحر هديى » ثم رواه أحمد عن كثير بن هشام عن جعفر بن برقان عن نافع عن ابن عمر عن حفصة ، فذكره ، فهذا الحديث فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان متلبساً بعمرة ولم يحلّ منها ، وقد علم بما تقدم من أحاديث الإفراد أنه كان قد أهلّ بحج أيضاً فدل مجموع ذلك أنه قارن مع ما سلف من رواية من صرح بذلك ، والله أعلم .

رواية عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : قال البخارى : حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع فأهللنا بعمرة ، ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم : من كان معه هدى فليهل بالحج مع العمرة ثم لا يحل حتى يحل منهما جميعاً ، فقدمت مكة وأنا حائض فلم أطف بالبيت ولا بين الصفا والمروة فشكوت ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : انقضى رأسك وامتشطى وأهلّى بالحج ودعى العمرة ففعلت ، فلما قضيت الحج أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عبدالرحمن بن أبى بكر إلى التنعيم فاعتمرت ، فقال : هذه مكان عمرتك ؛ قالت : فطاف الذين كانوا أهلّوا بالعمرة بالبيت وبين الصفا والمروة ثم حلوا ثم طافوا طوافاً آخر بعد أن رجعوا من منى ، وأما الذين جمعوا الحج والعمرة فإنما طافوا طوافاً واحداً . وكذلك رواه مسلم من حديث مالك عن الزهرى فذكره . ثم رواه عن عبد بن حميد عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع فأهللت

بعمرة ولم أكن سقت الهدى ، فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان معه هدى فليهل بالحج مع عمرته لا يحل حتى يحل منهما جميعا ، وذكر تمام الحديث كما تقدم . والمقصود من إيراد هذا الحديث ههنا قوله صلى الله عليه وسلم من كان معه هدى فليهل بحج وعمرة . ومعلوم أنه عليه الصلاة والسلام قد كان معه هدى فهو أول وأولى من ائتمر بهذا لأن المخاطب داخل فى عموم متعلق خطابه على الصحيح . وأيضاً فإنها قالت : وأما الذين جمعوا الحج والعمرة فإنما طافوا طوافاً واحداً ، يعنى بين الصفا والمروة . وقد روى مسلم عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما طاف بين الصفا والمروة طوافاً واحداً ، فعلم من هذا أنه كان قد جمع بين الحج والعمرة . وقد روى مسلم من حديث حماد بن زيد عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة قالت : فكان الهدى مع النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وذوى اليسار . وأيضاً فإنها ذكرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتحلل من النسكين فلم يكن متمتعا ، وذكرت أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعمرها من التنعيم ، وقالت : يا رسول الله ينطلقون بحج وعمرة وأنطلق بحج ، فبعثها مع أخيها عبد الرحمن بن أبى بكر فأعمرها من التنعيم ، ولم يذكر أنه عليه الصلاة والسلام اعتمر بعد حجته فلم يكن مفرداً ، فعلم أنه كان قارنا لأنه كان باتفاق الناس قد اعتمر فى حجة الوداع ، والله أعلم . وقد تقدم ما رواه الحافظ البيهقى من طريق يزيد بن هارون عن زكريا بن أبى زائدة عن أبى إسحاق عن البراء بن عازب أنه قال : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عمر كلهن فى ذى القعدة ، فقالت عائشة : لقد علم أنه اعتمر أربع عمر بعمرته التى حج معها وقال البيهقى فى الخلافيات : أخبرنا أبو بكر بن الحارث الفقيه أنبأنا أبو محمد[1] بن حبان الأصبهانى أنبأنا إبراهيم بن شريك أنبأنا أحمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا أبو إسحاق عن مجاهد قال : سئل ابن عمر : كم اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : مرتين ، فقالت عائشة : لقد علم ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر ثلاثا سوى العمرة التى قرنها مع حجة الوداع . ثم قال البيهقى : وهذا إسناد لا بأس به ، لكن فيه إرسال — مجاهد لم يسمع من عائشة فى قول بعض المحدثين قلت : كان شعبة ينكره ، وأما البخارى ومسلم فإنهما أثبتاه ، والله أعلم . وقد روى من حديث القاسم بن عبد الرحمن بن أبى بكر وعروة بن الزبير وغير واحد عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معه الهدى عام حجة الوداع وفى إعمارها من التنعيم ومصادفتها له منهبطا على أهل مكة وبيتوتته بالمحصب حتى صلى الصبح بمكة ثم رجع إلى المدينة . وهذا كله مما يدل على أنه عليه الصلاة والسلام لم يعتمر بعد حجته تلك ، ولم أعلم أحداً من الصحابة نقله . ومعلوم أنه لم يتحلل بين النسكين ، ولا روى أحد أنه عليه الصلاة والسلام بعد طوافه بالبيت وسعيه بين الصفا والمروة حلق ولا قصر ولا تحلل ، بل استمر على إحرامه باتفاق ، ولم ينقل أنه أهلّ بحج لما سار إلى منى فعلم أنه لم يكن متمتعا : وقد اتفقوا على أنه عليه الصلاة والسلام اعتمر

(١) فى المصرية بن حسان .

عام حجة الوداع فلم يتخلل بين النسكين ولا أنشأ إحراماً للحج ولا اعتمر بعد الحج فلزم القران وهذا مما يعسر الجواب عنه ، والله أعلم . وأيضاً فإن رواية القران مثبتة لما سكت عنه أو نفاه من روى الإفراد والتمتع فهي مقدمة عليها كما هو مقرر فى علم الأصول ، وعن أبى عمران أنه حج مع مواليه ، قال : فأتيت أم سلمة فقلت : يا أم المؤمنين إنى لم أحج قط فأيهما أبدأ بالعمرة أم بالحج ؟ قالت : ابدأ بأيهما شئت ، قال : ثم أتيت صفية أم المؤمنين فسألتها ، فقالت لى مثل ما قالت لى ، ثم جئت أم سلمة فأخبرتها بقول صفية ، فقالت لى أم سلمة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يا آل محمد من حج منكم فليهلّ بعمرة فى حجة ، رواه ابن حبان فى صحيحه ، وقد رواه ابن حزم فى حجة الوداع من حديث الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب عن أسلم عن أبى عمران عن أم سلمة به .

فصـــل

إن قيل : قد رويتم عن جماعة من الصحابة أنه عليه الصلاة والسلام أفرد الحج ثم رويتم عن هؤلاء بأعيانهم وعن غيرهم أنه جمع بين الحج والعمرة فما الجمع من ذلك[1] ؟ فالجواب : أن رواية من روى أنه أفرد الحج محمولة على أنه أفرد أفعال الحج ودخلت العمرة فيه نية وفعلا ووقتا ، وهذا يدل على أنه اكتفى بطواف الحج وسعيه عنه وعنها كما هو مذهب الجمهور فى القارن خلافاً لأبى حنيفة رحمه الله حيث ذهب إلى أن القارن يطوف طوافين ويسعى سعيين واعتمد على ماروى فى ذلك عن على بن أبى طالب وفى الإسناد إليه نظر وأما من روى التمتع ثم روى القران فقد قدمنا الجواب عن ذلك بأن التمتع فى كلام السلف أعم من التمتع الخاص والقران بل ويطلقونه على الاعتمار فى أشهر الحج وإن لم يكن معه حج ، كما قال سعد بن أبى وقاص : تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا ـ يعنى معاوية ـ يومئذ كافر بالعُرُش ـ يعنى بمكة ـ وإنما يريد بهذا إحدى العمرتين إما الحديبية أو القضاء ، فأما عمرة الجعرانة فقد كان معاوية قد أسلم لأنها كانت بعد الفتح وحجة الوداع بعد ذلك سنة عشر ، وهذا بين واضح ، والله أعلم .

فصـــل

إن قيل : فما جوابكم عن الحديث الذى رواه أبو داود الطيالسى فى مسنده : حدثنا هشام عن قتادة عن أبى شيخ الهنائى ، واسمه حَيْوان بن خالد أن معاوية قال لنفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن صفف النمور ؟ قالوا : اللهم نعم ! قال : وأنا أشهد . قال : أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لبس الذهب إلا مقطعا ؟ قالوا : اللهم نعم ! قال : أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) هكذا فى النسخ ولعلها بين ذلك .

نهى أن يقرن بين الحج والعمرة ؟ قالوا : اللهم لا ! قال : والله إنها لمعهن . وقال الإمام أحمد ثنا عفان ثنا همام عن قتادة عن أبي شيخ الهنائي قال : كنت في ملاء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند معاوية فقال معاوية : أنشدكم بالله أتعلمون أن رسول الله نهى عن جلود النمور أن يركب عليها ؟ قالوا : اللهم نعم ! قال : وتعلمون أنه نهى عن لباس الذهب إلا مقطعاً ؟ قالوا : اللهم نعم ! قال : وتعلمون أنه نهى عن الشرب في آنية الذهب والفضة ؟ قالوا : اللهم نعم ! قال وتعلمون أنه نهى المتعة — يعني متعة الحج - قالوا : اللهم لا ! .

وقال أحمد ثنا محمد بن جعفر ثنا سعيد عن قتادة عن أبي شيخ الهنائي أنه شهد معاوية وعنده جمع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم معاوية : أتعلمون أن رسول الله نهى عن ركوب جلود النمور ؟ قالوا : نعم ! قال : تعلمون أن رسول الله نهى عن لبس الحرير ؟ قالوا : اللهم نعم ! قال : أتعلمون أن رسول الله نهى أن يشرب في آنية الذهب والفضة ؟ قالوا : اللهم نعم ! قال : أتعلمون أن رسول الله نهى عن جمع بين حج وعمرة ؟ قالوا : اللهم لا ! قال : فوالله إنها لمعهن ، وكذا رواه حماد بن سلمة عن قتادة وزاد : ولكنكم نسيتم ، وكذا رواه أشعث بن نزار وسعيد بن أبي عروبة وهمام عن قتادة بأصله ، ورواه مطر الوراق وبهيس بن فهدان عن أبي شيخ في متعة الحج فقد رواه أبو داود والنسائي من طرق عن أبي شيخ الهنائي به وهو حديث جيد الإسناد ويستغرب منه رواية معاوية رضي الله عنه النهي عن الجمع بين الحج والعمرة ، ولعل أصل الحديث النهي عن المتعة فاعتقد الراوي أنها متعة الحج وإنما هي متعة النساء ، ولم يكن عند أولئك الصحابة رواية في النهي عنها أو لعل النهي عن الإقران في التمر كما في حديث ابن عمر فاعتقد الراوي أن المراد القران في الحج وليس كذلك ، أو لعل معاوية رضي الله عنه قال إنما قال أتعلمون أنه نهى عن كذا فبناه ولم يسم فاعله ، فصرح الراوي بالرفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ووهم في ذلك فإن الذي كان ينهى عن متعة الحج إنما هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولم يكن نهيه عن ذلك على وجه التحريم والحتم كما قدمنا وإنما كان ينهى عنها لتفرد عن الحج بسفر آخر ليكثر زيارة البيت ، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يهابونه كثيراً فلا يتجاسرون على مخالفته غالباً وكان ابنه عبد الله يخالفه ، فيقال له : إن أباك كان ينهى عنها ، فيقول : لقد خشيت أن يقع عليكم حجارة من السماء ، قد فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم أفسنة رسول الله تتبع أم سنة عمر بن الخطاب ؟ وكذلك كان عثمان بن عفان رضي الله عنه ينهى عنها وخالفه علي بن أبي طالب كما تقدم ، وقال : لا أدع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول أحد من الناس

وقال عمران بن حصين : تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم ينزل قرآن يحرمه ، ولم ينه عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مات ، أخرجاه في الصحيحين ، وفي صحيح مسلم عن سعد أنه أنكر على معاوية إنكاره المتعة وقال : قد فعلناها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يومئذ كافر بالعُرُش يعني معاوية أنه كان حين فعلوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

كافراً بمكة يومئذ . قلت : وقد تقدم أنه عليه الصلاة والسلام حج قارناً بما ذكرناه من الأحاديث الواردة فى ذلك ولم يكن بين حجة الوداع وبين وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أحد وثمانون يوما وقد شهد الحجة ما ينيف عن أربعين ألف صحابى قولا منه وفعلا ، فلو كان قد نهى عن القران فى الحج الذى شهده منه الناس لم ينفرد به واحد من الصحابة ويرده عليه جماعة منهم ممن سمع منه ولم يسمع ، فهذا كله مما يدل على أن هذا هكذا ليس محفوظاً عن معاوية رضى الله عنه والله أعلم .

وقال أبو داود ثنا أحمد بن صالح ثنا ابن وهب أخبرنى حيوة أخبرنى أبو عيسى الخراسانى عن عبد الله بن القاسم الخراسانى عن سعيد بن المسيب أن رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أتى عمر بن الخطاب فشهد أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى قبض فيه ينهى عن العمرة قبل الحج ، وهذا الإسناد لا يخلو عن نظر ، ثم إن كان هذا الصحابى عن معاوية فقد تقدم الكلام على ذلك ولكن فى هذا النهى عن المتعة لا القران ، وإن كان عن غيره فهو مشكل فى الجملة لكن لا على القران والله أعلم .

ذكر مستند من قال أنه عليه الصلاة والسلام أطلق الإحرام ولم يعين حجاً ولا عمرة أولا ثم بعد ذلك صرفه إلى معين ، وقد حكى عن الشافعى أنه الأفضل إلا أنه قول ضعيف . قال الشافعى رحمه الله : أنبأنا سفيان أنبأنا ابن طاوس وابراهيم بن ميسرة وهشام بن حجير سمعوا طاوساً يقول : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة لا يسمى حجا ولا عمرة ينتظر القضاء فنزل عليه القضاء وهو بين الصفا والمروة فأمر أصحابه من كان منهم من أهلّ بالحج ولم يكن معه هدى أن يجعلها عمرة ، وقال « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لما سقت الهدى ، ولكن لبدت رأسى وسقت هديى فليس لى محل إلا محل هديى » فقام إليه سراقة بن مالك فقال : يا رسول الله اقض لنا قضاء كأنما ولدوا اليوم أعمرتنا هذه لعامنا هذا أم للأبد ؟ فقال رسول الله: « بل للأبد ، دخلت العمرة فى الحج إلى يوم القيامة » قال : فدخل علىّ من اليمن فسأله النبى عليه الصلاة والسلام : بم أهللت ؟ فقال أحدهما : لبيك إهلال النبى ، وقال الآخر : لبيك حجة النبى ، وهذا مرسل عن طاوس وفيه غرابة ، وقاعدة الشافعى رحمه الله أنه لا يقبل المرسل بمجرده حتى يعتضد بغيره اللهم إلا أن يكون عن كبار التابعين كما عول عليه كلامه فى الرسالة لأن الغالب أنهم لا يرسلون إلا عن الصحابة والله أعلم ، وهذا المرسل ليس من هذا القبيل ، بل هو مخالف للأحاديث المتقدمة كلها أحاديث الإفراد وأحاديث التمتع وأحاديث القران وهى مسندة صحيحة كما تقدم فهى مقدمة عليه ولأنها مثبتة أمراً نفاه هذا المرسل والمثبت مقدم على النافى لو تكافئا فكيف والمسند صحيح والمرسل من حيث [هو] لا ينهض حجة لانقطاع سنده والله تعالى أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقى أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو العباس الأصم حدثنا العباس

ابن محمد الدورى حدثنا محاضر حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نذكر حجا ولا عمره فلما قدمنا أمرنا أن نحل فلما كانت ليلة النفر حاضت صفية بنت حيى ، فقال النبى عليه الصلاه والسلام : « حَلْقى عَقْرى » ما أراها إلا حابستكم ، قال : هل كنت طفت يوم النحر ؟ قالت : نعم ! قال : فانفرى ، قالت : قلت يا رسول الله إنى لم أكن أهللت ، قال « فاعتمرى من التنعيم » قال : فخرج معها أخوها ، قالت فلقينا مدلجا ، فقال : موعدكن كذا وكذا ، هكذا رواه البيهقى ؛ وقد رواه البخارى عن محمد ، قيل : هو ابن يحيى الذهلى عن محاضر بن المورغ به إلا أنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نذكر إلا الحج وهذا أشبه بأحاديثها المتقدمة لكن روى مسلم عن سويد بن سعيد عن علي بن مسهر عن الأعمش عن ابراهيم عن الأسود عن عائشة قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نذكر حجا ولا عمرة ، وقد أخرجه البخارى ومسلم من حديث منصور عن ابراهيم عن الأسود عنها ، قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نرى إلا أنه الحج وهذا أصح وأثبت والله أعلم . وفى رواية لها من هذا الوجه : خرجنا نلبى ولا نذكر حجا ولا عمرة وهو محمول على أنهم لا يذكرون ذلك مع التلبية وإن كانوا قد سموه حال الإحرام كما فى حديث أنس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لبيك اللهم حجا وعمرة » ، وقال أنس : وسمعتهم يصرخون بهما جميعا ، فأما الحديث الذى رواه مسلم من حديث داود بن أبى هند عن أبى نضرة عن جابر وأبى سعيد الخدرى قالا : قدمنا مع رسول الله ونحن نصرخ بالحج صراخا ، فإنه حديث مشكل على هذا والله أعلم .

﴿ ذكر تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

قال الشافعى أخبرنا مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر : أن تلبية رسول الله : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك ، والملك لك لا شريك لك » ، وكان عبد الله بن عمر يزيد فيها : لبيك لك وسعديك ، والخير فى يديك لبيك ، والرغباء إليك والعمل ورواه البخارى عن عبد الله بن يوسف ومسلم عن يحيى بن يحيى كلاهما عن مالك به ، وقال مسلم حدثنا محمد بن عباد ثنا حاتم بن إسماعيل عن موسى بن عقبة عن سالم بن عبد الله بن عمر [و] عن نافع مولى عبد الله بن عمر وحمزه بن عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان إذا استوت به راحلته قائمة عند مسجد ذى الحليفة أهل فقال : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك ، والملك لك لا شريك لك » ، قالوا : وكان عبد الله يقول هذه تلبية رسول الله ، قال نافع : وكان عبد الله يزيد مع هذا : لبيك لبيك لبيك وسعديك ، والخير بيديك [لبيك] والرغباء إليك والعمل ، حدثنا محمد بن المثنى حدثنا يحيى بن سعيد عن عبد الله أخبرنى نافع عن ابن عمر قال : تلقفت التلبية من [فى] رسول الله فذكر بمثل حديثهم حدثنى حرملة ابن يحيى أخبرنى ابن وهب أخبرنى يونس عن ابن شهاب قال فإن سالم بن عبد الله بن عمر أخبرنى

عن أبيه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يهل ملبيا[1] يقول : « لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » لا يزيد على هؤلاء الكلمات وإن عبد الله بن عمر كان يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركع بذى الحليفة ركعتين فإذا استوت به الناقة قائمة عند مسجد ذى الحليفة أهل بهؤلاء الكلمات ، وقال عبد الله بن عمر : كان عمر بن الخطاب يهل بإهلال النبى صلى الله عليه وسلم من هؤلاء الكلمات وهو يقول : لبيك اللهم لبيك ، لبيك وسعديك والخير فى يديك لبيك والرغباء إليك والعمل ، هذا لفظ مسلم وفى حديث جابر من التلبية كما فى حديث ابن عمر وسيأتى مطولا قريباً رواه مسلم منفرداً به ، وقال البخارى بعد إيراده من طريق مالك عن نافع عن ابن عمر ما تقدم حدثنا محمد ابن يوسف ثنا سفيان عن الأعمش عن عمارة عن أبى عطية عن عائشة ، قالت : إنى لأعلم كيف كان النبى صلى الله عليه وسلم يلبى : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك » تابعه أبو معاوية عن الأعمش ، وقال شعبة : أخبرنا سليمان سمعت خيثمة عن أبى عطية سمعت عائشة تفرد به البخارى ، وقد رواه الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان الثورى عن سليمان بن مهران الأعمش عن عمارة بن عمير عن أبى عطية الوادى عن عائشة فذكر مثل ما رواه البخارى سواء ورواه أحمد عن أبى معاوية وعبد الله بن نمير عن الأعمش كما ذكره البخارى سواء ورواه أيضاً عن محمد بن جعفر وروح بن عبادة عن شعبة عن سليمان بن مهران الأعمش به كما ذكره البخارى وكذلك رواه أبو داود الطيالسى فى مسنده عن شعبة سواء ، وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن فضيل حدثنا الأعمش عن عمارة بن عمير عن أبى عطية ، قال : قالت عائشة : إنى لأعلم كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبى ، قال : ثم سمعتها تلبى ، فقالت : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ، فزاد فى هذا السياق وحده والملك لا شريك لك ، وقال البيهقى : أخبرنا الحاكم أنبأنا الأصم ثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أنبأنا ابن وهب أخبرنى عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة أن عبد الله بن الفضل حدثه عن عبد الرحمن الأعرج عن أبى هريرة ، أنه قال : كان من تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لبيك إله الحق » ، وقد رواه النسائى عن قتيبة عن حميد بن عبد الرحمن عن عبد العزيز بن أبى سلمة وابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة وعلى بن محمد كلاهما عن وكيع عن عبد العزيز به ، قال النسائى : ولا أعلم أحداً أسنده عن عبد الله بن الفضل إلا عبد العزيز ورواه إسماعيل بن أمية مرسلا ، وقال الشافعى أنبأنا سعيد بن سالم القداح عن ابن جريج أخبرنى حميد الأعرج عن مجاهد ، أنه قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يظهر من التلبية لبيك اللهم لبيك فذكر التلبية ، قال : حتى إذا كان ذات يوم والناس يصرفون عنه

---

(١) وفى الأزهرية . ملبدا .

كأنه أعجبه ما هو فيه فزاد فيها لبيك إن العيش عيش الآخرة ، قال ابن جريج وحسبت أن ذلك يوم عرفة ، هذا مرسل من هذا الوجه ، وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا عبد الله الحافظ أخبرني أبو أحمد يوسف بن محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة ثنا نصر بن علي الجهضمي ثنا محبوب بن الحسن ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب بعرفات فلما قال : لبيك اللهم لبيك ، قال : إنما الخير خير الآخرة ، وهذا إسناد غريب وإسناده على شرط السنن ولم يخرجوه ، وقال الإمام أحمد حدثنا روح ثنا أسامة بن زيد حدثني عبد الله بن أبي لبيد عن المطلب بن عبد الله بن حنطب سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني جبرائيل برفع الصوت في الإهلال فإنه من شعائر الحج ، تفرد به أحمد ، وقد رواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم عن ابن وهب عن أسامة ابن زيد عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وعبد الله بن أبي لبيد عن المطلب عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره ، وقد قال عبد الرزاق أخبرنا الثوري عن ابن أبي لبيد عن المطلب ابن حنطب بن خلاد عن السائب عن زيد بن خالد ، قال: جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : مر أصحابك أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية فإنها شعار الحج ، وكذا رواه ابن ماجه عن علي بن محمد بن وكيع بن الثوري به ، وكذلك رواه شعبة وموسى بن عقبة عن عبد الله بن أبي لبيد به ، وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع ثنا سليمان عن عبد الله عن أبي لبيد عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن خلاد بن السائب عن زيد بن خالد الجهني ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءني جبرائيل ، فقال : يا محمد مر أصحابك فليرفعوا أصواتهم بالتلبية فإنها شعار الحج ، قال : شيخنا أبو الحجاج المزي في كتابه الأطراف ، وقد رواه معاوية عن هشام وقبيصة عن سفيان الثوري عن عبد الله بن أبي لبيد عن المطلب عن خلاد بن السائب عن أبيه عن زيد بن خالد به ، وقال أحمد ثنا سفيان بن عيينة عن عبد الله بن أبي بكر عن عبد الملك بن أبي بكر الحارث بن هشام عن خلاد بن السائب بن خلاد عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أتاني جبرائيل ، فقال : مر أصحابك فليرفعوا أصواتهم بالإهلال ، وقال أحمد قرأت على عبد الرحمن بن مهدي عن مالك وحدثنا روح ثنا مالك يعني ابن أنس عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن خلاد بن السائب الأنصاري عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أتاني جبرائيل فأمرني أن آمر أصحابي - أو من معي - أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية أو بالإهلال - يريد أحدهما وكذلك رواه الشافعي عن مالك ، ورواه أبو داود عن القعنبي عن مالك به ، ورواه الإمام أحمد أيضاً من حديث ابن جريج والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة عن عبد الله بن أبي بكر به ، وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح ، وقال الحافظ البيهقي : ورواه ابن جريج ، قال : كتب إلي عبد الله

ابن أبى بكر فذكره ولم يذكر أبا خلاد فى إسناده، قال والصحيح رواية مالك وسفيان بن عيينة عن عبد الله بن أبى بكر عن عبد الملك عن خلاد بن السائب عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم كذلك قال البخارى وغيره كذا قال : وقد قال الإمام أحمد فى مسنده : حدثنا السائب بن خلاد بن سويد أبى سهلة الأنصارى ثنا محمد بن بكر أنبأنا ابن جريج ، وثنا روح ثنا ابن جريج ، قال : كتب إلى عبد الله بن أبى بكر محمد بن عمرو بن حزم عن عبد الملك بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن خلاد بن السائب الأنصارى عن أبيه السائب ابن خلاد ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أتانى جبرائيل ، فقال : إن الله يأمرك أن تأمر أصحابك أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية والإهلال ، وقال روح : بالتلبية أو الإهلال ، قال : لا أدرى أينا وهل أنا أو عبد الله أو خلاد فى الإهلال أو التلبية هذا لفظ أحمد فى مسنده ، وكذلك ذكره شيخنا فى أطرافه عن ابن جريج كرواية مالك وسفيان بن عيينة فالله أعلم .

فصل

فى إيراد حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه فى حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو وحده منسك مستقل رأينا أن إيراده ههنا أنسب لتضمنه التلبية وغيرها كما سلف وما سيأتى فنورد طرقه وألفاظه ثم نتبعه بشواهده من الأحاديث الواردة فى معناه وبالله المستعان ، قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد ثنا جعفر بن محمد حدثنى أبى ، قال : أتينا جابر بن عبد الله وهو فى بنى سلمة فسألناه عن حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث فى المدينة تسع سنين لم يحج ثم أذن فى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاج فى هذا العام ، قال : فنزل المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله صلى الله عليه وسلم ويفعل ما يفعل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لخمس بقين من ذى القعدة وخرجنا معه حتى إذا أتى ذا الحليفة نفست أسماء بنت عميس بمحمد بن أبى بكر فأرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أصنع قال اغتسلى ثم استثفرى بثوب ثم أهلى فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا استوت به ناقته على البيداء أهل بالتوحيد لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ، ولبى الناس والناس يزيدون ذا المعارج ونحوه من الكلام والنبى صلى الله عليه وسلم يسمع فلم يقل لهم شيئاً فنظرت مد بصرى بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم من راكب وماش ومن خلفه كذلك وعن يمينه مثل ذلك وعن شماله مثل ذلك ، قال : جابر ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا عليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله وما عمل به من شىء عملناه فخرجنا لا ننوى إلا الحج حتى إذا أتينا الكعبة فاستلم نبى الله صلى الله عليه وسلم الحجر الأسود ثم رمل ثلاثة ومشى أربعة حتى إذا فرغ عمد إلى مقام إبراهيم

فصلى خلفه ركعتين ثم قرأ (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) قال أحمد : وقال أبو عبد الله ـ يعني جعفر ـ فقرأ فيهما بالتوحيد وقل يا أيها الكافرون ثم استلم الحجر وخرج إلى الصفا ثم قرأ (إن الصفا والمروة من شعائر الله) . ثم قال : نبدأ بما بدأ الله به فرقى على الصفا حتى إذا نظر إلى البيت كبر ، ثم قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده أنجز وعده وصدق وعده وهزم ـ أو غلب ـ الأحزاب وحده ، ثم دعا ثم رجع إلى هذا الكلام ثم نزل حتى إذا انصبت قدماه فى الوادى رمل حتى إذا صعد مشى حتى إذا أتى المروة فرقى عليها حتى نظر إلى البيت فقال عليها كما قال على الصفا فلما كان السابع عند المروة ، قال : يا أيها الناس إنى لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أسق الهدى ولجعلتها عمرة فمن لم يكن معه هدى فليحل وليجعلها عمرة ، فحل الناس كلهم فقال سراقة بن مالك بن جعشم وهو فى أسفل الوادى يارسول الله ألعامنا هذا أم للأبد فشبك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه فقال للأبد ثلاث مرات ، ثم قال : دخلت العمرة فى الحج إلى يوم القيامة ، قال وقدم على من اليمن بهدى وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم معه من هدى المدينة هديا فإذا فاطمة قد حلت ولبست ثيابا صبيغا[1] واكتحلت فأنكر ذلك عليها فقالت : أمرنى به أبى ، قال قال على بالكوفة : قال جعفر قال أى هذا الحرف لم يذكره جابر فذهبت محرشا أستفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الذى ذكرت فاطمة قلت إن فاطمة لبست ثيابا صبيغا واكتحلت وقالت أمرنى أبى ، قال : صدقت صدقت أنا أمرتها به ، وقال جابر وقال لعلى بم : أهللت ؟ قال قلت : اللهم إنى أهل بما أهل به رسولك قال ومعى الهدى قال فلا تحل ، قال : وكان جماعة الهدى الذى أتى به على من اليمن والذى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة فنحر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ثلاثا وستين ثم أعطى عليا فنحر ما غبر[2] وأشركه فى هديه ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت فى قدر فأكلا من لحمها وشربا من مرقها ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نحرت ههنا ومنى كلها منحر ووقف بعرفة فقال وقفت ههنا وعرفة كلها ، موقف ووقف بالمزدلفة ، وقال وقفت ههنا ، والمزدلفة كلها موقف ، هكذا أورد الإمام أحمد هذا الحديث وقد اختصر آخره جداً ، ورواه الإمام مسلم بن الحجاج فى المناسك من صحيحه عن أبى بكر بن أبى شيبة وإسحاق ابن إبراهيم كلاهما عن حاتم بن إسماعيل عن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عن أبيه عن جابر بن عبد الله فذكره ، وقد أعلمنا على الزيادات المتفاوتة من سياق أحمد ومسلم إلى قوله عليه السلام لعلى: صدقت صدقت ماذا قلت حين فرضت الحج؟ قال قلت : اللهم إنى أهل بما أهل به رسولك صلى الله عليه وسلم . قال [على] : فإن معى الهدى . قال : فلا تحل قال فكان جماعة الهدى الذى قدم به على من اليمن والذى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة .

(١) كذا فى الأصل : ولعله ثوبا صبيغا . (٢) ما غبر أى ما بقى .

قال : فحل الناس كلهم وقصروا إلا النبي صلى الله عليه وسلم ومن كان معه هدى ، فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى فأهلوا بالحج وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ، ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس وأمر بقبة له من شعر فضربت له بنمرة فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام ، كما كانت قريش تصنع فى الجاهلية ، فأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له فأتى بطن الوادى فخطب الناس وقال : « إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ، ألا كل شىء من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعاً فى بنى سعد فقتلته هذيل ، وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضعه من ربانا ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله ، واتقوا الله فى النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وقد تركت فيكم ما لم تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله ، وأنتم تسألون عنى فما أنتم قائلون ؟ » قالوا : نشهد أنك قد بلغت ونصحت وأديت ، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها على الناس : « اللهم اشهد ، اللهم اشهد » ثلاث مرات ، ثم أذن ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئاً ، ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات وجعل حبل المشاة بين يديه واستقبل القبلة فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلا حتى غاب القرص ، وأردف أسامة بن زيد خلفه ، ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شنق القصواء الزمام حتى إن رأسها لتصيب مورك رجله ويقول بيده اليمنى « أيها الناس السكينة السكينة » كلما أتى جبلا من الجبال أرخى لها قليلا حتى تصعد ، حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئا ، ثم اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى طلع الفجر فصلى الفجر حتى تبين له الصبح بأذان وإقامة ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعا فحمد الله وكبره وهلله ووحده فلم يزل واقفا حتى أسفر جداً فدفع قبل أن تطلع الشمس وأردف الفضل بن العباس ، وكان رجلا حسن الشعر أبيض وسيما ، فلما دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مرت ظعن يجرين فطفق الفضل ينظر إليهن فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على وجه الفضل فحول الفضل يده إلى الشق الآخر فحول رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الشق الآخر على وجه الفضل فصرف وجهه من الشق الآخر ينظر ، حتى أتى بطن محسر فحرك قليلا ثم سلك الطريق الوسطى التى تخرج على الجمرة الكبرى ، حتى أتى الجمرة التى عند الشجرة فرماها بسبع حصيات

يكبر مع كل حصاة مثل حصى الخذف رمى من بطن الوادى ، ثم انصرف إلى المنحر فنحر ثلاثا وستين بيده ثم أعطى علياً فنحر ما غبر وأشركه فى هديه ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت فى قدر فطبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأفاض إلى البيت فصلى بمكة الظهر فأتى بنى عبد المطلب وهم يسقون على زمزم فقال « انزعوا بنى عبد المطلب فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم » فناولوه دلواً فشرب منه ، ثم رواه مسلم عن عمر ابن حفص عن أبيه عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر فذكره بنحوه . وذكر قصة أبى سَيَّارة وأنه كان يدفع بأهل الجاهلية على حمار عُرى وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « نحرت ههنا ومنى كلها منحر فانحروا فى رحالكم ، ووقفت ههنا وعرفة كلها موقف ، ووقفت ههنا وجَمْع كلها موقف » وقد رواه أبو داود بطوله عن النفيلى وعثمان بن أبى شيبة وهشام بن عمار وسليمان بن عبد الرحمن ، وربما زاد بعضهم على بعض الكلمة والشىء ، أربعتهم عن حاتم بن إسماعيل عن جعفر بنحو من رواية مسلم وقد رمزنا لبعض زياداته عليه ورواه أبو داود أيضا والنسائى عن يعقوب بن إبراهيم عن يحيى بن سعيد القطان عن جعفر به ، ورواه النسائى أيضا عن محمد بن المثنى عن يحيى بن سعيد ببعضه عن ابراهيم بن هارون البلخى عن حاتم بن اسماعيل ببعضه

﴿ ذكر الأماكن التى صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾
﴿ وهو ذاهب من المدينة إلى مكة فى عمرته وحجته ﴾

قال البخارى : باب المساجد التى على طريق المدينة والمواضع التى صلى فيها النبى صلى الله عليه وسلم : حدثنا محمد بن أبى بكر المقدمى قال ثنا فضيل بن سليمان قال ثنا موسى بن عقبة قال رأيت سالم بن عبد الله يتحرى أماكن من الطريق فيصلى فيها ويحدث أن أباه كان يصلى فيها وأنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فى تلك الأمكنة ، وحدثنى نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان يصلى فى تلك الأمكنة ، وسألت سالما فلا أعلمه إلا وافق نافعا فى الأمكنة كلها إلا أنهما اختلفا فى مسجد بشرف الروحاء .

قال : ثنا ابراهيم بن المنذر ثنا أنس بن عياض قال ثنا موسى بن عقبة عن نافع أن عبد الله بن عمر أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينزل بذى الحليفة حين يعتمر ، وفى حجته حين حج تحت سمرة فى موضع المسجد الذى بذى الحليفة ، وكان إذا رجع من غزو كان فى تلك الطريق ، أو فى حج أو عمرة هبط من بطن واد فإذا ظهر من بطن واد أناخ بالبطحاء التى على شفير الوادى الشرقية فعرس ثمَّ حتى يصبح ليس عند المسجد الذى بحجارة ولا على الأكمة التى عليها المسجد ، كان ثم خليج يصلى عبد الله عنده فى بطنه كُثُبٌ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يصلى فدحى السيل فيه بالبطحاء حتى دفن ذلك المكان الذى كان عبد الله يصلى فيه ،

وأن عبد الله بن عمر حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى حيث المسجد الصغير الذى دون المسجد الذى بشرف الروحاء وقد كان عبد الله يعلم المكان الذى صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم يقول ثم عن يمينك حين تقوم فى المسجد تصلى ، وذلك المسجد على حافة الطريق اليمنى وأنت ذاهب إلى مكة بينه وبين المسجد الأكبر رمية بحجر أو نحو ذلك، وإن ابن عمر كان يصلى إلى العرق الذى عند منصرف الروحاء وذلك العرق انتهاء طرفه على حافة الطريق دون المسجد الذى بينه وبين المنصرف وأنت ذاهب إلى مكة ، وقد ابتنى ثم مسجد فلم يكن عبد الله يصلى فى ذلك المسجد كان يتركه عن يساره ووراءه ويصلى أمامه إلى العرق نفسه ، وكان عبد الله يروح من الروحاء فلا يصلى الظهر حتى يأتى ذلك المكان فيصلى فيه الظهر ، وإذا أقبل من مكة فإن مر به قبل الصبح بساعة أو من آخر السحر عرس حتى يصلى بها الصبح ، وأن عبد الله حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينزل تحت سرحة ضخمة دون الرويثة عن يمين الطريق ووجاه الطريق فى مكان بطح سهل حتى يفضى من أكمة دوين بريد الرويثة بميلين وقد انكسر أعلاها فانثنى فى جوفها وهى قائمة على ساق وفى ساقها كثب كثيرة ، وأن عبد الله بن عمر حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فى طرف تلعة من وراء العرج وأنت ذاهب إلى هضبة عند ذلك المسجد قبران أو ثلاثة ، على القبور رضم من حجارة عن يمين الطريق عند سلمات الطريق ، بين أولئك السلمات كان عبد الله يروح من العرج بعد أن تميل الشمس بالهاجرة فيصلى الظهر فى ذلك المسجد ؛ وأن عبد الله بن عمر حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عند سرحات عن يسار الطريق فى مسيل دون هرشى ذلك المسيل لاصق بكراع هرشى بينه وبين الطريق قريب من غلوة ، وكان عبد الله يصلى إلى سرحة هى أقرب السرحات إلى الطريق وهى أطولهن ؛ وأن عبد الله ابن عمر حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينزل فى المسيل الذى فى أدنى مر الظهران قبل المدينة حين يهبط من الصفراوات ينزل فى بطن ذلك المسيل عن يسار الطريق وأنت ذاهب إلى مكة ليس بين منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الطريق إلا رمية بحجر ؛ وأن عبد الله بن عمر حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينزل بذى طوى ويبيت حتى يصبح يصلى الصبح حين يقدم مكة ومصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك على أكمة غليظة ليس فى المسجد الذى بنى ثم ولكن أسفل من ذلك على أكمة غليظة ؛ وأن عبد الله حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل فرضتى الجبل الذى بينه وبين الجبل الطويل نحو الكعبة فجعل المسجد الذى بنى ثم يسار المسجد بطرف الأكمة ومصلى النبي صلى الله عليه وسلم أسفل منه على الأكمة السوداء تدع من الأكمة عشرة أذرع أو نحوها ثم تصلى مستقبل الفرضتين من الجبل الذى بينك وبين الكعبة ».
تفرد البخارى رحمه الله بهذا الحديث بطوله وسياقه إلا أن مسلما روى منه عند قوله فى آخره وأن عبد الله بن عمر حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينزل بذى طوى إلى آخر الحديث عن

محمد بن إسحاق المسيبي عن أنس بن عياض عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر ، فذكره .
وقد رواه الإمام أحمد بطوله عن أبي قرة موسى بن طارق عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر به نحوه . وهذه الأماكن لا يعرف اليوم كثير منها أو أكثرها لأنه قد غير أسماء أكثر هذه البقاع اليوم عند هؤلاء الأعراب الذين هناك ، فإن الجهل قد غلب على أكثرهم .
وإنما أوردها البخاري رحمه الله في كتابه لعل أحداً يهتدي إليها بالتأمل والتفرس والتوسم ، أو لعل أكثرها أو كثيراً منها كان معلوماً في زمان البخاري ، والله تعالى أعلم .

باب
﴿ دخول النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة شرفها الله عز وجل ﴾

قال البخاري : حدثنا مسدد حدثنا يحيى بن عبد الله حدثني نافع عن ابن عمر ، قال : بات النبي صلى الله عليه وسلم بذي طوى حتى أصبح ثم دخل مكة وكان ابن عمر يفعله . ورواه مسلم من حديث يحيى بن سعيد القطان به . وزاد : حتى صلى الصبح ، أو قال : حتى أصبح . وقال مسلم : حدثنا أبو الربيع الزهراني حدثنا حماد عن أيوب عن نافع عن ابن عمر كان لا يقدم مكة إلا بات بذي طوى حتى يصبح ويغتسل ثم يدخل مكة نهاراً ، ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه فعله . ورواه البخاري من حديث حماد بن زيد عن أيوب به . ولهما من طريق أخرى عن أيوب عن نافع عن ابن عمر كان إذا دخل أدنى الحرم أمسك عن التلبية ثم يبيت بذي طوى وذكره . وتقدم آنفاً ما أخرجاه من طريق موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبيت بذي طوى حتى يصبح فيصلي الصبح حين يقدم مكة ومصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أكمة غليظة ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل فرضتي الجبل الذي بينه وبين الجبل الطويل نحو الكعبة لجعل المسجد الذي بني ثم يسار المسجد بطرف الأكمة ومصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسفل منه على الأكمة السوداء يدع من الأكمة عشرة أذرع أو نحوها ، ثم يصلي مستقبل الفرضتين من الجبل الذي بينك وبين الكعبة ، أخرجاه في الصحيحين وحاصل هذا كله أنه عليه الصلاة والسلام لما انتهى في مسيره إلى ذي طوى وهو قريب من مكة متاخم للحرم أمسك عن التلبية لأنه قد وصل إلى المقصود ، وبات بذلك المكان حتى أصبح فصلى هنالك الصبح في المكان الذي وصفوه بين فرضتي الجبل الطويل هنالك . ومن تأمل هذه الأماكن المشار إليها بعين البصيرة عرفها معرفة جيدة وتعين له المكان الذي صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم اغتسل صلوات الله وسلامه عليه لأجل دخول مكة ثم ركب ودخلها نهاراً جهرة علانية من الثنية العليا التي بالبطحاء . ويقال كذا ليراه الناس ويشرف عليهم ، وكذلك دخل منها يوم الفتح كما ذكرناه ، قال مالك عن نافع عن

ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة من الثنية العليا ، وخرج من الثنية السفلى ، أخرجاه في الصحيحين من حديثه . ولهما من طريق عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة من الثنية العليا التي في البطحاء وخرج من الثنية السفلى . ولهما أيضاً من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة مثل ذلك . ولما وقع بصره عليه الصلاة والسلام على البيت . قال ما رواه الشافعي في مسنده أخبرنا سعيد بن سالم عن ابن جريج أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى البيت رفع يديه وقال : اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة وزد من شرّفه وكرّمه فمن حجه واعتمره تشريفاً وتكريماً وتعظيما وبرًّا . قال الحافظ البيهقي : هذا منقطع وله شاهد مرسل عن سفيان الثوري عن أبي سعيد الشامي عن مكحول ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل مكة فرأى البيت رفع يديه وكبر ، وقال : اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام ، اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيما وتكريماً ومهابة وبرًّا ، وزد من حجه أو اعتمره تكريماً وتشريفاً وتعظيما وبرًّا . وقال الشافعي : أنبأنا سعيد بن سالم عن ابن جريج ، قال : حدثت عن مقسم عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : ترفع الأيدي في الصلاة وإذا رأى البيت وعلى الصفا والمروة وعشية عرفة وبجمع وعند الجمرتين وعلى الميت . قال الحافظ البيهقي : وقد رواه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس وعن نافع عن ابن عمر مرة موقوفاً عليهما ومرة مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم دون ذكر الميت قال : وابن أبي ليلى هذا غير قوي . ثم أنه عليه الصلاة والسلام دخل المسجد من باب بني شيبة . قال الحافظ البيهقي : روينا عن ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح قال : يدخل المحرم من حيث شاء . قال : ودخل النبي صلى الله عليه وسلم من باب بني شيبة وخرج من باب بني مخزوم إلى الصفا . ثم قال البيهقي : وهذا مرسل جيد . وقد استدل البيهقي على استحباب دخول المسجد من باب بني شيبة بما رواه من طريق أبي داود الطيالسي ثنا حماد بن سلمة وقيس بن سلام كلهم عن سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة عن علي رضي الله عنه . قال : لما انهدم البيت بعد جرهم بنته قريش فلما أرادوا وضع الحجر تشاجروا من يضعه فاتفقوا أن يضعه أول من يدخل من هذا الباب ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من باب بني شيبة ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بثوب فوضع الحجر في وسطه ، وأمر كل فخذ أن يأخذوا بطائفة من الثوب فرفعوه وأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه ، وقد ذكرنا هذا مبسوطا في باب بناء الكعبة قبل البعثة . وفي الاستدلال على استحباب الدخول من باب بني شيبة بهذا نظر ، والله أعلم .

﴿ صفة طوافه صلوات الله وسلامه عليه ﴾

قال البخاري : حدثنا أصبغ بن الفرج عن ابن وهب أخبرني عمرو بن محمد عن محمد بن عبد الرحمن ، قال : ذكرت لعروة ، قال : أخبرتني عائشة : أن أول شيء بدأ به حين قدم النبي

صلى الله عليه وسلم أنه توضأ ثم طاف ثم لم تكن عمرة ثم حج أبو بكر وعمر مثله ، ثم حججت مع أبي الزبير فأول شيء بدأ به الطواف ، ثم رأيت المهاجرين والأنصار يفعلونه ، وقد أخبرتني أمي أنها أهلت هي وأختها والزبير وفلان وفلان بعمرة فلما مسحوا الركن حلوا ، هذا لفظه ، وقد رواه في موضع آخر عن أحمد بن عيسى ومسلم عن هارون بن سعيد ثلاثتهم عن ابن وهب به ، وقولها ثم لم تكن عمرة يدل على أنه عليه السلام لم يتحلل بين النسكين ثم كان أول ما ابتدأ به عليه السلام استلام الحجر الأسود قبل الطواف كما قال جابر : حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثا ومشى أربعا ، وقال البخاري ثنا محمد بن كثير ثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن عابس بن ربيعة عن عمر أنه جاء إلى الحجر فقبله ، وقال : إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ، ورواه مسلم عن يحيى ابن يحيى وأبي بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب وابن أبي نمير جميعاً عن أبي معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن عابس بن ربيعة قال · رأيت عمر يقبل الحجر ويقول إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ، وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن عبيد وأبو معاوية ، قالا : حدثنا الأعمش عن إبراهيم بن عابس بن ربيعة ، قال : رأيت عمر أتى الحجر ، فقال : أما والله لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله قبلك ما قبلتك ثم دنا فقبله ، فهذا السياق يقتضي أنه قال ما قال ثم قبله بعد ذلك بخلاف سياق صاحبي الصحيح فالله أعلم ، وقال أحمد : ثنا وكيع ويحيى واللفظ لوكيع عن هشام عن أبيه أن عمر بن الخطاب أتى الحجر ، فقال : إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك ، وقال : ثم قبله ، وهذا منقطع بين عروة بن الزبير وبين عمر ، وقال البخاري أيضاً ثنا سعيد بن أبي مريم ثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير أخبرني زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب ، قال للركن : أما والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استلمك ما استلمتك فاستلمه ، ثم قال : وما لنا والرمل إنما كنا رأينا به المشركين ولقد أهلكهم الله ، ثم قال : شيء صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا نحب أن نتركه ، وهذا يدل على أن الاستلام تأخر عن القول ، وقال البخاري ثنا أحمد بن سنان ثنا يزيد بن هارون ثنا ورقاء ثنا زيد بن أسلم عن أبيه ، قال : رأيت عمر بن الخطاب قبّل الحجر ، وقال : لولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ، وقال مسلم بن الحجاج ثنا حرملة ثنا ابن وهب أخبرني يونس هو ـ ابن يزيد الأيلي ـ وعمرو هو ـ ابن دينار ـ وحدثنا هارون بن سعيد الأيلي أنبأنا ابن وهب أخبرني عمرو عن ابن شهاب عن سالم أن أباه حدثه أنه قال قبل عمر بن الخطاب الحجر ، ثم قال : أما والله لقد علمت أنك حجر ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك . زاد هارون في روايته قال عمرو وحدثني

بمثلها زيد بن أسلم عن أبيه أسلم - يعنى - عن عمر به ، وهذا صريح فى أن التقبيل بقدم على القول فالله أعلم ، وقال الإمام أحمد ثنا عبد الرزاق أنبأنا عبد الله عن نافع عن ابن عمر أن عمر قبل الحجر ، ثم قال : قد علمت أنك حجر ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك ، هكذا رواه الإمام أحمد ، وقد أخرجه مسلم فى صحيحه عن محمد بن أبى بكر المقدمى عن حماد بن زيد عن أيوب عن نافع عن ابن عمر أن عمر قبل الحجر ، وقال إنى لأقبلك وإنى لأعلم أنك حجر ولكنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ، ثم قال مسلم : ثنا خلف بن هشام والمقدمى وأبو كامل وقتيبة كلهم عن حماد قال خلف ثنا حماد بن زيد عن عاصم الأحول عن عبد الله بن سرجس ، قال : رأيت الأصلع - يعنى - عمر يقبل الحجر ويقول والله إنى لأقبلك وإنى لأعلم أنك حجر وأنك لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ، وفى رواية المقدمى وأبى كامل رأيت الأصلع وهذا من أفراد مسلم دون البخارى ، وقد رواه الإمام أحمد عن أبى معاوية عن عاصم الأحول عن عبد الله بن سرجس به . ورواه أحمد أيضاً عن غندر عن شعبة عن عاصم الأحول به ، وقال الإمام أحمد ثنا عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان عن إبراهيم بن عبد الأعلى عن سويد بن غفلة قال رأيت عمر يقبل الحجر ويقول : إنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولكنى رأيت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم بك حفيا ، ثم رواه أحمد عن وكيع عن سفيان الثورى به ، وزاد فقبله والتزمه ، وهكذا رواه مسلم من حديث عبد الرحمن بن مهدى بلا زيادة ، ومن حديث وكيع بهذه الزيادة قبل الحجر والتزمه ، وقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بك حفيا ، وقال الإمام أحمد ثنا عفان ثنا وهيب ثنا عبد الله ابن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب أكب على الركن : وقال : إنى لأعلم أنك حجر ولو لم أر حبيبى صلى الله عليه وسلم قبلك واستلمك ما استلمتك ولا قبلتك (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) وهذا إسناد جيد قوى ولم يخرجوه وقال أبو داود الطيالسى ثنا جعفر بن عثمان القرشى من أهل مكة قال رأيت محمد بن عباد بن جعفر قبل الحجر وسجد عليه ، ثم قال : رأيت خالك ابن عباس قبله وسجد عليه ، وقال ابن عباس رأيت عمر بن الخطاب قبله وسجد عليه ، ثم قال عمر لو لم أر النبى صلى الله عليه وسلم قبله ما قبلته وهذا أيضاً إسناد حسن ولم يخرجه إلا النسائى عن عمرو بن عثمان الوليد بن مسلم عن حنظلة ابن أبى سفيان عن طاوس عن ابن عباس عن عمر فذكر نحوه ، وقد روى هذا الحديث عن عمر الإمام أحمد أيضاً من حديث يعلى بن أمية عنه ، وأبو يعلى الموصلى فى مسنده من طريق هشام ابن حشيش[1] بن الأشقر عن عمر ، وقد أوردنا ذلك كله بطرقه وألفاظه وعزوه وعلله فى الكتاب الذى جمعناه فى مسند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولله الحمد والمنة ، وبالجملة فهذا

(١) فى جميع النسخ ابن حشيش ولعله عن حشيش الخ .

الحديث مروى من طرق متعددة عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهى تفيد القطع عند كثير من أئمة هذا الشأن وليس فى هذه الروايات أنه عليه السلام سجد على الحجر إلا ما أشعر به رواية أبى داود الطيالسى عن جعفر بن عثمان وليست صريحة فى الرفع ، ولكن رواه الحافظ البيهقى من طريق أبى عاصم النبيل ثنا جعفر بن عبد الله ، قال : رأيت محمد بن عباد بن جعفر قبل الحجر وسجد عليه ثم قال : رأيت خالك ابن عباس قبله وسجد عليه ، وقال ابن عباس رأيت عمر قبله وسجد عليه ، ثم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل هكذا ففعلت ، وقال الحافظ البيهقى أنبأنا أبو الحسن على بن أحمد بن عبدان أنبأنا الطبرانى أنبأنا أبو الزنباع ثنا يحيى بن سليمان الجعفى ثنا يحيى بن يمان ثنا سفيان بن أبى حسين عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد على الحجر ، قال الطبرانى لم يروه عن سفيان إلا يحيى بن يمان ، وقال البخارى ثنا مسدد ثنا حماد عن الزبير ابن عربى قال سأل رجل ابن عمر عن استلام الحجر ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله قال أرأيت إن زحمت أرأيت إن غلبت ؟ قال اجعل أرأيت باليمن ، رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله تفرد به دون مسلم ، وقال البخارى ثنا مسدد ثنا يحيى عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال ما تركت استلام هذين الركنين فى شدة ولا رخاء منذ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمهما فقلت لنافع أكان ابن عمر يمشى بين الركنين قال إنما كان يمشى ليكون أيسر لاستلامه ، وروى أبو داود والنسائى من حديث يحيى بن سعيد القطان عن عبد العزيز ابن أبى رواد عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان لا يدع أن يستلم الركن اليمانى والحجر فى كل طوفه » ، وقال البخارى : ثنا أبو الوليد ثنا ليث عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه ، قال : لم أر النبى صلى الله عليه وسلم يستلم من البيت إلا الركنين اليمانيين ، ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى وقتيبة عن الليث بن سعد به ، وفى رواية عنه أنه قال ما أرى النبى صلى الله عليه وسلم ترك استلام الركنين الشاميين إلا أنهما لم يتمما على قواعد إبراهيم ، وقال البخارى ، وقال محمد بن بكر أنبأنا ابن جريج أخبرنى عمرو بن دينار عن أبى الشعثاء أنه قال : ومن يتقى شيئاً من البيت ، وكان معاوية يستلم الأركان ، فقال له ابن عباس إنه لا يستلم هذان الركنان فقال له ليس من البيت شىء مهجور وكان ابن الزبير يستلمهن كلهن ، انفرد بروايته البخارى رحمه الله تعالى ، وقال مسلم فى صحيحه حدثنى أبو الطاهر ثنا ابن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث أن قتادة بن دعامة حدثه أن أبا الطفيل البكرى حدثه أنه سمع ابن عباس يقول لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلم غير الركنين اليمانيين ، انفرد به مسلم فالذى رواه ابن عمر موافق لما قاله ابن عباس أنه لا يستلم الركنان الشاميان لأنهما لم يتمما على قواعد إبراهيم لأن قريشاً قصرت بهم النفقة فأخرجوا الحجر من البيت حين بنوه كما تقدم بيانه ، وود النبى صلى الله عليه وسلم أن لو بناه فتممه على قواعد إبراهيم ، ولكن

خشى من حداثة عهد الناس بالجاهلية فتنكره قلوبهم فلما كانت إمرة عبد الله بن الزبير هدم الكعبة وبناها على ما أشار إليه صلى الله عليه وسلم كما أخبرته خالته أم المؤمنين عائشة بنت الصديق فإن كان ابن الزبير استلم الأركان كلها بعد بنائه إياها على قواعد إبراهيم فحسن جداً وهو والله المظنون به ، وقال أبو داود : ثنا مسدد ثنا يحيى عن عبد العزيز بن أبى رواد عن نافع عن ابن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يدع أن يستلم الركن اليمانى والحجر فى كل طوافه » ، ورواه النسائى عن محمد بن المثنى عن يحيى ، وقال النسائى ثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقى ثنا يحيى بن سعيد القطان عن ابن جريج عن يحيى بن عبيد عن أبيه عن عبد الله بن السائب ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بين الركن اليمانى والحجر (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) ، ورواه أبو داود عن مسدد عن عيسى بن يونس عن ابن جريج به ، وقال الترمذى ثنا محمود بن غيلان ثنا يحيى بن آدم ثنا سفيان عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر ، قال : لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم مكة دخل المسجد فاستلم الحجر ، ثم مضى على يمينه فرمل ثلاثا ومشى أربعا ثم أتى المقام ، فقال : (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) فصلى ركعتين والمقام بينه و بين البيت ، ثم أتى الحجر بعد الركعتين فاستلمه ثم خرج إلى الصفا أظنه ، قال : (إن الصفا والمروة من شعائر الله) هذا حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند أهل العلم ، وهكذا رواه إسحاق بن راهويه عن يحيى بن آدم ، ورواه الطبرانى عن النسائى وغيره من عبد الأعلى بن واصل عن يحيى بن آدم به .

﴿ ذكر رمله عليه الصلاة والسلام فى طوافه واضطباعه ﴾

قال البخارى حدثنا أصبغ بن الفرج أخبرنى ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن سالم عن أبيه ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يقدم مكة إذا استلم الركن الأسود أول ما يطوف يخب ثلاثة أشواط من السبع ، ورواه مسلم عن أبى الطاهر بن السرح وحرملة كلاهما عن ابن وهب به ، وقال البخارى : ثنا محمد بن سلام ثنا شريح بن النعمان ثنا فليح عن نافع عن ابن عمر ، قال : سعى النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة أشواط ومشى أربعة فى الحج والعمرة تابعه الليث ، حدثنى كثير بن فرقد عن نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم انفرد به البخارى ، وقد روى النسائى عن محمد وعبد الرحمن ابنى عبد الله بن عبد الحكم كلاهما عن شعيب بن الليث عن أبيه الليث بن سعد عن كثير بن فرقد عن نافع عن ابن عمر به ، وقال البخارى ثنا إبراهيم بن المنذر ثنا أبو ضمرة أنس بن عياض ثنا موسى بن عقبة عن نافع عن عبد الله بن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا طاف فى الحج أو العمرة أول ما يقدم سعى ثلاثة أطواف ومشى أربعة ثم سجد سجدتين ثم يطوف بين الصفا والمروة ، ورواه مسلم من حديث موسى بن عقبة ، وقال البخارى : ثنا إبراهيم بن المنذر ثنا أنس عن عبيد الله بن عمر عن

نافع عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كان إذا طاف بالبيت الطواف الأول يخب ثلاثة أطواف ويمشي أربعة ، وأنه كان يسعى بطن المسيل إذا طاف بين الصفا والمروة» ، ورواه مسلم من حديث عبيد الله بن عمر قال مسلم أنبأنا عبد الله بن عمر بن أبان الجعفي أنبأنا ابن المبارك أنبأنا عبيد الله عن نافع عن ابن عمر ، قال : رمل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحجر إلى الحجر ثلاثا ومشى أربعا ، ثم رواه من حديث سليم بن أخضر عن عبيد الله بنحوه ، وقال مسلم أيضاً حدثني أبو طاهر حدثني عبد الله بن وهب أخبرني مالك وابن جريج عن جعفر ابن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : رمل ثلاثة أطواف من الحجر إلى الحجر ، وقال عمر بن الخطاب : فيم الرملان[1] والكشف عن المناكب ، وقد أطد الله الإسلام ونفى الكفر ومع ذلك لا نترك شيئاً كنا نفعله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والبيهقي من حديث هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم عن أبيه عنه ، وهذا كله رد على ابن عباس ومن تابعه من أن الرَّمَل ليس سنة لأن رسول الله إنما فعله لما قدم هو وأصحابه صبيحة رابعة – يعني في عمرة القضاء – وقال المشركون إنه يقدم عليكم وفد وهنتهم حمى يثرب فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرملوا الأشواط الثلاثة وأن يمشوا ما بين الركنين ولم يمنعهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم ، وهذا ثابت عنه في الصحيحين وتصريحه لهذر سببه في صحيح مسلم أظهر. فكان ابن عباس ينكر وقوع الرمل في حجة الوداع ، وقد صح بالنقل الثابت كما تقدم بل فيه زيادة تكميل الرمل من الحجر إلى الحجر ولم يمش ما بين الركنين اليمانيين لزوال تلك العلة المشار إليها وهي الضعف ، وقد ورد في الحديث الصحيح عن ابن عباس أنهم رملوا في عمرة الجعرانة واضطبعوا وهو رد عليه فإن عمرة الجعرانة لم يبق في أيامها خوف لأنها بعد الفتح كما تقدم ، رواه حماد بن سلمة عن عبد الله ابن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه اعتمروا من الجعرانة فرملوا بالبيت واضطبعوا ووضعوا أرديتهم تحت آباطهم وعلى عواتقهم ، ورواه أبو داود من حديث حماد بنحوه ، ومن حديث عبد الله بن خثيم عن أبي الطفيل عن ابن عباس به فأما الاضطباع في حجة الوداع فقد قال قبيصة والفريابي عن سفيان الثوري عن ابن جريج عن عبد الحميد بن جبير بن شيبة عن يعلى بن أمية عن أمية ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت مضطبعاً ، رواه الترمذي من حديث الثوري ، وقال حسن صحيح ، وقال أبو داود ثنا محمد بن كثير ثنا سفيان عن ابن جريج عن ابن يعلى عن أبيه ، قال : طاف رسول الله مضطبعاً ببرد أخضر ، وهكذا رواه الإمام أحمد عن وكيع عن الثوري عن ابن جريج عن ابن يعلى عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم طاف بالبيت وهو مضطبع

(١) وفي التيمورية فيم الرمل .

يبرد له أخضر ، وقال جابر فى حديثه المتقدم حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثا ومشى أربعا ، ثم تقدم إلى مقام إبراهيم فقرأ (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) فجعل المقام بينه وبين البيت فذكر أنه صلى ركعتين قرأ فيهما قل هو الله أحد ، وقل يا أيها الكافرون ، فإن قيل فهل كان عليه الصلاة والسلام في هذا الطواف راكبا أو ماشيا ؟ فالجواب أنه قد ورد نقلان قد يظن أنهما متعارضان ونحن نذكرهما ونشير إلى التوفيق بينهما ورفع اللبس عند من يتوهم فيهما تعارضا وبالله التوفيق وعليه الاستعانة وهو حسبنا ونعم الوكيل ، قال البخارى رحمه الله حدثنا أحمد بن صالح ويحيى بن سليمان قالا ثنا ابن وهب أخبرنى يونس عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس ، قال : طاف النبى صلى الله عليه وسلم على بعيره فى حجة الوداع يستلم الركن بمحجن ، وأخرجه بقية الجماعة إلا الترمذى من طرق عن ابن وهب ، قال البخارى تابعه الدراوردى عن ابن أخى الزهرى عن عمه ، وهذه المتابعة غريبة جداً ، وقال البخارى ثنا محمد بن المثنى ثنا عبد الوهاب ثنا خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس ، قال طاف النبى صلى الله عليه وسلم بالبيت على بعير كلما أتى الركن أشار إليه ، وقد رواه الترمذى من حديث عبد الوهاب ابن عبد المجيد الثقفى وعبد الوارث كلاهما عن خالد بن مهران الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس قال طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته فإذا انتهى إلى الركن أشار إليه ، وقال حسن صحيح ثم قال البخارى ثنا مسدد ثنا خالد بن عبد الله عن خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس قال طاف النبى صلى الله عليه وسلم بالبيت على بعير فلما أتى الركن أشار إليه بشىء كان عنده وكبر ، تابعه إبراهيم بن طهمان عن خالد الحذاء ، وقد أسند هذا التعلق ها هنا فى كتاب الطواف عن عبد الله بن محمد عن أبى عامر عن إبراهيم بن طهمان به ، وروى مسلم عن الحكم ابن موسى عن شعيب بن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف فى حجة الوداع حول الكعبة على بعير يستلم الركن كراهية أن يضرب عنه الناس فهذا إثبات أنه عليه السلام طاف فى حجة الوداع على بعير ولكن حجة الوداع كان فيها ثلاثة أطواف الأول طواف القدوم والثانى طواف الإفاضة وهو طواف الفرض وكان يوم النحر والثالث طواف الوداع فلعل ركوبه صلى الله عليه وسلم كان فى أحد الآخرين أو فى كليهما ، فأما الأول وهو طواف القدوم فكان ماشياً فيه ، وقد نص الشافعى على هذا كله والله أعلم وأحكم . والدليل على ذلك ما قال الحافظ أبو بكر البيهقى فى كتابه السنن الكبير أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنى أبو بكر محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى ثنا الفضل بن محمد بن المسيب ثنا نعيم بن حماد ثنا عيسى بن يونس عن محمد بن إسحاق — هو ابن يسار رحمه الله — عن أبى جعفر وهو محمد بن على ابن الحسين عن جابر بن عبد الله ، قال : دخلنا مكة عند ارتفاع الضحى فأتى النبى صلى الله عليه وسلم باب المسجد فأناخ راحلته ثم دخل المسجد فبدأ بالحجر فاستلمه وفاضت عيناه بالبكاء ثم رمل ثلاثا

ومشى أربعاً حتى فرغ فلما فرغ قبل الحجر ووضع يديه عليه ومسح بهما وجهه، وهذا إسناد جيد ؛ فأما ما رواه أبو داود حدثنا مسدد ثنا خالد بن عبد الله ثنا يزيد بن أبي زياد عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم مكة وهو يشتكي فطاف على راحلته ، فلما أتى على الركن استلمه بمحجن ، فلما فرغ من طوافه أناخ فصلى ركعتين ، تفرد به يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف ثم لم يذكر أنه في حجة الوداع ولا ذكر أنه في الطواف الأول من حجة الوداع ولم يذكر ابن عباس في الحديث الصحيح عنه عند مسلم ؛ وكذا جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم ركب في طوافه لضعفه ، وإنما ذكر لكثرة الناس وغشيانهم له وكان لا يحب أن يضربوا بين يديه كما سيأتي تقريره قريباً إن شاء الله ثم هذا التقبيل الثاني الذي ذكره ابن إسحاق في روايته بعد الطواف وبعد ركعتيه أيضاً ثابت في صحيح مسلم من حديث جابر ، قال فيه[1] بعد ذكر صلاة ركعتي الطواف : ثم رجع إلى الركن فاستلمه ، وقد قال مسلم بن الحجاج في صحيحه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وابن نمير جميعاً عن أبي خالد قال أبو بكر حدثنا أبو خالد الأحمر عن عبيد الله عن نافع قال : رأيت ابن عمر يستلم الحجر بيده ثم قبل يده ، قال : وما تركته منذ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله فهذا يحتمل أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الطوافات أو في آخر استلام فعل مثل هذا لما ذكرنا ، أو أن ابن عمر لم يصل إلى الحجر لضعف كان به ، أو لئلا يزاحم غيره فيحصل لغيره أذى به ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوالده ما رواه أحمد في مسنده حدثنا وكيع ثنا سفيان عن أبي يعفور العبدي ، قال سمعت شيخاً بمكة في إمارة الحجاج يحدث عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « يا عمر إنك رجل قوي ، لا تزاحم على الحجر فتؤذي الضعيف ، إن وجدت خلوة فاستلمه ، وإلا فاستقبله وكبر » وهذا إسناد جيد لكن راويه عن عمر مبهم لم يسم ، والظاهر أنه ثقة جليل ، فقد رواه الشافعي عن سفيان بن عيينة عن أبي يعفور العبدي واسمه وقدان ، سمعت رجلا من خزاعة حين قتل ابن الزبير، وكان أميراً على مكة يقول : قال رسول الله لعمر : « يا أبا حفص إنك رجل قوي فلا تزاحم على الركن فإنك تؤذي الضعيف ولكن إن وجدت خلوة فاستلمه وإلا فكبر وامض » قال سفيان بن عيينة هو عبد الرحمن بن الحارث كان الحجاج استعمله عليها منصرفه منها حين قتل ابن الزبير .

قلت : وقد كان عبد الرحمن هذا جليلا نبيلا كبير القدر ، وكان أحد النفر الأربعة الذين ندبهم عثمان بن عفان في كتابة المصاحف التي أنفذها إلى الآفاق ، ووقع على ما فعله الإجماع والاتفاق .

﴿ ذكر طوافه عليه الصلاة والسلام بين الصفا والمروة ﴾

روى مسلم في صحيحه عن جابر في حديثه الطويل المتقدم بعد ذكره طوافه عليه السلام بالبيت سبعاً وصلاته عند المقام ركعتين ، قال : ثم رجع إلى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب إلى الصفا

فلما دنا من الصفا قرأ (إن الصفا والمروة من شعائر الله) أبدأ بما بدأ الله به ، فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره ، وقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، ثم دعا بين ذلك فقال مثل هذا ثلاث مرات ثم نزل حتى إذا انصبت قدماه في الوادي رمل حتى إذا صعد مشى حتى أتى المروة فرقى عليها حتى نظر إلى البيت فقال عليها كما قال على الصفا ، وقال الإمام أحمد ثنا عمر بن هارون البلخي أبو حفص ثنا ابن جريج عن بعض بني يعلى ابن أمية عن أبيه ، قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم مضطبعاً بين الصفا والمروة ببرد له نجراني وقال الإمام أحمد ثنا يونس ثنا عبد الله بن المؤمل عن عمر بن عبد الرحمن ثنا عطية عن حبيبة بنت أبي تجزأة قالت : دخلت دار حصين في نسوة من قريش والنبي صلى الله عليه وسلم يطوف بين الصفا والمروة ، قالت : وهو يسعى يدور به إزاره من شدة السعي وهو يقول لأصحابه « اسعوا إن الله كتب عليكم السعي » ، وقال أحمد أيضاً : حدثنا شريح ثنا عبد الله بن المؤمل ثنا عطاء ابن أبي رباح عن صفية بنت شيبة عن حبيبة بنت أبي تجزأة قالت رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يطوف بين الصفا والمروة والناس بين يديه وهو وراءهم وهو يسعى حتى أرى ركبتيه من شدة السعي يدور به إزاره وهو يقول « اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي » تفرد به أحمد .

وقد رواه أحمد أيضاً عن عبد الرزاق عن معمر عن واصل مولى أبي عيينة عن موسى بن عبيدة عن صفية بنت شيبة أن امرأة أخبرتها أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة يقول « كتب عليكم السعي فاسعوا » وهذه المرأة هي حبيبة بنت أبي تجزأة المصرح بذكرها في الإسنادين الأولين . وعن أم ولد شيبة بن عثمان أنها أبصرت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يسعى بين الصفا والمروة وهو يقول « لا يقطع الأبطح إلا شدًّا » رواه النسائي .

والمراد بالسعي هاهنا هو الذهاب من الصفا إلى المروة ومنها إليها ، وليس المراد بالسعي ههنا الهرولة والإسراع فإن الله لم يكتبه علينا حتما ، بل لو مشى الإنسان على هينة في السبع الطوافات بينهما ولم يرمل في المسيل أجزأه ذلك عند جماعة العلماء لا نعرف بينهم اختلافا في ذلك . وقد نقله الترمذي رحمه الله عن أهل العلم .

ثم قال : ثنا يوسف بن عيسى ثنا ابن فضيل عن عطاء بن السائب عن كثير بن جهمان قال رأيت ابن عمر يمشي في المسعى فقلت : أتمشي في السعي بين الصفا والمروة ؟ فقال : لئن سعيت فقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسعى ولئن مشيت لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي وأنا شيخ كبير ، ثم قال : هذا حديث حسن صحيح . وقد روى سعيد بن جبير عن ابن عباس نحو هذا ، وقد رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث عطاء بن السائب عن كثير بن جهمان السلمي الكوفي عن ابن عمر ، فقول ابن عمر إنه شاهد الحالين منه صلى الله عليه وسلم

يحتمل شيئين : أحدهما أنه رآه يسعى فى وقت ماشياً لم يمزجه برمل فيه بالكلية ، والثانى أنه رآه يسعى فى بعض الطريق ويمشى فى بعضه ، وهذا له قوة لأنه قد روى البخارى ومسلم من حديث عبيد الله بن عمر العمرى عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسعى بطن المسيل إذا طاف بين الصفا والمروة ، وتقدم فى حديث جابر أنه عليه الصلاة والسلام : نزل من الصفا فلما انصبت قدماه فى الوادى رمل حتى إذا صعد مشى حتى أتى المروة ، وهذا هو الذى تستحبه العلماء قاطبة أن الساعى بين الصفا والمروة — وتقدم فى حديث جابر — يستحب له أن يرمل فى بطن الوادى فى كل طوافه فى بطن المسيل الذى بينهما وحددوا ذلك بما بين الأميال الخضر ، فواحد مفرد من ناحية الصفا مما يلى المسجد واثنان مجتمعان من ناحية المروة مما يلى المسجد أيضاً ، وقال بعض العلماء : ما بين هذه الأميال اليوم أوسع من بطن المسيل الذى رمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله أعلم .

وأما قول محمد بن حزم فى الكتاب الذى جمعه فى حجة الوداع : ثم خرج عليه الصلاة والسلام إلى الصفا فقرأ : (إن الصفا والمروة من شعائر الله) أبدأ بما بدأ الله به فطاف بين الصفا والمروة أيضاً سبعاً راكباً على بعير يخب ثلاثاً ويمشى أربعاً فإنه لم يتابع على هذا القول ولم يتفوه به أحد قبله من أنه عليه السلام خب ثلاثة أشواط بين الصفا والمروة ومشى أربعاً ، ثم مع هذا الغلط الفاحش لم يذكر عليه دليلا بالكلية ، بل لما انتهى إلى موضع الاستدلال عليه ، قال : ولم نجد عدد الرمل بين الصفا والمروة منصوصا ولكنه متفق عليه ، هذا لفظه ، فإن أراد بأن الرمل فى الثلاث الطوافات الأول على ما ذكر متفق عليه فليس بصحيح بل لم يقله أحد ، وإن أراد أن الرمل فى الثلاث الأول فى الجملة متفق عليه فلا يجدى له شيئا ولا يحصل له شيئا مقصوداً فإنهم فى كما اتفقوا على الرجل فى الثلاث الأول فى بعضها على ما ذكرناه ، كذلك اتفقوا على استحبابه فى الأربع الأخر أيضا ، فتخصيص ابن حزم الثلاث الأول باستحباب الرمل فيها مخالف لما ذكره العلماء ، والله أعلم

وأما قول ابن حزم : إنه عليه السلام كان راكبا بين الصفا والمروة فقد تقدم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسعى بطن المسيل ، أخرجاه ، وللترمذى عنه : إن أسعى فقد رأيت رسول الله يسعى وإن مشيت فقد رأيت رسول الله يمشى ، وقال جابر : فلما انصبت قدماه فى الوادى رمل حتى إذا صعد مشى رواه مسلم ، وقالت حبيبة بنت أبى تجزأة يسعى يدور به إزاره من شدة السعى ، رواه أحمد ، وفى صحيح مسلم عن جابر كما تقدم أنه رقى على الصفا حتى رأى البيت وكذلك على المروة . وقد قدمنا من حديث محمد بن إسحاق عن أبى جعفر الباقر عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أناخ بعيره على باب المسجد يعنى حتى طاف ثم لم يذكر أنه ركبه حال ما خرج إلى الصفا وهذا كله مما يقتضى أنه عليه السلام سعى بين الصفا والمروة ماشيا ، ولكن قال مسلم ثنا عبد بن حميد ثنا محمد — يعنى ابن بكر — أخبرنا ابن جريج أخبرنى أبو الزبير أنه

سمع جابر بن عبد الله يقول : طاف النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع على راحلته بالبيت ، وبين الصفا والمروة على بعير ليراه الناس وليشرف وليسألوه ، فإن الناس غشوه ، ولم يطف النبي صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه بين الصفا والمروة إلا طوافا واحداً ، ورواه مسلم أيضاً عن أبي بكر ابن شيبة عن علي بن مسهر وعن علي بن خشرم عن عيسى بن يونس وعن محمد بن حاتم عن يحيى ابن سعيد كلهم عن ابن جريج به ، وليس في بعضها وبين الصفا والمروة ، وقد رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل عن يحيى بن سعيد القطان عن ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : طاف النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع على راحلته بالبيت وبين الصفا والمروة ، ورواه النسائي عن الفلاس عن يحيى ، وعن عمران بن يزيد عن سعيد بن اسحاق كلاهما عن ابن جريج به ، فهذا محفوظ من حديث ابن جريج ، وهو مشكل جداً لأن بقية الروايات عن جابر وغيره تدل على أنه عليه السلام كان ماشياً بين الصفا والمروة ، وقد تكون رواية أبي الزبير عن جابر لهذه الزيادة وهي قوله وبين الصفا والمروة مقحمة أو مدرجة ممن بعد الصحابي والله أعلم ، أو أنه عليه السلام طاف بين الصفا والمروة بعض الطوفان على قدميه وشوهد منه ما ذكر ، فلما ازدحم الناس عليه وكثروا ركب ، كما يدل عليه حديث ابن عباس الآتي قريباً ، وقد سلم ابن حزم أن طوافه الأول بالبيت كان ماشيا وحمل ركوبه في الطواف على ما بعد ذلك وادعى أنه كان راكبا في السعي بين الصفا والمروة ، قال : لأنه لم يطف بينهما إلا مرة واحدة ، ثم تأول قول جابر : حتى إذا انصبت قدماه في الوادي رمل بأنه لم يصدق ذلك وإن كان راكبا فإنه إذا انصب بعيره فقد انصب كله وانصبت قدماه مع سائر جسده ، قال : وكذلك ذكر الرمل يعني به رمل الدابة براكبها ، وهذا التأويل بعيد جداً والله أعلم . وقال أبو داود ثنا أبو سلمة موسى ثنا حماد أنبأنا أبو عاصم الغنوي عن أبي الطفيل قال قلت لابن عباس : يزعم قومك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رمل بالبيت وأن ذلك من سنته ، قال : صدقوا وكذبوا ، فقلت: ما صدقوا وما كذبوا ؟ قال : صدقوا ، رمل رسول الله ، وكذبوا ليس بسنة : إن قريشا قالت زمن الحديبية دعوا محمداً وأصحابه حتى يموتوا موت النغف ، فلما صالحوه على أن يحجوا من العام المقبل فيقيموا بمكة ثلاثة أيام فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركون من قبل قعيقعان فقال رسول الله لأصحابه « ارملوا بالبيت ثلاثا » وليس بسنة ، قلت : يزعم قومك أن رسول الله طاف بين الصفا والمروة على بعير وأن ذلك سنة ، قال : صدقوا وكذبوا ، قلت : ما صدقوا وما كذبوا ؟ قال : صدقوا قد طاف رسول الله بين الصفا والمروة على بعير وكذبوا ليست بسنة كان الناس لا يدفعون عن رسول الله ولا يصرفون عنه فطاف على بعير ليسمعوا كلامه وليروا مكانه ولا تناله أيديهم هكذا رواه أبو داود وقد رواه مسلم عن أبي كامل عن عبد الواحد بن زياد عن الجريري عن أبي الطفيل عن ابن عباس فذكر فضل الطواف بالبيت كنحو ما تقدم ، ثم قال : قلت لابن عباس :

أخبرنى عن الطواف بين الصفا والمروة راكبا أسنة هو؟ فإن قومك يزعمون أنه سنة قال صدقوا وكذبوا ، قلت : فما قولك صدقوا وكذبوا ؟ قال إن رسول الله كثر عليه الناس يقولون هذا محمد هذا محمد ! حتى خرج العواتق من البيوت وكان رسول الله لا يضرب الناس بين يديه فلما كثر عليه الناس ركب . قال ابن عباس : والمشى والسعى أفضل . هذا لفظ مسلم وهو يقتضى أنه إنما ركب فى أثناء الحال . وبه يحصل الجمع بين الأحاديث والله أعلم . وأما ما رواه مسلم فى صحيحه حيث قال ثنا محمد بن رافع ثنا يحيى بن آدم ثنا زهير عن عبد الملك بن سعيد عن أبى الطفيل قال قلت لابن عباس أرانى قد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فصفه لى قلت رأيته عند المروة على ناقة وقد كثر الناس عليه فقال ابن عباس ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم إنهم كانوا لا يضربون عنه ولا يكرهون . فقد تفرد به مسلم وليس فيه دلالة على أنه عليه السلام سعى بين الصفا والمروة راكبا إذ لم يقيد ذلك بحجة الوداع ولا غيرها وبتقدير أن يكون ذلك فى حجة الوداع فمن الجائز أنه عليه السلام بعد فراغه من السعى وجلوسه على المروة وخطبته الناس وأمره إياهم من لم يسق الهدى منهم أن يفسخ الحج إلى العمرة فحل الناس كلهم إلا من ساق الهدى كما تقدم فى حديث جابر . ثم بعد هذا كله أتى بناقته فركبها وسار إلى منزله بالأبطح كما سنذكره قريبا وحينئذ رآه أبو الطفيل عامر بن واثلة البكرى وهو معدود فى صغار الصحابة . قلت قد ذهب طائفة من العراقيين كأبى حنيفة وأصحابه والثورى إلى أن القارن يطوف طوافين ويسعى سعيين وهو مروى عن علىّ وابن مسعود ومجاهد والشعبى . ولهم أن يحتجوا بحديث جابر الطويل ودلالته على أنه سعى بين الصفا والمروة ماشيا وحديثه هذا أن النبى صلى الله عليه وسلم سعى بينهما راكبا على تعداد الطواف بينهما مرة ماشيا ومرة راكبا . وقد روى سعيد بن منصور فى سننه عن على رضى الله عنه أنه أهل بحجة وعمرة فلما قدم مكة طاف بالبيت وبالصفا والمروة لعمرته ثم عادفطاف بالبيت وبالصفا والمروة لحجته ثم أقام حراما إلى يوم النحر، هذا لفظه ورواه أبو ذر الهروى فى مناسكه عن على أنه جمع بين الحج والعمرة فطاف لهما طوافين وسعى لهما سعيين وقال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل وكذلك رواه البيهقى والدارقطنى والنسائى فى خصائص على فقال البيهقى فى سننه أنبأنا أبو بكر بن الحارث الفقيه أنبأنا على بن عمير الحافظ أنبأنا أبو محمد بن صاعد ثنا محمد بن زنبور ثنا فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن مالك بن الحارث أو منصور عن مالك بن الحارث عن أبى نصر قال لقيت عليا وقد أهللت بالحج وأهل هو بالحج والعمرة فقلت هل أستطيع أن أفعل كما فعلت؟ قال ذلك لو كنت بدأت بالعمرة قلت كيف أفعل إذا أردت ذلك ؟ قال تأخذ إداوة من ماء فتفيضها عليك ثم تهل بهما جميعا ثم تطوف لهما طوافين وتسعى لهما سعيين ولا يحل لك حرام دون يوم النحر . قال منصور : فذكرت ذلك لمجاهد قال ما كنا نفتى إلا بطواف واحد ، فأما الآن

فلا نفعل . قال الحافظ البيهقى وقد رواه سفيان بن عيينة وسفيان الثورى وشعبة عن منصور فلم يذكر فيه السمى . قال وأبو نصر هذا مجهول وإن صح فيحتمل أنه أراد طواف القدوم وطواف الزيارة قال وقد روى بأسانيد أخر عن على مرفوعا وموقوفا ومدارها على الحسن بن عمارة وحفص ابن أبى داود وعيسى بن عبد الله وحماد بن عبد الرحمن وكلهم ضعيف لا يحتج بشيء مما رووه فى ذلك والله أعلم قلت: والمنقول فى الأحاديث الصحاح خلاف ذلك فقد قدمنا عن ابن عمر فى صحيح البخارى أنه أهل بعمرة وأدخل عليها الحج فصار قارنا وطاف لهما طوافا واحدا بين الحج والعمرة وقال هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد روى الترمذى وابن ماجه والبيهقى من حديث الدراوردى عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من جمع بين الحج والعمرة طاف لها طوافا واحدا وسعى لهما سعيا واحدا . قال الترمذى وهذا حديث حسن غريب . قلت إسناده على شرط مسلم ، وهكذا جرى لعائشة أم المؤمنين فإنها كانت ممن أهل بعمرة لعدم سوق الهدى معها فلما حاضت أمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تغتسل وتهل بحج مع عمرتها فصارت قارنة فلما رجعوا من منى طلبت أن يعمرها من بعد الحج فأعمرها تطييبا لقلبها كما جاء مصرحا به فى الحديث . وقد قال الإمام أبو عبد الله الشافعى أنبأنا مسلم ـ هو ابن خالد ـ الزنجى عن ابن جريج عن عطاء أن رسول الله قال لعائشة طوافك بالبيت وبين الصفا والمروة يكفيك لحجك وعمرتك ، وهذا ظاهره الإرسال وهو مسند فى المعنى بدليل ما قال الشافعى أيضا أخبرنا ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن عطاء عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الشافعى وربما قال سفيان عن عطاء عن عائشة وربما قال عن عطاء أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعائشة فذكره قال الحافظ البيهقى ورواه ابن أبى عمر عن سفيان بن عيينة موصولا . وقد رواه مسلم من حديث وهيب عن ابن طاوس عن ابن عباس عن أبيه عن عائشة بمثله . وروى مسلم من حديث ابن جريج أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابرا يقول دخل رسول الله على عائشة وهى تبكى فقال مالك تبكين قالت أبكى أن الناس حلوا ولم أحل وطافوا بالبيت ولم أطف وهذا الحج قد حضر قال إن هذا أمر قد كتبه الله على بنات آدم فاغتسلى وأهلى بحج قالت ففعلت ذلك ، فلما طهرت قال طوفى بالبيت وبين الصفا والمروة ثم قد حللت من حجك وعمرتك قالت يا رسول الله إنى أجد فى نفسى من عمرتى أنى لم أكن طفت حتى حججت قال إذهب بها يا عبد الرحمن فأعمرها من التنعيم . وله من حديث ابن جريج أيضا أخبرنى أبو الزبير سمعت جابرا قال لم يطف النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه بين الصفا والمروة إلا طوافا واحدا ، وعند أصحاب أبى حنيفة رحمه الله أن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين ساقوا الهدى كانوا قد قرنوا بين الحج والعمرة كما دل عليه الأحاديث المتقدمة والله أعلم . وقال الشافعى أنبأنا إبراهيم بن محمد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن على قال فى القارن يطوف طوافين

ويسعى سعيين . قال الشافعي : وقال بعض الناس طوافان وسعيان ، واحتج فيه برواية ضعيفة عن عليّ ، قال جعفر : يروى عن عليّ قولنا ورويناه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، لكن قال أبو داود : حدثنا هارون بن عبد الله ومحمد بن رافع ، قالا : حدثنا أبو عاصم عن معروف - يعني ابن خربوذ المكي - حدثنا أبو الطفيل قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت على راحلته يستلم الركن بمحجن ثم يقبله ، زاد محمد بن رافع : ثم خرج إلى الصفا والمروة فطاف سبعا على راحلته . وقد رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي داود الطيالسي عن معروف بن خربوذ به بدون الزيادة التي ذكرها محمد بن رافع ، وكذلك رواه عبيد الله بن موسى عن معروف بدونها ، ورواه الحافظ البيهقي عن أبي سعيد بن أبي عمرو عن الأصم عن يحيى بن أبي طالب عن يزيد بن أبي حكيم عن يزيد بن مالك عن أبي الطفيل بدونها ، فالله أعلم . وقال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو بكر بن الحسن وأبو زكريا بن أبي إسحاق ، قالا : حدثنا أبو جعفر محمد بن عليّ بن رحيم حدثنا أحمد بن حازم أنبأنا عبيد الله بن موسى وجعفر بن عون ، قالا : أنبأنا أيمن بن نابل عن قدامة بن عبد الله بن عمار ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسعى بين الصفا والمروة على بعير لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك . وقال البيهقي : كذا قالا . وقد رواه جماعة غير أيمن فقالوا : يرمي الجمرة يوم النحر ، قال : ويحتمل أن يكونا صحيحين . قلت : رواه الإمام أحمد في مسنده عن وكيع وقران بن تمام وأبي قرة موسى بن طارق قاضي أهل اليمن وأبي أحمد محمد بن عبد الله الزبيري ومعتمر بن سليمان عن أيمن بن نابل الحبشي أبي عمران المكي نزيل عسقلان مولى أبي بكر الصديق وهو ثقة جليل من رجال البخاري عن قدامة بن عبد الله بن عمار الكلابي أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمي الجمرة يوم النحر من بطن الوادي على ناقة صهباء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك . وهكذا رواه الترمذي عن أحمد بن منيع عن مروان بن معاوية ، وأخرجه النسائي عن إسحاق بن راهويه وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة كلاهما عن وكيع كلاهما عن أيمن بن نابل عن قدامة كما رواه الإمام أحمد ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

﴿ فصل ﴾

قال جابر في حديثه : حتى إذا كان آخر طوافه عند المروة قال : إني لو استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي ، رواه مسلم ففيه دلالة على من ذهب إلى أن السعي بين الصفا والمروة أربعة عشر كل ذهاب وإياب يحسب مرة قاله جماعة من أكابر الشافعية . وهذا الحديث رد عليهم لأن آخر الطواف عن قولهم يكون عند الصفا لا عند المروة ، ولهذا قال أحمد في روايته في حديث جابر : فلما كان السابع عند المروة قال : أيها الناس إني لو استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي وجعلتها عمرة فمن لم يكن معه هدي فليحل وليجعلها عمرة فحل الناس كلهم . وقال مسلم : فحل الناس كلهم وقصروا إلا النبي صلى الله عليه وسلم ومن كان معه هدي .

﴿ فصل ﴾

روى أمره عليه الصلاة والسلام لمن لم يسق الهدى بفسخ الحج إلى العمرة خلق من الصحابة يطول ذكرنا لهم هاهنا ، وموضع سرد ذلك كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله وقد اختلف العلماء فى ذلك ، فقال مالك وأبو حنيفة والشافعى : كان ذلك من خصائص الصحابة ، ثم نسخ جواز الفسخ لغيرهم وتمسكوا بقول أبى ذر رضى الله عنه لم يكن فسخ الحج إلى العمرة إلا لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، رواه مسلم . وأما الإمام أحمد فرد ذلك ، وقال : قد رواه أحد عشر صحابيا فأين تقع هذه الرواية من ذلك ، وذهب رحمه الله إلى جواز الفسخ لغير الصحابة . وقال ابن عباس رضى الله عنهما بوجوب الفسخ على كل من لم يسق الهدى بل عنده أنه يحل شرعاً إذا طاف بالبيت ولم يكن ساق هديا صار حلالا بمجرد ذلك وليس عنه النسك إلا القران لمن ساق الهدى أو التمتع لمن لم يسق ، فالله أعلم . قال البخارى : حدثنا أبو النعمان حدثنا حماد بن زيد عن عبد الملك بن جريج عن عطاء عن جابر وعن طاوس عن ابن عباس ، قالا : قدم النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه صبح رابعة من ذى الحجة يهلون بالحج لا يخلطه شىء ، فلما قدمنا أمرنا فجعلناها عمرة وأن نحل إلى نسائنا ففشت تلك المقالة . قال عطاء : قال جابر فيروح أحدنا إلى منى وذكره يقطر منيا . قال جابر — بكفه — فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم فقال : بلغنى أن قوماً يقولون كذا وكذا ، والله لأنا أبر وأتقى لله منهم ولو أنى استقبلت من أمرى ما استدبرت ما أهديت ، ولولا أن معى الهدى لأحللت . فقام سراقة بن جعشم فقال : يا رسول الله هى لنا أو للأبد فقال بل للأبد . قال مسلم : حدثنا قتيبة حدثنا الليث — هو ابن سعد — عن أبى الزبير عن جابر أنه قال : أقبلنا مهلين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بحج مفرد وأقبلت عائشة بعمرة حتى إذا كنا بسرف عركت حتى إذا قدمنا طفنا بالكعبة والصفا والمروة ، وأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحل منا من لم يكن معه هدى قال : فقلنا : حل ماذا ؟ قال : الحل كله فواقعنا النساء وتطيبنا بالطيب ولبسنا ثيابنا وليس بيننا وبين عرفة إلا أربع ليال . فهذان الحديثان فيهما التصريح بأنه عليه الصلاة والسلام قدم مكة عام حجة الوداع لصبح رابعة ذى الحجة وذلك يوم الأحد حين ارتفع النهار وقت الضحاء لأن أول ذى الحجة تلك السنة كان يوم الخميس بلا خلاف لأن يوم عرفة منه كان يوم الجمعة بنص حديث عمر بن الخطاب الثابت فى الصحيحين كما سيأتى . فلما قدم عليه الصلاة والسلام يوم الأحد رابع الشهر بدأ كما ذكرنا بالطواف بالبيت ثم بالسعى بين الصفا والمروة ، فلما انتهى طوافه بينهما عند المروة أمر من لم يكن معه هدى أن يحل من إحرامه حتما فوجب ذلك عليهم لا محالة ففعلوه وبعضهم متأسف لأجل أنه عليه الصلاة والسلام لم يحل من إحرامه لأجل سوقه الهدى ، وكانوا يحبون موافقته عليه الصلاة والسلام والتأسى به ، فلما رأى ما عندهم من ذلك قال لهم : لو استقبلت من أمرى ما استدبرت

لما سقت الهدى ولجعلتها عمرة ، أى لو أعلم أن هذا ليشق عليكم لكنت تركت سوق الهدى حتى أحل كما أحللتم ومن هاهنا تتضح الدلالة على أفضلية التمتع كما ذهب إليه الإمام أحمد أخذاً من هذا فإنه قال : لا أشك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قارنا ولكن التمتع أفضل لتأسفه عليه ، وجوابه أنه عليه السلام لم يتأسف عَلَى التمتع لكونه أفضل من القران فى حق من ساق الهدى ، وإنما تأسف عليه لئلا يشق على أصحابه فى بقائه على إحرامه وأمره لهم بالإحلال ، ولهذا والله أعلم لما تأمل الإمام أحمد هذا السر نص فى رواية أخرى عنه على أن التمتع أفضل فى حق من لم يسق الهدى لأمره عليه السلام من لم يسق الهدى من أصحابه بالتمتع ، وأن القران أفضل فى حق من ساق الهدى كما اختار الله عز وجل لنبيه صلوات الله وسلامه عليه فى حجة الوداع وأمره له بذلك كما تقدم ، والله أعلم .

﴿ فصـــل ﴾

ثم سار صلوات الله وسلامه عليه بعد فراغه من طوافه بين الصفا والمروة وأمره بالفسخ لمن لم يسق الهدى والناس معه حتى نزل بالأبطح شرقى مكة فأقام هنالك بقية يوم الأحد ويوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء حتى صلى الصبح من يوم الخميس ، كل ذلك يصلى بأصحابه هنالك ، ولم يعد إلى الكعبة من تلك الأيام كلها ، قال البخارى : باب من لم يقرب الكعبة ولم يطف حتى يخرج إلى عرفة ويرجع بعد الطواف الأول : حدثنا محمد بن أبى بكر ثنا فضيل بن سليمان ثنا موسى بن عقبة قال أخبرنى كريب عن عبد الله بن عباس قال : قدم النبى صلى الله عليه وسلم مكة فطاف سبعا وسعى بين الصفا والمروة ولم يقرب الكعبة بعد طوافه بها حتى رجع من عرفة ، انفرد به البخارى .

﴿ فصـــل ﴾

وقدم ـ فى هذا الوقت ورسول الله صلى الله عليه وسلم منيخ بالبطحاء خارج مكة ـ علىّ من اليمن وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد بعثه كما قدمنا إلى اليمن أميراً بعد خالد بن الوليد رضى الله عنهما فلما قدم وجد زوجته فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حلت كما حل أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين لم يسوقوا الهدى واكتحلت ولبست ثيابا صبيغا ، فقال : من أمرك بهذا ؟ قالت : أبى ، فذهب محرشا عليها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أنها حلت ولبست ثيابا صبيغا واكتحلت وزعمت أنك أمرتها بذلك يا رسول الله ، فقال : صدقت صدقت صدقت ، ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بم أهللت حين أوجبت الحج ؟ قال : بإهلال كإهلال النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : فإن معى الهدى فلا تحل فكان جماعة الهدى

الذى جاء به علىّ من اليمن والذى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة واشتراه فى الطريق مائة من الإبل واشتركا فى الهدى جميعا ، وقد تقدم هذا كله فى صحيح مسلم رحمه الله ، وهذا التقرير يرد الرواية التى ذكرها الحافظ أبو القاسم الطبرانى رحمه الله من حديث عكرمة عن ابن عباس أن عليا تلقى النبى صلى الله عليه وسلم إلى الجحفة والله أعلم . وكان أبو موسى فى جملة من قدم مع على ولكنه لم يسق هديا فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يحل بعد ما طاف للعمرة وسعى ففسخ حجه إلى العمرة وصار متمتعا فكان يفتى بذلك فى أثناء خلافة عمر بن الخطاب فلما رأى عمر بن الخطاب أن يفرد الحج عن العمرة ترك فتياه مهابة لأمير المؤمنين عمر رضى الله عنه وأرضاه ، وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا سفيان عن عون بن أبى جحيفة عن أبيه ، قال : رأيت بلالا يؤذن ويدور ويتبع فاه ها هنا وها هنا وأصبعاه فى أذنيه ، قال : ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبة له حمراء أراها من أدم ، قال : فخرج بلال بين يديه بالعنزة فركزها فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال عبد الرزاق وسمعته بمكة قال : بالبطحاء يمر بين يديه الكلب والمرأة والحمار وعليه حلة حمراء كأنى أنظر إلى بريق ساقيه ، قال سفيان : نراها حبرة ، وقال أحمد ثنا وكيع ثنا سفيان عن عون ابن أبى جحيفة عن أبيه قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم بالأبطح وهو فى قبة له حمراء فخرج بلال بفضل وضوئه فمن ناضح ونائل ، قال : فأذن بلال فكنت أتتبع فاه هكذا وهكذا ـ يعنى يمينا وشمالا ـ قال : ثم ركزت له عنزة فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه جبة له حمراء أو حلة حمراء وكأنى أنظر إلى بريق ساقيه فصلى بنا إلى عنزة الظهر أو العصر ركعتين ، تمر المرأة والكلب والحمار لا يمنع ثم لم يزل يصلى ركعتين حتى أتى المدينة ، وقال مرة : فصلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين ، وأخرجاه فى الصحيحين من حديث سفيان الثورى ، وقال أحمد أيضا ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة وحجاج عن الحكم سمعت أبا جحيفة قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة إلى البطحاء فتوضأ وصلى الظهر ركعتين وبين يديه عنزة وزاد فيه عون عن أبيه عن أبى جحيفة وكان يمر من ورائنا الحمار والمرأة ، قال حجاج فى الحديث : ثم قام الناس فجعلوا يأخذون يده فيمسحون بها وجوههم قال : فأخذت يده فوضعتها على وجهى فإذا هى أبرد من الثلج وأطيب ريحا من المسك ، وقد أخرجه صاحبا الصحيح من حديث شعبة بتمامه .

﴿ فصـــــل ﴾

فأقام عليه السلام بالأبطح كما قدمنا يوم الأحد ويوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء وقد حل الناس إلا من ساق الهدى وقدم فى هذه الأيام على بن أبى طالب من اليمن بمن معه من المسلمين وما معه من الأموال ولم يعد عليه السلام إلى الكعبة بعد ما طاف بها فلما أصبح عليه السلام يوم الخميس صلى بالأبطح الصبح من يومئذ وهو يوم التروية ويقال له يوم منى لأنه يسار

فيه إليها ، وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب قبل هذا اليوم ، ويقال للذى قبله فيما رأيته فى بعض التعاليق يوم الزينة لأنه يزين فيه البدن بالجلال ونحوها فالله أعلم ، قال الحافظ البيهقى أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أحمد بن محمد بن جعفر الجلودى ثنا محمد بن إسماعيل بن مهران ثنا محمد بن يوسف ثنا أبو قرة عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب يوم التروية خطب الناس فأخبرهم بمناسكهم ، فركب عليه الصلاة والسلام قاصداً إلى منى قبل الزوال وقيل بعده وأحرم الذين كانوا قد حلوا بالحج من الأبطح حين توجهوا إلى منى وانبعثت رواحلهم نحوها ، قال عبد الملك عن عطاء عن جابر بن عبد الله قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحللنا حتى كان يوم التروية وجعلنا مكة منا بظهر ، لبينا بالحج ، ذكره البخارى تعليقاً مجزوماً ، وقال مسلم ثنا محمد بن حاتم ثنا يحيى بن سعيد عن ابن جريج أخبرنى أبو الزبير عن جابر ، قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أحللنا أن نحرم إذا توجهنا إلى منى ، قال : وأهللنا من الأبطح ، وقال عبيد بن جريج لابن عمر رأيتك إذا كنت بمكة أهل الناس إذا رأوا الهلال ولم تهل أنت حتى يوم التروية ، فقال : لم أر النبي صلى الله عليه وسلم يهل حتى تنبعث به راحلته ، رواه البخارى فى جملة حديث طويل ، قال البخارى : وسئل عطاء عن المجاور مني يلبي بالحج ، فقال : كان ابن عمر يلبي يوم التروية إذا صلى الظهر واستوى على راحلته قلت هكذا كان ابن عمر يصنع إذا حج معتمراً يحل من العمرة فإذا كان يوم التروية لايلبي حتى تنبعث به راحلته متوجها إلى منى كما أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذى الحليفة بعد ما صلى الظهر وانبعثت به راحلته ، لكن يوم التروية لم يصل النبي صلى الله عليه وسلم الظهر بالأبطح وإنما صلاها يومئذ بمنى وهذا مما لا نزاع فيه ؛ قال البخارى : باب أين يصلى الظهر يوم التروية ، حدثنا عبد الله بن محمد ثنا إسحاق الأزرق ثنا سفيان عن عبد العزيز ابن رفيع ، قال : سألت أنس بن مالك قال قلت : أخبرنى بشيء عقلتَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم أين صلى الظهر والعصر يوم التروية ؟ قال بمنى ، قلت : فأين صلى العصر يوم النفر ؟ قال : بالأبطح ، ثم قال : افعل كما يفعل أمراؤك ، وقد أخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن إسحاق بن يوسف الأزرق عن سفيان الثورى به ، وكذلك رواه الإمام أحمد عن إسحاق ابن يوسف الأزرق به ، وقال الترمذى حسن صحيح يستغرب من حديث الأزرق عن الثورى ، ثم قال البخارى أنبأنا على سمع أبا بكر بن عياش ثنا عبد العزيز بن رفيع ، قال : لقيت أنس بن مالك وحدثنى إسماعيل بن أبان ثنا أبو بكر بن عياش عن عبد العزيز ، قال : خرجت إلى منى يوم التروية فلقيت أنساً ذاهبا على حمار فقلت أين صلى النبي صلى الله عليه وسلم هذا اليوم الظهر ؟ فقال : انظر حيث يصلى أمراؤك فصل ، وقال أحمد ثنا أسود بن عامر ثنا أبو كدينة عن الأعمش عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى خمس صلوات

بمنى ، وقال أحمد أيضاً حدثنا أسود بن عامر ثنا أبو مخياة يحيى بن يعلى التيمى عن الأعمش عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس : أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى الظهر يوم التروية بمنى وصلى الغداة يوم عرفة بها .

وقد رواه أبو داود عن زهير بن حرب عن أحوص عن جواب عن عمار ابن رزيق عن سليمان بن مهران الأعمش به ، ولفظه صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر يوم التروية والفجر يوم عرفة بمنى ، وأخرجه الترمذى عن الأشج عن عبد الله بن الأجلح عن الأعمش بمعناه ، وقال : ليس هذا مما عده شعبة فيما سمعه الحكم عن مقسم ، وقال الترمذى : ثنا أبو سعيد الأشج ثنا عبد الله بن الأجلح عن إسماعيل بن مسلم عن عطاء عن ابن عباس قال : صلى بنا رسول الله بمنى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ثم غدا إلى عرفات ، ثم قال : وإسماعيل ابن مسلم قد تكلم فيه ، وفى الباب عن عبد الله بن الزبير وأنس بن مالك ، وقال الإمام أحمد حدثنا من رأى النبى صلى الله عليه وسلم أنه راح إلى منى يوم التروية وإلى جانبه بلال بيده عود عليه ثوب يظلل به رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعنى من الحر - تفرد به أحمد ، وقد نص الشافعى على أنه عليه الصلاة والسلام ركب من الأبطح إلى منى بعد الزوال ولكنه إنما صلى الظهر بمنى فقد يستدل له بهذا الحديث والله أعلم وتقدم فى حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر ، قال : فحل الناس كلهم وقصروا إلا النبى صلى الله عليه وسلم ومن كان معه هدى فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى فأهلوا بالحج وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ، ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس وأمر بقبة له من شعر فضربت له بنمرة فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع فى الجاهلية ، فأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له فأتى بطن الوادى فخطب الناس ، وقال : إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ، ألا كل شىء من أمر الجاهلية موضوع تحت قدمى ، ودماء الجاهلية موضوعة وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث وكان مسترضعا فى بنى سعد فقتلته هذيل . وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع من ربانا ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله ، واتقوا الله فى النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعدى إن اعتصمتم به كتاب الله ، وأنتم تسألون عنى فما أنتم قائلون ؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها على الناس ، اللهم اشهد اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات ،

وقال أبو عبد الرحمن النسائي أنبأنا علي بن حجر عن مغيرة عن موسى بن زياد بن حذيم بن عمرو السعدي عن أبيه عن جده ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته يوم عرفة في حجة الوداع : اعلموا أن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا كحرمة شهركم هذا كحرمة بلدكم هذا ، وقال أبو داود : باب الخطبة على المنبر بعرفة ، حدثنا هناد عن ابن أبي زائدة ثنا سفيان بن عيينة عن زيد بن أسلم عن رجل من بني ضمرة عن أبيه أو عمه، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر بعرفة على بعير أحمر يخطب، وهذا الإسناد ضعيف، لأن فيه رجلا مبهما ثم تقدم في حديث جابر الطويل أنه عليه الصلاة والسلام خطب على ناقته القصواء ، ثم قال أبو داود ثنا مسدد ثنا عبد الله بن داود عن سلمة بن نبيط عن رجل من الحي عن أبيه نبيط : أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا بعرفة ، وهذا فيه مبهم أيضاً ، ولكن حديث جابر شاهد له ، ثم قال أبو داود حدثنا هناد بن السري وعثمان بن أبي شيبة ، قالا : ثنا وكيع عن عبد المجيد بن أبي عمرو ، قال حدثني العداء بن خالد بن هوذة ، وقال هناد عن عبد المجيد حدثني خالد بن العداء بن هوذة ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس يوم عرفة على بعير قائما في الركابين ، قال أبو داود : رواه ابن العلاء عن وكيع كما قال هناد ، وحدثنا عباس بن عبد العظيم ثنا عثمان بن عمر ثنا عبد المجيد أبو عمرو عن العداء بن خالد بمعناه ، وفي الصحيحين عن ابن عباس ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب بعرفات : من لم يجد نعلين فليلبس الخفين ومن لم يجد إزاراً فليلبس السراويل للمحرم ، وقال محمد بن إسحاق حدثني يحيى ابن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد ، قال . كان الرجل الذي يصرخ في الناس بقول رسول الله وهو بعرفة ربيعة بن أمية بن خلف ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل أيها الناس إن رسول الله يقول : هل تدرون أي شهر هذا فيقولون الشهر الحرام فيقول قل لهم إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة شهركم هذا ، ثم يقول : قل أيها الناس إن رسول الله يقول هل تدرون أي بلد هذا ، وذكر تمام الحديث ، وقال محمد بن إسحاق حدثني ليث بن أبي سليم عن شهر بن حوشب عن عمرو بن خارجة ، قال : بعثني عتاب بن أسيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة في حاجة فبلغته ثم وقفت تحت ناقته وإن لعابها ليقع على رأسي فسمعته يقول : أيها الناس إن الله أدى إلى كل ذي حق حقه ، وإنه لا يجوز وصية لوارث ، والولد للفراش وللعاهر الحجر ، ومن ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله له صرفا ولا عدلا ، ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث قتادة عن شهر حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن عمرو بن خارجة به ، وقال الترمذي حسن صحيح قلت وفيه اختلاف على قتادة والله أعلم . وسنذكر الخطبة التي خطبها عليه الصلاة والسلام بعد هذه الخطبة يوم النحر وما فيها من الحكم والمواعظ والتفاصيل والآداب النبوية إن شاء الله .

قال البخارى : باب التلبية والتكبير إذا غدا من منى إلى عرفة ، حدثنا عبد الله بن يوسف أنبأنا مالك عن محمد بن أبى بكر الثقفى أنه سأل أنس بن مالك وهما غاديان من منى إلى عرفة كيف كنتم تصنعون فى هذا اليوم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : كان يهل منا المهل فلا ينكر عليه ويكبر المكبر منا فلا ينكر عليه . وأخرجه مسلم من حديث مالك وموسى بن عقبة كلاهما عن محمد بن أبى بكر بن عوف بن رباح الثقفى الحجازى عن أنس به . وقال البخارى ثنا عبد الله ابن مسلمة ثنا مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله أن عبد الملك بن مروان . كتب إلى الحجاج بن يوسف أن يأتم بعبد الله بن عمر فى الحج فلما كان يوم عرفة جاء ابن عمر وأنا معه حين زاغت الشمس — أو زالت الشمس — فصاح عند فسطاطه أين هذا ؟ فخرج إليه . فقال ابن عمر الرواح فقال : الآن قال نعم ! فقال : أنظرنى حتى أفيض علىّ ماء . فنزل ابن عمر حتى خرج فسار بينى وبين أبى فقلت إن كنت تريد أن تصيب السنة اليوم فأقصر الخطبة وعجل الوقوف . فقال ابن عمر : صدق . ورواه البخارى أيضا عن القعنبى عن مالك ، وأخرجه النسائى من حديث أشهب وابن وهب عن مالك ، ثم قال البخارى بعد روايته هذا الحديث . وقال الليث حدثنى عقيل عن ابن شهاب عن سالم أن الحجاج عام نزل بابن الزبير سأل عبد الله كيف تصنع فى هذا الموقف ؟ فقال : إن كنت تريد السنة فهجر بالصلاة يوم عرفة فقال ابن عمر صدق إنهم كانوا يجمعون بين الظهر والعصر فى السنة فقلت لسالم أفعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هل تبتغون بذلك إلا سنة . وقال أبو داود ثنا أحمد بن حنبل ثنا يعقوب ثنا أبى عوف عن ابن إسحاق عن نافع عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غدا من منى حين صلى الصبح صبيحة يوم عرفة فنزل بنمرة وهى منزل الإمام الذى ينزل به بعرفة ، حتى إذا كان عند صلاة الظهر راح رسول الله صلى الله عليه وسلم مهجراً فجمع بين الظهر والعصر ، وهكذا ذكر جابر فى حديثه بعد ما أورد الخطبة المتقدمة قال ثم أذن بلال ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئا ، وهذا يقتضى أنه عليه السلام خطب أولا ثم أقيمت الصلاة ولم يتعرض للخطبة الثانية ، وقد قال الشافعى أنبأنا إبراهيم بن محمد وغيره عن جعفر بن محمد عن أبيه وعن جابر فى حجة الوداع . قال . فراح النبى صلى الله عليه وسلم إلى الموقف بعرفة فخطب الناس الخطبة الأولى ثم أذن بلال ثم أخذ النبى صلى الله عليه وسلم فى الخطبة الثانية ففرغ من الخطبة وبلال من الأذان ثم أقام بلال فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ، قال البيهقى تفرد به إبراهيم بن محمد بن أبى يحيى . قال مسلم عن جابر : ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات وجعل حبل المشاة بين يديه واستقبل القبلة وقال البخارى ثنا يحيى ابن سليمان عن ابن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث عن بكير عن كريب عن ميمونة : أن الناس شكوا فى صيام النبى صلى الله عليه وسلم فأرسلت إليه بحلاب وهو واقف فى الموقف فشرب منه

والناس ينظرون ، وأخرجه مسلم عن هارون بن سعيد الأيلي عن ابن وهب به . وقال البخارى أنبأنا عبد الله بن يوسف أنبأنا مالك عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله عن عمير مولى ابن عباس عن أم الفضل بنت الحارث أن ناساً تماروا عندها يوم عرفة فى صوم النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال بعضهم هو صائم ، وقال بعضهم ليس بصائم ، فأرسلت إليه بقدح لبن وهو واقف على بعيره فشربه ، ورواه مسلم من حديث مالك أيضاً ، وأخرجاه من طرق أخر عن أبي النضر به . قلت: أم الفضل هى أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين وقصتهما واحدة والله أعلم . وصح إسناد الإرسال إليها لأنه من عندها ، اللهم إلا أن يكون بعد ذلك أو تعدد الإرسال من هذه وهذه ، والله أعلم وقال الإمام أحمد ثنا اسماعيل ثنا أيوب قال : لا أدرى أسمعته من سعيد بن جبير أم من بنيه عنه ، قال : أتيت على ابن عباس وهو بعرفة وهو يأكل رماناً وقال : أفطر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفة ، وبعثت إليه أم الفضل بلبن فشربه ؛ وقال أحمد ثنا وكيع ثنا ابن أبي ذئب عن صالح مولى التوأمة عن ابن عباس أنهم تماروا فى صوم النبى صلى الله عليه وسلم يوم عرفة فأرسلت أم الفضل إلى رسول الله بلبن فشربه ؛ وقال الإمام أحمد ثنا عبد الرزاق وأبو بكر قالا أنبأنا ابن جريج قال قال عطاء : دعا عبد الله بن عباس الفضل بن عباس إلى الطعام يوم عرفة ، فقال إنى صائم ، فقال عبد الله : لا تصم فإن رسول الله قرب إليه حلاب فيه لبن يوم عرفة فشرب منه فلا تصم فإن الناس مستنون بكم ، وقال ابن بكير وروح : إنَّ الناس يستنون بكم .

وقال البخارى ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : بينا رجل واقف مع النبى صلى الله عليه وسلم بعرفة إذ وقع عن راحلته فوقصته ، أو قال فأوقصته ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « اغسلوه بماء وسدر وكفنوه فى ثوبين ولا تمسوه طيباً ولا تخمروا رأسه ولا تحنطوه ، فإن الله يبعثه يوم القيامة ملبياً » ورواه مسلم عن أبي الربيع الزهرانى عن حماد بن زيد وقال النسائى أنبأنا اسحق بن ابراهيم ، هو ابن راهويه ، أخبرنا وكيع أنبأنا سفيان الثورى عن بُكير بن عطاء عن عبد الرحمن بن يَعْمَر الديلى قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفة وأتاه أناس من أهل نجد فسألوه عن الحج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحج عرفة ، فمن أدرك ليلة عرفة قبل طلوع الفجر من ليلة جمع فقد تم حجه » وقد رواه بقية أصحاب السنن من حديث سفيان الثورى ، زاد النسائى وشعبة عن بكير بن عطاء به ؛ وقال النسائى أنبأنا قتيبة أنبأنا سفيان عن عمرو بن دينار أخبرنى عمرو بن عبد الله بن صفوان أن يزيد بن شيبان قال : كنا وقوفاً بعرفة مكاناً بعيداً من الموقف فأتانا ابن مربع الأنصارى ، فقال إنى رسول رسول الله إليكم ؛ يقول لكم : كونوا على مشاعركم فإنكم على إرث من إرث أبيكم إبراهيم ، وقد رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة به ، وقال الترمذى هذا حديث حسن ولا نعرفه إلا من حديث ابن عيينة عن عمرو بن دينار ،

وابن مِرْبع اسمه زيد بن مربع الأنصارى ، وإنما يعرف له هذا الحديث الواحد . قال : وفى الباب عن على وعائشة وجبير بن مطعم والشريد بن سويد ، وقد تقدم من رواية مسلم عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : وقفت ها هنا وعرفة كلها موقف ، زا مالك فى موطئه : وارفعوا عن بطن عرفة .

﴿ فصل ﴾

﴿ فيما حفظ من دعائه عليه الصلاة والسلام وهو واقف بعرفة ﴾

قد تقدم أنه عليه الصلاة والسلام أفطر يوم عرفة فدل على أن الإفطار هناك أفضل من الصيام لما فيه من التقوى على الدعاء لأنه المقصود الأهم هناك ، ولهذا وقف عليه الصلاة والسلام وهو راكب على الراحلة من لدن الزوال إلى أن غربت الشمس . وقد روى أبو داود الطيالسى فى مسنده عن حوشب بن عقيل عن مهدى الهجرى عن عكرمة عن أبى هُريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة ؛ وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ثنا حوشب بن عقيل حدثنى مهدى المحاربى حدثنى عكرمة مولى ابن عباس قال : دخلت على أبى هريرة فى بيته فسألته عن صوم يوم عرفة بعرفات فقال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم عرفة بعرفات . وقال عبد الرحمن مرةً عن مهدى العبدى : وكذلك رواه أحمد عن وكيع عن حوشب عن مهدى العبدى فذكره ، وقد رواه أبو داود عن سليمان بن حرب عن حوشب ، والنسائى عن سليمان بن معبد عن سليمان بن حرب به ، وعن الفلاس عن ابن مهدى به ، وابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة وعلى بن محمد كلاهما عن وكيع عن حوشب ، وقال الحافظ البيهقى أنبأنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبى عمرو قالا حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا أبو أسامة الكلبى ثنا حسن بن الربيع ثنا الحارث بن عبيد عن حوشب بن عقيل عن مهدى الهجرى عن عكرمة عن ابن عباس قال : نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم عرفة بعرفة ، قال البيهقى : كذا قال الحارث بن عبيد ، والمحفوظ عن عكرمة عن أبى هريرة ، وروى أبو حاتم محمد بن حبان البستى فى صحيحه عن عبد الله بن عمرو أنه سئل عن صوم يوم عرفة ، فقال : حججت مع رسول الله فلم يصمه ، ومع أبى بكر فلم يصمه ، ومع عمر فلم يصمه ، وأنا فلا أصومه ولا آمر به ولا أنهى عنه . قال الإمام مالك عن زياد بن أبى زياد مولى ابن عباس عن طلحة بن عبيد الله بن كريز أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أفضل الدعاء يوم عرفة وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله وحده لا شريك له . قال البيهقى : هذا مرسل ، وقد روى عن مالك بإسناد آخر موصولا وإسناده ضعيف ، وقد روى الإمام أحمد والترمذى من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أفضل الدعاء

يوم عرفة ، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير » . وللإمام أحمد أيضاً عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، قال : كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير » ، وقال أبو عبد الله بن منده أنبأنا أحمد بن إسحاق بن أيوب النيسابوري ثنا أحمد بن داود بن جابر الأحمسي ثنا أحمد بن ابراهيم الموصلي ثنا فرج بن فضالة عن يحيى بن سعيد عن نافع عن ابن عمر ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دعائي ودعاء الأنبياء قبلي عشية عرفة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » . وقال الإمام أحمد ثنا يزيد يعني ابن عبد ربه الجرجسي ثنا بقية بن الوليد حدثني جبير بن عمرو القرشي عن أبي سعيد الأنصاري عن أبي يحيى مولى آل الزبير بن العوام عن الزبير ابن العوام رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعرفة يقرأ هذه الآية (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) وأنا على ذلك من الشاهدين يا رب وقال الحافظ الطبراني في مناسكه : ثنا الحسن بن مثنى ابن معاذ العنبري ثنا عفان بن مسلم ثنا قيس بن الربيع عن الأغر بن الصباح عن خليفة عن علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل ما قلت أنا والأنبياء قبلي عشية عرفة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » . وقال الترمذي في الدعوات : ثنا محمد بن حاتم المؤدب ثنا علي بن ثابت ثنا قيس بن الربيع وكان من بني أسد عن الأغر بن الصباح عن خليفة بن حصين عن علي رضي الله عنه قال : كان أكثر ما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عرفة في الموقف : « اللهم لك الحمد كالذي نقول وخيراً مما نقول ، اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي ولك رب تراثي ، أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر وشتات الأمر ، اللهم إني أعوذ بك من شر ما تهب به الريح » ثم قال غريب من هذا الوجه وليس إسناده بالقوي ، وقد رواه الحافظ البيهقي من طريق موسى بن عبيدة عن أخيه عبد الله بن عبيدة عن علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أكثر دعاء من كان قبلي ودعائي يوم عرفة أن أقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم اجعل في بصري نوراً وفي سمعي نوراً وفي قلبي نوراً ، اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري ، اللهم إني أعوذ بك من وسواس الصدر وشتات الأمر وشر فتنة القبر وشر ما يلج في الليل وشر ما يلج في النهار وشر ما تهب به الرياح وشر بوائق الدهر » ثم قال : تفرد به موسى ابن عبيدة وهو ضعيف وأخوه عبد الله لم يدرك علياً ، وقال الطبراني في مناسكه حدثنا يحيى بن عثمان النصري ثنا يحيى بن بكير ثنا يحيى بن صالح الأيلي عن اسماعيل بن أمية عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال : كان فيما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع : « اللهم

إنك تسمع كلامى وترى مكانى وتعلم سرى وعلانيتى ولا يخفى عليك شىء من أمرى ، أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المقر المعترف بذنبه ، أسألك مسألة المسكين وأبتهل إليك ابتهال الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير ، من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته ، وذل لك جسده ورغم لك أنفه ، اللهم لا تجعلنى بدعائك رب شقيا وكن بى رءوفا رحيما ، يا خير المسئولين وياخير المعطين». وقال الإمام أحمد حدثنا هشيم أنبأنا عبد الملك ثنا عطاء قال قال أسامة ابن زيد : كنت رديف النبى صلى الله عليه وسلم بعرفات فرفع يديه يدعو فمالت به ناقته فسقط خطامها ، قال : فتناول الخطام بإحدى يديه وهو رافع يده الأخرى ، وهكذا رواه النسائى عن يعقوب بن ابراهيم عن هشيم . وقال الحافظ البيهقى أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو عبد الله محمد ابن يعقوب ثنا على ابن الحسن ثنا عبد المجيد بن عبد العزيز ثنا ابن جريج عن حسين بن عبد الله الهاشمى عن عكرمة عن ابن عباس قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بعرفة يداه إلى صدره كاستطعام المسكين . وقال أبو داود الطيالسى فى مسنده حدثنا عبد القاهر بن السرى حدثنى ابن كنانة بن العباس بن مرداس عن أبيه عن جده عباس بن مرداس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عشية عرفة لأمته بالمغفرة والرحمة فأكثر الدعاء ، فأوحى الله إليه إنى قد فعلت إلا ظلم بعضهم بعضاً ، وأما ذنوبهم فيما بينى وبينهم فقد غفرتها ، فقال : يا رب إنك قادر على أن تثيب هذا المظلوم خيراً من مظلمته وتغفر لهذا الظالم ، فلم يجبه تلك العشية ، فلما كان غداة المزدلفة أعاد الدعاء فأجابه الله تعالى إنى قد غفرت لهم ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له بعض أصحابه يا رسول الله تبسمت فى ساعة لم تكن تتبسم فيها ، قال : تبسمت من عدو الله إبليس إنه لما علم أن الله عز وجل قد استجاب لى فى أمتى أهوى يدعو بالويل والثبور ويحثو التراب على رأسه ، ورواه أبو داود السجستانى فى سننه عن عيسى بن ابراهيم البركى وأبى الوليد الطيالسى كلاهما عن عبد القاهر بن السرى عن ابن كنانة بن عباس بن مرداس عن أبيه عن جده مختصراً ، ورواه ابن ماجه عن أيوب بن محمد الهاشمى بن عبد القاهر بن السرى عن عبد الله بن كنانة بن عباس عن أبيه عن جده به مطولا . ورواه ابن جرير فى تفسيره عن اسماعيل بن سيف العجلى عن عبد القاهر بن السرى عن ابن كنانة يقال له أبو لبابة عن أبيه عن جده العباس بن مرداس فذكره وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى ثنا اسحاق بن ابراهيم الدبرى ثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عمن سمع قتادة يقول ثنا جُلاس بن عمرو عن عبادة بن الصامت ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عرفة : « أيها الناس إن الله تطول عليكم فى هذا اليوم فغفر لكم إلا التبعات فيما بينكم ، ووهب مسيئكم لمحسنكم ، وأعطى محسنكم ما سأل ، فادفعوا بسم الله » ، فلما كانوا بجمع قال : « إن الله قد غفر لصالحكم وشفع صالحيكم فى طالحيكم ، تنزل الرحمة فتعمهم ثم تفرق الرحمة فى الأرض فتقع على كل تائب ممن حفظ لسانه ويده ، وإبليس وجنوده على جبال عرفات ينظرون

ما يصنع الله بهم ، فإذا نزلت الرحمة دعا هو وجنوده بالويل والثبور كنت أستفزهم حِقَباً من الدهر خوف المغفرة فغشيتهم ، فيتفرقون يدعون بالويل والثبور .

﴿ ذكر ما نزل على رسول الله من الوحى المنيف فى هـذا الموقف الشريف ﴾

قال الإمام أحمد ثنا جعفر بن عون ثنا أبو العميس عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب فقال : يا أمير المؤمنين إنكم تقرءون آية فى كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً ، قال : وأى آية هى ؟ قال : قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً) فقال عمر : والله إنى لأعلم اليوم الذى نزلت فيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والساعة التى نزلت فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة فى يوم جمعة ، ورواه البخارى عن الحسن بن الصباح عن جعفر بن عون ، وأخرجه أيضا ومسلم والترمذى والنسائى من طرق عن قيس بن مسلم به .

﴿ ذكر إفاضته عليه الصلاة والسلام من عرفات إلى المشعر الحرام ﴾

قال جابر فى حديثه الطويل : فلم يزل واقفا حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلا قليلا حين غاب القرص فأردف أسامة خلفه ، ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شنق ناقته القصواء الزمام حتى إن رأسها ليصيب مورك رجله ، ويقول بيده اليمنى : أيها الناس السكينة السكينة ، كلما أتى جبلا من الجبال أرخى لها قليلا حتى تصعد حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئا ، رواه مسلم . وقال البخارى : باب السير إذا دفع من عرفة حدثنا عبد الله بن يوسف أنبأنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه ، قال : سئل أسامة وأنا جالس : كيف كان النبى صلى الله عليه وسلم يسير فى حجة الوداع حين دفع ؟ قال : كان يسير العنق فإذا وجد فجوة نص ، قال هشام : والنص فوق العنق ، ورواه الإمام أحمد وبقية الجماعة إلا الترمذى من طرق عدة عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسامة بن زيد . وقال الإمام أحمد ثنا يعقوب ثنا أبى عن ابن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسامة بن زيد . قال : كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة ، قال : فلما وقعت الشمس دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمع حطمة الناس خلفه قال : « رويداً أيها الناس ، عليكم السكينة إن البر ليس بالإيضاع »[1] قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا التحم عليه الناس أعنق ، وإذا وجد فرجة نص ، حتى أتى المزدلفة فجمع فيها بين الصلاتين المغرب والعشاء الآخرة ، ثم رواه الإمام أحمد من طريق محمد بن إسحاق حدثنى ابراهيم بن عقبة عن كريب عن أسامة بن زيد فذكر مثله ، وقال الإمام

(١) الإيضاع : حمل البعير على سرعة السير .

أحمد ثنا أبو كامل ثنا حماد عن قيس بن سعد عن عطاء عن ابن عباس عن أسامة بن زيد قال : أفاض رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة وأنا رديفه فجعل يكبح راحلته حتى إن ذفراها[1] ليكاد يصيب قادمة الرحل ويقول : « يا أيها الناس عليكم السكينة والوقار فإن البر ليس فى إيضاع الإبل » وكذا رواه عن عفان عن حماد بن سلمة به ، ورواه النسائى من حديث حماد بن سلمة به . ورواه مسلم عن زهير بن حرب عن يزيد بن هارون عن عبد الملك بن أبى سليمان عن عطاء عن ابن عباس عن أسامة بنحوه ، قال : وقال أسامة : فما زال يسير على هيئته حتى أتى جمعا وقال الإمام أحمد حدثنا أحمد بن الحجاج ثنا ابن أبى فديك عن ابن أبى ذئب عن شعبة عن ابن عباس عن أسامة بن زيد أنه ردف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عرفة حتى دخل الشعب ثم أهراق الماء وتوضأ ثم ركب ولم يصل . وقال الإمام أحمد ثنا عبد الصمد ثنا همام عن قتادة عن عروة عن الشعبى عن أسامة بن زيد أنه حدثه ، قال : كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أفاض من عرفات فلم ترفع راحلته رجلها غادية حتى بلغ جمعا. وقال الإمام أحمد ثنا سفيان عن ابراهيم بن عقبة عن كريب عن ابن عباس أخبرنى أسامة بن زيد أن النبى صلى الله عليه وسلم أردفه من عرفة فلما أتى الشعب نزل فبال ولم يقل أهراق الماء فصببت عليه فتوضأ وضوءاً خفيفا فقلت : الصلاة ؟ فقال : الصلاة أمامك، قال: ثم أتى المزدلفة فصلى المغرب ثم حلوا رحالهم وأعنتهم ثم صلى العشاء ، كذا رواه الإمام أحمد عن كريب عن ابن عباس عن أسامة بن زيد فذكره ، ورواه النسائى عن الحسين بن حريث عن سفيان بن عيينة عن ابراهيم بن عقبة ومحمد بن أبى حرملة كلاهما عن كريب عن ابن عباس عن أسامة ، قال شيخنا أبو الحجاج المزى فى أطرافه : والصحيح كريب عن أسامة .

وقال البخارى ثنا عبد الله بن يوسف أنبأنا مالك عن موسى بن عقبة عن كريب عن أسامة ابن زيد أنه سمعه يقول دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة فنزل الشعب فبال ثم توضأ فلم يسبغ الوضوء ، فقلت له : الصلاة ؟ فقال : الصلاة أمامك ، فجاء المزدلفة فتوضأ فأسبغ ، ثم أقيمت الصلاة فصلى المغرب ، ثم أناخ كل إنسان بعيره فى منزله ، ثم أقيمت الصلاة فصلى العشاء ولم يصل بينهما ، وهكذا رواه البخارى أيضا عن القعنبى ، ومسلم عن يحيى بن يحيى ، والنسائى عن قتيبة عن مالك عن موسى بن عقبة به ، وأخرجاه من حديث يحيى بن سعيد الأنصارى عن موسى بن عقبة أيضا ، ورواه مسلم من حديث ابراهيم بن عقبة ومحمد بن عقبة عن كريب كنحو رواية أخيهما موسى بن عقبة عنه . وقال البخارى أيضا : حدثنا قتيبة ثنا اسماعيل بن جعفر عن محمد بن أبى حرملة عن كريب عن أسامة بن زيد أنه قال : ردفت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعب الأيسر الذى دون المزدلفة أناخ فبال ثم جاء

---

(١) ذفرى البعير : أصل أذنه .

فصببت عليه الوضوء فتوضأ وضوءاً خفيفاً فقلت الصلاة يا رسول الله ؟ قال : الصلاة أمامك ، فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى المزدلفة فصلى ثم ردف الفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة جمع . قال كريب : فأخبرني عبد الله بن عباس عن الفضل : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يلبي حتى بلغ الجمرة . ورواه مسلم عن قتيبة ويحيى بن يحيى ويحيى بن أيوب وعلى بن حجر أربعتهم عن إسماعيل بن جعفر به . وقال الإمام أحمد ثنا وكيع ثنا عمر بن ذر عن مجاهد عن أسامة بن زيد . أن رسول الله أردفه من عرفة . قال : فقال الناس سيخبرنا صاحبنا ماصنع . قال : فقال أسامة لما دفع من عرفة فوقف ، كف رأس راحلته حتى أصاب رأسها واسطة الرحل أو كاد يصيبه يشير إلى الناس بيده السكينة السكينة السكينة !! حتى أتى جمعا ثم أردف الفضل بن عباس قال : فقال الناس سيخبرنا صاحبنا بما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الفضل : لم يزل يسير سيراً لينا كسيره بالأمس حتى أتى على وادى محسر فدفع فيه حتى استوت به الأرض . وقال البخارى ثنا سعيد بن أبى مريم ثنا إبراهيم بن سويد حدثني عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب أخبرني سعيد بن جبير مولى والبة الكوفى حدثني ابن عباس أنه دفع النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة فسمع النبي صلى الله عليه وسلم وراءه زجراً شديداً وضربا للابل فأشار بسوطه إليهم وقال : أيها الناس عليكم بالسكينة ! فإن البر ليس بالإيضاع تفرد به البخارى من هذا الوجه . وقد تقدم رواية الإمام أحمد ومسلم والنسائى هذا من طريق عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس عن أسامة بن زيد فالله أعلم . وقال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل بن عمر ثنا المسعودى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس . قال : لما أفاض رسول الله من عرفات أوضع الناس فأمر رسول الله مناديا ينادى : أيها الناس ليس البر بإيضاع الخيل ولا الركاب قال فما رأيت من رافعة يديها غادية حتى نزل جمعا . وقال الإمام أحمد ثنا حسين وأبو نعيم . قالا : ثنا إسرائيل عن عبد العزيز بن رفيع قال حدثني من سمع ابن عباس يقول : لم ينزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفات وجمع إلا أريق الماء . وقال الإمام أحمد ثنا يزيد بن هارون أخبرنا عبد الملك عن أنس بن سيرين قال : كنت مع ابن عمر بعرفات فلما كان حين راح رحت معه حتى الإمام فصلى معه الأولى والعصر ثم وقف وأنا وأصحاب لى حتى أفاض الإمام فأفضنا معه حتى انتهينا إلى المضيق دون المأزمين فأناخ وأنخنا ونحن نحسب أنه يريد أن يصلى فقال غلامه الذى يمسك راحلته إنه ليس يريد الصلاة ولكنه ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم لما انتهى إلى هذا المكان قضى حاجته فهو يحب أن يقضى حاجته . وقال البخارى ثنا موسى ثنا جويرية عن نافع . قال : كان عبد الله بن عمر يجمع بين المغرب والعشاء بجمع غير أنه يمر بالشعب الذى أخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخل فينتفض ويتوضأ ولا يصلى حتى يجىء جمعا تفرد به البخارى رحمه الله من هذا الوجه . وقال البخارى ثنا آدم بن أبي ذئب عن الزهرى عن سالم بن عبد الله عن ابن عمر . قال : جمع

النبي صلى الله عليه وسلم المغرب والعشاء بجمع كل واحدة منهما بإقامة ولم يسبح بينهما ولا على إثر واحدة منهما . ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى عن مالك عن الزهري عن سالم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى المغرب والعشاء بالمزدلفة جميعا . ثم قال : مسلم حدثني حرملة حدثني ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب أن عبيد الله بن عبد الله بن عمر أخبره أن أباه قال : جمع رسول الله بين المغرب والعشاء بجمع ليس بينهما سجدة فصلى المغرب ثلاث ركعات وصلى العشاء ركعتين فكان عبد الله يصلي بجمع كذلك حتى لحق بالله . ثم روى مسلم من حديث شعبة عن الحكم وسلمة بن كهيل عن سعيد بن جبير . أنه صلى المغرب بجمع والعشاء بإقامة واحدة ثم حدث عن ابن عمر أنه صلى مثل ذلك . وحدث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع مثل ذلك . ثم رواه من طريق الثوري عن سلمة عن سعيد بن جبير عن ابن عمر قال : جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المغرب والعشاء بجمع صلى المغرب ثلاثا والعشاء ركعتين بإقامة واحدة . ثم قال مسلم ثنا أبو بكر ابن أبي شيبة ثنا عبد الله بن جبير ثنا إسماعيل بن أبي خالد عن أبي إسحاق قال : قال سعيد بن جبير أفضنا مع ابن عمر حتى أتينا جمعا فصلى بنا المغرب والعشاء بإقامة واحدة ثم انصرف ، فقال : هكذا صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المكان . وقال البخاري ثنا خالد بن مخلد ثنا سليمان بن بلال حدثني يحيى ابن سعيد حدثني عدي بن ثابت حدثني عبد الله بن يزيد الخطمي حدثني أبو يزيد الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع في حجة الوداع بين المغرب والعشاء بالمزدلفة . ورواه البخاري أيضا في المغازي عن القعنبي عن مالك ومسلم من حديث سليمان بن بلال والليث بن سعد ثلاثتهم عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن عدي بن ثابت . ورواه النسائي أيضاً عن الفلاس عن يحيى القطان عن شعبة عن عدي بن ثابت به . ثم قال البخاري باب من أذن وأقام لكل واحدة منهما . حدثنا عمرو بن خالد ثنا زهير بن حرب ثنا أبو إسحاق سمعت عبد الرحمن بن يزيد يقول : حج عبد الله فأتينا المزدلفة حين الأذان بالعتمة أو قريباً من ذلك ، فأمر رجلا فأذن وأقام ثم صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين ثم دعا بعشائه فتعشى ، ثم أمر رجلا فأذن وأقام . قال عمرو : — لا أعلم الشك إلا من زهير — ثم صلى العشاء ركعتين فلما طلع الفجر . قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يصلي هذه الساعة إلا هذه الصلاة في هذا المكان من هذا اليوم ، قال عبد الله هما صلاتان تحولان عن وقتهما صلاة المغرب بعد ما يأتي الناس المزدلفة والفجر حين يبزغ الفجر . قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يفعله وهذا اللفظ وهو قوله والفجر حين يبزغ الفجر أبين وأظهر من الحديث الآخر الذي رواه البخاري عن حفص بن عمر بن غياث عن أبيه عن الأعمش عن عمارة عن عبد الرحمن عن عبد الله بن مسعود . قال : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى صلاة بغير ميقاتها إلا صلاتين جمع بين المغرب والعشاء وصلاة الفجر قبل ميقاتها . ورواه مسلم من حديث

أبي معاوية وجرير عن الأعمش به . وقال جابر في حديثه ثم اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة ، وقد شهد معه هذه الصلاة عروة بن مضرس بن أوس بن حارثة بن لأم الطائي . قال الإمام أحمد حدثنا هشيم ثنا ابن أبي خالد وزكريا عن الشعبي أخبرني عروة بن مضرس قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو بجمع فقلت : يا رسول الله جئتك من جبل طيء أتعبت نفسي وأنضيت راحلتي ، والله ما تركت من جبل إلا وقفت عليه ، فهل لي من حج ؟ فقال : « من شهد معنا هذه الصلاة - يعني صلاة الفجر - بجمع ، ووقف معنا حتى يفيض منه ، وقد أفاض قبل ذلك من عرفات ليلا أو نهاراً فقد تم حجه وقضى تفثه » ، وقد رواه الإمام أحمد أيضاً وأهل السنن الأربعة من طرق عن الشعبي عن عروة بن مضرس ، وقال الترمذي حسن صحيح .

﴿ فصـــل ﴾

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم طائفة من أهله بين يديه من الليل قبل حطمة الناس من المزدلفة إلى منى . قال البخاري : باب من قدم ضعفة أهله بالليل فيقفون بالمزدلفة ويدعون ، ويقدم إذا غاب القمر ، حدثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب قال : قال سالم : كان عبد الله بن عمر يقدم ضعفة أهله فيقفون عند المشعر الحرام بليل فيذكرون الله ما بدا لهم ثم يدفعون قبل أن يقف الإمام وقبل أن يدفع ، فمنهم من يقدم منى لصلاة الفجر ومنهم من يقدم بعد ذلك ، فإذا قدموا رموا الجمرة ؛ وكان ابن عمر يقول : أرخص في أولئك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حدثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم من جمع بليل ؛ وقال البخاري ثنا علي بن عبد الله ثنا سفيان أخبرني عبد الله بن أبي يزيد سمع ابن عباس يقول : أنا ممن قدّم النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المزدلفة في ضعفة أهله . وروى مسلم من حديث ابن جريج أخبرني عطاء عن ابن عباس قال: بعث بي رسول الله صلى الله عليه وسلم من جمع بسحر مع ثقله وقال الإمام أحمد ثنا روح ثنا سفيان الثوري ثنا سلمة بن كهيل عن الحسن العرني عن ابن عباس قال : قدّمنا رسول الله أغيلمة بني عبد المطلب على حمرات لنا فجعل يلطح[1] أفخاذنا بيده ويقول : « أبنيّ لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس » . قال ابن عباس: ما أخال أحداً يرمي الجمرة حتى تطلع الشمس ، وقد رواه أحمد أيضاً عن عبد الرحمن ابن مهدي عن سفيان الثوري فذكره ؛ وقد رواه أبو داود عن محمد بن كثير عن الثوري به ، والنسائي عن محمد بن عبد الله بن يزيد عن سفيان بن عيينة عن سفيان الثوري به . وأخرجه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة وعلي بن محمد كلاهما عن وكيع عن مسعر وسفيان الثوري كلاهما عن سلمة بن كهيل به . وقال أحمد ثنا يحيى بن آدم ثنا أبو الأحوص عن الأعمش عن الحكم بن

---

(١) اللطح (بالحاء المهملة) الضرب ببطن الكف وليس بالشديد .

عيينة عن مقسم عن ابن عباس قال : مر بنا رسول الله ليلة النحر وعلينا سواد من الليل ، فجعل يضرب أفخاذنا ويقول : « أبنيّ أفيضوا ، لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس » ؛ ثم رواه الإمام أحمد من حديث المسعودى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال : قدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعفة أهله من المزدلفة بليل فجعل يوصيهم أن لا يرموا جمرة العقبة حتى تطلع الشمس . وقال أبو داود ثنا عثمان بن أبى شيبة ثنا الوليد بن عقبة ثنا حمزة الزيات بن حبيب عن عطاء عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدّم ضعفة أهله بغلس ، ويأمرهم — يعنى أن لا يرموا الجمرة حتى تطلع الشمس - وكذا رواه النسائى عن محمود بن غيلان عن بشر بن السرى عن سفيان عن حبيب ، قال الطبرانى : وهو ابن أبى ثابت عن عطاء عن ابن عباس فخرج حمزة الزيات من عهدته ، وجاد إسناد الحديث والله أعلم ؛ وقد قال البخارى ثنا مسدد عن يحيى بن جريج حدثنى عبد الله مولى أسماء عن أسماء أنها نزلت ليلة جُمع عند المزدلفة فقامت تصلى فصلت ساعة ثم قالت : يا بنى هل غاب القمر ؟ قلت : لا ، فصلت ساعة ثم قالت : هل غاب القمر ؟ قلت : نعم ! قالت : فارتحلوا ، فارتحلنا فمضينا حتى رمت الجمرة ثم رجعت فصلت الصبح فى منزلها ، فقلت يا هنتاه ما أرانا إلا قد غلسنا ، فقالت : يا بنى إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن للظعن ، ورواه مسلم من حديث ابن جريج به ، فإن كانت أسماء بنت الصديق رمت الجمار قبل طلوع الشمس كما ذكر هاهنا عن توقيف فروايتها مقدمة على رواية ابن عباس لأن إسناد حديثها أصح من إسناد حديثه ، اللهم إلا أن يقال إن الغلمان أخف حالا من النساء وأنشط ، فلهذا أمر الغلمان بأن لا يرموا قبل طلوع الشمس وأذن للظعن فى الرمى قبل طلوع الشمس لأنهم أثقل حالا وأبلغ فى التستر والله أعلم . وإن كانت أسماء لم تفعله عن توقيف فحديث ابن عباس مقدم على فعلها ، لكن يقوى الأول قول أبى داود ثنا محمد بن خلاد الباهلى ثنا يحيى عن ابن جريج أخبرنى عطاء أخبرنى مخبر عن أسماء أنها رمت الجمرة بليل ، قلت : إنا رمينا الجمرة بليل ، قالت : إنا كنا نصنع هذا على عهد النبى صلى الله عليه وسلم . وقال البخارى ثنا أبو نعيم ثنا أفلح بن حميد عن القاسم عن محمد عن عائشة قالت : نزلنا المزدلفة فاستأذنت النبى صلى الله عليه وسلم سودة أن تدفع قبل حطمة الناس ، وكانت امرأة بطيئة ، فأذن لها فدفعت قبل حطمة الناس ، وأقمنا نحن حتى أصبحنا ثم دفعنا بدفعه ، فلأن أكون استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما استأذنت سودة أحب إلى من مفروح به . وأخرجه مسلم عن القعنبى عن أفلح بن حميد به . وأخرجاه فى الصحيحين من حديث سفيان الثورى عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة به . وقال أبو داود ثنا هارون بن عبد الله ثنا ابن أبى فديك عن الضحاك — يعنى ابن عثمان — عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت : أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأم سلمة ليلة النحر فرمت الجمرة قبل الفجر ثم مضت فأفاضت ، وكان ذلك اليوم الذى يكون رسول الله . قال

أبو داود : يعنى عندها . انفرد به أبو داود ، وهو إسناد جيد قوى ، رجاله ثقات

﴿ ذكر تلبيته عليه الصلاة والسلام بالمزدلفة ﴾

قال مسلم ثنا أبو بكر بن أبى شيبة ثنا أبو الأحوص عن حصين عن كثير بن مدرك عن عبد الرحمن بن يزيد قال : قال عبد الله ونحن بجمع : سمعت الذى أنزلت عليه سورة البقرة يقول فى هذا المقام « لبيك اللهم لبيك » .

فصل

﴿ فى وقوفه عليه الصلاة والسلام بالمشعر الحرام ودفعه عن المزدلفة قبل طلوع الشمس ﴾
﴿ وإيضاعه فى وادى مُحَسِّر ﴾

قال الله تعالى (فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام) الآية ، وقال جابر فى حديثه : فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعا الله عز وجل وكبره وهلله ووحده ، فلم يزل واقفا حتى أسفر جداً ودفع قبل أن تطلع الشمس وأردف الفضل بن عباس وراءه . وقال البخارى ثنا حجاج بن منهال ثنا شعبة عن ابن اسحاق قال سمعت عمرو بن ميمون يقول : شهدت عمر صلى بجمع الصبح ثم وقف فقال: إن المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس ؛ ويقولون أشرق ثبير ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفاض قبل أن تطلع الشمس ، وقال البخارى ثنا عبد الله بن رجاء ثنا إسرائيل عن أبى اسحاق عبد الرحمن بن يزيد قال : خرجت مع عبد الله إلى مكة ثم قدمنا جمعاً فصلى صلاتين كل صلاة وحدها بأذان وإقامة والعشاء بينهما ، ثم صلى الفجر حين طلع الفجر ، قائل يقول طلع الفجر وقائل يقول لم يطلع الفجر ، ثم قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن هاتين الصلاتين حولتا عن وقتهما فى هذا المكان المغرب ، فلا تقدم الناس جمعاً حتى يقيموا ، وصلاة الفجر هذه الساعة ، ثم وقف حتى أسفر ، ثم قال : لو أن أمير المؤمنين أفاض الآن أصاب السنة فلا أدرى أقوله كان أسرع أو دفع عثمان فلم يزل يلبى حتى رمى جمرة العقبة يوم النحر . وقال الحافظ البيهقى أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الشيبانى ثنا يحيى بن محمد بن يحيى ثنا عبد الرحمن بن المبارك العبسى ثنا عبد الوارث بن سعيد عن ابن جريج عن محمد ابن قيس بن مخرمة عن المسور بن مخرمة قال : خطبنا رسول الله بعرفة فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد ، فإن أهل الشرك والأوثان كانوا يدفعون من هاهنا عند غروب الشمس حتى تكون الشمس على رءوس الجبال مثل عمائم الرجال على رءوسها ، هدينا مخالف لهديهم وكانوا يدفعون من المشعر الحرام عند طلوع الشمس على رءوس الجبال مثل عمائم الرجال على رءوسها ، هدينا مخالف لهديهم » قال : ورواه عبد الله بن إدريس عن ابن جريج عن محمد بن قيس بن مخرمة

مرسلا . وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو خالد سليمان بن حيان سمعت الأعمش عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفاض من المزدلفة قبل طلوع الشمس وقال البخارى : حدثنا زهير بن حرب حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبى عن يونس الأيلى عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عباس : أن أسامة كان ردف النبى صلى الله عليه وسلم من عرفة إلى المزدلفة ، ثم أردف الفضل من المزدلفة إلى منى ، قال : فكلاهما قال : لم يزل النبى صلى الله عليه وسلم يلبى حتى رمى جمرة العقبة . ورواه ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس . وروى مسلم من حديث الليث بن سعد عن أبى الزبير عن أبى معبد عن ابن عباس عن الفضل ابن عباس ، وكان رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال فى عشية عرفة وغداة جمع للناس حين دفعوا عليكم بالسكينة وهو كاف ناقته حتى دخل محسراً وهو من منى ، قال : عليكم بحصى الخذف الذى يرمى به الجمرة ، قال : ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبى حتى رمى الجمرة . وقال الحافظ البيهقى : باب الإيضاع فى وادى محسر : أخبرنا أبوعبد الله الحافظ أخبرنى أبو عمرو المقرى وأبو بكر الوراق أنبأنا الحسن بن سفيان حدثنا هشام بن عمار وأبو بكر بن أبى شيبة ، قالا : حدثنا حاتم بن إسماعيل حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر فى حج النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : حتى إذا أتى محسراً حرك قليلا . رواه مسلم فى الصحيح عن أبى بكر ابن شيبة . ثم روى البيهقى من حديث سفيان الثورى عن أبى الزبير عن جابر ، قال : أفاض رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه السكينة وأمرهم بالسكينة وأوضع فى وادى محسر ، وأمرهم أن يرموا الجمار بمثل حصى الخذف ، وقال : خذوا عنى مناسككم لعلى لا أراكم بعد عامى هذا . ثم روى البيهقى من حديث الثورى عن عبد الرحمن بن الحارث عن زيد بن على عن أبيه عن عبيد الله بن أبى رافع عن على : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفاض من جمع حتى أتى محسراً ، فقرع ناقته حتى جاوز الوادى فوقف ، ثم أردف الفضل ، ثم أتى الجمرة فرماها . هكذا رواه مختصراً . وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبو أحمد محمد بن عبد الله الزبيرى حدثنا سفيان بن عبد الرحمن بن الحارث بن عياش بن أبى ربيعة عن زيد بن على عن أبيه عن عبيد الله ابن أبى رافع عن على ، قال : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفة فقال : إن هذا الموقف وعرفة كلها موقف ، وأفاض حين غابت الشمس ، وأردف أسامة فجعل يعنق على بعيره والناس يضربون يميناً وشمالا لا يلتفت إليهم ، ويقول : السكينة أيها الناس ، ثم أتى جمعاً فصلى بهم الصلاتين المغرب والعشاء ثم بات حتى أصبح ، ثم أتى قزح فوقف على قزح فقال : هذا الموقف وجمع كلها موقف ، ثم سار حتى أتى محسراً فوقف عليه فقرع دابته فخبت حتى جاز الوادى ثم حبسها ، ثم أردف الفضل وسار حتى أتى الجمرة فرماها ثم أتى المنحر ، فقال : هذا المنحر ومنى كلها منحر . قال : واستفتته جارية شابة من خثعم ، فقالت : إن أبى شيخ كبير قد أفند[1] ،

(١) أفند : إذا تكلم بالفند والفند الكذب ثم قالوا للشيخ إذا هرم قد أفند لأنه يتكلم بالمحرف .

وقد أدركته فريضة الله فى الحج فهل يجزىء عنه أن أؤدى عنه ؟ قال : نعم ! فأدى عن أبيك ، قال : ولوى عنق الفضل ، فقال له العباس : يا رسول الله لم لويت عنق ابن عمك ؟ قال : رأيت شابا وشابة فلم آمن الشيطان عليهما ، قال : ثم جاءه رجل فقال : يا رسول الله حلقت قبل أن أنحر قال : انحر ولا حرج ، ثم أتاه آخر فقال : يا رسول الله إنى أفضت قبل أن أحلق ، قال : احلق أو قصر ولا حرج . ثم أتى البيت فطاف ثم أتى زمزم فقال : يا بنى عبد المطلب سقايتكم ولولا أن يغلبكم الناس عليها لنزعت معكم . وقد رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل عن يحيى بن آدم عن سفيان الثورى . ورواه الترمذى عن بندار عن أبى أحمد الزبيرى . وابن ماجه عن علىّ بن محمد عن يحيى بن آدم . وقال الترمذى : حسن صحيح لا نعرفه من حديث على إلا من هذا الوجه . قلت : وله شواهد من وجوه صحيحة مخرجة فى الصحاح وغيرها ، فمن ذلك قصة الخثعمية وهو فى الصحيحين من طريق الفضل ، وتقدمت فى حديث جابر ، وسنذكر من ذلك ما تيسر وقد حكى البيهقى بإسناد عن ابن عباس أنه أنكر الإسراع فى وادى محسر ، وقال : إنما ... ن ذلك من الأعراب ، قال : والمثبت مقدم على النافى . قلت : وفى ثبوته عنه نظر ، والله أعلم . وقد صح ذلك عن جماعة من الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصح من صنيع الشيخين أبى بكر وعمر أنهما كانا يفعلان ذلك ، فروى البيهقى عن الحاكم عن النجاد وغيره عن أبى على محمد بن معاذ بن المستهل المعروف بدُرّان عن القعنبى عن أبيه عن هشام بن عروة عن أبيه عن المسور بن مخرمة أن عمر كان يوضع ويقول :

إليك تعدو قلقا وضينها مخالف دين النصارى دينها

﴿ ذكر رميه عليه الصلاة والسلام جمرة العقبة وحدها يوم النحر ، وكيف رماها ، ومتى رماها ، ومن أى موضع رماها ، وبكم رماها ، وقطعه التلبية حين رماها ﴾

قد تقدم من حديث أسامة والفضل وغيرهما من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين أنه عليه الصلاة والسلام لم يزل يلبى حتى رمى جمرة العقبة . وقال البيهقى أنبأنا الإمام أبو عثمان أنبأنا أبو طاهر بن خزيمة أنبأنا جدى — يعنى إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة — حدثنا علىّ بن حجر حدثنا شريك عن عامر بن شقيق عن أبى وائل عن عبد الله ، قال : رمقت النبى صلى الله عليه وسلم فلم يزل يلبى حتى رمى جمرة العقبة بأول حصاة . وبه عن ابن خزيمة حدثنا عمر بن حفص الشيبانى حدثنا حفص بن غياث حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن علىّ بن الحسين عن ابن عباس عن الفضل ، قال : أفضت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفات فلم يزل يلبى حتى رمى جمرة العقبة يكبر مع كل حصاة ثم قطع التلبية مع آخر حصاة . قال البيهقى : وهذه زيادة غريبة ليست فى الروايات المشهورة عن ابن عباس عن الفضل ، وإن كان ابن خزيمة قد اختارها ،

وقال محمد بن إسحاق : حدثنى أبان بن صالح عن عكرمة ، قال : أفضت مع الحسين بن علىّ فما أزال أسمعه يلبى حتى رمى جمرة العقبة ، فلما قذفها أمسك ، فقلت : ما هذا ؟ فقال : رأيت أبى علىّ بن أبى طالب يلبى حتى رمى جمرة العقبة ، وأخبرنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك . وتقدم من حديث الليث عن أبى الزبير عن أبى معبد عن ابن عباس عن أخيه الفضل : أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر الناس فى وادى محسر بحصى الخذف الذى يرمى به الجمرة، رواه مسلم . وقال أبو العالية عن ابن عباس حدثنى الفضل ، قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة يوم النحر هات ، فالقط لى حصا ، فلقطت له حصيات مثل حصى الخذف فوضعهن فى يده فقال : بأمثال هؤلاء بأمثال هؤلاء ، وإياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو فى الدين ، رواه البيهقى . وقال جابر فى حديثه : حتى أتى بطن محسر فحرك قليلا ، ثم سلك الطريق الوسطى التى تخرج على الجمرة الكبرى حتى أتى الجمرة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة منها مثل حصى الخذف رمى من بطن الوادى ، رواه مسلم . وقال البخارى : وقال جابر رضى الله عنه : رمى النبى صلى الله عليه وسلم يوم النحر ضحى ، ورمى بعد ذلك بعد الزوال . وهذا الحديث الذى علقه البخارى أسنده مسلم من حديث ابن جريج أخبرنى أبو الزبير سمع جابراً ، قال : رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمرة يوم النحر ضحى وأما بعد فإذا زالت الشمس . وفى الصحيحين من حديث الأعمش عن إبراهيم عن عبد الرحمن بن يزيد ، قال : رمى عبد الله من بطن الوادى فقلت : يا أبا عبد الرحمن إن ناساً يرمونها من فوقها ، فقال : والذى لا إله غيره هذا مقام الذى أنزلت عليه سورة البقرة ، لفظ البخارى . وفى لفظ له من حديث شعبة عن الحكم عن إبراهيم عن عبد الرحمن عن عبد الله بن مسعود : أنه أتى الجمرة الكبرى فجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه ورمى بسبع ، وقال : هكذا رمى الذى أنزلت عليه سورة البقرة . ثم قال البخارى : باب من رمى الجمار بسبع يكبر مع كل حصاة ، قاله ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وهذا إنما يعرف فى حديث جابر من طريق جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر ، كما تقدم : أنه أتى الجمرة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة منها مثل حصى الخذف . وقد روى البخارى فى هذه الترجمة من حديث الأعمش عن إبراهيم عن عبد الرحمن ابن يزيد عن عبد الله بن مسعود : أنه رمى الجمرة من بطن الوادى بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة ، ثم قال : من هاهنا والذى لا إله غيره قام الذى أنزلت عليه سورة البقرة . وروى مسلم من حديث ابن جريج أخبرنى أبو الزبير سمع جابر بن عبد الله ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمى الجمرة بسبع مثل حصى الخذف . وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن زكريا حدثنا حجاج عن الحكم عن أبى القاسم — يعنى مقسما — عن ابن عباس : أن النبى صلى الله عليه وسلم رمى الجمرة جمرة العقبة يوم النحر راكباً . ورواه الترمذى عن أحمد بن منيع عن يحيى بن زكريا بن أبى زائدة وقال : حسن . وأخرجه ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة عن أبى خالد

الأحمر عن الحجاج بن أرطاة به . وقد روى أحمد وأبو داود وابن ماجه والبيهقي من حديث يزيد بن أبي زياد عن سليمان بن عمرو بن الأحوص عن أمه أم جندب الأزدية . قالت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمى الجمار من بطن الوادى وهو راكب يكبر مع كل حصاة ورجل من خلفه يستره فسألت عن الرجل فقالوا الفضل بن عباس فازدحم الناس . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا أيها الناس لا يقتل بعضكم بعضا ، وإذا رميتم الجمرة فارموه بمثل حصى الخذف . لفظ أبي داود وفي رواية له قالت : رأيته عند جمرة العقبة راكبا ورأيت بين أصابعه حجراً فرمى ورمى الناس ولم يقم عندها . ولابن ماجه قالت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر عند جمرة العقبة وهو راكب على بغلة . وذكر الحديث وذكر البغلة هاهنا غريب جداً . وقد روى مسلم في صحيحه من حديث ابن جريج أخبرني أبو الزبير سمعت جابر بن عبد الله يقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمى الجمرة على راحلته يوم النحر ويقول لتأخذوا مناسككم فإني لا أدرى لعلي لا أحج بعد حجتي هذه . وروى مسلم أيضاً من حديث زيد ابن أبي أنيسة عن يحيى بن الحصين عن جدته أم الحصين سمعتها تقول : حججت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فرأيته حين رمى جمرة العقبة وانصرف وهو على راحلته يوم النحر وهو يقول : لتأخذوا مناسككم فإني لا أدرى لعلي لا أحج بعد حجتي هذه . وفي رواية قالت حججت مع رسول الله حجة الوداع فرأيت أسامة وبلالا أحدهما آخذ بخطام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم والآخر رافع ثوبه يستره من الحر حتى رمى جمرة العقبة . وقال الإمام أحمد ثنا أبو أحمد محمد بن عبد الله الزبيري ثنا أيمن بن نابل ثنا قدامة بن عبد الله الكلابي . أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى جمرة العقبة من بطن الوادى يوم النحر على ناقة له صهباء ، لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك . ورواه أحمد أيضا عن وكيع ومعتمر ابن سليمان وأبي قرة موسى بن طارق الزبيدى ثلاثتهم عن أيمن بن نابل به . ورواه أيضا عن أبي قرة عن سفيان الثورى عن أيمن . وأخرجه النسائي وابن ماجه من حديث وكيع به . ورواه الترمذي عن أحمد بن منيع عن مروان بن معاوية عن أيمن بن نابل به . وقال هذا حديث حسن صحيح . وقال الإمام أحمد ثنا نوح بن ميمون ثنا عبد الله — يعني العمرى — عن نافع قال كان ابن عمر يرمى جمرة العقبة على دابته يوم النحر ، وكان لا يأتي سائرها بعد ذلك إلا ماشيا . وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يأتيها إلا ماشيا ذاهبا وراجعا . ورواه أبو داود عن القعنبي عن عبد الله العمرى به .

﴿ فصل ﴾

قال جابر ثم انصرف إلى المنحر فنحر ثلاثا وستين بيده ، ثم أعطى عليا فنحر ما غبر وأشركه في هديه ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر فطبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها .

وسنتكلم على هذا الحديث . وقال الإمام أحمد بن حنبل ثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن حميد الأعرج عن محمد بن ابراهيم التيمى عن عبد الرحمن بن معاذ عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال : خطب النبى صلى الله عليه وسلم بمنى ونزّلهم منازلهم فقال : لينزل المهاجرون هاهنا وأشار إلى ميمنة القبلة والأنصار هاهنا وأشار إلى ميسرة القبلة ، ثم لينزل الناس حولهم ، قال : وعلمهم مناسكهم ففتحت أسماع أهل منى حتى سمعوه فى منازلهم ، قال : فسمعته يقول : ارموا الجمرة بمثل حصى الخذف ، وكذا رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل إلى قوله : ثم لينزل الناس حولهم . وقد رواه الإمام أحمد عن عبد الصمد بن عبد الوارث عن أبيه ، وأبو داود عن مسدد عن عبد الوارث ، وابن ماجه من حديث ابن المبارك عن عبد الوارث عن حميد بن قيس الأعرج عن محمد بن ابراهيم التيمى عن عبد الرحمن بن معاذ التيمى قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بمنى ففتحت أسماعنا حتى كأنا نسمع ما يقول ، الحديث . ذكر جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرك على بن أبى طالب فى الهدى وأن جماعة الهدى الذى قدم به على من اليمن ، والذى جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة من الإبل ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر بيده الكريمة ثلاثا وستين بدنة ، قال ابن حبان وغيره : وذلك مناسب لعمره عليه السلام فإنه كان ثلاثاً وستين سنة . وقد قال الإمام أحمد ثنا يحيى بن آدم ثنا زهير ثنا محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال : نحر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحج مائة بدنة نحر منها بيده ستين وأمر ببقيتها فنحرت وأخذ من كل بدنة بضعة فجمعت فى قدر فأكل منها وحسى من مرقها . قال : ونحر يوم الحديبية سبعين فيها جمل أبى جهل فلما صدت عن البيت حنت كما تحن إلى أولادها . وقد روى ابن ماجه بعضه عن أبى بكر بن أبى شيبة وعلى بن محمد عن وكيع عن سفيان الثورى عن ابن أبى ليلى به وقال الإمام أحمد ثنا يعقوب ثنا أبى عن محمد بن إسحاق حدثنى رجل عن عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد بن جبر عن ابن عباس قال : أهدى رسول الله فى حجة الوداع مائة بدنة نحر منها ثلاثين بدنة بيده ثم أمر علياً فنحر ما بقى منها ، وقال : قسم لحومها وجلودها وجلالها بين الناس ، ولا تعطين جزاراً منها شيئاً وخذ لنا من كل بعير جدية من لحم ، واجعلها فى قدر واحدة حتى نأكل من لحمها ونحسو من مرقها ففعل ، وثبت فى الصحيحين من حديث مجاهد عن ابن أبى ليلى عن على قال : أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقوم على بدنه وأن أتصدق بلحومها وجلودها وأجلتها ، وأن لا أعطى الجزار منها وقال : نحن نعطيه من عندنا .

وقال أبو داود : ثنا محمد بن حاتم ثنا عبد الرحمن بن مهدى ثنا عبد الله بن المبارك عن حرملة بن عمران عن عبد الله بن الحارث الأزدى سمعت عرفة بن الحارث الكندى قال : شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتى بالبُدْن ، فقال : « أدعُ لى أبا حسن » فدعى له على ، فقال : « خذ بأسفل الحربة » ، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم

بأعلاها ثم طعنا بها البدن، فلما فرغ ركب بغلته وأردف عليا ، تفرد به أبو داود وفى إسناده ومتنه غرابة والله أعلم . وقال الإمام أحمد حدثنا أحمد بن الحجاج أنبأنا عبد الله أنبأنا الحجاج بن أرطاة عن الحكم عن أبى القاسم - يعنى مقسما - عن ابن عباس ، قال : رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم جمرة العقبة ثم ذبح ثم حلق ، وقد ادعى ابن حزم أنه ضحى عن نسائه بالبقر وأهدى بمنى بقرة ، وضحى هو بكبشين أملحين .

﴿ صفة حلقه رأسه الكريم عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم ﴾

قال الإمام أحمد ثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهرى عن سالم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حلق فى حجته ؛ ورواه النسائى عن إسحاق بن ابراهيم - هو ابن راهويه - عن عبد الرزاق . وقال البخارى ثنا أبو اليمان ثنا شعيب قال : قال نافع كان عبد الله بن عمر يقول حلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجته . ورواه مسلم من حديث موسى بن عقبة عن نافع به وقال البخارى ثنا عبد الله بن محمد بن أسماء ثنا جويرية بن أسماء عن نافع أن عبد الله بن عمر قال : حلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وطائفة من أصحابه وقصر بعضهم . ورواه مسلم من حديث الليث عن نافع به وزاد قال عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحم الله المحلقين مرة أو مرتين ، قالوا : يا رسول الله والمقصرين ، قال : والمقصرين . وقال مسلم ثنا أبو بكر بن ابى شيبة ثنا وكيع وأبو داود الطيالسى عن يحيى بن الحصين عن جدته أنها سمعت رسول الله فى حجة الوداع دعا للمحلقين ثلاثا وللمقصرين مرة ، ولم يقل وكيع فى حجة الوداع . وهكذا روى هذا الحديث مسلم من حديث مالك وعبد الله عن نافع عن ابن عمر وعمارة عن أبى زرعة عن أبى هريرة والعلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة . وقال مسلم ثنا يحيى بن يحيى ثنا حفص ابن غياث عن هشام عن ابن سيرين عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى منى فأتى الجمرة فرماها ثم أتى منزله بمنى ونحر ، ثم قال للحلاق : خذ ، وأشار إلى جانبه الأيمن ثم الأيسر ثم جعل يعطيه الناس ، وفى رواية أنه حلق شقه الأيمن فقسمه بين الناس من شعرة وشعرتين وأعطى شقه الأيسر لأبى طلحة ، وفى رواية له أنه أعطى الأيمن لأبى طلحة وأعطاه الأيسر وأمره أن يقسمه بين الناس . وقال الإمام أحمد حدثنا سليمان بن حرب ثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه وقد أطاف به أصحابه ما يريدون أن يقع شعره إلا فى يد رجل ، انفرد به أحمد .

﴿ فصل ﴾

ثم لبس عليه الصلاة والسلام ثيابه وتطيّب بعد ما رمى جمرة العقبة ونحر هديه ، وقبل أن

---

(١) كذا فى نسخة الدار وفى التيمورية عبيد الله .

يطوف بالبيت طيبته عائشة أم المؤمنين . قال البخارى ثنا على بن عبد الله بن المدينى ثنا سفيان — هو ابن عيينة — ثنا عبد الرحمن بن القاسم بن محمد وكان أفضل أهل زمانه أنه سمع أباه وكان أفضل أهل زمانه يقول إنه سمع عائشة تقول طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى هاتين حين أحرم ، ولحله حين أحل قبل أن يطوف ، وبسطت يديها . وقال مسلم ثنا يعقوب الدورق وأحمد بن منيع قالا ثنا هشيم أنبأنا منصور عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة قالت : كنت أطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يحرم ويوم النحر قبل أن يطوف بالبيت بطيب فيه مسك . وروى النسائى من حديث سفيان بن عيينة عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت طيبت رسول الله لحرمه حين أحرم ولحله بعد ما رمى جمرة العقبة قبل أن يطوف بالبيت . وقال الشافعى أنبأنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن سالم قال : قالت عائشة أنا طيبت رسول الله لحله وإحرامه . ورواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن سالم عن عائشة فذكره وفى الصحيحين من حديث ابن جريج أخبرنى عمر بن عبد الله بن عروة أنه سمع عروة والقاسم يخبران عن عائشة ، أنها قالت:طيبت رسول الله بيدى بذريرة فى حجة الوداع للحل والإحرام . ورواه مسلم من حديث الضحاك بن عثمان عن أبى الرجال عن أمه عمرة عن عائشة به ، وقال سفيان الثورى عن سلمة بن كهيل عن الحسن العوفى عن ابن عباس أنه قال : إذا رميتم الجمرة فقد حللتم من كل شىء كان عليكم حراماً إلا النساء حتى تطوفوا بالبيت ، فقال رجل والطيب يا أبا العباس ؟ فقال له : إنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضمخ رأسه بالمسك أفطيب هو أم لا ؟ وقال محمد بن إسحاق حدثنى أبو عبيدة عن عبد الله بن زمعة عن أبيه وأمه زينب بنت أم سلمة عن أم سلمة قالت : كانت الليلة التى يدور فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة النحر فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندى فدخل وهب بن زمعة ورجل من آل أبى أمية متقمصين ، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفضتما ؟ قالا لا ، قال : فانزعا قميصيكما فنزعاهما فقال له وهب : ولم يا رسول الله ؟ فقال : هذا يوم أرخص لكم فيه إذا رميتم الجمرة ونحرتم هديا إن كان لكم فقد حللتم من كل شىء حرمتم منه إلا النساء حتى تطوفوا بالبيت ، فإذا رميتم ولم تفيضوا صرتم حرما كما كنتم أول مرة حتى تطوفوا بالبيت وهكذا رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل ويحيى بن معين كلاهما عن ابن أبى عدى عن ابن إسحاق فذكره ، وأخرجه البيهقى عن الحاكم عن أبى بكر بن أبى اسحاق عن أبى المثنى العنبرى عن يحيى بن معين وزاد فى آخره : قال أبو عبيدة وحدثتنى أم قيس بنت محصن قالت : خرج من عندى عكاشة بن محصن فى نفر من بنى أسد متقمصين عشية يوم النحر ثم رجعوا إلينا عشياً وقمصهم على أيديهم يحملونها فسألتهم فأخبروها بمثل ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوهب ابن زمعة وصاحبه ، وهذا الحديث غريب جداً لا أعلم أحداً من العلماء قال به .

﴿ ذكر إفاضته عليه الصلاة والسلام إلى البيت العتيق ﴾

قال جابر : ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأفاض إلى البيت فصلى بمكة الظهر فأتى بنى عبد المطلب وهم يسقون على زمزم ، فقال : انزعوا بنى عبد المطلب فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم ، فناولوه دلواً فشرب منه ، رواه مسلم ففى هذا السياق ما يدل على أنه عليه الصلاة والسلام ركب إلى مكة قبل الزوال فطاف بالبيت ثم لما فرغ صلى الظهر هنالك . وقال مسلم أيضاً أخبرنا محمد بن رافع أنبأنا عبد الرزاق أنبأنا عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفاض يوم النحر ثم رجع فصلى الظهر بمنى ، وهذا خلاف حديث جابر وكلاهما عند مسلم ، فإن عللنا بهما أمكن أن يقال إنه عليه السلام صلى الظهر بمكة ثم رجع إلى منى فوجد الناس ينتظرونه فصلى بهم والله أعلم ، ورجوعه عليه السلام إلى منى فى وقت الظهر ممكن لأن ذلك الوقت كان صيفاً والنهار طويل ، وإن كان قد صدر منه عليه السلام أفعال كثيرة فى صدر هذا النهار فإنه دفع فيه من المزدلفة بعد ما أسفر الفجر جداً ولكنه قبل طلوع الشمس ، ثم قدم منى فبدأ برمى جمرة العقبة بسبع حصيات ، ثم جاء فنحر بيده ثلاثاً وستين بدنة ونحر على بقية المائة ، ثم أخذت من كل بدنة بعضة ووضعت فى قدر وطبخت حتى نضجت ، فأكل من ذلك اللحم وشرب من ذلك المرق ، وفى غبون[١] ذلك حلق رأسه عليه السلام وتطيب ، فلما فرغ من هذا كله ركب إلى البيت ، وقد خطب عليه السلام فى هذا اليوم خطبة عظيمة ، ولست أدرى أكانت قبل ذهابه إلى البيت أم بعد رجوعه منه إلى منى فالله أعلم . والقصد أنه ركب إلى البيت فطاف به سبعة أطواف راكباً ولم يطف بين الصفا والمروة كما ثبت فى صحيح مسلم عن جابر وعائشة رضى الله عنهما ، ثم شرب من ماء زمزم ومن نبيذ تمر من ماء زمزم ، فهذا كله مما يقوى قول من قال : إنه عليه السلام صلى الظهر بمكة كما رواه جابر ، ويحتمل أنه رجع إلى منى فى آخر وقت الظهر فصلى بأصحابه بمنى الظهر أيضاً ، وهذا هو الذى أشكل على ابن حزم فلم يدر ما يقول فيه ، وهو معذور لتعارض الروايات الصحيحة فيه ، والله أعلم .

وقال أبو داود ثنا على بن بحر وعبد الله بن سعيد المعنى قالا : ثنا أبو خالد الأحمر عن محمد بن إسحاق عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة قالت : أفاض رسول الله صلى الله عليه وسلم من آخر يومه حين صلى الظهر ثم رجع إلى منى فمكث بها ليالى أيام التشريق يرمى الجمرة إذا زالت الشمس كل جمرة بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة ، قال ابن حزم : فهذا جابر وعائشة قد اتفقا على أنه عليه السلام صلى الظهر يوم النحر بمكة وهما والله أعلم أضبط لذلك من ابن عمر

---

(١) كذا فى الأصلين ولعله تصحيف « غضون ذلك » أى فى أثناء ذلك .

كذا قال وليس بشيء فإن رواية عائشة هذه ليست ناصة أنه عليه الصلاة والسلام صلى الظهر بمكة ، بل محتملة إن كان المحفوظ فى الرواية حتى صلى الظهر ، وإن كانت الرواية حين صلى الظهر وهو الأشبه ؛ فإن ذلك دليل على أنه عليه الصلاة والسلام صلى الظهر بمنى قبل أن يذهب إلى البيت وهو محتمل ، والله سبحانه وتعالى أعلم ، وعلى هذا فيبقى مخالفاً لحديث جابر ، فإن هذا يقتضى أنه عليه الصلاة والسلام صلى الظهر بمنى قبل أن يركب إلى البيت ، وحديث جابر يقتضى أنه ركب إلى البيت قبل أن يصلى الظهر وصلاها بمكة . وقد قال البخارى : وقال أبو الزبير عن عائشة وابن عباس : أخر النبى صلى الله عليه وسلم — يعنى طواف الزيارة إلى الليل — وهذا والذى علقه البخارى فقد رواه الناس من حديث يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدى وفرج بن ميمون عن سفيان الثورى عن أبى الزبير عن عائشة وابن عباس : أن النبى صلى الله عليه وسلم أخر الطواف يوم النحر إلى الليل . ورواه أهل السنن الأربعة من حديث سفيان به . وقال الترمذى: حسن . وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا سفيان عن أبى الزبير عن عائشة وابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم زار ليلا ؛ فإن حمل هذا على أنه أخر ذلك إلى ما بعد الزوال كأنه يقول إلى العشى صح ذلك . وأما إن حمل على ما بعد الغروب فهو بعيد جداً ومخالف لما ثبت فى الأحاديث الصحيحة المشهورة من أنه عليه الصلاة والسلام طاف يوم النحر نهاراً ، وشرب من سقاية زمزم ، وأما الطواف الذى ذهب فى الليل إلى البيت بسببه فهو طواف الوداع . ومن الرواة من يعبر عنه بطواف الزيارة كما سنذكره إن شاء الله ، أو طواف زيارة محضة قبل طواف الوداع وبعد طواف الصدر الذى هو طواف الفرض . وقد ورد حديث سنذكره فى موضعه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزور البيت كل ليلة من ليالى منى ، وهذا بعيد أيضاً ، والله أعلم . وقد روى الحافظ البيهقى من حديث عمرو بن قيس عن عبد الرحمن عن القاسم عن أبيه عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لأصحابه فزاروا البيت يوم النحر ظهيرة ، وزار رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نسائه ليلا ، وهذا حديث غريب جداً أيضاً . وهذا قول طاوس وعروة بن الزبير : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخر الطواف يوم النحر إلى الليل . والصحيح من الروايات وعليه الجمهور : أنه عليه الصلاة والسلام طاف يوم النحر بالنهار ، والأشبه أنه كان قبل الزوال ويحتمل أن يكون بعده ، والله أعلم .

والمقصود أنه عليه الصلاة والسلام لما قدم مكة طاف بالبيت سبعا وهو راكب ، ثم جاء زمزم وبنو عبد المطلب يستقون منها ويسقون الناس ، فتناول منها دلواً فشرب منه وأفرغ عليه منه ، كما قال مسلم : أخبرنا محمد بن منهال الضرير حدثنا يزيد بن زريع حدثنا حميد الطويل عن بكر بن عبد الله المزنى سمع ابن عباس يقول وهو جالس معه عند الكعبة : قدم النبى صلى الله عليه وسلم على راحلته وخلفه أسامة فأتيناه بإناء فيه نبيذ فشرب وسقى فضله أسامة وقال : أحسنتم وأجملتم هكذا فاصنعوا . قال ابن عباس : فنحن لا نريد أن نغير ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفى رواية عن بكر أن أعرابيـا قال لابن عباس : مالى أرى بنى عمكم يسقون اللبن والعسل وأنتم تسقون النبيذ ، أمن حاجة بكم أم من بخل ؟ فذكر له ابن عباس هذا الحديث . وقال أحمد : حدثنا روح حدثنا حماد عن حميد عن بكر عن عبد الله أن أعرابيا قال لابن عباس : ما شأن آل معاوية يسقون المـاء والعسل ، وآل فلان يسقون اللبن ، وأنتم تسقون النبيذ ، أمن بخل بكم أم حاجة ؟ فقال ابن عباس : مابنا بخل ولا حاجة ، ولـكن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءنا ورديفه أسامة بن زيد فاستسقى فسقيناه من هذا — يعنى نبيذ السقاية — فشرب منه وقال: أحسنتم هكذا فاصنعوا . ورواه أحمد عن روح ومحمد بن بكر عن ابن جريج عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، وداود بن على بن عبد الله بن عباس عن ابن عباس ، فذكره . وروى البخارى عن إسحاق بن سليمان عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء إلى السقاية فاستسقى ، فقال العباس : يا فضل اذهب إلى أمك فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراب من عندها ، فقال : اسقنى ! فقال : يا رسول الله إنهم يجعلون أيديهم فيه ، قال : اسقنى ! فشرب منه ، ثم أتى زمزم وهم يسقون ويعملون فيها ، فقال : اعملوا فإنكم على عمل صالح ، ثم قال : لولا أن تغلبوا لنزعت حتى أضع الحبل على هذه ـ يعنى عاتقه ـ وأشار إلى عاتقه . وعنده من حديث عاصم عن الشعبى أن ابن عباس قال : سقيت النبى صلى الله عليه وسلم من زمزم فشرب وهو قائم . قال عاصم : فحلف عكرمة ـ ما كان يومئذ إلا على بعير . وفى رواية : ناقته . وقال الإمام أحمد : حدثنا هشيم حدثنا يزيد بن أبى زياد عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت وهو على بعير ، واستلم الحجر بمحجن كان معه . قال : وأتى السقاية فقال : اسقونى ! فقالوا : إن هذا يخوضه الناس ولـكنا نأتيك به من البيت ، فقال : لا حاجة لى فيه ، اسقونى مما يشرب الناس . وقد روى أبو داود عن مسدد عن خالد الطحان عن يزيد بن أبى زياد عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ونحن نستقى فطاف على راحلته ، الحديث . وقال الإمام أحمد : حدثنا روح وعفان قالا : حدثنا حماد عن قيس ، وقال عفان فى حديثه : أنبأنا قيس عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال: جاء النبى صلى الله عليه وسلم إلى زمزم فنزعنا له دلواً فشرب ، ثم مج فيها ثم أفرغنـاها فى زمزم ثم قال : لولا أن تغلبوا عليها لنزعت بيدى ـ انفرد به أحمد وإسناده على شرط مسلم .

﴿ فصل ﴾

ثم إنه صلى الله عليه وسلم لم يعد الطواف بين الصفا والمروة مرة ثانية ، بل اكتفى بطوافه الأول ، كما روى مسلم فى صحيحه من طريق ابن جريج أخبرنى أبو الزبير سمعت جابر بن عبد الله يقول : لم يطف النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه بين الصفا والمروة إلا طوافاً واحداً . قلت : والمراد بأصحابه هاهنا الذين ساقوا الهدى وكانوا قارنين ، كما ثبت فى صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال لعائشة — وكانت أدخلت الحج على العمرة فصارت قارنة — : يكفيك طوافك بالبيت وبين الصفا والمروة لحجك وعمرتك وعند أصحاب الإمام أحمد أن قول جابر وأصحابه عام فى القارنين والمتمتعين . ولهذا نص الإمام أحمد على أن المتمتع يكفيه طواف واحد عن حجه وعمرته وإن تحلل بينهما تحللا ، وهو قول غريب مأخذه ظاهر عموم الحديث ، والله أعلم . وقال أصحاب أبى حنيفة فى المتمتع كما قال المالكية والشافعية : أنه يجب عليه طوافان وسعيان حتى طردت الحنفية ذلك فى القارن وهو من أفراد مذهبهم أنه يطوف طوافين ويسعى سعيين ونقلوا ذلك عن علىّ موقوفاً . وروى عنه مرفوعاً إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد قدمنا الكلام على ذلك كله عند الطواف وبينا أن أسانيد ذلك ضعيفة مخالفة للأحاديث الصحيحة ، والله أعلم .

﴿ فصل ﴾

ثم رجع عليه الصلاة والسلام إلى منى بعد ما صلى الظهر بمكة كما دل عليه حديث جابر ، وقال ابن عمر : رجع فصلى الظهر بمنى ، رواهما مسلم كما تقدم قريباً ، ويمكن الجمع بينهما بوقوع ذلك بمكة وبمنى ، والله أعلم . وتوقف ابن حزم فى هذا المقام فلم يجزم فيه بشىء ، وهو معذور لتعارض النقلين الصحيحين فيه ، فالله أعلم . وقال محمد بن إسحاق عن عبدالرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة قالت : أفاض رسول الله صلى الله عليه وسلم من آخر يومه حين صلى الظهر ثم رجع إلى منى ، فمكث بها ليالى أيام التشريق يرمى الجمرات إذا زالت الشمس كل جمرة بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة . ورواه أبو داود منفرداً به ، وهذا يدل على أن ذهابه عليه الصلاة والسلام إلى مكة يوم النحر كان بعد الزوال ، وهذا ينافى حديث ابن عمر قطعا ، وفى منافاته لحديث جابر نظر ، والله أعلم .

﴿ فصل ﴾

وقد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا اليوم الشريف خطبة عظيمة تواترت بها الأحاديث ، ونحن نذكر منها ما يسره الله عز وجل . قال البخارى : باب الخطبة أيام منى : حدثنا علىّ بن عبد الله حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا فضيل بن غزوان حدثنا عكرمة عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم النحر ، فقال : يا أيها الناس أى يوم هذا ؟ قالوا : يوم حرام ، قال : فأى بلد هذا ؟ قالوا : بلد حرام ، قال : فأى شهر هذا ؟ قالوا : شهر حرام ، قال : فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا . قال : فأعادها مراراً ثم رفع رأسه فقال : اللهم هل بلغت اللهم قد بلغت قال ابن عباس : فوالذى نفسى بيده إنها لوصيته إلى أمته — فليبلغ الشاهد الغائب لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض . ورواه الترمذى عن الفلاس عن يحيى القطان به ، وقال : حسن صحيح . وقال البخارى أيضاً : حدثنا عبد الله بن محمد ثنا أبو عامر ثنا قرة عن محمد بن سيرين

أخبرنى عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه ورجل أفضل فى نفسى من عبد الرحمن حميد بن عبد الرحمن عن أبى بكرة رضى الله عنه . قال خطبنا النبى صلى الله عليه وسلم يوم النحر فقال : أتدرون أى يوم هذا ؟ قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه . قال : أليس هذا يوم النحر ؟ قلنا بلى ! قال : أى شهر هذا ؟ قلنا الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : أليس ذا الحجة ؟ قلنا بلى ! قال : أى بلد هذا ؟ قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : أليس بالبلد الحرام ؟ قلنا بلى ! قال : فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم ، ألا هل بلغت قالوا نعم ! قال : اللهم اشهد فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع فلا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، ورواه البخارى ومسلم من طرق عن محمد بن سيرين به ، ورواه مسلم من حديث عبد الله بن عون عن ابن سيرين عن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه فذكره ، وزاد فى آخره ثم انكفأ إلى كبشين أملحين فذبحهما وإلى جذيعة من الغنم فقسمها بيننا ، وقال الإمام أحمد ثنا إسماعيل أنبأنا أيوب عن محمد بن سيرين عن أبى بكرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فى حجته فقال : ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ؟ ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان ، ثم قال : ألا أى يوم هذا ؟! قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : أليس يوم النحر ؟ قلنا بلى ! ثم قال أى شهر هذا ؟ قلنا الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه . قال : أليس ذا الحجة ؟ قلنا بلى ! ثم قال أى بلد هذا ؟ قلنا الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : أليست البلدة [الحرام] قلنا بلى ! قال : فإن دماءكم وأموالكم ـ لأحسبه قال وأعراضكم ـ عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا لا ترجعوا بعدى ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض ، ألا هل بلغت ؟ ألا ليبلغ الشاهد الغائب فلعل من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه ، هكذا وقع فى مسند الإمام أحمد عن محمد بن سيرين عن أبى بكرة . وهكذا رواه أبو داود عن مسدد ، والنسائى عن عمرو بن زرارة كلاهما عن إسماعيل ـ وهو ابن علية ـ عن أيوب عن ابن سيرين عن أبى بكرة به ، وهو منقطع لأن صاحبا الصحيح أخرجاه من غير وجه عن أيوب وغيره عن محمد بن سيرين عن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه به ، وقال البخارى أيضا ثنا محمد بن المثنى ثنا يزيد ابن هارون أنبأنا عاصم بن محمد بن زيد عن أبيه عن ابن عمر ، قال قال النبى صلى الله عليه وسلم بمنى : أتدرون أى يوم هذا ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، قال : فإن هذا يوم حرام ، أفتدرون أى بلد هذا ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، قال : بلد حرام قال : أفتدرون أى شهر هذا ؟ قالوا الله

ورسوله أعلم . قال : شهر حرام ، قال : فإن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا . وقد أخرجه البخارى فى أماكن متفرقة من صحيحه وبقية الجماعة إلا الترمذى من طرق عن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر عن جده عبد الله بن عمر فذكره ، قال البخارى : وقال هشام بن الغاز أخبرنى نافع عن ابن عمر [قال] وقف النبى صلى الله عليه وسلم يوم النحر بين الجمرات فى الحجة التى حج بهذا ، وقال هذا يوم الحج الأكبر فطفق النبى صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم اشهد وودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع ، وقد أسند هذا الحديث أبو داود عن مؤمل بن الفضل عن الوليد بن مسلم ، وأخرجه ابن ماجه عن هشام بن عمار عن صدقة بن خالد كلاهما عن هشام بن الغاز بن ربيعة الجرشى أبى العباس الدمشقى به[1] ، وقيامه عليه السلام بهذه الخطبة عند الجمرات يحتمل أنه بعد رميه الجمرة يوم النحر وقبل طوافه ، ويحتمل أنه بعد طوافه ورجوعه إلى منى ورميه بالجمرات لكن يقوى الأول ما رواه النسائى حيث قال : حدثنا عمرو بن هشام الحرانى ثنا محمد بن سلمة عن أبى عبد الرحيم عن زيد بن أبى أنيسة عن يحيى بن حصين الأحمسى عن جدته أم حصين قالت : حججت فى حجة النبى صلى الله عليه وسلم فرأيت بلالا آخذاً بقود راحلته وأسامة بن زيد رافع عليه ثوبه يظله من الحر وهو محرم حتى رمى جمرة العقبة ، ثم خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وذكر قولا كثيراً ، وقد رواه مسلم من حديث زيد بن أبى أنيسة عن يحيى بن الحصين عن جدته أم الحصين قالت حججت مع رسول الله حجة الوداع فرأيت أسامة وبلالا أحدهما آخذ بخطام ناقة رسول الله والآخر رافع ثوبه يستره من الحر حتى رمى جمرة العقبة ، قالت : فقال رسول الله قولا كثيراً ، ثم سمعته يقول : إن أمر عليكم عبد مجدع – حسبتها قالت أسود – يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا ، وقال الإمام أحمد ثنا محمد بن عبيد الله ثنا الأعمش عن أبى صالح – وهو – ذكوان السمان – عن جابر ، قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر فقال : أى يوم أعظم حرمة ؟ قالوا يومنا هذا ، قال : أى شهر أعظم حرمة ؟ قالوا شهرنا هذا ، قال : أى بلد أعظم حرمة ؟ قالوا بلدنا هذا . قال : فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا هل بلغت قالوا نعم ، قال اللهم اشهد ، انفرد به أحمد من هذا الوجه وهو على شرط الصحيحين ، ورواه أبو بكر بن أبى شيبة عن أبى معاوية عن الأعمش به ، وقد تقدم حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر فى خطبته عليه السلام يوم عرفة فالله أعلم ، قال الإمام أحمد : ثنا على بن بحر ثنا عيسى بن يونس عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد الخدرى . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع ، فذكر معناه ، وقد رواه ابن ماجه عن هشام بن عمار عن عيسى بن يونس به ، وإسناده على شرط الصحيحين فالله أعلم . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا أبو هشام

(١) فى الخلاصة : أبى عبد الله الدمشقى .

ثنا حفص عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة وأبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال : أي يوم هذا ؟ قالوا : يوم حرام ، قال : فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ثم قال البزار رواه أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة وأبي سعيد ، وجمعهما لنا أبو هشام عن حفص بن غياث عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة وأبي سعيد . قلت : وتقدم رواية أحمد له عن محمد بن عبيد الطنافسي عن الأعمش عن أبي صالح عن جابر بن عبد الله فلعله عند أبي صالح عن الثلاثة ، والله أعلم .

وقال هلال بن يساف عن سلمة بن قيس الأشجعي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع : إنما هن أربع ، لا تشركوا بالله شيئاً ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا تزنوا ولا تسرقوا ، قال : فما أنا بأشح عليهن مني حين سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رواه أحمد والنسائي من حديث منصور عن هلال بن يساف ، وكذلك رواه سفيان ابن عيينة والثوري عن منصور . وقال ابن حزم في حجة الوداع : حدثنا أحمد بن عمر بن أنس العذري ثنا أبو ذر عبد الله بن أحمد الهروي الأنصاري ثنا أحمد بن عبدان الحافظ بالأهواز ثنا سهل بن موسى بن شيرزاد ثنا موسى بن عمرو بن عاصم ثنا أبو العوام ثنا محمد بن جحادة عن زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك قال : شهدت رسول الله في حجة الوداع وهو يخطب ، وهو يقول : أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك ، قال : فجاء قوم فقالوا : يا رسول الله قتلنا بنو يربوع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تجني نفس على أخرى ، ثم سأله رجل نسي أن يرمي الجمار ، فقال : ارم ولا حرج ، ثم أتاه آخر فقال : نسيت الطواف ، فقال : طف ولا حرج ، ثم أتاه آخر حلق قبل أن يذبح ، قال : اذبح ولا حرج ، فما سألوه يومئذ عن شيء إلا قال : لا حرج ، لا حرج ، ثم قال : قد أذهب الله الحرج إلا رجلا اقترض امرأ مسلما فذلك الذي حرج وهلك ؛ وقال : ما أنزل الله داء إلا أنزل له دواء إلا الهرم . وقد روى الإمام أحمد وأهل السنن بعض هذا السياق من هذه الطريق ، وقال الترمذي : حسن صحيح . وقال الإمام أحمد ثنا حجاج حدثني شعبة عن علي بن مدرك سمعت أبا زرعة يحدث عن جرير وهو جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع : يا جرير استنصت الناس ، ثم قال في خطبته : لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، ثم رواه أحمد عن غندر وعن ابن مهدي كل منهما عن شعبة به ، وأخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة به وقال أحمد ثنا ابن نمير ثنا اسمعيل عن قيس ، قال : بلغنا أن جريراً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : استنصت الناس ، ثم قال عند ذلك : لا أعرفن بعد ما أرى ترجعون كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ورواه النسائي من حديث عبد الله بن نمير به ، وقال النسائي ثنا هناد بن السري عن أبي الأحوص عن ابن غرقدة عن سليمان بن عمرو عن أبيه ، قال ، شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة

الوداع يقول : أيها الناس ثلاث مرات أى يوم هذا ؟ قالوا : يوم الحج الأكبر ، قال : فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا ، ولا يجنى جان على والده ، ألا إن الشيطان قد يئس أن يعبد فى بلدكم هذا ولكن سيكون له طاعة فى بعض ماتحقرون من أعمالكم فيرضى ، ألا وإن كل ربا من ربا الجاهلية يوضع لكم رءوس أموالكم لاتظلمون ولا تظلمون ، وذكر تمام الحديث . وقال أبو داود : باب من قال يخطب يوم النحر ، حدثنا هارون بن عبد الله ثنا هشام بن عبد الملك ثنا عكرمة ــ هو ابن عمار ــ ثنا الهرماس بن زياد الباهلى قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس على ناقته العضباء يوم الأضحى بمنى . ورواه أحمد والنسائى من غير وجه عن عكرمة بن عمار عن الهرماس قال : كان أبى مردفى ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس بمنى يوم النحر على ناقته العضباء ، لفظ أحمد وهو من ثلاثيات المسند ولله الحمد . ثم قال أبو داود ثنا مؤمل بن الفضل الحرانى ثنا الوليد ثنا ابن جابر ثنا سليم بن عامر الكلاعى سمعت أبا أمامة يقول : سمعت خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى يوم النحر ؛ وقال الإمام أحمد ثنا عبد الرحمن عن معاوية بن صالح عن سليم بن عامر الكلاعى سمعت أبا أمامة يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ على الجدعاء واضع رجليه فى الغرز يتطاول ليسمع الناس ، فقال بأعلا صوته : ألا تسمعون ؟ فقال رجل من طوائف الناس يا رسول الله ماذا تعهد إلينا ؟ فقال : اعبدوا ربكم وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأطيعوا إذا أمرتم تدخلوا جنة ربكم ، فقلت : يا أبا أمامة مثل من أنت يومئذ ، قال : أنا يومئذ ابن ثلاثين سنة أزاحم البعير أزحزحه قدما لرسول الله صلى الله عليه وسلم . ورواه أحمد أيضا عن زيد بن الحباب عن معاوية بن صالح وأخرجه الترمذى عن موسى بن عبد الرحمن الكوفى عن زيد بن الحباب وقال حسن صحيح . قال الإمام أحمد ثنا أبو المغيرة ثنا اسماعيل بن عياش ثنا شرحبيل بن مسلم الخولانى سمعت أبا أمامة الباهلى يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى خطبته عام حجة الوداع : إن الله قد أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث ، والولد للفراش وللعاهر الحجر وحسابهم على الله ، ومن ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله التابعة إلى يوم القيامة ، لاتنفق امرأة من بيتها إلا بإذن زوجها ، فقيل : يا رسول الله ولا الطعام ؟ قال ذاك أفضل أموالنا ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : العارية مؤداة والمنحة مردودة والدين مقضى والزعيم غارم . ورواه أهل السنن الأربعة من حديث اسماعيل بن عياش وقال الترمذى حسن . ثم قال أبو داود رحمه الله : باب متى يخطب يوم النحر ، حدثنا عبد الوهاب بن عبد الرحيم الدمشقى ثنا مروان عن هلال بن عامر المزنى حدثنى رافع بن عمرو المزنى ، قال : رأيت رسول الله يخطب الناس بمنى حين ارتفع الضحى على بغلة شهباء وعلىّ يعبر عنه والناس بين قائم وقاعد ، ورواه النسائى عن دحيم عن مروان الفزارى به . وقال الإمام أحمد ثنا أبو معاوية ثنا هلال بن عامر

المزنى عن أبيه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس بمنى على بغلة وعليه بُرْد أحمر ، قال : ورجل من أهل بدر بين يديه يعبِّر عنه ، قال : فجئت حتى أدخلت يدى بين قدمه وشراكه ، قال : فجعلت أعجب من بردها .

حدثنا محمد بن عبيد ثنا شيخ من بنى فزارة عن هلال بن عامر المزنى عن أبيه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له شهباء وعلىّ يعبر عنه . ورواه أبو داود من حديث أبى معاوية عن هلال بن عامر ، ثم قال أبو داود : باب ما يذكر الإمام فى خطبته بمنى ، حدثنا مسدد ثنا عبد الوارث عن حميد الأعرج عن محمد بن ابراهيم التيمى عن عبد الرحمن بن معاذ التيمى ، قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بمنى ففتحت أسماعنا حتى كنا نسمع ما يقول ونحن فى منازلنا ، فطفق يعلمهم مناسكهم حتى بلغ الجمار فوضع السبابتين ثم قال : بحصى الخذف ، ثم أمر المهاجرين فنزلوا فى مقدم المسجد وأمر الأنصار منزلوا من وراء المسجد ثم نزل الناس بعد ذلك ، وقد رواه أحمد عن عبد الصمد بن عبد الوارث عن أبيه وأخرجه النسائى من حديث ابن المبارك عن عبد الوارث كذلك وتقدم رواية أحمد له عن عبد الرزاق عن معمر عن محمد بن ابراهيم التيمى عن عبد الرحمن بن معاذ عن رجل من الصحابة فالله أعلم وثبت فى الصحيحين من حديث ابن جريج عن الزهرى عن عيسى بن طلحة عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا هو يخطب يوم النحر فقام إليه رجل فقال : كنت أحسب أن كذا وكذا قبل كذا وكذا ، ثم قام آخر فقال : كنت أحسب أن كذا وكذا قبل كذا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : افعل ولا حرج ، وأخرجاه من حديث مالك ؛ زاد مسلم ويونس عن الزهرى به ، وله ألفاظ كثيرة ليس هذا موضع استقصائها ، ومحله كتاب الأحكام وبالله المستعان . وفى لفظ الصحيحين : قال فما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك اليوم عن شىء قدم ولا أخر إلا قال : « افعل ولا حَرَج » .

﴿ فصل ﴾

ثم نزل عليه السلام بمنى حيث المسجد اليوم فيما يقال ، وأنزل المهاجرين بمنته والأنصار بيسرته والناس حولهم من بعدهم ؛ وقال الحافظ البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا على بن محمد بن عقبة الشيبانى بالكوفة ثنا إبراهيم بن إسحاق الزهرى ثنا عبيد الله بن موسى أنبأنا إسرائيل عن إبراهيم ابن مهاجر عن يوسف بن ماهك عن أم مسيكة عن عائشة قالت : قيل يا رسول الله ألا نبنى لك بمنى بناء يظلك ؟ قال : لا ، منى مناخ من سبق . وهذا إسناد لا بأس به وليس هو فى المسند ولا فى الكتب الستة من هذا الوجه . وقال أبو داود ثنا أبو بكر محمد بن خلاد الباهلى ثنا يحيى عن ابن جريج حدثنى حريز أو أبو حريز الشك من يحيى أنه سمع عبد الرحمن بن فروخ يسأل ابن عمر قال إنا نتبايع بأموال الناس فيأتى أحدنا مكة فيبيت على المال فقال : أما رسول الله صلى الله عليه وسلم

فبات بمنى وظل ؛ انفرد به أبو داود ، ثم قال أبو داود ثنا عثمان بن أبى شيبه ثنا ابن نمير وأبو أسامة عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال : استأذن العباس رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيت بمكة ليالى منى من أجل سقايته فأذن له ، وهكذا رواه البخارى ومسلم من حديث عبد الله بن نمير زاد البخارى وأبى ضمرة أنس بن عياض زاد مسلم وأبى أسامة حماد بن أسامة ، وقد علقه البخارى عن أبى أسامة وعقبة بن خالد كلهم عن عبيد الله بن عمر به . وقد كان صلى الله عليه وسلم يصلى بأصحابه بمنى ركعتين كما ثبت عنه ذلك فى الصحيحين من حديث ابن مسعود وحارثة بن وهب رضى الله عنهما ، ولهذا ذهب طائفة من العلماء إلى أن سبب هذا القصر النسك كما هو قول طائفة من المالكية وغيرهم ، قالوا : ومن قال إنه عليه الصلاة والسلام كان يقول بمنى لأهل مكة « أتموا فإنا قوم سفر » فقد غلط ، إنما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو نازل بالأبطح كما تقدم ، والله أعلم .

وكان صلى الله عليه وسلم يرمى الجمرات الثلاث فى كل يوم من أيام منى بعد الزوال كما قال جابر فيما تقدم ماشياً كما قال ابن عمر فيما سلف كل جمرة بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة ، ويقف عند الأولى وعند الثانية يدعو الله عز وجل ولا يقف عند الثالثة ، قال أبو داود ثنا على ابن بحر وعبد الله بن سعيد المعنى قالا ثنا أبو خالد الأحمر عن محمد بن إسحاق عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة قالت : أفاض رسول الله صلى الله عليه وسلم من آخر يومه حين صلى الظهر ثم رجع إلى منى فمكث بها [ليالى] أيام التشريق يرمى الجمرة إذا زالت الشمس كل جمرة بسبع حصيات ويكبر مع كل حصاة ، ويقف عند الأولى والثانية فيطيل المقام ويتضرع ويرمى الثالثة لا يقف عندها ، انفرد به أبو داود ؛ وروى البخارى من غير وجه عن يونس بن يزيد عن الزهرى عن سالم عن ابن عمر أنه كان يرمى الجمرة الدنيا بسبع حصيات يكبر على إثر كل حصاة ثم يتقدم ثم يسهل فيقوم مستقبل القبلة طويلا ويدعو ويرفع يديه ثم يرمى الوسطى ثم يأخذ ذات الشمال فيسهل فيقوم مستقبل القبلة ويدعو ويرجع يديه ويقوم طويلا ثم يرمى جمرة ذات العقبة من بطن الوادى ولا يقف عندها ثم ينصرف فيقول : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله ؛ وقال وبرة بن عبد الرحمن قام ابن عمر عند العقبة بقدر قراءة سورة البقرة ؛ وقال أبو مجلز حزرت قيامه بقدر قراءة سورة يوسف ذكرهما البيهقى ؛ وقال الإمام أحمد حدثنا سفيان ابن عيينة عن عبد الله بن أبى بكر عن أبيه عن أبى القداح عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص للرعاء أن يرموا يوماً ويدعو يوماً ، وقال أحمد ثنا محمد بن أبى بكر وأنبأنا روح ثنا ابن جريج أخبرنى محمد بن أبى بكر بن محمد بن عمرو عن أبيه عن أبى القداح بن عاصم بن عدى عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرخص للرعاء أن يتعاقبوا فيرموا يوم النحر ثم يدعو يوماً وليلة ثم يرموا الغد .

وقال الإمام أحمد ثنا عبد الرحمن ثنا مالك عن عبد الله بن بكر عن أبيه عن أبى القداح ابن عاصم بن عدى عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرخص لرعاء الإبل فى البيتوتة بمنى حتى يرموا يوم النحر ثم يرمون يوم النحر ثم يرمون الغد أو من بعد الغد ليومين ثم يرمون يوم النفر، وكذا رواه عن عبد الرزاق عن مالك بنحوه، وقد رواه أهل السنن الأربعة من حديث مالك ومن حديث سفيان بن عيينة به، قال الترمذى ورواية مالك أصح وهو حديث حسن صحيح .

فصل

فيما ورد من الأحاديث الدالة على أنه عليه السلام خطب الناس بمنى فى اليوم الثانى من أيام التشريق وهو أوسطها . قال أبو داود : باب أى يوم يخطب : حدثنا محمد بن العلاء أنبأنا ابن المبارك عن ابراهيم بن نافع عن ابن أبى نجيح عن أبيه عن رجلين من بنى بكر قالا : رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب بين أوسط أيام التشريق ونحن عند راحلته وهى خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى خطب بمنى ، انفرد به أبو داود ، ثم قال أبو داود ثنا محمد بن بشار ثنا أبو عاصم ثنا ربيعة بن عبد الرحمن بن حصين حدثتنى جدتى سراء بنت نبهان ـ وكانت ربة بيت فى الجاهلية ـ قالت خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الرءوس فقال : أى يوم هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ! قال : أليس أوسط أيام التشريق ، انفرد به أبو داود ، قال أبو داود وكذلك قال عم أبى حرة الرقاشى أنه خطب أوسط أيام التشريق ، وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد متصلا مطولا فقال : ثنا عثمان ثنا حماد بن سلمة أنبأنا على بن زيد عن أبى حرة الرقاشى عن عمه قال : كنت آخذاً بزمام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أوسط أيام التشريق أذود عنه الناس ، فقال : يا أيها الناس أتدرون فى أى شهر أنتم وفى أى يوم أنتم وفى أى بلد أنتم ؟ قالوا : فى يوم حرام وشهر حرام وبلد حرام ، قال فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا إلى أن تلقوه ، ثم قال : اسمعوا منى تعيشوا ألا لا تظلموا ، ألا لا تظلموا ، ألا لا تظلموا ، إنه لا يحل مال امرىء مسلم إلا بطيب نفس منه ألا إن كل دم ومال ومأثرة كانت فى الجاهلية تحت قدمى هذه إلى يوم القيامة ، وإن أول دم يوضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب كان مسترضعاً فى بنى سعد فقتلته هذيل ، ألا إن كل ربا فى الجاهلية موضوع وإن الله قضى أن أول ربا يوضع ربا العباس بن عبد المطلب، لكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، ألا وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ثم قرأ (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم) ألا لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، ألا إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون ولكنه فى التحريش

بينكم ، واتقوا الله فى النساء فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً وإن لهن عليكم حقا ولكم عليهن حق أن لا يوطئن فرشكم أحداً غيركم ، ولا يأذن فى بيوتكم لأحد تكرهونه ، فإن خفتم نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح ، ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وإنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ألا ومن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، وبسط يده وقال : ألا هل بلغت ! ألا هل بلغت ! ثم قال : ليبلغ الشاهد الغائب فإنه رب مبلغ أسعد من سامع ، قال حميد : قال الحسن حين بلغ هذه الكلمة : قد والله بلغوا أقواما كانوا أسعد به .

وقد روى أبو داود فى كتاب النكاح من سننه عن موسى بن اسماعيل عن حماد بن سلمة عن على بن زيد بن جدعان عن أبى حرة الرقاشى — واسمه حنيفة — عن عمه ببعضه فى النشوز ، قال ابن حزم : فجاء أنه خطب يوم الرؤوس وهو اليوم الثانى من يوم النحر بلا خلاف عن أهل مكة ، وجاء أنه أوسط أيام التشريق فتحمل على أن أوسط بمعنى أشرف كما قال تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) وهذا المسلك الذى سلكه ابن حزم بعيد والله أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا الوليد بن عمرو بن مسكين ثنا أبو همام محمد بن الزبرقان ثنا موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار وصدقة بن يسار عن عبد الله بن عمر قال : نزلت هذه السورة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى وهو فى أوسط أيام التشريق فى حجة الوداع (إذا جاء نصر الله والفتح) فعرف أنه الوداع فأمر براحلته القصواء فرحلت له ثم ركب فوقف الناس بالعقبة فاجتمع إليه ما شاء الله من المسلمين ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد أيها الناس فإن كل دم كان فى الجاهلية فهو هدر ، وإن أول دمائكم أهدر دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعاً فى بنى ليث فقتلته هذيل ؛ وكل ربا فى الجاهلية فهو موضوع وإن أول رباكم أضع ربا العباس ابن عبد المطلب ، أيها الناس إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر منها أربعة حرم : رجب — مضر — الذى بين جمادى وشعبان وذو القعدة وذو الحجة والمحرم (ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم) الآية (إنما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله) كانوا يحلون صفراً عاما ويحرمون المحرم عاما ويحرمون صفر عاما ويحلون المحرم عاما فذلك النسىء . يا أيها الناس : من كان عنده وديعة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، أيها الناس : إن الشيطان قد يئس أن يعبد ببلادكم آخر الزمان وقد يرضى عنكم بمحقرات الأعمال فاحذروه على دينكم بمحقرات الأعمال ، أيها الناس : إن النساء عندكم عوان أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، لكم عليهن حق ، ولهن عليكم حق ، ومن حقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم ولا يعصينكم فى معروف ، فإن فعلن ذلك فليس لكم عليهن سبيل ، ولهن رزقهن

وكسوتهن بالمعروف ، فإن ضربتم فاضربوا ضرباً غير مبرح ، ولا يحل لامرىء من مال أخيه إلا ما طابت به نفسه ، أيها الناس: إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا كتاب الله فاعملوا به ، أيها الناس : أي يوم هذا ؟ قالوا : يوم حرام ، قال : فأي بلد هذا ؟ قالوا : بلد حرام ، قال: أي شهر هذا ؟ قالوا : شهر حرام ، قال فإن الله حرم دماءكم وأموالكم وأعراضكم كحرمة هذا اليوم في هذا البلد وهذا الشهر ، ألا ليبلغ شاهدكم غائبكم ، لا نبي بعدي ولا أمة بعدكم ، ثم رفع يديه فقال : اللهم اشهد .

﴿ ذكر إيراد حديث فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزور البيت ﴾
﴿ في كل ليلة من ليالي منى ﴾

قال البخاري يذكر عن أبي حسان عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزور البيت في أيام منى ، هكذا ذكره معلقاً بصيغة التمريض ، وقد قال الحافظ البيهقي أخبرناه أبو الحسن ابن عبدان أنبأنا أحمد بن عبيد الصفار ثنا العمري أنبأنا ابن عرعرة فقال : دفع إلينا معاذ بن هشام كتاباً قال سمعته من أبي ولم يقرأه ، قال : فكان فيه عن قتادة عن أبي حسان عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزور البيت كل ليلة ما دام بمنى . قال : وما رأيت أحداً واطأه عليه ، قال البيهقي : وروى الثوري في الجامع عن طاوس عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفيض كل ليلة — يعني من ليالي منى — وهذا مرسل .

﴿ فصل ﴾

اليوم السادس من ذي الحجة : قال بعضهم يقال له يوم الزينة لأنه يزين فيه البدن بالجلال وغيرها ، واليوم السابع يقال له يوم التروية لأنهم يتروون فيه من الماء ويحملون منه ما يحتاجون إليه حال الوقوف وما بعده ، واليوم الثامن يقال له يوم منى لأنهم يرحلون فيه عن الأبطح إلى منى ، واليوم التاسع يقال له يوم عرفة لوقوفهم فيه بها ، واليوم العاشر يقال له يوم النحر ويوم الأضحى ويوم الحج الأكبر ، واليوم الذي يليه يقال له يوم القر لأنهم يقرون فيه ، ويقال له يوم الرءوس لأنهم يأكلون فيه رءوس الأضاحي وهو أول أيام التشريق ، وثاني أيام التشريق يقال له يوم النفر الأول لجواز النفر فيه، وقيل هو اليوم الذي يقال له يوم الرءوس، واليوم الثالث من أيام التشريق يقال له يوم النفر الآخر ، قال الله تعالى : (فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه) الآية ، فلما كان يوم النفر الآخر وهو اليوم الثالث من أيام التشريق وكان يوم الثلاثاء ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ، فنفر بهم من منى فنزل المحصب وهو واد بين مكة ومنى فصلى به العصر .

كما قال البخاري حدثنا محمد بن المثنى ثنا إسحاق بن يوسف ثنا سفيان الثوري عن عبد العزيز

ابن رفيع ، قال : سألت أنس بن مالك : أخبرنى عن شيء عقلته[1] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أين صلى الظهر يوم التروية ؟ قال : بمنى ، قلت : فأين صلى العصر يوم النفر ؟ قال : بالأبطح ، افعل كما يفعل أمراؤك . وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم صلى الظهر يوم النفر بالأبطح وهو المحصب ، فالله أعلم . قال البخارى : حدثنا عبد المتعال بن طالب حدثنا ابن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث أن قتادة حدثه أن أنس بن مالك حدثه عن النبى صلى الله عليه وسلم : أنه صلى الظهر والعصر [والمغرب] والعشاء، ورقد رقدة فى المحصب، ثم ركب إلى البيت فطاف به قلت: يعنى طواف الوداع . وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب حدثنا خالد بن الحارث ، قال : سئل عبد الله عن المحصب فحدثنا عبيد الله عن نافع قال : نزل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر وابن عمر وعن نافع : أن ابن عمر كان يصلى بها - يعنى المحصب - والظهر والعصر أحسبه قال : والمغرب ، قال خالد : لا أشك فى العشاء ثم يهجع هجعة ، ويذكر ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم . وقال الإمام أحمد : حدثنا نوح بن ميمون أنبأنا عبد الله عن نافع عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وعثمان نزلوا المحصب هكذا رأيته فى مسند الإمام أحمد من حديث عبد الله العمرى عن نافع . وقد روى الترمذى هذا الحديث عن إسحاق بن منصور ، وأخرجه ابن ماجه عن محمد بن يحيى كلاهما عن عبد الرزاق عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وعثمان ينزلون الأبطح . قال الترمذى : وفى الباب عن عائشة وأبى رافع وابن عباس وحديث ابن عمر حسن غريب ، وإنما نعرفه من حديث عبد الرزاق عن عبيد الله بن عمر به . وقد رواه مسلم عن محمد بن مهران الرازى عن عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر كانوا ينزلون الأبطح . ورواه مسلم أيضاً من حديث صخر بن جويرية عن نافع عن ابن عمر : أنه كان ينزل المحصب[2]، وكان يصلى الظهر يوم النفر بالحصبة . قال نافع : قد حصب رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده . وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس حدثنا حماد - يعنى ابن سلمة - عن أيوب وحميد عن بكر بن عبد الله عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالبطحاء ثم هجع هجعة ، ثم دخل - يعنى مكة - فطاف بالبيت . ورواه أحمد أيضاً عن عفان عن حماد عن حميد عن بكر عن ابن عمر ، فذكره وزاد فى آخره : وكان ابن عمر يفعله . وكذلك رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل . وقال البخارى : حدثنا الحميدى حدثنا الوليد حدثنا الأوزاعى حدثنى الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد يوم النحر بمنى : نحن نازلون غداً بخيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر - يعنى بذلك المحصب - الحديث . ورواه مسلم عن زهير بن

---

(١) هذا عن التيمورية ، وفى الأصل : بشيء غفلته .

(٢) فى التيمورية : أنه كان يرى المحصب سنة .

حرب عن الوليد بن مسلم عن الأوزاعى فذكر مثله سواء . وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهرى عن علىّ بن الحسين عن عمرو بن عثمان عن أسامة بن زيد ، قال : قلت: يا رسول الله أين تنزل غداً ـ فى حجته ـ ؟ قال : وهل ترك لنا عقيل منزلا ؟ ثم قال : نحن نازلون غداً إن شاء الله بخيف بنى كنانة ـ يعنى المحصب ـ حيث قاسمت قريشاً على الكفر ، وذلك أن بنى كنانة حالفت قريشاً على بنى هاشم أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يؤوهم ـ يعنى حتى يسلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قال عند ذلك : « لا يرث المسلم الكافر ، ولا الكافر المسلم » . قال الزهرى : والخيف : الوادى ، أخرجاه من حديث عبد الرزاق ، وهذان الحديثان فيهما دلالة على أنه عليه الصلاة والسلام قصد النزول فى المحصب مراغمة لما كان تمالىء عليه كفار قريش لما كتبوا الصحيفة فى مصارمة بنى هاشم وبنى المطلب حتى يسلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قدمنا بيان ذلك فى موضعه . وكذلك نزله عام الفتح فعلى هذا يكون نزوله سنّة مرغباً فيها ، وهو أحد قولى العلماء . وقد قال البخارى : حدثنا أبو نعيم أنبأنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : إنما كان منزلا ينزله النبى صلى الله عليه وسلم ليكون أسمح لخروجه ـ يعنى الأبطح ـ وأخرجه مسلم من حديث هشام به . ورواه أبو داود عن أحمد بن حنبل عن يحيى بن سعيد عن هشام عن أبيه عن عائشة : إنما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم المحصّب ليكون أسمح لخروجه وليس بسنّة ، فمن شاء نزله ومن شاء لم ينزله . وقال البخارى : حدثنا علىّ بن عبد الله حدثنا سفيان ، قال : قال عمرو عن عطاء عن ابن عباس قال : ليس التحصيب بشىء إنما هو منزل نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم . ورواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة وغيره عن سفيان وهو ابن عيينة به . وقال أبو داود : حدثنا أحمد بن حنبل وعثمان بن أبى شيبة ومسدد المعنى ، قالوا : حدثنا سفيان حدثنا صالح بن كيسان عن سليمان بن يسار قال : قال أبو رافع : لم يأمرنى ـ يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أن أنزله ، ولكن ضربت[1] فيه فنزله . قال مسدد : وكان على ثقل النبى صلى الله عليه وسلم . وقال عثمان : يعنى فى الأبطح . ورواه مسلم عن قتيبة وأبى بكر وزهير بن حرب عن سفيان بن عيينة به . والمقصود أن هؤلاء كلهم اتفقوا على نزول النبى صلى الله عليه وسلم فى المحصب لما نفر من منى ، ولكن اختلفوا ؛ فمنهم من قال : لم يقصد نزوله وإنما نزله اتفاقاً ليكون أسمح لخروجه ، ومنهم من أشعر كلامه بقصده عليه الصلاة والسلام نزوله ، وهذا هو الأشبه ، وذلك أنه عليه الصلاة والسلام أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت ، وكانوا قبل ذلك ينصرفون من كل وجه كما قال ابن عباس : فأمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت ـ يعنى طواف الوداع ـ فأراد عليه الصلاة والسلام أن يطوف هو ومن معه من المسلمين بالبيت طواف الوداع وقد نفر من منى قريب الزوال فلم يكن يمكنه أن يجىء البيت فى بقية يومه ويطوف به

(١) فى التيمورية : ضربت قبته ، والثقل : المتاع .

ويرحل إلى ظاهر مكة من جانب المدينة ، لأن ذلك قد يتعذر على هذا الجم الغفير ، فاحتاج أن يبيت قبل مكة ولم يكن منزل أنسب لمبيته من المحصب الذى كانت قريش قد عاقدت بنى كنانة على بنى هاشم وبنى المطلب فيه فلم يبرم الله لقريش أمراً بل كبتهم وردهم خائبين ، وأظهر الله دينه ونصر نبيه وأعلا كلمته ، وأتم له الدين القويم ، وأوضح به الصراط المستقيم ، فحج بالناس وبيّن لهم شرائع الله وشعائره ، وقد نفر بعد إكمال المناسك فنزل فى الموضع الذى تقاسمت قريش فيه على الظلم والعدوان والقطيعة ، فصلى به الظهر والعصر والمغرب والعشاء وهجع هجعة ، وقد كان بعث عائشة أم المؤمنين مع أخيها عبد الرحمن ليعمرها من التنعيم فإذا فرغت أتته ، فلما قضت عمرتها ورجعت أذن فى المسلمين بالرحيل إلى البيت العتيق . كما قال أبو داود : حدثنا وهب بن بقية حدثنا خالد عن أفلح عن القاسم عن عائشة قالت : أحرمت من التنعيم بعمرة ، فدخلت فقضيت عمرتى وانتظرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأبطح حتى فرغت وأمر الناس بالرحيل ، قالت: وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت فطاف به ثم خرج ، وأخرجاه فى الصحيحين من حديث أفلح بن حميد ، ثم قال أبو داود : حدثنا محمد بن بشار ثنا أبو بكر ـ يعنى الحنفى ـ حدثنا أفلح عن القاسم [عنها] ـ يعنى عائشة ـ قالت : خرجت معه ـ تعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فى النفر الآخر فنزل المحصب . قال أبو داود : فذكر ابن بشار بعثها إلى التنعيم قالت : ثم جئت سحراً ، فأذن فى الصحابة بالرحيل فارتحل فر بالبيت[1] قبل صلاة الصبح فطاف به حين خرج ، ثم انصرف متوجها إلى المدينة . ورواه البخارى عن محمد بن بشار به .

قلت : والظاهر أنه عليه الصلاة والسلام صلى الصبح يومئذ عند الكعبة بأصحابه وقرأ فى صلاته تلك بسورة (والطور وكتاب مسطور فى رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور) السورة بكمالها . وذلك لما رواه البخارى حيث قال : حدثنا إسماعيل حدثنى مالك عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل عن عروة بن الزبير عن زينب بنت أبى سلمة عن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، قالت : شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى أشتكى ، فقال : طوفى من وراء الناس وأنت راكبة ، فطفت ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى حينئذ إلى جنب البيت وهو يقرأ (والطور وكتاب مسطور) وأخرجه بقية الجماعة إلا الترمذى من حديث مالك بإسناد نحوه . وقد رواه البخارى من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن زينب عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو بمكة وأراد الخروج ولم تكن أم سلمة طافت وأرادت الخروج فقال لها : « إذا أقيمت صلاة الصبح فطوفى على بعيرك والناس يصلون » فذكر الحديث ، فأما ما رواه الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أبى سلمة عن أم سلمة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرها أن توافى معه صلاة الصبح يوم النحر بمكة ، فهو إسناد كما

(١) فى التيمورية : فارتحلنا فنزلنا البيت قبل الخ .

ترى على شرط الصحيحين ، ولم يخرجه أحد من هذا الوجه بهذا اللفظ ، ولعل قوله يوم النحر غلط من الراوى أو من الناسخ ، وإنما هو يوم النفر ، ويؤيده ما ذكرناه من رواية البخارى ، والله أعلم . والمقصود أنه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من صلاة الصبح طاف بالبيت سبعا ووقف فى الملتزم بين الركن الذى فيه الحجر الأسود وبين باب الكعبة فدعا الله عز وجل والزق جسده بجدار الكعبة . قال الثورى عن المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلزق وجهه وصدره بالملتزم ، المثنى ضعيف .

﴿ فصل ﴾

ثم خرج عليه الصلاة والسلام من أسفل مكة كما قالت عائشة : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة من أعلاها وخرج من أسفلها ، أخرجاه . وقال ابن عمر : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الثنية العليا التى بالبطحاء وخرج من الثنية السفلى ، رواه البخارى ومسلم . وفى لفظ : دخل من كَدَاء وخرج من كُدَى . وقد قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن فضيل حدثنا أجلح بن عبد الله عن أبى الزبير عن جابر ، قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة عند غروب الشمس فلم يصل حتى أتى سرف ، وهى على تسعة أميال من مكة ، وهذا غريب جداً ، وأجلح فيه نظر ، ولعل هذا فى غير حجة الوداع ، فإنه عليه الصلاة والسلام ــ كما قدمنا ــ طاف بالبيت بعد صلاة الصبح فماذا أخره إلى وقت الغروب ؟ هذا غريب جداً ، اللهم إلا أن يكون ما ادعاه ابن حزم صحيحاً من أنه عليه الصلاة والسلام رجع إلى المحصب من مكة بعد طوافه بالبيت طواف الوداع ، ولم يذكر دليلا على ذلك إلا قول عائشة حين رجعت من اعتمارها من التنعيم فلقيته بصعدة ، وهو منهبط على أهل مكة أو منهبطة ، وهو مصعد . قال ابن حزم : الذى لا شك فيه أنها كانت مصعدة من مكة وهو منهبط لأنها تقدمت إلى العمرة وانتظرها حتى جاءت ، ثم نهض عليه الصلاة والسلام إلى طواف الوداع فلقيه منصرفه إلى المحصب من مكة .

وقال البخارى : باب من نزل بذى طوى : إذا رجع من مكة ، وقال محمد بن عيسى : حدثنا حماد ابن زيد عن أيوب عن نافع عن ابن عمر ، أنه كان إذا أقبل بات بذى طوى حتى إذا أصبح دخل ، وإذا نفر مرّ بذى طوى وبات بها حتى يصبح ، وكان يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك . هكذا ذكر هذا معلقا بصيغة الجزم ، وقد أسنده هو ومسلم من حديث حماد بن زيد به ، لكن ليس فيه ذكر المبيت بذى طوى فى الرجعة ، فالله أعلم .

﴿فائدة عزيزة﴾ فيها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استصحب معه من ماء زمزم شيئاً .

قال الحافظ أبو عيسى الترمذى : حدثنا أبو كريب حدثنا خلاد بن يزيد الجعفى حدثنا زهير بن معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة : أنها كانت تحمل من ماء زمزم وتخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحمله ، ثم قال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من

هذا الوجه . وقال البخارى : حدثنا محمد بن مقاتل أخبرنا عبد الله — هو ابن المبارك — حدثنا موسى بن عقبة عن سالم ، ونافع عن عبد الله بن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قفل من الغزو ، أو من الحج ، أو من العمرة ، يبدأ فيكبر ثلاث مرات ثم يقول : لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون ، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده . والأحاديث فى هذا كثيرة ، ولله الحمد والمنة .

﴿ فصل ﴾

فى إيراد الحديث الدال على أنه عليه الصلاة والسلام خطب بمكان بين مكة والمدينة مرجعه من حجة الوداع قريب من الجحفة — يقال له غدير خم — فبين فيها فضل علىّ بن أبى طالب وبراءة عرضه مما كان تكلم فيه بعض من كان معه بأرض اليمن ، بسبب ما كان صدر منه إليهم من المعدلة التى ظنها بعضهم جوراً وتضييقاً وبخلا ، والصواب كان معه فى ذلك ، ولهذا لما تفرغ عليه الصلاة والسلام من بيان المناسك ورجع إلى المدينة بيّن ذلك فى أثناء الطريق ، فخطب خطبة عظيمة فى اليوم الثامن عشر من ذى الحجة عامئذ ، وكان يوم الأحد بغدير خُمّ تحت شجرة هناك ، فبين فيها أشياء ، وذكر من فضل علىّ وأمانته وعدله وقربه إليه ما أزاح به ما كان فى نفوس كثير من الناس منه . ونحن نورد عيون الأحاديث الواردة فى ذلك ونبين ما فيها من صحيح وضعيف بحول الله وقوته وعونه ، وقد اعتنى بأمر هذا الحديث أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى صاحب التفسير والتاريخ فجمع فيه مجلدين أورد فيهما طرقه وألفاظه ، وساق الغث والسمين والصحيح والسقيم ، على ما جرت به عادة كثير من المحدثين يوردون ما وقع لهم فى ذلك الباب من غير تمييز بين صحيحه وضعيفه وكذلك الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر أورد أحاديث كثيرة فى هذه الخطبة .

ونحن نورد عيون ما روى فى ذلك مع إعلامنا أنه لاحظ للشيعة فيه ولا متمسك لهم ولا دليل لما سنبينه وننبه عليه ، فنقول . وبالله المستعان :

قال محمد بن إسحاق — فى سياق حجة الوداع — : حدثنى يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبى عمرة عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن ركانة ، قال : لما أقبل علىّ من اليمن ليلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، تعجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستخلف على جنده الذين معه رجلا من أصحابه ، فعمد ذلك الرجل فكسى كل رجل من القوم حلة من البز الذى كان مع علىّ ، فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم ، فإذا عليهم الحلل ، قال : ويلك ما هذا ؟ قال : كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا فى الناس ، قال : ويلك ،

انزع قبل أن ينتهى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال فانتزع الحلل من الناس فردها فى البز ، قال وأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم . قال ابن إسحاق فحدثنى عبد الله بن عبد الرحمن ابن معمر بن حزم عن سليمان بن محمد بن كعب بن عُجْرة عن عمته زينب بنت كعب ـ وكانت عند أبى سعيد الخدرى ـ عن أبى سعيد . قال : اشتكى الناس عليا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبا ، فسمعته يقول : أيها الناس لا تشكوا عليا فوالله إنه لأخشن فى ذات الله أو فى سبيل الله [من أن يشكى] ورواه الإمام أحمد من حديث محمد بن إسحاق به وقال إنه لأخشن فى ذات الله أو فى سبيل الله ، وقال الإمام أحمد حدثنا الفضل بن دكين ثنا ابن أبى غنية [1] عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن بريدة قال : غزوت مع على اليمن فرأيت منه جفوة فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت عليا فتنقصته فرأيت وجه رسول الله يتغير . فقال : يابريدة ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قلت بلى يارسول الله ! قال : « من كنت مولاه فعلى مولاه » وكذا رواه النسائى عن أبى داود الحرانى عن أبى نعيم الفضل بن دكين عن عبد الملك بن أبى غنية بإسناده نحوه وهذا إسناد جيد قوى رجاله كلهم ثقات وقد روى النسائى فى سننه عن محمد بن المثنى عن يحيى بن حماد عن أبى معاوية عن الأعمش عن حبيب بن أبى ثابت عن أبى الطفيل عن زيد بن أرقم . قال : لما رجع رسول الله من حجة الوداع ونزل غدير خُمّ أمر بدوحات فقممن [2] ثم قال : « كأنى قد دعيت فأجبت ، إنى قد تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى ، فانظروا كيف تخلفونى فيهما ، فإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض ، ثم قال: الله مولاى وأنا ولى كل مؤمن ، ثم أخذ بيد على فقال : من كنت مولاه فهذا وليه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » فقلت لزيد سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما كان فى الدوحات أحد إلا رآه بعينيه وسمعه بأذنيه تفرد به النسائى من هذا الوجه . قال شيخنا أبو عبد الله الذهبى وهذا حديث صحيح . وقال ابن ماجه حدثنا على بن محمد أخبرنا أبو الحسين أنبأنا حماد بن سلمة عن على بن زيد بن جدعان عن عدى بن ثابت عن البراء بن عازب . قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع التى حج فنزل فى الطريق ، فأمر الصلاة جامعة فأخذ بيد على فقال : « ألست بأولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا بلى ! قال ألست بأولى بكل مؤمن من نفسه ، قالوا بلى ! قال فهذا ولى من أنا مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » . وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن على بن زيد بن جدعان عن عدى عن البراء وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى والحسن بن سفيان ثنا هدبة ثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد وأبى هارون عن عدى بن ثابت عن البراء . قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة

---

(١) فى التيمورية ابن أبى عتبة وفى الأصل عينة بالياء ثم النون والتصحيح عن الخلاصة .
(٢) كذا فى الاصل : (فقممن) وبالتيمورية (فعممن) .

الوداع فلما أتينا على غدير خم كسح لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرتين ، ونودي في الناس الصلاة جامعة ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وأخذ بيده فأقامه عن يمينه فقال : « ألست أولى بكل امرىء من نفسه ؟ قالوا بلى ! قال فإن هذا مولى من أنا مولاه ،اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » فلقيه عمر بن الخطاب فقال هنيئا لك أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة . ورواه ابن جرير عن أبي زُرْعة عن موسى بن إسماعيل عن حماد بن سلمة عن على بن زيد وأبي هارون العبدي ــ وكلاهما ضعيف ــ عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب به . وروى ابن جرير هذا الحديث من حديث موسى بن عثمان الحضرمي ــ وهو ضعيف جدا ــ عن أبي إسحاق السبيعي عن البراء وزيد بن أرقم فالله أعلم . وقال الإمام أحمد حدثنا ابن نمير ثنا عبدالملك عن أبي عبد الرحيم الكندي عن زادان أبي عمر قال سمعت عليا بالرحبة وهو ينشد الناس من شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خم وهو يقول ما قال ؟ قال فقام اثنا عشر رجلا فشهدوا أنهم سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : « من كنت مولاه فعلى مولاه » تفرد به أحمد وأبو عبد الرحيم هذا لا يعرف . وقال عبد الله بن الإمام أحمد في مسند أبيه حديث على بن حكيم الأزدي أخبرنا شريك عن أبي إسحاق عن سعيد بن وهب وعن زيد ابن يثيع قال نشد على الناس في الرحبة من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدير خم [ما قال] إلا قام ؟ قال : فقام من قبل سعيد ستة ومن قبل زيد ستة فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلى يوم غدير خم «أليس الله أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا بلى ! قال : اللهم من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » قال عبد الله وحدثني على بن حكيم أنبأنا شريك عن أبي إسحاق عن عمرو ذي أمر مثل حديث أبي إسحاق يعني عن سعيد وزيد وزاد فيه : « وانصر من نصره واخذل من خذله » قال عبد الله وحدثنا على ثنا شريك عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله . وقال النسائي في كتاب خصائص على حدثنا الحسين بن حرب ثنا الفضل بن موسى عن الأعمش عن أبي إسحاق عن سعيد بن وهب . قال قال على في الرحبة أنشد بالله رجلا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خم يقول : « إن الله ولى المؤمنين ومن كنت وليه فهذا وليه ، اللهم وال من والاه ، وعاد عاداه ، وانصر من نصره » وكذلك رواه شعبة عن أبي إسحاق وهذا إسناد جيد ورواه النسائي أيضا من حديث إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرو ذي أمر . قال نشد على الناس بالرحبة فقام أناس فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله يقول يوم غدير خم : « من كنت مولاه فإن عليا مولاه . اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وأحب من أحبه ، وابغض من أبغضه وانصر من نصره » ورواه ابن جرير عن أحمد بن منصور عن عبد الرزاق عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن زيد بن وهب وعبد خير عن على . وقد رواه ابن جرير عن

أحمد بن منصور عن عبيد الله بن موسى وهو شيعى ثقة عن مطر بن خليفة عن أبى إسحاق عن زيد بن وهب وزيد بن يثيع وعمرو ذى أمر : أن عليا أنشد الناس بالكوافة وذكر الحديث . وقال عبد الله بن أحمد حدثنى عبيد الله بن عمر القواريرى ثنا يونس بن أرقم ثنا يزيد بن أبى زياد عن عبد الرحمن بن أبى ليلى شهدت عليا فى الرحبة ينشد الناس فقال : أنشد الله من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خم يقول « من كنت مولاه فعلى مولاه » لما قام فشهد. قال عبد الرحمن فقام اثنا عشر رجلا بدريا كأنى أنظر إلى أحدهم فقالوا نشهد أنا سمعنا رسول الله يقول يوم غدير خم « ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجى أمهاتهم ؟ فقلنا بلى يا رسول الله ! قال من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه » إسناد ضعيف غريب . وقال عبد الله بن أحمد حدثنا أحمد بن عمير الوكيعى ثنا زيد بن الحباب ثنا الوليد بن عقبة بن ضرار القيسى أنبأنا سماك عن عبيد بن الوليد القيسى قال دخلت على عبد الرحمن بن أبى ليلى فحدثنى أنه شهد عليا فى الرحبة قال : أنشد بالله رجلا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهده يوم غدير خم إلا قام ولا يقوم إلا من قد رآه فقام اثنا عشر رجلا فقالوا قد رأيناه وسمعناه حيث أخذ بيده يقول « اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله » فقام إلا ثلاثة لم يقوموا فدعا عليهم فأصابتهم دعوته . وروى أيضا عن عبد الأعلى بن عامر الثعلبى وغيره عن عبد الرحمن بن أبى ليلى به . وقال ابن جرير ثنا أحمد بن منصور ثنا أبو عامر العقدى وروى ابن أبى عاصم عن سليمان الغلابى عن أبى عامر العقدى ثنا كثير بن زيد حدثنى محمد بن عمر بن على عن أبيه عن على : أن رسول الله حضر الشجرة بخم فذكر الحديث وفيه : من كنت مولاه فإن عليا مولاه . وقد رواه بعضهم عن أبى عامر عن كثير عن محمد بن عمر بن على عن على منقطعا ، وقال إسماعيل بن عمرو البجلى وهو ضعيف عن مسعر عن طلحة ابن مصرف عن عميرة بن سعد : أنه شهد عليا على المنبر يناشد أصحاب رسول الله من سمع رسول الله يوم غدير خم فقام اثنا عشر رجلا منهم أبو هريرة وأبو سعيد وأنس بن مالك فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله يقول : « من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه » وقد رواه عبيد الله بن موسى عن هانى بن أيوب وهو ثقة عن طلحة بن مصرف به . وقال عبد الله بن أحمد حدثنى حجاج بن الشاعر ثنا شبابة ثنا نعيم بن حكيم حدثنى أبو مريم ورجل من جلساء على عن على . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم غدير خم : « من كنت مولاه فعلى مولاه » . قال فزاد الناس بعد ــ وال من والاه ، وعاد من عاداه . روى أبو داود بهذا السند حديث المخرج . وقال الإمام أحمد حدثنا حسين بن محمد وأبو نعيم المعنى . قالا : ثنا قطن عن أبى الطفيل . قال جمع على الناس فى الرحبة ــ يعنى رحبة مسجد الكوفة ــ فقال : أنشد الله كل من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدير خم ما سمع لما قام فقام

ناس كثير فشهدوا حين أخذ بيده فقال للناس : « أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا نعم يا رسول الله ! قال من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه » قال فخرجت كأن في نفسي شيئا فلقيت زيد بن أرقم فقلت له إني سمعت عليا يقول : كذا وكذا ، قال فما تنكر ؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك له ، هكذا ذكره الإمام أحمد في مسند زيد بن أرقم رضي الله عنه ، ورواه النسائي من حديث الأعمش عن حبيب ابن أبي ثابت عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم به وقد تقدم ، وأخرجه الترمذي عن بندار عن غندر عن شعبة عن سلمة بن كهيل سمعت أبا الطفيل يحدث عن أبي سريحة — أو زيد بن أرقم — شك شعبة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من كنت مولاه فعلي مولاه ، ورواه ابن جرير عن أحمد بن حازم عن أبي نعيم عن كامل أبي العلاء عن حبيب بن أبي ثابت عن يحيى ابن جعدة عن زيد بن أرقم ، وقال الإمام أحمد حدثنا عفان ثنا أبو عوانة عن المغيرة عن أبي عبيد عن ميمون أبي عبد الله ، قال : قال زيد بن أرقم وأنا أسمع نزلنا مع رسول الله منزلا يقال له وادي خم فأمر بالصلاة فصلاها بهجير ، قال فخطبنا وأظل رسول الله بثوب على شجرة ستره من الشمس ، فقال : «ألستم تعلمون — أو ألستم تشهدون — أني أولى بكل مؤمن من نفسه قالوا بلى ! قال فمن كنت مولاه فإن عليا مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» ، ثم رواه أحمد عن غندر عن شعبة عن ميمون أبي عبد الله عن زيد بن أرقم إلى قوله من كنت مولاه فعلي مولاه ، قال ميمون حدثني بعض القوم عن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه » ، وهذا إسناد جيد رجاله ثقات على شرط السنن وقد صحح الترمذي بهذا السند حديثا في الريث ، وقال الإمام أحمد ثنا يحيى بن آدم ثنا حنش بن الحارث بن لقيط الأشجعي عن رباح بن الحارث قال جاء رهط إلى علي بالرحبة فقالوا السلام عليك يامولانا قال كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب ، قالوا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خم يقول : من كنت مولاه فهذا مولاه ، قال رباح فلما مضوا تبعتهم فسألت من هؤلاء ؟ قالوا نفر من الأنصار منهم أبو أيوب الأنصاري ، وقال الإمام أحمد ثنا حنش عن رباح بن الحارث ، قال رأيت قوما من الأنصار قدموا على علي في الرحبة فقال : من القوم ؟ فقالوا مواليك يا أمير المؤمنين فذكر معناه ، هذا لفظه وهو من أفراده ، وقال ابن جرير ثنا أحمد بن عثمان أبو الجوزاء ثنا محمد بن خالد بن عثمة ثنا موسى بن يعقوب الزمعي وهو صدوق حدثني مهاجر بن مسمار عن عائشة بنت سعد سمعت أباها يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم الجحفة وأخذ بيد علي فخطب ، ثم قال : «أيها الناس إني وليكم قالوا صدقت ! فرفع يد علي فقال هذا وليي والمؤدي عني وإن الله موالي من والاه ، ومعادي من عاداه» ، قال شيخنا الذهبي : وهذا حديث حسن غريب ، ثم رواه ابن جرير من حديث يعقوب بن جعفر بن أبي كثير عن مهاجر بن مسمار فذكر الحديث وأنه

عليه السلام وقف حتى لحقه من بعده وأمر برد من كان تقدم فخطبهم ، الحديث . وقال أبو جعفر ابن جرير الطبرى فى الجزء الأول من كتاب غدير خم — قال شيخنا أبو عبد الله الذهبى وجدته فى نسخة مكتوبة عن ابن جرير — حدثنا محمود بن عوف الطائى ثنا عبيد الله بن موسى أنبأنا اسمعيل ابن كشيط عن جميل بن عمارة عن سالم بن عبد الله بن عمر قال ابن جرير أحسبه قال عن عمر ، وليس فى كتابى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد على [يقول] « من كنت مولاه فهذا مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » وهذا حديث غريب بل منكر وإسناده ضعيف ، قال البخارى فى جميل بن عمارة هذا : فيه نظر ، وقال المطلب بن زياد عن عبد الله بن محمد بن عقيل سمع جابر بن عبد الله يقول : كنا بالجحفة بغدير خم فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من خباء أو فسطاط فأخذ بيد على فقال : « من كنت مولاه فعلى مولاه » ، قال شيخنا الذهبى : هذا حديث حسن ، وقد رواه ابن لهيعة عن بكر بن سوادة وغيره عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بنحوه ، وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن آدم وابن أبى بكير ، قالا : ثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن حبشى بن جنادة ، قال يحيى بن آدم : وكان قد شهد حجة الوداع قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « على منى وأنا منه ولا يؤدى عنى إلا أنا أو على » ، وقال ابن أبى بكير « لا يقضى عنى دينى إلا أنا أو على » ، وكذا رواه أحمد أيضاً عن أبى أحمد الزبيرى عن إسرائيل قال الإمام أحمد وحدثناه الزبيرى ثنا شريك عن أبى اسحاق عن حبشى ابن جنادة مثله ، قال : فقلت لأبى اسحاق : أين سمعت منه ؟ قال : وقف علينا على فرس فى مجلسنا فى جبانة السبيع ، وكذا رواه أحمد عن أسود بن عامر ويحيى بن آدم عن شريك ورواه الترمذى عن اسماعيل بن موسى عن شريك وابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة وسويد بن سعيد واسمعيل ابن موسى ثلاثتهم عن شريك به ، ورواه النسائى عن أحمد بن سليمان عن يحيى بن آدم عن اسرائيل به ، وقال الترمذى حسن صحيح غريب ، ورواه سليمان بن قرم — وهو متروك — عن أبى إسحاق عن حبشى بن جنادة سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدير خم : « من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » وذكر الحديث وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى ثنا أبو بكر بن أبى شيبة أنبأنا شريك عن أبى يزيد الأزدى عن أبيه ، قال : دخل أبو هريرة المسجد فاجتمع الناس إليه ، فقام إليه شاب فقال : أنشدك بالله أسمعت رسول الله يقول : « من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » قال : نعم ! ورواه ابن جرير عن أبى كريب عن شاذان عن شريك به ، تابعه إدريس الأزدى عن أخيه أبى يزيد ، واسمه داود بن يزيد ، به ، ورواه ابن جرير أيضاً من حديث ادريس وداود عن أبيهما عن أبى هريرة فذكره . فأما الحديث الذى رواه ضمرة عن ابن شوذب عن مطر الوراق عن شهر بن حوشب عن أبى هريرة قال : لما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد على قال : « من كنت مولاه فعلى

مولاه » ، فأنزل الله عز وجل : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى) ، قال أبو هريرة : وهو يوم غدير خم ، من صام يوم ثمان عشرة من ذى الحجة كتب له صيام ستين شهراً ، فإنه حديث منكر جداً بل كذب لمخالفته لما ثبت فى الصحيحين عن أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب أن هذه الآية نزلت فى يوم الجمعة يوم عرفة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بها كما قدمنا ، وكذا قوله : إن صيام يوم الثامن عشر من ذى الحجة ، وهو يوم غدير خم ، يعدل صيام ستين شهراً ، لا يصح لأنه قد ثبت ما معناه فى الصحيح أن صيام شهر رمضان بعشرة أشهر فكيف يكون صيام يوم واحد يعدل ستين شهراً ؟ هذا باطل ، وقد قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبى بعد إيراده هذا الحديث : هذا حديث منكر جداً .

ورواه حبشون الخلال وأحمد بن عبد الله بن أحمد النيرى وهما صدوقان عن على بن سعيد الرملى عن ضمرة ، قال : ويروى هذا الحديث من حديث عمر بن الخطاب ومالك بن الحويرث وأنس بن مالك وأبى سعيد وغيرهم بأسانيد واهية ، قال : وصدر الحديث متواتر ، أتيقن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، وأما : اللهم وال من والاه ، فزيادة قوية الإسناد ، وأما هذا الصوم فليس بصحيح ، ولا والله ما نزلت هذه الآية إلا يوم عرفة قبل غدير خم بأيام ، والله تعالى أعلم .

وقال الطبرانى حدثنا على ابن اسحاق الوزير الأصبهانى حدثنا على بن محمد المقدمى حدثنا محمد بن عمر بن على المقدمى حدثنا على بن محمد بن يوسف بن شبان بن مالك بن مسمع حدثنا سهل بن حنيف بن سهل بن مالك أخى كعب بن مالك عن أبيه عن جده قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من حجة الوداع صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس إن أبا بكر لم يسؤنى قط ، فاعرفوا ذلك له ، أيها الناس إنى عن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف والمهاجرين الأولين راض فاعرفوا ذلك لهم . أيها الناس احفظونى فى أصحابى وأصهارى وأحبابى لا يطالبكم الله بمظلمة أحد منهم . أيها الناس : ارفعوا ألسنتكم عن المسلمين ، وإذا مات أحد منهم فقولوا فيه خيراً » .

﴿ سنة إحدى عشرة من الهجرة ﴾

استهلت هذه السنة وقد استقر الركاب الشريف النبوى بالمدينة النبوية المطهرة مرجعه من حجة الوداع ، وقد وقعت فى هذه السنة أمور عظام من أعظمها خطباً وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه عليه السلام نقله الله عز وجل من هذه الدار الفانية إلى النعيم الأبدى فى محلة عالية رفيعة ودرجة فى الجنة لا أعلى منها ولا أسنى كما قال تعالى : (وللآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى) وذلك بعد ما أكمل أداء الرسالة التى أمره الله تعالى بإبلاغها ، ونصح أمته

ودلهم على خير ما يعلمه لهم ، وحذرهم ونهاهم عما فيه مضرة عليهم فى دنياهم وأخراهم ، وقد قدمنا ما رواه صاحبا الصحيح من حديث عمر بن الخطاب أنه قال : نزل قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً) يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة ، وروينا من طريق جيد : أن عمر بن الخطاب حين نزلت هذه الآية بكى ، فقيل : ما يبكيك ؟ فقال : إنه ليس بعد الكمال إلا النقصان ، وكأنه استشعر وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد أشار عليه الصلاة والسلام إلى ذلك فيما رواه مسلم من حديث ابن جريج عن أبى الزبير عن جابر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عند جمرة العقبة وقال : لنا : « خذوا عنى مناسككم فلعلى لا أحج بعد عامى هذا » وقدمنا ما رواه الحافظان أبو بكر البزار والبيهقى من حديث موسى بن عبيدة الربذى عن صدقة بن يسار عن ابن عمر قال : نزلت هذه السورة (إذا جاء نصر الله والفتح) فى أوسط أيام التشريق فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه الوداع ، فأمر براحلته القصواء فرحلت ثم ذكر خطبته فى ذلك اليوم كما تقدم ، وهكذا قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما لعمر بن الخطاب حين سأله عن تفسير هذه السورة بمحضر كثير من الصحابة ليريهم فضل ابن عباس وتقدمه وعلمه حين لامه بعضهم على تقديمه وإجلاسه له مع مشايخ بدر ، فقال : إنه من حيث تعلمون ، ثم سألهم وابن عباس حاضر عن تفسير هذه السورة (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) فقالوا : أمرنا إذا فتح لنا أن نذكر الله ونحمده ونستغفره ، فقال : ما تقول يا ابن عباس ؟ فقال : هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى إليه ، فقال عمر : لا أعلم منها إلا ما تعلم . وقد ذكرنا فى تفسير هذه السورة ما يدل على قول ابن عباس من وجوه ، وإن كان لا ينافى ما فسر به الصحابة رضى الله عنهم . وكذلك ما رواه الإمام أحمد حدثنا وكيع عن أبى ذئب عن صالح مولى التوأمة عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حج بنسائه قال : « إنما هى هذه الحجة ثم الزمن ظهور الحصر » تفرد به أحمد من هذا الوجه ، وقد رواه أبو داود فى سننه من وجه آخر جيد .

والمقصود أن النفوس استشعرت بوفاته عليه الصلاة والسلام فى هذه السنة ونحن نذكر ذلك ونورد ما روى فيما يتعلق به من الأحاديث والآثار وبالله المستعان ، ولنقدم على ذلك ما ذكره الأئمة محمد بن اسحاق بن يسار وأبو جعفر بن جرير وأبو بكر البيهقى فى هذا الموضع قبل الوفاة من تعداد حججه وغزواته وسراياه وكتبه ورسله إلى الملوك ، فلنذكر ذلك ملخصاً مختصراً ، ثم نتبعه بالوفاة ، ففى الصحيحين من حديث أبى اسحاق السبيعى عن زيد بن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا تسع عشرة غزوة ، وحج بعد ما هاجر حجة الوداع ، ولم يحج بعدها ، قال أبو إسحاق وواحدة بمكة ، كذا قال أبو إسحاق السبيعى . وقد قال زيد بن الحباب عن سفيان

الثورى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حج ثلاث حجات حجتين قبل أن يهاجر وواحدة بعد ما هاجر معها عمرة وساق ستاً وثلاثين بدنة وجاء على بتمامها من اليمن ، وقد قدمنا عن غير واحد من الصحابة منهم أنس بن مالك في الصحيحين أنه عليه السلام اعتمر أربع عمر عمرة الحديبية وعمرة القضاء وعمرة الجعرانة والعمرة التى مع حجة الوداع .

وأما الغزوات فروى البخارى عن أبى عاصم النبيل عن يزيد بن أبى عبيد عن سلمة بن الأكوع قال : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات ومع زيد بن حارثة تسع غزوات يؤمره علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى الصحيحين عن قتيبة عن حاتم بن اسماعيل عن زيد بن سلمة قال : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات وفيما يبعث من البعوث تسع غزوات مرة علينا أبو بكر ومرة علينا أسامة بن زيد ، وفى صحيح البخارى من حديث إسرائيل عن أبى اسحاق عن البراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا تسع عشرة غزوة وشهد معه منها سبع عشرة أولها العشير أو العسير ، وروى مسلم عن أحمد بن حنبل عن معتمر عن كهمس بن الحسن عن أبى بريدة عن أبيه أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ست عشرة غزوة ، وفى رواية لمسلم من طريق الحسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع عشر غزوة قاتل منها فى ثمان ، وفى رواية عنه بهذا الإسناد : وبعث أربعاً وعشرين سرية ، قاتل يوم بدر وأحد والأحزاب والمريسيع وخيبر ومكة وحنين ، وفى صحيح مسلم من حديث أبى الزبير عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا إحدى وعشرين غزوة غزوت معه منها تسع عشرة غزوة ولم أشهد بدراً ولا أحداً ، منعنى أبى ، فلما قتل أبى يوم أحد لم أتخلف عن غزاة غزاها ، وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهرى قال سمعت سعيد بن المسيب يقول : غزا رسول الله ثمان عشرة غزوة ، قال وسمعته مرة يقول أربعاً وعشرين غزوة ، فلا أدرى أكان ذلك وهماً أو شيئاً سمعته بعد ذلك ، وقال قتادة : غزا رسول الله تسع عشرة غزوة قاتل فى ثمان منها ، وبعث من البعوث أربعاً وعشرين ، فجميع غزواته وسراياه ثلاث وأربعون ، وقد ذكر عروة بن الزبير والزهرى وموسى بن عقبة ومحمد بن اسحاق بن يسار وغير واحد من أئمة هذا الشأن أنه عليه السلام قاتل يوم بدر فى رمضان من سنة اثنتين ، ثم فى أحد فى شوال سنة ثلاث ، ثم الخندق وبنى قريظة فى شوال أيضاً من سنة أربع وقيل خمس ، ثم فى بنى المصطلق بالمريسيع فى شعبان سنة خمس ، ثم فى خيبر فى صفر سنة سبع ، ومنهم من يقول : سنة ست ، والتحقيق أنه فى أول سنة سبع وآخر سنة ست ، ثم قاتل أهل مكة فى رمضان سنة ثمان وقاتل هوازن ، وحاصر أهل الطائف فى شوال وبعض ذى الحجة سنة ثمان كما تقدم تفصيله ، وحج فى سنة ثمان بالناس عتاب بن أسيد نائب مكة ، ثم فى سنة تسع أبو بكر الصديق ، ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين سنة عشر .

وقال محمد بن اسحاق : وكان جميع ما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسهُ الكريمة سبعاً وعشرين غزوة : غزوة ودان وهى غزوة الأبواء ، ثم غزوة بواط من ناحية رضوى ، ثم غزوة العشيرة من بطن ينبع ، ثم غزوة بدر الأولى يطلب كرز بن جابر ، ثم غزوة بدر العظمى الذى قتل الله فيها صناديد قريش ، ثم غزوة بنى سليم حتى بلغ الكدر[1] ، ثم غزوة السويق يطلب أبا سفيان بن حرب ، ثم غزوة غطفان وهى غزوة ذى أمر[2] ، ثم غزوة نجران معدن بالحجاز ، ثم غزوة أحد ، ثم حمراء الأسد ، ثم غزوة بنى النضير ، ثم غزوة ذات الرقاع من نخل ، ثم غزوة بدر الآخرة ، ثم غزوة دومة الجندل ، ثم غزوة الخندق ، ثم غزوة بنى قريظة ، ثم غزوة بنى لحيان من هذيل ، ثم غزوة ذى قرد ، ثم رزوة بنى المصطلق من خزاعة ، ثم غزوة الحديبية لا يريد قتالا فصده المشركون، ثم غزوة خيبر ، ثم عمرة القضاء ، ثم غزوة الفتح ، ثم غزوة حنين، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة تبوك . قال ابن إسحاق : قاتل منها فى تسع غزوات غزوة بدر وأحد والخندق وقريظة والمصطلق وخيبر والفتح وحنين والطائف، قلت : وقد تقدم ذلك كله مبسوطاً فى أماكنه بشواهده وأدلته ولله الحمد .

قال ابن إسحاق : وكانت بعوثه عليه الصلاة والسلام وسراياه ثمانياً وثلاثين من بين بعث وسرية ، ثم شرع رحمه الله فى ذكر تفصيل ذلك ، وقد قدمنا ذلك كله أو أكثره مفصلا فى مواضعه ولله الحمد والمنة . ولنذكر ملخص ما ذكره ابن اسحاق : بعث عبيدة بن الحارث إلى أسفل ثنية ذى المروة ، ثم بعث حمزة بن عبد المطلب إلى الساحل من ناحية العيص، ومن الناس من يقدم هذا على بعث عبيدة كما تقدم فالله أعلم ، بعث سعد بن أبى وقاص إلى الخرار ، بعث عبدالله ابن جحش إلى نخلة ، بعث زيد بن حارثة إلى القردة ، بعث محمد بن مسلمة إلى كعب بن الأشرف بعث مرثد بن أبى مرثد إلى الرجيع ، بعث المنذر بن عمرو إلى بئر معونة ، بعث أبى عبيدة إلى ذى القصة ، بعث عمر بن الخطاب إلى تربة فى أرض بنى عامر ، بعث على إلى اليمن ، بعث غالب ابن عبد الله الكلبى إلى الكديد فأصاب بنى الملوح أغار عليهم فى الليل فقتل طائفة منهم فاستاق نعمهم فجاء نفرهم فى طلب النعم فلما اقتربوا حال بينهم واد من السيل وأسروا فى مسيرهم هذا الحارث بن مالك بن البرصاء ، وقد حرز ابن إسحاق هذا هاهنا وقد تقدم بيانه ، بعث على بن أبى طالب إلى أرض فدك ، بعث أبى العوجاء السلمى إلى بنى سليم أصيب هو وأصحابه ، بعث عكاشة إلى الغمرة ، بعث أبى سلمة بن عبد الأسد إلى قطن وهو ماء بنجد لبنى أسد ، بعث محمد ابن مسلمة إلى القرطاء من هوازن ، بعث بشير بن سعد إلى بنى مرة بفدك ، وبعثه أيضاً إلى ناحية حنين ، بعث زيد بن حارثة إلى الجموم من أرض بنى سليم ، بعث زيد بن حارثة إلى

---

(١) كدر ـ جمع أكدر ـ : ماء لبنى سليم . (٢) أمر بلفظ الفعل من أمر يأمر : موضع غزاة

جذام من أرض بنى خشين ، قال ابن هشـام : وهى من أرض حسمى ، وكان سببها فيما ذكره ابن إسحاق وغيره : أن دحية بن خليفة لما رجع من عند قيصر وقد أبلغه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الله فأعطاه من عنده تحفاً وهدايا ، فلما بلغ واديا فى أرض بنى جذام يقال لها شنار أغار عليه الهنيد بن عوص وابنه عوص بن الهنيد الضليعيان ، والضليع بطن من جذام ، فأخذا ما معه فنفر حى منهم قد أسلموا فاستنقذوا ما كان أخذ لدحية فردوه عليه ، فلما رجع دحية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره الخبر واستسقاه دم الهنيد وابنه عوص فبعث حينئذ زيد ابن حارثة فى جيش إليهم فساروا إليهم من ناحية الأولاج فأغار بالماقض من ناحية الحرة فجمعوا ما وجدوا من مال وناس وقتلوا الهنيد وابنه ورجلين من بنى الأحنف ورجلا من بنى خصيب فلما احتاز زيد أموالهم وذراريهم اجتمع نفر منهم برفاعة بن زيد ، وكان قد جاءه كتاب من رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى الله فقرأه عليهم رفاعة ، فاستجاب له طائفة منهم ، ولم يكن زيد بن حارثة يعلم ذلك فركبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فى ثلاثة أيام فأعطوه الكتاب فأمر بقراءته جهرة على الناس ، ثم قال رسول الله : كيف أصنع بالقتلى ؟ ثلاث مرات ، فقال رجل منهم يقال له أبو زيد بن عمرو : أطلق لنا يا رسول الله من كان حياً ، ومن قتل فهو تحت قدمى هذه ، فبعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب ، فقال على : إن زيداً لا يطيعنى ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه علامة ، فسار معهم على جمل لهم فلقوا زيداً وجيشه ومعهم الأموال والذرارى بفيفاء الفحلتين فسلمهم علىّ جميع ما أخذ لهم لم يفقدوا منه شيئاً ، بعث زيد بن حارثة أيضاً إلى بنى فزارة بوادى القرى فقتل طائفة من أصحابه وارتثّ هو من بين القتلى ، فلما رجع آلى أن لايمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزوهم أيضاً ، فلما استبل من جراحه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانياً فى جيش فقتلهم بوادى القرى وأسر أم قرفة فاطمة بنت ربيعة بن بدر وكانت عند مالك بن حذيفة بن بدر ومعها ابنة لها ، فأمر زيد بن حارثة قيس بن المسحر اليعمرى فقتل أم قرفة واستبقى ابنتها ، وكانت من بيت شرف يضرب بأم قرفة المثل فى عزها ، وكانت بنتها مع سلمة بن الأكوع فاستوهبها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه إياها ، فوهبها رسول الله لخاله حزن بن أبى وهب فولدت له ابنه عبد الرحمن ، بعث عبد الله بن رواحة إلى خيبر مرتين : إحداهما التى أصاب فيها اليُسَيْر بن رزام وكان يجمع غطفان لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث رسول الله عبد الله بن رواحة فى نفر منهم عبد الله بن أنيس فقدموا عليه فلم يزالوا يرغبونه ليقدموه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسار معهم فلما كانوا بالقرقرة على ستة أميال من خيبر ندم اليُسَيْر على مسيره ففطن له عبد الله بن أنيس وهو يريد السيف ، فضربه بالسيف فأطن قدمه وضربه اليسير بمخرش[1] من شوحط فى رأسه فأمّه ،

(١) المخرش : عصا معوجة الرأس .

ومال كل رجل من المسلمين على صاحبه من اليهود فقتله إلا رجلا واحداً أفلت على قدميه ، فلما قدم ابن أنيس تفل في رأسه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقح[1] جرحه ولم يؤذه ، قلت وأظن البعث الآخر إلى خيبر لما بعثه عليه السلام خارصا على نخيل خيبر والله أعلم ، بعث عبد الله بن عتيك وأصحابه إلى خيبر فقتلوا أبا رافع اليهودى ، بعث عبد الله بن أنيس إلى خالد ابن سفيان بن نبيح فقتله بعرنة . وقد روى ابن إسحاق قصته هاهنا مطولة وقد تقدم ذكرها في سنة خمس والله أعلم ، بعث زيد بن حارثة وجعفر وعبد الله بن رواحة إلى مؤتة من أرض الشام فأصيبوا كما تقدم ، بعث كعب بن عمير[2] إلى ذات أطلاح من أرض الشام فأصيبوا جميعا أيضاً ، بعث عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر إلى بنى العنبر من تميم فأغار عليهم فأصاب منهم أناسا ثم ركب وفدهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أسراهم فأعتق بعضا وفدى بعضا ، بعث غالب ابن عبد الله أيضاً إلى أرض بنى مرة فأصيب بها مرداس بن نهيك حليف لهم من الحرقة من جهينة قتله أسامة بن زيد ورجل من الأنصار أدركاه فلما شهرا السلاح قال : لا إله إلا الله فلما رجعا لامهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد اللوم فاعتذرا بأنه ماقال ذلك إلا تعوذا من القتل ، فقال لأسامة هلا شققت عن قلبه وجعل يقول لأسامة : من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة ، قال: أسامة فما زال يكررها حتى لوددت أن لم أكن أسلمت قبل ذلك ، وقد تقدم الحديث بذلك ، بعث عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل من أرض بنى عذرة يستنفر العرب إلى الشام وذلك أن أم العاص بن وائل كانت من بلى فلذلك بعث عمرا يستنفرهم ليكون أجمع فيهم فلما وصل إلى ماء لهم يقال له السلسل خافهم فبعث يستمد رسول الله فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية فيهم أبو بكر وعمر وعليها أبو عبيدة بن الجراح فلما انتهوا إليه تأمر عليهم كلهم عمرو وقال إنما بعثتم مدداً لى فلم يمانعه أبو عبيدة لأنه كان رجلا سهلا ليناً هيناً عند أمر الدنيا فسلم له وانقاد معه ، فكان عمرو يصلى بهم كلهم ولهذا لما رجع ، قال : يا رسول الله أى الناس أحب إليك ؟ قال : عائشة ، قال فمن الرجال ؟ قال : أبوها ، بعث عبد الله بن أبى حدرد إلى بطن أضم وذلك قبل فتح مكة وفيها قصة محلم بن جثامة وقد تقدم مطولا في سنة سبع ، بعث ابن أبى حدرد أيضا إلى الغابة ، بعث عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل ، قال محمد بن إسحاق : حدثنى من لا أتهم عن عطاء بن أبى رباح ، قال : سمعت رجلا من أهل البصرة يسأل عبد الله بن عمر بن الخطاب عن إرسال العمامة من خلف الرجل إذا اعتم ، قال فقال عبد الله : أخبرك إن شاء الله عن ذلك تعلم أنى كنت عاشر عشرة رهط من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم في مسجده أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود ومعاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان

(١) في ابن هشام : فلم تقح ، وفى التيمورية فلم يفج بالفاء والجيم وأحسبه تصحيف .
(٢) في الأصل : ابن عمرو والتصحيح عن الاصابة ومعجم البلدان .

وأبو سعيد الخدرى وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل فتى من الأنصار فسلم على رسول الله ثم جلس . فقال : يا رسول الله أى المؤمنين أفضل ؟ قال : أحسنهم خلقا قال فأى المؤمنين أكيس ؟ قال : أكثرهم ذكراً الموت وأحسنهم استعداداً له قبل أن ينزل به أولئك الأكياس ، ثم سكت الفتى ، وأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يامعشر المهاجرين خمس خصال إذا نزلن بكم ـ وأعوذ بالله أن تدركوهن ـ إنه لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا عليها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم الذين مضوا ، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ، ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم إلا منعوا القطر من السماء فلولا البهائم ما مطروا ، وما نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدوا من غيرهم فأخذ بعض ما كان فى أيديهم ، وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله ويجبروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم . قال : ثم أمر عبد الرحمن بن عوف أن يتجهز لسرية بعثه عليها فأصبح وقد اعتم بعمامة من كرابيس سوداء فأدناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نقضها ثم عممه بها وأرسل من خلفه أربع أصابع أو نحواً من ذلك . ثم قال : هكذا يا ابن عوف فاعتم فإنه أحسن وأعرف ، ثم أمر بلالا أن يدفع إليه اللواء فدفعه إليه فحمد الله وصلى على نفسه ثم قال : خذه يا ابن عوف اغزوا جميعا فى سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً فهذا عهد الله وسيرة نبيكم فيكم . فأخذ عبد الرحمن بن عوف اللواء . قال : ابن هشام فخرج إلى دومة الجندل ، بعث أبى عبيدة بن الجراح وكانوا قريبا من ثلاثمائة راكب إلى سيف البحر وزوده عليه السلام جرابا من تمر و[فيها] قصة العنبر وهى الحوت العظيم الذى دسره البحر[1] وأكلهم كلهم منه قريبا من شهر حتى سمنوا وتزودوا منه وشائق أى شرائح حتى رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطعموه منه فأكل منه كما تقدم بذلك الحديث . قال ابن هشام : ومما لم يذكر ابن إسحاق من البعوث ـ يعنى هاهنا ـ ، بعث عمرو بن أمية الضمرى لقتل أبى سفيان صخر بن حرب بعد مقتل خبيب بن عدى وأصحابه ، فكان من أمره ما قدمناه وكان مع عمرو بن أمية جبار بن صخر ولم يتفق لهما قتل أبى سفيان بل قتلا رجلا غيره وأنزلا خبيبا عن جذعه ، وبعث سالم بن عمير أحد البكائين إلى أبى عفك أحد بنى عمرو ابن عوف وكان قد نجم نفاقه حين قتل رسول الله الحارث بن سويد بن الصامت كما تقدم ، فقال يرثيه ويذم ـ قبحه الله ـ الدخول فى الدين :

لقد عشت دهراً وما إن أرى ... من الناس داراً ولا مجمعا
أبر عهوداً وأوفى لمن ... يعاقد فيهم إذا ما دعا
من اولاد قيلة فى جمعهم ... يهد[2] الجبال ولم يخضعا

---

(١) دسره البحر أى دفعه . (٢) فى المصرية : يميد .

فصدّعهم راكب جاءهم حلال حـــرام لشتى معا
فلو أن بالعـــز صدقتم أو الملك تابعـــتم تبعا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لى بهذا الخبيث ، فانتدب له سالم بن عمير هذا فقتله ، فقالت أمامة المريدية فى ذلك :

تكذب دين الله والمرء أحـــدا لعمرو الذى أمناك بئس الذى يمنى
حباك حنيف[1] آخر الليل طعنة أبا عفك خـــذها على كبر السن

وبعث عمير بن عدى الخطمى لقتل العصماء بنت مروان من بنى أمية بن زيد كانت تهجو الإسلام وأهله ، ولما قتل أبو عفك المذكور أظهرت النفاق ، وقالت فى ذلك :

باست بنى مالك والنبيت وعوف وباست بنى الخزرج
أطعتم أتاوى من غيركم فلا من مراد ولا مذحج
ترجونه بعد قتل الرءوس كما يرتجى ورق المنضج
ألا آنف يبتغى غـــرة فيقطع من أمل المرتجى

قال : فأجابها حسان بن ثابت فقال :

بنو وائل وبنو واقف وخطمة دون بنى الخزرج
متى ما دعت سفهاً ويحها بعولتها والمنـــايا تجى
فهزت فتى ماجداً عرقه كريم المدخل والمخرج
فضرجها من نجيع الدما ء بعيد الهدو فلم يحرج

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك : ألا آخذ لى من ابنة مروان ، فسمع ذلك عمير بن عدى ، فلما أمسى من تلك الليلة سرى عليها فقتلها ، ثم أصبح فقال : يا رسول الله قتلتها ، فقال : نصرت الله ورسوله يا عمير ، قال : يا رسول الله هل علىّ من شأنها ؟ قال : لا تنتطح فيها عنزان فرجع عمير إلى قومه وهم يختلفون فى قتلها ، وكان لها خمسة بنون ، فقال : أنا قتلتها فكيدونى جميعاً ثم لا تنظرون فذلك أول يوم عز الإسلام فى بنى خطمة ، فأسلم منهم بشر كثير لما رأوا من عز الإسلام ، ثم ذكر البعث الذين أسروا ثمامة بن إثال الحنفى وما كان من أمره فى إسلامه . وقد تقدم ذلك فى الأحاديث الصحاح . وذكر ابن هشام أنه هو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : المؤمن يأكل فى معى واحد ، والكافر يأكل فى سبعة أمعاء ، لما كان من قلة أكله بعد إسلامه ، وأنه لما انفصل عن المدينة دخل مكة معتمراً وهو يلبى ، فنهاه أهل مكة عن ذلك ، فأبى عليهم وتوعدهم بقطع الميرة عنهم من اليمامة ، فلما

(١) فى الأصل : حنيف والتصحيح عن ابن هشام .

عاد إلى اليمامة منعهم الميرة حتى كتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعادها إليهم ، وقال لبعض بنى حنيفة :

ومنّا الذى لبى بمكة محرما برغم أبى سفيان فى الأشهر الحرم

وبعث علقمة بن مجزز المدلجى ليأخذ بثأر أخيه وقاص بن مجزز يوم قتل بذى قرد ، فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرجع فى آثار القوم ، فأذن له وأمره على طائفة من الناس ، فلما قفلوا أذن لطائفة منهم فى التقدم واستعمل عليهم عبد الله بن حذافة ، وكانت فيه دعابة فاستوقد ناراً وأمرهم أن يدخلوها ، فلما عزم بعضهم على الدخول قال : إنما كنت أضحك ، فلما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم قال : من أمركم بمعصية الله فلا تطيعوه . والحديث فى هذا ذكره ابن هشام عن الدراوردى عن محمد بن عمرو بن علقمة عن عمرو بن الحكم بن ثوبان عن أبى سعيد الخدرى وبعث كرز بن جابر لقتل أولئك النفر الذين قدموا المدينة وكانوا من قيس بن بجيلة فاستوخموا المدينة واستوبؤها ، وأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا إلى إبله فيشربوا من أبوالها وألبانها ، فلما صحوا قتلوا راعيها وهو يسار مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبحوه وغرزوا الشوك فى عينيه واستاقوا اللقاح ، فبعث فى آثارهم كرز بن جابر فى نفر من الصحابة فجاؤا بأولئك النفر من بجيلة مرجعه عليه الصلاة والسلام من غزوة ذى قرد ، فأمر فقطعت أيديهم وأرجلهم وسملت أعينهم . وهؤلاء النفر إن كانوا هم المذكورين فى حديث أنس المتفق عليه أن نفراً ثمانية من عكل أو عرينة قدموا المدينة ، الحديث . والظاهر أنهم هم فقد تقدم قصتهم مطولة وإن كانوا غيرهم فها قد أوردنا عيون ماذكره ابن هشام والله أعلم . قال ابن هشام : وغزوة على بن أبى طالب التى غزاها مرتين . قال أبو عمرو المدنى : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً إلى اليمن وخالداً فى جند آخر ، وقال : إن اجتمعتم فالأمير علىّ بن أبى طالب . قال : وقد ذكر ابن إسحاق بعث خالد ولم يذكره فى عدد البعوث والسرايا ، فينبغى أن تكون العدة فى قوله تسعا وثلاثين . قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام وأمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين فتجهز الناس وأوعب مع أسامة المهاجرون الأولون . قال ابن هشام : وهو آخر بعث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال البخارى : حدثنا إسماعيل حدثنا مالك عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بعثا وأمر عليهم أسامة بن زيد فطعن الناس فى إمارته ، فقام النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إن تطعنوا فى إمارته فقد كنتم تطعنون فى إمارة أبيه من قبل ، وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة وإن كان لمن أحب الناس إلىّ وإن هذا لمن أحب الناس إلىّ بعده . ورواه الترمذى من حديث مالك ، وقال : حديث صحيح حسن . وقد انتدب كثير من الكبار من المهاجرين الأولين والأنصار فى جيشه فكان من أكبرهم عمر بن الخطاب ومن قال إن أبا بكر كان فيهم فقد غلط فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد به المرض وجيش أسامة مخيم بالجرف . وقد أمر

النبى صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يصلي بالناس كما سيأتى ، فكيف يكون فى الجيش وهو إمام المسلمين بإذن الرسول من رب العالمين ، ولو فرض أنه كان قد انتدب معهم فقد استثناه الشارع من بينهم بالنص عليه للإمامة فى الصلاة التى هى أكبر أركان الإسلام ، ثم لما توفى عليه الصلاة والسلام استطلق الصديق من أسامة عمر بن الخطاب فأذن له فى المقام عند الصديق ونفذ الصديق جيش أسامة ، كما سيأتى بيانه وتفصيله فى موضعه إن شاء الله .

﴿ فصل ﴾

﴿ فى الآيات والأحاديث المنذرة بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف ابتدىء رسول الله صلى الله عليه وسلم بمرضه الذى مات فيه ﴾

قال الله تعالى : (إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) وقال تعالى: (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون) وقال تعالى: (كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) وقال تعالى: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين) ، وهذه الآية هى التى تلاها الصديق يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما سمعها الناس كأنهم لم يسمعوها قبل . وقال تعالى : (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) . قال عمر بن الخطاب وابن عباس : هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى إليه . وقال ابن عمر : نزلت أوسط أيام التشريق فى حجة الوداع ، فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه الوداع فخطب الناس خطبة أمرهم فيها ونهاهم ، الخطبة المشهورة كما تقدم . وقال جابر : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمى الجمار فوقف وقال : « لتأخذوا[1] عنى مناسككم فلعلى لا أحج بعد عامى هذا » . وقال عليه الصلاة والسلام لابنته فاطمة كما سيأتى : « إن جبريل كان يعارضنى بالقرآن فى كل سنة مرة ، وإنه عارضنى به العام مرتين ، وما أرى ذلك إلا اقتراب أجلى » . وفى صحيح البخارى من حديث أبى بكر بن عياش عن أبى حصين عن أبى صالح عن أبى هريرة ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف فى كل شهر رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذى توفى فيه اعتكف عشرين يوماً ، وكان يعرض عليه القرآن فى كل رمضان ، فلما كان العام الذى توفى فيه عرض عليه القرآن مرتين . وقال محمد بن إسحاق : رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع فى ذى الحجة فأقام بالمدينة بقيته والمحرم وصفراً وبعث أسامة بن زيد فبينا الناس على ذلك ابتدىء رسول الله صلى الله عليه وسلم بشكواه الذى قبضه الله فيه إلى ما أراده الله من رحمته

(١) تقدم نصه : وقال لنا خذوا عنى الخ ، وليراجع .

وكرامته في ليال بقين من صفر ، أو في أول شهر ربيع الأول ، فكان أول ما ابتدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك فيما ذكر لي أنه خرج إلى بقيع الغرقد من جوف الليل ، فاستغفر لهم ثم رجع إلى أهله ، فلما أصبح ابتدىء بوجعه من يومه ذلك . قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن جعفر عن عبيد بن جبير مولى الحكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن أبي مويهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل ، فقال : يا أبا مويهبة ، إني قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع فانطلق معي ، فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم قال : السلام عليكم يا أهل المقابر ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها ، الآخرة شر من الأولى ، ثم أقبل علي فقال : يا أبا مويهبة ، إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة ، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة . قال : قلت : بأبي أنت وأمي فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة ، قال : لا والله يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربي والجنة ، ثم استغفر لأهل البقيع ثم انصرف ، فبدىء برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه الذي قبضه الله فيه ، لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب . وإنما رواه أحمد عن يعقوب بن إبراهيم عن أبيه عن محمد بن إسحاق به . وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر حدثنا الحكم بن فضيل حدثنا يعلى بن عطاء عن عبيد بن جبر عن أبي مويهبة ، قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلي على أهل البقيع فصلى عليهم ثلاث مرات ، فلما كانت الثالثة قال : يا أبا مويهبة أسرج لي دابتي . قال : فركب ومشيت حتى انتهى إليهم ، فنزل عن دابته وأمسكت الدابة فوقف ، أو قال ــ قام عليهم ــ فقال : ليهنكم ما أنتم فيه مما فيه الناس أتت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضا ، الآخرة أشد من الأولى فليهنكم ما أنتم فيه مما فيه الناس ، ثم رجع فقال : يا أبا مويهبة إني أعطيت ، أو قال : خيرت بين مفاتيح ما يفتح على أمتي من بعدي والجنة أو لقاء ربي . قال : فقلت : بأبي أنت وأمي فاخترنا ، قال : لأن ترد على عقبها ما شاء الله فاخترت لقاء ربي ، فما لبث بعد ذلك إلا سبعا أو ثمانيا حتى قبض وقال عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نصرت بالرعب وأعطيت الخزائن ، وخيرت بين أن أبقى حتى أرى ما يفتح على أمتي وبين التعجيل فاخترت التعجيل . قال البيهقي : وهذا مرسل وهو شاهد لحديث أبي مويهبة . قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود عن عائشة ، قالت : رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من البقيع فوجدني وأنا أجد صداعاً في رأسي وأنا أقول : وارأساه ، فقال : بل أنا والله يا عائشة وارأساه . قالت : ثم قال : وما ضرك لو مت قبلي فقمت عليك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك ؟ قالت : قلت : والله لكأني بك لو فعلت ذلك لقد رجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك . قالت : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتام به وجعه وهو يدور على نسائه حتى استعز به في بيت ميمونة فدعا

نساءه فاستأذنهن أن يمرض فى بيتى فأذن له . قالت : فخرج رسول الله بين رجلين من أهله أحدهما الفضل بن عباس ورجل آخر عاصباً رأسه تخط قدماه حتى دخل بيتى ، قال عبيد الله فحدثت به ابن عباس فقال : أتدرى من الرجل الآخر ؟ هو على بن أبى طالب . وهذا الحديث له شواهد ستأتى قريباً . وقال البيهقى أنبأنا الحاكم أنبأنا الأصم أنبأنا أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق حدثنى يعقوب بن عتبة عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن عائشة . قالت : دخل على رسول الله وهو يصدع وأنا أشتكى رأسى فقلت : وارأساه ! فقال بل أنا والله ياعائشة وارأساه ! ثم قال وما عليك لو مت قبلى فوليت أمرك وصليت عليك وواريتك . فقلت : والله إنى لأحسب لو كان ذلك لقد خلوت ببعض نسائك فى بيتى من آخر النهار ، فضحك رسول الله ثم تمادى به وجعه فاستعز[1] به وهو يدور على نسائه فى بيت ميمونة ، فاجتمع إليه أهله . فقال العباس : إنا لنرى برسول الله ذات الجنب فهلموا فلنلده ، فلدوه فأفاق رسول الله . فقال : من فعل هذا ؟ فقالوا عمك العباس تخوف أن يكون بك ذات الجنب . فقال رسول الله : إنها من الشيطان وما كان الله ليسلطه على لا يبقى فى البيت أحد إلا لددتموه إلا عمى العباس ، فلد أهل البيت كلهم حتى ميمونة وإنها لصائمة وذلك بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم استأذن أزواجه أن يمرض فى بيتى فأذن له فخرج وهو بين العباس ورجل آخر — لم تسمه — تخط قدماه بالأرض قال عبيد الله : قال ابن عباس الرجل الآخر على بن أبى طالب . قال البخارى حدثنا سعيد بن عفير ثنا الليث حدثنى عقيل عن ابن شهاب أخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت : لما ثقل رسول الله واشتد به وجعه استأذن أزواجه أن يمرض فى بيتى فأذن له ، فخرج وهو بين الرجلين تخط رجلاه الأرض بين عباس ، قال بن عبد المطلب وبين رجل آخر قال عبيد الله فأخبرت عبد الله — يعنى ابن عباس — بالذى قالت عائشة : فقال لى عبد الله بن عباس : هل تدرى من الرجل الآخر الذى لم تسم عائشة ؟ قال قلت : لا ! قال ابن عباس هو على ، فكانت عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم تحدث أن رسول الله لما دخل بيتى واشتد به وجعه . قال : هريقوا على من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن ، لعلى أعهد إلى الناس فأجلسناه فى مخضب لحفصة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلتن . قالت عائشة ثم خرج إلى الناس فصلى لهم وخطبهم . وقد رواه البخارى أيضاً فى مواضع أخر من صحيحه ومسلم من طرق عن الزهرى به . وقال البخارى حدثنا إسماعيل ثنا سليمان بن بلال قال هشام بن عروة أخبرنى أبى عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسأل فى مرضه الذى مات فيه أين أنا غداً أين أنا غداً ؟ يريد يوم عائشة فأذن له أزواجه أن يكون حيث شاء فكان فى بيت عائشة حتى مات عندها .

(١) قال فى النهاية : استعز به المرض واستعز عليه إذا اشتد عليه وغلبه .

قالت عائشة رضى الله عنها : فمات فى اليوم الذى كان يدور علىّ فيه فى بيتى وقبضه الله وإن رأسه لبين سحرى ونحرى وخالط ريقه ريقى . قالت : ودخل عبد الرحمن بن أبى بكر ومعه سواك يستن به فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت له : أعطنى هذا السواك يا عبد الرحمن فأعطانيه فقضمته ثم مضغته فأعطيته رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستن به وهو مستند إلى صدرى. انفرد به البخارى من هذا الوجه وقال البخارى أخبرنا عبد الله بن يوسف ثنا الليث حدثنى ابن الهاد عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة . قالت : مات النبى صلى الله عليه وسلم وإنه لبين حاقنتى وذاقنتى فلا أكره شدة الموت لأحد أبدا بعد النبى صلى الله عليه وسلم . وقال البخارى حدثنا حيان أنبأنا عبد الله أنبأنا يونس عن ابن شهاب قال أخبرنى عروة أن عائشة أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح عنه بيده ، فلما اشتكى وجعه الذى توفى فيه طفقت أنفث عليه[1] بالمعوذات التى كان ينفث وأمسح بيد النبى صلى الله عليه وسلم عنه . ورواه مسلم من حديث ابن وهب عن يونس بن يزيد الأيلى عن الزهرى به . والفلاس ومسلم عن محمد بن حاتم كلهم [وثبت فى الصحيحين من حديث أبى عوانة عن فراس عن الشعبى عن مسروق عن عائشة قالت : اجتمع نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده لم يغادر منهن امرأة فجاءت فاطمة تمشى لا تخطىء مشيتها مشية أبيها . فقال : مرحبا بابنتى فأقعدها عن يمينه أو شماله ، ثم سارها بشىء فبكت ، ثم سارها فضحكت فقلت لها خصك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسرار وأنت تبكين فلما أن قامت قلت أخبرينى ماسارك فقالت : ما كنت لأفشى سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما توفى قلت لها : أسألك لما لى عليك من الحق لما أخبرتينى ؟ قالت : أما الآن فنعم ! قالت سارنى فى الأول قال لى إن جبريل كان يعارضنى القرآن كل سنة مرة وقد عارضنى فى هذا العام مرتين ولا أرى ذلك إلا لاقتراب أجلى فاتقى الله واصبرى فنعم السلف أنا لك ، فبكيت . ثم سارنى فقال : أما ترضينى أن تكونى سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة فضحكت وله طرق عن عائشة[2]] . وقد روى البخارى عن على بن عبد الله والفلاس ومسلم بن محمد بن حاتم كلهم عن يحيى بن سعيد القطان عن سفيان الثورى عن موسى بن أبى عائشة عن عبيد الله بن عبد الله عن عائشة . قالت : لددنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه فجعل يشير إلينا أن لا تلدونى ، فقلنا كراهية المريض للدواء فلما أفاق قال : ألم أنهكم ألا تلدونى؟ قلنا كراهية المريض للدواء . فقال: لا يبقى أحد فى البيت إلا لُدّ وأنا أنظر إلا العباس فإنه لم يشهدكم . قال البخارى ورواه ابن أبى الزناد عن هشام عن أبيه عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال البخارى وقال يونس عن الزهرى . قال عروة قالت عائشة : كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى مرضه الذى مات فيه : يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذى أكلت

(١) كذا فى الأصل . وفى البخارى : أنفث على نفسه . (٢) مابين المربعين عن التيمورية فقط .

بخيبر ، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهرى من ذلك السم . هكذا ذكره البخارى معلقا . وقد أسنده الحافظ البيهقى عن الحاكم عن أبى بكر بن محمد بن أحمد بن يحيى الأشقر عن يوسف بن موسى عن أحمد بن صالح عن عنبسة عن يونس بن يزيد الأيلى عن الزهرى به . وقال البيهقى أنبأنا الحاكم أنبأنا الأصم أنبأنا أحمد بن عبد الجبار عن أبى معاوية عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن أبى الأحوص عن عبدالله بن مسعود . قال : لئن أحلف تسعاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل قتيلا أحب إلى من أن أحلف واحدة أنه لم يقتل ، وذلك أن الله اتخذه نبياً واتخذه شهيداً .

وقال البخارى ثنا إسحاق أخبرنا بشر بن شعيب عن أبى حمزة حدثنى أبى عن الزهرى . قال أخبرنى عبد الله بن كعب بن مالك الأنصارى وكان كعب بن مالك أحد الثلاثة الذين تيب عليهم أن عبد الله بن عباس أخبره أن على بن أبى طالب خرج من عند رسول الله فى وجعه الذى توفى فيه فقال الناس : يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : أصبح بحمد الله بارئا . فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب . فقال له : أنت والله بعد ثلاث عبد العصا ، وإنى والله لأرى رسول الله صلى الله عليه وسلم سوف يتوفى من وجعه هذا إنى لأعرف وجوه بنى عبد المطلب عند الموت إذهب بنا إلى رسول الله فلنسأله فيمن هذا الأمر ؟ إن كان فينا علمنا ذلك وإن كان فى غيرنا علمناه فأوصى بنا ، فقال على : إنا والله لئن سألناها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده ، وإنى والله لا أسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انفرد به البخارى وقال البخارى ثنا قتيبة ثنا سفيان عن سليمان الأحول عن سعيد بن جبير ، قال : قال ابن عباس يوم الخميس وما يوم الخميس ؟ اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه ، فقال : ائتونى أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبداً فتنازعوا ـ ولا ينبغى عند نبى تنازع ـ فقالوا : ما شأنه أهجر ؟ استفهموه فذهبوا يردون عنه ، فقال : دعونى فالذى أنا فيه خير مما تدعونى إليه ، فأوصاهم بثلاث ، قال : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم ، وسكت عن الثالثة أو قال فنسيتها ، ورواه البخارى فى موضع آخر ومسلم من حديث سفيان بن عيينة به ، ثم قال البخارى حدثنا على بن عبد الله ثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهرى عن عبيدالله بن عبدالله عن ابن عباس ، قال لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى البيت رجال ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : هلموا أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبداً ، فقال بعضهم : إن رسول الله قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله ، فاختلف أهل البيت واختصموا ، فنهم من يقول قربوا يكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده ، ومنهم من يقول غير ذلك ، فلما أكثروا اللغو والاختلاف ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا ، قال عبيد الله قال ابن عباس إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم ، ورواه مسلم عن محمد بن رافع وعبد بن حميد كلاهما عن عبد الرزاق بنحوه ، وقد أخرجه البخارى فى مواضع من صحيحه من حديث

معمر ويونس عن الزهرى به . وهذا الحديث مما قد توهم به بعض الأغبياء من أهل البدع من الشيعة وغيرهم كل مدع أنه كان يريد أن يكتب فى ذلك الكتاب ما يرمون إليه من مقالاتهم ، وهذا هو التمسك بالمتشابه ، وترك المحكم وأهل السنة يأخذون بالمحكم ، ويردون ما تشابه إليه ، وهذه طريقة الراسخين فى العلم كما وصفهم الله عز وجل فى كتابه ، وهذا الموضع مما زل فيه أقدام كثير من أهل الضلالات ، وأما أهل السنة فليس لهم مذهب إلا اتباع الحق يدورون معه كيفما دار ، وهذا الذى كان يريد عليه الصلاة والسلام أن يكتبه قد جاء فى الأحاديث الصحيحة التصريح بكشف المراد منه . فإنه قد قال الإمام أحمد حدثنا مؤمل ثنا نافع عن ابن عمرو ثنا ابن أبى مليكة عن عائشة قالت : لما كان وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قبض فيه قال « ادعوا لى أبا بكر وابنه لكى لا يطمع فى أمر أبى بكر طامع ولا يتمناه متمن . ثم قال : يأبى الله ذلك والمؤمنون » مرتين ، قالت عائشة : فأبى الله ذلك والمؤمنون ، انفرد به أحمد من هذا الوجه وقال أحمد حدثنا أبو معاوية ثنا عبد الرحمن بن أبى بكر القرشى عن ابن أبى مليكة عن عائشة . قالت لما ثقل رسول الله قال لعبد الرحمن بن أبى بكر : « ائتنى بكتف أو لوح حتى أكتب لأبى بكر كتابا لا يختلف عليه أحد ، فلما ذهب عبد الرحمن ليقوم . قال : « يأبى الله والمؤمنون أن يختلف عليك يا أبا بكر » . انفرد به أحمد من هذا الوجه أيضاً ، وروى البخارى عن يحيى بن يحيى عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد عن عائشة ، قالت قال : رسول الله لقد هممت أن أرسل إلى أبى بكر وابنه فأعهد أن يقول القائلون أو يتمنى متمنون ، فقال يأبى الله ـ أو يدفع المؤمنون أو يدفع الله ويأبى المؤمنون ، وفى صحيح البخارى ومسلم من حديث إبراهيم بن سعد عن أبيه عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه ، قال : أتت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرها أن ترجع إليه ، فقالت : أرأيت إن جئت ولم أجدك ـ كأنها تقول الموت ـ قال : « إن لم تجديني فأت أبا بكر » ، والظاهر والله أعلم أنها إنما قالت ذلك له عليه السلام فى مرضه الذى مات فيه صلوات الله وسلامه عليه ، وقد خطب عليه الصلاة والسلام فى يوم الخميس قبل أن يقبض عليه السلام بخمس أيام خطبة عظيمة بين فيها فضل الصديق من سائر الصحابة مع ما كان قد نص عليه أن يؤم الصحابة أجمعين كما سيأتى بيانه مع حضورهم كلهم ، ولعل خطبته هذه كانت عوضا عما أراد أن يكتبه فى الكتاب ، وقد اغتسل عليه السلام بين يدى هذه الخطبة الكريمة فصبوا عليه من سبع قرب لم تحلل أو كيتهن وهذا من باب الاستشفاء بالسبع كما وردت بها الأحاديث فى غير هذا الموضع ، والمقصود أنه عليه السلام اغتسل ثم خرج فصلى بالناس ثم خطبهم كما تقدم فى حديث عائشة رضى الله عنها .

ذكر الأحاديث الواردة فى ذلك ، قال البيهقى : أنبأنا الحاكم أنبأنا الأصم عن أحمد بن

عبد الجبار عن يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق عن الزهرى عن أيوب بن بشير أن رسول الله قال فى مرضه : أفيضوا علىّ من سبع قرب من سبع آبار شتى حتى أخرج فأعهد إلى الناس ، ففعلوا فخرج فجلس على المنبر فكان أول ما ذكر بعد حمد الله والثناء عليه ذكر أصحاب أحد فاستغفر لهم ودعا لهم ، ثم قال : يا معشر المهاجرين إنكم أصبحتم تزيدون والأنصار على هيئتها لا تزيد ، وإنهم عيبتى التى أويت إليها ، فأكرموا كريمهم وتجاوزوا عن مسيئهم . ثم قال عليه الصلاة والسلام : أيها الناس إن عبداً من عباد الله قد خيره الله بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله ، ففهمها أبو بكر رضى الله عنه من بين الناس فبكى ، وقال : بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا وأموالنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : على رسْلك يا أبا بكر ! انظروا إلى هذه الأبواب الشارعة فى المسجد فسدوها إلا ما كان من بيت أبى بكر فإنى لا أعلم أحداً عندى أفضل فى الصحبة منه ، هذا مرسل له شواهد كثيرة ، وقال الواقدى حدثنى فروة بن زبيد بن طوسا عن عائشة بنت سعد عن أم ذرّ عن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصباً رأسه بخرقة فلما استوى على المنبر تحدق الناس بالمنبر واستكفوا فقال : والذى نفسى بيده إنى لقائم على الحوض الساعة ثم تشهد فلما قضى تشهده كان أول ما تكلم به أن استغفر للشهداء الذين قتلوا بأحد ، ثم قال : إن عبداً من عباد الله خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار العبد ما عند الله ، فبكى أبو بكر فعجبنا لبكائه ، وقال : بأبى وأمى نفديك بآبائنا وأمهاتنا وأنفسنا وأموالنا ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له : على رسلك ! وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عامر ثنا فليح عن سالم أبى النضر عن بشر بن سعيد عن أبى سعيد قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فقال : إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله ، قال : فبكى أبو بكر ، قال : فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أمَنّ الناس عَلَىّ فى صحبته وماله أبو بكر لو كنت متخذاً خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن خلة الإسلام ومودته ، لا يبقى فى المسجد باب إلا سدّ إلا باب أبى بكر ، وهكذا رواه البخارى من حديث أبى عامر العقدى به . ثم رواه الإمام أحمد عن يونس عن فليح عن سالم أبى النضر عن عبيد بن حنين وبشر بن سعيد عن أبى سعيد به . وهكذا رواه البخارى ومسلم بن حديث فليح ومالك بن أنس عن سالم عن بشر بن سعيد وعبيد بن حنين كلاهما عن أبى سعيد بنحوه . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو الوليد ثنا هشام ثنا أبو عوانة عن عبد الملك عن ابن أبى المعلى عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوماً فقال : إن رجلا خيره ربه بين أن يعيش فى الدنيا ما شاء أن يعيش

فيها يأكل من الدنيا ما شاء أن يأكل منها ، وبين لقاء ربه فاختار لقاء ربه ، فبكى أبو بكر ، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تعجبون من هذا الشيخ أن ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا صالحا خيره ربه بين البقاء فى الدنيا وبين لقاء ربه فاختار لقاء ربه ، فكان أبو بكر أعلمهم بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر : بل نفديك بأموالنا وأبنائنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من الناس أحد أمَنّ علينا فى صحبته وذات يده من ابن أبى قحافة ، ولو كنت متخذاً خليلا لاتخذت ابن أبى قحافة ، ولكن وُد وإخاء وإيمان ، ولكن ود وإخاء وإيمان مرتين ، وإن صاحبكم خليل الله عز وجل ، تفرد به أحمد ، قالوا : وصوابه أبو سعيد بن المعلى فالله أعلم . وقد روى الحافظ البيهقى من طريق إسحاق بن ابراهيم ـ هو ابن راهويه ـ ثنا زكريا بن عدى ثنا عبيد الله بن عمرو الرقى عن زيد بن أبى أنيسة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث حدثنى جندب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يتوفى بخمس وهو يقول : قد كان لى منكم أخوة وأصدقاء وإنى أبرأ إلى كل خليل من خلته ، ولو كنت متخذاً من أمتى خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا وإن ربى اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ، وإن قوما ممن كان قبلكم يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد فلا تتخذوا القبور مساجد فإنى أنهاكم عن ذلك . وقد رواه مسلم فى صحيحه عن اسحاق بن راهويه بنحوه ، وهذا اليوم الذى كان قبل وفاته عليه الصلاة والسلام بخمسة أيام هو يوم الخميس الذى ذكره ابن عباس فيما تقدم . وقد روينا هذه الخطبة من طريق ابن عباس ، قال الحافظ البيهقى أنبأنا أبو الحسن على ابن محمد المقرىء أنبأنا الحسن بن محمد بن إسحاق حدثنا يوسف بن يعقوب ـ هو ابن عوانة الاسفراييني ـ قال ثنا محمد بن أبى بكر ثنا وهب بن جرير ثنا أبى سمعت يعلى بن حكيم يحدث عن عكرمة عن ابن عباس قال : خرج النبى صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه عاصبا رأسه بخرقة ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إنه ليس من الناس أحد أمَنّ عَلَىّ بنفسه وماله من أبى بكر ، ولو كنت متخذاً من الناس خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن خلة الإسلام أفضل ، سدوا عنى كل خوخة فى المسجد غير خوخة أبى بكر ، رواه البخارى عن عبيد الله بن محمد الجعفى عن وهب بن جرير بن حازم عن أبيه به . وفى قوله عليه الصلاة والسلام : سدوا عنى كل خوخة ـ يعنى الأبواب الصغار ـ إلى المسجد غير خوخة أبى بكر إشارة إلى الخلافة ، أى ليخرج منها إلى الصلاة بالمسلمين ، وقد رواه البخارى أيضا من حديث عبد الرحمن بن سليمان بن حنظلة بن الغسيل عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج فى مرضه الذى مات فيه عاصبا رأسه بعصابة دسماء ملتحفا بملحفة على منكبيه فجلس على المنبر فذكر الخطبة ، وذكر فيها الوصاة بالأنصار إلى أن قال : فكان آخر مجلس جلس فيه رسول الله حتى قبض ، يعنى آخر خطبة خطبها

(١) كذا بالأصل وصاحب المستخرج هو يعقوب بن اسحاق ولعل هذا ابنه فتكون الصحة ابن أبى عوانة

عليه الصلاة والسلام . وقد روى من وجه آخر عن ابن عباس بإسناد غريب ولفظ غريب . فقال الحافظ البيهقى : أنبأنا على بن أحمد بن عبدان أنبأنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا ابن أبى قماش وهو محمد بن عيسى حدثنا موسى بن إسماعيل أبو عمران الجُبُلى حدثنا معن بن عيسى القزاز عن الحارث بن عبد الملك بن عبد الله بن أناس الليثى عن القاسم بن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبيه عن عطاء عن ابن عباس عن الفضل بن عباس ، قال : أتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوعك وعكاً شديداً ، وقد عصب رأسه ، فقال : خذ بيدى يا فضل . قال : فأخذت بيده حتى قعد على المنبر ، ثم قال : نادى فى الناس يا فضل ، فناديت : الصلاة جامعة . قال : فاجتمعوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً ، فقال : أما بعد أيها الناس إنه قد دنى منى خلوف من بين أظهركم وان ترونى فى هذا المقام فيكم ، وقد كنت أرى أن غيره غير مغن عنى حتى أقومه فيكم ألا فمن كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهرى فليستقد ، ومن كنت أخذت له مالا فهذا مالى فليأخذ منه ، ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضى فليستقد ، ولا يقولن قائل أخاف الشحناء من قبل رسول الله ، ألا وإن الشحناء ليست من شأنى ولا من خلقى ، وإن أحبكم إلىّ من أخذ حقا إن كان له علىّ أو حللنى فلقيت الله عز وجل وليس لأحد عندى مظلمة . قال : فقام منهم رجل فقال : يا رسول الله ، لى عندك ثلاثة دراهم ، فقال : أما أنا فلا أكذب قائلا ولا مستحلفه على يمين فيم كانت لك عندى ؟ قال : أما تذكر أنه مر بك سائل فأمرتنى فأعطيته ثلاثة دراهم ، قال : أعطه يا فضل . قال : وأمر به فجلس . قال : ثم عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مقالته الأولى ، ثم قال : يا أيها الناس من عنده من الغلول شىء فليرده ، فقام رجل فقال : يا رسول الله عندى ثلاثة دراهم غللتها فى سبيل الله ، قال : فلم غللتها ؟ قال : كنت إليها محتاجاً ، قال : خذها منه يا فضل . ثم عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مقالته الأولى ، وقال : يا أيها الناس من أحسّ من نفسه شيئاً فليقم أدعو الله له ، فقام إليه رجل فقال : يا رسول الله إنى لمنافق وإنى لكذوب وإنى لنئوم ، فقال عمر بن الخطاب : ويحك أيها الرجل لقد سترك الله لو سترت على نفسك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مه يا ابن الخطاب فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة ، اللهم ارزقه صدقاً وإيماناً وأذهب عنه النوم إذا شاء ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عمر معى وأنا مع عمر والحق بعدى مع عمر . وفى إسناده ومتنه غرابة شديدة .

ذكر أمره عليه الصلاة والسلام أبا بكر الصديق رضى الله عنه
أن يصلى بالصحابة أجمعين مع حضورهم كلهم وخروجه عليه السلام
فصلى وراءه مقتديا به فى بعض الصلوات على ما سنذكره
وإماماً له ولمن بعده من الصحابة

قال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب حدثنا أبى عن ابن إسحاق قال : وقال ابن شهاب الزهرى :

حدثني عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أبيه عن عبد الله بن هشام عن أبيه عن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، قال : لما استعز برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده في نفر من المسلمين دعا بلال للصلاة ، فقال : مروا من يصلي بالناس . قال : فخرجت فإذا عمر في الناس ، وكان أبو بكر غائباً ، فقلت : قم يا عمر فصل بالناس . قال : فقام فلما كبر عمر سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته وكان عمر رجلا مجهراً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون ، يأبى الله ذلك والمسلمون . قال : فبعث إلى أبي بكر ، فجاء بعد ما صلى عمر تلك الصلاة فصلى بالناس . وقال عبد الله بن زمعة : قال لي عمر : ويحك ماذا صنعت يا ابن زمعة والله ماظننت حين أمرتني إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني بذلك ولولا ذلك ما صليت . قال : قلت : والله ما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة . وهكذا رواه أبوداود من حديث ابن إسحاق حدثني الزهري . ورواه يونس بن بكير عن ابن إسحاق حدثني يعقوب ابن عتبة عن أبي بكر بن عبد الرحمن عن عبد الله بن زمعة فذكره . وقال أبو داود : ثنا أحمد ابن صالح ثنا ابن أبي فديك حدثني موسى بن يعقوب عن عبد الرحمن بن إسحاق عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عبد الله بن زمعة أخبره بهذا الخبر ، قال : لما سمع النبي صلى الله عليه وسلم صوت عمر ، قال ابن زمعة : خرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى أطلع رأسه من حجرته ثم قال : لا لا لا يصلي للناس إلا ابن أبي قحافة ، يقول ذلك مغضباً وقال البخاري: حدثنا عمر بن حفص ثنا أبي ثنا الأعمش عن إبراهيم قال الأسود : كنا عند عائشة فذكرنا المواظبة على الصلاة والمواظبة لها ، قالت : لما مرض النبي صلى الله عليه وسلم مرضه الذي مات فيه فحضرت الصلاة فأذن بلال ، فقال : مروا أبا بكر فليصل بالناس ، فقيل له : إن أبا بكر رجل أسيف إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس ، وأعاد فأعادوا له ، فأعاد الثالثة فقال : إنكن صواحب يوسف ، مروا أبا بكر فليصل بالناس ، فخرج أبو بكر فوجد النبي صلى الله عليه وسلم في نفسه خفة فخرج يهادى بين رجلين كأني أنظر إلى رجليه تخطان من الوجع ، فأراد أبو بكر أن يتأخر فأومأ إليه النبي صلى الله عليه وسلم أن مكانك ، ثم أتى به حتى جلس إلى جنبه . قيل للأعمش : فكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وأبو بكر يصلي بصلاته والناس يصلون بصلاة أبي بكر ؟ فقال برأسه نعم ! ثم قال البخاري : رواه أبو داود عن شعبة بعضه ، وزاد أبو معاوية عن الأعمش : جلس عن يسار أبي بكر فكان أبو بكر يصلي قائماً . وقد رواه البخاري في غير ما موضع من كتابه ومسلم والنسائي وابن ماجه من طرق متعددة عن الأعمش به . منها ما رواه البخاري عن قتيبة ومسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة ويحيى بن يحيى عن أبي معاوية به . وقال البخاري : ثنا عبد الله بن يوسف أنبأنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مرضه : مروا أبا بكر فليصل بالناس . قال ابن شهاب :

فأخبرني عبيد الله بن عبد الله عن عائشة أنها قالت: لقد عاودت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وما حملني على معاودته إلا أني خشيت أن يتشاءم الناس بأبي بكر، وإلا أني علمت أنه لن يقوم مقامه أحد إلا تشاءم الناس به، فأحببت أن يعدل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي بكر إلى غيره وفي صحيح مسلم من حديث عبد الرزاق عن معمر عن الزهري، قال: وأخبرني حمزة بن عبد الله بن عمر عن عائشة قالت لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيتي قال: مروا أبا بكر فليصل بالناس، قالت: قلت يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق إذا قرأ القرآن لا يملك دمعه، فلو أمرت غير أبي بكر قالت: والله ما بي إلا كراهية أن يتشاءم الناس بأول من يقوم في مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: فراجعته مرتين أو ثلاثاً، فقال: ليصل بالناس أبو بكر، فإنكن صواحب يوسف. وفي الصحيحين من حديث عبد الملك بن عمير عن أبي بردة عن أبي موسى عن أبيه قال: مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس، فقالت عائشة: يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق متى يقم مقامك لا يستطيع يصلي بالناس. قال: فقال: مروا أبا بكر يصل بالناس فإنكن صواحب يوسف. قال: فصلى أبو بكر حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال الإمام أحمد ثنا عبد الرحمن بن مهدي أنبأنا زائدة عن موسى بن أبي عائشة عن عبيد الله بن عبد الله قال: دخلت على عائشة فقلت: ألا تحدثيني عن مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالت: بلى! ثقل برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فقال: أصلى الناس؟ قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، فقال: ضعوا لي ماء في المخضب، ففعلنا قالت: فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق فقال: أصلى الناس؟ قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، قال: ضعوا لي ماء في المخضب، ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق فقال: أصلى الناس؟ قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، قال: ضعوا لي ماء في المخضب، ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق فقال: أصلى الناس؟ قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، قالت: والناس عكوف في المسجد ينتظرون رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة العشاء، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر بأن يصلي بالناس، وكان أبو بكر رجلا رقيقاً، فقال: يا عمر صل بالناس، فقال: أنت أحق بذلك، فصلى بهم تلك الأيام، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد خفة فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر فأومأ إليه أن لا يتأخر، وأمرهما فأجلساه إلى جنبه، فجعل أبو بكر يصلي قائماً ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي قاعداً. قال عبيد الله: فدخلت على ابن عباس فقلت: ألا أعرض عليك ما حدثتني عائشة عن مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: هات، فحدثته فما أنكر منه شيئاً غير أنه قال: سمت لك الرجل الذي كان مع العباس؟ قلت: لا، قال: هو علي وقد رواه البخاري ومسلم جميعاً عن أحمد بن يونس عن زائدة به. وفي رواية: فجعل أبو بكر يصلي بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم والناس يصلون بصلاة أبي بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد

قال البيهقي : ففي هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم تقدم في الصلاة وعلق أبو بكر صلاته بصلاته قال : وكذلك رواه الأسود وعروة عن عائشة . وكذلك رواه الأرقم بن شرحبيل عن ابن عباس — يعني بذلك — ما رواه الإمام أحمد حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة حدثني أبي عن أبي إسحاق عن الأرقم بن شرحبيل عن ابن عباس ، قال : لما مرض النبي صلى الله عليه وسلم أمر أبا بكر أن يصلي بالناس ، ثم وجد خفة فخرج ، فلما أحس به أبو بكر أراد أن ينكص ، فأومأ إليه النبي صلى الله عليه وسلم ، فجلس إلى جنب أبي بكر عن يساره واستفتح من الآية التي انتهى إليها أبو بكر رضي الله عنه . ثم رواه أيضاً عن وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن أرقم عن ابن عباس بأطول من هذا وقال وكيع مرة : فكان أبو بكر يأتم بالنبي صلى الله عليه وسلم والناس يأتمون بأبي بكر ورواه ابن ماجه عن علي بن محمد عن وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن أرقم بن شرحبيل عن ابن عباس بنحوه . وقد قال الإمام أحمد : حدثنا شبابة ابن سوار حدثنا شعبة عن نعيم بن أبي هند عن أبي وائل عن مسروق عن عائشة ، قالت : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف أبي بكر قاعداً في مرضه الذي مات فيه [وقد رواه الترمذي والنسائي من حديث شعبة ، وقال الترمذي : حسن صحيح] . وقال أحمد : حدثنا بكر بن عيسى سمعت شعبة بن الحجاج عن نعيم بن أبي هند عن أبي وائل عن مسروق عن عائشة : أن أبا بكر صلى بالناس ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف . وقال البيهقي : أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان أنبأنا عبد الله بن جعفر أنبأنا يعقوب بن سفيان حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا شعبة عن سليمان الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى خلف أبا بكر . وهذا إسناد جيد ولم يخرجوه . قال البيهقي : وكذلك رواه حميد عن أنس بن مالك ويونس عن الحسن مرسلا ، ثم أسند ذلك من طريق هشيم أخبرنا يونس عن الحسن . قال هشيم : وأنبأنا حميد عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وأبو بكر يصلي بالناس ، فجلس إلى جنبه وهو في بردة قد خالف بين طرفيها فصلى بصلاته . قال البيهقي : وأخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أنبأنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا عبيد بن شريك أنبأنا ابن أبي مريم أنبأنا محمد بن جعفر أخبرني حميد أنه سمع أنساً يقول : آخر صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع القوم في ثوب واحد ملتحفا به خلف أبي بكر . قلت : وهذا إسناد جيد على شرط الصحيح ولم يخرجوه ، وهذا التقييد جيد بأنها آخر صلاة صلاها مع الناس صلوات الله وسلامه عليه . وقد ذكر البيهقي من طريق سليمان بن بلال ويحيى بن أيوب عن حميد عن أنس : أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى خلف أبي بكر في ثوب واحد مخالفا بين طرفيه ، فلما أراد أن يقوم قال : أدع لي أسامة بن زيد ، فجاء فأسند ظهره إلى نحره فكانت آخر صلاة صلاها . قال البيهقي : ففي هذا دلالة أن هذه الصلاة كانت صلاة الصبح من يوم الاثنين يوم الوفاة

لأنها آخر صلاة صلاها لما ثبت أنه توفى ضحى يوم الاثنين . وهذا الذى قاله البيهقى أخذه مسلما[1] من مغازى موسى بن عقبة فإنه كذلك ذكر . وكذا روى أبو الأسود عن عروة وذلك ضعيف بل هذه آخر صلاة صلاها مع القوم كما تقدم تقييده فى الرواية الأخرى والحديث واحد فيحمل مطلقه على مقيده ثم لا يجوز أن تكون هذه صلاة الصبح من يوم الاثنين يوم الوفاة لأن تلك لم يصلها مع الجماعة بل فى بيته لما به من الضعف صلوات الله وسلامه عليه والدليل على ذلك ما قال البخارى فى صحيحه حدثنا أبو اليمان أنبأنا شعيب عن الزهرى أخبرنى أنس بن مالك وكان تبع النبى صلى الله عليه وسلم وخدمه وصحبه أن أبا بكر كان يصلى لهم فى وجع النبى صلى الله عليه وسلم الذى توفى فيه حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف فى الصلاة فكشف النبى صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة ينظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف ثم تبسم يضحك فهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية النبى صلى الله عليه وسلم ونكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف وظن أن النبى صلى الله عليه وسلم خارج إلى الصلاة فأشار إلينا صلى الله عليه وسلم أن أتموا صلاتكم وأرخى الستر وتوفى من يومه صلى الله عليه وسلم وقد رواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة وصبيح بن كيسان ومعمر عن الزهرى عن أنس ثم قال البخارى : ثنا أبو معمر ثنا عبد الوارث ثنا عبد العزيز عن أنس بن مالك قال لم يخرج النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثا فأقيمت الصلاة فذهب أبو بكر يتقدم فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالحجاب فرفعه فلما وضح وجه النبى صلى الله عليه وسلم ما نظرنا منظراً كان أعجب إلينا من وجه النبى صلى الله عليه وسلم حين وضح لنا، فأومأ النبى صلى الله عليه وسلم بيده إلى أبى بكر أن يتقدم وأرخى النبى صلى الله عليه وسلم الحجاب فلم يقدر عليه حتى مات صلى الله عليه وسلم ورواه مسلم من حديث عبد الصمد بن عبد الوارث عن أبيه به فهذا أوضح دليل على أنه عليه السلام لم يصل يوم الاثنين صلاة الصبح مع الناس ، وأنه كان قد انقطع عنهم لم يخرج إليهم ثلاثا ، قلنا فعلى هذا يكون آخر صلاة صلاها معهم الظهر كما جاء مصرحا به فى حديث عائشة المتقدم ويكون ذلك يوم الخميس لا يوم السبت ولا يوم الأحد كما حكاه البيهقى عن مغازى موسى بن عقبة وهو ضعيف ، ولما قدمنا من خطبته بعدها ولأنه انقطع عنهم يوم الجمعة ، والسبت ، والأحد ، وهذه ثلاثة أيام كوامل ، وقال الزهرى عن أبى بكر بن أبى سبرة ، أن أبا بكر صلى بهم سبع عشرة صلاة وقال غيره عشرين صلاة فالله أعلم . ثم بدا لهم وجهه الكريم صبيحة يوم الاثنين فودعهم بنظرة كادوا يفتتنون بها ثم كان ذلك آخر عهد جمهورهم به ولسان حالهم يقول كما قال بعضهم :

وكنت أرى كالموت من بين ساعة ... فكيف ببين كان موعده الحشر

[والعجب أن الحافظ البيهقى أورد هذا الحديث من هاتين الطريقين ، ثم قال ماحاصله : فلعله عليه السلام احتجب عنهم فى أول ركعة ثم خرج فى الركعة الثانية فصلى خلف أبى بكر كما قال عروة

(١) فى التيمورية : أخذه مسلم من الخ .

وموسى بن عقبة وخفى ذلك على أنس بن مالك أو أنه ذكر بعض الخبر وسكت عن آخره ، وهذا الذى ذكره أيضاً بعيد جداً لأن أنساً قال : فلم يقدر عليه حتى مات ، وفى رواية قال : فكان ذلك آخر العهد به ، وقول الصحابى مقدم على قول التابعى والله أعلم . والمقصود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم أبا بكر الصديق إماماً للصحابة كلهم فى الصلاة التى هى أكبر أركان الإسلام العملية . قال الشيخ أبو الحسن الأشعرى : وتقديمه له أمر معلوم بالضرورة من دين الإسلام ، قال : وتقديمه له دليل على أنه أعلم الصحابة وأقرؤهم لما ثبت فى الخبر المتفق على صحته بين العلماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله ، فإن كانوا فى القراءة سواء فأعلمهم بالسنة ، فإن كانوا فى السنة سواء فأكبرهم سنا ، فإن كانوا فى السن سواء فأقدمهم مُسْلماً » ، قلت : وهذا من كلام الأشعرى رحمه الله مما ينبغى أن يكتب بماء الذهب ، ثم قد اجتمعت هذه الصفات كلها فى الصديق رضى الله عنه وأرضاه ، وصلاة الرسول صلى الله عليه وسلم خلفه فى بعض الصلوات، كما قدمنا بذلك الروايات الصحيحة لا ينافى ما روى فى الصحيح أن أبا بكر ائتم به عليه الصلاة والسلام لأن ذلك فى صلاة أخرى كما نص على ذلك الشافعى وغيره من الأئمة رحمهم الله عز وجل .

﴿ فائدة ﴾ استدل مالك والشافعى وجماعة من العلماء ومنهم البخارى بصلاته عليه الصلاة والسلام قاعداً وأبو بكر مقتديا به قائماً والناس بأبى بكر على نسخ قوله عليه الصلاة والسلام فى الحديث المتفق عليه حين صلى ببعض أصحابه قاعداً، وقد وقع عن فرس فَجُحِش شقه فصلوا وراءه قياماً فأشار إليهم أن اجلسوا فلما انصرف قال : كذلك والذى نفسى بيده تفعلون كفعل فارس والروم يقومون على عظمائهم وهم جلوس ، وقال: إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا وإذا ركع فاركعوا وإذا رفع فارفعوا وإذا سجد فاسجدوا وإذا صلى جالساً فصلوا جلوساً أجمعون قالوا : ثم إنه عليه الصلاة والسلام أمهم قاعداً وهم قيام فى مرض الموت فدل على نسخ ما تقدم ، والله أعلم . وقد تنوعت مسالك الناس فى الجواب عن هذا الاستدلال على وجوه كثيرة موضع ذكرها كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان وملخص ذلك أن من الناس من زعم أن الصحابة جلسوا لأمره المتقدم وإنما استمر أبو بكر قائماً لأجل التبليغ عنه صلى الله عليه وسلم . ومن الناس من قال : بل كان أبو بكر هو الإمام فى نفس الأمر كما صرح به بعض الرواة كما تقدم ، وكان أبو بكر لشدة أدبه مع الرسول صلى الله عليه وسلم لا يبادره ، بل يقتدى به ، فكأنه عليه الصلاة والسلام صار إمام الإمام فلهذا لم يجلسوا لاقتدائهم بأبى بكر وهو قائم ، ولم يجلس الصديق لأجل أنه إمام ولأنه يبلغهم عن النبى صلى الله عليه وسلم الحركات والسكنات والانتقالات ، والله أعلم

ومن الناس من قال : فرق بين أن يبتدأ الصلاة خلف الإمام فى حال القيام فيستمر فيها قائماً

وإن طرأ جلوس الإمام فى أثنائها كما فى هذه الحال وبين أن يبتدىء الصلاة خلف إمام جالس فيجب الجلوس للحديث المتقدم ، والله أعلم . ومن الناس من قال : هذا الصنيع والحديث المتقدم دليل على جواز القيام والجلوس وإن كلا منهما سائغ جائز الجلوس لما تقدم والقيام للفعل المتأخر والله أعلم .

﴿ فصل فى كيفية احتضاره ووفاته عليه الصلاة والسلام ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن ابراهيم التيمى عن الحارث بن سويد عن عن عبد الله هو ابن مسعود قال : دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يوعك فمسسته فقلت يا رسول الله إنك لتوعك وعكا شديداً ، قال : أجل ! إنى أوعك كما يوعك الرجلان منكم ، قلت : إن لك أجرين ، قال : « نعم ! والذى نفسى بيده ما على الأرض مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله عنه خطاياه كما تحط الشجرة ورقها » . وقد أخرجه البخارى ومسلم من طرق متعددة عن سليمان بن مهران الأعمش به . وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى فى مسنده : حدثنا اسحاق بن أبى اسرائيل ثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن زيد بن أسلم عن رجل عن أبى سعيد الخدرى قال : وضع يده على النبى صلى الله عليه وسلم فقال والله ما أطيق أن أضع يدى عليك من شدة حماك ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إنا معشر الأنبياء يضاعف لنا البلاء كما يضاعف لنا الأجر ، إن كان النبى من الأنبياء ليبتلى بالقمل حتى يقتله ، وإن كان الرجل ليبتلى بالعرى حتى يأخذ العباءة فيجوبها ، وإن كانوا ليفرحون بالبلاء كما يفرحون بالرخاء » فيه رجل مُبْهَم لا يعرف بالكلية فالله أعلم . وقد روى البخارى ومسلم من حديث سفيان الثورى وشعبة بن الحجاج زاد مسلم وجرير ثلاثتهم عن الأعمش عن أبى وائل شقيق بن سلمة عن مسروق عن عائشة قالت : ما رأيت الوجع على أحد أشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى صحيح البخارى من حديث يزيد بن الهاد عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة ، قالت : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين حاقنتى وذاقنتى ، فلا أكره شدة الموت لأحد بعد النبى صلى الله عليه وسلم . وفى الحديث الآخر الذى رواه البخارى فى صحيحه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان فى دينه صلابة شدد عليه فى البلاء » . وقال الإمام أحمد حدثنا يعقوب ثنا أبى ثنا محمد بن اسحاق حدثنى سعيد بن عبيد بن السباق عن محمد بن أسامة بن زيد عن أبيه أسامة بن زيد قال : لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم هبطت وهبط الناس معى إلى المدينة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصمت فلا يتكلم ، فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يصيبها على وجهه أعرف أنه يدعو لى . ورواه الترمذى عن أبى كريب عن يونس بن بكير عن ابن إسحاق وقال الإمام مالك فى موطأه عن اسماعيل بن أبى حكيم أنه سمع عمر بن عبد العزيز يقول : كان من

آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال : « قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، لا يبقين دينان بأرض العرب » هكذا رواه مرسلا عن أمير المؤمنين عمر ابن عبد العزيز رحمه الله . وقد روى البخارى ومسلم من حديث الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة عن عائشة وابن عباس قالا : لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم كشفها عن وجهه ، فقال وهو كذلك : « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما صنعوا . وقال الحافظ البيهقى أنبأنا أبو بكر بن أبى رجاء الأديب أنبأنا أبو العباس الأصم ثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن أبى سفيان عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاث : « أحسنوا الظن بالله » وفى بعض الأحاديث كما رواه مسلم من حديث الأعمش عن أبى سفيان عن أبى سفيان طلحة بن نافع عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يموتن أحدكم إلا وهو حسن الظن بالله تعالى » . وفى الحديث الآخر يقول الله تعالى: « أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى خيراً » . وقال البيهقى أنبأنا الحاكم حدثنا الأصم ثنا محمد بن اسحاق الصغانى ثنا أبو خيثمة زهير بن حرب ثنا جرير عن سليمان التيمى عن قتادة عن أنس قال : كانت عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضره الوفاة : « الصلاة وما ملكت أيمانكم » حتى جعل يغرغر بها وما يفصح بها لسانه . وقد رواه النسائى عن اسحاق بن راهويه عن جرير بن عبد الحميد به وابن ماجه عن أبى الأشعث عن معتمر بن سليمان عن أبيه به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسباط بن محمد ثنا التيمى عن قتادة عن أنس بن مالك قال : كانت عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضره الموت « الصلاة وما ملكت أيمانكم » حتى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يغرغر بها صدره وما يكاد يفيض بها لسانه . وقد رواه النسائى وابن ماجه من حديث سليمان بن طرخان وهو التيمى عن قتادة عن أنس به . وفى رواية للنسائى عن قتادة عن صاحب له عن أنس به .

وقال أحمد ثنا بكر بن عيسى الراسبى ثنا عمر بن الفضل عن نعيم بن يزيد عن على بن أبى طالب قال : أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن آتيه بطبق يكتب فيه ما لا تضل أمته من بعده ، قال : فخشيت أن تفوتنى نفسه ، قال قلت : إنى أحفظ وأعى ، قال : « أوصى بالصلاة والزكاة وما ملكت أيمانكم » . تفرد به أحمد من هذا الوجه .

وقال يعقوب بن سفيان ثنا أبو النعمان محمد بن الفضيل ثنا أبو عوانة عن قتادة عن سفينة عن أم سلمة ، قالت : كانت عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته : « الصلاة وما ملكت أيمانكم حتى جعل يلجلجها فى صدره وما يفيض بها لسانه وهكذا رواه النسائى عن حميد

ابن مسعدة عن يزيد بن زريع عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن سفينة عن أم سلمة به [قال البيهقى : والصحيح ما رواه عفان عن همام عن قتادة عن أبى الخليل عن سفينة عن أم سلمة به] . وهكذا رواه النسائى أيضاً وابن ماجه من حديث يزيد بن هارون عن همام عن قتادة عن صالح أبى الخليل عن سفينة عن أم سلمة به . وقد رواه النسائى أيضاً عن قتيبة عن أبى عوانة عن قتادة عن سفينة عن النبى صلى الله عليه وسلم فذكره . ثم رواه عن محمد بن عبد الله بن المبارك عن يونس بن محمد ، قال : حدثنا عن سفينة فذكر نحوه . وقال أحمد : حدثنا يونس حدثنا الليث عن يزيد بن الهاد عن موسى بن سرجس عن القاسم عن عائشة ، قالت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يموت وعنده قدح فيه ماء فيدخل يده فى القدح ثم يمسح وجهه بالماء ، ثم يقول : اللهم أعنى على سكرات الموت . ورواه الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث الليث به . وقال الترمذى : غريب . وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع عن إسماعيل عن مصعب ابن إسحاق بن طلحة عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليهوّن علىّ أنى رأيت بياض كف عائشة فى الجنة » . تفرد به أحمد وإسناده لا بأس به . وهذا دليل على شدة محبته عليه الصلاة والسلام لعائشة رضى الله عنها . وقد ذكر الناس معانى كثيرة فى كثرة المحبة ، ولم يبلغ أحدهم هذا المبلغ وما ذاك إلا لأنهم يبالغون كلاماً لا حقيقة له ، وهذا كلام حق لا محالة ولا شك فيه . وقال حماد بن زيد عن أيوب عن ابن أبى مليكة ، قال : قالت عائشة : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى وتوفى بين سحرى ونحرى ، وكان جبريل يعوذه بدعاء إذا مرض ، فذهبت أعوذه فرفع بصره إلى السماء وقال : فى الرفيق الأعلى فى الرفيق الأعلى ، ودخل عبد الرحمن بن أبى بكر وبيده جريدة رطبة ، فنظر إليها ، فظننت أن له بها حاجة ، قالت : فأخذتها فنفضتها فدفعتها إليه ، فاستن بها أحسن ما كان مستناً ثم ذهب يناولنيها فسقطت من يده ، قالت : فجمع الله بين ريقى وريقه فى آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة . ورواه البخارى عن سليمان بن حرب عن حماد بن زيد به . وقال البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنى أبو نصر أحمد بن سهل الفقيه ببخارى حدثنا صالح بن محمد الحافظ البغدادى حدثنا داود عن عمرو بن زهير الضبى حدثنا عيسى بن يونس عن عمر بن سعيد بن أبى حسين أنبأنا ابن أبى مليكة أن أبا عمرو ذكوان مولى عائشة أخبره أن عائشة كانت تقول : إن من نعمة الله علىّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى فى يومى وفى بيتى وبين سحرى ونحرى وإن الله جمع بين ريقى وريقه عند الموت ، قالت : دخل علىّ أخى بسواك معه وأنا مسندة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صدرى فرأيته ينظر إليه ، وقد عرفت أنه يحب السواك ويألفه ، فقلت : آخذه لك فأشار برأسه أن نعم ! فلينته له فأمرّه على فيه ، قالت : وبين يديه ركوة أو علبة فيها ماء ، فجعل يدخل يده فى الماء فيمسح بها وجهه ، ثم يقول : لا إله إلا الله إن الموت لسكرات ،

ثم نصب أصبعه اليسرى وجعل يقول : فى الرفيق الأعلى فى الرفيق الأعلى حتى قبض ومالت يده فى الماء . ورواه البخارى عن محمد عن عيسى بن يونس . وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا شعبة عن سعد بن إبراهيم سمعت عروة يحدث عن عائشة ، قالت : كنا نحدث أن النبى لا يموت حتى يخير بين الدنيا والآخرة ، قالت : فلما كان مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى مات فيه عرضت له بحة ، فسمعته يقول : مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، قالت عائشة : فظننا أنه كان يخير . وأخرجاه من حديث شعبة به . وقال الزهرى : أخبرنى سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير فى رجال من أهل العلم أن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو صحيح : إنه لم يقبض نبى حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير . قالت عائشة : فلما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه على فخذى غشى عليه ساعة ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت وقال : اللهم الرفيق الأعلى ، فعرفت أنه الحديث الذى كان حدثناه وهو صحيح أنه لم يقبض نبى قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير قالت عائشة : فقلت : إذاً لا تختارنا وقالت عائشة : كانت تلك الكلمة آخر كلمة تكلم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم : الرفيق الأعلى . أخرجاه من غير وجه عن الزهرى به . وقال سفيان هو الثورى عن إسماعيل بن أبى خالد عن أبى بردة عن عائشة ، قالت : أغمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى حجرى ، فجعلت أمسح وجهه وأدعو له بالشفاء ، فقال : لا ، بل أسأل الله الرفيق الأعلى الأسعد مع جبريل وميكائيل وإسرافيل رواه النسائى من حديث سفيان الثورى به . وقال البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ وغيره قالوا : حدثنا أبو العباس الأصم حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم حدثنا أنس بن عياض عن هشام بن عروة عن عباد بن عبد الله بن الزبير أن عائشة أخبرته أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصغت إليه قبل أن يموت وهو مستند إلى صدرها يقول : اللهم اغفر لى وارحمنى وألحقنى بالرفيق [الأعلى]. أخرجاه من حديث هشام بن عروة . وقال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب حدثنا أبى عن ابن إسحاق حدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد سمعت عائشة تقول : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحرى ونحرى وفى دولتى ولم أظلم فيه أحداً ، فمن سفهى وحداثة سنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو فى حجرى ثم وضعت رأسه على وسادة وقمت ألتدم مع النساء وأضرب وجهى .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير ثنا كثير بن زيد عن المطلب بن عبد الله ، قال : قالت عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : مامن نبى إلا تقبض نفسه ثم يرى الثواب ثم ترد إليه فيخير بين أن ترد إليه وبين أن يلحق ، فكنت قد حفظت ذلك منه ، فإنى لمسندته إلى صدرى فنظرت إليه حين مالت عنقه فقلت قد قضى فعرفت الذى قال ، فنظرت إليه

حين ارتفع فنظر ، قالت قلت : إذاً والله لا يختارنا ، فقال : مع الرفيق الأعلى فى الجنة ، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً . تفرد به أحمد ولم يخرجوه . وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان أنبأنا همام أنبأنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه بين سحري ونحري ، قالت : فلما خرجت نفسه لم أجد ريحا قط أطيب منها . وهذا إسناد صحيح على شرط الصحيحين ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة . ورواه البيهقي من حديث حنبل بن اسحاق عن عفان . وقال البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو العباس الأصم ثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا يونس عن أبي معشر عن محمد بن قيس عن أبي عروة عن أم سلمة قالت : وضعت يدى على صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات فمرت لى جمع آكل وأتوضأ وما يذهب ريح المسك من يدى . وقال أحمد حدثنا عفان وبهز قالا : ثنا سليمان بن المغيرة ثنا حميد بن هلال عن أبي بردة ، قال دخلت على عائشة فأخرجت إلينا إزاراً غليظا مما يصنع باليمن وكساء من التى يدعون الملبّدة فقالت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض فى هذين الثوبين ، وقد رواه الجماعة إلا النسائى من طرق عن حميد بن هلال به ، وقال الترمذى حسن صحيح . وقال الإمام أحمد ثنا بهز ثنا حماد بن سلمة أنبأنا أبو عمران الجونى عن يزيد بن بابنوس ، قال : ذهبت أنا وصاحب لى إلى عائشة فاستأذنا عليها فألقت لنا وسادة وجذبت إليها الحجاب ، فقال صاحبي : يا أم المؤمنين ما تقولين فى العراك ؟ قالت : وما العراك ؟ فضربت منكب صاحبي ، قالت : مه آذيت أخاك ، ثم قالت ما العراك ، المحيض ؟ قولوا ما قال الله عز وجل فى المحيض . ثم قالت :كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوشحني وينال من رأسى وبينى وبينه ثوب وأنا حائض ، ثم قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مر ببابى مما يلقى الكلمة ينفعنى الله بها ، فمر ذات يوم فلم يقل شيئا ثم مر فلم يقل شيئا مرتين أو ثلاثا ، فقلت : يا جارية ضعى لى وسادة على الباب ، وعصبت رأسى فمر بى فقال : يا عائشة ما شأنك ؟ فقلت : أشتكى رأسى ، فقال : أنا وارأساه ، فذهب فلم يلبث إلا يسيراً حتى جيء به محمولا فى كساء فدخل عَلَيَّ وبعث إلى النساء فقال : إنى قد اشتكيت وإنى لا أستطيع أن أدور بينكن فأذن لى فلأ كن عند عائشة ، فكنت أمرضه ولم أمرض أحداً قبله ، فبينما رأسه ذات يوم على منكبي إذ مال رأسه نحو رأسى فظننت أنه يريد من رأسى حاجة فخرجت من فيه نطفة باردة فوقعت على نقرة نحرى فاقشعر لها جلدى فظننت أنه غشى عليه فسجيته ثوبا فجاء عمر والمغيرة بن شعبة فاستأذنا فأذنت لهما وجذبت إلى الحجاب ، فنظر عمر إليه فقال : واغشياه ، ما أشد غشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قاما فلما دنوا من الباب قال المغيرة : يا عمر مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : كذبت ، بل أنت رجل تحوسك فتنة ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت حتى يفنى الله المنافقين ، قالت : ثم جاء أبو بكر فرفعت الحجاب فنظر إليه فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، مات رسول

الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أتاه من قبل رأسه لحدر رأسه فقبل جبهته ثم قال : وانبياه ، ثم رفع رأسه لحدر فاه وقبل جبهته ثم قال : واصفياه ، ثم رفع رأسه وحدر فاه وقبل جبهته وقال : واخليلاه ، مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج إلى المسجد وعمر يخطب الناس ويتكلم ويقول : إن رسول الله لا يموت حتى يفنى الله المنافقين ، فتكلم أبو بكر لحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله يقول (إنك ميت وإنهم ميتون) حتى فرغ من الآية ، (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه) حتى فرغ من الآية ، ثم قال : فمن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت ، ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، فقال عمر : أوأنها فى كتاب الله ؟ ما شعرت أنها فى كتاب الله ، ثم قال عمر : يا أيها الناس ! هذا أبو بكر وهو ذو شيبة المسلمين فبايعوه ، فبايعوه .

وقد روى أبو داود والترمذى فى الشمائل من حديث مرحوم بن عبد العزيز العطار عن أبى عمران الجونى به ببعضه ؛ وقال الحافظ البيهقى أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو بكر بن اسحق أخبرنا أحمد بن ابراهيم بن ملحان ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب أخبرنى أبو سلمة عن عبد الرحمن أن عائشة أخبرته أن أبا بكر أقبل على فرس من مسكنه بالسُّنح حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فيمم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مسجى ببُرْد حِبَرة فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله ثم بكى ، ثم قال : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، والله لا يجمع الله عليك موتتين أبداً ، أما الموتة التى كتبت عليك فقد مِتها . قال الزهرى وحدثنى أبو سلمة عن ابن عباس أن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس ، فقال : اجلس يا عمر ! فأبى عمر أن يجلس ، فقال : اجلس يا عمر ! فأبى عمر أن يجلس ، فتشهد أبو بكر فأقبل الناس إليه ، فقال : أما بعد فمن كان منكم يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت ، قال الله تعالى (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) الآية ، قال : فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم فما سمع بشر من الناس إلا يتلوها . قال الزهرى : وأخبرنى سعيد بن المسيب أن عمر قال : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعرفت أنه الحق فعقِرت حتى ما تقلنى رجلاى وحتى هويت إلى الأرض وعرفت حين سمعته تلاها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات . ورواه البخارى عن يحيى بن بكير به ، وروى الحافظ البيهقى من طريق ابن لهيعة ثنا أبو الأسود عن عروة بن الزبير فى ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : وقام عمر بن الخطاب يخطب الناس ويتوعد من قال مات بالقتل والقطع ، ويقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غشية لو قد قام قتل وقطع ، وعمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم بن

أم مكتوم فى مؤخر المسجد يقرأ (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) الآية والناس فى المسجد يبكون ويموجون لا يسمعون ، فخرج عباس بن عبد المطلب على الناس فقال : أيها الناس هل عند أحد منكم من عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفاته فليحدثنا ، قالوا : لا ! قال : هل عندك يا عمر من علم ؟ قال : لا ! فقال العباس : اشهدوا أيها الناس أن أحداً لا يشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعهد عهده إليه فى وفاته ، والله الذى لا إله إلا هو لقد ذاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ، قال : وأقبل أبو بكر رضى الله عنه من السنح على دابته حتى نزل بباب المسجد وأقبل مكروبا حزينا فاستأذن فى بيت ابنته عائشة فأذنت له فدخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفى على الفراش والنسوة حوله فخمّرن وجوههن واستترن من أبى بكر إلا ما كان من عائشة ، فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فجثى عليه يقبله ويبكى ويقول : ليس ما يقوله ابن الخطاب شيئا ، توفى رسول الله والذى نفسى بيده ، رحمة الله عليك يا رسول الله ما أطيبك حيا وميتا ، ثم غشاه بالثوب ثم خرج سريعا إلى المسجد يتخطى رقاب الناس حتى أتى المنبر ، وجلس عمر حين رأى أبا بكر مقبلا إليه ، وقام أبو بكر إلى جانب المنبر ونادى الناس فجلسوا وأنصتوا ، فتشهد أبو بكر بما علمه من التشهد ، وقال : إن الله عز وجل نعى نبيه إلى نفسه وهو حى بين أظهركم ونعاكم إلى أنفسكم ، وهو الموت حتى لا يبقى منكم أحد إلا الله عز وجل ، قال تعالى (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) الآية ، فقال عمر : هذه الآية فى القرآن ؟ والله ما علمت أن هذه الآية أنزلت قبل اليوم ، وقد قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم : (إنك ميت وإنهم ميتون) ، وقال الله تعالى : (كل شىء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون) وقال تعالى : (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وقال : (كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة) ، وقال : إن الله عمّر محمداً صلى الله عليه وسلم وأبقاه حتى أقام دين الله وأظهر أمر الله وبلغ رسالة الله وجاهد فى سبيل الله ثم توفاه الله على ذلك ، وقد ترككم على الطريقة فلن يهلك هالك إلا من بعد البينة والشفاء ، فمن كان الله ربه فإن الله حى لا يموت ، ومن كان يعبد محمداً وينزله إلها فقد هلك إلهه ؛ فاتقوا الله أيها الناس واعتصموا بدينكم وتوكلوا على ربكم فإن دين الله قائم وإن كلمة الله تامة وإن الله ناصر من نصره ومعز دينه ، وإن كتاب الله بين أظهرنا وهو النور والشفاء وبه هدى محمداً صلى الله عليه وسلم وفيه حلال الله وحرامه ، والله لا نبالى من أجلب علينا من خلق الله ، إن سيوف الله لمسلولة ما وضعناها بعد ولنجاهدن من خالفنا كما جاهد نامع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يبغين أحد إلا على نفسه . ثم انصرف معه المهاجرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث فى غسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه ، قلت : كما سنذكره مفصلا بدلائله وشواهده إن شاء الله تعالى . وذكر الواقدى عن شيوخه قالوا : ولما شك فى موت

النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال بعضهم : مات ! وقال بعضهم : لم يمت ، وضعت أسماء بنت عميس يدها بين كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : قد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رفع الخاتم من بين كتفيه فكان هذا الذي قد عرف به موته . هكذا أورده الحافظ البيهقي في كتابه دلائل النبوة من طريق الواقدي ، وهو ضعيف وشيوخه لم يسمون ، ثم هو منقطع بكل حال ومخالف لما صح ، وفيه غرابة شديدة وهو رفع الخاتم ، فالله أعلم بالصواب .
وقد ذكر الواقدي وغيره في الوفاة أخباراً كثيرة فيها نكارات وغرابة شديدة أضربنا عن أكثرها صفحاً لضعف أسانيدها ونكارة متونها ولا سيما مايورده كثير من القصاص المتأخرين وغيرهم فكثير منه موضوع لا محالة ، وفي الأحاديث الصحيحة والحسنة المروية في الكتب المشهورة غنية عن الأكاذيب وما لا يعرف سنده ، والله أعلم .

فصل

﴿ في ذكر أمور مهمة وقعت بعد وفاته وقبل دفنه عليه السلام ﴾

ومن أعظمها وأجلها وأيمنها بركة على الإسلام وأهله بيعة أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام لما مات كان الصديق رضى الله عنه قد صلى بالمسلمين صلاة الصبح ، وكان إذ ذاك قد أفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم إفاقة من غمرة ما كان فيه من الوجع وكشف ستر الحجرة ونظر إلى المسلمين وهم صفوف في الصلاة خلف أبي بكر فأعجبه ذلك وتبسم صلوات الله وسلامه عليه حتى هم المسلمون أن يتركوا ما هم فيه من الصلاة لفرحهم به وحتى أراد أبو بكر أن يتأخر ليصل الصف ، فأشار إليهم أن يمكثوا كما هم وأرخى الستارة وكان آخر العهد به عليه الصلاة والسلام ، فلما انصرف أبو بكر رضى الله عنه من الصلاة دخل عليه وقال لعائشة : ما أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قد أقلع عنه من الوجع وهذا يوم بنت خارجة - يعني إحدى زوجتيه - وكانت ساكنة بالسنح شرقي المدينة فركب على فرس له وذهب إلى منزله ، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الضحى من ذلك اليوم وقيل عند زوال الشمس والله أعلم .
فلما مات واختلف الصحابة فيما بينهم فمن قائل يقول : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن قائل : لم يمت ، فذهب سالم بن عبيد وراء الصديق إلى السنح فأعلمه بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء الصديق من منزله حين بلغه الخبر ، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم منزله وكشف الغطاء عن وجهه وقبله وتحقق أنه قد مات [ثم] خرج إلى الناس فخطبهم إلى جانب المنبر وبين لهم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قدمنا وأزاح الجدل وأزال الإشكال ورجع الناس كلهم إليه وبايعه في المسجد جماعة من الصحابة ، ووقعت شبهة لبعض الأنصار ، وقام في أذهان بعضهم جواز استخلاف خليفة من الأنصار وتوسط بعضهم بين أن يكون أمير من المهاجرين وأمير من الأنصار حتى بين لهم الصديق أن الخلافة لا تكون إلا في قريش ، فرجعوا إليه وأجمعوا عليه كما سنبينه وننبه عليه .

﴿ قصة سقيفة بنى ساعدة ﴾

قال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى الطباع حدثنا مالك بن أنس حدثنى ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن ابن عباس أخبره أن عبد الرحمن بن عوف رجع إلى رحله — قال ابن عباس : وكنت أقرىء عبد الرحمن بن عوف فوجدنى وأنا أنتظره — وذلك بمنى فى آخر حجة حجها عمر بن الخطاب ، فقال عبد الرحمن بن عوف : إن رجلا أتى عمر ابن الخطاب فقال : إن فلانا يقول : لو قد مات عمر بايعت فلاناً ، فقال عمر : إنى قائم العشية إن شاء الله فى الناس فمحذرهم هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يغصبوهم أمرهم . قال عبد الرحمن : فقلت : يا أمير المؤمنين لا تفعل فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم وأنهم الذين يغلبون على مجلسك إذا قمت فى الناس ، فأخشى أن تقول مقالة يطير بها أولئك فلا يعوها ولا يضعوها مواضعها ولكن حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنة وتخلص بعلماء الناس وأشرافهم فتقول ما قلت متمكنا فيعوا مقالتك ويضعوها مواضعها ، قال عمر : لئن قدمت المدينة صالحاً لأكلمن بها الناس فى أول مقام أقومه ، فلما قدمنا المدينة فى عقب ذى الحجة ، وكان يوم الجمعة عجلت الرواح صكة الأعمى قلت لمالك : وما صكة الأعمى[1] ؟ قال : إنه لا يبالى أى ساعة خرج لا يعرف الحر والبرد أو نحو هذا ، فوجدت سعيد بن زيد عند ركن المنبر الأيمن قد سبقنى فجلست حذاءه تحك ركبتى ركبته فلم أنشب أن طلع عمر ، فلما رأيته قلت : ليقولن العشية على هذا المنبر مقالة ما قالها عليه أحد قبله . قال : فأنكر سعيد بن زيد ذلك وقال : ما عسيت أن يقول مالم يقل أحد ؟ فجلس عمر على المنبر ، فلما سكت المؤذن قام فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد أيها الناس فإنى قائل مقالة وقد قدر لى أن أقولها لا أدرى لعلها بين يدى أجلى فمن وعاها وعقلها فيحدث بها حيث انتهت به راحلته ، ومن لم يعها فلا أحل له أن يكذب علىّ ، إن الله بعث محمداً بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها ووعيناها وعقلناها ، ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل : لا نجد آية الرجم فى كتاب الله ، فيضلوا بترك فريضة قد أنزلها الله عز وجل ، فالرجم فى كتاب الله حق على من زنا إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف ، ألا وإنا قد كنا نقرأ لا ترغبوا عن آبائكم فإن كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم ، ألا وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تطرونى كما أطرى عيسى بن مريم ، فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله ، وقد بلغنى أن قائلا منكم يقول : لو قد مات عمر بايعت فلاناً ، فلا يغترن امرؤ أن يقول : إن بيعة أبى بكر كانت فلتة فتمت ، ألا وإنها كانت كذلك إلا إن الله وقى شرها وليس فيكم اليوم من تقطع إليه الأعناق مثل أبى بكر ، وإنه كان من

---

(١) كذا فى الأصلين ، وفى النهاية : صكة عمى .

خبر حين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم إن عليا والزبير ومن كان معهما تخلفوا فى بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتخلف عنها الأنصار بأجمعها فى سقيفة بنى ساعدة ، واجتمع المهاجرون إلى أبى بكر ، فقلت له : يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار ، فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا رجلان صالحان فذكرا لنا الذى صنع القوم ، فقالا : أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟ فقلت : نريد إخواننا من الأنصار ، فقالا : لا عليكم أن لا تقربوهم واقضوا أمركم يا معشر المهاجرين ، فقلت : والله لنأتينهم ، فانطلقنا حتى جئناهم فى سقيفة بنى ساعدة ، فإذا هم مجتمعون وإذا بين ظهرانيهم رجل مزمل ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : سعد بن عبادة ، فقلت : ماله ؟ قالوا : وجع ، فلما جلسنا قام خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله وقال : أما بعد ، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط نبينا ، وقد دفت دافة منكم يريدون أن يختزلونا من أصلنا ويحصونا من الأمر ، فلما سكت أردت أن أتكلم وكنت قد زورت مقالة أعجبتنى أردت أن أقولها بين يدى أبى بكر وكنت أدارى منه بعض الحد وهو كان أحكم منى وأوقر ، والله ما ترك من كلمة أعجبتنى فى تزويرى إلا قالها فى بديهته وأفضل حين سكت ، فقال : أما بعد ، فما ذكرتم من خير فأنتم أهله وما تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحىّ من قريش هم أوسط العرب نسباً وداراً وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين أيهما شئتم وأخذ بيدى ويد أبى عبيدة بن الجراح ، فلم أكره مما قال غيرها كان والله أن أقدم فتضرب عنقى لا يقربنى ذلك إلى إثم أحب إلىّ أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر الا أن تغر نفسى عند الموت . فقال قائل من الأنصار : أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب منا أمير ومنكم أمير يامعشر قريش فقلت لمالك : ما يعنى أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب ؟ قال : كأنه يقول : أنا داهيتها . قال : فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى خشينا الاختلاف ، فقلت : أبسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعه الأنصار ونزونا على سعد بن عبادة ، فقال قائل منهم : قتلتم سعدا ، فقلت : قتل الله سعدا . قال عمر : أما والله ما وجدنا فيما حضرنا أمراً هو أوفق من مبايعة أبى بكر خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة ، فإما نتابعهم على مالا نرضى وإما أن نخالفهم فيكون فساد ، فمن بايع أميراً عن غير مشورة المسلمين فلا بيعة له ولا بيعة للذى بايعه تغرّة أن يقتلا . قال مالك : فأخبرنى ابن شهاب عن عروة : أن الرجلين اللذين لقياهما عويم بن ساعدة ومعن بن عدى قال ابن شهاب : وأخبرنى سعيد بن المسيب أن الذى قال أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب هو الحباب بن المنذر . وقد أخرج هذا الحديث الجماعة فى كتبهم من طرق عن مالك وغيره عن الزهرى به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا معاوية عن عمرو حدثنا زائدة حدثنا عاصم ح وحدثنى حسين بن علىّ عن زائدة عن عاصم عن زر عن عبد الله — هو ابن مسعود — قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت الأنصار : منا أمير ومنكم أمير ، فأتاهم عمر فقال :

يا معشر الأنصار ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أبا بكر أن يؤم الناس فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر ، فقالت الأنصار : نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر ، ورواه النسائي عن إسحاق بن راهويه وهناد بن السرى عن حسين بن على الجعفى عن زائدة به ، ورواه على بن المديني عن حسين بن على وقال صحيح لا أحفظه إلا من حديث زائدة عن عاصم وقد رواه النسائي أيضاً من حديث سلمة بن نُبيط عن نعيم بن أبى هند عن نبيط بن شريط عن سالم بن عبيد عن عمر مثله وقد روى عن عمر بن الخطاب نحوه من طريق آخر وجاء من طريق محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس عن عمر ، أنه قال قلت : يا معشر المسلمين إن أولى الناس بأمر نبى الله ثانى اثنين إذ هما فى الغار وأبو بكر السباق المسن ثم أخذت بيده وبدرنى رجل من الأنصار فضرب على يده قبل أن أضرب على يده ثم ضربت على يده وتبايع الناس . وقد روى محمد بن سعد عن عارم بن الفضل عن حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد فذكر نحواً من هذه القصة وسمى هذا الرجل الذى بايع الصديق قبل عمر بن الخطاب ، فقال : هو بشير بن سعد والد النعمان بن بشير .

﴿ ذكر اعتراف سعد بن عبادة بصحة ما قاله الصديق يوم السقيفة ﴾

قال الإمام أحمد [حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة عن داود بن عبد الله الأوزدى عن حميد بن عبد الرحمن قال : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه فى صائفة من المدينة . قال : فجاء [فكشف] عن وجهه فقبله . وقال فداك أبى وأمى ما أطيبك حيا وميتا ، مات محمد ورب الكعبة ، فذكر الحديث ، قال فانطلق أبو بكر وعمر يتعادان حتى أتوهم فتكلم أبو بكر فلم يترك شيئا أنزل فى الأنصار ولا ذكره رسول الله من شأنهم إلا ذكره ، وقال : لقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : لو سلك الناس واديا وسلكت الأنصار واديا سلكت وادى الأنصار ، ولقد علمت يا سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ـ وأنت قاعد ـ قريش ولاة هذا الأمر فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم ، فقال له سعد : صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء ، وقال الإمام أحمد](1) حدثنا على بن عباس ثنا الوليد بن مسلم أخبرنى يزيد بن سعيد بن ذى عضوان العبسى عن عبد الملك بن عمير اللخمى عن رافع الطائى رفيق أبى بكر الصديق فى غزوة ذات السلاسل ، قال : وسألته عما قيل فى بيعتهم ، فقال : وهو يحدثه عما تقاولت به الأنصار وما كلمهم به وما كلم به عمر بن الخطاب الأنصار وما ذكرهم به من إمامتى إياهم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه فبايعونى لذلك وقبلتها منهم وتخوفت أن

(١) ما بين المربعين عن التيمورية فقط .

تكون فتنة بعدها ردة . وهذا إسناد جيد قوى ومعنى هذا أنه رضى الله عنه إنما قبل الإمامة تخوفا أن تقع فتنة أربى من تركه قبولها رضى الله عنه وأرضاه ، قلت كان هذا فى بقية يوم الاثنين فلما كان الغد صبيحة يوم الثلاثاء اجتمع الناس فى المسجد فتمت البيعة من المهاجرين والأنصار قاطبة وكان ذلك قبل تجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ، قال البخارى أنبأنا ابراهيم بن موسى ثنا هشام عن معمر عن الزهرى أخبرنى أنس بن مالك أنه سمع خطبة عمر الأخيرة حين جلس على المنبر وذلك الغد من يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر صامت لا يتكلم، قال : كنت أرجو أن يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يدبرنا — يريد بذلك أن يكون آخرهم — فإن يك محمداً قد مات فإن الله قد جعل بين أظهركم نوراً تهتدون به هدى الله محمداً صلى الله عليه وسلم وإن أبا بكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثانى اثنين وأنه أولى المسلمين بأموركم ، فقدموا فبايعوه وكانت طائفة قد بايعوه قبل ذلك فى سقيفة بنى ساعدة وكانت بيعة العامة على المنبر ، قال الزهرى عن أنس بن مالك سمعت عمر يقول يومئذ لأبى بكر : أصعد المنبر ! فلم يزل به حتى صعد المنبر فبايعه الناس عامة ، وقال محمد بن اسحاق حدثنى الزهرى حدثنى أنس بن مالك ، قال : لما بويع أبو بكر فى السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر وقام عمر فتكلم قبل أبى بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أيها الناس إنى قد كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت وما وجدتها فى كتاب الله ولا كانت عهداً عهدها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنى كنت أرى أن رسول الله سيدبر أمرنا — يقول يكون آخرنا — وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذى هو به هدى رسول الله فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه الله له ، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثانى اثنين إذ هما فى الغار فقوموا فبايعوه ، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة ، ثم تكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد أيها الناس فإنى قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينونى ، وان أسأت فقومونى ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى أزيح علته إن شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ منه الحق إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة فى قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء ، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله . وهذا إسناد صحيح فقوله رضى الله عنه : — وليتكم ولست بخيركم — من باب الهضم والتواضع فإنهم مجمعون على أنه أفضلهم وخيرهم رضى الله عنهم ، وقال الحافظ أبو بكر البيهقى أخبرنا أبو الحسن على بن محمد الحافظ الاسفراييني حدثنا أبو على الحسين بن على الحافظ حدثنا أبو بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة وابراهيم بن أبى طالب، قالا : حدثنا بندار بن بشار ، وحدثنا أبو هشام المخزومى حدثنا وهيب حدثنا داود بن أبى هند

حدثنا أبو نضرة عن أبي سعيد الخدرى قال : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمع الناس في دار سعد بن عبادة وفيهم أبو بكر وعمر ، قال : فقام خطيب الأنصار فقال : أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من المهاجرين وخليفته من المهاجرين ، ونحن كنا أنصار رسول الله ونحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره ، قال : فقام عمر بن الخطاب فقال: صدق قائلكم أما لو قلتم على [غير] هذا لم نتابعكم ، وأخذ بيد أبي بكر وقال : هذا صاحبكم فبايعوه ، فبايعه عمر وبايعه المهاجرون والأنصار ، قال : فصعد أبو بكر المنبر فنظر في وجوه القوم فلم ير الزبير ، قال : فدعا بالزبير فجاء فقال : قلت ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين ؟ فقال : لا تثريب يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعه ، ثم نظر في وجوه القوم فلم ير علياً فدعا بعلي بن أبي طالب فجاء فقال : قلت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه على ابنته أردت أن تشق عصا المسلمين ؟ قال : لا تثريب يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعه ، هذا أو معناه .

قال أبو علي الحافظ سمعت محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: جاءني مسلم بن الحجاج فسألني عن هذا الحديث فكتبته له في رقعة وقرأته عليه ، وهذا حديث يسوى بدنة فقلت: يسوى بدنة بل يسوى بدرة ! وقد رواه البيهقي عن الحاكم وأبي محمد بن حامد المقرى كلاهما عن أبي العباس محمد بن يعقوب الأصم عن جعفر بن محمد بن شاكر عن عفان بن سلم عن وهيب به ، ولكن ذكر أن الصديق هو القائل لخطيب الأنصار بدل عمر ، وفيه : أن زيد بن ثابت أخذ بيد أبي بكر فقال : هذا صاحبكم فبايعوه ثم انطلقوا ، فلما قعد أبو بكر على المنبر نظر في وجوه القوم فلم ير علياً ، فسأل عنه فقام ناس من الأنصار فأتوا به فذكر نحو ما تقدم ، ثم ذكر قصة الزبير بعد علي فالله أعلم . وقد رواه الإمام أحمد بن حنبل عن الثقة عن وهيب مختصراً .

وقد رواه علي بن عاصم عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري فذكر نحو ما تقدم ، وهذا إسناد صحيح محفوظ من حديث أبي نضرة المنذر بن مالك بن قطعة عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري وفيه فائدة جليلة وهي مبايعة علي بن أبي طالب إما في أول يوم أو في اليوم الثاني من الوفاة ، وهذا حق فإن علي بن أبي طالب لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات ولم ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه كما سنذكره ، وخرج معه إلى ذي القصة لما خرج الصديق شاهراً سيفه يريد قتال أهل الردة كما سنبينه قريباً ، ولكن لما حصل من فاطمة رضي الله عنها عتب على الصديق بسبب ما كانت متوهمة من أنها تستحق ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تعلم بما أخبرها به أبو بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال « لا نورث ما تركنا فهو صدقة » فحجبها وغيرها من أزواجه وعمه عن الميراث بهذا النص الصريح كما سنبين ذلك في موضعه ، فسألته أن ينظر علي في صدقة الأرض التي بخيبر وفدك فلم يجبها إلى ذلك لأنه رأى أن حقاً عليه أن يقوم في جميع ما كان يتولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الصادق البار الراشد التابع للحق رضي

الله عنه ، فحصل لها — وهي امرأة من البشر ليست براجية العصمة — عتب وتغضب ولم تكلم الصديق حتى ماتت ، واحتاج علي أن يراعي خاطرها بعض الشيء فلما ماتت بعد ستة أشهر من وفاة أبيها صلى الله عليه وسلم رأى علي أن يجدد البيعة مع أبي بكر رضي الله عنه كما سنذكره من الصحيحين وغيرهما فيما بعد إن شاء الله تعالى مع ما تقدم له من البيعة قبل دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويزيد ذلك صحة قول موسى بن عقبة في مغازيه عن سعد بن ابراهيم حدثني أبي أن أباه عبد الرحمن بن عوف كان مع عمر وأن محمد بن مسلمة كسر سيف الزبير . ثم خطب أبو بكر واعتذر إلى الناس وقال : ما كنت حريصاً على الإمارة يوما ولا ليلة ، ولا سألتها في سر ولا علانية ، فقبل المهاجرون مقالته ، وقال علي والزبير : ما غضبنا إلا لأنا أخرنا عن المشورة ، وإنا نرى أن أبا بكر أحق الناس بها ، إنه لصاحب الغار وإنا لنعرف شرفه وخيره ، ولقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلي بالناس وهو حي إسناد جيد ولله الحمد والمنة .

فصل

ومن تأمل ما ذكرناه ظهر له إجماع الصحابة المهاجرين منهم والأنصار على تقديم أبي بكر ، وظهر برهان قوله عليه السلام « يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر » وظهر له أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينص على الخلافة عينا لأحد من الناس ، لا لأبي بكر كما قد زعمه طائفة من أهل السنة ، ولا لعلي كما تقوله طائفة من الرافضة ، ولكن أشار إشارة قوية يفهمها كل ذي لب وعقل إلى الصديق كما قدمنا وسنذكره ولله الحمد ، كما ثبت في الصحيحين من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن ابن عمر : أن عمر بن الخطاب لما طعن قيل له : ألا تستخلف يا أمير المؤمنين؟ فقال : إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني — يعني أبا بكر — وإن أترك فقد ترك من هو خير مني — يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم — قال ابن عمر : فعرفت حين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه غير مستخلف . وقال سفيان الثوري عن عمرو بن قيس عن عمرو بن سفيان قال : لما ظهر علي على الناس قال : يا أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعهد إلينا في هذه الإمارة شيئا ، حتى رأينا من الرأي أن نستخلف أبا بكر فأقام واستقام حتى مضى لسبيله ، ثم إن أبا بكر رأى من الرأي أن يستخلف عمر فأقام واستقام حتى مضى لسبيله — أو قال حتى ضرب الدين بجرانه — إلى آخره . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو نعيم ثنا شريك عن الأسود بن قيس عن عمرو بن سفيان قال : خطب رجل يوم البصرة حين ظهر علي فقال علي : هذا الخطيب السجسج ، سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى أبو بكر وثلث عمر ، ثم خبطتنا فتنة بعدهم يصنع الله فيها ما يشاء . وقال الحافظ البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو بكر محمد بن أحمد الزكي بمرو ثنا عبد الله بن روح المدائني ثنا شبابة بن سوار ثنا شعيب بن

ميمون عن حصين بن عبد الرحمن عن الشعبي عن أبي وائل قال : قيل لعلي بن أبي طالب : ألا تستخلف علينا ؟ فقال : ما استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستخلف ، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم بعدي على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم ، إسناد جيد ولم يخرجوه وقد قدمنا ماذكره البخاري من حديث الزهري عن عبد الله بن كعب بن مالك عن ابن عباس أن عباساً وعلياً لما خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رجل : كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال علي : أصبح بحمد الله بارئاً ، فقال العباس . إنك والله عبد العصا بعد ثلاث ، إني لأعرف في وجوه بني هاشم الموت ، وإني لأرى في وجه رسول الله الموت فاذهب بنا إليه فنسأله فيمن هذا الأمر ؟ فإن كان فينا عرفناه ، وإن كان في غيرنا أمرناه فوصاه بنا ، فقال علي : إني لا أسأله ذلك ، والله ان منعناها لا يعطيناها الناس بعده أبداً . وقد رواه محمد بن اسحاق عن الزهري به فذكره ، وقال فيه : فدخلا عليه يوم قبض صلى الله عليه وسلم ، فذكره ، وقال في آخره : فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الضحى من ذلك اليوم . قلت : فهذا يكون في يوم الاثنين يوم الوفاة ، فدل على أنه عليه السلام توفي عن غير وصية في الإمارة . وفي الصحيحين عن ابن عباس : أن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب ذلك الكتاب ، وقد قدمنا أنه عليه السلام كان طلب أن يكتب لهم كتابا لن يضلوا بعده ، فلما أكثروا اللغط والاختلاف عنده قال : « قوموا عني فما أنا فيه خير مما تدعونني اليه » ، وقد قدمنا أنه قال بعد ذلك : « يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر » . وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عون عن ابراهيم التيمي عن الأسود قال : قيل لعائشة انهم يقولون إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى إلى علي ، فقالت : بم أوصى إلى علي ؟ ... دعا بطست ليبول فيها وأنا مسندته الى صدري فانحنف فمات وما شعرت ، فيم يقول هؤلاء أنه أوصى الى علي ؟ . وفي الصحيحين من حديث مالك بن مغول عن طلحة بن مصرف قال : سألت عبد الله بن أبي أوفى : هل أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا ، قلت : فلم أمرنا بالوصية ؟ قال : أوصى بكتاب الله عز وجل . قال طلحة بن مصرف : وقال هذيل بن شرحبيل أبو بكر يتأمر على وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم ! ود أبو بكر أنه وجد عهداً من رسول الله صلى الله عليه وسلم فخزم أنفه بخزامة . وفي الصحيحين أيضاً من حديث الأعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه ، قال : خطبنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال من زعم أن عندنا شيئاً نقرأه ليس في كتاب الله وهذه الصحيفة ـ لصحيفة معلقة في سيفه فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات ـ فقد كذب ، وفيها قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المدينة حرم ما بين عير الى ثور من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلا ، ومن ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس

أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا ، وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم فمن أخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا »
وهذا الحديث الثابت فى الصحيحين وغيرهما عن على رضى الله عنه يرد على فرقة الرافضة فى زعمهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى إليه بالخلافة ، ولو كان الأمر كما زعموا لما رد ذلك أحد من الصحابة فإنهم كانوا أطوع لله ولرسوله فى حياته وبعد وفاته من أن يفتاتوا عليه فيقدموا غير من قدمه ويؤخروا من قدمه بنصه ، حاشا وكلا ولم ؟ ومن ظن بالصحابة رضوان الله عليهم ذلك فقد نسبهم بأجمعهم إلى الفجور والتواطىء على معاندة الرسول صلى الله عليه وسلم ومضادتهم فى حكمه ونصبه ، ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع ربقة الاسلام وكفر بإجماع الأئمة الأعلام ، وكان إراقة دمه أحل من إراقة المدام . ثم لو كان مع على بن أبى طالب رضى الله عنه نص فلم لا كان يحتج به على الصحابة على اثبات إمارته عليهم وامامته لهم ، فإن لم يقدر على تنفيذ ما معه من النص فهو عاجز والعاجز لا يصلح للامارة وإن كان يقدر ولم يفعله فهو خائن والخائن الفاسق مسلوب معزول عن الإمارة ، وإن لم يعلم بوجود النص فهو جاهل ، ثم وقد عرفه وعلمه من بعده هذا محال وافتراء وجهل وضلال ، وإنما يحسن هذا فى أذهان الجهلة الطغام والمغترين من الأنام ، يزينه لهم الشيطان بلا دليل ولا برهان ، بل بمجرد التحكم والهذيان والإفك والبهتان ، عياذا بالله مما هم فيه من التخليط والخذلان والتخبيط والكفران ، وملاذا بالله بالتمسك بالسنة والقرآن والوفاة على الإسلام والإيمان ، والموافاة على الثبات والإيقان وتثقيل الميزان ، والنجاة من النيران والفوز بالجنان إنه كريم منان رحيم رحمن .

وفى هذا الحديث الثابت فى الصحيحين عن على الذى قدمناه رد على متقولة كثير من الطُّرقية والقُصّاص الجهلة فى دعواهم أن النبى صلى الله عليه وسلم أوصى إلى على بأشياء كثيرة يسوقونها مطولة ، يا علىّ افعل كذا ، يا على لا تفعل كذا ، يا على من فعل كذا كان كذا وكذا . بألفاظ ركيكة ومعانى أكثرها سخيفة وكثير منها صحفية لا تساوى تسويد الصحيفة والله أعلم . وقد أورد الحافظ البيهقى من طريق حماد بن عمرو النصيبى ـ وهو أحد الكذابين الصواغين ـ عن السرى بن خلاد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن على بن أبى طالب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ياعلى أوصيك بوصية احفظها فإنك لا تزال بخير ماحفظتها ، ياعلى إن للمؤمن ثلاث علامات الصلاة والصيام والزكاة ، قال البيهقى فذكر حديثا طويلا فى الرغائب والآداب وهو حديث موضوع وقد شرطت فى أول الكتاب أن لا أخرج فيه حديثا أعلمه موضوعا ، ثم روى من طريق حماد بن عمر وهذا عن زيد بن رفيع عن مكحول الشامى . قال : هذا ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب حين رجع من غزوة حنين وأنزلت عليه سورة النصر ، قال البيهقى : فذكر حديثا طويلا فى الفتنة وهو أيضا حديث منكر ليس له

أصل ، وفى الأحاديث الصحيحة كفاية ، وبالله التوفيق .

ولنذكر هاهنا ترجمة حماد بن عمرو أبى إسماعيل النصيبى ، روى عن الأعمش وغيره وعنه إبراهيم بن موسى ومحمد بن مهران وموسى بن أيوب وغيرهم . قال يحيى بن معين : هو ممن يكذب ويضع الحديث . وقال عمرو بن على الفلاس وأبو حاتم : منكر الحديث ضعيف جداً . وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجانى : كان يكذب . وقال البخارى : منكر الحديث . وقال أبو زرعة : واهى الحديث . وقال النسائى : متروك . وقال ابن حبان : يضع الحديث وضعا . وقال ابن عدى : عامة حديثه مما لا يتابعه أحد من الثقات عليه . وقال الدارقطنى : ضعيف . وقال الحاكم أبو عبد الله : يروى عن الثقات أحاديث موضوعة ، وهو ساقط بمرة . فأما الحديث الذى قال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ أنبأنا حمزة بن العباس العقبى ببغداد حدثنا عبد الله بن روح المدائنى حدثنا سلام بن سليمان المدائنى حدثنا سلام بن سليم الطويل عن عبد الملك بن عبد الرحمن عن الحسن المقبرى عن الأشعث بن طليق عن مرة بن شراحيل عن عبد الله بن مسعود ، قال : لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعنا فى بيت عائشة ، فنظر إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فدمعت عيناه ، ثم قال لنا : قد دنا الفراق ونعى إلينا نفسه ، ثم قال: مرحباً بكم حياكم الله، هداكم الله ، نصركم الله، نفعكم الله ، وفقكم الله، سددكم الله ، وقاكم الله ، أعانكم الله ، قبلكم الله ، أوصيكم بتقوى الله ، وأوصى الله بكم واستخلفه عليكم ، إنى لكم منه نذير مبين أن لا تعلوا على الله فى عباده وبلاده ، فإن الله قال لى ولكم : (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) ، وقال : (أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين) . قلنا : فمتى أجلك يا رسول الله ؟ قال : قد دنا الأجل ، والمنقلب إلى الله والسدرة المنتهى والكأس الأوفى والفرش الأعلى . قلنا : فمن يغسلك يا رسول الله ؟ قال : رجال أهل بيتى الأدنى فالأدنى مع ملائكة كثيرة يرونكم من حيث لا ترونهم . قلنا : ففيم نكفنك يا رسول الله ؟ قال : فى ثيابى هذه إن شئتم ، أو فى يمنية ، أو فى بياض مصر . قلنا : فمن يصلى عليك يا رسول الله ؟ فبكى وبكينا ، وقال : مهلا ! غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيراً ، إذا غسلتمونى وحنطتمونى وكفنتمونى فضعونى على شفير قبرى ثم اخرجوا عنى ساعة ، فإن أول من يصلى علىّ خليلاى وجليساى جبريل وميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت مع جنود من الملائكة عليهم السلام ، وليبدأ بالصلاة علىّ رجال أهل بيتى ثم نساؤهم ثم ادخلوا علىّ أفواجاً أفواجاً وفرادى فرادى ، ولا تؤذونى بباكية ولا برنة ولا بصيحة ومن كان غائباً من أصحابى فأبلغوه عنى السلام ، وأشهدكم بأنى قد سلمت على من دخل فى الإسلام ومن تابعنى فى دينى هذا منذ اليوم إلى يوم القيامة . قلنا : فمن يدخلك قبرك يا رسول الله ؟ قال : رجال أهل بيتى الأدنى فالأدنى مع ملائكة كثيرة يرونكم من حيث لا ترونهم ،

ثم قال البيهقى : تابعه أحمد بن يونس عن سلام الطويل ، وتفرد به سلام الطويل . قلت : وهو سلام بن مسلم ، ويقال ابن سليم ، ويقال ابن سليمان ، والأول أصح ، التميمى السعدى الطويل ، يروى عن جعفر الصادق وحميد الطويل وزيد العمى وجماعة ، وعنه جماعة منهم : أحمد بن عبد الله بن يونس ، وأسد بن موسى ، وخلف بن هشام البزار ، وعلى بن الجعد ، وقبيصة بن عقبة . وقد ضعفه على بن المدينى وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين والبخارى وأبو حاتم وأبو زرعة والجوزجانى والنسائى وغير واحد ، وكذبه بعض الأئمة ، وتركه آخرون . لكن روى هذا الحديث بهذا السياق بطوله الحافظ أبو بكر البزار من طريق سلام هذا فقال : حدثنا محمد بن اسماعيل الأحمسى ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى عن ابن الأصبهانى أنه أخبره عن مرة عن عبد الله فذكر الحديث بطوله ، ثم قال البزار : وقد روى هذا عن مرة من غير وجه بأسانيد متقاربة وعبد الرحمن بن الأصبهانى لم يسمع هذا من مرة وإنما هو عمن أخبره عن مرة ، ولا أعلم أحداً رواه عن عبد الله عن مرة .

﴿ فصل ﴾

في ذكر الوقت الذى توفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ومبلغ سنه حال وفاته ، وفى كيفية غسله عليه الصلاة والسلام ،
وتكفينه والصلاة عليه ودفنه ، وموضع قبره صلوات الله وسلامه عليه

لا خلاف أنه عليه السلام توفى يوم الاثنين ، قال ابن عباس : ولد نبيكم صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ونبىء يوم الاثنين ، وخرج من مكة مهاجراً يوم الاثنين ، ودخل المدينة يوم الاثنين ومات يوم الاثنين . رواه الإمام أحمد والبيهقى . وقال سفيان الثورى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : قال لى أبو بكر أى يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : يوم الاثنين ، فقال : إنى لأرجو أن أموت فيه ، فمات فيه رواه البيهقى من حديث الثورى به . وقال الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر ثنا هريم حدثنى ابن اسحاق عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة قالت : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ودفن ليلة الأربعاء تفرد به أحمد . وقال عروة بن الزبير فى مغازيه وموسى بن عقبة عن ابن شهاب : لما اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه أرسلت عائشة إلى أبى بكر وأرسلت حفصة إلى عمر ، وأرسلت فاطمة إلى على ، فلم يجتمعوا حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى صدر عائشة وفى يومها ، يوم الاثنين حين زاغت الشمس لهلال ربيع الأول ، وقد قال أبو يعلى ثنا أبو خيثمة ثنا ابن عيينة عن الزهرى عن أنس قال : آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين كشف الستارة والناس خلف أبى بكر فنظرت إلى وجهه كأنه ورقة مصحف ، فأراد الناس أن ينحرفوا فأشار إليهم أن امكثوا وألقى السجف ، وتوفى من آخر ذلك اليوم وهذا

الحديث فى الصحيح وهو يدل على أن الوفاة وقعت بعد الزوال ، والله أعلم . وروى يعقوب بن سفيان عن عبد الحميد بن بكار عن محمد بن شعيب وعن صفوان عن عمر بن عبد الواحد جميعاً عن الأوزاعى ، أنه قال : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين قبل أن ينتصف النهار وقال البيهقى أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أحمد بن كامل ثنا الحسين بن على البزار ثنا محمد بن عبد الأعلى ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه وهو سليمان بن طرخان التيمى فى كتاب المغازى ، قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرض لاثنتين وعشرين ليلة من صفر ، وبدأه وجعه عند وليدة له يقال لها ريحانة كانت من سبي اليهود ، وكان أول يوم مرض يوم السبت ، وكانت وفاته عليه الصلاة والسلام يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول لتمام عشر سنين من مقدمه عليه الصلاة والسلام المدينة . وقال الواقدى حدثنا أبو معشر عن محمد بن قيس قال : اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من صفر سنة إحدى عشرة فى بيت زينب بنت جحش شكوى شديدة فاجتمع عنده نساؤه كلهن فاشتكى ثلاثة عشر يوما وتوفى يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة إحدى عشرة. وقال الواقدى : وقالوا بدىء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من صفر وتوفى يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ، وهذا جزم به محمد بن سعد كاتبه ، وزاد : ودفن يوم الثلاثاء . قال الواقدى : وحدثنى سعيد بن عبد الله بن أبى الأبيض عن المقبرى عن عبد الله بن رافع عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بدىء فى بيت ميمونة . وقال يعقوب بن سفيان حدثنا أحمد بن يونس ثنا أبو معشر عن محمد بن قيس قال : اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر يوما فكان إذا وجد خفة صلى وإذا ثقل صلى أبو بكر رضى الله عنه وقال محمد بن اسحاق توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول فى اليوم الذى قدم فيه المدينة مهاجراً ، واستكمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هجرته عشر سنين كوامل . قال الواقدى : وهو المثبت عندنا وجزم به محمد بن سعد كاتبه .

وقال يعقوب بن سفيان عن يحيى بن بكير عن الليث أنه قال : توفى رسول الله يوم الاثنين لليلة خلت من ربيع الأول وفيه قدم المدينة على رأس عشر سنين من مقدمه وقال سعد بن ابراهيم الزهرى : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول لتمام عشر سنين من مقدمه المدينة رواه ابن عساكر . ورواه الواقدى عن أبى معشر عن محمد بن قيس مثله سواء . وقاله خليفة بن خياط أيضاً . وقال أبو نعيم الفضل بن دكين : توفى رسول الله يوم الاثنين مستهل ربيع الأول سنة إحدى عشرة من مقدمه المدينة ، ورواه ابن عساكر أيضاً ، وقد تقدم قريباً عن عروة وموسى بن عقبة والزهرى مثله فيما نقلناه من مغازيهما فالله أعلم . والمشهور قول ابن اسحاق والواقدى ، ورواه الواقدى عن ابن عباس وعائشة رضى الله عنهما فقال :

حدثني ابراهيم بن زيد عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس ، وحدثني محمد بن الله عن الزهري عن عروة عن عائشة قالا : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول . ورواه ابن اسحاق عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن أبيه مثله ، وزاد : ودفن ليلة الأربعاء . وروى سيف بن عمر عن محمد بن عبيد الله العرزمي عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال : لما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ارتحل فأتى المدينة فأقام بها بقية ذي الحجة والمحرم وصفراً ، ومات يوم الاثنين لعشر خلون من ربيع الأول . وروى أيضاً عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن عروة ، وفي حديث فاطمة عن عائشة مثله إلا أن ابن عباس قال في أوله لأيام مضين منه ، وقالت عائشة بعد ما مضى أيام منه

﴿ فائدة ﴾ قال أبو القاسم السهيلي في الروض ما مضمونه : لا يتصور وقوع وفاته عليه الصلاة والسلام يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول من سنة إحدى عشرة وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام وقف في حجة الوداع سنة عشر يوم الجمعة فكان أول ذي الحجة يوم الخميس ، فعلى تقدير أن تحسب الشهور تامة أو ناقصة أو بعضها تام وبعضها ناقص ، لا يتصور أن يكون يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول وقد اشتهر هذا الإيراد على هذا القول ، وقد حاول جماعة الجواب عنه ولا يمكن الجواب عنه إلا بمسلك واحد وهو اختلاف المطالع بأن يكون أهل مكة رأوا هلال ذي الحجة ليلة الخميس ، وأما أهل المدينة فلم يروه إلا ليلة الجمعة ، ويؤيد هذا قول عائشة وغيرها خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لخمس بقين من ذي القعدة — يعني من المدينة — إلى حجة الوداع ويتعين بما ذكرناه أنه خرج يوم السبت وليس كما زعم ابن حزم أنه خرج يوم الخميس ، لأنه قد بقي أكثر من خمس بلا شك ولا جائز أن يكون خرج يوم الجمعة لأن أنسا قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر بالمدينة أربعا والعصر بذي الحليفة ركعتين ، فتعين أنه خرج يوم السبت لخمس بقين فعلى هذا إنما رأى أهل المدينة هلال ذي الحجة ليلة الجمعة وإذا كان أول ذي الحجة عند أهل المدينة الجمعة وحسبت الشهور بعده كوامل يكون أول ربيع الأول يوم الخميس فيكون ثاني عشره يوم الاثنين والله أعلم . وثبت في الصحيحين من حديث مالك عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير وليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم ولا بالجعد القطط ولا بالسبط ، بعثه الله عز وجل على رأس أربعين سنة فأقام بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين وتوفاه الله على رأس ستين سنة وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء .

وهكذا رواه ابن وهب عن عروة عن الزهري عن أنس ، وعن قرة بن ربيعة عن أنس مثل ذلك . قال الحافظ بن عساكر : حديث قرة عن الزهري غريب ، وأما من رواية ربيعة عن أنس فرواها عنه جماعة كذلك ، ثم أسند من طريق سليمان بن بلال

عن يحيى بن سعيد وربيعة عن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى وهو ابن ثلاث وستين وكذلك رواه ابن البربرى . ونافع بن أبى نعيم عن ربيعة عن أنس به قال : والمحفوظ عن ربيعة عن أنس ستون ثم أورده ابن عساكر من طريق مالك والأوزاعى ومسعر وإبراهيم بن طهمان وعبد الله بن عمر وسليمان بن بلال وأنس بن بلال وأنس بن عياض والدراوردى ومحمد بن قيس المدنى كلهم عن ربيعة عن أنس . قال : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ستين سنة ، وقال البيهقى أنبأنا أبو الحسين بن بشران ثنا أبو عمرو بن السماك ثنا حنبل بن إسحاق ثنا أبو معمر عبد الله بن عمرو حدثنا عبد الوارث ثنا أبو غالب الباهلى قال قلت لأنس بن مالك : ابن أى الرجال رسول الله إذ بعث ؟ قال : كان ابن أربعين سنة قال ثم كان ماذا قال كان بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين فتمت له ستون سنة يوم قبضه الله عز وجل وهو كأشد الرجال وأحسنهم وأجملهم وألحمهم . ورواه الإمام أحمد عن عبد الصمد بن عبد الوارث عن أبيه به وقد روى مسلم عن أبى غسان محمد بن عمرو الرازى الملقب بزبيج عن حكام بن سلم عن عثمان ابن زائدة عن الزبير بن عدى عن أنس بن مالك قال : قبض النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين وأبو بكر وهو ابن ثلاث وستين وقبض عمر وهو ابن ثلاث وستين انفرد به مسلم . وهذا لا ينافى ما تقدم عن أنس لأن العرب كثيرا ما تحذف الكسر ، وثبت فى الصحيحين من حديث الليث بن سعد عن عقيل عن الزهرى عن عروة عن عائشة . قالت : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة قال الزهرى وأخبرنى سعيد بن المسيب مثله وروى موسى بن عقبة وعقيل ويونس بن يزيد وابن جريج عن الزهرى عن عروة عن عائشة . قالت : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين ، قال الزهرى وأخبرنى سعيد بن المسيب مثل ذلك ، وقال البخارى : ثنا أبو نعيم ثنا شيبان عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن عائشة وابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث بمكة عشر سنين يتنزل عليه القرآن ، وبالمدينة عشرا لم يخرجه مسلم . وقال أبو داود الطيالسى فى مسنده ثنا شعبة عن أبى إسحاق عن عامر بن سعد عن جرير بن عبد الله عن معاوية بن أبى سفيان . قال : قبض النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين ، وأبو بكر وهو ابن ثلاث وستين ، وعمر وهو ابن ثلاث وستين ، وهكذا رواه مسلم من حديث غندر عن شعبة وهو من أفراده دون البخارى . ومنهم من يقول عن عامر بن سعد عن معاوية والصواب ما ذكرناه عن عامر بن سعد عن جرير عن معاوية ورويناه من طريق عامر بن شراحيل عن الشعبى عن جرير بن عبد الله البجلى عن معاوية فذكره . وروى الحافظ ابن عساكر من طريق القاضى أبى يوسف عن يحيى بن سعيد الأنصارى عن أنس . قال : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين ، وتوفى أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين ، وتوفى عمر وهو ابن ثلاث وستين ، وقال ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة عن عائشة قالت : تذاكر رسول الله وأبو بكر ميلادهما عندى فكان

رسول الله أكبر من أبي بكر فتوفى رسول الله وهو ابن ثلاث وستين ، وتوفى أبو بكر بعده وهو ابن ثلاث وستين ، وقال الثورى عن الأعمش عن القاسم بن عبد الرحمن ، قال : توفى رسول الله وأبو بكر وعمر وهم بنو ثلاث وستين ، وقال حنبل حدثنا الإمام أحمد ثنا يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب . قال : أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وأربعين فأقام بمكة عشرا وبالمدينة عشرا ، وهذا غريب عنه وصحيح إليه ، وقال أحمد ثنا هشيم ثنا داود ابن أبي هند عن الشعبي قال : نبيء رسول الله وهو ابن أربعين سنة فمكث ثلاث سنين ، ثم بعث إليه جبريل بالرسالة ثم مكث بعد ذلك عشر سنين ثم هاجر إلى المدينة ، فقبض وهو ابن ثلاث وستين سنة ، قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل الثابت عندنا ثلاث وستون ، قلت : وهكذا روى مجاهد عن الشعبي وروى من حديث إسماعيل بن أبي خالد عنه ، وفي الصحيحين من حديث روح بن عبادة عن زكريا بن إسحاق عن عمرو بن دينار عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث بمكة ثلاث عشرة وتوفى وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وفي صحيح البخاري من حديث روح بن عبادة أيضا عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة فمكث بمكة ثلاث عشرة ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ثم مات وهو ابن ثلاث وستين . وكذلك رواه الإمام أحمد عن روح بن عبادة ويحيى بن سعيد ويزيد بن هارون كلهم عن هشام بن حسان عن عكرمة عن ابن عباس به ، وقد رواه أبو يعلى الموصلي عن الحسن بن عمر بن سفيان عن جعفر بن سليمان عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن ابن عباس فذكر مثله ، ثم أورده من طرق عن ابن عباس مثل ذلك ، ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة عن أبي جمرة عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام بمكة ثلاث عشرة يوحى إليه ، وبالمدينة عشراً ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وقد أسند الحافظ ابن عساكر من طريق مسلم بن جنادة عن عبد الله بن عمر عن كريب عن ابن عباس . قال : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين ، ومن حديث أبي نضرة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس مثله ، وهذا القول هو الأشهر وعليه الأكثر ، وقال الإمام أحمد ثنا إسماعيل عن خالد الحذاء حدثني عمار مولى بني هاشم سمعت ابن عباس يقول : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس وستين سنة ، ورواه مسلم من حديث خالد الحذاء به ، وقال أحمد ثنا حسن بن موسى ثنا حماد بن سلمة عن عمارة بن أبي عمار عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام بمكة خمس عشرة سنة ثماني سنين — أو سبع — يرى الضوء ويسمع الصوت، وثمانية أو سبعا يوحى إليه ، وأقام بالمدينة عشراً ، ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة به ، وقال أحمد أيضا حدثنا عفان ثنا يزيد بن زريع ثنا يونس عن عمار مولى بني هاشم ، قال : سألت ابن عباس كم أتى لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات ؟ قال : ما كنت أرى مثلك في

قومه يخفى عليك ذلك ، قال قلت : إنى قد سألت فاختلف علىّ فأحببت أن أعلم قولك فيه . قال أتحسب ؟ قلت : نعم ! قال : أمسك أربعين بعث لها وخمس عشرة أقام بمكة يأمن ويخاف ، وعشراً مُهَاجره بالمدينة ، وهكذا رواه مسلم من حديث يزيد بن زريع وشعبة بن الحجاج كلاهما عن يونس بن عبيد عن عمار عن ابن عباس بنحوه . وقال الإمام أحمد حدثنا ابن نمير ثنا العلاء ابن صالح ثنا المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير ، أن رجلا أتى ابن عباس فقال : أنزل على النبى صلى الله عليه وسلم عشراً بمكة وعشرا بالمدينة ، فقال : من يقول ذلك ؟ لقد أنزل عليه بمكة خمس عشرة وبالمدينة عشرا خمساً وستين وأكثر ، وهذا من أفراد أحمد إسنادا ومتناً . وقال الإمام أحمد ثنا هشيم ثنا على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال : قبض النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس وستين سنة ، تفرد به أحمد ، وقد روى الترمذى فى كتاب الشمائل وأبو يعلى الموصلى والبيهقى من حديث قتادة عن الحسن البصرى عن دغفل بن حنظلة الشيبانى النسابة أن النبى صلى الله عليه وسلم قبض وهو ابن خمس وستين ، ثم قال الترمذى : دغفل لا نعرف له سماعاً عن النبى صلى الله عليه وسلم وقد كان زمانه رجلا . وقال البيهقى وهذا يوافق رواية عمار ومن تابعه عن ابن عباس ، ورواية الجماعة عن ابن عباس فى ثلاث وستين أصح فهم أكثر وأوثق وروايتهم توافق الرواية الصحيحة عن عروة عن عائشة ، وإحدى الروايتين عن أنس والرواية الصحيحة عن معاوية وهو قول سعيد بن المسيب وعامر الشعبى وأبى جعفر محمد ابن على رضى الله عنهم .

قلت : وعبد الله بن عقبة والقاسم بن عبد الرحمن والحسن البصرى وعلى بن الحسين وغير واحد ومن الأقوال الغريبة ما رواه خليفة بن خياط عن معاذ بن هشام حدثنى أبى عن قتادة قال : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن اثنتين وستين سنة ، ورواه يعقوب بن سفيان عن محمد ابن المثنى عن معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة مثله ، ورواه زيد العمى عن يزيد عن أنس . ومن ذلك ما رواه محمد بن عامر عن القاسم بن حميد عن النعمان بن المنذر الغسانى عن مكحول ، قال : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن اثنتين وستين سنة وأشهر ورواه يعقوب بن سفيان عن عبد الحميد بن بكار عن محمد بن شعيب عن النعمان بن المنذر عن مكحول قال : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن اثنتين وستين سنة ونصف .

وأغرب من ذلك كله ما رواه الإمام أحمد عن روح عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن الحسن قال : نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانى سنين بمكة وعشراً بعد ماهاجر فإن كان الحسن ممن يقول بقول الجمهور وهو أنه عليه الصلاة والسلام أنزل عليه القرآن وعمره أربعون سنة ، فقد ذهب إلى أنه عليه السلام عاش ثمانياً وخمسين سنة ، وهذا غريب جداً لكن روينا من طريق مسدد عن هشام بن حسان عن الحسن أنه قال : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ستين سنة .

وقال خليفة بن خياط حدثنا أبو عاصم عن أشعث عن الحسن قال : بعث رسول الله وهو

ابن خمس وأربعين ، فأقام بمكة عشراً ، وبالمدينة ثمانياً وتوفى وهو ابن ثلاث وستين . وهذا بهذه الصفة غريب جداً ، والله أعلم .

﴿ صفة غسله عليه الصلاة والسلام ﴾

قد قدمنا أنهم رضى الله عنهم اشتغلوا ببيعة الصديق بقية يوم الاثنين وبعض يوم الثلاثاء. فلما تمهدت وتوطدت وتمت شرعوا بعد ذلك فى تجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم مُقتدِين فى كل ما أشكل عليهم بأبى بكر الصديق رضى الله عنه قال ابن اسحاق : فلما بويع أبو بكر أقبل الناس على جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء ، وقد تقدم من حديث ابن اسحاق عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة أن رسول الله توفى يوم الاثنين ودفن ليلة الأربعاء ، وقال أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا أبو معاوية أبو بردة عن علقمة بن يزيد عن سليمان بن بريدة عن أبيه، قال : لما أخذوا فى غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ناداهم مناد من الداخل أن لا تجردوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه ورواه ابن ماجه من حديث أبى معاوية عن أبى بردة — واسمه عمرو بن يزيد ، التميمى كوفى — وقال محمد بن اسحاق حدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه سمعت عائشة تقول : لما أرادوا غسل النبى صلى الله عليه وسلم ، قالوا : ما ندرى أنجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما نجرد موتانا أم نغسله وعليه ثيابه ؟ فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم أحد إلا وذقنه فى صدره ، ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو أن غسلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه ، فقاموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسلوه وعليه قميص يصبون الماء من فوق القميص فيدلكونه بالقميص دون أيديهم ، فكانت عائشة تقول : لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا نساؤه . رواه أبو داود من حديث ابن اسحاق . وقال الإمام أحمد حدثنا يعقوب ثنا أبى عن ابن اسحاق حدثنى حسين بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس قال : اجتمع القوم لغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس فى البيت إلا أهله : عمه العباس بن عبد المطلب وعلى ابن أبى طالب والفضل بن عباس وقثم بن العباس وأسامة بن زيد بن حارثة وصالح مولاه ، فلما اجتمعوا لغسله نادى من وراء الناس أوس بن خولى الأنصارى أحد بنى عوف بن الخزرج — وكان بدريا — على بن أبى طالب فقال : يا على ننشدك الله وحظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له على : ادخل فدخل فحضر غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يل من غسله شيئاً ، فأسنده علىّ إلى صدره وعليه قميصهُ ، وكان العباس وفضل وقثم يقلبونهُ مع علىّ ، وكان أسامة بن زيد وصالح مولاه هما يصبان الماء ، وجعل علىّ يغسله ، ولم يرَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً مما يرى من الميت ، وهو يقول : بأبى وأمى ما أطيبك حياً وميتاً ، حتى إذا فرغوا من غسل رسول الله — وكان يغسل بالماء والسدر — جففوه ثم صنع به ما يصنع

بالميت ، ثم أدرج فى ثلاثة أثواب ثوبين أبيضين وبرد حبرة ، قال : ثم دعا العباس رجلين فقال ليذهب أحدكما إلى أبى عبيدة بن الجراح ، وكان أبو عبيدة يضرح لأهل مكة ، وليذهب الآخر إلى أبى طلحة بن سهل الأنصارى ، وكان أبو طلحة يلحد لأهل المدينة ، قال : ثم قال العباس حين سرحهما : اللهم خر لرسولك ! قال : فذهبا فلم يجد صاحب أبى عبيدة أبا عبيدة ووجد صاحب أبى طلحة أبا طلحة فلحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم انفرد به أحمد ، وقال يونس بن بكير عن المنذر بن ثعلبة عن الصلت عن العلباء بن أحمر قال : كان على والفضل يغسلان رسول الله فنودى على : ارفع طرفك إلى السماء ، وهذا منقطع .

قلت : وقد روى بعض أهل السنن عن على بن أبى طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « يا على لاتبد فخذك ، ولا تنظر إلى فخذ حى ولا ميت » وهذا فيه إشعار بأمره له فى حق نفسه والله أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقى أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا محمد بن يعقوب ثنا يحيى بن محمد ابن يحيى ثنا ضمرة ثنا عبد الواحد بن زياد ثنا معمر عن الزهرى عن سعيد بن المسيب قال : قال على غسلت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت أنظر ما يكون من الميت فلم أر شيئاً ، وكان طيبا حيا وميتا صلى الله عليه وسلم . وقد رواه أبو داود فى المراسيل وابن ماجه من حديث معمر به ، زاد البيهقى فى روايته قال سعيد بن المسيب : وقد ولى دفنه عليه الصلاة والسلام أربعة على والعباس والفضل وصالح مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لحدوا له لحداً ونصبوا عليه اللبن نصبا . وقد روى نحو هذا عن جماعة من التابعين منهم عامر الشعبى ومحمد بن قيس وعبد الله بن الحارث وغيرهم بألفاظ مختلفة يطول بسطها ها هنا . وقال البيهقى : وروى أبو عمرو بن كيسان عن يزيد ابن بلال سمعت عليا يقول : أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يغسله أحد غيرى ، فإنه لا يرى أحد عورتى إلا طمست عيناه ، قال على : فكان العباس وأسامة يناولانى الماء من وراء الستر ، قال على : فما تناولت عضواً إلا كأنه يقلبه معى ثلاثون رجلا حتى فرغت من غسله ، وقد أسند هذا الحديث الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده فقال : حدثنا محمد بن عبد الرحيم ثنا عبد الصمد بن النعمان ثنا كيسان أبو عمرو عن يزيد بن بلال ، قال : قال على بن أبى طالب أوصانى النبى صلى الله عليه وسلم أن لا يغسله أحد غيرى فإنه لا يرى أحد عورتى إلا طمست عيناه ، قال على : فكان العباس وأسامة يناولانى الماء من وراء الستر . قلت : هذا غريب جداً . وقال البيهقى أنبأنا محمد بن موسى بن الفضل ثنا أبو العباس الأصم ثنا أسيد بن عاصم ثنا الحسين بن حفص عن سفيان عن عبد الملك بن جريج سمعت محمد بن على أبا جعفر ، قال غسل النبى صلى الله عليه وسلم بالسدر ثلاثاً ، وغسل وعليه قميص ، وغسل من بئر كان يقال لها الغرس بقباء كانت لسعد بن خيثمة وكان رسول الله يشرب منها ، وولى غسله على والفضل يحتضنه ، والعباس

يصب الماء ، فجعل الفضل يقول: أرحني قطعت وتيني إني لأجد شيئاً يترطل علي[1] . وقال الواقدي.
حدثنا عاصم بن عبد الله الحكمي عن عمر بن عبد الحكم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«إنعم البئر بئر غرس هي من عيون الجنة وماؤها أطيب المياه » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يُستعذب له منها ، وغسل من بئر غرس. وقال سيف بن عمر عن محمد بن عون عن عكرمة عن ابن عباس
قال : لما فرغ من القبر وصلى الناس الظهر أخذ العباس في غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فضرب عليه كِلّة من ثياب يمانية صفاق في جوف البيت ، فدخل الكلة ودعا عليا والفضل ،
فكان إذا ذهب إلى الماء ليعاطيهما دعا أبا سفيان بن الحارث فأدخله ورجال من بني هاشم من
وراء الكلة ، ومن أدخل من الأنصار حيث ناشدوا أبي وسألوه ، منهم أوس بن خولي رضي
الله عنهم أجمعين . ثم قال سيف عن الضحاك بن يربوع الحنفي عن ماهان الحنفي عن ابن عباس ،
فذكر ضرب الكلة وأن العباس أدخل فيها عليا والفضل وأبا سفيان وأسامة ورجال من بني هاشم
من وراء الكلة في البيت ، فذكر أنهم ألقى عليهم النعاس ، فسمعوا قائلا يقول : لا تغسلوا
رسول الله فإنه كان طاهراً ، فقال العباس : ألا بلى ، وقال أهل البيت : صدق فلا تغسلوه ،
فقال العباس : لا ندع سنة لصوت لا ندري ما هو ؟ وغشيهم النعاس ثانية ، فناداهم أن غسلوه
وعليه ثيابه ، فقال أهل البيت : ألا لا ، وقال العباس : ألا نعم ! فشرعوا في غسله وعليه قميص
ومجول مفتوح ، فغسلوه بالماء القراح وطيبوه بالكافور في مواضع سجوده ومفاصله ، واعتصر
قميصه ومجوله ثم أدرج في أكفانه ، وجمروه عوداً وندا ثم احتملوه حتى وضعوه على سريره
وسجوه ، وهذا السياق فيه غرابة جداً .

﴿ صفة كفنه عليه الصلاة والسلام ﴾

قال الإمام أحمد : حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعي حدثني الزهري عن القاسم عن
عائشة قالت : أدرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوب حبرة ثم أخر عنه . قال القاسم : إن
بقايا ذلك الثوب لعندنا بعد . وهذا الإسناد على شرط الشيخين ، وإنما رواه أبو داود عن أحمد
ابن حنبل والنسائي عن محمد بن مثنى ومجاهد بن موسى فرووهما كلهم عن الوليد بن مسلم به .
وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي : حدثنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن
عائشة قالت : كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب بيض سحولية ، ليس فيها قميص
ولا عمامة . وكذا رواه البخاري عن إسماعيل بن أبي أويس عن مالك. وقال الإمام أحمد : حدثنا
سفيان عن هشام عن أبيه عن عائشة: كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب سحولية بيض.
وأخرجه مسلم من حديث سفيان بن عيينة . وأخرجه البخاري عن أبي نعيم عن سفيان الثوري
كلاهما عن هشام بن عروة به . وقال أبو داود : حدثنا قتيبة حدثنا حفص بن غياث عن هشام
ابن عروة عن أبيه عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن في ثلاثة أثواب بيض

(١) الوتين : عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه ، ويترطل : ليسترخي ويسترسل .

يمانية من كرسف ، ليس فيها قميص ولا عمامة . قال : فذكر لعائشة قولهم فى ثوبين وبرد وحبرة ، فقالت : قد أتى بالبرد ولكنهم ردوه ولم يكفنوه فيه وهكذا رواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة عن حفص بن غياث به . وقال البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو الفضل محمد بن إبراهيم حدثنا أحمد بن سلمة حدثنا هناد بن السرى حدثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة أثواب بيض سحولية من كرسف ، ليس فيها قميص ولا عمامة ، فأما الحلة فإنما شبه على الناس فيها إنما اشتريت له حلة ليكفن فيها فتركت ،وأخذها عبد الله بن أبى بكر فقال: لأحبسنها لنفسى حتى أكفن فيها ،ثم قال: لو رضيها الله لنبيه صلى الله عليه وسلم لكفنه فيها ، فباعها وتصدق بثمنها . رواه مسلم فى الصحيح عن يحيى بن يحيى وغيره عن أبى معاوية ، ثم رواه البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن أبى معاوية عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى برد حبرة كانت لعبد الله بن أبى بكر ولف فيها ثم نزعت عنه ، فكان عبد الله ابن أبى بكر قد أمسك تلك الحلة لنفسه حتى يكفن فيها إذا مات ، ثم قال بعد أن أمسكها : ما كنت أمسك لنفسى شيئاً منع الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يكفن فيه ، فتصدق بثمنها عبد الله . وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة ، قالت : كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة أثواب سحولية بيض . ورواه النسائى عن إسحاق بن راهويه عن عبد الرزاق قال الإمام أحمد : حدثنا مسكين بن بكير عن سعيد — يعنى ابن عبد العزيز — قال : قال مكحول : حدثنى عروة عن عائشة :أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن فى ثلاثة أثواب رياط يمانية ، انفرد به أحمد وقال أبو يعلى الموصلى : حدثنا سهل بن حبيب الأنصارى حدثنا عاصم بن هلال إمام مسجد أيوب حدثنا أيوب عن نافع عن ابن عمر ، قال : كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة أثواب بيض سحولية وقال سفيان عن عاصم ابن عبيد الله عن سالم عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن فى ثلاثة أثواب ، ووقع فى بعض الروايات : ثوبين صُحَاريين وبرد حبرة . وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن إدريس حدثنا يزيد عن مقسم عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن فى ثلاثة أثواب فى قميصه الذى مات فيه ، وحلة نجرانية — الحلة ثوبان — ورواه أبو داود عن أحمد بن حنبل وعثمان بن أبى شيبة وابن ماجه عن على بن محمد ثلاثتهم عن عبد الله بن إدريس عن يزيد بن أبى زياد عن مقسم عن ابن عباس بنحوه ، وهذا غريب جداً . وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا عبد الرزاق حدثنا سفيان عن ابن أبى ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس ، قال : كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثوبين أبيضين وبردة حمراء ، انفرد به أحمد من هذا الوجه . وقال أبو بكر الشافعى : حدثنا على بن الحسن حدثنا حميد بن الربيع حدثنا بكر — يعنى ابن

عبد الرحمن ـ ثنا عيسى ـ يعنى ابن المختار ـ عن محمد بن عبد الرحمن هو ابن أبى ليلى عن عطاء عن ابن عباس عن الفضل بن عباس قال : كفن رسول الله فى ثوبين أبيضين وبردة حمراء ، وقال أبو يعلى ثنا سليمان الشاذكونى ثنا يحيى بن أبى الهيثم ثنا عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس عن الفضل ، قال : كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثوبين أبيضين سحوليين ، زاد فيه محمد ابن عبد الرحمن بن أبى ليلى وبرد أحمر . وقد رواه غير واحد عن اسمعيل المؤدب عن يعقوب ابن عطاء عن أبيه عن ابن عباس عن الفضل قال : كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثوبين أبيضين ، وفى رواية وسحولية ، فالله أعلم . وروى الحافظ ابن عساكر من طريق أبى الطاهر المخلص ثنا أحمد بن اسحاق البهلول ثنا عباد بن يعقوب ثنا شريك عن ابن اسحاق قال : وقفت على مجلس بنى عبد المطلب وهم متوافرون ، فقلت لهم : فى كم كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : فى ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا قباء ولا عمامة ، قلت : كم أسر منكم يوم بدر ؟ قالوا : العباس ونوفل وعقيل . وقد روى البيهقى من طريق الزهرى عن على بن الحسين زين العابدين أنه قال : كفن رسول الله فى ثلاثة أثواب أحدها برد حبرة . وقد ساقه الحافظ ابن عساكر من طريق فى صحتها نظر عن على بن أبى طالب قال كفنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثوبين سحوليين وبرد حبرة وقد قال أبو سعيد ابن الأعرابى حدثنا ابراهيم بن الوليد ثنا محمد بن كثير ثنا هشام عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال : كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ريطتين وبرد نجرانى ، وكذا رواه أبو داود الطيالسى عن هشام وعمران القطان عن قتادة عن سعيد عن أبى هريرة به . وقد رواه الربيع بن سليمان عن أسد بن موسى ثنا نصر بن طريف عن قتادة ثنا ابن المسيب عن أم سلمة : أن رسول الله كفن فى ثلاثة أثواب أحدها برد نجرانى وقال البيهقى : وفيما رويناه عن عائشة بيان سبب الاشتباه على الناس وأن الحبرة أخرت عنه والله أعلم ثم روى الحافظ البيهقى من طريق محمد بن اسحاق بن خزيمة ثنا يعقوب بن ابراهيم الدورقى عن حميد بن عبد الرحمن الرؤاسى عن حسن بن صالح عن هارون بن سعيد قال : كان عند على مسك فأوصى أن يحنط به وقال : هو من فضل حنوط رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورواه من طريق ابراهيم بن موسى عن حميد عن حسن عن هارون عن أبى وائل عن على فذكره .

﴿ كيفية الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ﴾

وقد تقدم الحديث الذى رواه البيهقى من حديث الأشعث بن طليق ، والبزار من حديث الأصبهانى كلاهما عن مرة عن ابن مسعود فى وصية النبى صلى الله عليه وسلم أن يغسله رجال أهل بيته ، وأنه قال : « كفنونى فى ثيابى هذه أو فى يمانية أو بياض مصر » ، وأنه إذا كفنوه يضعونه على شفير قبره ثم يخرجون عنه حتى تصلى عليه الملائكة ، ثم يدخل عليه رجال أهل

بيته فيصلون عليه ، ثم الناس بعدهم فرادى ، الحديث بتمامه وفى صحته نظر كما قدمنا ، والله أعلم .
وقال محمد بن اسحاق حدثنى الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم أدخل الرجال فصلوا عليه بغير إمام أرسالا حتى فرغوا ، ثم أدخل النساء فصلين عليه ، ثم أدخل الصبيان فصلوا عليه ، ثم أدخل العبيد فصلوا عليه أرسالا ، لم يأمهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد .

وقال الواقدى : حدثنى أبىّ بن عياش بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده قال : لما أدرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أكفانه وضع عَلَى سريره ثم وضع على شفير حفرته ، ثم كان الناس يدخلون عليه رُفَقًا رُفَقًا لا يؤمهم أحد . قال الواقدى حدثنى موسى بن محمد بن ابراهيم قال : وجدت كتابا بخط أبى فيه أنه لما كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع على سريره دخل أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ومعهما نفر من المهاجرين والأنصار بقدر ما يسع البيت ، فقالا : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته وسلم المهاجرون والأنصار كما سلم أبو بكر وعمر ثم صفوا صفوفا لا يؤمهم أحد ، فقال أبو بكر وعمر — وهما فى الصف الأول حيال رسول الله صلى الله عليه وسلم — اللهم إنا نشهد أنه بلغ ما أنزل إليه ، ونصح لأمته وجاهد فى سبيل الله حتى أعز الله دينه وتمت كلمته وأومن به وحده لا شريك له ، فاجعلنا إلهنا ممن يتبع القول الذى أنزل معه ، واجمع بيننا وبينه حتى تعرفه بنا وتعرفنا به فإنه كان بالمؤمنين رءوفا رحيما ، لا نبتغى بالإيمان به بدلا ولا نشترى به ثمنا أبداً . فيقول الناس : آمين آمين ، ويخرجون ويدخل آخرون حتى صلى الرجال ثم النساء ثم الصبيان .

وقد قيل : إنهم صلوا عليه من بعد الزوال يوم الإثنين إلى مثله من يوم الثلاثاء ، وقيل : إنهم مكثوا ثلاثة أيام يصلون عليه كما سيأتى بيان ذلك قريباً ، والله أعلم .

وهذا الصنيع ، وهو صلاتهم عليه فرادى لم يؤمهم أحد عليه ، أمر مجمع عليه لا خلاف فيه ، وقد اختلف فى تعليله ، فلو صح الحديث الذى أوردناه عن ابن مسعود لكان نصا فى ذلك ، ويكون من باب التعبد الذى يعسر تعقل معناه ، وليس لأحد أن يقول لأنهم لم يكن لهم إمام لأنا قد قدمنا أنهم إنما شرعوا فى تجهيزه عليه الصلاة والسلام بعد تمام بيعة أبى بكر رضى الله عنه وأرضاه ، وقد قال بعض العلماء : إنما لم يؤمهم أحد ليباشر كل واحد من الناس الصلاة عليه منه إليه ، ولتكرر صلاة المسلمين عليه مرة بعد مرة من كل فرد فرد من آحاد الصحابة ، رجالهم ونساءهم وصبيانهم حتى العبيد والإماء .

وأما السهيلى فقال ما حاصله : إن الله قد أخبر أنه وملائكته يصلون عليه وأمر كل واحد من المؤمنين أن يباشر الصلاة عليه منه إليه ، والصلاة عليه بعد موته من هذا القبيل ، قال : وأيضا

(١) كذا فى الأصل ، وفى التيمورية : الذى نعقل معناه .

فإن الملائكة لنا فى ذلك أئمة ، فالله أعلم . وقد اختلف المتأخرون من أصحاب الشافعى فى مشروعية الصلاة على قبره لغير الصحابة ، فقيل : نعم ! لأن جسده عليه السلام طرى فى قبره ، لأن الله قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، كما ورد بذلك الحديث فى السنن وغيرها فهو كالميت اليوم وقال آخرون : لا يفعل لأن السلف ممن بعد الصحابة لم يفعلوه ، ولو كان مشروعا لبادروا إليه ، ولثابروا عليه ، والله أعلم .

﴿ صفة دفنه عليه الصلاة والسلام ، وأين دفن ، ﴾

﴿ وذكر الخلاف فى دفنه أليلا كان أو نهاراً ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق ثنا ابن جريج أخبرنى أبى - وهو عبد العزيز بن جريج - أن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لم يدروا أين يقبرون النبى صلى الله عليه وسلم حتى قال أبو بكر سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول « لم يقبر نبى إلا حيث يموت » ، فأخروا فراشه وحفروا تحت فراشه صلى الله عليه وسلم. وهذا فيه انقطاع بين عبد العزيز بن جريج وبين الصديق فإنه لم يدركه لكن رواه الحافظ أبو يعلى من حديث ابن عباس وعائشة عن أبى بكر الصديق رضى الله عنهم فقال : حدثنا أبو موسى الهروى ثنا أبو معاوية ثنا عبد الرحمن بن أبى بكر عن ابن أبى مليكة عن عائشة قالت : اختلفوا فى دفن النبى صلى الله عليه وسلم حين قبض ، فقال أبو بكر : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول « لا يقبض النبى إلا فى أحب الأمكنة إليه » فقال : ادفنوه حيث قبض . وهكذا رواه الترمذى عن أبى كريب عن أبى معاوية عن عبد الرحمن بن أبى بكر المليكى عن ابن أبى مليكة عن عائشة قالت : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا فى دفنه ، فقال أبو بكر : سمعت من رسول الله شيئًا ما نسيته ، قال : « ما قبض الله نبيًا إلا فى الموضع الذى يحب أن يدفن فيه » ادفنوه فى موضع فراشه ، ثم إن الترمذى ضعف المليكى ، ثم قال : وقد روى هذا الحديث من غير هذا الوجه رواه ابن عباس عن أبى بكر الصديق عن النبى صلى الله عليه وسلم . وقال الأموى عن أبيه عن ابن اسحاق عن رجل حدثه عن عروة عن عائشة أن أبا بكر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنه لم يدفن نبى قط إلا حيث قبض » . قال أبو بكر بن أبى الدنيا حدثنى محمد بن سهل التميمى ثنا هشام بن عبد الملك الطيالسى عن حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : كان بالمدينة حفاران فلما مات النبى صلى الله عليه وسلم قالوا : أين ندفنه ؟ فقال أبو بكر رضى الله عنه : فى المكان الذى مات فيه وكان أحدهما يلحد والآخر يشق ، فجاء الذى يلحد فلحد للنبى صلى الله عليه وسلم وقد رواه مالك ابن أنس عن هشام بن عروة عن أبيه منقطعا وقال أبو يعلى حدثنا جعفر بن مهران ثنا عبد الأعلى عن محمد ابن اسحاق حدثنى حسين بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما أرادوا أن يحفروا للنبى صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو عبيدة بن الجراح يضرح كحفر أهل مكة وكان أبو طلحة زيد بن

سهل هو الذى كان يحفر لأهل المدينة وكان يلحد ، فدعا العباس رجلين، فقال لأحدهما : اذهب إلى أبى عبيدة ، وقال للآخر : اذهب إلى أبى طلحة ، اللهم خره لرسولك ، قال : فوجد صاحب أبى طلحة أبا طلحة فجاء به فلحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فرغ من جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء وضع على سريره فى بيته ، وقد كان المسلمون اختلفوا فى دفنه ، فقال قائل : : ندفنه فى مسجده ، وقال قائل : ندفنه مع أصحابه ، فقال أبو بكر : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما قبض نبى إلا دفن حيث قبض » فرفع فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى توفى فيه لحفروا له تحته ، ثم أدخل الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون عليه أرسالا، الرجال حتى إذا فرغ منهم أدخل النساء حتى إذا فرغ النساء أدخل الصبيان، ولم يؤم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد ، فدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أوسط الليل ليلة الأربعاء . وهكذا رواه ابن ماجه عن نصر بن على الجهضمى عن وهب بن جرير عن أبيه عن محمد بن إسحاق فذكر بإسناده مثله ، وزاد فى آخره : ونزل فى حفرته علىّ بن أبى طالب والفضل وقثم ابنا عباس وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال أوس بن خولى –وهو أبو ليلى– لعلى بن أبى طالب : أنشدك الله ! وحظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال له على : انزل وكان شقران مولاه أخذ قطيفة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها فدفنها فى القبر ، وقال : والله لا يلبسها أحد بعدك ! فدفنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد رواه الإمام أحمد عن حسين بن محمد عن جرير بن حازم عن ابن إسحاق مختصراً . وكذلك رواه يونس بن بكير وغيره عن إسحاق به . وروى الواقدى عن ابن أبى حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس عن أبى بكر الصديق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما قبض الله نبيا إلا ودفن حيث قبض» وروى البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق عن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين أو محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا فى دفنه ، فقالوا : كيف ندفنه مع الناس أو فى بيوته ؟ فقال أبو بكر : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما قبض الله نبيا إلا دفن حيث قبض» فدفن حيث كان فراشه ، رفع الفراش وحفر تحته وقال الواقدى: حدثنا عبد الحميد ابن جعفر عن عثمان بن محمد الأخنسى عن عبد الرحمن بن سعيد – يعنى ابن يربوع – قال : لما توفى النبى صلى الله عليه وسلم اختلفوا فى موضع قبره ، فقال قائل : فى البقيع فقد كان يكثر الاستغفار لهم ، وقال قائل : عند منبره ، وقال قائل : فى مصلاه ، فجاء أبو بكر فقال : إن عندى من هذا خبراً وعلماً ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما قبض نبى إلا دفن حيث توفى » . قال الحافظ البيهقى : وهو فى حديث يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد وفى حديث ابن جريج عن أبيه كلاهما عن أبى بكر الصديق عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا . وقال البيهقى على الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن سلمة بن نُبَيط بن شُرَيط عن

أبيه عن سالم بن عبيد ـ وكان من أصحاب الصفة ـ قال : دخل أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات ثم خرج ، فقيل له توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : نعم ! فعلموا أنه كما قال وقيل له : أنصلى عليه وكيف نصلى عليه ؟ قال : تجيئون عُصَباً عُصَباً فتصلون فعلموا أنه كما قال . قالوا : هل يدفن وأين ؟ قال حيث قبض الله روحه فإنه لم يقبض روحه إلا فى مكان طيب ، فعلموا أنه كما قال ، وروى البيهقى من حديث سفيان بن عيينة عن يحيى بن سعيد الأنصارى عن سعيد بن المسيب ، قال : عرضت عائشة على أبيها رؤيا وكان من أعبر الناس ، قالت رأيت ثلاثة أقمار وقعن فى حجرى ، فقال لها : إن صدقت رؤياك دفن فى بيتك من خير أهل الأرض ثلاثة ، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا عائشة : هذا خير أقمارك . ورواه مالك عن يحيى بن سعيد عن عائشة منقطعاً . وفى الصحيحين عنها أنها قالت : توفى النبى صلى الله عليه وسلم فى بيتى وفى يومى وبين سحرى ونحرى وجمع الله بين ريقى وريقه فى آخر ساعة من الدنيا وأول ساعة من الآخرة ، وفى صحيح البخارى من حديث أبى عوانة عن هلال الوراق عن عروة عن عائشة . قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه يقول : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » . قالت عائشة ، ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشى أن يتخذ مسجداً ، وقال ابن ماجه حدثنا محمود بن غيلان ثنا هاشم بن القاسم ثنا مبارك بن فضالة حدثنى حميد الطويل عن أنس بن مالك قال : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بالمدينة رجل يلحد والآخر يضرح فقالوا نستخير الله ونبعث إليهما فأيهما سبق تركناه ، فأرسل إليهما فسبق صاحب اللحد فلحدوا للنبى صلى الله عليه وسلم ، تفرد به ابن ماجه وقد رواه الإمام أحمد عن أبى النضر هاشم بن القاسم به ، وقال ابن ماجه أيضا حدثنا عمر بن شبة عن عبيدة ابن يزيد ثنا عبيد بن طفيل ثنا عبد الرحمن بن أبى مليكة حدثنى ابن أبى مليكة عن عائشة ، قالت : لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا فى اللحد والشق حتى تكلموا فى ذلك وارتفعت أصواتهم ، فقال عمر : لا تصخبوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا ولا ميتا ـ أو كلمة نحوها ـ فأرسلوا إلى الشقاق واللاحد جميعا فجاء اللاحد فلحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دفن ، تفرد به ابن ماجه وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع حدثنا العمرى عن نافع عن ابن عمر ، وعن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألحد له لحد ، تفرد به أحمد من هذين الوجهين ، وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن شعبة وابن جعفر حدثنا شعبة حدثنى أبو جمرة عن ابن عباس قال : جعل فى قبر النبى صلى الله عليه وسلم قطيفة حمراء ، وقد رواه مسلم والترمذى والنسائى من طرق عن شعبة به ، وقد رواه وكيع عن شعبة ، وقال وكيع : كان هذا خاصاً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، رواه ابن عساكر . وقال ابن سعد : أنبأنا محمد بن عبد الله الأنصارى حدثنا أشعث بن عبد الملك الحرانى عن الحسن : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بسط تحته قطيفة حمراء كان يلبسها ، قال : وكانت

أرضا ندية . وقال هشيم بن منصور عن الحسن قال : جعل فى قبر النبى صلى الله عليه وسلم قطيفة حمراء كان أصابها يوم حنين ، قال الحسن : جعلها لأن المدينة أرض سبخة . وقال محمد بن سعد : حدثنا حماد بن خالد الخياط عن عقبة بن أبى الصهباء سمعت الحسن يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « افرشوا لى قطيفة فى لحدى فإن الأرض لم تسلط على أجساد الأنبياء » . وروى الحافظ البيهقى من حديث مسدد حدثنا عبد الواحد حدثنا معمر عن الزهرى عن سعيد بن المسيب قال : قال علىّ : غسلت النبى صلى الله عليه وسلم فذهبت أنظر إلى ما يكون من الميت فلم أر شيئاً ، وكان طيبا حيا وميتا . قال : وولى دفنه عليه الصلاة والسلام وإجنانه دون الناس أربعة ، علىّ والعباس والفضل وصالح مولى النبى صلى الله عليه وسلم ، ولحد للنبى صلى الله عليه وسلم لحدٌ ، ونصب عليه اللبن نصباً . وذكر البيهقى عن بعضهم : أنه نصب على لحده عليه الصلاة والسلام تسع لبنات . وروى الواقدى عن ابن أبى سبرة عن عبد الله بن معبد عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم موضوعاً على سريره من حين زاغت الشمس من يوم الاثنين إلى أن زاغت الشمس يوم الثلاثاء ، يصلى الناس عليه وسريره على شفير قبره . فلما أرادوا أن يقبروه عليه الصلاة والسلام نحوا السرير قبل رجليه فأدخل من هناك ، ودخل فى حفرته العباس وعلىّ وقُثَم والفضل وشقران . وروى البيهقى من حديث إسماعيل السدى عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : دخل قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس وعلىّ والفضل ، وسوى لحده رجل من الأنصار ، وهو الذى سوى لحود قبور الشهداء يوم بدر . قال ابن عساكر : صوابه يوم أحد . وقد تقدم رواية ابن إسحاق عن حسين بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان الذين نزلوا فى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم علىّ والفضل وقثم وشقران ، وذكر الخامس وهو أوس بن خولى ، وذكر قصة القطيفة التى وضعها فى القبر شقران . وقال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو طاهر المحمداباذى حدثنا أبو قلابة حدثنا أبو عاصم حدثنا سفيان بن سعيد هو الثورى عن إسماعيل بن أبى خالد عن الشعبى قال : حدثنى أبو مرحب قال : كأنى أنظر إليهم فى قبر النبى صلى الله عليه وسلم أربعة أحدهم عبد الرحمن بن عوف . وهكذا رواه أبو داود عن محمد بن الصباح عن سفيان عن إسماعيل بن أبى خالد به . ثم رواه أحمد بن يونس عن زهير عن إسماعيل عن الشعبى حدثنى مرحب أو أبو مرحب : أنهم أدخلوا معهم عبد الرحمن بن عوف ، فلما فرغ علىّ قال : إنما يلى الرجل أهله . وهذا حديث غريب جداً ، وإسناده جيد قوى ، ولا نعرفه إلا من هذا الوجه . وقد قال أبو عمر بن عبد البر فى استيعابه : أبو مرحب اسمه سويد ابن قيس ، وذكر أبا مرحب آخر وقال : لا أعرف خبره . قال ابن الأثير فى الغابة :[1] فيحتمل أن يكون راوى هذا الحديث أحدهما أو ثالثاً غيرهما ، ولله الحمد .

(١) هو كتاب أسد الغابة فى أسماء الصحابة وابن كثير دائما يعبر عنها بالغابة .

(ذكر من كان آخر الناس به عهداً عليه الصلاة والسلام)

قال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب حدثنا أبى عن ابن إسحاق حدثنى أبى إسحاق بن يسار عن مقسم أبى القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل عن مولاه عبد الله بن الحارث قال : اعتمرت مع علىّ فى زمان عمر أو زمان عثمان، فنزل على أخته أم هانىء بنت أبى طالب ، فلما فرغ من عمرته رجع فسكبت له غسلا فاغتسل ، فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق فقالوا : يا أبا حسن جئناك نسألك عن أمر نحب أن تخبرنا عنه ، قال : أظن المغيرة بن شعبة يحدثكم أنه كان أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : أجل ! عن ذلك جئنا نسألك ، قال : أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم قثم بن عباس ، تفرد به أحمد من هذا الوجه . وقد رواه يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق به مثله سواء إلا أنه قال قبله عن ابن إسحاق قال : وكان المغيرة بن شعبة يقول : أخذت خاتمى فألقيته فى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت حين خرج القوم : إن خاتمى قد سقط فى القبر ، وإنما طرحته عمداً لأمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأكون آخر الناس عهداً به . قال ابن إسحاق : فحدثنى والدى إسحاق بن يسار عن مقسم عن مولاه عن عبد الله بن الحارث قال : اعتمرت مع علىّ ، فذكر ماتقدم وهذا الذى ذكر عن المغيرة ابن شعبة لا يقتضى أنه حصل له ما أمله فإنه قد يكون علىّ رضى الله عنه لم يمكنه من النزول فى القبر بل أمر غيره فناوله إياه ، وعلى ماتقدم يكون الذى أمره بمناولته له قثم بن عباس . وقد قال الواقدى حدثنى عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : ألقى المغيرة بن شعبة خاتمه فى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال علىّ : إنما ألقيته لتقول نزلت فى قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، فنزل فأعطاه أو أمر رجلا فأعطاه وقد قال الإمام أحمد : حدثنا بهز وأبو كامل قالا : حدثنا حماد بن سلمة عن أبى عمران الجونى عن أبى عسيب أو أبى غنم ، قال بهز : إنه شهد الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، قالوا : كيف نصلى ؟ قال : ادخلوا أرسالا أرسالا ، فكانوا يدخلون من هذا الباب فيصلون عليه ، ثم يخرجون من الباب الآخر . قال : فلما وضع فى لحده قال المغيرة : قد بقى من رجليه شىء لم تصلحوه ، قالوا : فادخل فأصلحه ، فدخل وأدخل يده فمس قدميه عليه الصلاة والسلام ، فقال : أهيلوا على التراب ، فأهالوا عليه حتى بلغ إلى أنصاف ساقيه ثم خرج ، فكان يقول : أنا أحدثكم عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم .

(متى وقع دفنه عليه الصلاة والسلام)

وقال يونس عن ابن إسحاق : حدثتنى فاطمة بنت محمد امرأة عبد الله بن أبى بكر ، وأدخلنى عليها حتى سمعتهُ منها عن عمرة عن عائشة أنها قالت : ما علمنا بدفن النبى صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا صوت المساحى فى جوف ليلة الأربعاء .

وقال الواقدى : حدثنا ابن أبى سبرة عن الحليس بن هشام عن عبد الله بن وهب عن أم سلمة قالت : بينا نحن مجتمعون نبكى لم نثم ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيوتنا ونحن نتسلى

برؤيته على السرير ، إذ سمعنا صوت الكرازين فى السحر ، قالت أم سلمة : فصحنا وصاح أهل المسجد فارتجت المدينة صيحة واحدة ، وأذن بلال بالفجر فلما ذكر النبى صلى الله عليه وسلم بكى وانتحب فزادنا حزنا[1] ، وعالج الناس الدخول إلى قبره فغلق دونهم ، فيالها من مصيبة ما أصبنا بعدها بمصيبة إلا هانت إذا ذكرنا مصيبتنا به صلى الله عليه وسلم . وقد روى الإمام أحمد من حديث محمد بن إسحاق عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى يوم الاثنين ودفن ليلة الأربعاء ، وقد تقدم مثله فى غير ما حديث وهو الذى نص عليه غير واحد من الأئمة سلفا خلفا ؛ منهم سليمان بن طرخان التيمى ، وجعفر بن محمد الصادق ، وابن إسحاق ، وموسى بن عقبة وغيرهم . وقد روى يعقوب بن سفيان عن عبد الحميد عن بكار عن محمد بن شعيب عن الأوزاعى أنه قال : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين قبل أن ينتصف النهار ، ودفن يوم الثلاثاء . وهكذا روى الإمام أحمد عن عبد الرزاق عن ابن جريج قال : أخبرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فى الضحى يوم الاثنين ودفن من الغد فى الضحى . وقال يعقوب : حدثنا سفيان حدثنا سعيد بن منصور حدثنا سفيان عن جعفر بن محمد عن أبيه وعن ابن جريج عن أبى جعفر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى يوم الاثنين فلبث ذلك اليوم وتلك الليلة ويوم الثلاثاء إلى آخر النهار ، فهو قول غريب ، والمشهور عن الجمهور ما أسلفناه من أنه عليه الصلاة والسلام توفى يوم الاثنين ودفن ليلة الأربعاء . ومن الأقوال الغريبة فى هذا أيضاً ما رواه يعقوب بن سفيان عن عبد الحميد بن بكار عن محمد بن شعيب عن أبى النعمان عن مكحول قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، وأوحى إليه يوم الاثنين ، وهاجر يوم الاثنين ، وتوفى يوم الاثنين لثنتين وستين سنة ونصف ، ومكث ثلاثة أيام لا يدفن يدخل عليه الناس أرسالا أرسالا يصلون لا يصفون ولا يؤمهم عليه أحد ، فقوله : إنه مكث ثلاثة أيام لا يدفن غريباً ، والصحيح أنه مكث بقية يوم الاثنين ويوم الثلاثاء بكماله ودفن ليلة الأربعاء كما قدمنا ، والله أعلم . وضده ما رواه سيف عن هشام عن أبيه ، قال : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وغسل يوم الاثنين ودفن ليلة الثلاثاء . قال سيف : وحدثنا يحيى ابن سعيد مرة بجميعه عن عائشة به ، وهذا غريب جداً . وقال الواقدى : حدثنا عبد الله بن جعفر عن ابن أبى عون عن أبى عتيق عن جابر بن عبد الله قال : رش على قبر النبى صلى الله عليه وسلم الماء رشًا ، وكان الذى رشه بلال بن رباح بقربة ، بدأ من قبل رأسه من شقه الأيمن حتى انتهى إلى رجليه ، ثم ضرب بالماء إلى الجدار لم يقدر على أن يدور من الجدار . وقال سعيد بن منصور عن الدراوردى عن يزيد[2] بن عبد الله بن أبى يمن عن أم سلمة قالت : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء . وقال ابن خزيمة : حدثنا مسلم بن حماد عن

(١) عن التيمورية : فزادنا جنونا .
(٢) كذا فى الأصل ، وفى التيمورية : عن شريك بن عبد الله بن أبى يمن عن أبى سلمة .

أبيه عن عبد الله بن عمر عن كريب عن ابن عباس قال : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء وقال الواقدى : حدثنى أبى بن عياش بن سهل بن سعد عن أبيه ، قال : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ودفن ليلة الثلاثاء . وقال أبو بكر بن أبى الدنيا عن محمد بن سعد : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ودفن يوم الثلاثاء . وقال عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا : حدثنا الحسن ابن إسرائيل أبو محمد النهرتيرى حدثنا عيسى بن يونس عن إسماعيل بن أبى خالد سمعت عبد الله ابن أبى أوفى يقول : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، فلم يدفن إلا يوم الثلاثاء . وهكذا قال سعيد بن المسيب ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن ، وأبو جعفر الباقر .

﴿ فصل فى صفة قبره عليه الصلاة والسلام ﴾

قد علم بالتواتر أنه عليه الصلاة والسلام دفن فى حجرة عائشة التى كانت تختص بها شرقى مسجده فى الزاوية الغربية القبلية من الحجرة ، ثم دفن بعده فيها أبو بكر ثم عمر رضى الله عنهما . وقد قال البخارى : حدثنا محمد بن مقاتل حدثنا أبو بكر بن عياش عن سفيان التمار : أنه حدثه أنه رأى قبر النبى صلى الله عليه وسلم مسنما ، تفرد به البخارى . وقال أبو داود : حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن أبى فديك أخبرنى عمرو بن عثمان بن هانى عن القاسم قال : دخلت على عائشة وقلت لها : يا أمه ، اكشفى لى عن قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ، فكشفت لى عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة ، مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء :

النبى صلى الله عليه وسلم

أبو بكر رضى الله عنه

عمر رضى الله عنه

تفرد به أبو داود . وقد رواه الحاكم والبيهقى من حديث ابن أبى فديك عن عمرو بن عثمان عن القاسم قال : فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم مقدما ، وأبو بكر رأسه بين كتفى النبى صلى الله عليه وسلم ، وعمر رأسه عند رجل النبى صلى الله عليه وسلم . قال البيهقى : وهذه الرواية تدل على أن قبورهم مسطحة لأن الحصباء لا تثبت إلا على المسطح . وهذا عجيب من البيهقى رحمه الله فإنه ليس فى الرواية ذكر الحصباء بالكلية ، وبتقدير ذلك فيمكن أن يكون مسنما وعليه الحصباء مغروزة بالطين ونحوه . وقد روى الواقدى عن الدراوردى عن جعفر بن محمد عن أبيه ، قال : جعل قبر النبى صلى الله عليه وسلم مسطحاً . وقال البخارى : حدثنا فروة بن أبى المغراء حدثنا على ابن مسهر عن هشام عن عروة عن أبيه قال : لما سقط عليهم الحائط فى زمان الوليد بن عبد الملك أخذوا فى بنائه ، فبدت لهم قدم ففزعوا ، فظنوا أنها قدم النبى صلى الله عليه وسلم ، فما وجد واحد يعلم ذلك حتى قال لهم عروة : لا والله ما هى قدم النبى صلى الله عليه وسلم ، ما هى إلا قدم عمر

وعن هشام عن أبيه عن عائشة : أنها أوصت عبد الله بن الزبير لا تدفني معهم وادفني مع صواحبي بالبقيع لا أزكى به أبداً

قلت : كان الوليد بن عبد الملك حين ولي الإمارة في سنة ست وثمانين قد شرع في بناء جامع دمشق وكتب إلى نائبه بالمدينة ابن عمه عمر بن عبد العزيز أن يوسع في مسجد المدينة فوسعه حتى من ناحية الشرق[1] فدخلت الحجرة النبوية فيه ، وقد روى الحافظ ابن عساكر بسنده عن زاذان مولى الفرافصة ، وهو الذي بنى المسجد النبوي أيام [ولاية] عمر بن عبد العزيز على المدينة ، فذكر عن سالم بن عبد الله نحو ما ذكره البخاري ، وحكى صفة القبور كما رواه أبو داود .

﴿ ذكر ما أصاب المسلمين من المصيبة العظيمة بوفاته عليه الصلاة والسلام ﴾

قال البخاري ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد ثنا ثابت عن أنس ، قال : لما ثقل النبي صلى الله عليه وسلم جعل يتغشاه الكرب ، فقالت فاطمة : واكرب أبتاه ، فقال لها : « ليس على أبيك كرب بعد اليوم » فلما مات قالت : واأبتاه اجاب ربا دعاه ، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه ، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه ، فلما دفن قالت فاطمة : يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب ؟ تفرد به البخاري رحمه الله ، وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد ثنا حماد بن زيد ثنا ثابت البناني ، قال أنس : فلما دفن النبي صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة : يا أنس أطابت أنفسكم أن دفنتم رسول الله صلى الله عليه وسلم في التراب ورجعتم . وهكذا رواه ابن ماجه مختصرا من حديث حماد بن زيد به . وعنده قال حماد : فكان ثابت إذا حدث بهذا الحديث بكى حتى تختلف أضلاعه . وهذا لا يعد نياحة بل هو من باب ذكر فضائله الحق[2] عليه أفضل الصلاة والسلام ، وإنما قلنا هذا لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن النياحة . وقد روى الإمام أحمد والنسائي من حديث شعبة سمعت قتادة سمعت مطرفا يحدث عن حكيم بن قيس بن عاصم عن أبيه — فيما أوصى به إلى بنيه — أنه قال : ولا تنوحوا علي فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينح عليه . وقد رواه إسماعيل بن إسحاق القاضي في النوادر عن عمرو بن ميمون عن شعبة به ، ثم رواه عن علي بن المديني عن المغيرة بن سلمة عن الصعق بن حزن عن القاسم بن مطيب عن الحسن البصري عن قيس بن عاصم به ، قال : لا تنوحوا علي فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينح عليه ، وقد سمعته ينهى عن النياحة ثم رواه عن علي عن محمد بن الفضل عن الصعق عن القاسم عن يونس بن عبيد عن الحسن عن عاصم به . وقال الحافظ أبو بكر البزار : ثنا عقبة بن سنان ثنا عثمان بن عثمان ثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينح عليه ، وقال الإمام أحمد ثنا عفان ثنا جعفر بن سليمان ثنا ثابت عن أنس ، قال : لما كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء

(١) في التيمورية : من ناحية السوق (٢) كذا في الأصل ، وليست هذه اللفظة في التيمورية .

منها كل شيء ، فلما كان اليوم الذى مات فيه أظلم منها كل شيء ، قال : وما نفضنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الأيدى حتى أنكرنا قلوبنا ، وهكذا رواه الترمذى وابن ماجه جميعا عن بشر ابن هلال الصواف عن جعفر بن سليمان الضبعى به ، وقال الترمذى هذا حديث صحيح[1] غريب .

قلت : وإسناده على شرط الصحيحين ، ومحفوظ من حديث جعفر بن سليمان وقد أخرج له الجماعة رواه الناس عنه كذلك . وقد أغرب الكديمى وهو محمد بن يونس رحمه الله فى روايته له حيث قال ثنا أبو الوليد هشام بن عبد الملك الطيالسى ثنا جعفر بن سليمان الضبعى عن ثابت عن أنس ، قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أظلمت المدينة حتى لم ينظر بعضنا إلى بعض ، وكان أحدنا يبسط يده فلا يراها - أولا يبصرها - وما فرغنا من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا . رواه البيهقى من طريقه كذلك ، وقد رواه من طريق غيره من الحفاظ عن أبى الوليد الطيالسى كما قدمناه وهو المحفوظ والله أعلم . وقد روى الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر من طريق أبى حفص بن شاهين ثنا حسين ابن أحمد بن بسطام بالأبلة ثنا محمد بن يزيد الرواسى ثنا سلمة بن علقمة عن داود بن أبى هند عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى . قال : لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء ، فلما كان اليوم الذى مات فيه أظلم منها كل شيء . وقال ابن ماجه ثنا إسحاق بن منصور ثنا عبد الوهاب ابن عطاء العجلى عن ابن عون عن الحسن عن أبى بن كعب ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما وجهنا واحد ، فلما قبض نظرنا هكذا وهكذا ، وقال أيضا ثنا إبراهيم بن المنذر الحزامى ثنا خالى محمد بن إبراهيم بن المطلب بن السائب بن أبى وداعة السهمى حدثنى موسى بن عبد الله بن أبى أمية المخزومى حدثنى مصعب بن عبد الله عن أم سلمة بنت أبى أمية زوج النبى صلى الله عليه وسلم . أنها قالت : كان الناس فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام المصلى يصلى لم يعد بصر أحدهم موضع قدميه ، فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم [وكان أبو بكر] فكان الناس إذا قام أحدهم يصلى لم يعد بصر أحدهم موضع جبينه ، فتوفى أبو بكر وكان عمر فكان الناس إذا قام أحدهم يصلى لم يعد بصر أحدهم موضع القبلة ، فتوفى عمر وكان عثمان وكانت الفتنة فتلفت الناس يمينا وشمالا . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد ثنا حماد عن ثابت عن أنس : أن أم أيمن بكت لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها ما يبكيك ؟ على النبى صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : إنى قد علمت أن رسول الله سيموت ، ولكنى إنما أبكى على الوحى الذى رفع عنا . هكذا رواه مختصرا ، وقد قال البيهقى أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب ثنا محمد بن نعيم ومحمد بن النضر الجارودى ، قالا : ثنا الحسن بن على الحلوانى ثنا عمرو بن عاصم الكلابى ثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس . قال : ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أم أيمن زائرا وذهبت معه ،

---

(١) فى التيمورية : حسن .

فذربت إليه شرابا ، فإما كان صائما وإما كان لا يريده فردته ، فأقبلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تضاحكه ، فقال أبو بكر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لعمر : انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها ؛ فلما انتهينا إليها بكت ، فقالا لها : ما يبكيك ؟ ما عند الله خير لرسوله ، قالت : والله ما ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله ، ولكن أبكي أن الوحي انقطع من السماء فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان ، ورواه مسلم منفرداً به عن زهير بن حرب عن عمرو بن عاصم به .

وقال موسى بن عقبة في قصة وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطبة أبي بكر فيها ، قال : ورجع الناس حين فرغ أبو بكر من الخطبة وأم أيمن قاعدة تبكي ، فقيل لها : ما يبكيك ؟ قد أكرم الله نبيه صلى الله عليه وسلم فأدخله جنته وأراحه من نصب الدنيا ، فقالت : إنما أبكي على خبر السماء كان يأتينا غضاً جديداً كل يوم وليلة ، وقد انقطع ورفع ، فعليه أبكي ، فعجب الناس من قولها ، وقد قال مسلم بن الحجاج في صحيحه وحدثت عن أبي أسامة ، وممن روى ذلك عنه ابراهيم بن سعيد الجوهري ثنا أبو أسامة حدثني بريد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله إذا أراد رحمة أمة من عباده قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطاً وسلفاً يشهد لها ، وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حي فأهلكها وهو ينظر إليها فأقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره » . تفرد به مسلم إسناداً ومتناً .

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا يوسف بن موسى ثنا عبد الحميد بن عبد العزيز بن أبي رواد عن سفيان عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن عبد الله — هو ابن مسعود — عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام » قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ، ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم ؛ فما رأيت من خير حمدت الله عليه ، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم » ثم قال البزار : لا نعرف آخره يروى عن عبد الله إلا من هذا الوجه .

قلت : وأما أوله وهو قوله عليه السلام : « إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام » فقد رواه النسائي من طرق متعددة عن سفيان الثوري وعن الأعمش كلاهما عن عبد الله بن السائب عن أبيه به . وقد قال الإمام أحمد حدثنا حسين بن علي الجعفي عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبي الأشعث الصنعاني عن أوس بن أوس ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا علي من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة علي » قالوا : يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ — يعني قد بليت — قال : « إن الله قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم السلام » وهكذا رواه أبو داود عن هارون بن عبد الله وعن الحسن بن علي والنسائي عن إسحاق بن منصور ثلاثتهم عن حسين بن علي به ، ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن

حسين بن على عن ابن جابر عن أبى الأشعث عن شداد بن أوس فذكره . قال شيخنا أبو الحجاج المزى وذلك وهم من ابن ماجه ، والصحيح : أوس بن أوس وهو الثقفى رضى الله عنه .

قلت : وهو عندى فى نسخة جيدة مشهورة على الصواب كما رواه أحمد وأبو داود والنسائى عن أوس بن أوس ثم قال ابن ماجه حدثنا عمرو بن سواد المصرى ثنا عبد الله بن وهب عن عمرو ابن الحارث عن سعيد بن أبى هلال عن زيد بن أيمن عن عبادة بن نسى عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكثروا الصلاة على يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة ، وإن أحداً ليصل علىّ إلا عرضت علىّ صلاته حتى يفرغ منها » قال : قلت وبعد الموت ؟ قال : « إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم السلام ، نبى الله حى ويرزق » وهذا من أفراد ابن ماجه رحمه الله وقد عقد الحافظ ابن عساكر هاهنا بابا فى إيراد الأحاديث المروية فى زيارة قبره الشريف صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين ، وموضع استقصاء ذلك فى كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله تعالى .

﴿ ذكر ما ورد من التعزية به عليه الصلاة السلام ﴾

قال ابن ماجه حدثنا الوليد بن عمرو بن السكين ثنا أبو همام وهو محمد بن الزبرقان الأهوازى ثنا موسى بن عبيد ثنا مصعب بن محمد عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة قالت : فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم بابا بينه وبين الناس - أو كشف ستراً - فإذا الناس يصلون وراء أبى بكر ، فحمد الله على ما رأى من حسن حالهم رجاء أن يخلفه فيهم بالذى رآهم ، فقال : « يا أيها الناس أيما أحد من الناس أو من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعز بمصيبته بى عن المصيبة التى تصيبه بغيرى ، فإن أحداً من أمتى لن يصاب بمصيبة بعدى أشد عليه من مصيبتى » تفرد به ابن ماجه وقال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو إسحاق ابراهيم بن محمد الفقيه ثنا شافع بن محمد ثنا أبو جعفر بن سلامة الطحاوى ثنا المزى ثنا الشافعى عن القاسم بن عبد الله بن عمر بن حفص عن جعفر بن محمد عن أبيه : أن رجالا من قريش دخلوا على أبيه على بن الحسين ، فقال : ألا أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : بلى ! فحدثنا عن أبى القاسم قال : لما أن مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل فقال : يا محمد إن الله أرسلنى إليك تكريما لك ، وتشريفا لك ، وخاصة لك ، أسألك عما هو أعلم به منك يقول كيف تجدك ؟ قال : « أجدنى ياجبريل مغموما وأجدنى يا جبريل مكروبا » ثم جاءه اليوم الثانى فقال له ذلك فرد عليه النبى صلى الله عليه وسلم كما رد أول يوم ، ثم جاءه اليوم الثالث فقال له كما قال أول يوم ورد عليه كما رد ، وجاء معه ملك يقال له اسماعيل (١) على مائة ألف ملك كل ملك على مائة الف ملك ، فاستأذن عليه فسأل

---

(١) كذا فى الأصلين ، ولعله « محكم » أو ما هذا معناه .

عنه ثم قال جبريل : هذا ملك الموت يستأذن عليك ما استأذن على آدمى قبلك ، ولا يستأذن على آدمى بعدك ، فقال عليه الصلاة والسلام : إيذن له ، فأذن له فدخل فسلم عليه ثم قال : يا محمد إن الله أرسلنى إليك فإن أمرتنى أن أقبض روحك قبضت ، وإن أمرتنى أن أتركه تركته ، فقال رسول الله : « أوتفعل يا ملك الموت ؟ » قال : نعم ! وبذلك أمرت ، وأمرت أن أطيعك قال : فنظر النبى صلى الله عليه وسلم إلى جبريل فقال له جبريل : يا محمد إن الله قد اشتاق إلى لقائك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لملك الموت : « امض لما أمرت به » فقبض روحه . فلما توفى النبى صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية سمعوا صوتاً من ناحية البيت : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، إن فى الله عزاء من كل مصيبة ، وخلفاً من كل هالك ، ودركا من كل فائت فبالله فثقوا ، وإياه فارجوا ، فإنما المصاب من حرم الثواب ، فقال على رضى الله عنه : أتدرون من هذا ؟ هذا الخضر عليه السلام . وهذا الحديث مرسلا وفى إسناده ضعف بحال القاسم العمرى هذا فإنه قد ضعفه غير واحد من الأئمة ، وتركه بالكلية آخرون . وقد رواه الربيع عن الشافعى عن القاسم عن جعفر عن أبيه عن جده فذكر منه قصة التعزية - فقط موصولا - وفى الإسناد العمرى المذكور قد نبهنا على أمره لئلا يغتر به ، على أنه قد رواه الحافظ البيهقى عن الحاكم عن أبى جعفر البغدادى حدثنا عبد الله بن الحارث أو عبد الرحمن بن المرتعد الصغانى ثنا أبو الوليد المخزومى ثنا أنس بن عياض عن جعفر بن محمد عن جابر بن عبد الله قال : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ناداهم مناد يسمعون الحس ولا يرون الشخص ، فقال السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، إن فى الله عزاء من كل مصيبة ، وخلفاً من كل فائت ، ودركا من كل هالك ، فبالله فثقوا ، وإياه فارجوا ، فإنما المحروم من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم قال البيهقى : هذان الإسنادان وإن كانا ضعيفين فأحدهما يتأكد بالآخر ويدل على أن له أصلا من حديث جعفر والله أعلم .

وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو بكر أحمد بن بالويه ثنا محمد بن بشر بن مطر ثنا كامل ابن طلحة ثنا عباد بن عبد الصمد عن أنس بن مالك ، قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدق به أصحابه فبكوا حوله واجتمعوا فدخل رجل أشهب اللحية جسيم صبيح فتخطى رقابهم فبكى ، ثم التفت إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن فى الله عزاء من كل مصيبة ، وعوضاً من كل فائت ، وخلفاً من كل هالك ، فإلى الله فأنيبوا وإليه فارغبوا ، ونظره إليكم فى البلايا فانظروا ، فإن المصاب من لم يجبر ، فانصرف ، فقال بعضهم لبعض : تعرفون الرجل ؟ فقال أبو بكر وعلى : نعم ! هذا أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم الخضر ، ثم قال البيهقى عباد بن عبد الصمد ضعيف وهذا منكر بمرة ، وقد روى الحارث بن أبى أسامة عن محمد بن سعد أنبأنا هشام بن القاسم ثنا صالح المزى عن أبى حازم المدنى أن رسول الله

حين قبضه الله عز وجل دخل المهاجرون فوجاً فوجاً يصلون عليه ويخرجون ، ثم دخلت الأنصار على مثل ذلك ، ثم دخل أهل المدينة حتى إذا فرغت الرجال دخلت النساء ، فكان منهن صوت وجزع كبعض ما يكون منهن ، فسمعن هدة فى البيت فعرفنا فسكتن ، فإذا قائل يقول : إن فى الله عزاء من كل هالك ، وعوضاً من كل مصيبة ، وخلفاً من كل فائت ، والمجبور من جبره الثواب والمصاب من لم يجبره الثواب .

﴿ فصل ﴾

﴿ فيما روى من معرفة أهل الكتاب بيوم وفاته عليه الصلاة والسلام ﴾

قال أبو بكر بن أبى شيبة : حدثنا عبد الله بن إدريس عن إسماعيل بن خالد عن قيس بن أبى حازم عن جرير بن عبد الله البجلى ، قال : كنت باليمن فلقيت رجلين من أهل اليمن ذا كلاع وذا عمرو ، فجعلت أحدثهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فقالا لى : إن كان ماتقول حقاً فقد مضى صاحبك على أجله منذ ثلاث ، قال : فأقبلت وأقبلا حتى إذا كنا فى بعض الطريق رفع لنا ركب من المدينة ، فسألناهم ، فقالوا : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر والناس صالحون ، قال : فقالا لى : أخبر صاحبك أنا قد جئنا ولعلنا سنعود إن شاء الله عز وجل ، قال : ورجعا إلى اليمن ، فلما أتيت أخبرت أبا بكر بحديثهم ، قال : أفلا جئت بهم ، فلما كان بعد قال لى ذو عمرو : يا جرير إن لك على كرامة وإنى مخبرك خبراً ، إنكم معشر العرب لن تزالوا بخير ما كنتم إذا هلك أمير تأمرتم فى آخر ، أما إذا كانت بالسيف كنتم ملوكاً تغضبون غضب الملوك وترضون رضى الملوك . هكذا رواه الإمام أحمد والبخارى عن أبى بكر بن أبى شيبة . وهكذا رواه البيهقى عن الحاكم عن عبد الله بن جعفر عن يعقوب بن سفيان عنه .

وقال البيهقى : أنبأنا الحاكم أنبأنا على بن المتوكل حدثنا محمد بن يونس حدثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمى حدثنا زائدة عن زياد بن علاقة عن جرير ، قال : لقينى حبر باليمن وقال لى : إن كان صاحبكم نبياً فقد مات يوم الاثنين ، هكذا رواه البيهقى . وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد حدثنا زائدة حدثنا زياد بن علاقة عن جرير ، قال : قال لى حبر باليمن : إن كان صاحبكم نبياً فقد مات اليوم ، قال جرير : فمات يوم الاثنين . وقال البيهقى : أنبأنا أبو الحسين بن بشران المعدل ببغداد أنبأنا أبو جعفر محمد بن عمرو حدثنا محمد بن الهيثم حدثنا سعيد بن كثير بن عفير حدثنى عبد الحميد ابن كعب بن علقمة بن كعب بن عدى التنوخى عن عمرو بن الحارث عن ناعم بن أجيل عن كعب بن عدى ، قال : أقبلت فى وفد من أهل الحيرة إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فعرض علينا الإسلام فأسلمنا ثم انصرفنا إلى الحيرة ، فلم نلبث أن جاءتنا وفاة النبى صلى الله عليه وسلم فارتاب

أصحابي وقالوا : لو كان نبيا لم يمت ، فقلت : قد مات الأنبياء قبله ، وثبت على إسلامي ثم خرجت أريد المدينة ، فمررت براهب كنا لا نقطع أمراً دونه ، فقلت له : أخبرني عن أمر أردته نفخ في صدري منه شيء ، فقال : إئت باسم من الأسماء فأتيته بكعب ، فقال : ألقه في هذا السفر لسفر أخرجه ، فألقيت الكعب فيه فصفح فيه فإذا بصفة النبي صلى الله عليه وسلم كما رأيته وإذا هو يموت في الحين الذي مات فيه ، قال : فاشتدت بصيرتي في إيماني وقدمت على أبي بكر رضى الله عنه فأعلمته وأقمت عنده ، فوجهني إلى المقوقس فرجعت ، ووجهني أيضاً عمر بن الخطاب فقدمت عليه بكتابه ، فأتيته وكانت وقعة اليرموك ولم أعلم بها ، فقال لي : أعلمت أن الروم قتلت العرب وهزمتهم ؟ فقلت : كلا ، قال : ولم ؟ قلت : إن الله وعد نبيه أن يظهره على الدين كله وليس بمخلف الميعاد ، قال : فإن نبيكم قد صدقكم قتلت الروم والله قتل عاد ، قال : ثم سألني عن وجوه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته ، وأهدى إلى عمر وإليهم ، وكان ممن أهدى إليه عليّ وعبد الرحمن والزبير — وأحسبه ذكر العباس — قال كعب : وكنت شريكا لعمر في البز في الجاهلية ، فلما أن فرض الديوان فرض لي في بني عدي بن كعب وهذا أثر غريب وفيه نبأ عجيب وهو صحيح .

﴿ فصل ﴾

قال محمد بن إسحاق : ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب ، واشرأبت اليهودية والنصرانية ونجم النفاق ، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيهم ، حتى جمعهم الله على أبي بكر رضى الله عنه . قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم أن أكثر أهل مكة لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم هموا بالرجوع عن الإسلام وأرادوا ذلك ، حتى خافهم عتاب بن أسيد رضى الله عنه فتوارى ، فقام سهيل بن عمرو رضي الله عنه ، فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة ، فمن رابنا ضربنا عنقه ، فتراجع الناس وكفوا عما هموا به ، فظهر عتاب بن أسيد ، فهذا المقام الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله لعمر بن الخطاب — يعني حين أشار بقلع ثنيته حين وقع في الأسارى يوم بدر « إنه عسى أن يقوم مقاما لا تذمنه » .

قلت : وسيأتي عما قريب إن شاء الله ذكر ما وقع بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الردة في أحياء كثيرة من العرب ، وما كان من أمر مسيلمة بن حبيب المتنبيء باليمامة ، والأسود العنسي باليمن ، وما كان من أمر الناس حتى فاءوا ورجعوا إلى الله تائبين نازعين عما كانوا عليه في حال ردتهم من السفاهة والجهل العظيم الذي استفزهم الشيطان به ، حتى نصرهم الله وثبتهم وردهم إلى دينه الحق على يدى الخليفة الصديق أبي بكر رضى الله عنه وأرضاه ، كما سيأتي مبسوطا مبينا مشروحا إن شاء الله .

﴿ فصـــل ﴾

وقد ذكر ابن اسحاق وغيره قصائد لحسان بن ثابت رضى الله عنه فى وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أحلى ذلك وأفصحه وأعظمه ما رواه عبد الملك بن هشام رحمه الله عن أبى زيد الأنصارى أن حسان بن ثابت رضى الله عنه قال يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بطيبة رسم للرســـول ومعهد ... منير ، وقد تعفو الرســـوم وتهمد[1]
ولا تمتحى الآيات من دار حـــرمة ... بهـا المنبر الهـادى الذى كان يصعد
وواضح آيات ، وباقى معـالم ، ... وربع له فيه مصـــــلى ومسجد
بها حجرات كان ينزل وسطها ... من الله نور يستضـــــاء ويوقد
معارف لم تطمس على العهـد آيها ... أتاها البـــلا ، فالآى منها تجدد
عرفت بهـا رسم الرسول وعهـده ... وقبراً بها واراه فى الترب ملحـــد
ظللت بها أبكى الرسول فأسعدت ... عيـــون ، ومثلاها من الجن تسعد
يذكرن آلاء الرسول ، ولا أرى ... لها محصياً نفسى ، فنفسى تبـــلد
مفجعة ، قد شفها فقد أحمـــد ، ... فظلت لآلاء الرســـــول تعدّدُ
وما بلغت من كل أمر عشـــيره ... ولـكن لنفسى بعد ما قد توجـــد
أطالت وقوفا تذرف العين جهدها ... على طلل القبر الذى فيه أحمــــد
فبوركت يا قبر الرســول وبوركت ... بلاد ثوى فيها الرشـــيد المسدد[2]
تهيل عليـــه الترب أيد وأعين ... عليه - وقد غارت بذلك - أسعد
لقد غيبوا حلماً ، وعلماً ، ورحمة ، ... عشية علوه الثرى لا يوســـد
وراحـــوا بحزن ليس فيهم نبيهم ... وقد وهنت منهم ظهور وأعضـــد
ويبكون من تبكى السموات يومه ... ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد
وهل عـــدلت يوما رزية هالك ... رزية يوم مات فيه محمـــــد ؟
تقطع فيـــه منزل الوحى عنهم ... وقد كان ذا نور يغـــور وينجد
يدل على الرحمن من يقتدى به ... وينقذ من هول الخزايا ويرشـــد

---

(١) وفى رواية ابن هشام : وتهمد .

(٢) فى ابن هشام والتيمورية بعده :

وبورك لحـد منك ضمن طيبـا ... عليـه بناء من صفيح منضـد

إمام لهم يهديهم الحق جاهداً ... معلم صدق إن يطيعوه يسعدوا
عفو عن الزلات يقبل عذرهم ... وإن يحسنوا فالله بالخير أجود
وإن ناب أمر لم يقوموا بحمله ... فمن عنده تيسير ما يتشدد
فبيناهم فى نعمة الله وسطهم ... دليل به نهج الطريقة يقصد
عزيز عليه أن يجوروا عن الهدى ... حريص على أن يستقيموا ويهتدوا
عطوف عليهم لا يثنى جناحه ... إلى كنف يحنو عليهم ويمهد
فبيناهم فى ذلك النور إذ غدا ... إلى نورهم سهم من الموت مقصد
فأصبح محموداً إلى الله راجعاً ... يبكيه جفن المرسلات ويحمد
وأمست بلاد الحرم وحشا بقاعها ... لغيبة ما كانت من الوحى تعهد
قفاراً سوى معمورة اللحد ضافها ... فقيد يبكيه بلاط وغرقد
ومسجده فالموحشات لفقده ... خلاء له فيها[1] مقام ومقعد
وبالجمرة الكبرى له ثم أوحشت ... ديار وعرصات وربع ومولد
فبكى رسول الله يا عين عبرة ... ولا أعرفنك الدهر دمعك يجمد
ومالك لا تبكين ذا النعمة التى ... على الناس منها سابغ يتغمد
فجودى عليه بالدموع وأعولى ... لفقد الذى لا مثله الدهر يوجد
وما فقد الماضون مثل محمد ... ولا مثله حتى القيامة يفقد
أعف وأوفى ذمة بعد ذمة ... وأقرب منه نائلا لا ينكد
وأبذل منه للطريف وتالد ... إذا ضن معطاء بما كان يتلد
وأكرم حيًّا فى البيوت إذا انتمى ... وأكرم جدًّا أبطحيا يسود
وأمنع ذروات وأثبت فى العلا ... دعائم عز شاهقات تشيد
وأثبت فرعا فى الفروع ومنبتا[2] ... وعوداً غذاه المزن فالعود أغيد
رباه وليداً فاستتم تمامه ... على أكرم الخيرات رب ممجد
تناهت وصاة المسلمين بكفه ... فلا العلم محبوس ولا الرأى يفند
أقول ولا يلقى لما قلت[3] عائب ... من الناس إلا عازب العقل مبعد
وليس هوائى نازعاً عن ثنائه ... لعلى به فى جنة الخلد أخلد
مع المصطفى أرجو بذاك جواره ... وفى نيل ذاك اليوم أسعى وأجهد

(١) فى ابن هشام : فيه . (٢) فى ابن هشام : مثبتاً . (٣) فى ابن هشام : يلقى لقولى .

وقال الحافظ أبو القاسم السهيلي في آخر كتابه الروض : وقال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أرقت فبات ليلى لا يزول . وليل أخي المصيبة فيه طول
وأسعدني البكاء وذاك فيما أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت عشية قيل قد قبض الرسول
وأضحت أرضنا مما عراها تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك أحق ما سالت عليه نفوس الناس أو كادت تسيل
نبي كان يجلو الشك عنا بما يوحى إليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالا علينا والرسول لنا دليل
أفاطم إن جزعت فذاك عذر وإن لم تجزعي ذاك السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر وفيه سيد الناس الرسول

﴿ باب ﴾

بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يترك ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمة ولا شاة ولا بعيراً ولا شيئاً يورث عنه ، بل أرضاً جعلها كلها صدقة لله عز وجل ؛ فإن الدنيا بحذافيرها كانت أحقر عنده — كما هي عند الله — من أن يسعى لها أو يتركها بعده ميراثاً صلوات الله وسلامه عليه وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين وسلم تسليما كثيراً دائماً إلى يوم الدين .

قال البخاري : حدثنا قتيبة حدثنا أبو الأحوص عن أبي إسحاق عن عمرو بن الحارث قال : ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمة إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها ، وسلاحه ، وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة . انفرد به البخاري دون مسلم فرواه في أماكن من صحيحه من طرق متعددة عن أبي الأحوص وسفيان الثوري وزهير بن معاوية . ورواه الترمذي من حديث إسرائيل والنسائي أيضاً من حديث يونس بن أبي إسحاق كلهم عن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي عن عمرو بن الحارث بن المصطلق بن أبي ضرار أخي جويرية بنت الحارث أم المؤمنين رضي الله عنهما به وقد رواه الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش وابن نمير عن الأعمش عن شقيق عن مسروق عن عائشة ، قالت : ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً ولا أوصى بشيء . وهكذا رواه مسلم منفرداً به عن البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه من طرق متعددة عن سليمان بن مهران

الأعمش عن شقيق بن سلمة أبى وائل عن مسروق بن الأجدع عن أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله المبرأة من فوق سبع سموات رضى الله عنها وأرضاها . وقال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن يوسف عن سفيان عن عاصم عن ذر بن حبيش عن عائشة ، قالت : ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ديناراً ولا درهماً ولا أمة ولا عبداً ولا شاة ولا بعيراً . وحدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن عاصم عن ذر عن عائشة : ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً . قال سفيان : وأكثر علمى وأشك فى العبد والأمة . وهكذا رواه الترمذى فى الشمائل عن بندار عن عبد الرحمن بن مهدى به . قال الإمام أحمد : وحدثنا وكيع حدثنا مسعر عن عاصم بن أبى النجود عن ذر عن عائشة قالت : ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمة ولا شاة ولا بعيراً . هكذا رواه الإمام أحمد من غير شك . وقد رواه البيهقى عن أبى زكريا بن أبى إسحاق المزكى عن أبى عبد الله محمد ابن يعقوب حدثنا محمد بن عبد الوهاب أنبأنا جعفر بن عون أنبأنا مسعر عن عاصم عن ذر ، قال : قالت عائشة : تسألونى عن ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا وليدة . قال مسعر : أراه قال ولا شاة ولا بعيراً . قال : وأنبأنا مسعر عن عدى بن ثابت عن علىّ بن الحسين ، قال : ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا وليدة . وقد ثبت فى الصحيحين من حديث الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى طعاماً من يهودى إلى أجل ، ورهنه درعاً من حديد . وفى لفظ للبخارى : رواه عن قبيصة عن الثورى عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : توفى النبى صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودى بثلاثين ورواه البيهقى من حديث يزيد بن هارون عن الثورى عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عنها ، قالت : توفى النبى صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة بثلاثين صاعا من شعير . ثم قال : رواه البخارى عن محمد بن كثير عن سفيان . ثم قال البيهقى : أنبأنا على بن أحمد بن عبدان أنبأنا أبو بكر محمد بن حمويه العسكرى حدثنا جعفر بن محمد القلانسى حدثنا آدم حدثنا شيبان عن قتادة عن أنس قال : لقد دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم على خبز شعير وإهالة سنخة[1] . قال أنس : ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « والذى نفس محمد بيده ما أصبح عند آل محمد صاع بر ولا صاع تمر » ، وإن له يومئذ تسع نسوة ، ولقد رهن درعاً له عند يهودى بالمدينة وأخذ منه طعاماً فما وجد ما يفتكها به حتى مات صلى الله عليه وسلم ، وقد روى ابن ماجه بعضه من حديث شيبان بن عبد الرحمن النحوى عن قتادة به ، وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد حدثنا ثابت حدثنا هلال عن عكرمة عن

(١) السنخة : المتغيرة الرائحة .

ابن عباس : أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى أحد فقال : «والذى نفسى بيده ما يسرنى أن أحداً لآل محمد ذهباً أنفقه فى سبيل الله ، أموت يوم أموت وعندى منه ديناران إلا أن أرصدهما لدين » . قال : فمات فما ترك ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا وليدة ، فترك درعه رهناً عند يهودى بثلاثين صاعاً من شعير . وقد روى آخره ابن ماجه عن عبد الله بن معاوية الجمحى عن ثابت بن يزيد عن هلال بن خباب العبدى الكوفى به . ولأوله شاهد فى الصحيح من حديث أبى ذر رضى الله عنه . وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد وأبو سعيد وعفان ، قالوا : حدثنا ثابت — هو ابن يزيد — حدثنا هلال — هو ابن خباب — عن عكرمة عن ابن عباس : أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليه عمر وهو على حصير قد أثر فى جنبه ، فقال : يا نبى الله لو اتخذت فراشاً أوثر من هذا ؟ فقال : « مالى وللدنيا ، ما مثلى ومثل الدنيا إلا كراكب سار فى يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها » تفرد به أحمد وإسناده جيد . وله شاهد من حديث ابن عباس عن عمر فى المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقصة الإيلاء وسيأتى الحديث مع غيره مما شاكله فى بيان زهده عليه الصلاة والسلام وتركه الدنيا ، وإعراضه عنها ، واطراحه لها ، وهو مما يدل على ما قلناه من أنه عليه الصلاة والسلام لم تكن الدنيا عنده ببال . وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان حدثنا عبد العزيز بن رفيع ، قال : دخلت أنا وشداد بن معقل على ابن عباس ، فقال ابن عباس : ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما بين هذين اللوحين . قال : ودخلنا على محمد بن على ، فقال مثل ذلك . وهكذا رواه البخارى عن قتيبة عن سفيان بن عيينة به . وقال البخارى : حدثنا أبو نعيم حدثنا مالك بن مغول عن طلحة ، قال : سألت عبد الله بن أبى أوفى : أأوصى النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : لا ، فقلت : كيف كتب على الناس الوصية ، أو أمروا بها ؟ قال : أوصى بكتاب الله عز وجل . وقد رواه البخارى أيضاً ومسلم وأهل السنن إلا أبا داود من طرق عن مالك بن مغول به . وقال الترمذى : حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث مالك بن مغول .

﴿تنبيه﴾ قد ورد أحاديث كثيرة سنوردها قريباً بعد هذا الفصل فى ذكر أشياء كان يختص بها صلوات الله وسلامه عليه فى حياته من دور ومساكن نسائه وإماء وعبيد وخيول وإبل وغنم وسلاح وبغلة وحمار وثياب وأثاث وخاتم ، وغير ذلك مما سنوضحه بطرقه ودلائله ، فلعله عليه الصلاة والسلام تصدق بكثير منها فى حياته منجزا ، وأعتق من أعتق من إمائه وعبيده ، وأرصد ما أرصده من أمتعته ، مع ما خصه الله به من الأرضين من بنى النضير وخيبر وفدك فى مصالح المسلمين على ما سنبينه إن شاء الله ، إلا أنه لم يخلف من ذلك شيئاً يورث عنه قطعاً لما سنذكره قريباً ، وبالله المستعان .

﴿ باب ﴾

﴿ بيان أنه عليه السلام قال لا نورث ﴾

قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة يبلغ به ، وقال مرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يقتسم ورثتي ديناراً ولا درهما ، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة » . وقد رواه البخاري ومسلم وأبو داود من طرق عن مالك ابن أنس عن أبي الزناد عبد الله بن ذكوان عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج عن أبي هريرة . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يقتسم ورثتي ديناراً ، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة » لفظ البخاري . ثم قال البخاري حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة : أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أردن أن يبعثن عثمان إلى أبي بكر ليسألنه ميراثهن ، فقالت عائشة : أليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا نورث ، ما تركنا صدقة ؟ » وهكذا رواه مسلم عن يحيى بن يحيى وأبو داود عن القعنبي والنسائي عن قتيبة كلهم عن مالك به فهذه إحدى النساء الوارثات ـ إن لو قدر ميراث ـ قد اعترفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل ما تركه صدقة لا ميراثا ، والظاهر أن بقية أمهات المؤمنين وافقنها على ما روت ، وتذكرن ما قالت لهن من ذلك فإن عبارتها تؤذن بأن هذا أمر مقرر عندهن والله أعلم . وقال البخاري : حدثنا إسماعيل بن أبان ثنا عبد الله بن المبارك عن يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا نورث ما تركنا صدقة » وقال البخاري باب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نورث ما تركنا صدقة : حدثنا عبد الله بن محمد ثنا هشام أنبأنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة : أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر رضي الله عنه يلتمسان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما حينئذ يطلبان أرضه من فدك وسهمه من خيبر . فقال لهما أبو بكر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا نورث ما تركنا صدقة ، إنما يأكل آل محمد من هذا المال » . قال أبو بكر والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعه فيه إلا صنعته ، قال فهجرته فاطمة فلم تكلمه حتى ماتت . وهكذا رواه الإمام أحمد عن عبد الرزاق عن معمر ، ثم رواه أحمد عن يعقوب بن إبراهيم عن أبيه عن صالح بن كيسان عن الزهري عن عروة عن عائشة أن فاطمة سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله ميراثها مما ترك مما أفاء الله عليه ، فقال لها أبو بكر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا نورث ما تركنا صدقة » فغضبت فاطمة وهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرته حتى توفيت . قال وعاشت فاطمة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر ، وذكر تمام الحديث . هكذا قال الإمام أحمد .

وقد روى البخارى هذا الحديث فى كتاب المغازى من صحيحه عن ابن أبى بكير عن الليث عن عقيل عن الزهرى عن عروة عن عائشة كما تقدم ، وزاد : فلما توفيت دفنها على ليلا ولم يؤذن أبا بكر وصلى عليها ، وكان لعلى من الناس وجه حياة فاطمة ، فلما توفيت استنكر على وجوه الناس ، فالتمس مصالحة أبى بكر ومتابعته ولم يكن بايع تلك الأشهر ، فأرسل إلى أبى بكر إيتنا ولا يأتنا معك أحد ، وكره أن يأتيه عمر لما علم من شدة عمر ، فقال عمر : والله لا تدخل عليهم وحدك ، قال أبو بكر : وما عسى أن يصنعوا بى ؟ والله لآتينهم ، فانطلق أبو بكر رضى الله عنه [فتشهد على] وقال إنا قد عرفنا فضلك وما أعطاك الله ، ولم ننفس عليك خيراً ساقه الله إليك ، ولكنكم استبددتم بالأمر وكنا نرى لقرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لنا فى هذا الأمر نصيبا ، فلم يزل على يذكر حتى بكى أبو بكر رضى الله عنه وقال : والذى نفسى بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلى أن أصل من قرابتى ، وأما الذى شجر بينكم فى هذه الأموال فإنى لم آل فيها عن الخير ، ولم أترك أمراً صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا صنعته ، فلما صلى أبو بكر رضى الله عنه الظهر رقى على المنبر فتشهد وذكر شأن على وتخلفه عن البيعة وعذره بالذى اعتذر به ، وتشهد على رضى الله عنه فعظم حق أبى بكر وذكر فضيلته وسابقته ، وحدث أنه لم يحمله على الذى صنع نفاسة على أبى بكر ، ثم قام إلى أبى بكر رضى الله عنهما فبايعه ، فأقبل الناس على على فقالوا أحسنت ، وكان الناس إلى على قريبا حين راجع الأمر بالمعروف[1] .

وقد رواه البخارى أيضاً ومسلم وأبو داود والنسائى من طرق متعددة عن الزهرى عن عروة عن عائشة بنحوه . فهذه البيعة التى وقعت من على رضى الله عنه ، بعد وفاة فاطمة رضى الله عنها ، بيعة مؤكدة للصلح الذى وقع بينهما ، وهى ثانية للبيعة التى ذكرناها أولا يوم السقيفة كما رواه ابن خزيمة وصححه مسلم بن الحجاج ، ولم يكن على مجانبا لأبى بكر هذه الستة الأشهر ، بل كان يصلى وراءه ويحضر عنده المشورة ، وركب معه إلى ذى القصة كما سيأتى . وفى صحيح البخارى أن أبا بكر رضى الله عنه صلى العصر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بليال ، ثم خرج من المسجد فوجد الحسن بن على يلعب مع الغلمان ، فاحتمله على كاهله وجعل يقول : يا بأبى شبه النبى ، ليس شبيها بعلى ، وعلى يضحك ، ولكن لما وقعت هذه البيعة الثانية اعتقد بعض الرواة أن عليا لم يبايع قبلها فنفى ذلك ، والمثبت مقدم على النافى كما تقدم وكما تقرر والله أعلم . وأما تغضب فاطمة رضى الله عنها وأرضاها على أبى بكر رضى الله عنه وأرضاه فما أدرى ما وجهه ، فإن كان لمنعه إياها ما سألته من الميراث فقد اعتذر إليها بعذر يجب قبوله وهو ما رواه عن أبيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا نورث ما تركنا صدقة » وهى ممن تنقاد لنص الشارع الذى خفى عليها قبل سؤالها الميراث كما خفى على أزواج النبى صلى الله عليه وسلم حتى أخبرتهن عائشة

(١) هكذا عبارة الأصل وكذا فى التيمورية .

بذلك . ووافقنها عليه ، وليس يظن بفاطمة رضى الله عنها أنها اتهمت الصديق رضى الله عنه فيما أخبرها به ، حاشاها وحاشاه من ذلك ، كيف وقد وافقه على رواية هذا الحديث عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلىّ بن أبى طالب ، والعباس بن عبد المطلب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبى وقاص ، وأبو هريرة ، وعائشة رضى الله عنهم أجمعين كما سنبينه قريبا ولو تفرد بروايته الصديق رضى الله عنه لوجب على جميع أهل الأرض قبول روايته والانقياد له فى ذلك ، وإن كان غضبها لأجل ما سألت الصديق إذ كانت هذه الأراضى صدقة لا ميراثا أن يكون زوجها ينظر فيها ، فقد اعتذر بما حاصله أنه لما كان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو يرى أن فرضا عليه أن يعمل بما كان يعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويلى ما كان يليه رسول الله ، ولهذا قال : وإنى والله لا أدع أمراً كان يصنعه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا صنعته ، قال فهجرته فاطمة فلم تكلمه حتى ماتت . وهذا الهجران والحالة هذه فتح على فرقة الرافضة شراً عريضا ، وجهلا طويلا ، وأدخلوا أنفسهم بسببه فيما لا يعنيهم ولو تفهموا الأمور على ما هى عليه لعرفوا للصديق فضله ، وقبلوا منه عذره الذى يجب على كل أحد قبوله ، ولكنهم طائفة مخذولة ، وفرقة مرذولة ، يتمسكون بالمتشابه ، ويتركون الأمور المحكمة المقدرة عند أئمة الإسلام ، من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من العلماء المعتبرين فى سائر الأعصار والأمصار رضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين .

﴿ بيان رواية الجماعة لما رواه الصديق وموافقتهم على ذلك ﴾

قال البخارى : حدثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال أخبرنى مالك ابن أوس بن الحدثان وكان محمد بن جبير بن مطعم ذكر لى ذكراً من حديثه ذلك فانطلقت حتى دخلت عليه فسألته فقال انطلقت حتى أدخل على عمر فأتاه حاجبه يرفأ فقال هل لك فى عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد ؟ قال نعم ! فأذن لهم ثم قال : هل لك فى علىّ وعباس ؟ قال نعم ! قال عباس : يا أمير المؤمنين اقض بينى وبين هذا ، قال أنشدكم بالله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : « لا نورث ما تركنا صدقة ؟ » يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه ؟ قال الرهط قد قال ذلك ، فأقبل على علىّ وعباس فقال : هل تعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال ذلك ؟ قالا قد قال ذلك قال عمر بن الخطاب فإنى أحدثكم عن هذا الأمر إن الله كان قد خص لرسول الله فى هذا الفىء بشىء لم يعطه أحداً غيره ، قال (ما أفاء الله على رسوله) إلى قوله (قدير) فكانت خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله ما احتازها دونكم ، ولا استأثر بها عليكم ، لقد أعطاكموها وبثها فيكم حتى بقى منها هذا المال ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق على أهله من هذا المال نفقة سنته ، ثم يأخذ ما بقى فيجعله مجعل مال الله ، فعمل بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم

حياته أنشدكم بالله هل تعلمون ذلك ؟ قالوا نعم ! ثم قال لعلى وعباس : أنشدكما بالله هل تعلمان ذلك ؟ قالا نعم ! فتوفى الله نبيه فقال أبو بكر رضى الله عنه : أنا ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضها فعمل بما عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم توفى الله أبا بكر فقلت أنا ولى ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضتها سنتين أعمل فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، ثم جئتمانى وكلمتكما واحدة وأمركما جميع ، حتى جئتنى تسألنى نصيبك من ابن أخيك ، وجاءنى هذا ليسألنى نصيب امرأته من أبيها ، فقلت إن شئتما دفعتها إليكما بذلك ، فتلتمسان منى قضاء غير ذلك ؟ فوالله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض لا أقضى فيها قضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة ، فإن عجزتما فادفعاها إلى فأنا أكفيكماها ، وقد رواه البخارى فى أماكن متفرقة من صحيحه ، ومسلم وأهل السنن من طرق عن الزهرى به ، وفى رواية فى الصحيحين فقال عمر : فوليها أبو بكر فعمل فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم والله يعلم أنه صادق بار راشد تابع للحق . ثم وليتها فعملت فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، والله يعلم أنى صادق بار راشد تابع للحق ، ثم جئتمانى فدفعتها إليكما لتعملا فيها بما عمل رسول الله وأبو بكر وعملت فيها أنا ، أنشدكم بالله أدفعتها إليهما بذلك ؟ قالوا نعم ، ثم قال لهما ، أنشدكما بالله هل دفعتها إليكما بذلك ؟ قالا نعم ، قال أفتلتمسان منى قضاء غير ذلك ؟ لا والذى بإذنه تقوم السماء والأرض ، وقال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن عمرو عن الزهرى عن مالك بن أوس قال سمعت عمر يقول لعبد الرحمن وطلحة والزبير وسعد : نشدتكم بالله الذى تقوم السماء والأرض بأمره أعلمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا نورث ما تركنا صدقة ؟ » قالوا نعم ! على شرط الصحيحين .

قلت : وكان الذى سألاه — بعد تفويض النظر إليهما ، والله أعلم — هو أن يقسم بينهما النظر ، فيجعل لكل واحد منهما نظر ما كان يستحقه بالأرض لو قدر أنه كان وارثا ، وكأنهما قدما بين أيديهما جماعة من الصحابة ، منهم عثمان ، وابن عوف ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وكان قد وقع بينهما خصومة شديدة بسبب إشاعة النظر بينهما ، فقالت الصحابة الذين قدموهم بين أيديهما : يا أمير المؤمنين اقض بينهما ، أو أرح أحدهما من الآخر ، فكأن عمر رضى الله عنه تحرج من قسمة النظر بينهما بما يشبه قسمة الميراث ، ولو فى الصورة الظاهرة محافظة على امتثال قوله صلى الله عليه وسلم : « لا نورث ما تركنا صدقة » فامتنع عليهم كلهم وأبى من ذلك أشد الإباء رضى الله عنه وأرضاه . ثم إن عليا والعباس استمرا على ما كانا عليه ينظران فيها جميعا إلى زمان عثمان بن عفان ، فغلبه عليها على وتركها له العباس بإشارة ابنه عبد الله رضى الله عنهما بين يدى عثمان ، كما رواه أحمد فى مسنده ، فاستمرت فى أيدى العلويين ، وقد تقصيت طرق هذا الحديث وألفاظه فى مسندى الشيخين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، فإنى ولله الحمد جمعت لكل واحد منهما مجلداً ضخما مما رواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورآه

من الفقه النافع الصحيح ، ورتبته على أبواب الفقه المصطلح عليها اليوم ، وقد روينا أن فاطمة رضي الله عنها احتجت أولا بالقياس وبالعموم في الآية الكريمة ، فأجابها الصديق بالنص على الخصوص بالمنع في حق النبي ، وأنها سلمت له ما قال وهذا هو المظنون بها رضي الله عنها .

وقال الإمام أحمد حدثنا عفان ثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة أن فاطمة قالت لأبي بكر : من يرثك إذا مت ؟ قال : ولدي وأهلي ، قالت : فما لنا لا نرث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن النبي لا يورث » ولكني أعول من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعول وأنفق على من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق . وقد رواه الترمذي في جامعه عن محمد بن المثنى عن أبي الوليد الطيالسي عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة ، فذكره فوصل الحديث ، وقال الترمذي حسن صحيح غريب فأما الحديث الذي قال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ثنا محمد بن فضيل عن الوليد بن جميع عن أبي الطفيل قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلت فاطمة إلى أبي بكر : أأنت ورثت رسول الله أم أهله ؟ فقال : بل أهله ، فقالت : فأين سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أبو بكر : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله إذا أطعم نبياً طعمة ثم قبضه جعله للذي يقوم من بعده » فرأيت أن أرده على المسلمين ، قالت : فأنت وما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهكذا رواه أبو داود عن عثمان بن أبي شيبة عن محمد بن فضيل به ؛ ففي لفظ هذا الحديث غرابة ونكارة ، ولعله روى بمعنى ما فهمه بعض الرواة ، وفيهم من فيه تشيع فليعلم ذلك . وأحسن ما فيه قولها : أنت وما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا هو الصواب والمظنون بها ، واللائق بأمرها وسيادتها وعلمها ودينها رضي الله عنها ، وكأنها سألته بعد هذا أن يجعل زوجها ناظراً على هذه الصدقة فلم يجبها إلى ذلك لما قدمناه ، فتعتبت عليه بسبب ذلك وهي امرأة من بنات آدم تأسف كما يأسفن وليست بواجبة العصمة مع وجود نص رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومخالفة أبي بكر الصديق رضي الله عنها وقد روينا عن أبي بكر رضي الله عنه أنه ترضى فاطمة وتلاينها قبل موتها فرضيت رضي الله عنها قال الحافظ البيهقي أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن عبد الوهاب ثنا عبدان بن عثمان العتكي بنيسابور أنبأنا أبو حمزة عن اسمعيل بن أبي خالد عن الشعبي ، قال : لما مرضت فاطمة أتاها أبو بكر الصديق فاستأذن عليها ، فقال علي يا فاطمة هذا أبو بكر يستأذن عليك ؟ قالت : أتحب أن آذن له ؟ قال : نعم ! فأذنت له ، فدخل عليها يترضاها فقال : والله ما تركت الدار والمال والأهل والعشيرة إلا ابتغاء مرضاة الله ومرضاة رسوله ، ومرضاتكم أهل البيت ، ثم ترضاها حتى رضيت ، وهذا إسناد جيد قوي ، والظاهر أن عامر الشعبي سمعه عن علي ، أو ممن سمعه من علي ، وقد اعترف علماء أهل البيت بصحة ما حكم به أبو بكر في ذلك . قال الحافظ البيهقي :

أنبأنا محمد بن عبد الله الحافظ حدثنا أبو عبد الله الصفار ثنا اسماعيل بن إسحاق القاضي ثنا نصر ابن على ثنا ابن داود عن فضيل بن مرزوق ، قال قال زيد بن على بن الحسين بن على أبي طالب أما أنا فلو كنت مكان أبي بكر لحكمت بما حكم به أبو بكر فى فدك .

﴿ فصل ﴾

وقد تكلمت الرافضة فى هذا المقام بجهل ، وتكلفوا ما لا علم لهم به ، وكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ، ولما يأتهم تأويله ، وأدخلوا أنفسهم فيما لا يعنيهم ، وحاول بعضهم أن يرد خبر أبي بكر رضى الله عنه فيما ذكرناه بأنه مخالف للقرآن حيث يقول الله تعالى : (وورث سليمان داود) الآية . وحيث قال تعالى إخباراً عن زكريا أنه قال : (فهب لى من لدنك وليا ، يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا) ، واستدلالهم بهذا باطل من وجوه ؛ أحدها أن قوله (وورث سليمان داود) إنما يعنى بذلك فى الملك والنبوة ، أى جعلناه قائما بعده فيما كان يليه من الملك وتدبير الرعايا ، والحكم بين بنى إسرائيل ، وجعلناه نبيا كريما كأبيه ، وكما جمع لأبيه الملك والنبوة كذلك جعل ولده بعده ، وليس المراد بهذا وراثة المال لأن داود كما ذكره كثير من المفسرين كان له أولاد كثيرون يقال مائة ، فلم اقتصر على ذكر سليمان من بينهم لو كان المراد وراثة المال ؟ إنما المراد وراثة القيام بعده فى النبوة والملك ، ولهذا قال : (وورث سليمان داود) وقال : (يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين) وما بعدها من الآيات . وقد أشبعنا الكلام على هذا فى كتابنا التفسير بما فيه كفاية ، ولله الحمد والمنة كثيراً .

وأما قصة زكريا فإنه عليه الصلاة والسلام من الأنبياء الكرام ، والدنيا كانت عنده أحقر من أن يسأل الله ولداً ليرثه فى ماله ، كيف ؟ وإنما كان نجاراً يأكل من كسب يده كما رواه البخارى ، ولم يكن ليدخر منها فوق قوته حتى يسأل الله ولداً يرث عنه ماله ــ أن لو كان له مال ــ وإنما سأل ولداً صالحا يرثه فى النبوة والقيام بمصالح بنى إسرائيل وحملهم على السداد ، ولهذا قال تعالى : (كهيعص ، ذكر رحمة ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداء خفيا ، قال رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا ، وإنى خفت الموالى من ورائى ، وكانت امرأتى عاقراً فهب لى من لدنك وليا ، يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا) القصة بتمامها ، فقال وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب ، يعنى النبوة كما قررنا ذلك فى التفسير ، ولله الحمد والمنة ، وقد تقدم فى رواية أبى سلمة عن أبى هريرة عن أبى بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « والنبى لا يورث » وهذا اسم جنس يعم كل الأنبياء ، وقد حسنه الترمذى . وفى الحديث الآخر « نحن معشر الأنبياء لا نورث » .

والوجه الثانى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خص من بين الأنبياء بأحكام لايشاركونه فيها كما سنعقد له بابا مفرداً فى آخر السيرة إن شاء الله ، فلو قدر أن غيره من الأنبياء يورثون ـ وليس الأمر كذلك ـ لكان ما رواه من ذكرنا من الصحابة الذين منهم الأئمة الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى مبينا لتخصيصه بهذا الحكم دون ما سواه .

والثالث : أنه يجب العمل بهذا الحديث والحكم بمقتضاه كما حكم به الخلفاء ، واعترف بصحته العلماء ، سواء كان من خصائصه أم لا ، فإنه قال : « لا نورث ما تركناه صدقة » إذ يحتمل من حيث اللفظ أن يكون قوله عليه السلام « ما تركناه صدقة » أن يكون خبراً عن حكمه أو حكم سائر الأنبياء معه على ما تقدم وهو الظاهر ، ويحتمل أن يكون إنشاء وصيته كأنه يقول لانورث لأن جميع ما تركناه صدقة ، ويكون تخصيصه من حيث جواز جعله ماله كله صدقة ، والاحتمال الأول أظهر وهو الذى سلكه الجمهور .

وقد يقوى المعنى الثانى بما تقدم من حديث مالك وغيره عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقتسم ورثتى ديناراً ، ما تركت بعد نفقة نسائى ومؤنة عاملى فهو صدقة » وهذا اللفظ مخرج فى الصحيحين ، وهو يرد تحريف من قال من الجهلة من طائفة الشيعة فى رواية هذا الحديث ما تركنا صدقة بالنصب ، جعل ـ ما ـ نافية ، فكيف يصنع بأول الحديث وهو قوله لا نورث ؟! وبهذه الرواية « ما تركت بعد نفقة نسائى ومؤنة عاملى فهو صدقة » وما شأن هذا إلا كما حكى عن بعض المعتزلة أنه قرأ على شيخ من أهل السنة (وكلم الله موسى تكليماً) بنصب الجلالة ، فقال له الشيخ : ويحك كيف تصنع بقوله تعالى : (فلما جاء موسى لميقاتنا فكلمه ربه) ؟ والمقصود أنه يجب العمل بقوله صلى الله عليه وسلم : « لا نورث ما تركناه صدقة » على كل تقدير احتمله اللفظ والمعنى فإنه مخصص لعموم آية الميراث ، ومخرج له عليه الصلاة والسلام منها ، إما وحده أو مع غيره من إخوانه الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام .

﴿ باب ﴾

﴿ ذكر زوجاته صلوات الله وسلامه عليه ورضى عنهن وأولاده صلى الله عليه وسلم ﴾

قال الله تعالى (يا نساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا ، وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ، واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيراً) ، لا خلاف أنه عليه السلام توفى عن تسع وهن : عائشة بنت أبى بكر الصديق التيمية ، وحفصة بنت عمر بن الخطاب

العدوية ، وأم حبيبة رملة بنت أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية الأموية ، وزينب بنت جحش الأسدية ، وأم سلمة هند بنت أبى أمية المخزومية ، وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وسودة بنت زمعة العامرية ، وجويرية بنت الحارث بن أبى ضرار المصطلقية ، وصفية بنت حُيَيٍّ بن أخطب النضرية الإسرائيلية الهارونية ، رضى الله عنهن وأرضاهن . وكانت له سُرِّيتان وهما : مارية بنت شمعون القبطية المصرية من كورة أنصِنا وهى أم ولده ابراهيم عليه السلام ، وريحانة بنت[1] شمعون القرظية أسلمت ثم أعتقها فلحقت بأهلها . ومن الناس من يزعم أنها احتجبت عندهم ، والله أعلم . وأما الكلام على هذا مفصلا ومرتباً من حيث ما وقع أولا فأولا مجموعا من كلام الأئمة رحمهم الله فنقول وبالله المستعان .

روى الحافظ الكبير أبو بكر البيهقى من طريق سعيد بن أبى عروبة عن قتادة ، قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس عشرة امرأة ، دخل منهن بثلاث عشرة ، واجتمع عنده إحدى عشرة ، ومات عن تسع ، ثم ذكر هؤلاء التسع اللاتى ذكرناهن رضى الله عنهن . ورواه سيف بن عمر عن سعيد عن قتادة عن أنس والأول أصح[2] . ورواه سيف بن عمر التميمى عن سعيد عن قتادة عن أنس وابن عباس مثله . وروى عن سعيد بن عبد الله عن عبد الله بن أبى مليكة عن عائشة مثله ، قالت : فالمرأتان اللتان لم يدخل بهما فهما : عمرة بنت يزيد الغفارية ، والشنباء[3] فأما عمرة فإنه خلا بها وجردها فرأى بها وضحاً فردها وأوجب لها الصداق وحُرِّمت على غيره ، وأما الشنباء فلما أدخلت عليه لم تكن يسيرة فتركها ينتظر بها اليسر[4] فلما مات ابنه ابراهيم على بغتة ذلك قالت : لو كان نبياً لم يمت ابنه ، فطلقها وأوجب لها الصداق وحرمت على غيره ، قالت : فاللاتى اجتمعن عنده عائشة وسودة وحفصة وأم سلمة وأم حبيبة وزينب بنت جحش وزينب بنت خزيمة وجويرية وصفية وميمونة وأم شريك .

قلت : وفى صحيح البخارى عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطوف على نسائه وهن إحدى عشرة امرأة ، والمشهور أن أم شريك لم يدخل بها كما سيأتى بيانه ولكن المراد بالإحدى عشرة اللاتى كان يطوف عليهن التسع المذكورات والجاريتان مارية وريحانة ورواه يعقوب بن سفيان

---

(١) فى هامش الأصل : قوله وريحانة بنت شمعون غلط ــ أقول سيأتى أنها بنت زيد فليحرر .

(٢) فى هامش الأصل وبالتيمورية : ورواه بحير بن كثير عن قتادة عن أنس والأول أصح .

(٣) الذى فى ابن هشام : أنهما أسماء بنت النعمان الكندية . وجد بها بياضا فمتعها وأرجعها إلى أهلها ، وعمرة بنت يزيد الكلابية وهى التى استعاذت منه .

(٤) فى التيمورية لم تكن متيسرة فتركها ينتظر بها التيسير (يريد أنها حائضة) ولعله الصواب .

الفسوى عن الحجاج بن أبى منيع عن جده عبيد الله بن أبى زياد الرصافى عن الزهرى ـ وقد علقه البخارى فى صحيحه عن الحجاج هذا ـ وأورد له الحافظ ابن عساكر طرفا عنه أن أول امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى ، زوجه إياها أبوها قبل البعثة . وفى رواية قال الزهرى : وكان عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم تزوج خديجة إحدى وعشرين سنة ، وقيل خمسا وعشرين سنة ، زمان بنيت الكعبة . وقال الواقدى وزاد : ولها خمس وأربعون سنة . وقال آخرون من أهل العلم : كان عمره عليه الصلاة والسلام يومئذ ثلاثين سنة ، وعن حكيم بن حزام قال : كان عمر رسول الله يوم تزوج خديجه خمساً وعشرين سنة وعمرها أربعون سنة . وعن ابن عباس : كان عمرها ثمانياً وعشرين سنة ، رواهما ابن عساكر ، وقال ابن جرير : كان عليه الصلاة والسلام ابن سبع وثلاثين سنة ، فولدت له القاسم وبه كان يكنى والطيب والطاهر ، وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة .

قلت : وهى أم أولاده كلهم سوى ابراهيم فمن مارية كما سيأتى بيانه ، ثم تكلم على كل بنت من بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تزوجها ، وحاصله : أن زينب تزوجها العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف ، وهو ابن أخت خديجة أمه هالة بنت خويلد فولدت له ابناً اسمه على ، وبنتاً اسمها أمامة بنت زينب ، وقد تزوجها على بن أبى طالب بعد وفاة فاطمة ، ومات وهى عنده ، ثم تزوجت بعده بالمغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ؛ وأما رقية فتزوجها عثمان بن عفان فولدت له ابنه عبد الله وبه كان يكنى أولا ، ثم اكتنى بابنه عمرو وماتت رقية ورسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر ، ولما قدم زيد بن حارثة بالبشارة وجدهم قد ساووا التراب عليها ، وكان عثمان قد أقام عندها يمرضها ، فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره ، ثم زوجه بأختها أم كلثوم ، ولهذا كان يقال له ذو النورين ، فتوفيت عنده أيضاً فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأما فاطمة فتزوجها ابن عمه على بن أبى طالب بن عبد المطلب فدخل بها بعد وقعة بدر كما قدمنا ، فولدت له حسناً وبه كان يكنى ، وحسينا وهو المقتول شهيداً بأرض العراق .

قلت : ويقال ومحسناً ، قال : وزينب وأم كلثوم ، وقد تزوج زينب هذه ابن عمها عبد الله ابن جعفر فولدت له علياً وعوناً وماتت عنده ، وأما أم كلثوم فتزوجها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فولدت له زيداً ومات عنها ، فتزوجت بعده ببنى عمها جعفر واحداً بعد واحد ، تزوجت بعون بن جعفر فمات عنها ، فخلف عليها أخوه محمد فمات عنها ، فخلف عليها أخوهما عبد الله بن جعفر فماتت عنده . قال الزهرى : وقد كانت خديجة بنت خويلد تزوجت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم برجلين الأول منهما عتيق بن عابد[1] بن مخزوم فولدت منه جارية وهى أم محمد بن صيفى ،

(١) فى رواية ابن هشام : عابد كما هنا . وفى الروض الآنف للسهيلى : عائذ ، وسمى أبا هالة هند زرارة بن النباش . وقال : وقيل بل أبو هالة هو زرارة وقال : ولدت له ابنه هند وبلته وزينب .

والثانى أبو هالة التميمى فولدت له هند بن هند وقد سماه ابن اسحاق فقال : ثم خلف عليها بعد هلاك عائذ أبو هالة النباش بن زراوة أحد بنى عمرو بن تميم حليف بنى عبد الدار فولدت له رجلا وامرأة ثم هلك عنها ، فخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فولدت له بناته الأربع ، ثم بعدهن القاسم والطيب والطاهر ، فذهب الثلاثة جميعا وهم يرضعون .

قلت : ولم يتزوج عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياتها امرأة ، كذلك رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة أنها قالت ذلك ، وقد قدمنا تزويجها فى موضعه وذكرنا شيئا من فضائلها بدلائلها . قال الزهرى : ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خديجة بعائشة بنت أبى بكر عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، ولم يتزوج بكراً غيرها .

قلت : ولم يولد له منها ولد ، وقيل : بل أسقطت منه ولداً سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ، ولهذا كانت تكنى بأم عبد الله ، وقيل : إنما كانت تكنى بعبد الله ابن أختها أسماء من الزبير بن العوام رضى الله عنهم .

قلت : وقد قيل إنه تزوج سودة قبل عائشة ، قاله ابن إسحاق وغيره كما قدمنا ذكر الخلاف فى ذلك فالله أعلم . وقد قدمنا صفة تزويجه عليه الصلاة والسلام بهما قبل الهجرة وتأخر دخوله بعائشة إلى ما بعد الهجرة ، قال : وتزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب وكانت قبله تحت خنيس ابن حذافة بن قيس بن عدى بن حذافة بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى ، مات عنها مؤمنا ، قال : وتزوج أم سلمة هند بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكانت قبله تحت ابن عمها أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قال : وتزوج سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل ابن عامر بن لؤى وكانت قبله تحت السكران بن عمرو أخى سهيل بن عمرو بن عبد شمس مات عنها مسلما بعد رجوعه وإياها من أرض الحبشة إلى مكة رضى الله عنهما ، قال : وتزوج أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى وكانت قبله تحت عبد الله[1] بن جحش بن رئاب من بنى أسد بن خزيمة مات بأرض الحبشة نصرانيا ، بعث إليها رسول الله يعنى عمرو بن أمية الضمرى إلى أرض الحبشة فخطبها عليه فزوجها منه عثمان بن عفان ، كذا قال والصواب عثمان بن أبى العاص ، وأصدقها عنه النجاشى أربعمائة دينار ، وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة ، وقد قدمنا ذلك كله مطولا ولله الحمد .

---

(١) رواية ابن هشام : عبيد الله وهى الأصح .

قال : وتزوج [زينب] بنت جحش بن رئاب بن أسد بن خزيمة وأمها أميمة بنت عبدالمطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت قبله تحت زيد بن حارثة مولاه عليه الصلاة والسلام ، وهي أول نسائه لحوقا به ، وأول من عمل عليها النعش صنعته أسماء بنت عميس عليها كما رأت ذلك بأرض الحبشة ؛ قال : وتزوج زينب بنت خزيمة وهي من بني عبد مناف بن هلال بن عامر ابن صعصعة ويقال لها أم المساكين ، وكانت قبله تحت عبد الله بن جحش بن رئاب قتل يوم أحد فلم تلبث عنده عليه السلام إلا يسيراً حتى توفيت رضي الله عنها وقال يونس عن محمد بن إسحاق : كانت قبله عند الحصين بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف ، أو عند أخيه الطفيل بن الحارث[1] . قال الزهري : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث ابن حزن بن بجير بن الهزم بن رؤيبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة ، قال : وهي التي وهبت نفسها .

قلت : الصحيح أنه خطبها وكان السفير بينهما أبو رافع مولاه كما بسطنا ذلك في عمرة القضاء قال الزهري : وقد تزوجت قبله رجلين أولهما ابن عبد ياليل ، وقال سيف بن عمر في روايته : كانت تحت عمير بن عمرو أحد بني عقدة بن ثقيف بن عمرو الثقفي مات عنها ، ثم خلف عليها أبو رهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى[2] قال : وسبى رسول الله صلى الله عليه وسلم جويرية بنت الحارث بن الحارث بن أبي ضرار بن الحارث بن عامر بن مالك بن المصطلق من خزاعة يوم المريسيع فأعتقها وتزوجها ، ويقال : بل قدم أبوها الحارث وكان ملك خزاعة فأسلم ثم تزوجها منه ، وكانت قبله عند ابن عمها صفوان ابن أبي الشفر[3] ، قال قتادة عن سعيد بن المسيب والشعبي ومحمد بن إسحاق وغيرهم قالوا : وكان هذا البطن من خزاعة حلفاء لأبي سفيان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولهذا يقول حسان :

وحلف الحارث بن أبي ضرار وحلف قريظة فيكم سواء

وقال سيف ابن عمر في روايته عن سعيد بن عبد الله عن ابن أبي مليكة عن عائشة قالت : وكانت جويرية تحت ابن عمها مالك بن صفوان بن تولب ذي الشفر بن أبي السرح بن مالك ابن المصطلق . قال : وسبى صفية بنت حيي بن أخطب من بني النضير يوم خيبر وهي عروس بكنانة بن أبي الحقيق ، وقد زعم سيف بن عمر في روايته أنها كانت قبل كنانة عند سلام بن مشكم فالله أعلم . قال : فهذه إحدى عشرة امرأة دخل بهن ، قال : وقد قسم عمر بن الخطاب في خلافته لكل امرأة من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اثنا عشر ألفا ، وأعطى جويرية وصفية

---

(١) رواية ابن هشام : "وكانت قبله عند عبدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، وكانت قبل عبيدة عند جهم بن عمرو بن الحارث وهو ابن عمها .

(٢) ولم يذكر ابن اسحاق غير أبي رهم (٣) سماه ابن هشام : عبد الله .

ستة آلاف ستة آلاف ، بسبب أنهما سبيتا . قال الزهرى : وقد حجبهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسم لهما .

قلت : وقد بسطنا الكلام فيما تقدم فى تزويجه عليه الصلاة والسلام كل واحدة من هذه النسوة رضى الله عنهن فى موضعه .

قال الزهرى : وقد تزوج العالية بنت ظبيان بن عمرو من بنى بكر بن كلاب ، ودخل بها وطلقها . قال البيهقى : كذا فى كتابى وفى رواية غيره ولم يدخل بها فطلقها . وقد قال محمد بن سعد عن هشام بن محمد بن السائب الكلبى حدثنى رجل من بنى أبى بكر بن كلاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج العالية بنت ظبيان بن عمرو بن عوف بن كعب بن عبد بن أبى بكر بن كلاب فمكثت عنده دهراً ثم طلقها ، وقد روى يعقوب بن سفيان عن حجاج بن أبى منيع عن جده عن الزهرى عن عروة عن عائشة : أن الضحاك بن سفيان الكلابى هو الذى دل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وأنا أسمع من وراء الحجاب ، قال : يا رسول الله هل لك فى أخت أم شبيب ؟ وأم شبيب امرأة الضحاك ، وبه قال الزهرى تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة من بنى عمرو بن كلاب فأنبىء أن بها بياضاً فطلقها ولم يدخل بها .

قلت : الظاهر أن هذه هى التى قبلها والله أعلم . قال : وتزوج أخت بنى الجون الكندى [1] وهم حلفاء بنى فزارة فاستعاذت منه ، فقال : « لقد عذت بمعظم : الحقى بأهلك » فطلقها ولم يدخل بها . قال : وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سُرِّية يقال لها مارية فولدت له غلاماً اسمه إبراهيم ، فتوفى وقد ملأ المهد ، وكانت له وليدة يقال لها ريحانة بنت شمعون من أهل الكتاب من خنافة وهم بطن من بنى قريظة أعتقها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويزعمون أنها قد احتجبت . وقد روى الحافظ بن عساكر بسنده عن على بن مجاهد أن رسول الله تزوج خولة بنت الهذيل بن هبيرة التغلبى وأمها خرنق بنت خليفة أخت دحية بن خليفة فحملت إليه من الشام فماتت فى الطريق ، فتزوج خالتها شراف بنت فضالة بن خليفة فحملت إليه من الشام فماتت فى الطريق أيضاً . وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج أسماء بنت كعب الجونية [1] فلم يدخل بها حتى طلقها ، وتزوج عمرة بنت زيد إحدى نساء بنى كلاب ثم من بنى الوحيد وكانت قبله عند الفضل بن عباس بن عبد المطلب فطلقها ولم يدخل بها . قال البيهقى : فهاتان هما اللتان ذكرهما الزهرى ولم يسمهما ، إلا أن ابن إسحاق لم يذكر العالية . وقال البيهقى : أنبأنا الحاكم أنبأنا الأصم أنبأنا أحمد بن عبد الجبار عن يونس ابن بكير عن زكريا بن أبى زائدة عن الشعبى قال : وهبن لرسول الله صلى الله عليه وسلم نساء أنفسهن

(١) وقد سماها السهيلى فى الروض الأنف : أسماء بنت النعمان بن الجون الكندية ، وقال : اتفقوا على تزويج النبى صلى الله عليه وسلم إياها واختلفوا فى سبب فراقه لها .

فلتجعل ببعضهن وأرجى بعضهن ، فلم يقربهن حتى توفى ، ولم ينكحن بعده ، منهن أم شريك
فذلك قوله تعالى (ترجى من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا
جناح عليك) . قال البيهقى : وقد روينا عن هشام بن عروة عن أبيه . قال : كانت خولة -
يعنى بنت حكيم - ممن وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال البيهقى : وروينا فى
حديث أبى رشيد الساعدى فى قصة الجونية التى استعاذت فألحقها بأهلها أن اسمها أميمة بنت
النعمان بن شراحيل ، كذا قال . وقد قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن عبد الله الزبيرى ثنا
عبد الرحمن بن الغسيل عن حمزة بن أبى أسيد عن أبيه وعباس بن سهل عن أبيه قالا : مر بنا
النبى صلى الله عليه وسلم وأصحاب له فخرجنا معه حتى انطلقنا إلى حائط يقال له الشوط حتى
انتهينا إلى حائطين فجلسنا بينهما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اجلسوا » ودخل هو
وقد أوتى بالجونية فعزلت فى بيت أميمة بنت النعمان بن شراحيل ومعها داية لها ، فلما دخل عليها
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هبى لى نفسك ؛ قالت وهل تهب الملكة نفسها لسوقة ، وقالت
إنى أعوذ بالله منك قال لقد عذت بمعاذ ، ثم خرج علينا فقال : « يا أبا أسيد اكسها دراعتين
وألحقها بأهلها » . وقال غير أبى أحمد امرأة من بنى الجون يقال لها أمينة ، وقال البخارى حدثنا
أبو نعيم ثنا عبد الرحمن بن الغسيل عن حمزة بن أبى أسيد عن أبى أسيد قال : خرجنا مع
رسول الله حتى انطلقنا إلى حائط يقال له الشوط ، حتى انتهينا إلى حائطين جلسنا بينهما فقال
« اجلسوا هاهنا » فدخل وقد أوتى بالجونية فأنزلت فى محل فى بيت أميمة بنت النعمان بن شراحيل
ومعها دايتها حاضنة لها ، فلما دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : « هبى لى
نفسك » . قالت : وهل تهب الملكة نفسها لسوقة ؟ ! قال فأهوى بيده يضع يده عليها لتسكن ،
فقالت أعوذ بالله منك . قال : « لقد عذت بمعاذ » . ثم خرج علينا فقال : « يا أبا أسيد اكسها
رازقين وألحقها بأهلها » . قال البخارى وقال الحسين بن الوليد عن عبد الرحمن بن الغسيل عن
عباس بن سهل بن سعد عن أبيه وأبى أسيد ، قالا : تزوج النبى صلى الله عليه وسلم أميمة بنت
شراحيل ، فلما أدخلت عليه بسط يده إليها ، فكأنها كرهت ذلك . فأمر أبا أسيد أن يجهزها
ويكسوها ثوبين رازقين . ثم قال البخارى حدثنا عبد الله بن محمد ثنا إبراهيم ابن الوزير ثنا
عبد الرحمن بن حمزة عن أبيه وعن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه بهذا . انفرد البخارى بهذه
الروايات من بين أصحاب الكتب ، وقال البخارى ثنا الحميدى ثنا الوليد ثنا الأوزاعى سألت الزهرى
أى أزواج النبى صلى الله عليه وسلم استعاذت منه ؟ فقال : أخبرنى عروة عن عائشة أن ابنة
الجون لما أدخلت على رسول الله قالت : أعوذ بالله منك ، فقال : « لقد عذت بعظيم ، الحقى
بأهلك » وقال ورواه حجاج بن أبى منيع عن جده عن الزهرى أن عروة أخبره أن عائشة قالت
(الحديث) انفرد به دون مسلم . قال البيهقى ورأيت فى كتاب المعرفة لابن منده أن اسم التى

استعاذت منه أميمة بنت النعمان بن شراحيل ، ويقال فاطمة بنت الضحاك ، والصحيح أنها أميمة والله أعلم ، وزعموا أن الكلابية اسمها عمرة وهى التى وصفها أبوها بأنها لم تمرض قط ، فرغب عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى محمد بن سعد عن محمد بن عبد الله عن الزهرى . قال : هى فاطمة بنت الضحاك بن سفيان استعاذت منه فطلقها ، فكانت تلقط البعر وتقول : أنا الشقية . قال وتزوجها فى ذى القعدة سنة ثمان ، وماتت سنة ستين ، وذكر يونس عن ابن إسحاق فيمن تزوجها عليه السلام ولم يدخل بها أسماء بنت كعب الجونية[1] وعمرة بنت يزيد الكلابية ، وقال ابن عباس وقتادة أسماء بنت النعمان بن أبى الجون فالله أعلم ، قال ابن عباس لما استعاذت منه خرج من عندها مغضبا ، فقال له الأشعث : لايسوءك ذلك يا رسول الله فمندى أجمل منها ، فزوجه أخته قتيلة . وقال غيره كان ذلك فى ربيع سنة تسع . وقال سعيد بن أبى عروبة عن قتادة : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة امرأة ، فذكر منهن أم شريك الأنصارية النجارية . قال وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنى لأحب أن أتزوج من الأنصار ولكنى أكره غيرتهن » ولم يدخل بها . قال وتزوج أسماء بنت الصلت من بنى حرام ثم من بنى سليم ولم يدخل بها ، وخطب حمزة[2] بنت الحارث المزنية . وقال الحاكم أبو عبد الله النيسابورى وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : تزوج رسول الله ثمانى عشرة امرأة ، فذكر منهن قتيلة بنت قيس أخت الأشعث بن قيس ، فزعم بعضهم أنه تزوجها قبل وفاته بشهرين ، وزعم آخرون أنه تزوجها فى مرضه ، قال ولم تكن قدمت عليه ولا رآها ولم يدخل بها ، قال وزعم آخرون أنه عليه السلام أوصى أن تخير قتيلة فإن شاءت يضرب عليها الحجاب وتحرم على المؤمنين ، وإن شاءت فلتنكح من شاءت ، فاختارت النكاح فتزوجها عكرمة بن أبى جهل بحضرموت ، فبلغ ذلك أبا بكر فقال : لقد هممت أن أحرق عليهما ، فقال عمر بن الخطاب : ماهى من أمهات المؤمنين ، ولا دخل بها ولا ضرب عليها الحجاب . قال أبو عبيدة : وزعم بعضهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يوص فيها بشىء ، وأنها ارتدت بعده ، فاحتج عمر على أبى بكر بارتدادها أنها ليست من أمهات المؤمنين . وذكر ابن منده أن التى ارتدت هى البرصاء[3] من بنى عوف بن سعد بن ذبيان ، وقد روى الحافظ ابن عساكر من طرق عن داود بن أبى هند عن عكرمة عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج قتيلة أخت الأشعث بن قيس ، فمات قبل أن يخيرها فبرأها الله منه ، وروى حماد بن سلمة عن داود بن أبى هند عن الشعبى أن عكرمة بن أبى جهل : لما تزوج قتيلة أراد أبو بكر أن يضرب عنقه ، فراجعه عمر بن الخطاب فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يدخل بها ، وأنها ارتدت مع أخيها ، فبرئت من الله ورسوله . فلم يزل به حتى كف عنه . قال الحاكم

---

(١) رواية ابن هشام أسماء بنت النعمان بن الجون الكندية .

(٢) كذا فى الأصليق .   (٣) كذا ولم نقف على هذا الاسم .

وزاد أبو عبيدة فى العدد : فاطمة بنت شريح ، وسبأ[1] بنت أسماء بن الصلت السلمية . هكذا روى ذلك ابن عساكر من طريق ابن منده بسنده عن قتادة ، فذكره . وقال محمد بن سعد عن ابن الكلبى مثل ذلك . قال ابن سعد : وهى سبأ . قال ابن عساكر : ويقال سبأ بنت الصلت ابن حبيب بن حارثة بن هلال بن حرام بن سماك بن عوف السلمى . قال ابن سعد : وأخبرنا هشام ابن محمد بن السائب الكلبى حدثنى العرزمى عن نافع عن ابن عمر ، قال : كان فى نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم سبأ بنت سفيان بن عوف بن كعب بن أبى بكر بن كلاب . وقال ابن عمر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا أسيد يخطب عليه امرأة من بنى عامر يقال لها عمرة بنت يزيد بن عبيد بن كلاب ، فتزوجها فبلغه أن بها بياضاً فطلقها . وقال محمد بن سعد عن الواقدى حدثنى أبو معشر ، قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم مليكة بنت كعب وكانت تذكر بجمال بارع ، فدخلت عليها عائشة فقالت: ألا تستحين أن تنكحى قاتل أبيك ؟ فاستعاذت منه فطلقها ، فجاء قومها فقالوا : يا رسول الله إنها صغيرة ولا رأى لها ، وإنها خدعت فارتجعها ، فأبى ، فاستأذنوه أن يزوجوها بقريب لها من بنى عذرة فأذن لهم ، قال : وكان أبوها قد قتله خالد بن الوليد يوم الفتح . قال الواقدى : وحدثنى عبد العزيز الجندعى عن أبيه عن عطاء بن يزيد ، قال : دخل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان سنة ثمان ، وماتت عنده . قال الواقدى : وأصحابنا ينكرون ذلك : وقال الحافظ أبوالقاسم بن عساكر : أنبأنا أبوالفتح يوسف ابن عبد الواحد الماهانى أنبأنا شجاع بن على بن شجاع أنبأنا أبو عبد الله بن منده أنبأنا الحسن ابن محمد بن حكيم المروزى حدثنا أبوالموجه محمد بن عمرو بن الموجه الفزارى أنبأنا عبد الله بن عثمان أنبأنا عبد الله بن المبارك أنبأنا يونس بن يزيد عن ابن شهاب الزهرى ، قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد بن أسد بمكة ، وكانت قبله تحت عتيق بن عائذ المخزومى ، ثم تزوج بمكة عائشة بنت أبى بكر ، ثم تزوج بالمدينة حفصة بنت عمر ، وكانت قبله تحت خنيس بن حذافة السهمى ، ثم تزوج سودة بنت زمعة ، وكانت قبله تحت السكران بن عمرو أخى بنى عامر بن لؤى ، ثم تزوج أم حبيبة بنت أبى سفيان ، وكانت قبله تحت عبيد الله بن جحش الأسدى أحد بنى خزيمة ، ثم تزوج أم سلمة بنت أبى أمية ، وكان اسمها هند ، وكانت قبله تحت أبى سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن عبد العزى ، ثم تزوج زينب بنت خزيمة الهلالية ، وتزوج العالية بنت ظبيان من بنى بكر بن عمرو بن كلاب ، وتزوج امرأة من بنى الجون من كندة ، وسبا جويرية — فى الغزوة التى هدم فيها مناة غزوة المريسيع — ابنة الحارث بن أبى ضرار من بنى المصطلق من خزاعة ، وسبا صفية بنت حيى بن أخطب من بنى النضير ، وكانتا مما أفاء الله عليه فقسمهما له ، واستسر مارية القبطية فولدت له إبراهيم ، واستسر

(١) رواية السهيلى : وسنى بنت الصلت أو سنا بنت أسماء بنت الصلت .

ريحانة من بنى قريظة ، ثم أعتقها فلحقت بأهلها واحتجبت وهى عند أهلها ، وطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم العالية بنت ظبيان ، وفارق أخت بنى عمرو بن كلاب ، وفارق أخت بنى الجون الكندية من أجل بياض كان بها ، وتوفيت زينب بنت خزيمة الهلالية ورسول الله صلى الله عليه وسلم حى . وبلغنا أن العالية بنت ظبيان التى طلقت تزوجت قبل أن يحرم الله النساء ، فنكحت ابن عم لها من قومها وولدت فيهم . سقناه بالسند لغرابة ما فيه من ذكره تزويج سودة بالمدينة ، والصحيح أنه كان بمكة قبل الهجرة كما قدمناه ، والله أعلم .

قال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق ، قال : فماتت خديجة بنت خويلد قبل أن يهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين لم يتزوج عليها امرأة حتى ماتت هى وأبو طالب فى سنة ، فتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خديجة سودة بنت زمعة ، ثم تزوج بعد سودة عائشة بنت أبى بكر لم يتزوج بكراً غيرها ، ولم يصب منها ولداً حتى مات ، ثم تزوج بعد عائشة حفصة بنت عمر ، ثم تزوج بعد حفصة زينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين ، ثم تزوج بعدها أم حبيبة بنت أبى سفيان ، ثم تزوج بعدها أم سلمة هند بنت أبى أمية ، ثم تزوج بعدها زينب بنت جحش ، ثم تزوج بعدها جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار ، قال : ثم تزوج بعد جويرية صفية بنت حيى بن أخطب ، ثم تزوج بعدها ميمونة بنت الحارث الهلالية . فهذا الترتيب أحسن وأقرب مما رتبه الزهرى ، والله أعلم . وقال يونس بن بكير عن أبى يحيى عن جميل بن زيد الطائى عن سهل بن زيد الأنصارى ، قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة من بنى غفار ، فدخل بها فأمرها فنزعت ثوبها ، فرأى بها بياضا من برص عند ثدييها ، فانماز رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « خذى ثوبك » وأصبح فقال لها : « الحقى بأهلك » فأكمل لها صداقها .
[وقد رواه أبو نعيم من حديث جميل بن زيد عن سهل بن زيد الأنصارى ، وكان ممن رأى النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة من غفار فذكر مثله .

قلت : وممن تزوجها صلى الله عليه وسلم ولم يدخل بها أم شريك الأزدية . قال الواقدى : والمثبت أنها دوسية ، وقيل : الأنصارية ، ويقال : عامرية وأنها خولة بنت حكيم السلمى وقال الواقدى : اسمها غزية بنت جابر بن حكيم . قال محمد بن إسحاق عن حكيم بن حكيم عن محمد بن على بن الحسين عن أبيه ، قال : كان جميع ما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة امرأة ، منهن أم شريك الأنصارية وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم . وقال سعيد بن أبى عروبة عن قتادة : وتزوج أم شريك الأنصارية من بنى النجار ، وقال : « إنى أحب أن أتزوج من الأنصار لكنى أكره غيرتهن » ولم يدخل بها وقال ابن إسحاق عن حكيم عن محمد بن على عن أبيه ، قال : تزوج صلى الله عليه وسلم ليلى بنت الخطيم الأنصارية ، وكانت غيوراً ، فخافت نفسها عليه فاستقالته فأقالها] .

﴿ فصل ﴾

﴿ فيمن خطبها عليه الصلاة والسلام ولم يعقد عليها ﴾

قال إسماعيل بن أبى خالد عن الشعبى عن أم هانىء فاختة بنت أبى طالب : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبها ، فذكرت أن لها صبية صغاراً فتركها ، وقال : « خير نساء ركبن الإبل ، صالح نساء قريش ، أحناه على ولد طفل فى صغره ، وأرعاه على زوج فى ذات يده » . [وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب أم هانىء بنت أبى طالب ، فقالت : يا رسول الله إنى قد كبرت ولى عيال . وقال الترمذى : حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبد الله بن موسى حدثنا إسرائيل عن السدى عن أبى صالح عن أم هانىء بنت أبى طالب قالت : خطبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت إليه فعذرنى ، ثم أنزل الله : (إنا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك) الآية ، قالت : فلم أكن أحل له لأنى لم أهاجر كنت من الطلقاء . ثم قال : هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث السدى ، فهذا يقتضى أن من لم تكن من المهاجرات لا تحل له صلى الله عليه وسلم . وقد نقل هذا المذهب مطلقا القاضى الماوردى فى تفسيره عن بعض العلماء . وقيل : المراد بقوله (اللاتى هاجرن معك) أى من القرابات المذكورات . وقال قتادة : (اللاتى هاجرن معك) أى أسلمن معك ، فعلى هذا لا يحرم عليه إلا الكفار ، وتحل له جميع المسلمات ، فلا ينافى تزويجه من نساء الأنصار إن ثبت ذلك ، ولكن لم يدخل بواحدة منهن أصلا . وأما حكاية الماوردى عن الشعبى : أن زينب بنت خزيمة أم المساكين أنصارية فليس بجيد ، فإنها هلالية بلا خلاف كما تقدم بيانه ، والله أعلم] . وروى محمد بن سعد عن هشام بن الكلبى عن أبيه عن أبى صالح عن ابن عباس ، قال : أقبلت ليلى بنت الخطيم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مول ظهره إلى الشمس ، فضربت منكبه فقال : « من هذا أكله الأسود ! » فقالت : أنا بنت مطعم الطير ، ومبارى الريح ، أنا ليلى بنت الخطيم جئتك لأعرض عليك نفسى ، تزوجنى ؟ قال : « قد فعلت » فرجعت إلى قومها فقالت : قد تزوجت النبى صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : بئس ما صنعت أنت امرأة غيرى ورسول الله صاحب نساء تغارين عليه ، فيدعو الله عليك فاستقيليه ، فرجعت فقالت : أقلنى يا رسول الله ، فأقالها ، فتزوجها مسعود بن أرس بن سواد بن ظفر فولدت له ، فبينما هى يوماً تغتسل فى بعض حيطان المدينة إذ وثب عليها ذئب أسود فأكل بعضها ، فماتت . وبه عن ابن عباس : أن ضباعة بنت عامر بن قرط كانت تحت عبد الله بن جدعان ، فطلقها ، فتزوجها بعده هشام بن المغيرة

فولدت له سلمة ، وكانت امرأة ضخمة جميلة لها شعر غزير يجلل جسمها ، فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابنها سلمة ، فقال : حتى استأمرها ؟ فاستأذنها ، فقالت : يا بنى أفى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذن ؟ فرجع ابنها فسكت ولم يرد جوابا ، وكأنه رأى أنها قد طعنت فى السن ، وسكت النبى صلى الله عليه وسلم عنها . وبه عن ابن عباس قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت بشامة بن نضلة العنبرى ، وكان أصابها سبى فخيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إن شئت أنا وإن شئت زوجك » فقالت : بل زوجى ، فأرسلها فلعنتها بنو تميم . وقال محمد بن سعد : أنبأنا الواقدى حدثنا موسى بن محمد بن إبراهيم التيمى عن أبيه ، قال : كانت أم شريك امرأة من بنى عامر بن لؤى قد وهبت نفسها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يقبلها فلم تتزوج حتى ماتت قال محمد بن سعد : وأنبأنا وكيع عن شريك عن جابر عن الحكم عن علىّ بن الحسين : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج أم شريك الدوسية . قال الواقدى : الثبت عندنا أنها من دوس من الأزد. قال محمد بن سعد : واسمها غزية بنت جابر بن حكيم . وقال الليث بن سعد عن هشام بن محمد عن أبيه ، قال متحدث : أن أم شريك كانت وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم ، وكانت امرأة صالحة [وممن خطبها ولم يعقد عليها حمرة بنت الحارث بن عون بن أبى حارثة المرى ، فقال أبوها : إن بها سوءاً — ولم يكن بها — فرجع إليها وقد تبرصت ، وهى أم شبيب بن البرصاء الشاعر . هكذا ذكره سعيد بن أبى عروبة عن قتادة ، قال : وخطب حبيبة بنت العباس بن عبد المطلب ، فوجد أباها أخاه من الرضاعة أرضعتهما ثويبة مولاة أبى لهب] ، فهؤلاء نساؤه وهن ثلاثة أصناف : صنف دخل بهن ومات عنهن وهن التسع المبتدأ بذكرهن ، وهن حرام على الناس بعد موته عليه الصلاة والسلام بالإجماع المحقق المعلوم من الدين ضرورة ، وعدتهن بانقضاء أعمارهن ، قال الله تعالى : (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيما) وصنف دخل بهن وطلقهن فى حياته ، فهل يحل لأحد أن يتزوجهن بعد انقضاء عدتهن منه عليه الصلاة والسلام ؟ فيه قولان للعلماء ؛ أحدهما لا لعموم الآية التى ذكرناها . والثانى نعم ، بدليل آية التخيير ، وهى قوله : (يأيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلا ، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيما) قالوا : فلولا أنها تحل لغيره أن يتزوجها بعد فراقه إياها لم يكن فى تخييرها بين الدنيا والآخرة فائدة إذ لو كان فراقه لها لا يبيحها لغيره لم يكن فيه فائدة لها ، وهذا قوى والله تعالى أعلم . وأما الصنف الثالث وهى من تزوجها وطلقها قبل أن يدخل بها ؛ فهذه تحل لغيره أن يتزوجها ، ولا أعلم فى هذا القسم نزاعاً . وأما من خطبها ولم يعقد عقده عليها فأولى لها أن تتزوج ، وأولى . وسيجىء فصل فى كتاب الخصائص يتعلق بهذا المقام ، والله أعلم .

فصـــل

{ في ذكر سراريه عليه الصلاة والسلام }

كانت له عليه الصلاة والسلام سريتان ؛ إحداهما مارية بنت شمعون القبطية أهداها له صاحب اسكندرية ، واسمه جريج بن مينا ، وأهدى معها أختها شيرين [وذكر أبو نعيم أنه أهداها في أربع جوار ، والله أعلم] وغلاماً خصياً اسمه مابور ، وبغلة يقال لها الدُّلدل ، فقبل هديته ، واختار لنفسه مارية ، وكانت من قرية ببلاد مصر يقال لها حفن من كورة أنصِنا ، وقد وضع عن أهل هذه البلدة معاوية بن أبي سفيان في أيام إمارته الخراج إكراماً لها من أجل أنها حملت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بولد ذكر وهو إبراهيم عليه السلام ، قالوا : وكانت مارية جميلة بيضاء أعجب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحبها وحظيت عنده ، ولا سيما بعد ما وضعت إبراهيم ولده وأما أختها شيرين فوهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت ، فولدت له ابنه عبد الرحمن بن حسان وأما الغلام الخصي وهو مابور ، فقد كان يدخل على مارية وشيرين بلا إذن كما جرت به عادته بمصر ، فتكلم بعض الناس فيها بسبب ذلك ولم يشعروا أنه خصي حتى انكشف الحال على ما سنبينه قريباً إن شاء الله . وأما البغلة فكان عليه الصلاة والسلام يركبها ، والظاهر والله أعلم أنها التي كان راكبها يوم حنين . وقد تأخرت هذه البغلة وطالت مدتها حتى كانت عند علي بن أبي طالب في أيام إمارته ، ومات فصارت إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وكبرت حتى كان يجش لها الشعير لتأكله . قال أبو بكر بن خزيمة : حدثنا محمد بن زياد بن عبيد الله أنبأنا سفيان بن عيينة عن بشير بن المهاجر عن عبد الله بن بريدة بن الحصيب عن أبيه ، قال : أهدى أمير القبط إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جاريتين أختين وبغلة ، فكان يركب البغلة بالمدينة ، واتخذ إحدى الجاريتين فولدت له إبراهيم ابنه ، ووهب الأخرى. وقال الواقدي : حدثنا يعقوب بن محمد بن أبي صعصعة عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجب بمارية القبطية ، وكانت بيضاء جعدة جميلة ، فأنزلها وأختها على أم سليم بنت ملحان ، فدخل عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم [فعرض عليهما الإسلام] فأسلمتا هناك ، فوطىء مارية بالملك ، وحولها إلى مال له بالعالية كان من أموال بني النضير ، فكانت فيه في الصيف ، وفي خرافة النخل ، فكان يأتيها هناك ، وكانت حسنة الدين ، ووهب أختها شيرين لحسان بن ثابت ، فولدت له عبد الرحمن ، وولدت مارية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاماً سماه إبراهيم ، وعق عنه بشاة يوم سابعه ، وحلق رأسه وتصدق بزنة شعره فضة على المساكين ، وأمر بشعره فدفن في الأرض ، وسماه إبراهيم ، وكانت قابلتها سلمى مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجت إلى زوجها أبي رافع فأخبرته بأنها قد ولدت غلاماً ، فجاء أبو رافع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبشره فوهب له عقداً ، وغار نساء

رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد عليهن حين رزق منها الولد . وروى الحافظ أبو الحسن الدارقطني عن أبي عبيد القاسم بن إسماعيل عن زياد بن أيوب عن سعيد بن زكريا المدائني عن ابن أبي سارة عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما ولدت مارية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أعتقها ولدها » . ثم قال الدارقطني : تفرد به زياد بن أيوب وهو ثقة وقد رواه ابن ماجه من حديث حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة عن ابن عباس بمثله . ورويناه من وجه آخر . وقد أفردنا لهذه المسألة ، وهي بيع أمهات الأولاد مصنفاً مفرداً على حدته ، وحكينا فيه أقوال العلماء بما حاصله يرجع إلى ثمانية أقوال ، وذكرنا مستند كل قول ، ولله الحمد والمنة . وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق عن إبراهيم بن محمد بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب ، قال : أكثروا على مارية أم إبراهيم في قبطي ابن عم لها يزورها ويختلف إليها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خذ هذا السيف فانطلق فإن وجدته عندها فاقتله » ، قال : قلت : يا رسول الله أكون في أمرك إذا أرسلتني كالسكة المحماة لا يثنيني شيء حتى أمضي لما أمرتني به ، أم الشاهد يرى مالا يرى الغائب ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بل الشاهد يرى مالا يرى الغائب » ، فأقبلت متوشحا السيف فوجدته عندها ، فاخترطت السيف ، فلما رآني عرف أني أريده ، فأتى نخلة فرقى فيها ثم رمى بنفسه على قفاه ، ثم شال رجليه فإذا به أجب أمسح ما له مما للرجال لا قليل ولا كثير ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فقال : « الحمد لله الذي صرف عنا أهل البيت » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا سفيان حدثني محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن علي قال : قلت : يارسول الله إذا بعثتني أكون كالسكة المحماة ، أم الشاهد يرى مالا يرى الغائب ؟ قال : « الشاهد يرى مالا يرى الغائب » هكذا رواه مختصراً ، وهو أصل الحديث الذي أوردناه ، وإسناده رجال ثقات . [وقال الطبراني : حدثنا محمد بن عمرو بن خالد الحراني حدثنا أبي حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب وعقيل عن الزهري عن أنس قال : لما ولدت مارية إبراهيم كاد أن يقع في النبي صلى الله عليه وسلم منه شيء حتى نزل جبريل عليه السلام فقال : السلام عليك يا أبا إبراهيم . وقال أبو نعيم : حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا أبو بكر بن أبي عاصم حدثنا محمد بن يحيى الباهلي حدثنا يعقوب بن محمد عن رجل سماه عن الليث ابن سعد عن الزهري عن عروة عن عائشة ، قالت : أهدى ملك من بطارقة الروم يقال له المقوقس جارية قبطية من بنات الملوك يقال لها مارية ، وأهدى معها ابن عم لها شابا ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ذات يوم يدخل خلوته فأصابها حملت بإبراهيم ، قالت عائشة : فلما استبان حملها جزعت من ذلك ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن لها لبن ، فاشترى لها ضأنة لبونا تغذى منها الصبي ، فصلح إليه جسمه وحسن لونه ، وصفا لونه ، فجاءته ذات يوم تحمله على عاتقها ، فقال : « يا عائشة كيف ترين الشبه ؟ » فقلت :

أزا وغيرى : ما أرى شبهاً ، فقال : « ولا اللحم ؟ » فقلت : لعمرى من تغذى بألبان الضأن ليحسن لحمه] . قال الواقدى : ماتت مارية فى المحرم سنة خمس عشرة ، فصلى عليها عمر ودفنها فى البقيع ، وكذا قال المفضل بن غسان الغلابى . وقال خليفة وأبو عبيدة ويعقوب بن سفيان : ماتت سنة ست عشرة رحمها الله .

ومنهن ريحانة بنت زيد من بنى النضير ، ويقال من بنى قريظة . قال الواقدى : كانت ريحانة بنت زيد من بنى النضير ، ويقال من بنى قريظة . قال الواقدى : كانت ريحانة بنت زيد من بنى النضير ، وكانت مزوجة فيهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذها لنفسه صفياً ، وكانت جميلة فعرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسلم فأبت إلا اليهودية ، فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجد فى نفسه ، فأرسل إلى ابن سعية فذكر له ذلك ، فقال ابن سعية : فداك أبى وأمى هى تسلم ، فخرج حتى جاءها فجعل يقول لها : لا تتبعى قومك فقد رأيت ما أدخل عليهم حيى بن أخطب فأسلمى يصطفيك رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه ، فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه إذ سمع وقع نعلين ، فقال : « إن هاتين لنعلا ابن سعية يبشرنى بإسلام ريحانة » فجاء يقول : يا رسول الله قد أسلمت ريحانة ، فسر بذلك . [وقال محمد بن إسحاق : لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم قريظة اصطفى لنفسه ريحانة بنت عمرو بن خنافة ، فكانت عنده حتى توفى عنها وهى فى ملكه ، وكان عرض عليها الإسلام ويتزوجها فأبت إلا اليهودية ، ثم ذكر من إسلامها ما تقدم] . قال الواقدى : فحدثنى عبد الملك ابن سليمان عن أيوب بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة عن أيوب بن بشير المعاوى قال : فأرسل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت سلمى بنت قيس أم المنذر ، فكانت عندها حتى حاضت حيضة ثم طهرت من حيضها ، فجاءت أم المنذر فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءها فى منزل أم المنذر فقال لها : « إن أحببت أن أعتقك وأتزوجك فعلت ، وإن أحببت أن تكونى فى ملكى أطأك بالملك فعلت » فقالت : يا رسول الله إن أخف عليك وعلىّ أن أكون فى ملكك فكانت فى ملك رسول الله صلى الله عليه وسلم يطأها حتى ماتت . قال الواقدى : وحدثنى ابن أبى ذئب قال : سألت الزهرى عن ريحانة ، فقال : كانت أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقها وتزوجها ، فكانت تحتجب فى أهلها وتقول : لا يرانى أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال الواقدى : وهذا أثبت الحديثين عندنا ، وكان زوجها قبله عليه الصلاة والسلام الحكم . وقال الواقدى : حدثنا عاصم بن عبد الله بن الحكم عن عمر بن الحكم ، قال : أعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خنافة ، وكانت عند زوج لها ، وكان محباً لها مكرماً ، فقالت : لا أستخلف بعده أحداً أبداً ، وكانت ذات جمال ، فلما سبيت بنو قريظة عرض السبى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : فكنت فيمن عرض عليه

فأمر بى فعزلت ، وكان يكون له صفيٌّ فى كل غنيمة ، فلما عزلت خار الله لى فأرسل بى إلى منزل أم المنذر بنت قيس أياماً حتى قتل الأسرى وفرق السَّبى ، فدخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فتجنبت منه حياء ، فدعانى فأجلسنى بين يديه فقال : [« إن اخترت الله ورسوله اختارك رسول الله لنفسه » فقلت :] إنى أختار الله ورسوله ، فلما أسلمت أعتقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجنى وأصدقنى اثنتى عشرة أوقية ونشًّا كما كان يصدق نساءه ، وأعرس بى فى بيت أم المنذر ، وكان يقسم [لى كما يقسم] لنسائه ، وضرب علىّ الحجاب . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم معجباً بها ، وكانت لا تسأله شيئاً إلا أعطاها ، فقيل لها : لو كنت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة لأعتقهم ، فكانت تقول : لم يخل بى حتى فرق السبى ، ولقد كان يخلو بها ويستكثر منها ، فلم تزل عنده حتى ماتت ، مرجعه من حجة الوداع ، ودفنها بالبقيع ، وكان تزويجه إياها فى المحرم سنة ست من الهجرة . وقال ابن وهب عن يونس بن يزيد عن الزهرى ، قال : واستسر رسول الله صلى الله عليه وسلم ريحانة من بنى قريظة ثم أعتقها فلحقت بأهلها . وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : كانت ريحانة بنت زيد بن شمعون من بنى النضير وقال بعضهم : من بنى قريظة ، وكانت تكون فى نخل من نخل الصدقة ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيل عندها أحياناً ، وكان سباها فى شوال سنة أربع وقال أبو بكر بن أبى خيثمة : حدثنا أحمد بن المقدام حدثنا زهير عن سعيد عن قتادة قال : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليدتان : مارية القبطية ، وريحة أو ريحانة بنت شمعون بن زيد بن خنافة من بنى عمرو بن قريظة ، كانت عند ابن عم لها يقال له عبد الحكم فيما بلغنى ، وماتت قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم . وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربع ولائد : مارية القبطية ، وريحانة القرظية ، وكانت له جارية أخرى جميلة فكادها نساؤه وخفن أن تغلبهن عليه ، وكانت له جارية نفيسة وهبتها له زينب ، وكان هجرها فى شأن صفية بنت حُيى ذا الحجة والمحرم وصفر ، فلما كان شهر ربيع الأول الذى قبض فيه رضى عن زينب ودخل عليها ، فقالت : ما أدرى ما أجزيك ؟ فوهبتها له صلى الله عليه وسلم . وقد روى سيف بن عمر عن سعيد بن عبد الله عن ابن أبى مليكة عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقسم لمارية وريحانة مرة ، ويتركهما مرة . [وقال أبو نعيم : قال أبو محمد بن عمر الواقدى : توفيت ريحانة سنة عشرة ، وصلى عليها عمر بن الخطاب ودفنها بالبقيع ، ولله الحمد] .

فصل

﴿ فى ذكر أولاده عليه الصلاة والسلام ﴾

لا خلاف أن جميع أولاده من خديجة بنت خويلد سوى إبراهيم فمن مارية بنت شمعون القبطية ،

قال محمد بن سعد : أنبأنا هشام بن الـكلبى أخبرنى أبى عن أبى صالح عن ابن عباس ، قال : كان أكبر ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم القاسم ، ثم زينب ، ثم عبد الله ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة ، ثم رقية ؛ فمات القاسم ـ وهو أول ميت من ولده بمكة ـ ثم مات عبد الله ، فقال العاص بن وائل السهمى : قد انقطع نسله فهو أبتر ، فأنزل الله عز وجل (إنا أعطيناك الـكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر) . قال : ثم ولدت له مارية بالمدينة إبراهيم فى ذى الحجة سنة ثمان من الهجرة ، فمات ابن ثمانية عشر شهراً . وقال أبو الفرج المعافى بن زكريا الجريرى حدثنا عبد الباقى بن نافع حدثنا محمد بن زكريا حدثنا العباس بن بكار حدثنى محمد بن زياد والفرات ابن السائب عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال : ولدت خديجة من النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله بن محمد ، ثم أبطأ عليه الولد من بعده ، فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلم رجلا والعاص بن وائل ينظر إليه إذ قال له رجل : من هذا ؟ قال له : هذا الأبتر . وكانت قريش إذا ولد للرجل ثم أبطأ عليه الولد من بعده قالوا هذا الأبتر ، فأنزل الله تعالى (إن شانئك هو الأبتر) أى مبغضك هو الأبتر من كل خير . قال : ثم ولدت له زينب ، ثم ولدت له رقية ، ثم ولدت له القاسم ، ثم ولدت الطاهر ، ثم ولدت المطهر ، ثم ولدت الطيب ، ثم ولدت المطيب ، ثم ولدت أم كلثوم ، ثم ولدت فاطمة ، وكانت أصغرهم . وكانت خديجة إذا ولدت ولداً دفعته إلى من يرضعه . فلما ولدت فاطمة لم يرضعها غيرها . وقال الهيثم بن عدى : حدثنا هشام بن عروة عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال : كان للنبى صلى الله عليه وسلم ابنان : طاهر ، والطيب . وكان يسمى أحدهما عبد شمس ، والآخر عبد العزى ، وهذا فيه نكارة والله أعلم . وقال محمد بن عائذ : أخبرنى الوليد بن مسلم عن سعيد بن عبد العزيز أن خديجة ولدت القاسم والطيب والطاهر ومطهر وزينب ورقية وفاطمة وأم كلثوم وقال الزبير بن بكار : أخبرنى عمى مصعب بن عبد الله قال : ولدت خديجة القاسم والطاهر وكان يقال له الطيب ، وولد الطاهر بعد النبوة ، ومات صغيراً واسمه عبد الله وفاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم . قال الزبير : وحدثنى إبراهيم بن المنذر عن ابن وهب عن ابن لهيعة عن أبى الأسود أن خديجة ولدت القاسم والطاهر والطيب وعبد الله وزينب ورقية وفاطمة وأم كلثوم . وحدثنى محمد بن فضالة عن بعض من أدرك من المشيخة قال : ولدت خديجة القاسم وعبد الله ، فأما القاسم فعاش حتى مشى ، وأما عبد الله فمات وهو صغير . وقال الزبير ابن بكار : كانت خديجة تُدْعى فى الجاهلية الطاهرة بنت خويلد ، وقد ولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم القاسم وهو أكبر ولده . وبه كان يكنى ، ثم زينب ، ثم عبد الله وكان يقال له الطيب ويقال له الطاهر ، ولد بعد النبوة ومات صغيراً . ثم ابنته أم كلثوم ، ثم فاطمة ، ثم رقية . هكذا الأول فالأول ، ثم مات القاسم بمكة ـ وهو أول ميت من ولده ـ ثم مات عبد الله ، ثم ولدت له مارية بنت شمعون إبراهيم وهى القبطية التى أهداها المقوقس صاحب اسكندرية ، وأهدى

معها أختها شيرين وخصياً يقال له مابور ، فوهب شيرين لحسان بن ثابت ، فولدت له ابنه عبد الرحمن ، وقد انقرض نسل حسان بن ثابت . وقال أبو بكر بن الرق : يقال إن الطاهر هو الطيب وهو عبد الله ، ويقال : إن الطيب والمطيب ولدا فى بطن ، والطاهر والمطهر ولدا فى بطن . وقال المفضل بن غسان عن أحمد بن حنبل حدثنا عبد الرزاق ثنا ابن جريج عن مجاهد قال مكث القاسم ابن النبى صلى الله عليه وسلم سبع ليال ثم مات ، قال المفضل : وهذا خطأ ، والصواب أنه عاش سبعة عشر شهراً . وقال الحافظ أبو نعيم : قال مجاهد مات القاسم وله سبعة أيام ، وقال الزهرى : وهو ابن سنتين ، وقال قتادة : عاش حتى مشى ، وقال هشام بن عروة : وضع أهل العراق ذكر الطيب والطاهر ، فأما مشايخنا فقالوا : عبد العزى وعبدمناف والقاسم ، ومن النساء رقية وأم كلثوم وفاطمة ، هكذا رواه ابن عساكر وهو منكر ، والذى أنكره هو المعروف ، وسقط ذكر زينب ولا بد منها والله أعلم . فأما زينب فقال عبد الرزاق عن ابن جريج قال لى غير واحد كانت زينب أكبر بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت فاطمة أصغرهن وأحبهن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتزوج زينب أبو العاص بن الربيع فولدت منه علياً وأمامة ، وهى التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحملها فى الصلاة ، فإذا سجد وضعها ، وإذا قام حملها ، ولعل ذلك كان بعد وفاة أمها سنة ثمان من الهجرة على ما ذكره الواقدى وقتادة وعبد الله بن أبى بكر بن حزم وغيرهم ، وكأنها كانت طفلة صغيرة فالله أعلم وقد تزوجها على بن أبى طالب رضى الله عنه بعد موت فاطمة على ما سيأتى إن شاء الله ؛ وكانت وفاة زينب رضى الله عنها فى سنة ثمان ، قاله قتادة عن عبد الله بن أبى بكر بن حزم وخليفة بن خياط وأبو بكر ابن أبى خيثمة وغير واحد . وقال قتادة عن ابن حزم فى أول سنة ثمان ، وذكر حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه أنها لما هاجرت دفعها رجل فوقعت على صخرة فأسقطت حملها ، ثم لم تزل وجعة حتى ماتت ، فكانوا يرونها ماتت شهيدة ، وأما رقية فكان تزوجها أولا ابن عمها عتبة بن أبى لهب كما تزوج أختها أم كلثوم أخوه عتيبة بن أبى لهب ، ثم طلقاهما قبل الدخول بهما بغضة فى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله (تبت يدا أبى لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى ناراً ذات لهب ، وامرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد) فتزوج عثمان بن عفان رضى الله عنه رقية ، وهاجرت معه إلى أرض الحبشة ، ويقال إنه أول من هاجر إليها ، ثم رجعا إلى مكة كما قدمنا ، وهاجرا إلى المدينة وولدت له ابنه عبد الله فبلغ ست سنين ، فنقره ديك فى عينيه فمات ، وبه كان يكنى أولا ، ثم اكتنى بابنه عمر ، وتوفيت وقد انتصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ، ولما أن جاء البشير بالنصر إلى المدينة ــ وهو زيد بن حارثة ــ وجدهم قد ساووا على قبرها التراب ، وكان عثمان قد أقام عليها يمرضها بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وضرب له بسهمه وأجره ، ولما رجع زوجه

بأختها أم كلثوم أيضاً ، ولهذا كان يقال له ذو النورين ، ثم ماتت عنده فى شعبان سنة تسع ولم تلد له شيئاً ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو كان عندى ثالثة لزوجتها عثمان » ، وفى رواية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو كن عشراً لزوجتهن عثمان » ، وأما فاطمة فتزوجها ابن عمها على بن أبى طالب فى صفر سنة اثنتين ، فولدت له الحسن والحسين ، ويقال : ومحسن ، وولدت له أم كلثوم وزينب ، وقد تزوج عمر بن الخطاب فى أيام ولايته بأم كلثوم بنت على بن أبى طالب من فاطمة وأكرمها إكراماً زائداً ، أصدقها أربعين ألف درهم لأجل نسبها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فولدت له زيد بن عمر بن الخطاب ، ولما قتل عمر بن الخطاب تزوجها بعده ابن عمها عون بن جعفر فمات عنها ، فخلف عليها أخوه محمد فمات عنها ، فتزوجها أخوهما عبد الله بن جعفر فماتت عنده ، وقد كان عبد الله بن جعفر تزوج بأختها زينب بنت على وماتت عنده أيضاً ، وقد توفيت فاطمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بستة أشهر على أشهر الأقوال ، هذا الثابت عن عائشة فى الصحيح ، وقاله الزهرى أيضاً وأبو جعفر الباقر وعن الزهرى بثلاثة أشهر ، وقال أبو الزبير بشهرين ، وقال أبو بريدة : عاشت من بعده سبعين من بين يوم وليلة ، وقال عمرو بن دينار : مكثت بعده ثمانية أشهر ، وكذا قال عبد الله بن الحارث ، وفى رواية عن عمرو بن دينار بأربعة أشهر . وأما إبراهيم فمن مارية القبطية كما قدمنا ، وكان ميلاده فى ذى الحجة سنة ثمان ، وقد روى عن ابن لهيعة وغيره عن عبد الرحمن بن زياد قال : لما حبل بإبراهيم أتى جبريل فقال : السلام عليك يا أبا إبراهيم ، إن الله قد وهب لك غلاماً من أم ولدك مارية ، وأمرك أن تسميه إبراهيم ، فبارك الله لك فيه وجعله قرة عين لك فى الدنيا والآخرة ، وروى الحافظ أبو بكر البزار عن محمد بن مسكين عن عثمان بن صالح عن ابن لهيعة عن عقيل ويزيد بن أبى حبيب عن الزهرى عن أنس قال : لما ولد للنبى صلى الله عليه وسلم ابنه إبراهيم وقع فى نفسه منه شىء ، فأتاه جبريل فقال : السلام عليك يا أبا إبراهيم . وقال أسباط عن السدى وهو إسماعيل بن عبد الرحمن قال : سألت أنس بن مالك قلت : كم بلغ إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم من العمر ؟ قال : قد ملأ مهده ، ولو بقى لكان نبياً ولكن لم يكن ليبق لأن نبيكم صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء . وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ثنا سفيان عن السدى عن أنس بن مالك قال : لو عاش إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم لكان صديقاً نبيا . وقال أبو عبيد الله بن منده : ثنا محمد بن سعد ومحمد بن إبراهيم ثنا محمد بن عثمان العبسى ثنا منجاب ثنا أبو عامر الأسدى ثنا سفيان عن السدى عن أنس قال : توفى إبراهيم بن النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ستة عشر شهراً ، فقال رسول الله : « ادفنوه فى البقيع فإن له مرضعاً يتم رضاعه فى الجنة » ، وقال أبو يعلى ثنا أبو خيثمة ثنا اسمعيل بن إبراهيم عن أيوب عن عمرو بن سعيد عن أنس قال : ما رأيت أحداً أرحم بالعيال من رسول الله ، كان إبراهيم

مسترضعا فى عوالى المدينة ، وكان ينطلق ونحن معه فيدخل إلى البيت وإنه ليدخن ، وكان ظائره فينا فيأخذه فيقبله ثم يرجع . قال عمرو : فلما توفى إبراهيم قال رسول الله : « إن ابراهيم ابنى ، وإنه مات فى الثدى ، وإن له لظائرين تكملان رضاعه فى الجنة » ، وقد روى جرير وأبو عوانة عن الأعمش عن مسلم بن صبيح أبى الضحى عن البراء قال : توفى إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ستة عشر شهراً ، فقال : « ادفنوه فى البقيع فإن له مرضعاً فى الجنة » ورواه أحمد من حديث جابر عن عامر عن البراء ، وهكذا رواه سفيان الثورى عن الشعبى عن البراء ابن عازب بمثله . وكذا رواه الثورى أيضاً عن أبى اسحق عن البراء ، وأورد له ابن عساكر من طريق عتاب بن محمد بن شوذب عن عبد الله بن أبى أوفى قال : توفى إبراهيم فقال رسول الله « يكمل بقية رضاعه فى الجنة » ، وقال أبو يعلى الموصلى ثنا زكريا بن يحيى الواسطى ثنا هشيم عن إسمعيل قال : سألت ابن أبى أوفى — أو سمعته يسأل — عن إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم فقال : مات وهو صغير ، ولو قضى أن يكون بعد النبى صلى الله عليه وسلم نبى لعاش ، وروى ابن عساكر من حديث أحمد بن محمد بن سعيد الحافظ ثنا عبيد بن إبراهيم الجعفى ثنا الحسن بن أبى عبد الله الفراء ثنا مصعب بن سلام عن أبى حمزة الثمالى عن أبى جعفر محمد بن على عن جابر ابن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو عاش إبراهيم لكان نبياً » ، وروى ابن عساكر من حديث محمد بن اسمعيل بن سمرة عن محمد بن الحسن الأسدى عن أبى شيبة عن أنس قال : لما مات إبراهيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تدرجوه فى أكفانه حتى أنظر إليه » فجاء فانكب عليه وبكى حتى اضطرب لحياه وجنباه صلى الله عليه وسلم .

قلت : أبو شيبة هذا لا يتعامل بروايته ، ثم روى من حديث مسلم بن خالد الزنجى عن ابن خثيم عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت : لما توفى إبراهيم بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر وعمر : أنت أحق من علم لله حقه ، فقال : « تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول ما يسخط الرب ، لولا أنه وعد صادق ، وموعود جامع ، وأن الآخر منا يتبع الأول ، لوجدنا عليك يا إبراهيم وجداً أشد مما وجدنا ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون » وقال الإمام أحمد ثنا أسود بن عامر ثنا إسرائيل عن جابر عن الشعبى عن البراء ، قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه إبراهيم ، ومات وهو ابن ستة عشر شهراً وقال : « إن له فى الجنة من يتم رضاعه وهو صديق » وقد روى من حديث الحكم بن عيينة عن الشعبى عن البراء ، وقال أبو يعلى ثنا القواريرى ثنا اسمعيل بن أبى خالد عن ابن أبى أوفى قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه ، وصليت خلفه وكبر عليه أربعا . وقد روى يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق حدثنى محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة قال : مات إبراهيم ابن رسول الله وهو ابن ثمانية عشر شهراً ، فلم يصل عليه . وروى ابن عساكر من حديث إسحاق بن محمد

الفروى عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب عن أبيه عن أبى جده عن على قال : لما توفى إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث على بن أبى طالب إلى أمه مارية القبطية وهى فى مشربة ، فحمله علىّ فى سفط وجعله بين يديه على الفرس ، ثم جاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسله وكفنه وخرج به وخرج الناس معه ، فدفنه فى الزقاق الذى يلى دار محمد بن زيد ، فدخل علىّ فى قبره حتى سوّى عليه ودفنه ، ثم خرج ورش على قبره ، وأدخل رسول الله يده فى قبره فقال: « أما والله إنه لنبى ابن نبى » وبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكى المسلمون حوله حتى ارتفع الصوت ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تدمع العين ويحزن القلب ، ولا نقول ما يغضب الرب ، وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون » . وقال الواقدى : مات إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء لعشر ليال خلون من ربيع الأول سنة عشر ، وهو ابن ثمانية عشر شهراً فى بنى مازن بن النجار فى دار أم برزة بنت المنذر ، ودفن بالبقيع .

قلت : وقد قدمنا أن الشمس كسفت يوم موته ، فقال الناس كسفت لموت إبراهيم ، فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فى خطبته : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله عز وجل لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته » قاله الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر .

﴿ باب ﴾

﴿ ذكر عبيده وإمائه عليه الصلاة والسلام وذكر خدمه وكتابه وأمنائه ﴾
﴿ مع مراعاة الحروف فى أسمائهم وذكر بعض ما ذكر من أنبائهم ﴾
﴿ ولنذكر ما أورده مع الزيادة والنقصان وبالله المستعان ﴾

فنهم أسامة بن زيد بن حارثة أبو زيد الكلبى ، ويقال أبو يزيد ، ويقال أبو محمد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن مولاه ، وحِبّه وابن حِبّه ، وأمه أم أيمن واسمها بركة كانت حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صغره ، وممن آمن به قديما بعد بعثته ، وقد أمّره رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر أيام حياته ، وكان عمره إذ ذاك ثمانى عشرة أو تسع عشرة ، وتوفى وهو أمير على جيش كثيف منهم عمر بن الخطاب ، ويقال وأبو بكر الصديق وهو ضعيف لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نصّبه للإمامة ، فلما توفى عليه السلام وجيش أسامة مخيم بالجرف كما قدمناه ، استطلق أبو بكر من أسامة عمر بن الخطاب فى الإقامة عنده ليستضىء برأيه فأطلقه له ، وأنفذ أبو بكر جيش أسامة بعد مراجعة كثيرة من الصحابة له فى ذلك ، وكل ذلك يأبى عليهم ويقول : والله لا أحل راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فساروا حتى بلغوا تخوم البلقاء من أرض الشام حيث قتل أبوه زيد وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة

رضى الله عنهم ، فأغار على تلك البلاد وغنم وسبى وكر راجعاً سالماً مؤيداً كما سيأتى ، فلهذا كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يلقى أسامة إلا قال له : السلام عليك أيها الأمير .

ولما عقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم راية الإمرة طعن بعض الناس فى إمارته ، فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فيها : « إن تطعنوا فى إمارته فقد طعنتم فى إمارة أبيه من قبل ، وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة ، وإن كان لمن أحب الخلق إلىّ بعده » وهو فى الصحيح من حديث موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه ، وثبت فى صحيح البخارى عن أسامة رضى الله عنه أنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذنى والحسن فيقول : « اللهم إنى أحبهما فأحبهما » ، وروى عن الشعبى عن عائشة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من أحب الله ورسوله فليحب أسامة بن زيد » ولهذا لما فرض عمر بن الخطاب للناس فى الديوان فرض لأسامة فى خمسة آلاف ، وأعطى ابنه عبد الله بن عمر فى أربعة آلاف ، فقيل له فى ذلك فقال : إنه كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك ، وأبوه كان أحب إلى رسول الله من أبيك . وقد روى عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عروة عن أسامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أردفه خلفه على حمار عليه قطيفة حين ذهب يعود سعد بن عبادة قبل وقعة بدر .

قلت : وهكذا أردفه وراءه على ناقته حين دفع من عرفات إلى المزدلفة كما قدمنا فى حجة الوداع وقد ذكر غير واحد أنه رضى الله عنه لم يشهد مع على شيئا من مشاهده ، واعتذر إليه بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قتل ذلك الرجل وقد قال لا إله إلا الله ، فقال « من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة ؟ أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة ؟ » الحديث ، وذكر فضائله كثيرة رضى الله عنه ، وقد كان أسود كالليل . أفطس حلواً حسناً كبيراً فصيحاً عالماً ربانياً ، رضى الله عنه ، وكان أبوه كذلك إلا أنه كان أبيض شديد البياض ولهذا طعن بعض من لا يعلم فى نسبه منه ، ولما مر مجزز المدلجى عليهما وهما نائمان فى قطيفة وقد بدت أقدامهما ، أسامة بسواده وأبوه زيد ببياضه قال : سبحان الله إن بعض هذه الأقدام لمن بعض ، أعجب بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل على عائشة مسروراً تبرق أسارير وجهه فقال : « ألم تر أن مجززاً نظر آنفاً إلى زيد بن حارثة وأسامة بن زيد فقال إن بعض هذه الأقدام لمن بعض ؟! » . ولهذا أخذ فقهاء الحديث كالشافعى وأحمد من هذا الحديث من حيث التقرير عليه والاستبشار به ، العمل بقول القافة فى اختلاط الأنساب واشتباهها كما هو مقرر فى موضعه ، والمقصود أنه رضى الله عنه توفى سنة أربع وخمسين مما صححه أبو عمر . وقال غيره سنة ثمان أو تسع وخمسين ، وقيل : مات بعد مقتل عثمان فالله أعلم . وروى له الجماعة فى كتبهم الستة .

ومنهم أسلم وقيل إبراهيم وقيل ثابت وقيل هرمز أبو رافع القبطى أسلم قبل بدر ولم يشهدها

لأنه كان بمكة مع سادته آل العباس، وكان ينحت القداح ، وقصته مع الخبيث أبي لهب حين جاء خبر وقعة بدر تقدمت ولله الحمد ، ثم هاجر وشهد أحداً وما بعدها ، وكان كاتباً، وقد كتب بين يدي على بن أبي طالب بالكوفة . قاله المفضل بن غسان الغلابي . وشهد فتح مصر في أيام عمر ، وقد كان أولا للعباس بن عبد المطلب فوهبه للنبي صلى الله عليه وسلم وعتقه وزوجه مولاته سلمى ، فولدت له أولاداً وكان يكون على ثقل النبي صلى الله عليه وسلم . وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر وبهز قالا : حدثنا شعبة عن الحكم عن ابن أبي رافع عن أبي رافع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلا من بني مخزوم على الصدقة ، فقال لأبي رافع : أصحبني كيما تصيب منها ، فقال : لا حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسأله ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله ، فقال : « الصدقة لا تحل لنا ، وإن مولى القوم منهم » وقد رواه الثوري عن محمد ابن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن الحكم به . وروى أبو يعلى في مسنده عنه أنه أصابهم برد شديد وهم بخيبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان له لحاف فليحلف من لا لحاف له » . قال أبو رافع : فلم أجد من يلحفني معه ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فألقى عليّ لحافه ، فنمنا حتى أصبحنا ، فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند رجليه حية فقال : « يا أبا رافع أقتلها » وروى له الجماعة في كتبهم ، ومات في أيام عليّ رضي الله عنه .

ومنهم أنسة بن زياد بن مشرح ، ويقال أبو مسرح ، من مولدي السراة مهاجري شهد بدراً فيما ذكره عروة والزهري وموسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق والبخاري وغير واحد ، قالوا : وكان ممن يأذن على النبي صلى الله عليه وسلم إذا جلس ، وذكر خليفة بن خياط في كتابه قال : قال علي بن محمد عن عبد العزيز بن أبي ثابت عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : استشهد يوم بدر أنسة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال الواقدي : وليس هذا بثبت عندنا ، ورأيت أهل العلم يثبتون أنه شهد أحداً أيضاً وبقي زماناً وأنه توفي في حياة أبي بكر رضي الله عنه أيام خلافته .

ومنهم أيمن بن عبيد بن زيد الحبشي ونسبه ابن منده إلى عوف بن الخزرج وفيه نظر ، وهو ابن أم أيمن بركة أخو أسامة لأمه . قال ابن إسحاق : وكان على مطهرة النبي صلى الله عليه وسلم وكان ممن ثبت يوم حنين ، ويقال : إن فيه وفي أصحابه نزل قوله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) قال الشافعي : قتل أيمن مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين . قال : فرواية مجاهد عنه منقطعة — يعني بذلك ما رواه الثوري عن منصور عن مجاهد عن عطاء عن أيمن الحبشي قال : لم يقطع النبي صلى الله عليه وسلم السارق إلا في المجن ، وكان ثمن المجن يومئذ دينار — وقد رواه أبو القاسم البغوي في معجم الصحابة عن هارون بن عبد الله عن أسود بن عامر عن الحسن بن صالح عن منصور عن الحكم عن مجاهد ، وعطاء عن أيمن عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه . وهذا يقتضي تأخر موته عن النبي صلى الله عليه وسلم إن لم يكن الحديث

مدلسا عنه ، ويحتمل أن يكون أريد غيره ، والجمهور كابن إسحاق وغيره ذكروه فيمن قتل من الصحابة يوم حنين فالله أعلم ولابنه الحجاج بن أيمن مع عبد الله بن عمر قصة .

ومنهم باذان ، وسيأتى ذكره فى ترجمة طهمان .

ومنهم ثوبان بن بُجْدُد ، ويقال : ابن جحدر أبو عبد الله ، ويقال : أبو عبد الكريم ، ويقال : أبو عبد الرحمن أصله من أهل السراة مكان بين مكة واليمن ، وقيل : من حمير من أهل اليمن ، وقيل : من الهان ، وقيل : من حكم بن سعد العشيرة من مذحج أصابه سبى فى الجاهلية ، فاشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه وخيره إن شاء أن يرجع إلى قومه ، وإن شاء يثبت فإنه منهم أهل البيت ، فأقام على ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفارقه حضراً ولا سفراً حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وشهد فتح مصر أيام عمر ونزل حمص بعد ذلك وابتنى بها داراً ، وأقام بها إلى أن مات سنة أربع وخمسين ، وقيل : سنة أربع وأربعين — وهو خطأ — وقيل : إنه مات بمصر ، والصحيح بحمص كما قدمنا والله أعلم . روى له البخارى فى كتاب الأدب ، ومسلم فى صحيحه وأهل السنن الأربعة .

ومنهم حنين مولى النبى صلى الله عليه وسلم وهو جد إبراهيم بن عبد الله بن حنين ، ورويناأنه كان يخدم النبى صلى الله عليه وسلم ويوضئه ، فإذا فرغ النبى صلى الله عليه وسلم خرج بفضلة الوضوء إلى أصحابه ، فمنهم من يشرب منه ، ومنهم من يتمسح به ، فاحتبسه حنين فخبأه عنده فى جرة حتى شكوه إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال له : « ما تصنع به ؟ » فقال : أدخره عندى أشربه يا رسول الله ، فقال عليه الصلاة والسلام : « هل رأيتم غلاماً أحصى ما أحصى هذا ؟ » ثم إن النبى صلى الله عليه وسلم وهبه لعمه العباس فأعتقه رضى الله عنهما .

ومنهم ذكوان ، يأتى ذكره فى ترجمة طهمان .

ومنهم رافع أو أبو رافع ، ويقال له أبو البهى . قال أبو بكر بن أبى خيثمة : كان لأبى أحيحة سعيد بن العاص الأكبر فورثه بنوه وأعتق ثلاثة منهم أنصباءهم وشهد معهم يوم بدر ، فقتلوا ثلاثتهم ، ثم اشترى أبو رافع بقية أنصباء بنى سعيد مولاه إلا نصيب خالد بن سعيد . فوهب خالد نصيبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله وأعتقه . فكان يقول : أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكذلك كان بنوه يقولون من بعده .

ومنهم رباح الأسود ، وكان يأذن على النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى أخذ الإذن لعمر بن الخطاب حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك المشربة يوم آلى من نسائه واعتزلهن فى تلك المشربة ، وجده عليه الصلاة والسلام . هكذا جاء مصرحاً باسمه فى حديث عكرمة بن عمار عن سماك بن الوليد عن ابن عباس عن عمر . وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع حدثنا عكرمة بن عمار عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال : كان للنبى صلى الله عليه وسلم غلام يسمى رباح .

ومنهم رويفع مولاه عليه الصلاة والسلام . هكذا عده فى الموالى مصعب بن عبد الله الزبيرى وأبو بكر بن أبى خيثمة قالا : وقد وفد ابنه على عمر بن عبد العزيز فى أيام خلافته ففرض له ، قالا : ولا عَقب له .

قلت : كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله شديد الاعتناء بموالى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يعرفهم ويحسن إليهم . وقد كتب فى أيام خلافته إلى أبى بكر بن حزم عالم أهل المدينة فى زمانه : أن يفحص له عن موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجال والنساء وخدامه . رواه الواقدى . وقد ذكره أبو عمر مختصراً وقال: لا أعلم له رواية ، حكاه ابن الأثير فى الغاية .

ومنهم زيد بن حارثة الكلبى ، وقد قدمنا طرفاً من ذكره عند ذكر مقتله بغزوة مؤتة رضى الله عنه ، وذلك فى جمادى من سنة ثمان قبل الفتح بأشهر ، وقد كان هو الأمير المقدم ، ثم بعده جعفر ، ثم بعدهما عبد الله بن رواحة . وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة فى سرية إلا أمَّره عليهم ، ولو بقى بعده لاستخلفه ، رواه أحمد .

ومنهم زيد أبو يسار ، قال أبو القاسم البغوى فى معجم الصحابة : سكن المدينة ، روى حديثاً واحداً لا أعلم له غيره . حدثنا محمد بن على الجوزجانى حدثنا أبو سلمة ـ هو التبوذكى ـ حدثنا حفص بن عمر الطائى حدثنا أبو عمر بن مرة سمعت بلال بن يسار بن زيد مولى النبى صلى الله عليه وسلم سمعت أبى تحدثنى عن جدى أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من قال أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ، غفر له وإن كان فر من الزحف » وهكذا رواه أبو داود عن أبى سلمة ، وأخرجه الترمذى عن محمد بن إسماعيل البخارى عن أبى سلمة موسى بن إسماعيل به . وقال الترمذى : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

ومنهم سفينة أبو عبد الرحمن ، ويقال : أبو البخترى كان اسمه مهران ، وقيل : عبس ، وقيل : أحمر ، وقيل : رومان ، فلقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لسبب سنذكره ، فغلب عليه. وكان مولى لأم سلمة فأعتقته ، واشترطت عليه أن يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يموت فقبل ذلك ، وقال : لو لم تشترطى على ما فارقته . وهذا الحديث فى السنن ، وهو من مولدى العرب وأصله من أبناء فارس وهو سفينة بن مافنه . وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر حدثنا حشرج بن نباتة العبسى كوفى حدثنا سعيد بن جُمْهان حدثنى سفينة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الخلافة فى أمتى ثلاثون سنة ، ثم ملكا بعد ذلك » ثم قال لى سفينة : أمسك خلافة أبى بكر ، وخلافة عمر ، وخلافة عثمان ، وأمسك خلافة على ، ثم قال : فوجدناها ثلاثين سنة ، ثم نظرت بعد ذلك فى الخلفاء فلم أجده يتفق لهم ثلاثون . قلت لسعيد : أين لقيت سفينة؟ قال : ببطن نخلة فى زمن الحجاج ، فأقمت عنده ثلاث ليال أسأله عن أحاديث رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، قلت له : ما اسمك ؟ قال : ما أنا بمخبرك ، سمانى رسول الله صلى الله عليه وسلم سفينة ، قلت : ولم سماك سفينة ؟ قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه فثقل عليهم متاعهم ، فقال لى : « أبسط كساك » فبسطته ، فجعلوا فيه متاعهم ثم حملوه علىّ ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « احمل فإنما أنت سفينة » فلو حملت يومئذ وقر بعير أو بعيرين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة أو سبعة ما ثقل علىّ ، إلا أن يحفوا[1] . وهذا الحديث عن أبى داود والترمذى والنسائى ، ولفظه عندهم : « خلافة النبوة ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكا » وقال الإمام أحمد : حدثنا بهز حدثنا حماد بن سلمة عن سعيد بن جمهان عن سفينة ، قال : كنا فى سفر ، فكان كلما أعيا رجل ألقى على ثيابه ، ترسا أو سيفا حتى حملت من ذلك شيئاً كثيراً ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أنت سفينة » هذا هو المشهور فى تسميته سفينة . وقد قال أبو القاسم البغوى : حدثنا أبو الربيع سليمان بن داود الزهرانى ومحمد بن جعفر الوركانى قالا : حدثنا شريك بن عبد الله النخعى عن عمران البجلى عن مولى لأم سلمة قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررنا بواد ــ أو نهر ــ فكنت أعبر الناس ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما كنت منذ اليوم إلا سفينة » وهكذا رواه الإمام أحمد عن أسود بن عامر عن شريك وقال أبو عبد الله بن منده : حدثنا الحسن بن مكرم حدثنا عثمان بن عمر حدثنا أسامة بن زيد عن محمد ابن المنكدر عن سفينة قال : ركبت البحر فى سفينة فكسرت بنا ، فركبت لوحاً منها فطرحنى فى جزيرة فيها أسد ، فلم يرعنى إلا به ، فقلت : يا أبا الحارث أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزنى بمنكبه حتى أقامنى على الطريق ، ثم همهم فظننت أنه السلام . وقد رواه أبو القاسم البغوى عن إبراهيم بن هانىء عن عبيد الله بن موسى عن رجل عن محمد بن المنكدر عنه . ورواه أيضاً عن محمد بن عبد الله المخرمى عن حسين بن محمد قال : قال عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة عن محمد بن المنكدر عن سفينة فذكره . ورواه أيضاً حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا على بن عاصم حدثنى أبو ريحانة عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لقينى الأسد فقلت : أنا سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فضرب بذنبه الأرض وقعد . وروى له مسلم وأهل السنن وقد تقدم فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد أنه كان يسكن بطن نخلة ، وأنه تأخر إلى أيام الحجاج .

ومنهم سلمان الفارسى أبو عبد الله مولى الإسلام ، أصله من فارس وتنقلت به الأحوال إلى أن صار لرجل من يهود المدينة ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أسلم سلمان وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فكاتب سيده اليهودى ، وأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أداء ما عليه فنسب إليه وقال : « سلمان منا أهل البيت » . وقد قدمنا صفة هجرته من بلده وصحبته لأولئك الرهبان واحداً بعد واحد حتى آل به الحال إلى المدينة النبوية ، وذكرنا صفة

(١) يحفوا : أحفى السؤال ، ردده وألح عليه وبرح به وأحفيته حملته .

إسلامه رضى الله عنه فى أوائل الهجرة النبوية إلى المدينة ، وكانت وفاته فى سنة خمس وثلاثين فى آخر أيام عثمان - أو فى أول سنة ست وثلاثين - وقيل : إنه توفى فى أيام عمر بن الخطاب ، والأول أكثر . قال العباس بن يزيد البحرانى : وكان أهل العلم لا يشكون أنه عاش مائتين وخمسين سنة ، واختلفوا فيما زاد على ذلك إلى ثلاثمائة وخمسين . وقد ادعى بعض الحفاظ المتأخرين أنه لم يجاوز المائة ، فالله أعلم بالصواب .

ومنهم شُقران الحبشى واسمه صالح بن عدى ، ورثه عليه الصلاة والسلام من أبيه . وقال مصعب الزبيرى ومحمد بن سعد : كان لعبد الرحمن بن عوف فوهبه للنبى صلى الله عليه وسلم . وقد روى أحمد بن حنبل عن إسحاق بن عيسى عن أبى معشر أنه ذكره فيمن شهد بدراً ، قال : ولم يقسم له رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهكذا ذكره محمد بن سعد فيمن شهد بدراً وهو مملوك فلهذا لم يسهم له بل استعمله على الأسرى ، فحذاه[1] كل رجل له أسير شيئاً ، فحصل له أكثر من نصيب كامل ، قال : وقد كان ببدر ثلاثة غلمان غيره : غلام لعبد الرحمن بن عوف ، وغلام لحاطب بن أبى بلتعة ، وغلام لسعد بن معاذ ، فرضخ[2] لهم ولم يقسم . قال أبو القاسم البغوى : وليس له ذكر فيمن شهد بدراً فى كتاب الزهرى ، ولا فى كتاب ابن إسحاق . وذكر الواقدى عن أبى بكر بن عبد الله بن أبى سَبْرة عن أبى بكر بن عبد الله بن أبى جهم ، قال : استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم شقران مولاه على جميع ما وجد فى رحال المريسيع من رثة[3] المتاع والسلاح والنعم والشاء وجمع الذرية ناحية . وقال الإمام أحمد : حدثنا أسود بن عامر حدثنا مسلم ابن خالد عن عمرو بن يحيى المازنى عن أبيه عن شقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : رأيته - يعنى النبى صلى الله عليه وسلم - متوجهاً إلى خيبر على حمار يصلى عليه ، يومىء إيماء . وفى هذه الأحاديث شواهد أنه رضى الله عنه شهد هذه المشاهد . وروى الترمذى عن زيد بن أخزم عن عثمان بن فرقد عن جعفر بن محمد أخبرنى ابن أبى رافع قال : سمعت شقران يقول : أنا والله طرحت القطيفة تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القبر . وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال : الذى اتخذ قبر النبى صلى الله عليه وسلم أبو طلحة ، والذى ألقى القطيفة شقران . ثم قال الترمذى : حسن غريب . وقد تقدم أنه شهد غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل فى قبره . وأنه وضع تحته القطيفة التى كان يصلى عليها وقال : والله لا يلبسها أحد بعدك . وذكر الحافظ أبو الحسن ابن الأثير فى الغابة أنه انقرض نسله فكان آخرهم موتا بالمدينة فى أيام الرشيد .

ومنهم ضميرة بن أبى ضميرة الحميرى ، أصابه سبى فى الجاهلية فاشتراه النبى صلى الله عليه وسلم فأعتقه ، ذكره مصعب الزبيرى قال : وكانت له دار بالبقيع ، وولد . قال عبد الله بن وهب عن ابن

---

(١) حذاه : أعطاه ، والحذوة : العطية والقطعة من اللحم .

(٢) أعطاه عطاء غير كثير .

(٣) الرثة : متاع البيت الدون بوزن الهرة .

أبي ذئب عن حسين بن عبد الله بن ضميرة عن أبيه عن جده ضميرة أن رسول الله مر بأم ضميرة وهى تبكي فقال لها : « ما يبكيك ؟ أجائعة أنت ، أعارية أنت ؟ » قالت : يا رسول الله فرق بيني وبين ابني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يفرق بين الوالدة وولدها » ثم أرسل إلى الرجل الذي عنده ضميرة فدعاه فابتاعه منه ببكر ، قال ابن أبي ذئب ثم أقرأني كتابا عنده : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد رسول الله لأبي ضميرة وأهل بيته ، أن رسول الله أعتقهم ، وأنهم أهل بيت من العرب ، إن أحبوا أقاموا عند رسول الله ، وإن أحبوا رجعوا إلى قومهم ، فلا يعرض لهم إلا بحق ، ومن لقيهم من المسلمين فليستوص بهم خيراً ، وكتب أبي ابن كعب » .

ومنهم طهمان ، ويقال ذكوان ، ويقال مهران ، ويقال ميمون ، وقيل كيسان ، وقيل باذام روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الصدقة لا تحل لي ولا لأهل بيتي ، وإن مولى القوم من أنفسهم ، رواه البغوى عن منجاب بن الحارث وغيره عن شريك عن عطاء بن السائب عن إحدى بنات علي بن أبي طالب وهي أم كلثوم بنت علي قالت : حدثني مولى للنبي صلى الله عليه وسلم يقال له طهمان أو ذكوان ، قال قال رسول الله ، فذكره .

ومنهم عبيد مولى النبي صلى الله عليه وسلم قال أبو داود الطيالسي عن شعبة عن سليمان التيمي عن شيخ عن عبيد مولى للنبي صلى الله عليه وسلم قال : قلت هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بصلاة سوى المكتوبة ؟ قال : صلاة بين المغرب والعشاء ، قال أبو القاسم البغوى : لا أعلم روى غيره . قال ابن عساكر : وليس كما قال ، ثم ساق من طريق أبي يعلى الموصلي حدثنا عبد الأعلى بن حماد ثنا حماد بن سلمة عن سليمان التيمي عن عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن امرأتين كانتا صائمتين ، وكانتا تغتابان الناس ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح فقال لهما « قيئا » فقاءا قيحاً ودماً ولحماً عبيطاً[1] ثم قال : « إن هاتين صامتا عن الحلال وأفطرتا على الحرام » وقد رواه الإمام أحمد عن يزيد بن هارون وابن أبي عدي عن سليمان التيمي عن رجل حدثهم في مجلس أبي عثمان عن عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره ، ورواه أحمد أيضاً عن غندر عن عثمان بن غياث قال : كنت مع أبي عثمان فقال رجل : حدثني سعيد — أو عبيد عثمان يشك - مولى النبي صلى الله عليه وسلم فذكره .

ومنهم فضالة مولى النبي صلى الله عليه وسلم ، قال محمد بن سعد أنبأنا الواقدى حدثني عتبة ابن خيرة الأشهلي قال : كتب عمر بن العزيز إلى أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم أن افحص لي عن خدم رسول الله من الرجال والنساء ومواليه ، فكتب إليه قال : وكان فضالة مولى له يماني نزل

---

(١) العبيط : الطرى غير النضيج .

الشام بعد ، وكان أبو مويهبة مولداً من مولدى مزينة فأعتقه ، قال ابن عساكر : لم أجد لفضالة ذكراً فى الموالى إلا من هذا الوجه .

ومنهم قفيز أوله قاف وآخره زاى ، قال أبو عبد الله بن منده أنبأنا سهل بن السرى ثنا أحمد ابن محمد بن المنكدر ثنا محمد بن يحيى عن محمد بن سليمان الحرانى عن زهير بن محمد عن أبى بكر ابن عبد الله بن أنيس ، قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما يقال له قفيز ، تفرد به محمد بن سليمان .

ومنهم كركرة ، كان على ثقل النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض غزواته ، وقد ذكره أبو بكر بن حزم فيما كتب به إلى عمر بن عبد العزيز ، قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان عن عمرو عن سالم بن الجعد عن عبد الله ابن عمرو قال : كان على ثقل النبى صلى الله عليه وسلم رجل يقال له كركرة ، فمات فقال : « هو فى النار » فنظروا فإذا عليه عباءة قد غلها ، أو كساء قد غله ، رواه البخارى عن على بن المدينى عن سفيان .

قلت : وقصته شبيهة بقصة مدعم الذى أهداه رفاعة من بنى الضبيب كما سيأتى .

ومنهم كيسان . قال البغوى حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ثنا ابن فضيل عن عطاء بن السائب قال : أتيت أم كلثوم بنت على فقالت : حدثنى مولى للنبى صلى الله عليه وسلم يقال له كيسان قال له النبى صلى الله عليه وسلم فى شىء من أمر الصدقة : « إنا أهل بيت نهينا أن نأكل الصدقة ، وإن مولانا من أنفسنا فلا تأكل الصدقة » .

ومنهم مابور القبطى الخصى ، أهداه له صاحب اسكندرية مع مارية وشيرين والبغلة ، وقد قدمنا من خبره فى ترجمة مارية رضى الله عنهما ما فيه كفاية .

ومنهم مدعم ، وكان أسود من مولدى حِسْمَى أهداه رفاعة بن زيد الجذامى ، قتل فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم وذلك مرجعهم من خيبر ، فلما وصلوا إلى وادي القرى فبينما مدعم يحط عن ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم رحلها ، إذ جاءه سهم عائر فقتله ، فقال الناس : هنيئاً له الشهادة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلا والذى نفسى بيده ، إن الشملة التى أخذها يوم خيبر — لم تصبها المقاسم — لتشتعل عليه ناراً » فلما سمعوا ذلك جاء رجل بشراك — أو شراكين — فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « شراك من نار ، أو شراكان من نار » أخرجاه من حديث مالك عن ثور بن يزيد عن أبى الغيث عن أبى هريرة .

ومنهم مهران ، ويقال طهمان ، وهو الذى روت عنه أم كلثوم بنت على فى تحريم الصدقة على بنى هاشم ومواليهم كما تقدم .

ومنهم ميمون وهو الذى قبله .

ومنهم نافع مولاه . قال الحافظ ابن عساكر أنبأنا أبو الفتح الماهانى أنبأنا شجاع الصوفى أنبأنا محمد بن إسحاق أنبأنا أحمد بن محمد بن زياد حدثنا محمد بن عبد الملك بن مروان ثنا يزيد بن هارون أنبأنا أبو مالك الأشجعى عن يوسف بن ميمون عن نافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يدخل الجنة شيخ زان ، ولا مسكين متكبر ، ولا منان بعمله على الله عز وجل » .

ومنهم نفيع ، ويقال مسروح ، ويقال نافع بن مسروح ، والصحيح نافع بن الحارث بن كلدة ابن عمرو بن علاج بن سلمة بن عبد العزى بن غيره بن عوف بن قيس ، وهو ثقيف[1] أبو بكرة الثقفى ، وأمه سمية أم زياد ، تدلى هو وجماعة من العبيد من سور الطائف ، فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان نزوله فى بكرة فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكرة ، قال أبو نعيم وكان رجلا صالحاً آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبى برزة الأسلمى .

قلت : وهو الذى صلى عليه بوصيته إليه ، ولم يشهد أبو بكرة وقعة الجمل ، ولا أيام صفين ، وكانت وفاته فى سنة إحدى وخمسين ، وقيل سنة اثنتين وخمسين .

ومنهم واقد ، أو أبو واقد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الحافظ أبو نعيم الأصبهانى حدثنا أبو عمرو بن حمدان ثنا الحسن بن سفيان ثنا محمد بن يحيى بن عبد الكريم حدثنا الحسين ابن محمد ثنا الهيثم بن حماد عن الحارث بن غسان عن رجل من قريش من أهل المدينة عن زاذان عن واقد مولى النبى صلى الله عليه وسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أطاع الله فقد ذكر الله ، وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن ، ومن عصى الله فلم يذكره وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن » .

ومنهم هرمز أبو كيسان ، ويقال هرمز أو كيسان ، وهو الذى يقال فيه طهمان كما تقدم وقد قال ابن وهب ثنا على بن عباس عن عطاء بن السائب عن فاطمة بنت على أو أم كلثوم بنت على قالت : سمعت مولى لنا يقال له هرمز يكنى أبا كيسان ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنا أهل بيت لا تحل لنا الصدقة ، وإن موالينا من أنفسنا فلا تأكلوا الصدقة » ، وقد رواه الربيع بن سليمان عن أسد بن موسى عن ورقاء عن عطاء بن السائب قال : دخلت على أم كلثوم فقالت : إن هرمز أو كيسان حدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنا لا نأكل الصدقة » وقال أبو القاسم البغوى ثنا منصور بن أبى مزاحم ثنا أبو حفص الأبار عن أبى زياد عن معاوية قال : شهد بدراً عشرون مملوكا منهم مملوك للنبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) فى الخلاصة : نفيع بن الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج بن عبد العزى ابن غيرة بن عوف ابن قيس بن ثقيف الثقفى أبو بكرة ، وقد ترجمهم جميعا ترجمة طويلة مفصلة صحيحة الحافظ أبو نعيم فى كتاب « حلية الأولياء » الذى يطبع الآن .

يقال له هرمز فأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « إن الله قد أعتقك ، وإن مولى القوم من أنفسهم ، وإنا أهل بيت لا نأكل الصدقة فلا تأكلها » .

ومنهم هشام مولى النبي صلى الله عليه وسلم ، قال محمد بن سعد : أنبأنا سليمان بن عبيد الله الرقى أنبأنا محمد بن أيوب الرقى عن سفيان عن عبد الكريم عن أبى الزبير عن هشام مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : جاء رجل فقال يا رسول الله إن امرأتى لا تدفع يد لامس ، قال : « طلقها » قال : إنها تعجبنى ، قال : « فتمتع بها » ، قال ابن منده : وقد رواه جماعة عن سفيان الثورى عن أبى الزبير عن مولى بنى هاشم عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمه ، ورواه عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم عن أبى الزبير عن جابر .

ومنهم يسار ، ويقال : إنه الذى قتله العرنيون وقد مثلوا به[1] . وقد ذكر الواقدى بسنده عن يعقوب بن عتبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذه يوم قرقرة الكدر مع نعم بنى غطفان وسليم ، فوهبه الناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله منهم ، لأنه رآه يحسن الصلاة فأعتقه ثم قسم فى الناس النعم فأصاب كل إنسان منهم سبعة أبعرة ، وكانوا مائتين

ومنهم أبو الحمراء مولى النبي صلى الله عليه وسلم وخادمه ، وهو الذى يقال إن اسمه هلال بن الحارث ، وقيل ابن مظفر ، وقيل هلال بن الحارث بن ظفر السلمى . أصابه سبى فى الجاهلية . وقال أبو جعفر محمد بن على بن دحيم ثنا أحمد بن حازم أنبأنا عبد الله بن موسى والفضل بن دكين عن يونس بن أبى اسحاق عن أبى داود القاص عن أبى الحمراء قال : رابطت المدينة سبعة أشهر كيوم ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يأتى باب على وفاطمة كل غداة فيقول : « الصلاة الصلاة ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » قال أحمد بن حازم وأنبأنا عبيد الله بن موسى والفضل بن دكين ـ واللفظ له ـ عن يونس بن أبى إسحاق عن أبى داود عن أبى الحمراء قال : مر النبي صلى الله عليه وسلم برجل عنده طعام فى وعاء فأدخله يده ، فقال : « غششته ! من غشنا فليس منا » وقد رواه ابن ماجة عن أبى بكر بن أبى شيبة عن أبى نعيم به ، وليس عنده سواه . وأبو داود هذا هو نفيع بن الحارث الأعمى أحد المتروكين الضعفاء قال عباس الدورى عن ابن معين : أبو الحمراء صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه هلال بن الحارث ، كان يكون بحمص ، وقد رأيت بها غلاما من ولده ، وقال غيره كان منزله خارج باب حمص . وقال أبو الوازع عن سمرة : كان أبو الحمراء فى الموالى .

ومنهم أبو سلمى راعى النبي صلى الله عليه وسلم ، ويقال أبو سلام واسمه حُريث . قال أبو القاسم البغوى ثنا كامل بن طلحة ثنا عباد بن عبد الصمد حدثنى أبو سلمة راعى النبي صلى الله عليه وسلم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من لقى الله يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا

(١) وقال ابن هشام : هم نفر من قيس كبة من بجيلة ، وكان يرعى إبل الصدقة وقصتهم مشهورة .

رسول الله ، وآمن بالبعث والحساب ، دخل الجنة » ، قلنا : أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأدخل أصبعيه فى أذنيه ثم قال : أنا سمعت هذا منه غير مرة ، ولا مرتين ، ولا ثلاث ، ولا أربع لم يورد له ابن عساكر سوى هذا الحديث ، وقد روى له النسائى فى اليوم والليلة آخر ، وأخرج له ابن ماجه ثالثاً .

ومنهم أبو صفية مولى النبى صلى الله عليه وسلم . قال أبو القاسم البغوى ثنا أحمد بن المقدام ثنا معتمر ثنا أبو كعب عن جده بقية عن أبى صفية مولى النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يوضع له نطع ويجاء بزنبيل فيه حصى فيسبح به إلى نصف النهار ثم يرفع فإذا صلى الأولى سبح حتى يمسى .

ومنهم أبو ضميرة مولى النبى صلى الله عليه وسلم والد ضميرة المتقدم ، وزوج أم ضميرة . وقد تقدم فى ترجمة ابنه طرف من ذكرهم وخبرهم فى كتابهم وقال محمد بن سعد فى الطبقات : أنبأنا اسمعيل بن عبد الله بن أويس المدنى حدثنى حسين بن عبد الله بن أبى ضميرة أن الكتاب الذى كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى ضميرة : بسم الله الرحمن الرحيم ، كتاب من محمد رسول الله لأبى ضميرة وأهل بيته ، إنهم كانوا أهل بيت من العرب ، وكانوا مما أفاء الله على رسوله فأعتقهم ، ثم خير أبا ضميرة إن أحب أن يلحق بقومه فقد أذن له ، وإن أحب أن يمكث مع رسول الله فيكونوا من أهل بيته ، فاختار الله ورسوله ودخل فى الإسلام ، فلا يعرض لهم أحد إلا بخير ، ومن لقيهم من المسلمين فليستوص بهم خيراً ، وكتب أبى بن كعب . قال اسمعيل ابن أبى أويس : فهو مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أحد حمير . وخرج قوم منهم فى سفر ومعهم هذا الكتاب فعرض لهم اللصوص ، فأخذوا ما معهم فأخرجوا هذا الكتاب إليهم فأعلموهم بما فيه ؛ فقرؤه فردوا عليهم ما أخذوا منهم ولم يعرضوا لهم . قال : ووفد حسين بن عبد الله بن أبى ضميرة إلى المهدى أمير المؤمنين وجاء معه بكتابهم هذا ، فأخذه المهدى فوضعه على بصره ؛ وأعطى حسيناً ثلاثمائة دينار .

ومنهم أبو عبيد مولاه عليه الصلاة والسلام . قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ثنا أبان العطار ثنا قتادة عن شهر بن حوشب عن أبى عبيد أنه طبخ لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدراً فيها لحم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ناولنى ذراعها » فناولته ؛ فقال : « ناولنى ذراعها » ؛ فناولته ؛ فقال : « ناولنى ذراعها » فقلت : يا نبىّ الله كم للشاة من ذراع ؟ قال : « والذى نفسى بيده لو سكت لأعطيتنى ذراعها ما دعوت به » ورواه الترمدى فى الشمائل عن بندار عن مسلم بن ابراهيم عن إبان بن يزيد العطار به .

ومنهم أبو عسيب ومنهم من يقول أبو عسيم ؛ والصحيح الأول ؛ ومن الناس من فرق بينهما وقد تقدم أنه شهد الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وحضر دفنه وروى قصة المغيرة بن شعبة وقال الحارث بن أبى أسامة ثنا يزيد بن هارون ثنا مسلم بن عبيد أبو نضرة قال سمعت أبا عسيب مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أتانى جبريل

بالحمى والطاعون ؛ فأمسكت الحمى بالمدينة وأرسلت الطاعون إلى الشام ، فالطاعون شهادة لأمتى ورحمة لهم ورجس على الكافر » وكذا رواه الإمام أحمد عن يزيد بن هارون . وقال أبو عبدالله ابن منده : أنبأنا محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن إسحاق الصاغانى حدثنا يونس بن محمد حدثنا حشرج بن نباتة حدثنى أبو نضرة البصرى عن أبى عسيب مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا فمر بى فدعانى ، ثم مر بأبى بكر فدعاه فخرج إليه ، ثم مر بعمر فدعاه فخرج إليه ، ثم انطلق يمشى حتى دخل حائطا لبعض الأنصار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحب الحائط : « أطعمنا بسراً » فجاء به فوضعه ، فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكلوا جميعاً ، ثم دعا بماء فشرب منه ، ثم قال : « إن هذا النعيم ، لتسألن يوم القيامة عن هذا » فأخذ عمر العذق فضرب به الأرض حتى تناثر البسر ، ثم قال : يا نبى الله إنا لمسئولون عن هذا يوم القيامة ؟ قال : « نعم إلا من ثلاثة : خرقة يستر بها الرجل عورته ، أو كسرة يسد بها جوعته ، أو جحر يدخل فيه — يعنى من الحر والقر — » . ورواه الإمام أحمد عن شريح عن حشرج . وروى محمد بن سعد فى الطبقات عن موسى بن إسماعيل حدثتنا مسلمة بنت أبان الفريعية قالت : سمعت ميمونة بنت أبى عسيب قالت : كان أبو عسيب يواصل بين ثلاث فى الصيام ، وكان يصلى الضحى قائما فعجز ، وكان يصوم أيام البيض . قالت : وكان فى سريره جلجل فيعجز صوته حين يناديها به ، فإذا حركه جاءت .

ومنهم أبو كبشة الأنمارى من أنمار مذحج على المشهور ، مولى النبى صلى الله عليه وسلم . فى اسمه أقوال : أشهرها أن اسمه سليم ، وقيل : عمرو بن سعد ، وقيل عكسه . وأصله من مولدى أرض دوس ، وكان ممن شهد بدراً ، قاله موسى بن عقبة عن الزهرى . وذكره ابن إسحاق والبخارى والواقدى ومصعب الزبيرى وأبو بكر بن أبى خيثمة . زاد الواقدى : وشهد أحداً وما بعدها من المشاهد ، وتوفى يوم استخلف عمر بن الخطاب ، وذلك فى يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة . وقال خليفة بن خياط : وفى سنة ثلاث وعشرين توفى أبو كبشة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدم عن أبى كبشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مر فى ذهابه إلى تبوك بالحجر جعل الناس يدخلون بيوتهم ، فنودى أن الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما يدخلكم على هؤلاء القوم الذين غضب الله عليهم ؟ » فقال رجل : نعجب منهم يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بأعجب من ذلك ؟ رجل من أنفسكم ينبئكم بما كان قبلكم ، وما هو كائن بعدكم » الحديث . وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدى عن معاوية بن صالح عن أزهر بن سعيد الحوارى سمعت أبا كبشة الأنمارى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً فى أصحابه ، فدخل ثم خرج وقد اغتسل ، فقلنا : يا رسول الله قد كان شىء ؟ قال : « أجل مرت بى فلانة فوقع فى نفسى شهوة النساء فأتيت بعض أزواجى فأصبتها ، فكذلك فافعلوا ،

فإنه من أماثل أعمالكم إتيان الحلال » . وقال أحمد : حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن أبي كبشة الأنمارى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل هذه الأمة مثل أربعة نفر : رجل أتاه الله مالا وعلما فهو يعمل به في ماله وينفقه في حقه ، ورجل أتاه علما ولم يؤته مالا فهو يقول لو كان لي مثل مال هذا عملت فيه مثل الذي يعمل » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فهما في الأجر سواء ، ورجل أتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يخبط[1] فيه ينفقه في غير حقه ، ورجل لم يؤته الله مالا ولا علما فهو يقول لو كان لي مثل مال هذا عملت فيه مثل الذي يعمل » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فهما في الوزر سواء » . وهكذا رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة وعلى بن محمد كلاهما عن وكيع . ورواه ابن ماجه أيضاً من وجه آخر من حديث منصور عن سالم بن أبي الجعد عن ابن أبي كبشة عن أبيه ، وسماه بعضهم عبد الله بن أبي كبشة . وقال أحمد : حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا محمد بن حرب حدثنا الزبيدى عن راشد بن سعد عن أبي عامر الهوزنى عن أبي كبشة الأنمارى أنه أتاه فقال : أطرقنى من فرسك ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من أطرق مسلما فعقب له الفرس كان كأجر سبعين حمل عليه في سبيل الله عز وجل » . وقد روى الترمذى عن محمد بن إسماعيل عن أبي نعيم عن عبادة بن مسلم عن يونس بن خباب عن سعيد أبي البخترى الطائى حدثني أبو كبشة أنه قال : ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه : ما نقص مال عبد صدقة ، وما ظلم عبد بمظلمة فصبر عليها إلا زاده الله بها عزا ، ولا يفتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر ، الحديث . وقال : حسن صحيح . وقد رواه أحمد عن غندر عن شعبة عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عنه . وروى أبو داود وابن ماجه من حديث الوليد بن مسلم عن ابن ثوبان عن أبيه عن أبي كبشة الأنمارى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحتجم على هامته وبين كتفيه . وروى الترمذى حدثنا حميد بن مسعدة حدثنا محمد بن حمران عن أبي سعيد ـ وهو عبد الله بن بسر ـ قال : سمعت أبا كبشة الأنمارى يقول : كانت كمام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بطحا[2] .

ومنهم أبو مويهبة مولاه عليه الصلاة والسلام . كان من مولدى مزينة اشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه ، ولا يعرف اسمه رضى الله عنه . وقال أبو مصعب الزبيرى : شهد أبو مويهبة المريسيع ، وهو الذي كان يقود لعائشة رضى الله عنها بعيرها . وقد تقدم ما رواه الإمام أحمد بسنده عنه في ذهابه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليل إلى البقيع ، فوقف عليه الصلاة والسلام فدعا لهم واستغفر لهم ثم قال : « ليهنكم ما أنتم فيه مما فيه بعض الناس ،

---

(١) يخبط . يسير على غير هدى .

(٢) الكمام : القلانس ، وبطحا : أى لازقة بالرأس غير ذاهبة في الهواء .

أتت الفتن كقطع الليل المظلم يركب بعضها بعضاً، الآخرة أشد من الأولى، فليهنكم ما أنتم فيه» ثم رجع فقال : « يا أبا مويهبة إنى خيرت مفاتيح ما يفتح على أمتى من بعدى. والجنة ، أو لقاء ربى ، فاخترت لقاء ربى » قال : فما لبث بعد ذلك سبعاً ـ أو ثمانياً ـ حتى قبض . فهؤلاء عبيده عليه الصلاة والسلام .

﴿ وأما إماؤه عليه الصلاة والسلام ﴾

فمنهن أمة الله بنت رزينة . الصحيح أن الصحبة لأمها رزينة كما سيأتى . ولكن وقع فى رواية ابن أبى عاصم حدثنا عقبة بن مكرم ثنا محمد بن موسى حدثتنا عليلة بنت الكميت العتكية قالت : حدثنى أبى عن أمة الله خادم النبى صلى الله عليه وسلم أن رسول الله سبا صفية يوم قريظة والنضير فأعتقها وأمهرها رزينة أم أمة الله ، وهذا حديث غريب جداً .

[ومنهن أميمة . قال ابن الأثير : وهى مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم] . روى حديثها أهل الشام . روى عنها جبير بن نفير أنها كانت توضىء رسول الله فأتاه رجل يوما فقال له : أوصنى ، فقال : « لا تشرك بالله شيئاً وإن قطعت أو حرقت بالنار ، ولا تدع صلاة متعمداً ، فمن تركها متعمداً فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله ، ولا تشربن مسكراً فإنه رأس كل خطيئة ولا تعصين والديك وإن أمراك أن تختلى من أهلك ودنياك » .

ومنهن بركة أم أيمن وأم أسامة بن زيد بن حارثة ، وهى بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصين ابن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان الحبشية ، غلب عليها كنيتها أم أيمن وهو ابنها من زوجها الأول عبيد بن زيد الحبشى ، ثم تزوجها بعده زيد بن حارثة فولدت له أسامة بن زيد ، وتعرف بأم الظباء . وقد هاجرت الهجرتين رضى الله عنها ، وهى حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمه آمنة بنت وهب ، وقد كانت ممن ورثها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيه ، قاله الواقدى وقال غيره : بل ورثها عن أمه ، وقيل : بل كانت لأخت خديجة فوهبتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وآمنت قديماً وهاجرت ، وتأخرت بعد النبى صلى الله عليه وسلم . وتقدم ما ذكرناه من زيارة أبى بكر [وعمر] رضى الله عنهما إياها بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، وأنها بكت فقالا لها : أما تعلمين أن ما عند الله خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : بلى ، ولكن أبكى لأن الوحى قد انقطع من السماء ، فجعلا يبكيان معها . وقال البخارى فى التاريخ : وقال عبد الله بن يوسف عن ابن وهب عن يونس بن يزيد عن الزهرى قال : كانت أم أيمن تحضن النبى صلى الله عليه وسلم حتى كبر فأعتقها ثم زوجها زيد بن حارثة ، وتوفيت بعد النبى صلى الله عليه وسلم بخمسة أشهر ، وقيل : ستة أشهر ، وقيل : إنها بقيت بعد قتل عمر بن الخطاب . وقد رواه مسلم عن أبى الطاهر وحرملة كلاهما عن ابن وهب عن يونس عن الزهرى قال : كانت أم أيمن

الحبشية فذكره وقال محمد بن سعد عن الواقدى : توفيت أم أيمن فى أول خلافة عثمان بن عفان قال الواقدى : وأنبأنا يحيى بن سعيد بن دينار عن شيخ من بنى سعد بن بكر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأم أيمن « يا أمه » ، وكان إذا نظر إليها قال : « هذه بقية أهل بيتى » وقال أبو بكر بن أبى خيثمة أخبرنى سليمان بن أبى شيخ قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « أم أيمن أمى بعد أمى » . وقال الواقدى عن أصحابه المدنيين قالوا : نظرت أم أيمن إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يشرب فقالت : اسقنى ، فقالت عائشة : أتقولين هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ! فقالت : ما خدمته أطول ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صدقت » فجاء بالماء فسقاها . وقال المفضل بن غسان حدثنا وهب بن جرير ثنا أبى قال : سمعت عثمان بن القاسم قال : لما هاجرت أم أيمن أمست بالمنصرف دون الروحاء وهى صائمة ، فأصابها عطش شديد حتى جهدها ؛ قال : فدلى عليها دلو من السماء برشاء أبيض فيه ماء ، قالت : فشربت فما أصابنى عطش بعد ، وقد تعرضت العطاش بالصوم فى الهواجر فما عطشت بعد . وقال الحافظ أبو يعلى ثنا محمد بن أبى بكر المقدمى ثنا سالم بن قتيبة عن الحسين بن حريث عن يعلى بن عطاء عن الوليد بن عبد الرحمن عن أم أيمن قالت : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فخارة يبول فيها فكان إذا أصبح يقول « يا أم أيمن صُبى ما فى الفخارة » فقمت ليلة وأنا عطشى فشربت ما فيها فقال رسول الله « يا أم أيمن صُبِّى ما فى الفخارة » فقلت : يارسول الله قمت وأنا عطشى فشربت ما فيها ، فقال : « إنك لن تشتكى بطنك بعد يومك هذا أبداً » . قال ابن الأثير فى الغابة : وروى حجاج بن محمد عن [ابن] جريج عن حكيمة بنت أميمة عن أمها أميمة بنت رقية قالت : كان للنبى صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان فيبول فيه يضعه تحت السرير ، فجاءت امرأة اسمها بركة فشربته ، فطلبه فلم يجده ، فقيل : شربته بركة ؛ فقال : « لقد احتظرت من النار بحظار »[1] قال الحافظ أبو الحسن بن الأثير : وقيل إن التى شربت بوله عليه الصلاة والسلام إنما هى بركة الحبشية التى قدمت مع أم حبيبة من الحبشة ، وفرق بينهما فالله أعلم .

قلت : فأما بريرة فإنها كانت لآل أبى أحمد بن جحش فكاتبوها فاشترتها عائشة منهم ، فأعتقتها فثبت ولاؤها لها كما ورد الحديث بذلك فى الصحيحين ، ولم يذكرها ابن عساكر .

ومنهن خضرة . ذكرها ابن منده فقال : [روى معاوية عن هشام عن سفيان عن جعفر بن محمد عن أبيه قال :] كان للنبى صلى الله عليه وسلم خادم يقال لها خضرة . وقال محمد بن سعد عن الواقدى ثنا فائد مولى عبد الله عن عبد الله بن على بن أبى رافع عن جدته سلمى قالت : كان خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وخضرة ورضوى وميمونة بنت سعد ، أعتقهن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهن .

(١) أى لقد احتميت بحمى عظيم من النار يقيك حرها ويؤمنك دخولها . من النهاية .

ومنهن خليسة مولاة حفصة بنت عمر ، قال ابن الأثير فى الغابة : روت حديثها عليكة بنت الـكميت عن جدتها عن خليسة مولاة حفصة فى قصة حفصة وعائشة مع سودة بنت زمعة ومزحهما معها بأن الدجال قد خرج ، فاختبأت فى بيت كانوا يوقدون فيه واستضحكتا ، وجاء رسول الله فقال : « ما شأنـكما ؟ » فأخبرتاه بما كان من أمر سودة ، فذهب إليها فقالت : يا رسول الله أخرج الدجال ؟ فقال : « لا ، وكأن خرج » فخرجت وجعلت تنفض عنها بيض العنـكبوت . وذكر ابن الأثير خليسه مولاة سلمان الفارسى وقال : لما ذكر فى إسلام سلمان وإعتاقها إياه ، وتعويضه عليه السلام لها بأن غرس لها ثلاثمائة فسيلة ، ذكرتها تمييزاً .

ومنهن خولة خادم النبى صلى الله عليه وسلم . كذا قال ابن الأثير ، وقد روى حديثها الحافظ أبو نعيم من طريق حفص بن سعيد القرشى عن أمه عن أمها خولة وكانت خادم النبى صلى الله عليه وسلم ، فذكر حديثاً فى تأخر الوحى بسبب جرو كلب مات تحت سريره عليه السلام ولم يشعروا به ، فلما أخرجه جاء الوحى ، فنزل قوله تعالى : (والضحى والليل إذا سجى) وهذا غريب والمشهور فى سبب نزولها غير ذلك [والله أعلم] .

ومنهن رزينة ، قال ابن عساكر : والصحيح أنها كانت لصفية بنت حيى ، وكانت تخدم النبى صلى الله عليه وسلم .

قلت : وقد تقدم فى ترجمة ابنتها أمة الله أنه عليه السلام أمهر صفية بنت حيى أمها رزينة ، فعلى هذا يكون أصلها له عليه السلام ، وقال الحافظ أبو يعلى ثنا أبو سعيد الجشمى حدثتنا عليكة بنت الـكميت قالت : سمعت أمى أمينة قالت حدثتنى أمة الله بنت رزينة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبا صفية يوم قريظة والنضير حين فتح الله عليه فجاء يقودها سبية ؛ فلما رأت النساء قالت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . فأرسلها وكان ذراعها فى يده ؛ فأعتقها ثم خطبها وتزوجها وأمهرها رزينة . هكذا وقع فى هذا السياق ؛ وهو أجود مما سبق من رواية ابن أبى عاصم ؛ ولـكن الحق أنه عليه الصلاة والسلام اصطفى صفية من غنائم خيبر ؛ وأنه أعتقها وجعل عتقها صداقها ، وما وقع فى هذه الرواية يوم قريظة والنضير تخبيط ؛ فإنهما يومان بينهما سنتان والله أعلم . وقال الحافظ أبو بكر البيهقى فى الدلائل : أخبرنا ابن عبدان أنبأنا أحمد بن عبيد الصفار ثنا على بن الحسن السكرى ثنا عبيد الله بن عمر القواريرى حدثتنا عليكة بنت الـكميت العتـكية عن أمها أمينة قالت : قلت لأمة الله بنت رزينة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أمة الله أسمعت أمك تذكر أنها سمعت رسول الله يذكر صوم عاشوراء ؟ قالت : نعم كان يعظمه ويدعو برضعائه ورضعاء ابنته فاطمة فيتفل فى أفواههم

ويقول لأمهاتهم : « لا ترضعيهم إلى الليل » له شاهد فى الصحيح .

ومنهن رضوى ، قال ابن الأثير : روى سعيد بن بشير عن قتادة عن رضوى بنت كعب أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحائض تختضب ، فقال : « ما بذلك بأس » رواه أبو موسى المدينى .

ومنهن ريحانة بنت شمعون القرظية ، وقيل : النضرية ، وقد تقدم ذكرها بعد أزواجه رضى الله عنهن .

ومنهن زرينة ، والصحيح رزينة كما تقدم .

ومنهن سائبة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، روت عنه حديثاً فى اللقطة ، وعنها طارق ابن عبد الرحمن روى حديثها أبو موسى المدينى ، هكذا ذكر ابن الأثير فى الغابة .

ومنهن سديسة الأنصارية ، وقيل : مولاة حفصة بنت عمر . روت عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن الشيطان لم يلق عمر منذ أسلم إلا خر لوجهه » قال ابن الأثير : رواه عبد الرحمن بن الفضل بن الموفق عن أبيه عن إسرائيل عن الأوزاعى عن سالم عن سديسة ، ورواه إسحاق بن يسار عن الفضل ، فقال عن سديسة عن حفصة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فذكره ، رواه أبو نعيم وابن منده .

ومنهن سلامة حاضنة إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، روت عنه حديثاً فى فضل الحمل والطلق والرضاع والسهر ، فيه غرابة ونكارة من جهة إسناده ومتنه ، رواه أبو نعيم وابن منده من حديث هشام بن عمار بن نصير خطيب دمشق عن أبيه عمرو بن سعيد الخولانى عن أنس عنها . ذكرها ابن الأثير .

ومنهن سلمى وهى أم رافع امرأة أبى رافع ، كما رواه الواقدى عنها أنها قالت : كنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وخضرة ورضوى وميمونة بنت سعد ، فأعتقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كلنا . قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر وأبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا عبد الرحمن بن أبى الموالى عن فائد مولى ابن أبى رافع عن جدته سلمى خادم النبى صلى الله عليه وسلم قالت : ما سمعت قط أحداً يشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعاً فى رأسه إلا قال « احتجم » وفى رجليه إلا قال : « اخضبهما بالحناء » . وهكذا رواه أبو داود من حديث ابن أبى الموالى والترمذى وابن ماجه من حديث زيد بن الحباب كلاهما عن فائد عن مولاه عبيد الله بن على بن أبى رافع عن جدته سلمى به . وقال الترمذى : غريب إنما نعرفه من حديث فائد . وقد روت عدة أحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم يطول ذكرها واستقصاؤها . قال مصعب الزبيرى : وقد شهدت سلمى وقعة حنين .

قلت : وقد ورد أنها كانت تطبخ للنبى صلى الله عليه وسلم الحريرة[1] فيعجبه ، وقد تأخرت

---

(١) الحريرة : الحساء المطبوخ من الدقيق والدسم والماء .

إلى بعد موته عليه الصلاة والسلام ، وشهدت وفاة فاطمة رضى الله عنها ، وقد كانت أولا لصفية بنت عبد المطلب عمته عليه الصلاة والسلام ، ثم صارت لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وكانت قابلة أولاد فاطمة وهى التى قبلت إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد شهدت غسل فاطمة وغسلتها مع زوجها على بن أبى طالب وأسماء بنت عميس امرأة الصديق . وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر حدثنا إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق عن عبيد الله بن على بن أبى رافع عن أبيه عن سلمى قالت : اشتكت فاطمة عليها السلام شكواها الذى قبضت فيه ، فكنت أمرضها ، فأصبحت يوماً كمثل ما يأتيها فى شكواها ذلك ، قالت : وخرج علىّ لبعض حاجته فقالت : يا أمّه اسكبى لى غُسْلا ، فسكبت لها غسلا فاغتسلت كأحسن ما رأيتها تغتسل ، ثم قالت : يا أمه اعطنى ثيابى الجدد فلبستها ، ثم قالت : يا أمه قدمى لى فراشى وسط البيت ، ففعلت واضطجعت فاستقبلت القبلة وجعلت يدها تحت خدها ، ثم قالت : يا أمه إنى مقبوضة الآن وقد تطهرت فلا يكشفنى أحد ، فقبضت مكانها . قالت : فجاء علىّ فأخبرته وهو غريب جداً .

ومنهن شيرين ، ويقال : سيرين ، أخت مارية القبطية خالة إبراهيم عليه السلام ، وقدمنا أن المقوقس صاحب اسكندرية واسمه جريج بن مينا أهداها مع غلام اسمه مابور وبغلة يقال لها الدلدل فوهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت ، فولدت له ابنه عبد الرحمن بن حسان .

ومنهن عنقودة أم مليح الحبشية جارية عائشة ، كان اسمها عنبة فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم عنقودة . رواه أبو نعيم ، ويقال : اسمها غفيرة .

فروة ظئر النبى صلى الله عليه وسلم ـ يعنى مرضعه ـ قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أويت إلى فراشك فاقرئى (قل يا أيها الكافرون) فإنها براءة من الشرك » ذكرها أبو أحمد العسكرى ، قاله ابن الأثير فى الغابة فأما فضة النوبية فقد ذكر ابن الأثير فى الغابة أنها كانت مولاة لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أورد بإسناد مظلم عن محبوب ابن حميد البصرى عن القاسم بن بهرام عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله تعالى (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا) ثم ذكر ما مضمونه : أن الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعادهما عامة العرب ، فقالوا لعلىّ : لو نذرت ؟ فقال علىّ : إن برآ مما بهما صمت لله ثلاثة أيام ، وقالت فاطمة كذلك ، وقالت فضة كذلك ، فألبسهما الله العافية فصاموا ، وذهب علىّ فاستقرض من شمعون الخيبرى ثلاثة آصع من شعير فهيئوا منه تلك الليلة صاعا فلما وضعوه بين أيديهم للعشاء وقف على الباب سائل فقال : أطعموا المسكين أطعمكم الله على موائد الجنة ، فأمرهم علىّ فأعطوه ذلك الطعام وطووا ، فلما كانت الليلة الثانية صنعوا لهم الصاع الآخر ، فلما وضعوه بين أيديهم وقف سائل فقال : أطعموا اليتيم ، فأعطوه ذلك وطووا ، فلما كانت الليلة الثالثة

قال : أطعموا الأسير فأعطوه وطووا ثلاثة أيام وثلاث ليال فأنزل الله فى حقهم (هل أتى على الإنسان) إلى قوله (لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) وهذا الحديث منكر ، ومن الأئمة من يجعله موضوعا ويسند ذلك إلى ركة ألفاظه ، وأن هذه السورة مكية والحسن والحسين إنما ولدا بالمدينة ، والله أعلم .

ليلى مولاة عائشة ، قالت : يا رسول الله إنك تخرج من الخلاء فأدخل فى أثرك فلم أر شيئاً إلا أنى أجد ريح المسك ؟ فقال : « إنا معشر الأنبياء تنبت أجسادنا على أرواح أهل الجنة ، فما خرج منا من نتن ابتلعته الأرض » . رواه أبو نعيم من حديث أبى عبد الله المدنى - وهو أحد المجاهيل - عنها .

مارية القبطية أم إبراهيم ، تقدم ذكرها مع أمهات المؤمنين . وقد فرق ابن الأثير بينها وبين مارية أم الرباب ، قال : وهى جارية للنبى صلى الله عليه وسلم أيضاً . حديثها عند أهل البصرة رواه عبد الله بن حبيب عن أم سلمى عن أمها عن جدتها مارية قالت : تطأطأت للنبى صلى الله عليه وسلم حتى صعد حائطا ليلة فر من المشركين . ثم قال : ومارية خادم النبى صلى الله عليه وسلم . روى أبو بكر عن ابن عباس عن المثنى بن صالح عن جدته مارية - وكانت خادم النبى صلى الله عليه وسلم - أنها قالت : ما مسست بيدى شيئاً قط ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال أبو عمر بن عبد البر فى الاستيعاب : لا أدرى أهى التى قبلها أم لا .

ومنهن ميمونة بنت سعـــد ، قال الإمام أحمد : حدثنا علىّ بن بحر حدثنا عيسى - هو ابن يونس - حدثنا ثور - هو ابن يزيد - عن زياد بن أبى سودة عن أخيه أن ميمونة مولاة النبى صلى الله عليه وسلم قالت: يا رسول الله أفتنا فى بيت المقدس؟ قال :« أرض المنشر والمحشر ، إئتوه فصلوا فيه ، فإن صلاة فيه كألف صلاة » قالت : أرأيت من لم يطق أن يتحمل إليه أو يأتيه ؟ قال : « فليهد إليه زيتا يسرج فيه ، فإنه من أهدى له كان كمن صلى فيه » وهكذا رواه ابن ماجه عن إسماعيل بن عبد الله الرقى عن عيسى بن يونس عن ثور عن زياد عن أخيه عثمان بن أبى سودة عن ميمونة مولاة النبى صلى الله عليه وسلم . وقد رواه أبو داود عن الفضل بن مسكين بن بكير عن سعيد بن عبد العزيز عن ثور عن زياد عن ميمونة لم يذكر أخاه فالله أعلم . وقال أحمد: حدثنا حسين وأبو نعيم قالا : حدثنا إسرائيل عن زيد بن جبير عن أبى يزيد الضبى عن ميمونة بنت سعد مولاة النبى صلى الله عليه وسلم قالت : سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن ولد الزنا ، قال : « لا خير فيه ، نعلان أجاهد بهما فى سبيل الله أحب إلىّ من أن أعتق ولد الزنا » وهكذا رواه النسائى عن عباس الدورى وابن ماجه من حديث أبى بكر بن أبى شيبة كلاهما عن أبى نعيم الفضل بن دكين به . وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى ثنا أبو بكر بن أبى شيبة ثنا المحاربى ثنا موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد عن ميمونة - وكانت تخدم النبى صلى الله عليه وسلم - قالت : قال رسول الله : « الرافلة فى الزينة فى غير أهلها ، كالظلمة يوم القيامة لا نور لها » ورواه الترمذى من حديث موسى ابن عبيدة وقال : لا نعرفه إلا من حديثه وهو يضعفه فى الحديث . وقد رواه بعضهم عنه فلم يرفعه .

ومنهن ميمونة بنت أبى عنيسة أو عنبسة ، قاله أبو عمرو بن منده قال أبو نعيم: وهو تصحيف والصواب ميمونة بنت أبى عسيب ، كذلك روى حديثها المنجم بن مصعب أبو عبد الله العبدى عن ربيعة بنت مرثد وكانت تنزل فى بنى قريع عن منبه عن ميمونة بنت أبى عسيب ، وقيل بنت أبى عنبسة مولاة النبى صلى الله عليه وسلم أن امرأة من حُرَيش أتت النبى صلى الله عليه وسلم ، فنادت : يا عائشة أغيثينى بدعوة من رسول الله تسكنينى بها وتطمئنينى بها ، وأنه قال لها : «ضعى يدك اليمنى على فؤادك فامسحيه ، وقولى بسم الله داونى بدوائك ، واشفنى بشفائك ، وأغننى بفضلك عمن سواك » قالت ربيعة فدعوت به فوجدته جيداً .

ومنهن أم ضميرة زوج أبى ضميرة ، قد تقدم الكلام عليهم رضى الله عنهم .

ومنهن أم عياش بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ابنته تخدمها حين زوجها عثمان بن عفان قال أبو القاسم البغوى حدثنا عكرمة ثنا عبد الواحد بن صفوان حدثنى أبى صفوان عن أبيه عن جدته أم عياش — وكانت خادم النبى صلى الله عليه وسلم — بعث بها مع ابنته إلى عثمان ، قالت كنت أمغث[1] لعثمان التمر غدوة فيشربه عشية ، وأنبذه عشية فيشربه غدوة ، فسألنى ذات يوم فقال : تخلطين فيه شيئاً ؟ فقلت : أجل ، قال : فلا تعودى . فهؤلاء إماؤه رضى الله عنهن ، وقد قال الإمام أحمد حدثنا وكيع ثنا القاسم بن الفضل حدثنى ثمامة بن حزن قال : سألت عائشة عن النبيذ فقالت : هذه خادم رسول الله فسلها ، لجارية حبشية ، فقالت : كنت أنبذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى سقاء عشاء فأوكيه ، فإذا أصبح شرب منه . ورواه مسلم والنسائى من حديث القاسم بن الفضل به . هكذا ذكره أصحاب الأطراف فى مسند عائشة ، والأليق ذكره فى مسند جارية حبشية كانت تخدم النبى ، وهى إما أن تكون واحدة ممن قدمنا ذكرهن ، أو زائدة عليهن ، والله تعالى أعلم .

﴿ فصـــل ﴾

﴿ وأما خدامه عليه الصلاة والسلام ورضى الله عنهم الذين خدموه من الصحابة ﴾
﴿ من غير مواليه ؛ فمنهم أنس بن مالك ﴾

أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار الأنصارى النجارى أبو حمزة المدنى نزيل البصرة ، خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة مقامه بالمدينة عشر سنين ، فما عاتبه على شىء أبداً ، ولا قال لشىء فعله لم فعلته ، ولا لشىء لم يفعله ألا فعلته ، وأمه أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام هى التى أعطته رسول الله

---

(١) المغث : المرث والدلك .

صلى الله عليه وسلم فقبله ، وسألته أن يدعو له ، فقال : « اللهم أكثر ماله وولده ، وأطل عمره ، وأدخله الجنة » قال أنس : فقد رأيت اثنتين وأنا أنتظر الثالثة ، والله إن مالى لكثير ، وإن ولدى وولد ولدى ليتعادون على نحو من مائة ؛ وفى رواية : وإن كرمى ليحمل فى السنة مرتين وإن ولدى لصلبى مائة وستة أولاد. وقد اختلف فى شهوده بدراً ، وقد روى الأنصارى عن أبيه عن ثمامة قال : قيل لأنس أشهدت بدراً ؟ فقال : وأين أغيب عن بدر لا أم لك ! والمشهور أنه لم يشهد بدراً لصغره ، ولم يشهد أحداً أيضاً لذلك . وشهد الحديبية وخيبر وعمرة القضاء والفتح وحنيناً والطائف وما بعد ذلك ، قال أبو هريرة : ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من ابن أم سليم — يعنى أنس بن مالك — وقال ابن سيرين : كان أحسن الناس صلاة فى سفره وحضره ، وكانت وفاته بالبصرة وهو آخر من كان قد بقى فيها من الصحابة فيما قاله على بن المدينى ، وذلك فى سنة تسعين ، وقيل إحدى وقيل اثنتين وقيل ثلاث وتسعين وهو الأشهر ، وعليه الأكثر . وأما عمره يوم مات فقد روى الإمام أحمد فى مسنده حدثنا معتمر بن سليمان عن حميد أن أنساً عمر مائة سنة غير سنة ، وأقل ما قيل ست وتسعون ، وأكثر ما قيل مائة وسبع سنين ، وقيل ست ، وقيل مائة وثلاث سنين فالله أعلم .

ومنهم رضى الله عنهم الأسلع بن شريك بن عوف الأعرجى . قال محمد بن سعد : كان اسمه ميمون بن سنباذ قال الربيع بن بدر الأعرجى عن أبيه عن جده عن الأسلع قال : كنت أخدم النبى صلى الله عليه وسلم وأرحل معه ، فقال ذات ليلة : « يا أسلع قم فأرحل » قال : أصابتنى جنابة يا رسول الله ، قال : فسكت ساعة وأتاه جبريل بآية الصعيد [فقال : قم يا أسلع فتيمم] ، قال : فتمسحت وصليت ، فلما انتهيت إلى الماء قال : «قم يا أسلع فاغتسل» قال : فأرانى التيمم فضرب رسول الله بيديه إلى الأرض ثم نفضهما ، ثم مسح بهما وجهه ، ثم ضرب بيديه الأرض ثم نفضهما فسح بهما ذراعيه ، باليمنى على اليسرى وباليسرى على اليمنى ظاهرها وباطنهما . قال الربيع : وأرانى أبى كما أراه أبوه كما أراه الأسلع كما أراه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال الربيع : فحدثت بهذا الحديث عوف بن أبى جميلة فقال : هكذا والله رأيت الحسن يصنع . رواه ابن منده والبغوى فى كتابيهما معجم الصحابة من حديث الربيع بن بدر هذا ، قال البغوى : ولا أعلمه روى غيره . قال ابن عساكر : وقد روى — يعنى هذا الحديث — الهيثم بن رزيق المالكى المدلجى عن أبيه عن الأسلع بن شريك .

ومنهم رضى الله عنهم أسماء بن حارثة بن سعد بن عبد الله بن عباد بن سعد بن عمرو بن عامر ابن ثعلبة بن مالك بن أقصى الأسلمى ، وكان من أهل الصفة ، قاله محمد بن سعد ، وهو أخو هند ابن حارثة وكانا يخدمان النبى صلى الله عليه وسلم . قال الإمام أحمد حدثنا عفان ثنا وهيب ثنا عبد الرحمن بن حرملة عن يحيى بن هند بن حارثة وكان هند من أصحاب الحديبية ، وكان أخوه

الذى بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر قومه بالصيام يوم عاشوراء ، وهو أسماء بن حارثة فحدثنى يحيى بن هند عن أسماء بن حارثة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه فقال : « مر قومك بصيام هذا اليوم » . قال : أرأيت إن وجدتهم قد طعموا ؟ قال : « فليتموا آخر يومهم » . وقد رواه أحمد بن خالد الذهبى عن محمد بن إسحاق حدثنى عبد الله بن أبى بكر عن حبيب بن هند ابن أسماء الأسلمى عن أبيه هند قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قوم من أسلم فقال « مر قومك فليصوموا هذا اليوم ، ومن وجدت منهم أكل فى أول يومه فليصم آخره » . قال محمد بن سعد عن الواقدى : أنبأنا محمد بن نعيم بن عبد الله المجمر عن أبيه قال : سمعت أبا هريرة يقول : ما كنت أظن هنداً وأسماء ابنى حارثة إلا مملوكين لرسول الله [صلى الله عليه وسلم . قال الواقدى : كانا يخدمانه لا يبرحان بابه هما وأنس بن مالك] قال محمد بن سعد : وقد توفى أسماء بن حارثة فى سنة ست وستين بالبصرة عن ثمانين سنة .

ومنهم بكير بن الشداخ الليثى . ذكر ابن منده من طريق أبى بكر الهذلى عن عبد الملك بن يعلى الليثى أن بكير بن شداخ الليثى كان يخدم النبى صلى الله عليه وسلم فاحتلم فأعلم بذلك رسول الله وقال : إنى كنت أدخل على أهلك وقد احتلمت الآن يا رسول الله ، فقال : « اللهم صدق قوله ولقه الظفر » فلما كان فى زمان عمر قتل رجل من اليهود ، فقام عمر خطيباً فقال : أنشد الله رجلا عنده من ذلك علم ؟ فقام بكير فقال : أنا قتلته يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : بؤت بدمه فأين المخرج ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إن رجلا من الغزاة استخلفنى على أهله ، فجئت فإذا هذا اليهودى عند مرأته وهو يقول :

وأشعث غره الإسلام منى   خلوت بعرسه ليل التمام

أبيت على ترائبها ويمسى   على جرد الأعنة والحزام

كأن مجامع الربلات منها   فئام ينهضون إلى فئام

قال : فصدق عمر قوله وأبطل دم اليهودى بدعاء رسول الله لبكير بما تقدم .

ومنهم رضى الله عنهم بلال بن رباح الحبشى . ولد بمكة وكان مولى لأمية بن خلف ، فاشتراه أبو بكر منه بمال جزيل لأن أمية كان يعذبه عذابا شديداً ليرتد عن الإسلام فيأبى إلا الإسلام رضى الله عنه ، فلما اشتراه أبو بكر أعتقه ابتغاء وجه الله ، وهاجر حين هاجر الناس ، وشهد بدراً وأحداً وما بعدهما من المشاهد رضى الله عنه . وكان يعرف ببلال بن حمامة وهى أمه وكان من أفصح الناس لا كما يعتقده بعض الناس أن سينه كانت شينا ، حتى أن بعض الناس يروى حديثاً فى ذلك لا أصل له عن رسول الله أنه قال : إن سين بلال شينا ، وهو أحد المؤذنين الأربعة كما سيأتى ، وهو أول من أذن كما قدمنا . وكان يلى أمر النفقة على العيال ، ومعه حاصل ما يكون من المال ، ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيمن خرج إلى الشام للغزو ويقال إنه أقام يؤذن لأبى بكر أيام خلافته ،

سبحان رب العالمين الهوىّ » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل لك حاجة ؟ » قلت : يا رسول الله مرافقتك فى الجنة ، قال : « فأعنى على نفسك بكثرة السجود » . وقال الإمام أحمد: والأول أصح وأشهر . قال الواقدى : مات بدمشق سنة عشرين وله بضع وستون سنة . وقال الفلاس : قبره بدمشق ، ويقال : بداريا ، وقيل : إنه مات بحلب ، والصحيح أن الذى مات بحلب أخوه خالد . قال مكحول : حدثنى من رأى بلال قال : كان شديد الأدمة نحيفاً أجنأ[1] له شعر كثير ، وكان لا يغير شيبه رضى الله عنه .

ومنهم رضى الله عنهم حبة وسواء ابنا خالد رضى الله عنهما . قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية قال : حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن سلام بن شرحبيل عن حبة وسواء ابنا خالد قالا : دخلنا على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يصلح شيئاً فأعناه ، فقال : « لا تيأسا من الرزق ما تهزهزت رؤوسكما ، فإن الإنسان تلده أمه أحيمر ليس عليه قشرة ، ثم يرزقه الله عز وجل » .

ومنهم رضى الله عنهم ذو مخمر ، ويقال : ذو مخبر ؛ وهو ابن أخى النجاشى ملك الحبشة ، ويقال : ابن أخته . والصحيح الأول . كان بعثه ليخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نيابة عنه . قال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر حدثنا جرير عن يزيد بن صليح عن ذى مُخمر — وكان رجلا من الحبشة يخدم النبى صلى الله عليه وسلم — قال : كنا معه فى سفر فأسرع السير حتى انصرف ، وكان يفعل ذلك لقلة الزاد ، فقال له قائل : يا رسول الله قد انقطع الناس . قال : فجلس وحبس الناس معه حتى تكاملوا إليه ، فقال لهم : « هل لكم أن نهجع هجعة ؟ » [أو قال له قائل] فنزل ونزلوا فقالوا : من يكلؤنا الليلة ؟ فقلت : أنا جعلنى الله فداك ، فأعطانى خطام ناقته ، فقال : « هاك لا تكونن لكعا » قال : فأخذت بخطام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطام ناقتى ، فتنحيت غير بعيد فخليت سبيلهما ترعيان ، فإنى كذلك أنظر إليهما إذ أخذنى النوم ، فلم أشعر بشىء حتى وجدت حرّ الشمس على وجهى ، فاستيقظت فنظرت يميناً وشمالا فإذا أنا بالراحلتين منى غير بعيد ، فأخذت بخطام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخطام ناقتى ، فأتيت أدنى القوم فأيقظته فقلت : أصليت ؟ قال : لا ، فأيقظ الناس بعضهم بعضا حتى استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « يا بلال هل فى الميضاء ماء ؟ » يعنى الإداوة ، فقال : نعم جعلنى الله فداك ، فأتاه بوضوء لم يُلت منه التراب ، فأمر بلالا فأذن ثم قام النبى صلى الله عليه وسلم فصلى الركعتين قبل الصبح وهو غير عجل ، ثم أمره فأقام الصلاة فصلى وهو غير عجل ، فقال له قائل : يا رسول الله أفرطنا ؟ قال : « لا ، قبض الله أرواحنا وردها إلينا ، وقد صلينا » .

ومنهم رضى الله عنهم ربيعة بن كعب الأسلمى أبو فراس . قال الأوزاعى : حدثنى يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن ربيعة بن كعب ، قال : كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فآتيه بوضوئه وحاجته ، فكان يقوم من الليل فيقول : « سبحان ربى وبحمده الهوىّ

---

(١) جنأ على الشىء إذا أكب عليه ومال يريد أنه منحن .

حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبي حدثنا محمد بن إسحاق حدثني محمد بن عمرو بن عطاء عن نعيم بن محمد عن ربيعة بن كعب ، قال : كنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نهارى أجمع ، حتى يصلى عشاء الآخرة فأجلس ببابه إذا دخل بيته أقول لعلها أن تحدث لرسول الله حاجة ، فما أزال أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « سبحان الله وبحمده » حتى أمل فأرجع ، أو تغلبني عيناى فأرقد ، فقال لى يوماً — لما يرى من حقي له وخدمتي إياه — : « يا ربيعة بن كعب سلني أعطك » ؟ قال : فقلت : أنظر في أمرى يا رسول الله ثم أعلمك ذلك ، قال : ففكرت في نفسي فعرفت أن الدنيا منقطعة وزائلة ، وأن لى فيها رزقاً سيكفيني ويأتيني ، قال : فقلت : أسأل رسول الله لآخرتي فإنه من الله بالمنزل الذي هو به ، قال : فجئته فقال : « ما فعلت يا ربيعة ؟ » قال : فقلت : نعم يا رسول الله أسألك أن تشفع لى إلى ربك فيعتقني من النار ، قال : فقال : « من أمرك بهذا يا ربيعة ؟ » قال : فقلت : لا والذي بعثك بالحق ما أمرني به أحد ، ولكنك لما قلت سلني أعطك وكنت من الله بالمنزل الذي أنت به نظرت في أمرى ، فعرفت أن الدنيا منقطعة وزائلة ، وأن لى فيها رزقاً سيأتيني ، فقلت أسأل رسول الله لآخرتي ، قال : فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا ثم قال لى : « إني فاعل فأعني على نفسك بكثرة السجود » . وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا أبو خيثمة أنبأنا يزيد بن هارون حدثنا مبارك ابن فضالة حدثنا أبو عمران الجوني عن ربيعة الأسلمي — وكان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم — قال : فقال لى ذات يوم : « يا ربيعة ألا تزوج ؟ » قال : قلت : يا رسول الله ما أحب أن يشغلني عن خدمتك شيء ، وما عندى ما أعطى المرأة ، قال : فقلت بعد ذلك : رسول الله أعلم بما عندى مني يدعوني إلى التزويج ، لئن دعاني هذه المرة لأجيبنه ، قال : فقال لى : « يا ربيعة ألا تزوج ؟ » فقلت : يا رسول الله ومن يزوجني ؟ ما عندى ما أعطى المرأة ، فقال لى : انطلق إلى بني فلان فقل لهم إن رسول الله يأمركم أن تزوجوني فتاتكم فلانة ، قال : فأتيتهم فقلت : إن رسول الله أرسلني إليكم لتزوجوني فتاتكم فلانة ، قالوا : فلانة ؟ قال : نعم ، قالوا : مرحباً برسول الله ومرحباً برسوله ، فزوجوني ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله أتيتك من خير أهل بيت صدقوني وزوجوني ، فمن أين لى ما أعطى صداقى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبريدة الأسلمي : « اجمعوا لربيعة في صداقه وزن نواة من ذهب » فجمعوها فأعطوني ، فأتيتهم فقبلوها ، فأتيت رسول الله فقلت يا رسول الله قد قبلوا فمن أين لى ما أولم ؟ قال : فقال رسول الله لبريدة : « اجمعوا لربيعة في ثمن كبش » قال : فجمعوا وقال لى : « انطلق إلى عائشة فقل لها فلتدفع إليك ما عندها من الشعير » قال : فأتيتها فدفعت إلى ، فانطلقت بالكبش والشعير ، فقالوا : أما الشعير فنحن نكفيك ، وأما الكبش فمر أصحابك فليذبحوه ، وعملوا الشعير فأصبح والله عندنا خبز ولحم ، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطع أبا بكر أرضاً له فاختلفنا في عذق ، فقلت : هو في أرضي ، وقال أبو بكر : هو في أرضي ، فتنازعنا ،

فقال لى أبو بكر كلمة كرهتها ، فندم فأحضرنى فقال لى : قل لى كما قلت ، قال : فقلت : لا والله لا أقول لك كما قلت لى ، قال : إذا آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبعته ، فجاءنى قومى يتبعوننى فقالوا : هو الذى قال لك وهو يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيشكو ؟ قال : فالتفت إليهم فقلت : تدرون من هذا ؟ هذا الصديق وذو شيبة المسلمين ، ارجعوا لا يلتفت فيراكم فيظن أنكم إنما جئتم لتعينونى عليه فيغضب ، فيأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره فيهلك ربيعة ، قال : فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنى قلت لربيعة كلمة كرهتها ، فقلت له يقول لى مثل ما قلت له فأبى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا ربيعة ومالك وللصديق ؟ » قال : فقلت : يا رسول الله والله لا أقول له كما قال لى ، فقال رسول الله : «لا تقل له كما قال لك ، ولكن قل غفر الله لك يا أبا بكر » .

ومنهم رضى الله عنهم سعد مولى أبى بكر رضى الله عنه ، ويقال مولى النبى صلى الله عليه وسلم . قال أبو داود الطيالسى : حدثنا أبو عامر عن الحسن عن سعد مولى أبى بكر الصديق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر — وكان سعد مملوكا لأبى بكر ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه خدمته — : « أعتق سعداً » فقال : يا رسول الله ما لنا خادم هاهنا غيره ، فقال : « أعتق سعداً أتتك الرجال أتتك الرجال » . وهكذا رواه أحمد عن أبى داود الطيالسى . وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا أبو عامر عن الحسن عن سعد ، قال : قربت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم تمرا ، فجعلوا يقرنون فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القران . ورواه ابن ماجه عن بندار عن أبى داود به .

ومنهم رضى الله عنهم عبد الله بن رواحة ، دخل يوم عمرة القضاء مكة ، وهو يقود بناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول :

خلوا بنى الكفار عن سبيله   اليوم نضربكم على تأويله
كما ضربناكم على تنزيله   ضرباً يزيل الهام عن مقيله
* ويذهل الخليل عن خليله *

كما قدمنا ذلك بطوله . وقد قتل عبد الله بن رواحة بعد هذا بأشهر فى يوم مؤتة كما تقدم أيضاً .

ومنهم رضى الله عنهم عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ أبو عبد الرحمن الهذلى ، أحد أئمة الصحابة هاجر الهجرتين وشهد بدراً وما بعدها ، كان يلى حمل نعلى النبى صلى الله عليه وسلم ، ويلى طهوره ، ويرحل دابته إذا أراد الركوب ، وكانت له اليد الطولى فى تفسير كلام الله ، وله العلم الجم والفضل والحلم . وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه — وقد جعلوا يعجبون من دقة ساقيه — فقال : « والذى نفسى بيده لهما فى الميزان أثقل من أحد » . وقال عمر بن الخطاب فى ابن مسعود : هو كنيف ملىء علماً . وذكروا أنه [كان] نحيف الخلق حسن الخلق ، يقال : إنه كان إذا مشى يسامت الجلوس

وكان يُشَبَّه بالنبى صلى الله عليه وسلم فى هَدْيه ودَلِّه وسَمْته ، يعنى أنه يشبه بالنبى صلى الله عليه وسلم فى حركاته وسكناته وكلامه ويتشبه بما استطاع من عبادته . توفى رضى الله عنه فى أيام عثمان سنة اثنتين — أو ثلاث — وثلاثين بالمدينة عن ثلاث وستين سنة ، وقيل : إنه توفى بالكوفة والأول أصح .

ومنهم رضى الله عنهم عقبة بن عامر الجهنى قال الإمام أحمد : حدثنا الوليد بن مسلم ثنا ابن جابر عن القاسم أبى عبد الرحمن عن عقبة بن عامر قال : بينا أقود برسول الله صلى الله عليه وسلم فى نقب من تلك النقاب ، إذ قال لى : « يا عقبة ألا تركب ؟ » قال : فأشفقت أن تكون معصية ، قال : فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وركبت هنيهة ، ثم ركب ثم قال : « يا عقب ألا أعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس ؟ » قلت : بلى يا رسول الله ، فأقرأنى (قل أعوذ برب الفلق) و (قل أعوذ برب الناس) ، ثم أقيمت الصلاة فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ بهما ، ثم مر بى فقال : « اقرأ بهما كلما نمت وكلما قمت » . وهكذا رواه النسائى من حديث الوليد بن مسلم وعبد الله بن المبارك عن ابن جابر ، ورواه أبو داود والنسائى أيضاً من حديث ابن وهب عن معاوية بن صالح عن العلاء بن الحارث عن القاسم أبى عبد الرحمن عن عقبة به .

ومنهم رضى الله عنهم قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى الخزرجى . روى البخارى عن أنس قال : كان قيس بن سعد بن عبادة من النبى صلى الله عليه وسلم بمنزلة صاحب الشرط من الأمير وقد كان قيس هذا رضى الله عنه من أطول الرجال ، وكان كوسجاً ويقال إن سراويله كان يضعه على أنفه من يكون من أطول الرجال فتصل رجلاه الأرض ، وقد بعث سراويله معاوية إلى ملك الروم يقول له : هل عندكم رجل تجىء هذه السراويل على طوله ؟ فتعجب صاحب الروم من ذلك ، وذكروا أنه كان كريماً ممدحاً ذا رأى ودهاء ، وكان مع على بن أبى طالب أيام صفين وقال مسعر عن معبد بن خالد : كان قيس بن سعد لا يزال رافعاً[1] إصبعه المسبحة يدعو رضى الله عنه وأرضاه . وقال الواقدى وخليفة بن خياط وغيرهما توفى بالمدينة فى آخر أيام معاوية . وقال الحافظ أبو بكر البزار ثنا عمر بن الخطاب السجستانى ثنا على بن يزيد الحنفى ثنا سعيد بن الصلت عن الأعمش عن أبى سفيان عن أنس قال : كان عشرون شاباً من الأنصار يلزمون رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوائجه ، فإذا أراد أمراً بعثهم فيه .

ومنهم رضى الله عنهم المغيرة بن شعبة الثقفى رضى الله عنه . كان بمنزلة السلحدار بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما كان رافعاً السيف فى يده وهو واقف على رأس النبى صلى الله عليه وسلم فى الخيمة يوم الحديبية ، فجعل كلما أهوى عمه عروة بن مسعود الثقفى حين قدم فى الرسيلة إلى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم — على ما جرت به عادة العرب فى مخاطباتها —

(١) الكوسج : الناقص الأسنان .

يقرع يده بقائمة السيف ويقول : أخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن لا تصل إليك ، الحديث كما قدمناه . قال محمد بن سعد وغيره : شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وولاه مع أبي سفيان الإمرة حين ذهبا يخربا طاغوت أهل الطائف ، وهي المدعوة بالربة ، وهي اللات ؛ وكان داهية من دهاة العرب ، قال الشعبي : سمعته يقول : ما غلبني أحد قط . وقال الشعبي سمعت قبيصة بن جابر يقول : صحبت المغيرة بن شعبة فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا بمكر لخرج من أبوابها . وقال الشعبي : القضاة أربعة أبو بكر وعمر وابن مسعود وأبو موسى ، والدهاة أربعة ، معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة وزياد . وقال الزهري : الدهاة خمسة ، معاوية وعمرو والمغيرة ، واثنان مع علي وهما قيس بن سعد بن عبادة وعبد الله بن بديل بن ورقاء . وقال الإمام مالك كان المغيرة بن شعبة رجلا نكاحا للنساء ، وكان يقول : صاحب الواحدة إن حاضت حاض معها وإن مرضت مرض معها ، وصاحب الثنتين بين نارين يشتعلان ، قال : فكان ينكح أربعاً ويطلقهن جميعاً . وقال غيره : تزوج ثمانين امرأة ، وقيل ثلاث مائة امرأة ، وقيل أحصن ألف امرأة . وقد اختلف في وفاته على أقوال ، أشهرها وأصحها وهو الذي حكى عليه الخطيب البغدادي الإجماع أنه توفي سنة خمسين .

ومنهم رضي الله عنهم المقداد بن الأسود أبو معبد الكندي حليف بني زهرة . قال الإمام أحمد حدثنا عفان ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن المقداد بن الأسود قال : قدمت المدينة أنا وصاحبان لي فتعرضنا للناس فلم يضفنا أحد ، فأتينا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكرنا له ، فذهب بنا إلى منزله وعنده أربعة أعنز ، فقال : « احلبهن يا مقداد ، وجزئهن أربعة أجزاء ، وأعط كل إنسان جزءاً » فكنت أفعل ذلك ، فرفعت للنبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ، فاحتبس واضطجعت على فراشي فقالت لي نفسي إن النبي صلى الله عليه وسلم قد أتى أهل بيت من الأنصار ، فلو قمت فشربت هذه الشربة فلم تزل بي حتى قمت فشربت جزاءه ، فلما دخل في بطني ومعائي أخذني ما قدم وما حدث ، فقلت يجيء الآن رسول الله صلى الله عليه وسلم جائعاً ظمآناً فلا يرى في القدح شيئاً ، فسجيت ثوباً على وجهي ، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم تسليمة تسمع اليقظان ولا توقظ النائم ، فكشف عنه فلم ير شيئاً ، فرفع رأسه إلى السماء فقال : « اللهم اسق من سقاني ، وأطعم من أطعمني » فاغتنمت دعوته وقمت فأخذت الشفرة فدنوت إلى الأعنز فجعلت أجسهن أيتهن أسمن لأذبحها ، فوقعت يدي على ضرع إحداهن فإذا هي حافل ، ونظرت إلى الأخرى فإذا هي حافل ، فنظرت فإذا هن كلهن حفل ، فحلبت في الإناء فأتيته به فقلت اشرب ، فقال « ما الخبر يا مقداد ؟ » فقلت اشرب ثم الخبر ، فقال « بعض سوآتك يا مقداد » فشرب ثم قال « اشرب » فقلت اشرب يا نبي الله ، فشرب حتى تضلع ثم أخذته فشربته ، ثم أخبرته الخبر فقال النبي صلى الله عليه وسلم « هيه » فقلت كان

كذا وكذا ، فقال النبى الله صلى الله عليه وسلم « هذه بركة منزلة من السماء ، أفلا أخبرتنى حتى أسقى صاحبيك ؟ فقلت : إذا شربت البركة أنا وأنت فلا أبالى من أخطأت . وقد رواه الإمام أحمد أيضاً عن أبى النضر عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن المقداد فذكر ما تقدم ، وفيه : أنه حلب فى الإناء الذى كانوا لا يطمعون أن يحلبوا فيه ، فحلب حتى علته الرغوة ، ولما جاء به قال له رسول الله « أما شربتم شرابكم الليلة يا مقداد ؟ » ، فقلت اشرب يا رسول الله ، فشرب ثم ناولنى فقلت : اشرب يا رسول الله ، فشرب ثم ناولنى فأخذت ما بقى ثم شربت ، فلما عرفت أن رسول الله قد روى فأصابتنى دعوته ضحكت حتى ألقيت إلى الأرض ، فقال رسول الله : « إحدى سوآتك يا مقداد » فقلت : يا رسول الله كان من أمرى كذا وكذا ، صنعت كذا ، فقال : « ما كانت هذه إلا رحمة الله ، ألا كنت أذنتنى توقظ صاحبيك هذين فيصيبان منها ؟ » قال : قلت والذى بعثك بالحق ما أبالى إذا أصبتها وأصبتها معك من أصابها من الناس وقد رواه مسلم والترمذى والنسائى من حديث سليمان بن المغيرة به.

ومنهم رضى الله عنهم مهاجر مولى أم سلمة . قال الطبرانى حدثنا أبو الزنباع روح بن الفرج ثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثنى ابراهيم بن عبد الله سمعت بكيراً يقول سمعت مهاجراً مولى أم سلمة قال : خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم سنين فلم يقل لى لشىء صنعته لم صنعته ، ولا لشىء تركته لم تركته . وفى رواية خدمته عشر سنين أو خمس سنين .

ومنهم رضى الله عنهم أبو السمح . قال أبو العباس محمد بن إسحاق الثقفى ثنا مجاهد بن موسى ثنا عبد الرحمن بن مهدى ثنا يحيى بن الوليد حدثنى مُحل بن خليفة حدثنى أبو السمح قال : كنت أخدم رسول الله ، قال : كان إذا أراد أن يغتسل قال : ناولنى إداوتى ، قال : فأناوله وأستره ، فأتى بحسن أو حسين فبال على صدره ، فجئت لأغسله فقال : « يغسل من بول الجارية ، ويرش من بول الغلام » وهكذا رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه عن مجاهد بن موسى .

ومنهم رضى الله عنهم أفضل الصحابة على الإطلاق أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، تولى خدمته بنفسه فى سفرة الهجرة لا سيما فى الغار وبعد خروجهم منه حتى وصلوا إلى المدينة كما تقدم ذلك مبسوطاً ولله الحمد والمنة .

﴿ فصل ﴾

﴿ وأما كتّاب الوحى وغيره بين يديه صلوات الله وسلامه عليه ﴾
﴿ ورضى عنهم أجمعين ﴾

فنهم الخلفاء الأربعة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهم ،

وسيأتي ترجمة كل واحد منهم في أيام خلافته ، إن شاء الله وبه الثقة .

ومنهم رضي الله عنهم أبان بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي الأموي . أسلم بعد أخويه خالد وعمرو ، وكان إسلامه بعد الحديبية لأنه هو الذي أجار عثمان حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة يوم الحديبية ، وقيل خيبر لأن له ذكر في الصحيح من حديث أبي هريرة في قسمة غنائم خيبر ، وكان سبب إسلامه أنه اجتمع براهب وهو في تجارة بالشام فذكر له أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الراهب : ما اسمه ؟ قال : محمد ، قال : فأنا أنعته لك ، فوصفه بصفته سواء وقال : إذا رجعت إلى أهلك فاقرئه السلام ، فأسلم بعد مرجعه وهو أخو عمرو بن سعيد الأشدق الذي قتله عبد الملك بن مروان ، قال أبو بكر بن أبي شيبة : كان أول من كتب الوحي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيّ بن كعب ، فإذا لم يحضر كتب زيد بن ثابت ، وكتب له عثمان وخالد بن سعيد وأبان بن سعيد هكذا قال - يعني بالمدينة - وإلا فالسور المكية لم يكن أبيّ بن كعب حال نزولها . وقد كتبها الصحابة بمكة رضي الله عنهم وقد اختلف في وفاة أبان بن سعيد هذا فقال موسى بن عقبة ومصعب بن الزبير والزبير بن بكار وأكثر أهل النسب قتل يوم أجنادين . يعني في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة : وقال آخرون: قتل يوم مرج الصفر سنة أربع عشرة ، وقال محمد بن إسحاق : قتل هو وأخوه عمرو يوم اليرموك لخمس مضين من رجب سنة خمس عشرة ، وقيل : إنه تأخر إلى أيام عثمان وإنه أمره عثمان يملي المصحف الإمام على زيد بن ثابت ثم توفي سنة تسع وعشرين فالله أعلم .

ومنهم أبيّ بن كعب بن قيس بن عبيد الخزرجي الأنصاري ، أبو المنذر ، ويقال أبو الطفيل سيد القراء ، شهد العقبة الثانية وبدراً وما بعدها ، وكان ربعة نحيفاً أبيض الرأس واللحية لا يغير شيبه ، قال أنس : جمع القرآن أربعة - يعني من الأنصار - أبيّ بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، ورجل من الأنصار يقال له أبو يزيد ، أخرجاه . وفي الصحيحين عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبيّ : « إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن » قال : وسماني لك يا رسول الله؟ قال « نعم » قال: فذرفت عيناه ومعنى أن أقرأ عليك القرآن قراءة إبلاغ وإسماع لا قراءة تعلم منه ، وهذا لا يفهمه أحد من أهل العلم ، وإنما نبهنا على هذا لئلا يعتقد خلافه . وقد ذكرنا في موضع آخر سبب القراءة عليه وأنه قرأ عليه سورة : (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة ، رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة) وذلك أن أبيّ بن كعب كان قد أنكر على رجل قراءة سورة على خلاف ما كان يقرأ أبيّ ، فرفعه أبيّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « اقرأ يا أبيّ » فقرأ فقال: « هكذا أنزلت » ثم قال لذلك الرجل « اقرأ » فقرأ فقال « هكذا أنزلت » قال أبيّ : فأخذني من الشك ولا إذ كنت في الجاهلية ، قال : فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدري ففضضت

عرقا وكأنما أنظر إلى الله فرقا ، فبعد ذلك تلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه السورة كالتثبيت له والبيان له أن هذا القرآن حق وصدق ، وأنه أنزل على أحرف كثيرة رحمة ولطفاً بالعباد . وقال ابن أبي خيثمة : هو أول من كتب الوحي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اختلف في وفاته فقيل في سنة تسع عشرة ، وقيل سنة عشرين ، وقيل ثلاث وعشرين ، وقيل قبل مقتل عثمان بجمعة فالله أعلم .

ومنهم رضي الله عنهم أرقم بن أبي الأرقم ، واسمه عبد مناف بن أسد بن جندب بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم المخزومي . أسلم قديماً ، وهو الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفياً في داره عند الصفا وتعرف تلك الدار بعد ذلك بالخيزران ، وهاجر وشهد بدراً وما بعدها ، وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبد الله بن أنيس وهو الذي كتب أقطاع عظيم ابن الحارث الحاربي بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بفخ وغيره ، وذلك فيما رواه الحافظ ابن عساكر من طريق عتيق بن يعقوب الزبيري حدثني عبد الملك بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده عمرو بن حزم ، وقد توفي في سنة ثلاث وقيل خمس وخمسين وله خمس وثمانون سنة ، وقد روى الإمام أحمد له حديثين ، الأول قال أحمد والحسن بن عرفة — واللفظ لأحمد — حدثنا عباد بن عباد المهلبي عن هشام بن زياد عن عمار بن سعد عن عثمان بن أرقم بن أبي الأرقم عن أبيه — وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الذي يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة ويفرق بين الاثنين بعد خروج الإمام كالجار قُصْبَه في النار » ، والثاني : قال أحمد حدثنا عصام بن خالد ثنا العطاف بن خالد ثنا يحيى ابن عمران عن عبد الله بن عثمان بن الأرقم عن جده الارقم أنه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «أين تريد ؟» قال : أردت يا رسول الله ها هنا، وأومأ بيده إلى حيز بيت المقدس، قال « ما يخرجك إليه ، أتجارة ؟ » قال : لا ، ولكن أردت الصلاة فيه ، قال : « الصلاة ها هنا » ، وأومأ بيده إلى مكة « خير من ألف صلاة » وأومأ بيده إلى الشام ، تفرد بهما أحمد .

ومنهم رضي الله عنهم ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري الخزرجي أبو عبد الرحمن ، ويقال أبو محمد المدني خطيب الأنصار ، ويقال له خطيب النبي صلى الله عليه وسلم ، قال محمد بن سعد : أنبأنا علي بن محمد المدائني بأسانيده عن شيوخه في وفود العرب على رسول الله ، قالوا قدم عبدالله ابن عبس الشمالي ومسلمة بن هزان الحداني على رسول الله في رهط من قومهما بعد فتح مكة ، فأسلموا وبايعوا على قومهم ، وكتب لهم كتابا بما فرض عليهم من الصدقة في أموالهم ، كتبه ثابت بن قيس بن شماس وشهد فيه سعد بن معاذ ومحمد بن مسلمة رضي الله عنهم. وهذا الرجل ممن ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشره بالجنة . وروى الترمذي في جامعه بإسناد على شرط مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله قال : « نعم الرجل أبو بكر ، نعم الرجل عمر

نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح، نعم الرجل أسيد بن حضير، نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس، نعم الرجل معاذ بن عمرو بن الجموح» وقد قتل رضى الله عنه شهيداً يوم اليمامة سنة اثنتى عشرة فى أيام أبى بكر الصديق ، وله قصة سنوردها إن شاء الله إذا انتهينا إلى ذلك بحول الله وقوته ، وعونه ومعونته .

ومنهم رضى الله عنهم حنظلة بن الربيع بن صيفى بن رباح بن الحارث بن مخاشن بن معاوية ابن شريف بن حروة بن أسيد بن عمرو بن تميم التميمى الأسيدى الكاتب ، وأخوه رباح صحابى أيضاً ، وعمه أكثم بن صيفى كان حكيم العرب قال الواقدى : كتب للنبى صلى الله عليه وسلم كتاباً ، وقال غيره : بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل الطائف فى الصلح ، وشهد مع خالد حروبه بالعراق وغيرها ، وقد أدرك أيام علىّ وتخلف عن القتال معه فى الجمل وغيره ، ثم انتقل عن الكوفة لما شتم بها عثمان ومات بعد أيام على ، وقد ذكر ابن الأثير فى الغابة : أن امرأته لما مات جزعت عليه فلامها جاراتها فى ذلك فقالت :

تعجبت دعــــــد لمحزونة ... تبكى على ذى شيبة شــاحب

إن تســألينى اليوم ما شفنى ... أخـبرك قولا ليس بالـكاذب

إن سواد العـــين أودى به ... حزن على حنـظلة الـكاتب

قال أحمد بن عبد الله بن الرقى : كان معتزلا للفتنة حتى مات بعد على ، جاء عنه حديثان ، قلت : بل ثلاثة . قال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد وعفان قالا : ثنا همام ثنا قتادة عن حنظلة الكاتب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من حافظ على الصلوات الخمس بركوعهن وسجودهن ووضوئهن ومواقيتهن وعلم أنهن حق من عند الله دخل الجنة » أو قال : « وجبت له الجنة » تفرد به أحمد وهو منقطع بين قتادة وحنظلة والله أعلم . والحديث الثانى رواه أحمد ومسلم والترمذى وابن ماجه من حديث سعيد الجريرى عن أبى عثمان النهدى عن حنظلة : « لو تدومون كما تكونون عندى لصافحتكم الملائكة فى مجالسكم وفى طرقكم وعلى فرشكم ، ولكن ساعة وساعة » وقد رواه أحمد والترمذى أيضاً من حديث عمران بن داود القطان عن قتادة عن يزيد بن عبد الله بن الشخير عن حنظلة . والثالث رواه أحمد والنسائى وابن ماجه من حديث سفيان الثورى عن أبى الزناد عن المرقع بن صيفى بن حنظلة عن جده فى النهى عن قتل النساء فى الحرب ، لكن رواه الإمام أحمد عن عبد الرزاق عن ابن جريج قال : أخبرت عن أبى الزناد عن مرقع بن صيفى بن رباح بن ربيع [عن جده رباح بن ربيع] أخى حنظلة الكاتب ؛ فذكره . وكذلك رواه أحمد أيضاً عن حسين بن محمد وإبراهيم بن أبى العباس كلاهما[1] عن

---

(١) فى التيمورية : عن أبى الزناد عن أبيه وعن سعيد بن منصور إلخ .

المغيرة بن عبد الرحمن عن أبيه ، وعن سعيد بن منصور وأبي عامر العقدى كلاهما عن المغيرة ابن عبد الرحمن عن أبي الزناد عن مرقع عن جده رباح . ومن طريق المغيرة رواه النسائي وابن ماجه كذلك . وروى أبو داود والنسائي من حديث عمر بن مرقع عن أبيه عن جده رباح فذكره . فالحديث عن رباح لا عن حنظلة ، ولهذا قال أبو بكر بن أبي شيبة : كان سفيان الثورى يخطىء في هذا الحديث .

قلت : وصح قول ابن الرقى أنه لم يرو سوى حديثين والله أعلم .

ومنهم رضى الله عنهم خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو سعيد الأموى ، أسلم قديماً ، يقال بعد الصديق بثلاثة أو أربعة ، وأكثر ما قيل خمسة ، وذكروا أن سبب إسلامه أنه رأى في النوم كأنه واقفاً على شفير جهنم فذكر من سعتها ما الله به عليم . قال : وكان أباه يدفعه فيها ، وكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذ بيده ليمنعه من الوقوع ، فقص هذه الرؤيا على أبي بكر الصديق فقال له : لقد أريد بك خير ، هذا رسول الله فاتبعه تنج مما خفته فجاء رسول الله فأسلم ، فلما بلغ أباه إسلامه غضب عليه وضربه بعصا في يده حتى كسرها على رأسه وأخرجه من منزله ومنعه القوت ، ونهى بقية إخوته أن يكلموه ، فلزم خالد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا ونهاراً ، ثم أسلم أخوه عمرو ، فلما هاجر الناس إلى أرض الحبشة هاجرا معهم ثم كان هو الذى ولى العقد في تزويج أم حبيبة من رسول الله كما قدمنا ، ثم هاجرا من أرض الحبشة صحبة جعفر فقدما على رسول الله بخيبر وقد افتتحها ، فأسهم لهما عن مشورة المسلمين ، وجاء أخوهما أبان بن سعيد فشهد فتح خيبر كما قدمنا ، ثم كان رسول الله يوليهم الأعمال . فلما كانت خلافة الصديق خرجوا إلى الشام للغزو فقتل خالد بأجنادين ، ويقال بمرج الصفر والله أعلم .

قال عتيق بن يعقوب حدثنى عبد الملك بن أبي بكر عن أبيه عن جده عن عمرو بن حزم ، يعنى أن خالد بن سعيد كتب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى محمد رسول الله راشد بن عبد رب السلمى أعطاه غلوتين وغلوة[1] بحجر برهاط ، فمن خافه فلا حق له وحقه حق ، وكتب خالد بن سعيد . وقال محمد بن سعد عن الواقدى : حدثنى جعفر بن محمد بن خالد عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان قال : أقام خالد بن سعيد بعد أن قدم من أرض الحبشة بالمدينة ، وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى كتب كتاب أهل الطائف لوفد ثقيف وسعى في الصلح بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومنهم رضى الله عنهم خالد بن الوليد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم [أبو سليمان] المخزومى ، وهو أمير الجيوش المنصورة الإسلامية ، والعساكر المحمدية ، والمواقف المشهودة والأيام المحمودة

---

(١) كذا ولعلها بالغين المعجمة

ذو الرأى السديد ، والبأس الشديد ، والطريق الحميد ، أبو سليمان خالد بن لوليد ، ويقال : إنه لم يكن فى جيش فكسر لا فى جاهلية ولا إسلام . قال الزبير بن بكار : كانت إليه فى قريش القبة وأعنة الخيل ، أسلم هو وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة بن أبى طلحة بعد الحديبية وقيل خيبر ، ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه فيما يبعثه أميراً ، ثم كان المقدم على العساكر كلها فى أيام الصديق ، فلما ولى عمر بن الخطاب عزله وولى أبا عبيدة أمين الأمة على أن لايخرج عن رأى أبى سليمان ثم مات خالد فى أيام عمر وذلك فى سنة إحدى وعشرين وقيل اثنتين وعشرين — والأول أصح — بقرية على ميل من حمص قال الواقدى : سألت عنها فقيل دثرت وقال دحيم : مات بالمدينة ، والأول أصح وقد روى أحاديث كثيرة يطول ذكرها . قال عتيق ابن يعقوب حدثنى عبد الملك بن أبى بكر عن أبيه عن جده عن عمرو بن حزم أن هذه قطايع أقطعها رسول الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى المؤمنين أن صيدوح وصيده لايعضد صيده ولا يقتل ، فمن وجد يفعل من ذلك شيئاً فإنه يجلد وينزع ثيابه وإن تعدى ذلك أحد فإنه يؤخذ فيبلغ به النبى صلى الله عليه وسلم ، وأن هذا من محمد النبى وكتب خالد بن الوليد بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يتعداه أحد فيظلم نفسه فيما أمره به محمد .

ومنهم رضى الله عنهم الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى أبو عبدالله الأسدى أحد العشرة ، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض [وحوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته صفية بنت عبد المطلب وزوج أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنه] روى عتيق بن يعقوب بسنده المتقدم أن الزبير بن العوام هو الذى كتب لبنى معاوية بن جرول الكتاب الذى أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتبه لهم . وروى ابن عساكر بإسناد عن عتيق به . أسلم الزبير قديماً رضى الله عنه وهو ابن ستة عشرة ويقال ابن ثمان سنين ، وهاجر الهجرتين وشهد المشاهد كلها وهو أول من سل سيفاً فى سبيل الله ، وقد شهد اليرموك ، وكان أفضل من شهدها ، واخترق يومئذ صفوف الروم من أولهم إلى آخرهم مرتين ويخرج من الجانب الآخر سالماً ، لكن جرح فى قفاه بضربتين رضى الله عنه ، وقد جمع له رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق أبويه[1] وقال : « إن لكل نبى حوارياً وحوارى الزبير » وله فضائل ومناقب كثيرة وكانت وفاته يوم الجمل ، وذلك أنه كر راجعاً عن القتال فلحقه عمرو بن جرموز وفضالة بن حابس ورجل ثالث يقال له النعر ، التميميون بمكان يقال له وادى السباع ، فبدر إليه عمرو بن جرموز وهو نائم فقتله ، وذلك فى يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وله من العمر يومئذ سبع وستون

(١) أى قال له صلى الله عليه وسلم « فداك أبى وأمى » .

سنة ، وقد خلف رضى الله عنه بعده تركة عظيمة فأوصى من ذلك بالثلث بعد إخراج ألفى ألف ومائتى ألف دينار ، فلما قضى دينه وأخرج ثلث ماله قسم الباقى على ورثته فنال كل امرأة من نسائه — وكن أربعاً — ألف ألف ومائتا ألف ، فمجموع ما ذكرناه مما تركه رضى الله عنه تسعة وخمسين ألف ألف وثمان مائة ألف[1] وهذا كله من وجوه حل نالها فى حياته مما كان يصيبه من الفىء والمغانم ووجوه متاجر الحلال ، وذلك كله بعد إخراج الزكاة فى أوقاتها والصِّلات البارعة الكثيرة لأربابها فى أوقات حاجاتها رضى الله عنه وأرضاه وجعل جنات الفردوس مثواه — وقد فعل — فإنه قد شهد له سيد الأولين والآخرين ورسول رب العالمين بالجنة ولله الحمد والمنة . وذكر ابن الأثير فى الغابة أنه كان له ألف مملوك يؤدون إليه الخراج ، وأنه كان يتصدق بذلك كله ، وقال فيه حسان بن ثابت يمدحه ويفضله بذلك :

أقام على عهد النبى وهديه	حواريه والقول بالفضل يعدل
أقام على منهاجه وطريقه	يوالى ولىّ الحق ، والحق أعدل
هو الفارس المشهور والبطل الذى	يصول إذا ما كان يوم محجل
وإن امرءاً كانت صفية أمه	ومن أسد فى بيته لمرفل
له من رسول الله قربى قريبة	ومن نصرة الإسلام مجد مؤثل
فكم كربة ذب الزبير بسيفه	عن المصطفى والله يعطى ويجزل
إذا كشفت عن ساقها الحرب حشها	بأبيض [سياق] إلى الموت يرفل
فما مثله فيهم ولا كان قبله	وليس يكون الدهر ما دام يذبل

قد تقدم أنه قتله عمرو بن جرموز التميمى بوادى السباع وهو نائم ، ويقال : بل قام من آثار النوم وهو دهش فركب وبارزه ابن جرموز ، فلما صمم عليه الزبير أنجده صاحباه فضالة والنعر فقتلوه ، وأخذ عمرو بن جرموز رأسه وسيفه ، فلما دخل بهما على علىّ قال علىّ رضى الله عنه لما رأى سيف الزبير : إن هذا السيف طالما فرج الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علىّ فيما قال : بشر قاتل ابن صفية بالنار ، فيقال إن عمرو بن جرموز لما سمع ذلك قتل نفسه ، والصحيح أنه عمر بعد علىّ حتى كانت أيام ابن الزبير فاستناب أخاه مصعباً على العراق فاختفى عمرو بن جرموز خوفاً من سطوته أن يقتله بأبيه ، فقال مصعب : أبلغوه أنه آمن أيحسب أنى أقتله بأبى عبد الله ؟ كلا والله ليسا سواء . وهذا من حلم مصعب وعقله ورياسته . وقد روى

---

(١) فى التيمورية تسعة وخمسين ألف ألف ومائتا ألف وقد ذكر ابن سعد فى الطبقات أنه ترك ٣٥،٢٠٠،٠٠٠ درهم ، وأن دينه بلغ ٢،٢٠٠،٠٠٠ درهم ، وأن نساءه الأربع ، وورثت كل واحدة منهن ١،١٠٠،٠٠٠ درهم ، وذلك بخلاف الأراضى والعقارات !!

الزبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة يطول ذكرها . ولما قتل الزبير بن العوام بوادى السباع كما تقدم ، قالت امرأته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ترثيه رضى الله عنها وعنه :

غدر ابن جرموز بفارس بُهْمَةٍ ... يوم اللقاء ، وكان غير معرد

يا عمرو : لو نبهته لوجدته ... لا طائشاً رعش الجنان ولا اليد

كم غمرة قد خاضها لم يثنه ... عنها طرادُ يا ابن فقع القردد

ثكلتك أمك إن ظفرت بمثله ... فيمن مضى فيمن يروح ويغتدى

والله ربك إن قتلت لمسلماً ... حلت عليك عقوبة المتعمد

ومنهم رضى الله عنهم زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبيد بن عوف ابن غنم بن مالك بن النجار الأنصارى النجارى ، أبو سعيد ، ويقال أبو خارجة ويقال أبو عبد الرحمن المدنى ، قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهو ابن احدى عشرة سنة فلهذا لم يشهد بدراً لصغره ، قيل : ولا أحداً ، وأول مشاهده الخندق ، ثم شهد ما بعدها ، وكان حافظاً لبيباً عالماً عاقلا ، ثبت عنه فى صحيح البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يتعلم كتاب يهود ليقرأه على النبى صلى الله عليه وسلم إذا كتبوا إليه ، فتعلمه فى خمسة عشر يوما . وقد قال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ثنا عبد الرحمن عن أبى الزناد عن خارجة بن زيد أن أباه زيداً أخبره أنه لما قدم رسول الله المدينة قال زيد : ذهب بى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعجب بى ، فقالوا : يا رسول الله هذا غلام من بنى النجار معه مما أنزل الله عليك بضع عشرة سورة ، فأعجب ذلك رسول الله وقال : « يا زيد تعلم لى كتاب يهود فإنى والله ما آمن يهود على كتابى » قال زيد : فتعلمت لهم كتابهم ما مرت خمس عشرة ليلة حتى حذقته ، وكنت أقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه ، وأجيب عنه إذا كتب . ثم رواه أحمد عن شريح بن النعمان عن ابن أبى الزناد عن أبيه عن خارجة عن أبيه فذكر نحوه . وقد علقه البخارى فى الأحكام عن خارجة ابن زيد بن ثابت بصيغة الجزم فقال : وقال خارجة بن زيد فذكره . ورواه أبو داود عن أحمد ابن يونس والترمذى عن على بن حجر كلاهما عن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه عن خارجة عن أبيه به نحوه . وقال الترمذى حسن صحيح ، وهذا ذكاء مفرط جداً . وقد كان ممن جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من القراء كما ثبت فى الصحيحين عن أنس . وروى أحمد والنسائى من حديث أبى قلابة عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أرحم أمتى بأمتى أبو بكر ، وأشدها فى دين الله عمر ، وأصدقها حياء عثمان ، وأقضاهم على بن أبى طالب وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وأعلمهم بالفرائض زيد بن ثابت ، ولكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » ومن الحفاظ من يجعله مرسلا إلا ما يتعلق بأبى عبيدة

ففي صحيح البخاري من هذا الوجه : وقد كتب الوحي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير ما موطن ، ومن أوضح ذلك ما ثبت في الصحيح عنه أنه قال : لما نزل قوله تعالى (لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله) الآية دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « اكتب لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله » فجاء ابن أم مكتوم فجعل يشكو ضرارته ، فنزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فثقلت فخذه على فخذي حتى كادت ترضها ، فنزل (غير أولى الضرر) فأمرني فألحقتها ، فقال زيد : فإني لأعرف موضع ملحقها عند صدع في ذلك اللوح — يعني من عظام — الحديث . وقد شهد زيد اليمامة وأصابه سهم فلم يضره وهو الذي أمره الصديق بعد هذا بأن يتتبع القرآن فيجمعه ، وقال له : إنك شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتبع القرآن فاجمعه ، ففعل ما أمره به الصديق ، فكان في ذلك خير كثير ، ولله الحمد والمنة . وقد استنابه عمر مرتين في حجتين على المدينة ، واستنابه لما خرج إلى الشام ، وكذلك كان عثمان يستنيبه على المدينة أيضاً ، وكان على يحبه ، وكان يعظم علياً ويعرف له قدره ، ولم يشهد معه شيئاً من حروبه ، وتأخر بعده حتى توفى سنة خمس وأربعين ، وقيل سنة إحدى وقيل خمس وخمسين . وهو ممن كان يكتب المصاحف الأئمة التي نفذ بها عثمان بن عفان إلى سائر الآفاق اللائي وقع على التلاوة طبق رسمهن الإجماع والاتفاق ، كما قررنا ذلك في كتاب فضائل القرآن الذي كتبناه مقدمة في أول كتابنا التفسير ولله الحمد والمنة .

ومنهم السجل ، كما ورد به الحديث المروى في ذلك عن ابن عباس — إن صح — وفيه نظر . قال أبو داود حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا نوح بن قيس عن يزيد بن كعب عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال : السجل كاتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهكذا رواه النسائي عن قتيبة به عن ابن عباس أنه كان يقول في هذه الآية (يوم نطوى السماء كطي السجل للكتاب) [السجل : الرجل . هذا لفظه ورواه أبو جعفر بن جرير في تفسيره عند قوله تعالى (يوم نطوى السماء كطي السجل للكتاب)] عن نصر بن علي عن نوح بن قيس وهو ثقة من رجال مسلم . وقد ضعفه ابن معين في رواية عنه . وأما شيخه يزيد بن كعب العوذى البصرى فلم يرو عنه سوى نوح بن قيس ، وقد ذكره مع ذلك ابن حبان في الثقات . وقد عرضت هذا الحديث على شيخنا الحافظ الكبير أبي الحجاج المزى فأنكره جداً ، وأخبرته أن شيخنا العلامة أبا العباس ابن تيمية كان يقول : هو حديث موضوع وإن كان في سنن أبي داود ، فقال شيخنا المزى : وأنا أقوله .

قلت : وقد رواه الحافظ ابن عدى في كامله من حديث محمد بن سليمان الملقب ببومة عن يحيى بن عمرو عن مالك النكرى عن أبيه عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب يقال له السجل ، وهو قوله تعالى (يوم نطوى السماء كطي السجل للكتاب) قال

كما يطوى السجل للكتاب كذلك تطوى السماء ، وهكذا رواه البيهقى عن أبى نصر بن قتادة عن أبى على الرفا عن على بن عبد العزيز عن مسلم بن إبراهيم عن يحيى بن عمرو بن مالك به . ويحيى هذا ضعيف جداً فلا يصلح للمتابعة والله أعلم . وأغرب من ذلك أيضاً ما رواه الحافظ أبو بكر الخطيب وابن منده من حديث أحمد بن سعيد البغدادى المعروف بحمدان عن ابن بهز عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال : كان للنبى صلى الله عليه وسلم كاتب يقال له سجل ، فأنزل الله (يوم نطوى السماء كطى السجل للكتاب) قال ابن منده : غريب تفرد به حمدان . وقال البرقانى : قال أبو الفتح الأزدى تفرد به ابن نمير ، إن صح .

قلت : وهذا أيضاً منكر عن ابن عمر كما هو منكر عن ابن عباس ، وقد ورد عن ابن عباس وابن عمر خلاف ذلك ، فقد روى الوالبى والعوفى عن ابن عباس أنه قال فى هذه الآية : قال كطى الصحيفة على الكتاب ، وكذلك قال مجاهد . وقال ابن جرير : هذا هو المعروف فى اللغة أن السجل هو الصحيفة ، قال : ولا يعرف فى الصحابة أحد اسمه السجل ، وأنكر أن يكون السجل اسم ملك من الملائكة كما رواه عن أبى كريب عن ابن يمان ثنا أبو الوفاء الأشجعى عن أبيه عن ابن عمر فى قوله (يوم نطوى السماء كطى السجل للكتاب) قال : السجل ملك فإذا صعد بالاستغفار قال الله اكتبها نوراً . وحدثنا بندار عن مؤمل عن سفيان سمعت السدى يقول فذكر مثله ، وهكذا قال أبو جعفر الباقر فيما رواه أبو كريب عن المبارك عن معروف بن خربود عمن سمع أبا جعفر يقول : السجل الملك ، وهذا الذى أنكره ابن جرير من كون السجل اسم صحابى أو ملك قوى جداً ، والحديث فى ذلك منكر جداً . ومن ذكره فى أسماء الصحابة كابن منده وأبى نعيم الأصبهانى وابن الأثير فى الغابة إنما ذكره إحساناً للظن بهذا الحديث ، أو تعليقاً على صحته والله أعلم .

ومنهم سعد بن أبى سرح فيما قاله خليفة بن خياط وقد وهم إنما هو ابنه عبد الله بن سعد بن أبى سرح كما سيأتى قريباً إن شاء الله .

ومنهم عامر بن فهيرة ، مولى أبى بكر الصديق . قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق عن معمر قال : قال الزهرى أخبرنى عبد الملك بن مالك المدلجى وهو ابن أخى سراقة بن مالك أن أباه أخبره أنه سمع سراقة يقول ، فذكر خبر هجرة النبى صلى الله عليه وسلم وقال فيه : فقلت له إن قومك جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم من أخبار سفرهم وما يريد الناس بهم ، وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزؤنى منه شيئاً ولم يسألونى إلا أن أخف عنا ، فسألته أن يكتب لى كتاب موادعة آمن به ، فأمر عامر بن فهيرة فكتب فى رقعة من أدم ، ثم مضى .

قلت : وقد تقدم الحديث بتمامه فى الهجرة ، وقد روى أن أبا بكر هو الذى كتب لسراقة هذا

الكتاب فالله أعلم . وقد كان عامر بن فهيرة - ويكنى أبا عمرو - من مولدى الأزد أسود اللون وكان أولا مولى للطفيل بن الحارث أخى عائشة لأمها أم رومان ، فأسلم قديماً قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبى الأرقم التى عند الصفا مستخفياً ، فكان عامر يعذب مع جملة المستضعفين بمكة ليرجع عن دينه فيأبى ، فاشتراه أبو بكر الصديق فأعتقه فكان يرعى له غنما بظاهر مكة . ولما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر كان معهما رديفاً لأبى بكر ومعهم الدليل الدؤلى فقط كما تقدم مبسوطاً ، ولما وردوا المدينة نزل عامر [بن فهيرة] على سعد بن خيثمة ، وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين أوس بن معاذ وشهد بدراً وأحداً ، وقتل يوم بئر معونة كما تقدم وذلك سنة أربع من الهجرة ، وكان عمره إذ ذاك أربعين سنة فالله أعلم . وقد ذكر عروة وابن اسحاق والواقدى وغير واحد ، أن عامراً قتله يوم بئر معونة رجل يقال له جبار بن سلمى من بنى كلاب ، فلما طعنه بالرمح قال : فزت ورب الكعبة ورُفع عامر حتى غاب عن الأبصار حتى قال عامر بن الطفيل : لقد رفع حتى رأيت السماء دونه ، وسئل عمرو بن أمية عنه فقال : كان من أفضلنا ومن أول أهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم قال جبار : فسألت الضحاك بن سفيان عما قال ما يعنى به ؟ فقل : يعنى الجنة ، ودعانى الضحاك إلى الإسلام فأسلمت لما رأيت من قتل عامر بن فهيرة ، فكتب الضحاك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره بإسلامى وما كان من أمر عامر ، فقال : « وارته الملائكة وأنزل عليين » ، وفى الصحيحين عن أنس أنه قال : قرأنا فيهم قرآنا أن بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا وقد تقدم ذلك وبيانه فى موضعه عند غزوة بئر معونة .

وقال محمد بن إسحاق : حدثنى هشام بن عروة عن أبيه أن عامر بن الطفيل كان يقول : من رجل منكم لما قتل رأيته رفع بين السماء والأرض حتى رأيت السماء دونه ؟ قالوا عامر بن فهيرة ، وقال الواقدى حدثنى محمد بن عبد الله عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : رفع عامر بن فهيرة إلى السماء فلم توجد جثته ، يرون أن الملائكة وارته .

ومنهم رضى الله عنهم عبد الله بن أرقم بن أبى الأرقم المخزومى . أسلم عام الفتح وكتب للنبى صلى الله عليه وسلم . قال الإمام مالك : وكان ينفذ ما يفعله ويشكره ويستجيده . وقال سلمة عن محمد بن إسحاق بن يسار عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عبد الله بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استكتب عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث ، وكان يجيب عنه الملوك ، وبلغ من أمانته أنه [كان يأمره أن] يكتب إلى بعض الملوك فيكتب ، ويختم على ما يقرأه لأمانته عنده . وكتب لأبى بكر وجعل إليه بيت المال ، وأقره عليهما عمر بن الخطاب فلما كان عثمان عزله عنهما قلت : وذلك بعد ما استعفاه عبد الله بن أرقم ، ويقال إن عثمان عرض عليه ثلثمائة ألف درهم عن أجرة عمالته فأبى أن يقبلها وقال : إنما عملت لله فأجرى على الله عز وجل .

قال ابن إسحاق : وكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت ، فإذا لم يحضر ابن الأرقم وزيد بن ثابت كتب من حضر من الناس ، وقد كتب عمر وعلى وزيد والمغيرة بن شعبة ومعاوية وخالد بن سعيد بن العاص وغيرهم ممن سمى من العرب . وقال الأعمش : قلت لشقيق ابن سلمة : من كان كاتب النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : عبد الله بن الأرقم وقد جاءنا كتاب عمر بالقادسية وفى أسفله : وكتب عبد الله بن الأرقم .

وقال البيهقى أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ثنا محمد بن صالح بن هانىء حدثنا الفضل بن محمد البيهقى ثنا عبد الله بن صالح ثنا عبد العزيز بن أبى سلمة الماجشون عن عبد الواحد بن أبى عون عن القاسم ابن محمد عن عبد الله بن عمر قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم كتاب رجل ، فقال لعبد الله بن أرقم « أجب عنى » فكتب جوابه ثم قرأه عليه ، فقال « أصبت وأحسنت ، اللهم وفقه » ، قال : فلما ولى عمر كان يشاوره ، وقد روى عن عمر بن الخطاب أنه قال : ما رأيت أخشى لله منه ، يعنى فى العمال ، أضر رضى الله عنه قبل وفاته .

ومنهم رضى الله عنهم عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصارى الخزرجى ، صاحب الأذان ، أسلم قديماً فشهد عقبة السبعين ، وحضر بدراً وما بعدها ، ومن أكبر مناقبه رؤيته الأذان والإقامة فى النوم ، وعرضه ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقريره عليه ، وقوله له « إنها لرؤيا حق فألقه على بلال ، فإنه أندى صوتاً منك » وقد قدمنا الحديث بذلك فى موضعه . وقد روى الواقدى بأسانيده عن ابن عباس أنه كتب كتابا لمن أسلم من جرش فيه الأمر لهم بإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وإعطاء خمس المغنم وقد توفى رضى الله عنه سنة اثنتين وثلاثين عن أربع وستين سنة ، وصلى عليه عثمان بن عفان رضى الله عنه .

ومنهم رضى الله عنهم عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، القرشى ، العامرى ، أخو عثمان لأمه من الرضاعة ، أرضعته أم عثمان . وكتب الوحى ثم ارتد عن الإسلام ولحق بالمشركين بمكة ، فلما فتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قد أهدر دمه فيمن أهدر من الدماء ، فجاء إلى عثمان فاستأمن له ، فأمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قدمنا فى غزوة الفتح ، ثم حسن إسلام عبد الله بن سعد جداً .

قال أبو داود حدثنا أحمد بن محمد المروزى ثنا على بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوى عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان عبد الله [بن سعد] بن أبى سرح يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم ، فأزله الشيطان فلحق بالكفار ، فأمر به رسول الله أن يقتل ، فاستجار له عثمان بن عفان فأجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم . ورواه النسائى من حديث على بن الحسين بن واقد به . قلت : وكان على ميمنة عمرو بن العاص حين افتتح عمرو مصر سنة عشرين فى الدولة العمرية فاستنابه عمر بن الخطاب عمراً عليها ، فلما صارت الخلافة إلى عثمان عزل عنها عمرو

عليها عبد الله بن سعد سنة خمس وعشرين ، وأمره بغزو بلاد أفريقية فغزاها ففتحها ، وحصل للجيش منها مال عظيم كان قسم الغنيمة لكل فارس من الجيش ثلاثة آلاف مثقال من ذهب ، وللراجل ألف مثقال . وكان معه فى جيشه هذا ثلاثة من العبادلة : عبد الله بن الزبير ، وعبد الله ابن عمر ، وعبد الله بن عمرو . ثم غزا عبد الله بن سعد بعد أفريقية الأساود من أرض النوبة ، فهادنهم فهى إلى اليوم ، وذلك سنة إحدى وثلاثين . ثم غزا غزوة الصوارى فى البحر إلى الروم وهى غزوة عظيمة كما سيأتى بيانها فى موضعها إن شاء الله فلما اختلف الناس على عثمان خرج من مصر واستناب عليها ليذهب إلى عثمان لينصره ، فلما قتل عثمان أقام بعسقلان — وقيل : بالرملة — ودعا الله أن يقبضه فى الصلاة ، فصلى يوماً الفجر وقرأ فى الأولى منها بفاتحة الكتاب والعاديات ، وفى الثانية بفاتحة الكتاب وسورة ، ولما فرغ من التشهد سلم التسليمة الأولى ، ثم أراد أن يسلم الثانية فمات بينهما رضى الله عنه ، وذلك فى سنة ست وثلاثين ، وقيل: سنة سبع وقيل : إنه تأخر إلى سنة تسع وخمسين ، والصحيح الأول .

قلت : ولم يقع له رواية فى الكتب الستة ولا فى المسند للإمام أحمد .

ومنهم رضى الله عنهم عبد الله بن عثمان ، أبو بكر الصديق . وقد تقدم الوعد بأن ترجمته ستأتى فى أيام خلافته إن شاء الله عز وجل وبه الثقة . وقد جمعت مجلداً فى سيرته وما رواه من الأحاديث وما روى عنه من الآثار ، والدليل على كتابته ما ذكره موسى بن عقبة عن الزهرى عن عبد الرحمن بن مالك بن جعشم عن أبيه عن سراقة بن مالك فى حديثه حين اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج هو وأبو بكر من الغار فمروا على أرضهم ، فلما غشيهم — وكان من أمر فرسه ما كان — سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب له كتاب أمان ، فأمر أبا بكر فكتب له كتاباً ثم ألقاه إليه . وقد روى الإمام أحمد من طريق الزهرى بهذا السند أن عامر بن فهيرة كتبه ، فيحتمل أن أبا بكر كتب بعضه ثم أمر مولاه عامراً فكتب باقيه ، والله أعلم .

ومنهم رضى الله عنهم عثمان بن عفان أمير المؤمنين . وستأتى ترجمته فى أيام خلافته وكتابته بين يديه عليه الصلاة والسلام مشهورة وقد روى الواقدى بأسانيده أن نهشل بن مالك الوائلى لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان فكتب له كتابا فيه شرائع الإسلام .

ومنهم رضى الله عنهم على بن أبى طالب أمير المؤمنين ، وستأتى ترجمته فى خلافته ، وقد تقدم أنه كتب الصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش يوم الحديبية أن يأمن الناس ، وأنه لا إسلال ولا إغلال ، وعلى وضع الحرب عشر سنين ، وقد كتب غير ذلك من الكتب بين يديه صلى الله عليه وسلم . وأما ما يدعيه طائفة من يهود خيبر أن بأيديهم كتاب من النبى

صلى الله عليه وسلم بوضع الجزية عنهم وفى آخره وكتب على بن أبى طالب ، وفيه شهادة جماعة من الصحابة منهم سعد بن معاذ ومعاوية بن أبى سفيان فهو كذب وبهتان مختلق موضوع مصنوع، وقد بين جماعة من العلماء بطلانه ، واغتر بعض الفقهاء المتقدمين فقالوا بوضع الجزية عنهم ، وهذا ضعيف جداً ، وقد جمعت فى ذلك جزءاً مفرداً بينت فيه بطلانه وأنه موضوع اختلقوه وصنعوه وهم أهل لذلك ، وبينته وجمعت مفرق كلام الأئمة فيه ، ولله الحمد والمنة .

ومن الكتاب بين يديه صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وستأتى ترجمته فى موضعها ، وقد أفردت له مجلداً على حدة ، ومجلداً ضخماً فى الأحاديث التى رواها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والآثار والأحكام المروية عنه رضى الله عنه ، وقد تقدم بيان كتابته فى ترجمة عبد الله بن الأرقم .

ومنهم رضى الله عنهم العلاء بن الحضرمى واسم الحضرمى عباد ، ويقال : عبد الله بن عباد بن أكبر بن ربيعة بن عريف بن مالك بن الخزرج بن إياد بن الصدف بن زيد بن مقنع بن حضرموت ابن قحطان ، وقيل غير ذلك فى نسبه ، وهو من حلفاء بنى أمية وقد تقدم بيان كتابته فى ترجمة أبان بن سعيد بن العاص ، وكان له من الإخوة عشرة غيره فمنهم ؛ عمرو بن الحضرمى أول قتيل من المشركين قتله المسلمون فى سرية عبد الله بن جحش ، وهى أول سرية كما تقدم ، ومنهم عامر بن الحضرمى الذى أمره أبو جهل لعنه الله ، فكشف عن عورته ونادى واعمراه حين اصطف المسلمون والمشركون يوم بدر ، فهاجت الحرب وقامت على ساق وكان ما كان مما قدمناه مبسوطا فى موضعه ، ومنهم شريح بن الحضرمى ، وكان من خيار الصحابة قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذاك رجل لا يتوسد القرآن » يعنى لا ينام ويتركه ، بل يقوم به آناء الليل والنهار ، ولهم كلهم أخت واحدة وهى الصعبة بنت الحضرمى أم طلحة بن عبيد الله . وقد بعث النبى صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمى إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين ، ثم ولاه عليها أميراً حين افتتحها ، وأقره عليها الصديق ، ثم عمر بن الخطاب ، ولم يزل بها حتى عزله عنها عمر بن الخطاب وولاه البصرة ، فلما كان فى أثناء الطريق توفى وذلك فى سنة إحدى وعشرين . وقد روى البيهقى عنه وغيره كرامات كثيرة ؛ منها أنه سار بجيشه على وجه البحر ما يصل إلى ركب خيولهم ، وقيل : إنه ما بل أسافل نعال خيولهم ، وأمرهم كلهم فجعلوا يقولون يا حليم يا عظيم . وأنه كان فى جيشه فاحتاجوا إلى ماء فدعا الله فأمطرهم قدر كفايتهم . وأنه لما دفن لم يرَ له أثر بالكلية ، وكان قد سأل الله ذلك ، وسيأتى هذا فى كتاب دلائل النبوة قريباً إن شاء الله عز وجل . وله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أحاديث الأول ؛ قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان بن عيينة حدثنى عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن السائب بن يزيد عن العلاء بن الحضرمى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« يمكث المهاجر بعد قضاء نسكه ثلاثا » وقد أخرجه الجماعة من حديثه. والثاني قال أحمد: حدثنا هشيم حدثنا منصور عن ابن سيرين عن ابن العلاء بن الحضرمي أن أباه كتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فبدأ بنفسه ، وكذا رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل . والحديث الثالث رواه أحمد وابن ماجه من طريق محمد بن زيد عن حيان الأعرج عنه أنه كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البحرين في الحائط — يعني البستان — يكون بين الإخوة فيسلم أحدهم ؟ فأمره أن يأخذ العشر ممن أسلم ، والخراج — يعني ممن لم يسلم — .

ومنهم العلاء بن عقبة ، قال الحافظ ابن عساكر : كان كاتباً للنبي صلى الله عليه وسلم ، ولم أجد أحداً ذكره إلا فيما أخبرنا ، ثم ذكر إسناده إلى عتيق بن يعقوب حدثني عبد الملك بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده عن عمرو بن حزم أن هذه قطائع أقطعها رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء القوم فذكرها ، وذكر فيها : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى النبي محمد عباس بن مرداس السلمي أعطاه مدموراً[1] فمن خافه فيها فلا حق له ، وحقه حق ، وكتب العلاء بن عقبة وشهد ، ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى محمد رسول الله عوسجة بن حرملة الجهني ، من ذي المروة وما بين بلكثه إلى الظبية إلى الجعلات إلى جبل القبلية[2] فمن خافه فلا حق له وحقه حق ، وكتبه العلاء بن عقبة . وروى الواقدي بأسانيده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطع لبني سبيح من جهينة وكتب كتابهم بذلك العلاء بن عقبة ، وشهد . وقد ذكر ابن الأثير في الغابة هذا الرجل مختصراً فقال : العلاء بن عقبة كتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، ذكره في حديث عمرو بن حزم ، ذكره جعفر أخرجه أبو موسى — يعني المديني — في كتابه .

ومنهم رضي الله عنهم محمد بن مسلمة بن جريس[3] بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الحارثي أبو عبد الله ، ويقال : أبو عبد الرحمن ، ويقال : أبو سعيد المدني حليف بني عبد الأشهل ، أسلم على يدي مصعب بن عمير ، وقيل : سعد بن معاذ وأسيد بن حضير ، وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح ، وشهد بدراً والمشاهد بعدها ، واستخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة عام تبوك .

---

(١) كذا في الأصل (مهملة من النقط) وفي إعلام السائلين مذموراً (بالذال المعجمة) .

(٢) في الأصل : إلى بلنكثة إلى الطيبة الى الجعلاب إلى جبل القبلة والتصحيح عن المعجم ونصه : هذا ما أعطى محمد النبي إلى عوسجة بن حرملة الجهني من ذي المروة إلى ظبية إلى الجعلات إلى جبل القبلية لا يحاقه فيه أحد فمن حاقه فلا حق له ولا حقه حق وكتب العلاء بن عقبة .

(٣) كذا في التيمورية وفي الأصل ابن حريش (بالحاء المهملة) وفي الإصابة : ابن سلمة ولم يذكر جريس ولا حريش في نسبه .

قال ابن عبد البر فى الاستيعاب : كان شديد السمرة طويلا أصلع ذا جثة[1] وكان من فضلاء الصحابة ، وكان ممن اعتزل الفتنة واتخذ سيفاً من خشب ، ومات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين على المشهور عند الجمهور ، وصلى عليه مروان بن الحكم . وقد روى حديثاً كثيراً عن النبى صلى الله عليه وسلم . وذكر محمد بن سعد عن على بن محمد المدائنى بأسانيده إن محمد بن مسلمة هو الذى كتب لوفد مرة كتابا عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومنهم رضى الله عنهم معاوية بن أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية الأموى ، وستأتى ترجمته فى أيام إمارته إن شاء الله وقد ذكره مسلم بن الحجاج فى كتابه عليه السلام وقد روى مسلم فى صحيحه من حديث عكرمة بن عمار عن أبى زميل سماك بن الوليد عن ابن عباس أن أبا سفيان قال : يا رسول الله ثلاث أعطنيهن ؟ قال : « نعم ؟ » قال : تؤمرنى حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين ، قال : « نعم » ، قال : ومعاوية تجعله كاتبا بين يديك ، قال : « نعم » الحديث وقد أفردت لهذا الحديث جزءاً على حدة بسبب ما وقع فيه من ذكر طلبه تزويج أم حبيبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن فيه من المحفوظ تأمير أبى سفيان وتوليته معاوية منصب الكتابة بين يديه صلوات الله وسلامه عليه ، وهذا قدر متفق عليه بين الناس قاطبة ، فأما الحديث : قال ابن عساكر فى تاريخه فى ترجمة معاوية هاهنا : أخبرنا أبو غالب بن البنا أنبأنا أبو محمد الجوهرى أنبأنا أبو على محمد بن أحمد بن يحيى بن عبد الله العطشى حدثنا أحمد بن محمد البورانى حدثنا السرى بن عاصم حدثنا الحسن بن زياد عن القاسم بن بهرام عن أبى الزبير عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استشار جبريل فى استكتاب معاوية فقال : استكتبه فإنه أمين ، فإنه حديث غريب بل منكر . والسرى بن عاصم هذا هو أبو عاصم الهمذانى وكان يؤدب المعتز بالله ، كذبه فى الحديث ابن خراش . وقال ابن حبان وابن عدى : كان يسرق الحديث . زاد ابن حبان : ويرفع الموقوفات ولا يحل الاحتجاج به . وقال الدارقطنى كان ضعيف الحديث . وشيخه الحسن بن زياد - إن كان اللؤلؤى - فقد تركه غير واحد من الأئمة ، وصرح كثير منهم بكذبه ، وإن كان غيره فهو مجهول العين والحال . وأما القاسم ابن بهرام فاثنان أحدهما يقال له القاسم بن بهرام الأسدى الواسطى الأعرج ، أصله من أصبهان ، روى له النسائى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس حديث القنوت بطوله ، وقد وثقه ابن معين وأبو حاتم وأبو داود وابن حبان . والثانى القاسم بن بهرام أبو حمدان قاضى هيت ، قال ابن معين كان كذابا . وبالجملة فهذا الحديث من هذا الوجه ليس بثابت ولا يغتر به .

والعجب من الحافظ ابن عساكر مع جلالة قدره واطلاعه على صناعة الحديث أكثر من

(١) ذاجثة : كذا فى التيمورية من جثه إذا ضربه وفى الأصل ذا جنة . وفى الاستيعاب المطبوع ذا جثة بالثاء .

غيره من أبناء عصره - بل ومن تقدمه بدهره - كيف يورد فى تاريخه هذا وأحاديث كثيرة من هذا النمط ثم لا يبين حالها ، ولا يشير إلى شىء من ذلك إشارة لا ظاهرة ولا خفية ، ومثل هذا الصنيع فيه نظر ، والله أعلم .

ومنهم رضى الله عنهم المغيرة بن شعبة الثقفى ، وقد قدمت ترجمته فيمن كان يخدمه عليه السلام من بين أصحابه من غير مواليه ، وأنه كان سيافا على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد روى ابن عساكر بسنده عن عتيق بن يعقوب بإسناده المتقدم غير مرة أن المغيرة بن شعبة هو الذى كتب إقطاع حصين بن نضلة الأسدى الذى أقطعه إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمره ، فهؤلاء كُتّابه الذين كانوا يكتبون بأمره بين يديه صلوات الله وسلامه عليه .

﴿ فصل ﴾

وقد ذكر ابن عساكر من أمنائه أبا عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح القرشى الفهرى ، أحد العشرة رضى الله عنه ، وعبد الرحمن بن عوف الزهرى . أما أبو عبيدة فقد روى البخارى من حديث أبى قلابة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » وفى لفظ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لوفد عبد القيس نجران : « لأبعثن معكم أميناً حق أمين » فبعث معهم أبا عبيدة . قال : ومنهم معيقيب بن أبى فاطمة الدوسى مولى بنى عبد شمس ، كان على خاتمه ، ويقال كان خادمه ، وقال غيره : أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة فى الناس ، ثم إلى المدينة وشهد بدراً وما بعدها ، وكان على الخاتم ، واستعمله الشيخان على بيت المال ، قالوا : وكان قد أصابه الجذام فأمر عمر بن الخطاب فدووى بالحنظل فتوقف المرض ، وكانت وفاته فى خلافة عثمان وقيل سنة أربعين فالله أعلم .

قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن أبى بكير حدثنا شيبان عن يحيى بن أبى بكير[1] عن أبى سلمة حدثنى معيقيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى الرجل يسوى التراب حيث يسجد قال « إن كنت لا بد فاعلا فواحدة » وأخرجاه فى الصحيحين من حديث شيبان النحوى ، زاد مسلم وهشام الدستوائى ، زاده الترمذى والنسائى وابن ماجه والأوزاعى ثلاثتهم عن يحيى بن أبى كثير به ، وقال الترمذى حسن صحيح . وقال الإمام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا أيوب عن عتبة عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن معيقيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ويل للأعقاب من النار » وتفرد به الإمام أحمد . وقد روى أبو داود والنسائى من حديث أبى عتاب سهل بن حماد الدلال عن أبى مكين نوح بن ربيعة عن إياس بن الحارث بن المعيقيب عن جده ،

---

(١) كذا مكرر فى الأصل ولعل الصواب ابن أبى كثير كما سيأتى .

وكان على خاتم النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من حديد ملوى عليه فضة ، قال : فربما كان في يدي .

قلت : أما خاتم النبي صلى الله عليه وسلم فالصحيح أنه كان من فضة فضه منه كما سيأتي في الصحيحين ، وكان قد اتخذ قبله خاتم ذهب فلبسه حيناً ثم رمى به وقال : « والله لا ألبسه » ، ثم اتخذ هذا الخاتم من فضة فصه منه ونقشه محمد رسول الله ، محمد سطر ، ورسول سطر ، والله سطر فكان في يده عليه الصلاة والسلام ثم كان في يد أبي بكر من بعده ثم في يد عمر ثم كان في يد عثمان فلبث في يده ست سنين ، ثم سقط منه في بئر أريس فاجتهد في تحصيله فلم يقدر عليه وقد صنف أبو داود رحمة الله عليه كتابا مستقلا في سننه في الخاتم وحده ، وسنورد منه إن شاء الله قريباً ما يحتاج إليه وبالله المستعان . وأما لبس معيقيب لهذا الخاتم فيدل على ضعف ما نقل أنه أصابه الجذام ، كما ذكره ابن عبد البر وغيره ، لكنه مشهور فلعله أصابه ذلك بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، أو كان به وكان مما لا يعدى منه ، أو كان ذلك من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم لقوة توكله كما قال لذلك المجذوم — ووضع يده في القصعة — « كل ثقة بالله ، وتوكلاً عليه » رواه أبو داود ، وقد ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فر من المجذوم فرارك من الأسد » والله أعلم .

وأما أمراؤه عليه السلام فقد ذكرناهم عند بعث السرايا منصوصاً على أسمائهم ولله الحمد والمنة .

وأما جملة الصحابة فقد اختلف الناس في عدتهم ، فنقل عن أبي زرعة أنه قال : يبلغون مائة ألف وعشرين ألفاً ، وعن الشافعي رحمه الله أنه قال : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ممن سمع منه ورآه زهاء عن ستين ألف ، وقال الحاكم أبو عبد الله : يروى الحديث عن قريب من خمسة آلاف صحابي .

قلت : والذي روى عنهم الإمام أحمد مع كثرة روايته واطلاعه واتساع رحلته وإمامته فمن الصحابة تسعمائة وسبعة وثمانون نفساً [ووضع في الكتب الستة من الزيادات على ذلك قريب من ثلاثمائة صحابي أيضاً] وقد اعتنى جماعة من الحفاظ رحمهم الله بضبط أسمائهم وذكر أيامهم ووفياتهم ، من أجلهم الشيخ أبو عمر بن عبد البر النمري في كتابه الاستيعاب ، وأبو عبد الله محمد ابن إسحاق بن منده ، وأبو موسى المديني : ثم نظم جميع ذلك الحافظ عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري المعروف بابن الصحابية صنف كتابه الغابة[1] في ذلك فأجاد وأفاد ، وجمع وحصل ، ونال ما رام وأمل ، فرحمه الله وأثابه وجمعه والصحابة ، آمين يا رب العالمين .

---

(١) أسمه أسد الغابة وهو مطبوع في خمس مجلدات.

﴿ تم الجزء الخامس من كتاب البداية والنهاية ويليه الجزء السادس وأوله ﴾
﴿ باب ما يذكر من آثار النبي صلى الله عليه وسلم التي كان يختص بها في حياته ﴾

فهرس المجلد الخامس

﴿ من البداية والنهاية ﴾



﴿ فى التاريخ ﴾

للإمام الحافظ المفسر المؤرخ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل
ابن عمر بن كثير ، القرشى ، الدمشقى ، المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

﴿ الطبعة الأولى سنة ١٣٥١ هـ — ١٩٣٣ م ﴾

الجزء السادس

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربى

دار نهر النيل للطباعة
٤٦ شارع الماوردي بالهرم
الجيزة
سجل تجاري : ٤٥٨٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

باب ما يذكر من آثار النبي التي كان يختص بها في حياته

من ثياب وسلاح ومراكب ، وغير ذلك مما يجري مجراه وينتظم في معناه

ذكر الخاتم الذي كان يلبسه عليه السلام، ومن أي شيء كان من الأجسام

وقد أفرد له أبو داود في كتابه السنن كتاباً على حدة ، ولنذكر عيون ما ذكره في ذلك مع ما نضيفه إليه ، والمعول في أصل ما نذكره عليه .

قال أبو داود : حدثنا عبد الرحيم بن مطرف الرؤاسي ، حدثنا عيسى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك قال : أراد رسول الله ﷺ أن يكتب إلى بعض الأعاجم فقيل له : إنهم لا يقرءون كتاباً إلا بخاتم ، فاتخذ خاتماً من فضة ، ونقش فيه : محمد رسول الله . وهكذا رواه البخاري عن عبد الأعلى بن حماد عن يزيد بن زريع عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به ، ثم قال أبو داود : حدثنا وهب بن بقية ، عن خالد ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ـ بمعنى حديث عيسى بن يونس . زاد : فكان في يده حتى قُبض ، وفي يد أبي بكر حتى قُبض ، وفي يد عمر حتى قُبض ، وفي يد عثمان ، فبينما هو عند بئر إذ سقط في البئر[1] ، فأمر بها فنزحت ، فلم يقدر عليه . تفرد به أبو داود من هذا الوجه . ثم قال أبو داود رحمه الله : حدثنا قتيبة بن سعيد وأحمد بن صالح قالا : أنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب قال : حدثني أنس قال : كان خاتم النبي ﷺ من وَرِقٍ ، فصُّه حبشي ، وقد روى هذا الحديث البخاري من حديث الليث ، ومسلم من حديث ابن وهب ، وطلحة عن يحيى الأنصاري ، وسليمان بن بلال ، زاد النسائي وابن ماجة وعثمان عن عمر ـ خمستهم عن يونس بن يزيد الأيلي به . وقال الترمذي : حسن غريب من هذا الوجه .

ثم قال أبو داود : حدثنا أحمد بن يونس ، ثنا زهير ، ثنا حميد الطويل ، عن أنس بن مالك قال : كان خاتم النبي ﷺ من فضة كله ، فصُّه منه ، وقد رواه الترمذي والنسائي من حديث زهير ابن معاوية الجعفي ـ أبي خيثمة الكوفي به . وقال الترمذي : حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

---

(١) : بئر أريس المقابلة لمسجد قباء بالمدينة ، من الناحية الغربية .

وقال البخارى : ثنا أبو معمر ، ثنا عبد الوارث ، ثنا عبد العزيز بن صُهيب ، عن أنس بن مالك قال : اصطنع رسول الله ﷺ خاتماً ، فقال : إنا اتخذنا خاتماً ونَقَشْنا فيه نقشاً فلا يَنْقش عليه أحد . قال : فإنى لأرى بريقَه فى خنصره . ثم قال أبو داود : حدثنا نصير بن الفرج ، ثنا أبو أسامة ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر : اتخذ رسول الله ﷺ خاتماً من ذَهب وجعل فَصَّه مما يلى بطن كفه ، ونقش فيه : محمد رسول الله ، فاتخذ الناس خواتم الذهب ، فلما رآهم قد اتخذوها رَمى به وقال : لا ألبسه أبداً . ثم اتخذ خاتماً من فضة نقش فيه : محمد رسول الله ، ثم لبس الخاتم بعده أبو بكر ، ثم لبسه بعد أبى بكر عمر ، ثم لبسه بعده عثمان ، حتى وقع فى بئر أريس .

وقد رواه البخارى عن يوسف بن موسى ، عن أبى أسامة بن حماد بن أسامة به ، ثم قال أبو داود: حدثنا عثمان بن أبى شيبة ، ثنا سفيان بن عيينة ، عن أيوب بن موسى ، عن نافع ، عن ابن عمر فى هذا الخبر ، عن النبى ﷺ فنقش فيه : محمد رسول الله ، وقال : لا ينقش أحد على خاتمى هذا ، وَساق الحديث. وقد رواه مسلم وأهل السنن الأربعة من حديث سفيان بن عيينة به نحوه . ثم قال أبو داود: حدثنا محمد بن يحيى بن فارس ، ثنا أبو عاصم ، عن المغيرة بن زياد ، عن نافع ، عن ابن عمر فى هذا الخبر عن النبى ﷺ قال : فالتمسوه فلم يجدوه . فاتخذ عثمان خاتماً ونقش فيه : محمد رسول الله ، قال : فكان يختم به أو يتختم به ، ورواه النسائى عن محمد بن معمر عن أبى عاصم الضحاك بن مخلد النبيل به . ثم قال أبو داود :

باب فى ترك الخاتم

حدثنا محمد بن سليمان لُوَيْن ، عن إبراهيم بن سعد ، عن ابن شهاب ، عن أنس بن مالك ؛ أنه رأى فى يد النبى ﷺ خاتماً من وَرِق يوماً واحداً ، فصنع الناس فلبسوا ، وطرح النبى ﷺ فطرح الناس ، ثم قال : رواه عن الزهرى زياد بن سعد وشعيب وابن مسافر - كلهم قال : من وَرِق ، قلت : وقد رواه البخارى: حدثنا يحيى بن بُكير ، ثنا الليث ، عن يونس، عن ابن شهاب، قال : حدثنى أنس بن مالك أنه رأى فى يد النبى ﷺ خاتماً من وَرِق يوماً واحداً ، ثم إن الناس اصْطنعوا الخواتيم من وَرِق ولبسوها ، فطرح رسول الله ﷺ خاتمه ، فطرح الناس خواتيمهم ، ثم علقه البخارى عن إبراهيم بن سعد عن الزهرى المدنى وشعيب بن أبى حمزة وزياد بن سعد الخراسانى . وأخرجه مسلم من حديثه . وانفرد أبو داود بعبد الرحمن بن خالد بن مسافر - كلهم عن الزهرى ، كما قال أبو داود : خاتماً من وَرِق. والصحيح أن الذى لبسه يوماً واحداً ثم رمى به،

إنما هو خاتم الذهب ـ لا خاتم الورق ؛ لما ثبت فى الصحيحين عن مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : كان رسول الله ﷺ يلبس خاتماً من ذهب ، فنبذه وقال : لا ألبسه أبداً ، فنبذ الناس خواتيمهم ، وقد كان خاتم الفضة يلبسه كثيراً ، ولم يزل فى يده حتى تُوفى صلوات الله وسلامه عليه ، وكان فَصّه منه ـ يعنى ليس فيه فص ينفصل عنه ، ومن روى أنه كان فيه صورة شخص فقد أبعد وأخطأ ، بل كان فِضّة كله وفَصُّه منه ، ونقشه : محمد رسول الله ثلاثة أسطر ؛ محمد سطر ، ورسول سطر ، والله سطر ، وكأنه ـ والله أعلم ـ كان منقوشاً وكتابته مقلوبة ليطبع على الاستقامة كما جرت العادة بهذا . وقد قيل : إن كتابته كانت مستقيمة ، وتطبع كذلك ، وفى صحة هذا نظر ، ولست أعرف لذلك إسناداً ، لا صحيحاً ولا ضعيفاً .

وهذه الأحاديث التى أوردناها ـ أنه عليه السلام كان له خاتم من فضة ـ ترد الأحاديث التى قدمناها فى سننى أبى داود والنسائى ، من طريق أبى عتاب ـ سهل بن حماد الدلال ، عن أبى مكين ـ نوح بن ربيعة ، عن إياس بن الحارث بن معيقيب بن أبى فاطمة عن جده قال : كان خاتم النبى ﷺ من حديد ملوى عليه فضة . ومما يزيده ضعفاً : الحديث الذى رواه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى من حديث أبى طيبة ـ عبد الله بن مسلم السلمى المروزى ، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه ، أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه خاتم من شَبَه[1] فقال : مالى أجد منك ريح الأصنام ؟ فطرحه ، ثم جاء وعليه خاتم من حديد ، فقال : مالى أرى عليك حلية أهل النار ؟ فطرحه ، ثم قال : يا رسول الله ، من أى شىء اتخذه ؟ قال : اتخذه من وَرِق ، ولا تتمه مثقالا .

وقد كان عليه السلام يلبسه فى يده اليمنى كما رواه أبو داود والترمذى فى الشمائل ، والنسائى من حديث شريك ، وأخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن القاضى ، عن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن حسن ، عن أبيه ، عن على رضى الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال شريك : وأخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن ، أن رسول الله ﷺ كان يتختم فى يمينه ، وروى فى اليسرى ، رواه أبو داود من حديث عبد العزيز بن أبى رواد ، عن نافع عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ كان يتختم فى يساره ، وكان فصه فى باطن كفه . قال أبو داود : رواه أبو إسحاق وأسامة بن زيد عن نافع فى يمينه . وحدثنا هناد ، عن عبدة ، عن عبيد الله . عن نافع : أن ابن عمر كان يلبس خاتمه فى يده اليسرى . ثم قال أبو داود : حدثنا عبد الله بن سعيد ، ثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق قال : رأيت على الصّلت بن عبدالله بن نوفل بن عبد المطلب خاتماً فى خنصره

---

(١) الشبه : النحاس الأصفر .

اليمنى ، فقلت : ما هذا ؟ فقال : رأيت ابن عباس يلبس خاتمه هكذا ، وجعل فصه على ظهرها .
قال : ولا يخال ابن عباس إلا قد كان يذكر أن رسول الله ﷺ كان يلبس خاتمه كذلك ،
وهكذا رواه الترمذى من حديث محمد بن إسحاق به . ثم قال محمد بن إسماعيل - يعنى البخارى :
حديث ابن إسحاق عن الصلت - حديث حسن . وقد روى الترمذى فى الشمائل عن أنس ، وعن جابر
وعن عبد الله بن جعفر ، أن رسول الله ﷺ كان يتختم فى اليمين .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى ، ثنا أبى ، عن ثمامة ، عن أنس بن مالك ،
أن أبا بكر لما استخلف كتب له ، وكان نقش الخاتم ثلاثة أسطر : محمد سطر ، ورسول سطر ،
والله سطر . قال أبو عبد الله : وزاد أبو أحمد ، ثنا الأنصارى حدثنى أبى ثنا ثمامة ، عن أنس قال :
كان خاتم النبى ﷺ فى يده ، وفى يد أبى بكر ، وفى يد عمر بعد أبى بكر ، قال : فلما كان عثمان
جلس على بئر أريس ، فأخذ الخاتم فجعل يعبث به فسقط ، قال : فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان ،
فنزح البئر فلم يجده . فأما الحديث الذى رواه الترمذى فى الشمائل : حدثنا قتيبة ، حدثنا أبو عوانة ،
عن أبى بشر عن نافع عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ ، اتخذ خاتما من فضة فكان يختم به
ولا يلبسه - فإنه حديث غريب جدا . وفى السنن من حديث ابن جريج عن الزهرى عن أنس
قال : كان رسول الله ﷺ إذا دخل الخلاء نزع خاتمه .

ذكر سيفه عليه السلام

قال الإمام أحمد : ثنا شريح ، ثنا ابن أبى الزناد ، عن أبيه ، عن الأعمى - عبيد الله بن عبد الله
ابن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس قال : تنفل[1] رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار يوم بدر ،
وهو الذى رأى الرؤيا يوم أحد ، قال : « رأيت فى سيفى ذا الفقار فلا »[2] فأولته فلا يكون فيكم ،
ورأيت أنى مردف كبشا ، فأولته كبش الكتيبة ، ورأيت أنى فى درع حصينة فأولتها المدينة ،
ورأيت بقرا تذبح ، فبقر والله خير ، فبقر والله خير » فكان الذى قال رسول الله ﷺ ،
وقد رواه الترمذى وابن ماجة ، من حديث عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه به . وقد ذكر
أهل السنن ، أنه سمع قائل يقول : لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا فتى إلا على . وروى الترمذى
من حديث هود بن عبد الله بن سعيد ، عن جده مزيدة بن جابر العبدى العصرى - رضى الله عنه ،
قال : دخل رسول الله ﷺ مكة وعلى سيفه ذهب وفضة . الحديث ، ثم قال : هذا حديث غريب ،

(١) أى : أخذه نافلة . والنافلة : الغنيمة ، وقد كان هذا السيف لمنبه بن الحجاج فغنمه الرسول يوم بدر
(٢) أى : ثلما

وقال الترمذي في الشمائل : حدثنا محمد بن بشار ، ثنا معاذ بن هشام ، ثنا أبي ، عن قتادة ، عن سعيد بن أبي الحسن قال : كانت قَبيعة[1] سيف رسول الله ﷺ من فضة ، وروى أيضا من حديث عثمان بن سعد عن ابن سيرين قال : صنعت سيفي على سيف سَمُرة ، وزعم سمرة أنه صنع سيفه على سيف رسول الله ﷺ وكان حَنفيًّا[2] وقد صار إلى آل عليّ سيف من سيوف رسول الله ﷺ ، فلما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما بكربلاء عند الطَّف[3] كان معه ، فأخذه علي بن الحسين بن زين العابدين ، فقدم معه دمشق حين دخل على يزيد بن معاوية ، ثم رجع معه إلى المدينة ، فثبت في الصحيحين عن المسور بن مخرمة أنه تلقاه إلى الطريق ، فقال له : هل لك إليّ من حاجة تأمرني بها ؟ قال : فقال : لا ، فقال : هل أنت مُعطّي سيف رسول الله ﷺ ، فإني أخشى أن يغلبك عليه القوم ؟ وأيم الله إن أعطيتنيه لا يخلص إليه أحد حتى يبلغ نفسي .

وقد ذكر للنبي ﷺ غير ذلك من السلاح ؛ من ذلك : الدروع كما روى غير واحد ، منهم السائب بن يزيد ، وعبد الله بن الزبير : أن رسول الله ﷺ ظاهر يوم أحد بين دِرْعين ، وفي الصحيحين من حديث مالك عن الزهري عن أنس ، أن رسول الله ﷺ دخل يوم الفتح وعلى رأسه المِغْفَر ، فلما نزعه قيل له : هذا ابن خَطَل[4] متعلق بأستار الكعبة ، فقال : اقتلوه ، وعند مسلم من حديث أبي الزبير ، عن جابر أن رسول الله ﷺ دخل يوم الفتح وعليه عمامة سوداء ، وقال وكيع عن مساور الوراق ، عن جعفر بن عمرو بن حريث ، عن أبيه ، قال : خطب رسول الله ﷺ الناس وعليه عمامة دَسماء[5] ذكرهما الترمذي في الشمائل ، وله من حديث الدراوردي ، عن عبد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : كان رسول الله ﷺ إذا اعتمّ سَدَلها بين كتفيه ، وقد قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا أبو شيبة إبراهيم بن عبد الله بن محمد ، ثنا مُخَوَّل ابن إبراهيم ، ثنا إسرائيل ، عن عاصم ، عن محمد بن سيرين ، عن أنس بن مالك أنه كانت عنده عصية لرسول الله ﷺ فمات فدفنت معه بين جنبه وبين قميصه ، ثم قال البزار : لا نعلم رواه إلا مُخَوَّل بن راشد ، وهو صدوق فيه شيعية ، واحتمل على ذلك . وقال الحافظ البيهقي بعد روايته هذا الحديث من طريق مُخَوَّل هذا قال : وهو من الشيعة يأتي بأفراد عن إسرائيل لا يأتي بها غيره ، والضعف على رواياته بين ظاهر .

---

(١) قبيعة السيف : ما على طرف مقبضه من فضة أو حديد .

(٢) السيوف الحنفية : تنسب إلى صخر أبو بحر الأحنف بن قيس تابعي كبير ، لأنه أول من أمر باتخاذها

(٣) الطف : موضع قريب من الكوفة (٤) هو عبد الله بن خطل من بني تيم بن غالب . وقد كان مسلما وارتد بعد أن قتل مولى له كان مسلما ، وكانت له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله .

(٥) الدسمة – بالضم – غبرة إلى سواد وهو أدسم وهي دسماء

ذكر نعله التي كان يمشي فيها عليه السلام

ثبت فى الصحيح عن أبى عمر، أن رسول الله ﷺ كان يلبس النعال السِّبْتِيَّة ، وهى التى لا شَعَر عليها ، وقد قال البخارى فى صحيحه : حدثنا محمد ـ هو ابن مقاتل ، حدثنا عبد الله ـ يعنى ابن المبارك ، أنا عيسى بن طَهمان ، قال : خرج إلينا أنس بن مالك بنعلين لهما قِبَالان[1] ، فقال ثابت البنانى : هذه نعل النبى ﷺ ، وقد رواه فى كتاب الخمس عن عبد الله بن محمد عن أبى أحمد الزبيرى ، عن عيسى بن طُهمان عن أنس ، قال : أخرج إلينا أنس نعلين جَرْدَاوين لهما قِبَالان ، فحدثنى ثابت البنانى بعد ، عن أنس، أنهما نعلا النبى ﷺ . وقد رواه الترمذى فى الشمائل عن أحمد بن منيع عن أبى أحمد الزبيرى به . وقال الترمذى فى الشمائل : حدثنا أبو كريب ، ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن خالد الحذاء ، عن عبد الله بن الحارث ، عن ابن عباس قال : كان لنعل رسول الله ﷺ قبالان مثنيا شراكهما ، وقال أيضا : ثنا إسحاق بن منصور ، أنا عبد الرزاق عن معمر ، عن ابن أبى ذئب ، عن صالح مولى التوأمة ، عن أبى هريرة قال : كان لنعل رسول الله ﷺ قبالان ، وقال الترمذى : ثنا محمد بن مرزوق . أبو عبد الله : ثنا عبد الرحمن بن قيس ـ أبو معاوية ، ثنا هشام ، عن محمد ، عن أبى هريرة قال : كان لنعل رسول الله ﷺ قبالان وأبى بكر وعمر ، وأول من عقد عقداً واحداً عثمان . قال الجوهرى : قِبال النعل بالكسر : الزمام الذى يكون بين الإصبع الوسطى والتى تليها . قلت : واشتهر فى حدود سنة ستمائة وما بعدها عند رجل من التجار يقال له : ابن أبى الحَدْرَد ـ نعل مفردة ، ذكر أنها نعل النبى ﷺ ، فسامها الملك الأشرف مُوسَى بن الملك العادل ـ أبى بكر بن أيوب ، منه بمال جزيل فأبى أن يبيعها ، فاتفق مَوتُه بعد حين ، فصارت إلى الملك الأشرف المذكور ، فأخذها إليه وعظمها ، ثم لما بنى دار الحديث الأشرفية إلى جانب القلعة ، جعلها فى خزانة منها ، وجعل لها خادماً ، وقرَّر له من المعلوم كل شهر أربعون درهما ، وهى موجودة إلى الآن فى الدار المذكورة . وقال الترمذى فى الشمائل : ثنا محمد بن رافع وغير واحد قالوا : ثنا أبو أحمد الزبيرى ، ثنا شيبان ، عن عبد الله بن المختار ، عن موسى بن أنس ، عن أبيه قال : كانت لرسول الله ﷺ سلة يتطيب منها .

صفة قدح النبي ﷺ

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ، ثنا شريك ، عن عاصم قال : رأيت عند أنس قَدَح النبى ﷺ فيه ضَبَّة من فضة . وقال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، أخبرنى أحمد بن محمد النسوى ، ثنا حماد بن شاكر ، ثنا محمد بن إسماعيل ـ هو البخارى ،

(١) أى : شراكان . والشراك : زمام بين الإصبع الوسطى والتى تليها ، وقبل النعل : جعل لها قبالين

ثنا الحسن بن مدرك ، حدثنى يحيى بن حماد ، أنا أبو عَوَانة ، عن عاصم الأحول قال : رأيت قَدَح النبى ﷺ عند أنس بن مالك ، وكان قد انصَدع فسلْسَله بفضة ، قال : وهو قدح جيد عريض من نُضار(١) ، قال أنس : لقد سَقَيْتُ رسول الله ﷺ فى هذا القَدح أكثر من كذا وكذا ، قال : وقال ابن سِيرين : إنه كان فيه حَلْقة من حديد ، فأراد أنس أن يجعل مكانها حَلْقة من ذهب أو فضة ، فقال له أبو طلحة : لا تُغيِّرنّ شيئاً صَنَعه رسول الله ﷺ ، فتركه ، وقال الإمام أحمد : حدثنا روح بن عبادة ، ثنا حجاج بن حسان قال : كنا عند أنس فدعا بإناء فيه ثلاث ضَبَّات حديد ، فأخرج من غلاف أسود وهو دون الربع ، وفوق نصف الربع ، وأمر أنس بن مالك فجعل لنا فيه ماء ، فأتينا به فشربنا وصببنا على رءوسنا ووجوهنا وصلّينا على النبى ﷺ . انفرد به أحمد .

ذكر ما ورد فى المكحلة التى كان عليه السلام يكتحل منها

قال الإمام أحمد : ثنا يزيد ، أنا عبد الله بن منصور ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كانت لرسول الله ﷺ مُكْحُلَة يَكتَحِلُ منها عند النوم ثلاثاً فى كل عين ، وقد رواه الترمذى وابن ماجة من حديث يزيد بن هارون ، قال على بن المدينى : سمعت يحيى بن سعيد يقول : قلت لعباد بن منصور : سمعت هذا الحديث من عكرمة ، فقال : أخبرنيه ابن أبى يحيى ، عن داود بن الحصين عنه ، قلت : وقد بَلَغنى أنّ بالديار المصرية مَزاراً فيه أشياء كثيرة من آثار النبى ﷺ اعتَنى بجَمْعها بعض الوزراء المتأخرين ، فمن ذلك مُكْحُلَة ، وقيل : ومُشط ، وغير ذلك ، فالله أعلم .

البردة

قال الحافظ البيهقى : وأما البُرْد الذى عند الخلفاء ، فقد روينا عن محمد بن إسحاق بن يَسار فى قصة تبوك ، أنّ رسول الله ﷺ أعطى أهل أيلة بُردة(٢) مع كتابه الذى كتب لهم أماناً لهم ، فاشتراه أبو العباس عبد الله بن محمد بثلثمائة دينار – يعنى بذلك : أول خلفاء بنى العباس وهو السفاح رحمه الله ، وقد توارث بنو العباس هذه البُردة خَلَفًا عن سَلَف ، كان الخليفة يلبسها يومَ العيد على كتفيه ، ويأخذ القَضيب المنسوب إليه – صلوات الله وسلامه عليه – فى إحدى

(١) نضار : أى : خشب جيد خالص ؛ لأن النضار من كل شىء أحسنه وأجوده .

(٢) البردة : كساء يلتحف به .

يديه ، فيخرجُ وعليه من السَّكينة والوَقار ما يَصدعُ به القلوب ، ويَبهرُ به الأبصار ، ويلبسون السواد فى أيام الجمع والأعياد ، وذلك اقتداء منهم بسيِّد أهل البدو والحضر ، ممن يسكن الوبَر والمَدَر ؛ لما أخرجه البخارى ومسلم إماماً أهل الأثر ، من حديث ، عن مالك الزهرى ، عن أنس أن رسول الله ﷺ دخل مَكَّة وعلى رأسه المِغفر ، وفى رواية : وعليه عمامة سوداء ، وفى رواية : قد أرْخى طرَفها بين كتفيه ، صلوات الله وسلامه عليه :

وقد قال البخارى : ثنا مسدد ، ثنا إسماعيل ، ثنا أيوب ، عن محمد عن أبى بردة قال : أخرجت إلينا عائشة كساء وإزاراً غليظاً فقالت : قُبض روح النبى ﷺ فى هذين ، وللبخارى من حديث الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله عن عائشة وابن عباس قالا : لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خَميصة[1] له على وجه ، فإذا اغتمّ كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك : لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، يحذّر ما صنعوا ، قلت : وهذه الأبواب الثلاثة لا يدرى ما كان من أمرها بعد هذا ، وقد تقدم أنه عليه السلام طُرحت تحته فى قبره الكريم قَطيفة حمراء كان يصلى عليها ، ولو تقصّينا ما كان يلبسه فى أيام حياته لطال الفصل ، وموضعه كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله ، وبه الثقة وعليه التكلان .

ذكر أفراسه ومراكيبه عليه الصلاة والسلام

قال ابن إسحاق : عن يزيد بن حبيب ، عن مرثد بن عبد الله المزنى ، عن عبد الله بن رزين ، عن علىّ قال : كان للنبى ﷺ فرس يقال له المُرتجز[2] ، وحمار يقال له عُفَير ، وبغلة يقال لها دُلدُل[3] ، وسيفه ذو الفقار ، ودرعه ذو الفُضول . ورواه البيهقى من حديث الحكم عن يحيى ابن الجزار عن علىّ نحوه ، قال البيهقى : وروينا فى كتاب السنن أسماء أفراسه التى كانت عند الساعديين ؛ لِزاز ، واللُّخَيف[4] ، وقيل اللُّخيف والظَّرِب ، والذى ركبه لأبى طلحة يقال له المندوب وناقته : القَصواء والعَضباء والجَدعاء ، وبغلته : الشَّهباء والبَيضاء . قال البيهقى : وليس فى شىء من الروايات أنه مات عنهن ، إلا ما روينا فى بغلته البيضاء ، وسلاحه ، وأرض جعلها صدقة ، ومن ثيابه ، وبغلته ، وخاتمه - مما رويناه فى هذا الباب .

وقال أبو داود الطيالسى : ثنا زمعة بن صالح عن أبى حازم عن سهل بن سعد قال : توفى

---

(١) الخميصة : غطاء أسود مربع له علمان . (٢) المرتجز : سمى بذلك لحسن صهيله .

(٣) البغلة والحمار أهداهما له المقوقس ، وكانت البغلة أول بغلة ربيت فى الإسلام ، وبقيت إلى زمن معاوية . (٤) وقيل : اللحيف بالحاء المهملة .

رسول الله ﷺ وله جُبّة صوف فى الحياكة ، وهذا إسناد جيد . وقد روى الحافظ أبو يعلى فى مسنده : حدثنا مجاهد ، عن موسى ، ثنا على بن ثابت ، ثنا غالب الجزرى ، عن أنس قال : لقد قُبض رسول الله ﷺ وإنّه ليُنسج له كساء مِن صُوف ، وهذا شاهد لما تقدم . وقال أبو سعيد بن الأعرابى : حدثنا سعدان بن نصير ، ثنا سفيان بن عيينة ، عن الوليد بن كثير ، عن حسين ، عن فاطمة بنت الحسين : أن رسول الله ﷺ قبض وله بُردان فى الُجف[1] يعملان ، وهذا مرسل . وقال أبو القاسم الطبرانى : ثنا الحسن بن إسحاق التسترى ، ثنا أبو أمية عمرو ابن هشام الحرانى ، ثنا عثمان بن عبد الرحمن بن على بن عروة ، عن عبد الملك بن أبى سليمان ، عن عطاء وعمرو بن دينار ، عن ابن عباس قال : كان لرسول الله ﷺ سيف قائمته من فضة وقبيعتُه ، وكان يسميه ذا الفَقار ، وكان له قَوس تسمى السّداد ، وكانت له كنانة تسمى الُجمع ، وكانت له درع مُوشّحة بالنحاس تسمى ذات الفُضول ، وكانت له حربة تسمى النّبعاء ، وكان له مِجَن يسمى الذّقن ، وكان له ترس أبيض يسمى المُوجَز ، وكان له فرس أدهم يسمى السّكب ، وكان له سَرج يسمى الدّاج ، وكان له بغلة شهباء يقال لها دُلدُل ، وكانت له ناقة تسمى القَصواء وكان له حمار يقال له : يَعفُور ، وكان له بساط يسمى الكُرّ ، وكان له نَمِرة[2] تسمى النمر ، وكانت له رُكوة[3] تسمى الصادر ، وكانت له مرآة تسمى المرآة ، وكان له مِقراض يسمى الجامع ، وكان له قضيب شَوْحَط[4] يسمى الممشوق .

قلت : قد تقدم عن غير واحد من الصحابة ، أن رسول الله ﷺ لم يترك ديناراً ، ولا دِرهما ولاعبداً ، ولا أمَة ـ سوى بغلة وأرض[4] جعلها صدقة ، وهذا يقتضى أنه عليه السلام نجّز العتق فى جميع ما ذكرناه من العبيد ، والإماء ، والصدقة فى جميع ما ذكر من السلاح ، والحيوانات ، والأثاث ، والمتاع مما أوردناه ، وما لم نُورده ، وأما بغلته فهى الشّهباء ، وهى البَيضاء أيضاً ، والله أعلم ، وهى التى أهداها له المقوقس ، صاحب الإسكندرية ـ واسمه : جريج بن ميناء ـ فيما أهدى من التحف ، وهى التى كان رسول الله ﷺ راكبها يوم حُنين ، وهو فى نحور العدوّ ينوه باسمه الكريم شجاعةً وتوكّلاً على الله عز وجل ، فقد قيل : إنها عمرت بعده حتى كانت عند علىّ ابن أبى طالب فى أيام خلافته ، وتأخرت أيامها حتى كانت بعد علىّ عند عبد الله بن جعفر فكان يجش لها الشعير حتى تأكله من ضَعفها بعد ذلك . وأما حماره يَعفور ، ويُصَغّر ،

---

(١) الجف : وعاء من الجلد . (٢) النمرة : بردة من صوف ـ أو شملة فيها خطوط بيض وسود .
(٣) الركوة ـ مثلثة ـ : إناء صغير من جلد يشرب منه الماء .
(٤) الشوحط : شجر تتخذ منه القسى . (٤) فى نسخة : وأرضا

فيقال له : عُفَير فقد كان عليه السلام يركبه فى بعض الأحايين ، وقد روى أحمد من حديث محمد ابن إسحاق ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن يزيد بن عبد الله العوفى ، عن عبد الله بن رزين ، عن علىّ قال : كان رسول الله ﷺ يركب حماراً يقال له عُفَير ، ورواه أبو يعلى من حديث عَون بن عبد الله عن ابن مسعود ، وقد ورد فى أحاديث عدة أنه عليه السلام ركب الحمار .

وفى الصحيحين أنه عليه السلام مرّ وهو راكب حماراً بمجلس فيه عبد الله بن أبىّ بن سلول ، وأخلاط من المسلمين والمشركين عَبدة الأوثان واليهود ، فنزل ودعاهم إلى الله عز وجل ، وذلك قبلَ وقعة بدر ، وكان قد عزم على عيادة سَعد بن عُبادة ، فقال له عبد الله : لا أحسن مما تقول أيها المرء ، فإن كان حقاً فلا تغشنا به فى مجالسنا ، وذلك قبل أن يظهر الإسلام ، ويقال : إنه خمّر[1] أنفه لما غشيتهم عجاجة الدابة وقال : لا تؤذنا بنتن حمارك ، فقال له عبد الله ابن رواحة : والله لريح حمار رسول الله ﷺ أطيب من ريحك . وقال عبد الله : بل يا رسول الله اغشنا به فى مجالسنا ، فإنا نحبّ ذلك ، فتثاور الحيان وهموا أن يقتتلوا ، فسكنهم رسول الله ﷺ ، ثم ذهب إلى سعد بن عبادة فشكى إليه عبد الله بن أبىّ . فقال : ارفق به يا رسول الله ، فوالذى أكرمك بالحق لقد بعثك الله بالحق ، وإنا لننظم له الخرز[2] لنملكه علينا ، فلما جاء الله بالحق شرق بريقه .

وقد قدمنا أنه ركب الحمار فى بعض أيام خيبر ، وجاء أنه أردف معاذاً على حمار ، ولو أوردناها بألفاظها وأسانيدها لطال الفصل ، والله أعلم .

فأما ما ذكره القاضى عياض بن موسى السبتى فى كتابه الشفاء ، وذكره قبل إمام الحرمين فى كتابه الكبير فى أصول الدين وغيرهما ، أنه كان لرسول الله ﷺ حمار يسمى زياد بن شهاب ، وأن رسول الله ﷺ كان يبعثه ليطلب له بعض أصحابه فيجىء إلى باب أحدهم فيقعقعه فيعلم أن رسول الله ﷺ يطلبه ، وأنه ذكر للنبى ﷺ أنه سُلالة سبعين حماراً كل منها ركبه نبى ، وأنه لما توفى رسول الله ﷺ ذهب فتردّى فى بئر فمات ـ فهو حديث لا يعرف له إسناد بالكلية ، وقد أنكره غير واحد من الحُفّاظ ، منهم : عبد الرحمن بن أبى حاتم وأبوه ـ رحمهما الله ـ وقد سمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزى ـ رحمه الله ـ ينكره غير مرة إنكاراً شديداً .

وقال الحافظ أبو نعيم فى كتاب دلائل النبوة : ثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن موسى العنبرى ،

---

(١) أى : غطاه ، والتخمير : التغطية .

(٢) وذلك لنصنع له منه حلية أو ما يشبه التاج . وفى نسخة خدر : وهو ستر يمد فى ناحية البيت كالقبة .

ثنا أحمد بن محمد بن يوسف ، ثنا إبراهيم بن سويد الجذوعي ، حدثني عبد الله بن أذين الطائي ، عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن معاذ بن جبل قال : أتى النبي ﷺ وهو بخيبر حمار أسود فوقف بين يديه ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا عمرو بن فلان ، كنا سبعة إخوة كلنا ركبنا الأنبياء وأنا أصغرهم ، وكنت لك فملكني رجل من اليهود، فكنت إذا ذكرتك كبوت به فيوجعني ضرباً ، فقال رسول الله ﷺ : « فأنت يعفور »[١] هذا حديث غريب جداً .

فصل

وهذا أوان إيراد ما بقي علينا من متعلقات السيرة الشريفة ، وذلك أربعة كتب :

الأول : في الشمائل . الثاني : في الدلائل . الثالث : في الفضائل . الرابع : في الخصائص ، وبالله المستعان وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم .

كتاب الشمائل

شمائل رسول الله ﷺ وبيان خلقة الظاهر وخلقه الطاهر

قد صنف الناس في هذا قديماً وحديثاً ، كتباً كثيرة مفردة وغير مفردة ، ومن أحسن من جمع في ذلك فأجاد وأفاد : الإمام ـ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ـ رحمه الله ، أفرد في هذا المعنى كتابه المشهور بالشمائل ، ولنا به سماع متصل إليه ، ونحن نورد عيون ما أورده فيه ، ونزيد عليه أشياء مهمة لا يستغنى عنها المحدث والفقيه ، ولنذكر أولا بيان حسنه الباهر الجميل ، ثم نشرع بعد ذلك في إيراد الجمل والتفاصيل ، فنقول : والله حسبنا ونعم الوكيل .

باب ما ورد في حسنه الباهر بعد ما تقدم من بيان حسبه الطاهر

قال البخاري : ثنا أحمد بن سعيد ـ أبو عبد الله ، ثنا إسحاق بن منصور ، ثنا إبراهيم بن يوسف ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق قال : سمعت البراء بن عازب يقول : كان النبي ﷺ أحسن الناس وجهاً ، وأحسنهم خَلقاً ، ليس بالطويل البائن ، ولا بالقصير . وهكذا رواه مسلم عن أبي كريب عن إسحاق بن منصور . وقال البخاري : حدثنا جعفر بن عمر ، ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب . قال : كان النبي ﷺ مربوعاً بعيد ما بين المنكبين ؛ له شعر يبلغ شحمة أذنيه ، رأيته في حلة حمراء لم أر شيئاً قط أحسن منه . قال يوسف بن أبي إسحاق

(١) اليعفور : الظبي أو ولد البقرة الوحشية الذي لونه كلون العفر وهو التراب .

عن أبيه : إلى مَنْـكبيه . وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، ثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن البراء قال : ما رأيت من ذى لِمّة[1] أحسن فى حُلة حمراء من رسول الله ﷺ ؛ له شعر يَضْرب مَنْـكبيه بعيد ما بين المَنْـكبين ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، وقد رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى من حديث وكيع به . وقال الإمام أحمد : ثنا أسود بن عامر ، ثنا إسرائيل ، أنا أبو إسحاق ، ح وحدثنا يحيى بن أبى بكير ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق قال : سمعت البراء يقول : ما رأيت أحداً من خَلق الله أحسنَ فى حُلّة حمراء من رسول الله ﷺ وإن جُمّته[2] لتَضْرب إلى منكبيه . قال ابن أبى بكير : لتَضْرب قريبا من منكبيه . قال ـ يعنى ابن إسحاق ـ وقد سمعته يحدّث به مراراً ما حدّث به قط إلا ضَحك . وقد رواه البخارى فى اللباس ، والترمذى فى الشمائل ، والنسائى فى الزينة ، من حديث إسرائيل به .

وقال البخارى : حدثنا أبو نعيم ، ثنا زهير ، عن أبى إسحاق قال : سُئل البراء بن عازب ، أكان وجه رسول الله ﷺ مثلَ السيف ؟ قال : لا ، بل مثل القمر . ورواه الترمذى من حديث زهير بن معاوية الجعفى الكوفى ، عن أبى إسحاق السبيعى ـ واسمه عمرو بن عبد الله الكوفى ، عن البراء بن عازب به ، وقال : حسن صحيح . وقال الحافظ أبو بكر البيهقى فى الدلائل : أخبرنا أبو الحسن بن الفضل القطان ببغداد ، أنا عبد الله بن جعفر بن دُرُستويه . ثنا أبو يوسف يعقوب ابن سُفيان ، ثنا أبو نعيم وعبد الله ، عن إسرائيل ، عن سماك أنه سمع جابر بن سمرة قال له رجل : أكان رسولَ الله ﷺ وجهُه مثل السيف ؟ قال : لا ؛ بل مثل الشمس والقمر مستديراً . وهكذا رواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن عبيد الله بن موسى به .

وقد رواه الإمام أحمد مطولا فقال : ثنا عبد الرزاق ، أنا إسرائيل ، عن سماك أنه سمع جابر ابن سمرة يقول : كان رسول الله ﷺ قد شَمِطَ[3] مقدَّمُ رأسه ولحيته ؛ فإذا ادّهن وَمشّطهن لم يتبين ، وإذا شَعِثَ[4] رأسه تبيّن . وكان كثير الشعر واللحية ، فقال رجل : وجهه مثل السيف ؟ قال : لا ، بل مثل الشمس والقمر مستديراً . قال : ورأيت خاتمه عند كتفه مثل بيضة الحمامة يُشبه جَسده . وقال الحافظ البيهقى : أنا أبو طاهر الفقيه ، أنا أبو حامد بن بلال ، ثنا محمد بن إسماعيل الأحمسى ثنا المحاربى ، عن أشعث ، عن أبى إسحاق ، عن جابر بن سمرة قال : رأيت رسول الله ﷺ فى ليلة إضْحِيانة[5] وعليه حلة حمراء فجعلت أنظر إليه وإلى القمر ، فَلَهوَ عندى أحسنُ من القمر . هكذا رواه الترمذى والنسائى جميعا عن هناد بن السرى ، عن عبثر بن القاسم

---

(١) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن (٢) الجمة : مجتمع شعر الرأس

(٣) الشمط ـ محركة : بياض الرأس يخالطه سواد (٤) الأشعث : المغبر الرأس (٥) أى : مضيئة

عن أشعث بن سوار . قال النسائي : وهو ضعيف ، وقد أخطأ ، والصواب : أبو إسحاق عن البراء. وقال الترمذي : هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث أشعث بن سوار ، وسألت محمد ابن إسماعيل - يعني البخاري - قلت : حديث أبي إسحاق عن البراء أصح أم حديثه عن جابر ؟ فرأى كلا الحديثين صحيحاً . وثبت في صحيح البخاري ، عن كعب بن مالك في حديث التوبة قال : وكان رسول الله ﷺ إذا سُرّ استنارَ وجهُه كأنه قطعة قمر ، وقد تقدم الحديث بتمامه .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا سعيد ، ثنا يُونس بن أبي يعفور العبدي ، عن أبي إسحاق الهمداني ، عن امرأة من همدان سماها ، قالت : حججت مع رسول الله ﷺ فرأيته على بَعير له يطوف بالكعبة بيده مِحْجن[1] عليه بُردان أحمران يكاد يمس مَنْكِبه ، إذا مر بالحجر استلمه بالمحجن ثم يرفعه إليه فيقبله . قال أبو إسحاق : فقلت لها : شبهيه ؟ قالت : كالقمر ليلة البدر لم أر قبله ولا بعده مثله . وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا إبراهيم بن المنذر ، ثنا عبد الله بن موسى التيمي ، ثنا أسامة بن زيد ، عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال : قلت للربيع بنت معوذ : صِفِي لي رسول الله ﷺ ؟ قالت : يا بنيّ لو رأيتَه رأيت الشمس طالعة . رواه البيهقي من حديث يعقوب بن محمد الزهري عن عبد الله بن موسى التيمي بسنده فقالت : لو رأيته لقلت الشمس طالعة ، وثبت في الصحيحين من حديث الزهري عن عروة عن عائشة قالت : دخل عليّ رسول الله ﷺ مسروراً تبرُق أسارير وجهه... الحديث .

صفة لون رسول الله ﷺ

قال البخاري : ثنا يحيى بن بكير ، ثنا الليث ، عن خالد - هو ابن يزيد ، عن سعيد - يعني ابن هلال - عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، قال : سمعت أنس بن مالك يصف النبي ﷺ قال : كان رَبْعةً من القوم - ليس بالطويل ولا بالقصير ، أزهر اللون - ليس بأبيض أمهَق[2] ولا بآدم[3] ، ليس بجَعد قَطَط[4] ولا سَبْط[5] رَجِل ؛ أنزل عليه وهو ابن أربعين ، فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه ، وبالمدينة عشر سنين ، وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء ، قال ربيعة : فرأيت شعراً من شَعره فإذا هو أحمر ؛ فسألت فقيل : أحمر من الطّيب . ثم قال البخاري : ثنا عبد الله بن يوسف ، أخبرنا مالك بن أنس ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ،

---

(١) المحجن : العصا المنوجة (٢) الأمهق : الأبيض الخالص ، لا يخالطه حمرة ولا صفرة
(٣) الأدمة في الإنسان : السمرة (٤) جعد قطط - الجعد : القصير ، والقطط : شعر الزنج
(٥) السبط : نقيض الجعد . والرجل : الذي بين السبوطة والجعودة .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، أنه سمعه يقول : كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل البائن ولا بالقصير ، وليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم ، وليس بالجعد القطط ، ولا بالسبط . بعثه الله على رأس أربعين سنة ، فأقام بمكة عشر سنين ، وبالمدينة عشر سنين ، فتوفاه الله وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء . وكذا رواه مسلم عن يحيى بن يحيى عن مالك . ورواه أيضا عن قتيبة ويحيى بن أيوب وعلى بن حجر ـ ثلاثتهم عن إسماعيل بن جعفر . وعن القاسم بن زكريا ، عن خالد بن مخلد ، عن سليمان بن بلال ـ ثلاثتهم عن ربيعة به . ورواه الترمذى والنسائى جميعا عن قتيبة عن مالك به ، وقال الترمذى : حسن صحيح . قال الحافظ البيهقى : ورواه ثابت عن أنس فقال : كان أزهر اللون ، قال : ورواه حميد كما أخبرنا . ثم ساق بإسناده عن يعقوب بن سفيان : حدثنى عمرو بن عون وسعيد بن منصور قالا : حدثنا خالد بن عبد الله ، عن حميد الطويل ، عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ أسمر اللون . وهكذا روى هذا الحديث الحافظ أبو بكر البزار عن على ، عن خالد بن عبد الله ، عن حميد عن أنس قال : وحدثناه محمد بن المثنى قال : حدثنا عبد الوهاب قال : حدثنا حميد عن أنس قال : لم يكن رسول الله ﷺ بالطويل ولا بالقصير ، وكان إذا مشى تكفأ[1] وكان أسمر اللون ثم قال البزار : لا نعلم رواه عن حميد إلا خالد وعبد الوهاب .

ثم قال البيهقى رحمه الله : وأخبرنا أبو الحسين بن بشران ، أنا أبو جعفر البزار ، ثنا يحيى ابن جعفر ، ثنا على بن عاصم ، ثنا حميد ، سمعت أنس بن مالك يقول ، فذكر الحديث فى صفة النبى ﷺ ؛ قال : كان أبيض بياضه إلى السمرة ، قلت : وهذا السياق أحسن من الذى قبله ؛ وهو يقتضى أن السمرة التى كانت تعلو وجهه عليه السلام من كثرة أسفاره وبروزه للشمس والله أعلم . فقد قال يعقوب بن سفيان الفسوى أيضا : حدثنى عمرو بن عون وسعيد بن منصور قالا : ثنا خالد بن عبد الله بن الجريرى ، عن أبى الطفيل قال : رأيت النبى ﷺ ولم يبق أحد رآه غيرى ، فقلنا له : صف لنا رسول الله ﷺ فقال : كان أبيض مليح الوجه . ورواه مسلم عن سعيد بن منصور به . ورواه أيضا أبو داود من حديث سعيد بن إياس الجريرى ، عن أبى الطفيل عامر بن واثلة الليثى قال : كان رسول الله ﷺ أبيض مليحا ، إذا مشى كأنما ينحط فى صبب[2] ، لفظ أبى داود ، وقال الإمام أحمد : حدثنا زيد بن هارون الجريرى قال : كنت أطوف مع أبى الطفيل فقال : ما بقى أحد رأى رسول الله ﷺ غيرى . قلت : ورأيته ؟ قال : نعم ، قال : قلت : كيف كانت صفته ؟ قال : كان أبيض مليحا مقصدا[3] . وقد رواه الترمذى عن سفيان ابن وكيع ومحمد بن بشار ـ كلاهما عن يزيد بن هارون به وقال البيهقى : أنا أبو عبد الله الحافظ ،

(١) أى : مال إلى الأمام فى مشيه

(٢) أى : فى موضع منحدر ، والصبب محركة : طريق يكون فى حدور (٣) أى : ليس بالجسيم ولا بالضئيل

أنا عبد الله بن جعفر - أو أبو الفضل محمد بن إبراهيم ، ثنا أحمد بن سلمة ، ثنا واصل بن عبد الأعلى الأسدى ، ثنا محمد بن فضيل ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى جحيفة قال : رأيت رسول الله ﷺ أبيض قد شاب ، وكان الحسن بن علىّ يشبهه ، ثم قال : رواه مسلم عن واصل ابن عبد الأعلى ، ورواه البخارى عن عمرو بن علىّ ، عن محمد بن فضيل ، وأصل الحديث كما ذكر فى الصحيحين ، ولكن بلفظ آخر كما سيأتى .

وقال محمد بن إسحاق ، عن الزهرى ، عن عبد الرحمن بن مالك بن جعشم ، عن أبيه ، أن سراقة بن مالك قال : أتيت رسول الله ﷺ ، فلما دنوتُ منه وهو على ناقته ، جعلت أنظر إلى ساقه كأنها جُمَّارة[1] ، وفى رواية يونس ، عن ابن إسحاق : والله لكأنى أنظر إلى ساقه فى غَرْزه كأنها جُمَّارة ، قلت : يعنى من شدة بياضها كأنها جُمَّارة طلع النخل وقال الإمام أحمد : ثنا سفيان بن عيينة ، عن إسماعيل بن أمية ، عن مولى لهم - مزاحم بن أبى مزاحم - عن عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، عن رجل من خزاعة يقال له : مُحَرِّش أو مخرش ، لم يكن سفيان يقف على اسمه ، وربما قال: محرش ولم أسمعه أنا ، أن النبى ﷺ خرج من الجعرانة ليلا فاعتمر ، ثم رجع فأصبح بها كبائت ، فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة فضة . تفرد به أحمد ، وهكذا رواه يعقوب بن سفيان ، عن الحميدى ، عن سفيان بن عيينة ، وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن العلاء ، حدثنى عمرو بن الحارث ، حدثنى عبد الله بن سالم ، عن الزبيدى ، أخبرنى محمد بن مسلم ، عن سعيد بن المسيب ، أنه سمع أبا هريرة يصف رسول الله ﷺ فقال : كان شديد البياض ، وهذا إسناد حسن ، ولم يخرجوه .

وقال الإمام أحمد : ثنا حسن ، ثنا عبد الله بن لهيعة ، ثنا أبو يونس سليم بن جبير - مولى أبى هريرة ، أنه سمع أبا هريرة يقول : ما رأيتُ شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ ، كأن كأن الشمس تجرى فى جَبهته ، وما رأيت أحداً أسرع فى مشيته من رسول الله ﷺ ، كأنما الأرض تُطوَى له ، إنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث . ورواه الترمذى عن قتيبة ، عن ابن لهيعة به ، وقال : كأن الشمس تَجرى فى وجهه ، وقال : غريب . ورواه البيهقى من حديث عبد الله بن المبارك عن رشدين بن سعد المصرى ، عن عمرو بن الحارث ، عن أبى يونس ، عن أبى هريرة ، وقال : كأنما الشمس تَجرى فى وجهه . وكذلك رواه ابن عساكر من حديث حرملة ، عن ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن أبى يونس ، عن أبى هريرة ، فذكره وقال : كأنما الشمس تجرى

---

(١) جمار النخل : معروف - وهو شحمه .

فى وجهه ، وقال البيهقى : أنا على بن أحمد بن عبدان ، أنا أحمد بن عبيد الصفار ، ثنا إبراهيم ابن عبد الله ، ثنا حجاج ، ثنا حماد ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن محمد بن على - يعنى ابن الحنفية - عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ أزهر اللون . وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا المسعودى ، عن عثمان بن عبد الله بن هرمز ، عن نافع بن جبير ، عن علىّ بن أبى طالب قال : كان رسول الله ﷺ مُشْربا وجهه حُمرة ، وقال يعقوب بن سفيان : ثنا ابن الأصبهانى ، ثنا شريك ، عن عبد الملك بن عمير ، عن نافع بن جبير ، قال : وصف لنا علىٌّ للنبى ﷺ فقال : كان أبيض مشرب الحمرة ، وقد رواه الترمذى بنحوه من حديث المسعودى ، عن عثمان بن مسلم عن هرمز ، وقال : هذا حديث صحيح ، قال البيهقى : وقد روى هكذا عن علىّ من وجه آخر ، قلت : رواه ابن جريج ، عن صالح بن سعيد ، عن نافع بن جبير ، عن على . قال البيهقى : ويقال : إن المُشرَب فيه حُمرة - ما ضحا للشمس والرياح ، وما تحت الثياب فهو الأبيض الأزهر .

صفة وجه رسول الله ﷺ وذكر محاسنه من فرقه ، وجبينه ، وحاجبيه ، وعينيه ، وأنفه وفمه ، وثناياه ، وماجرى مجرى ذلك من محاسن طلعته ومحياه

قد تقدم قولُ أبى الطفيل : كان أبيض مليحَ الوجه ، وقول أنس : كان أزهر اللون ، وقول البراء وقد قيل له : أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف ؟ - يعنى فى صِقاله - فقال : لا ، بل مثل القمر ، وقول جابر بن سمرة ، وقد قيل له مثل ذلك ، فقال : لا ، بل مثل الشمس والقمر مستديراً ، وقول الربيع بنت معوذ : لو رأيته لقلت الشمس طالعة ، وفى رواية : لرأيت الشمس طالعة ، وقال أبو إسحاق السبيعى عن امرأة من همدان ، حججت مع رسول الله ﷺ ، فسألها عنه فقالت : كان كالقمر ليلة البدر لم أر قبله ولا بعده مثله . وقال أبو هريرة : كأن الشمس تجرى فى وجهه ، وفى رواية فى جبهته . وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان وحسن بن موسى قالا : ثنا حماد - وهو ابن سلمة ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن محمد بن على ، عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ ضخم الرأس عظيم العينين ، أهدب الأشفار[1] ، مشرب العينين بحمرة كثّ اللحية ، أزهر اللون شَثْن[2] الكفين والقدمين ، إذا مشى كأنما يمشى فى صعد ، وإذا التفت التفت جميعا . تفرد به أحمد ، وقال أبو يعلى : حدثنا زكريا ويحيى الواسطى ، ثنا عباد ابن العوام ، ثنا الحجاج ، عن سالم المكى ، عن ابن الحنفية ، عن على أنه سُئل عن صفة النبى ﷺ

(١) أشفار العين : حروف الأجفان التى ينبت عليها الشعر ، وهو الهدب ، والمفرد : شفر بالضم .
(٢) شثن الكفين : أى : يميلان إلى الغلظ .

فقال : كان لا قصيراً ولا طويلا ، حسن الشعر رَجْله ، مشربا وجهه حمرة ، ضخم الكراديس[١] شثن الكعبين والقدمين ، عظيم الرأس ، طويل المَسْرُبة[٢] ، لم أر قبله ولا بعده مثله ، إذا مشى تكفأ كأنما ينزل من صَبَب .

وقال محمد بن سعد عن الواقدي : حدثني عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبي طالب ، عن أبيه ، عن جده ، عن على قال : بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن ، فإني لأخطب يوما على الناس وحَبْر من أحبار يهود واقف في يده سِفْر ينظر فيه ، فلما رآني قال : صِف لنا أبا القاسم ، فقال على : رسول الله ليس بالقصير ولا بالطويل البائن ، وليس بالجعد القطَط ولا بالسَّبط ، هو رَجْل الشعر أسوده ، ضَخم الرأس ، مُشرب لونه حمرة ، عظيم الكراديس ، شَثْن الكفين والقدمين ، طويل المَسْرُبة ـ وهو الشعر الذي يكون من النحر إلى السرة ـ أهدب الأشفار ، مقرون الحاجبين ، صَلْت[٣] الجبين ، بعيد ما بين المنكبين إذا مَشى تكفّأ كأنما ينزل من صبَب ، لم أرَ قبله مثله ، ولا بعده مثله ، قال على : ثم سكت ، فقال لى الحبر : وماذا ؟ قال على : هذا ما يحضرني ، قال الحبر : في عينيه حُمرة ، حَسن اللحية ، حسن الفَمْ تام الأذنين ، يُقبل جميعاً ويُدْبر جميعاً ، فقال على : والله هذه صفته ، قال الحبر : وماذا ؟ قال على : وما هو ؟ قال الحبر : وفيه جَنَأ[٤] ، قال على : هو الذي قلت لك كأنما ينزل من صَبب ، قال الحبر : فإني أجد هذه الصفة في سِفر آبائي ، ونجده يُبعث في حرم الله وأمنه . وموضع بيته ، ثم يهاجر إلى حرم يحرّمه هو ، ويكون له حرمة كحرمة الحرم الذي حرّم الله ، وتجد أنصاره الذين هاجر إليهم ـ قوماً من ولد عمر ابن عامر ، أهل نخل وأهل الأرض قبلهم يهود . قال على : هُوَ هُوَ ، وهو رسول الله ، قال الحبر : فإني أشهد أنه نبي وأنه رسول الله إلى الناس كافة ، فعلى ذلك أحيا وعليه أموت ، وعليه أبعث إن شاء الله . قال : فكان يأتي عليا فيعلمه القرآن ويخبره بشرائع الإسلام . ثم خرج على والحبر من هنالك حتى مات في خلافة أبي بكر وهو مؤمن برسول الله ﷺ مصدق به . وهذه الصفة قد وردت عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب ، من طرق متعددة سيأتي ذكرها .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا خالد بن عبد الله ، عن عبيد الله ابن محمد بن عمر بن على بن أبي طالب ، عن أبيه ، عن جده قال : سُئل ـ أو قيل لعلى ـ انعت لنا رسول الله ، فقال : كان أبيض مُشرَبا بياضه حُمرة ، وكان أسود الحدقة أهدب الأشفار ، قال يعقوب : وحدثنا عبد الله بن سلمة ، وسعيد بن منصور قالا : ثنا عيسى بن يونس ، ثنا عمر بن عبد الله ـ

---

(١) الكراديس : رءوس العظام . وكل عظمين التقيا في مفصل فهو كردوس ، والمراد أنه عليه السلام ضخم الأعضاء (٢) المسربة : الشعر من وسط الصدر إلى البطن (٣) الصلت : الجبين الواضح (٤) الجنأ : ميل في الظهر ، والأجنأ : الذي في كاهله انحنا على صدره وليس بالأحدب

مولى عفرة ، عن إبراهيم بن محمد عن ولد علىّ قال : كان علىّ إذا نعت رسول الله قال : كان فى الوجه تدوير أبيض أدعج العينين أهدب الأشفار ، قال الجوهرى : الدّعج، شدة سواد العينين مع سعتها ، وقال أبو داود الطيالسى : ثنا شعبة ، أخبرنى سِماك . سمعت جابر بن سمرة يقول: كان رسول الله ﷺ أشهل[1] العينين مَنْهوس[2] العقب ، ضليع[3] الفم . هكذا وقع فى رواية أبى داود عن شعبة . أشهل العينين، قال أبو عبيد : والشُّهلة : حمرة فى سواد العين ، والشُّكْلَة : حمرة فى بياض العين ، قلت : وقد روى هذا الحديث مسلم فى صحيحه عن أبى موسى و بندار - كلاهما عن أحمد بن منيع عن أبى قطن عن شعبة به ، وقال : أشكل العينين ، وقال : حسن صحيح . ووقع فى صحيح مسلم تفسير الشُّكلة بطول أشفار العينين ، وهو من بعض الرواة ، وقول أبى عبيد : حمرة فى بياض العين - أشهر وأصح ، وذلك يدل على القوة والشجاعة ، والله تعالى أعلم .

وقال يعقوب بن سفيان : ثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنى عمرو بن الحرث ، حدثنى عبد الله بن سالم عن الزبيدى ، حدثنى الزهرى عن سعيد بن المسيب ، أنه سمع أبا هريرة يصف رسول الله فقال : كان مُفاضَ[4] الجبين ، أهدب الأشفار . وقال يعقوب بن سفيان : ثنا أبو غسان ، ثنا جميع ابن عمر بن عبد الرحمن العجلى ، حدثنى رجل بمكة عن ابن لأبى هالة التميمى عن الحسن بن علىّ عن خاله قال : كان رسول الله واسع الجَبين أزجّ الحواجب ، سوابغ فى غير قَرن ، بينهما عرق يدرّه الغضب ، أقنى العرنين ، له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشمّ ، سهل الخدّين ، ضَليع الفم ، أشنَب[5] مفلج[6] الأسنان وقال يعقوب: ثنا إبراهيم بن المنذر ثنا عبد العزيز بن أبى ثابت الزهرى ، ثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة ، عن عمه موسى بن عقبة ، عن كريب عن ابن عباس قال : كان رسول الله أفلَج الثنيتين ، وكان إذا تكلم رُئى كالنُّور بين ثناياه . ورواه الترمذى عن عبد الله بن عبد الرحمن عن إبراهيم بن المنذر به . وقال يعقوب بن سفيان : ثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، ثنا عباد بن حجاج عن سماك عن جابر عن سمرة قال : كنتَ إذا نظرتَ إلى رسول الله ﷺ قلتَ : أكحل العينين وليس بأكحل ، وكان فى ساق رسول الله حُموشة[7] ، وكان لا يضحك إلا تبسُّما .

وقال الإمام أحمد : ثنا وكيع ، حدثنى مجمع بن يحيى عن عبد الله بن عمران الأنصارى عن علىّ والمسعودى عن عثمان بن عبد الله عن هرمز ، عن نافع بن جبير عن علىّ قال : كان رسول الله

---

(١) الشهل : أن تشرب الحدقة حمرة (٢) أى: لحمه قليل (٣) أى: عظيمه أو واسعه
(٤) أى : مستوى الجبين (٥) الشنب - محركة : رقة وعذوبة فى الأسنان
(٦) الفلج فى الأسنان : تباعد بين الثنايا والرباعيات خلقة (٧) الحموشة : رقة الساقين وقلة لحمهما

ليس بالقصير ولا بالطويل ، ضخم الرأس واللحية ، شثن[1] الكفين والقدمين والكراديس ، مشربا وجهه حمرة طويل المسربة ، إذا مشى تكفأ كأنما يقلع من صخر ، لم أر قبله ولا بعده مثله .
قال ابن عساكر : وقد رواه عبد الله بن داود الخريبي عن مجمع فأدخل بين ابن عمران وبين على رجلا غير مسمى ، ثم أسند من طريق عمرو بن الفلاس عن عبد الله بن داود ، ثنا مجمع بن يحيى الأنصارى ، عن عبد الله بن عمران عن رجل من الأنصار قال : سألت على بن أبى طالب وهو محتب بحمالة سيفه فى مسجد الكوفة عن نعت رسول الله ، فقال : كان أبيض اللون مشربا حمرة أدعج العينين سبط الشعر دقيق المسربة ، سهل الخد كث اللحية ذا وفرة[2] ، كأن عنقه إبريق فضة ، له شعر من لبته إلى سرته كالقضيب ليس فى بطنه ولا صدره شعر غيره . شثن الكفين والقدم ، إذا مشى كأنما ينحدر من صبب ، وإذا مشى كأنما يتقلع من صخر ، وإذا التفت التفت جميعا ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، ولا بالعاجز ولا اللئم[3] كأن عرقه فى وجهه اللؤلؤ ، ولريح عرقه أطيب من المسك الأذفر[4] لم أر قبله ولا بعده مثله . وقال يعقوب ابن سفيان ، ثنا سعيد بن منصور : ثنا نوح بن قيس الحرانى ، ثنا خالد بن خالد التميمى عن يوسف ابن مازن المازنى ، أن رجلا قال لعلى : يا أمير المؤمنين ، انعت لنا رسول الله ، قال : كان أبيض مشربا حمرة ضخم الهامة ، أغر أبلج ، أهدب الأشفار ..

وقال الامام أحمد : ثنا أسود بن عامر ، ثنا شريك ، عن ابن عمير قال شريك : قلت له عمن يا أبا عمير — عمن حدثه — قال : عن نافع بن جبير عن أبيه ، عن على قال : كان رسول الله ضخم الهامة مشربا حمرة ، شثن الكفين والقدمين ، ضخم اللحية ، طويل المسربة ، ضخم الكراديس يمشى فى صبب يتكفأ فى المشية ، لا قصير ولا طويل ، لم أر قبله مثله ولا بعده ، وقد روى لهذا شواهد كثيرة عن على ، وروى عن عمر نحوه . وقال الواقدى : ثنا بكير بن مسمار عن زياد ابن سعد قال : سألت سعد بن أبى وقاص : هل خضب رسول الله ؟ قال : لا ، ولا هم به ، كان شيبه فى عنفقته وناصيته لو أشاء أن أعدها لعددتها ، قلت : فما صفته ؟ قال : كان رجلا ليس بالطويل ولا بالقصير ، ولا بالأبيض الأمهق ، ولا بالآدم ، ولا بالسبط[5] ، ولا بالقطط ، وكانت لحيته حسنة وجبينه صلتا ، مشربا بحمرة ، شثن الأصابع ، شديد سواد الرأس واللحية .

وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهانى : ثنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن أحمد بن فارس ، ثنا يحيى بن حاتم العسكرى ، ثنا بسر بن مهران ، ثنا شريك عن عثمان بن المغيرة عن زيد بن وهب ،

---

(١) شثنت كفه : خشنت وغلظت (٢) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس ، أو ما نزل منه على الأذنين
(٣) اللئم : الشديد من كل شىء (٤) أى : الجيد إلى الغاية (٥) السبط : المسترسل

عن عبد الله بن مسعود قال : إن أول شيء عَلِمتُه من رسول الله ، قدمت مكة في عُمومة لي، فأرشدونا إلى العباس بن عبد المطلب فانتهينا إليه ، وهو جالس إلى زمزم ، فجلسنا إليه ، فبينا نحن عنده إذ أقبل رجل من باب الصفا أبيض تعلوه حمرة ، له وَفرة جَعدة إلى أنصاف أذنيه أقنى الأنف براق الثنايا ، أدعج العينين، كثّ اللحية دقيق المسربة ، شثن الكفين والقدمين ، عليه ثوبان أبيضان كأنه القمر ليلة البدر . وذكر تمام الحديث ، وطوافه عليه السلام بالبيت ، وصلاته عنده هو وخديجة وعلي بن أبي طالب ، وأنهم سألوا العباس عنه فقال : هذا هو ابن أخي محمد بن عبد الله ، وهو يزعم أن الله أرسله إلى الناس.

وقال الإمام أحمد : ثنا جعفر ، ثنا عوف بن أبي جميلة ، عن يزيد الفارسي قال : رأيت رسول الله في النوم في زمن ابن عباس قال : وكان يزيد يكتب المصاحف ، قال : فقلت لابن عباس : إني رأيت رسول الله في النوم ، قال ابن عباس : فإن رسول الله ﷺ كان يقول : « إن الشيطان لا يستطيع أن يتشبه بي ، فمن رآني فقد رآني » هل تستطيع أن تنعت لنا هذا الرجل الذي رأيت ؟ قال : قلت : نعم ، رأيت رجلا بين الرجلين جسمه ولحمه ، أسمر إلى البياض ، حسن الضحك ، أكحل العينين ، جميل دوائر الوجه ، قد ملأت لحيته من هذه إلى هذه ، حتى كادت تملأ نحره . قال عوف : لا أدري ما كان مع هذا من النعت ، قال : فقال ابن عباس : لو رأيته في اليقظة ما استطعت أن تنعته فوق هذا . وقال محمد بن يحيى الذهلي : ثنا عبد الرزاق ، ثنا معمر عن الزهري قال : سُئل أبو هريرة عن صفة رسول الله فقال : أحسن الصفة وأجملها ، كان رَبعة إلى الطول ماهو بعيد ما بين المنكبين ، أسيل الخدين ، شديد سواد الشعر ، أكحل العين ، أهدب الأشفار ، إذا وطيء بقدمه وطيء بكلها ، ليس لها أخمص[1] إذا وضع رداءه على منكبيه فكأنه سبيكة فضة ، وإذا ضحك كاد يتلألأ في الجدر ، لم أر قبله ولا بعده مثله . وقد رواه محمد بن يحيى من وجه آخر متصل فقال : ثنا إسحاق بن إبراهيم - يعني الزبيدي - حدثني عمرو بن الحارث ، عن عبد الله بن سالم ، عن الزبيدي ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة فذكر نحو ما تقدم .

ورواه الذهلي عن إسحاق بن راهويه عن النضر بن شميل ، عن صالح عن أبي الأخضر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : كان رسول الله كأنما صيغ من فضة ، رَجِل الشعر ، مفاض البطن ، عظيم مُشاش[2] المنكبين ، يطأ بقدمه جميعا ، إذا أقبل أقبل جميعا ، وإذا أدبر أدبر جميعا . ورواه الواقدي : حدثني عبد الملك عن سعيد بن عبيد بن السباق عن أبي هريرة قال :

(١) الأخمص من باطن القدم : مالم يصب الأرض (٢) مشاش : جمع مشاشة، وهي رأس العظم الممكن المضغ

كان رسول الله شَثْنَ القدمين والكفين، ضَخم الساقين عظيم الساعدين، ضخم العضُدين والمنكِبين بَعيدٌ ما بينهما ، رَحب الصدر ، رجل الرأس ، أهدب العينين ، حسن الفم ، حسن اللحية ، تام الأذنين ، ربعة من القوم ، لا طويل ولا قصير ، أحسن الناس لونا ، يُقبل معا ويُدبر معا ، لم أر مثله ، ولم أسمع بمثله . وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : أنا أبو عبد الرحمن السلمى ، ثنا أبو الحسن المحمودى المروزى ، ثنا أبو عبد الله محمد بن على الحافظ ، ثنا محمد بن المثنى ، ثنا عثمان بن عمر ، ثنا حرب بن سريج ، صاحب الخلقانى[1] ، حدثنى رجل من بلعدويه[1] : حدثنى جدى ، قال : انطلقت إلى المدينة أذكر الحديث فى رؤية رسول الله قال : فإذا رجل حسن الجسم ، عظيم الجُمّة ، دقيق الأنف دقيق الحاجبين . وإذا من لَدُن نحره إلى سرته كالخيط الممدود ، شعره ورأسه من طمرين فدنا منى وقال : السلام عليك .

ذكر شعره عليه السلام

قد ثبت فى الصحيحين من حديث الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء ، وكان أهل الكتاب يُسدلون أشعارهم ، وكان المشركون يفرقون رُءوسهم ، فسدَل رسول الله ﷺ ، ثم فرّق بعد . وقال الإمام أحمد : ثنا حماد بن خالد ، ثنا مالك ، ثنا زياد بن سعد ، عن الزهرى ، عن أنس أن رسول الله ﷺ سَدَل ناصيته ما شاء أن يسدل ، ثم فرق بعد ، تفرد به من هذا الوجه . وقال محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، عن عائشة قالت : أنا فرقت لرسول الله رأسه ، صدعت فرقه عن يافوخه ، وأرسلت ناصيته بين عينيه . قال ابن إسحاق : وقد قال محمد ابن جعفر بن الزبير — وكان فقيها مسلماً — : ماهى إلا سيما من سيما النصارى ، تمسكت بها النصارى من الناس . وثبت فى الصحيحين عن البراء أن رسول الله كان يضرب شعره إلى منكبيه ، وجاء فى الصحيح عنه وعن غيره : إلى أنصاف أذنيه ، ولا منافاة بين الحالين ، فإن الشعر تارة يطول وتارة يقصر منه ، فكلٌّ حكى بحسب ما رأى . وقال أبو داود : ثنا ابن نفيل ، ثنا ابن الرواد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : كان شعر رسول الله ﷺ فوق الوَفرة ودون الجُمّة .

وقد ثبت أنه عليه السلام حلق جميع رأسه فى حجة الوداع ، وقد مات بعد ذلك بأحد وثمانين يوماً — صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين . وقال يعقوب بن سفيان : ثنا عبد الله بن مسلم ويحيى بن عبد الحميد قالا : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : قالت أم هانىء : قدم النبى ﷺ مكة قَدمة وله أربع غدائر — تعنى ضفائر — وروى الترمذى من حديث

(١) كذا بالاصل ، ولم نقف على حقيقتهما

سفيان بن عيينة . وثبت فى الصحيحين من حديث ربيعة ، عن أنس قال ـ بعد ذكره شعر رسول الله ﷺ : إنه ليس بالسبط ، ولا بالقَطط ، قال : وتوفاه الله ، وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء . وفى صحيح البخارى من حديث أيوب ، عن ابن سيرين أنه قال : قلت لأنس أخضب رسول الله ؟ قال : إنه لم ير من الشيب إلا قليلا . وكذا روى هو ومسلم من طريق حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس ، وقال حماد بن سلمة ، عن ثابت : قيل لأنس : هل كان شاب رسول الله ؟ فقال : ما شانَه الله بالشيب ، ما كان فى رأسه إلا سبع عشرة أو ثمانى عشرة شعرة . وعند مسلم من طريق المثنى بن سعيد ، عن قتادة عن أنس ، أنّ رسول الله لم يَختضب ، إنما كان شَمَط[1] عند العنفقة يسيراً ، وفى الصدغين يسيرا ، وفى الرأس يسيراً .

وقال البخارى : ثنا أبو نعيم ، ثنا همام عن قتادة قال : سألت أنساً ، هل خضب رسول الله ﷺ ؟ قال : لا ، إنما كان شىء فى صدغيه . وروى البخارى عن عصام بن خالد ، عن جرير ابن عثمان قال : قلت لعبد الله بن يسر السلمى : رأيت رسول الله ، أكان شيخا ؟ قال : كان فى عنفقته شعرات بيض ، وتقدم عن جابر بن سَمُرة مثله . وفى الصحيحين من حديث أبى إسحاق عن أبى جحيفة قال : رأيت رسول الله هذه منه بيضاء ـ يعنى عنفقته . وقال يعقوب بن سفيان : ثنا عبد الله بن عثمان ، عن أبى حمزة السكرى ، عن عثمان بن عبد الله بن موهب القرشى قال : دخلنا على أم سلمة ، فأخرجت إلينا من شعر رسول الله ، فإذا هو أحمر مَصبوغ بالحناء والكَتَم[2] ، رواه البخارى عن إسماعيل بن موسى ، عن سلام بن أبى مطيع ، عن عثمان ابن عبد الله بن موهب ، عن أم سلمة به . وقال البيهقى : أنا أبو عبد الله الحافظ ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، ثنا محمد بن إسحاق الصغانى ، ثنا يحيى بن بكير ، ثنا إسرائيل ، عن عثمان ابن موهب قال : كان عند أم سلمة جُلْجُل[3] من فضة ضخم ، فيه من شعر رسول الله ، فكان إذا أصاب إنساناً الحمى بعث إليها فخضخضته فيه ، ثم ينضحه الرجل على وجهه ، قال : فبعثنى أهلى إليها فأخرجته ، فإذا هو هكذا ـ وأشار إسرائيل بثلاث أصابع ـ وكان فيه خمس شعرات حُمر ، رواه البخارى عن مالك بن إسماعيل عن إسرائيل .

وقال يعقوب بن سفيان : ثنا أبو نعيم ، ثنا عبيد الله بن إياد ، حدثنى إياد ، عن أبى رِمْثَة قال : انطلقت مع أبى نحو رسول الله ﷺ ، فلما رأيته قال : هل تدرى من هذا ؟ قلت : لا

---

(١) الشمط : بياض الرأس يخالطه سواد ، وشمط كفرح .

(٢) الكتم ـ محركة : نبت يخلط بالحناء ، ويخضب به الشعر فيبقى لونه .

(٣) الجلجل : الجرس الصغير .

قال : إن هذا رسول الله ، فاقشعررت حين قال ذلك ، وكنت أظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء لا يُشبه الناس ، فإذا هوَ بشر ، ذو وَفْرة ، بها ردع من حناء ، وعليه بُردان أخضران . ورواه أبو داود والترمذى والنسائى من حديث عبيد الله بن إياد بن لقيط ، عن أبيه عن أبى رِمثة ، واسمه حبيب بن حيان ، ويقال رفاعة بن يثربى ، وقال الترمذى : غريب لا نعرفه إلا من حديث إياد ، كذا قال . وقد رواه النسائى أيضاً من حديث سفيان الثورى وعبد الملك ابن عمير ــ كلاهما عن إياد بن لقيط به ببعضه . ورواه يعقوب بن سفيان أيضاً ، عن محمد بن عبد الله المخرمى عن أبى سفيان الحميرى عن الضحاك بن حمزة بن غيلان بن جامع ، عن إياد بن لقيط بن أبى رِمْثة قال : كان رسول الله ﷺ يخضب بالحناء والكتم ، وكان شعره يبلغ كتفيه أو منكبيه . وقال أبو داود : ثنا عبد الرحيم بن مطرف بن سفيان ، ثنا عمرو بن محمد ، أنا ابن أبى رواد ، عن نافع عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ كان يلبس النعال السِّبتية ويصفر لحيته بالوَرْس والزعفران ، وكان ابن عمر يفعل ذلك ، ورواه النسائى عن عبدة بن عبدالرحيم المروزى ، عن عمرو بن محمد المنقرى به .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقى : أنا أبو عبد الله الحافظ ، ثنا أبو الفضل محمد بن إبراهيم ، ثنا الحسن بن محمد بن زياد ، ثنا إسحاق بن إبراهيم ، ثنا يحيى بن آدم ، ح وأخبرنا أبو الحسين بن الفضل ، أنا عبد الله بن جعفر ، أنا يعقوب بن سفيان ، حدثنى أبو جعفر محمد بن عمر بن الوليد الكندى الكوفى ، ثنا يحيى بن آدم ، ثنا شريك عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال : كان شيب رسول الله ﷺ نحواً من عشرين شعرة ، وفى رواية إسحاق : رأيت شَيب رسول الله ﷺ نحواً من عشرين شعرة ، وفى رواية إسحاق : رأيت شَيب رسول الله ﷺ نحواً من عشرين شعرة بيضاء فى مُقدمه . قال البيهقى : وحدثنا أبو عبد الله الحافظ ، ثنا أحمد بن سلمان الفقيه ، ثنا هلال بن العلاء الرقى ، ثنا حسين بن عباس الرقى ، ثنا جعفر بن برقان ، ثنا عبد الله ابن محمد بن عقيل قال : قدم أنس بن مالك المدينة وعمر بن عبد العزيز والٍ عليها ، فبعث إليه عمر وقال للرسول ﷺ : سَله ، هل خَضب رسول الله ﷺ ؟ فإنى رأيت شعراً من شعره قد لوّن ، فقال أنس : إن رسول الله ﷺ قد متع بالسواد ، ولو عددت ما أقبل على من شيبه فى رأسه ولحيته ما كنت أزيد على إحدى عشرة شيبة ، وإنما هو الذى لون من الطيب الذى كان يطيب به شعر رسول الله ﷺ هو الذى غير لونه .

قلت : ونفى أنس للخضاب مُعارض بما تقدم عن غيره من إثباته والقاعدة المقررة أن الإثبات مقدم على النفى ، لأن المثبت معه زيادة علم ليست عند النافى . وهكذا إثبات غيره لزيادة ما ذكر

من السبب مُقدم ، لا سيما عن ابن عمر الذى المظنون أنه تلقى ذلك عن أخته أم المؤمنين حفصة . فإن اطلاعها أتم من اطلاع أنس ، لأنها ربما أنها فلت رأسه الكريم عليه الصلاة والسلام .

ذكر ما ورد فى منكبيه وساعديه وإبطيه وقدميه وكعبيه ﷺ

قد تقدم ما أخرجه البخارى ومسلم من حديث شعبة ، عن أبى إسحاق عن البراء بن عازب قال : كان رسول الله ﷺ مَرْبُوعاً بعيداً ما بين المنكبين ، وروى البخارى عن أبى النعمان عن جرير عن قتادة عن أنس قال : كان النبى ﷺ ضَخم الرأس والقدمين سبط الكفين ، وتقدم من غير وجه أنه عليه السلام كان شَثْن الكفين والقدمين ، وفى رواية أضخم الكفّين والقدمين. وقال يعقوب بن سفيان : ثنا آدم وعاصم بن علىّ قالا : ثنا ابن أبى ذئب ، ثنا صالح مولى التوأمة قال : كان أبو هريرة ينعت رسول الله ﷺ قال : كان شَبِحَ[1] الذراعين بَعيدَ ما بين المنكبين ، أهدَب أشفار العينين . وفى حديث نافع بن جبير عن على قال : كان رسول الله ﷺ شَثْن الكفين والقدمين ، ضخم الكراديس طويل المسْرُبة ، وتقدم فى حديث حجاج عن سماك عن جابر بن سمرة قال : كان فى ساق رسول الله ﷺ حُموشة - أى لم يكونا ضخمين ، وقال سراقة بن مالك بن جعشم : فنظرت إلى ساقيه ، وفى رواية قدميه فى الغرْز - يعنى الركاب - كأنهما جُمّارة ، أى جمارة النخل من بياضهما ، وفى صحيح مسلم عن جابر بن سَمُرة : كان ضليع الفم ، وفسره بأنه عظيم الفم ، أشكل العينين . وفسره بأنه طويل شق العينين مَنْهوس العَقِب ، وفسره بأنه قليل لحم العقب ، وهذا أنسب وأحسن فى حق الرجال .

وقال الحارث بن أبى أسامة : ثنا عبد الله بن بكر ، ثنا حميد ، عن أنس قال : أخذت أم سليم بيدى مَقدم رسول الله ﷺ المدينة فقالت : يارسول الله .هذا أنس غلام كاتب يخدمك. قال : فخدمته تسع سنين، فما قال لشيء صنعتُ : أسأتَ ، ولا بئسَ ماصنعت . ولا مسست شيئاً قط خَزاً ولا حريراً ألين من كف رسول الله ﷺ . ولا شَمَمت رائحة قط مِسْكا ولا عنبراً أطيب من رائحة رسول الله ﷺ . وهكذا رواه معتمر بن سليمان . وعلى بن عاصم . ومروان ابن معاوية الفزارى ، وإبراهيم بن طهمان - كلهم عن حميد ، عن أنس فى لين كفه عليه السلام . وطيب رائحته صلاة الله وسلامه عليه . وفى حديث الزبيدى عن الزهرى عن سعيد عن أبى هريرة. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطأ بقدمه كلها ليس لها أخمص ، وقد جاء خلاف هذا

---

(١) أى : عريضهما .

كما سيأتى . وقال يزيد بن هارون : حدثنى عبد الله بن يزيد بن مقسم قال : حدثتنى عمتى سارة بنت مِقْسَم عن ميمونة بنت كَرْدَم قالت: رأيت رسول الله ﷺ بمكة وهو على ناقة وأنا مع أبى ، وبيد رسول الله ﷺ دِرّة كدرة الـكتاب ، فدنا منه أبى فأخذ بقدمه ، فأقر له رسول الله ﷺ قالت : فما نسيت طول أصبع قدمه السبابة على سائر أصابعه * ورواه الإمام أحمد عن يزيد ابن هارون مطولا ، ورواه أبو داود من حديث يزيد بن هارون ببعضه . وعن أحمد بن صالح عن عبد الرزاق عن ابن جريج عن إبراهيم بن ميسرة عن خالته عنها . ورواه ابن ماجة من وجه آخر عنها ، والله أعلم .

وقال البيهقى : أنا على بن أحمد بن عبد الله بن بشران ، أنا إسماعيل بن محمد الصفار ، ثنا محمد ابن إسحاق ـ أبو بكر ، ثنا سلمة بن حفص السعدى ، ثنا يحيى بن اليمان ، ثنا إسرائيل عن سماك ، عن جابر بن سمرة قال : كانت إصبع لرسول الله ﷺ خنصره من رجله متظاهرة ، وهذا حديث غريب .

صفة قوامه عليه السلام وطيب رائحته

فى صحيح البخارى من حديث ربيعة عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ رَبعة من القوم ، ليس بالطويل ولا بالقصير . وقال أبو إسحاق عن البراء : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، أخرجاه فى الصحيحين ، وقال نافع بن جبير عن على : كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل ولا بالقصير ، لم أر قبله ولا بعده مثله . وقال سعيد ابن منصور عن خالد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب ، عن أبيه عن جده عن على قال : كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل ولا بالقصير ، وهو إلى الطول أقرب ، وكان عَرَقه كاللؤلؤ . . الحديث . وقال سعيد عن روح بن قيس عن خالد بن خالد التميمى ، عن يوسف ابن مازن الراسبى ، عن على قال : كان رسول الله ﷺ ليس بالذاهب طولا وفوق الربعة ؛ إذا جامع القوم غمرهم وكان عرقه فى وجهه كاللؤلؤ . . الحديث وقال الزبيدى عن الزهرى عن سعيد عن أبى هريرة قال : كان رسول الله ﷺ رَبعة ؛ وهو إلى الطول أقرب ، وكان يُقبل جميعاً ويُدبر جميعاً ، لم أر قبله ولا بعده مثله .

وثبت فى البخارى من حديث حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال : ما مسست بيدى ديباجاً ولا حريراً ولا شيئاً ألين من كف رسول الله ﷺ ، ولا شممت رائحة أطيب من ريح رسول الله ﷺ ورواه مسلم من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس به . ورواه مسلم أيضاً من حديث حماد بن سلمة وسليمان بن المغيرة . عن ثابت عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ

أزهر اللون ، كأن عرقه اللؤلؤ ، إذا مشى تكفأ ، وما مسست حريرا ولا ديباجا ألين من كف رسول الله ، ولا شممت مسكا ولا عنبرا أطيب من رائحة رسول الله ﷺ . وقال أحمد : ثنا ابن أبي عدى ، ثنا حميد عن أنس قال : ما مسست شيئا قط خزاً ولا حريرا ألين من كف رسول الله ﷺ ، ولا شممت رائحة أطيب من ريح رسول الله ﷺ ، والإسناد ثلاثى على شرط الصحيحين ، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه . وقال يعقوب بن سفيان : أنا عمرو بن حماد بن طلحة القناد ، وأخرجه البيهقي من حديث أحمد بن حازم بن أبي عروة عنه ، قال : سنا أسباط بن نصر عن سماك عن جابر بن سمرة قال : صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى ثم خرج إلى أهله وخرجت معه ، فاستقبله ولدان فجعل يمسح خدى أحدهم واحدا واحداً ، قال : وأما أنا فمسح خدى فوجدت ليده برداً وريحا كأنما أخرجها من جونة عطار . ورواه مسلم عن عمرو بن حماد به نحوه وقال الإمام أحمد : ثنا محمد بن جعفر ، ثنا شعبة وحجاج ، أخبرني شعبة عن الحكم سمعت أبا جحيفة قال . خرج رسول الله ﷺ بالهاجرة إلى البطحا ، فتوضأ وصلى الظهر ركعتين وبين يديه عنزة[1] ، زاد فيه عون عن أبيه : يمر من ورائها الحمار والمرأة ، قال حجاج في الحديث : ثم قام الناس فجعلوا يأخذون يده فيمسحون بها وجوههم ، قال : فأخذت يده فوضعتها على وجهي ، فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب ريحا من المسك ، وهكذا رواه البخاري عن الحسن بن منصور عن حجاج بن محمد الأعور ، عن شعبة فذكر مثله سواء . وأصل الحديث في الصحيحين أيضا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، أنا هشام بن حسان وشعبة وشريك ، عن يعلى ابن عطاء ، عن جابر بن يزيد ، عن أبيه - يعني يزيد بن الأسود - قال : صلى رسول الله ﷺ بمنى ، فانحرف فرأى رجلين من وراء الناس ، فدعا بهما ، فجيء بهما ترعد فرائصهما ، فقال : ما منعكما أن تصليا مع الناس ؟ قالا : يا رسول الله إنا كنا قد صلينا في الرحال ، قال : فلا تفعلا ، إذا صلى أحدكم في رحله ثم أدرك الصلاة مع الإمام فليصلها معه ، فإنها له نافلة ، قال : فقال أحدهما : استغفر لي يا رسول الله ، فاستغفر له ، قال : ونهض الناس إلى رسول الله ﷺ ونهضت معهم ، وأنا يومئذ أشب الرجال وأجلده ، قال : فما زلت أزحم الناس حتى وصلت إلى رسول الله فأخذت بيده فوضعتها إما على وجهي أو صدري ، قال : فما وجدت شيئا أطيب ولا أبرد من يد رسول الله ﷺ ، قال : وهو يومئذ في مسجد الخيف . ثم رواه أيضا عن أسود بن عامر وأبي النضر ، عن شعبة ، عن يعلى بن عطاء ، سمعت جابر بن يزيد بن الأسود ، عن أبيه أنه صلى مع رسول الله ﷺ الصبح فذكر الحديث - قال : ثم ثار الناس يأخذون بيده يمسحون بها وجوههم ،

(١) العنزة : أطول من العصا وأقصر من الرمح وفيها ، زج كزج الرمح

قال : فأخذت بيده فمسحت بها وجهى ، فوجدتها أبرد من الثلج وأطيب ريحاً من المسك ، وقد رواه أبو داود من حديث شعبة والترمذى والنسائى ، من حديث هشيم عن يعلى به ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو نعيم ، ثنا مسعر عن عبد الجبار بن وائل بن حجر قال : حدثنى أهلى عن أبى قال : أتى رسول الله ﷺ بدلو من ماء فشرب منه ، ثم مج فى الدلو ثم صب فى البئر - أو شرب من الدلو ثم مج فى البئر ، ففاح منها ريح المسك ، وهذا رواه البيهقى من طريق يعقوب بن سفيان عن أبى نعيم - وهو الفضل بن دكين .

وقال الإمام أحمد : ثنا هاشم ، ثنا سليمان عن ثابت عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء ، فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها ، فربما جاءوه فى الغداة الباردة فيغمس يده فيها . ورواه مسلم من حديث أبى النضر هاشم بن القاسم به .
وقال الإمام أحمد : حدثنا حجين بن المثنى ، ثنا عبد العزيز - يعنى ابن أبى سلمة الماجشون - عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة ، عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها وليست فيه ، قال : فجاء ذات يوم فنام على فراشها ، فأتت فقيل لها : هذا رسول الله نائم فى بيتك على فراشك ، قال : فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش ففتحت عتيدتها ، فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره فى قواريرها ، ففزع النبى ﷺ فقال : ما تصنعين يا أم سليم ؟ فقالت يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا ، قال : أصبت * ورواه مسلم عن محمد بن رافع عن حجين به . وقال أحمد : ثنا هاشم بن القاسم ثنا سليمان عن ثابت عن أنس قال : دخل علينا رسول الله ﷺ ، فقال عندنا فعرق ، وجاءت أمى بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها ، فاستيقظ رسول الله فقال : يا أم سليم : ما هذا الذى تصنعين ؟ قالت : عرقك نجعله فى طيبنا ، وهو من أطيب الطيب . ورواه مسلم عن زهير بن حرب عن أبى النضر هاشم بن القاسم به .

وقال أحمد : ثنا إسحاق بن منصور - يعنى السلولى ، ثنا عمارة - يعنى ابن زاذان ، عن ثابت عن أنس قال : كان رسول الله يقيل عند أم سليم ، وكان من أكثر الناس عرقاً ، فاتخذت له نطعاً وكان يقيل عليه ، وخطت بين رجليه خطا ، وكانت تنشف العرق فتأخذه فقال : ما هذا يا أم سليم ؟ قالت : عرقك يا رسول الله أجعله فى طيبى ، قال : فدعا لها بدعاء حسن ، تفرد به أحمد من هذا الوجه وقال أحمد : ثنا محمد بن عبد الله ، ثنا حميد عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ إذا نام عرق ، فتأخذ عرقه بقطنة فى قارورة ، فتجعله فى مسكها ، وهذا إسناد ثلاثى على شرط الشيخين ولم يخرجاه ولا أحد منهما ، وقال البيهقى : أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ ،

حدثنا أبو عمرو المغربى ، أنا الحسن بن سفيان ، ثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، وقال مسلم : ثنا أبو بكر ابن شيبة ، ثنا عفان ، ثنا وهيب ثنا أيوب عن أبى قلابة عن أنس عن أم سليم أن رسول الله ﷺ كان يأتيها فيقيل عندها فتبسط له نِطعا فيقيل عليه ، وكان كثيرَ العرَق ، فكانت تجمع عرقه فتجعله فى الطيب والقوارير ، فقال رسول الله ﷺ : يا أم سليم ما هـذا ؟ فقالت : عرقك أدُوف[1] به طِيبى ، لفظ مسلم .

وقال أبو يعلى الموصلى فى مسنده : ثنا بسر ، ثنا حليس بن غالب ، ثنا سفيان الثورى عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال : جاء رجل إلى رسول الله فقال : يا رسول الله ، إنى زوجت ابنتى ، وأنا أحب أن تعيننى بشىء ، قال : ما عندى شىء ، ولـكن إذا كان غد فأتنى بقارورة واسعة الرأس ، وعُود شجرة ، وآيةُ بينى وبينك أن تدق ناحية الباب ، قال فأتاه بقارورة واسعة الرأس وعُود شجرة ، قال : فجعل يسْلِت العَرق من ذراعيه حتى امتلأت القارورة ، قال : فخذها ، ومر ابنتك أن تَغمس هذا العودَ فى القارورة وتَطيب به ، قال : فـكانت إذا تطيبت به شم أهل المدينة رائحة الطيب ، فسموا بيوت المطيبين . هذا حديث غريب جدا .

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار : ثنا محمد بن هشام ، ثنا موسى بن عبد الله ، ثنا عمر بن سعيد عن سعيد عن قتادة عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ إذا مر فى طريق من طرق المدينة وجَدوا منه رائحة الطيب ، وقالوا : مر رسول الله فى هذا الطريق ، ثم قال : وهـذا الحديث رواه أيضا معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة عن أنس ، أن رسول الله ﷺ كان يُعرَف بريح الطيب ، وكان رسول الله ﷺ طيبا وريحه طيب ، وكان مع ذلك يُحب الطيب أيضاً ،

قال الإمام أحمد : ثنا أبو عبيدة عن سلام أبى المنذر عن ثابت عن أنس ، أن النبى ﷺ قال : « حُبِّب إلىّ النساء والطّيب ، وجُعلت قرة عينى فى الصلاة » ثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم ، ثنا سلام أبو المنذر القارى عن ثابت عن أنس قال قال: رسول الله ﷺ إنما حبب إلى من الدنيا النساء ، والطيب ، وجُعل قُرة عينى فى الصلاة . وهكذا رواه النسائى بهذا اللفظ عن الحسين ابن عيسى القرشى عن عفان بن مسلم عن سلام بن سليمان - أبى المنذر القارى البصرى ، عن ثابت عن أنس فذكره * وقد روى من وجه آخر بلفظ : « حبب إلى من دنياكم ثلاث : الطيب ، والنساء ، وجعل قرة عينى فى الصلاة » وليس بمحفوظ بهذا ، فإن الصلاة ليست من أمور الدنيا ، وإنما هى من أهم شئون الآخرة ، والله أعلم .

---

(١) أدوف - أخلط . والدوف : الخلط

صفة خاتم النبوة الذى بين كتفيه ــ صلوات الله وسلامه عليه

قال البخارى : ثنا محمد بن عبيد الله ، ثنا حاتم عن الجعد قال : سمعت السائب بن يزيد يقول : ذهبت بى خالتى إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إن ابن أختى وَجِع ، فمسح رأسى ودعا لى بالبركة ، وتوضأ فشربت من وضوئه ، ثم قمت خَلْف ظهره فنظرت إلى خاتم بين كتفيه مثل زِرّ الحَجَلة[1] ، وهكذا رواه مسلم عن قتيبة ومحمد بن عباد ــ كلاهما عن حاتم بن إسماعيل به . ثم قال البخارى : الحُجْلة من حُجَل الفرس الذى بين عينيه[2] ، وقال إبراهيم بن حمزة : رِزّ الحَجَلة ، قال أبو عبد الله : الرّز ــ بالراء قبل الزاى[3] . وقال مسلم : ثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، ثنا عبيد الله عن إسرائيل عن سماك ، أنه سمع جابر ابن سَمُرة يقول : كان رسول الله ﷺ قد شَمِطَ مقدمُ رأسه ولحيته ، وكان إذا ادّهن لم يتبين ، وإذا شعِث رأسه تبيّن ، وكان كثير شعر اللحية ، فقال رجل : وجهه مثل السيف ؟ قال : لا ، بل كان مثل الشمس والقمر وكان مستديراً ، ورأيت الخاتم عند كتفه مثل بيضة الحمامة يُشبه جسده . حدثنا محمد بن المثنى ثنا محمد بن حزم ، ثنا شعبة عن سماك سمعت جابر بن سمرة قال : رأيت خاتما فى ظهر رسول الله ﷺ كأنه بيضة حمام . وحدثنا ابن نُمير ، ثنا عبيد الله بن موسى ، ثنا حسن بن صالح عن سماك بهذا الإسناد مثله .

وقال الإمام أحمد : ثنا عبد الرزاق ، أنا معمر عن عاصم بن سليمان ، عن عبد الله بن سرجس قال : ترون هذا الشيخ ــ يعنى نفسه ــ كلّمت نبى الله ﷺ وأكلت معه ، ورأيت العلامة التى بين كتفيه ، وهى فى طرف نَغْض[4] كتفه اليسرى كأنه جُمْع ــ بمعنى الكف المجتمع ، وقال بيده فقبضها ــ عليه خِيلان كهيئة الثآليل[5] . وقال أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم وأسود بن عامر قالا : ثنا شريك عن عاصم عن عبد الله بن سرجس قال : رأيت رسول الله ﷺ وسلمت عليه وأكلت معه وشربت من شرابه ، ورأيت خاتم النبوة ، قال هاشم : فى نَغْضِ كتفه اليسرى كأنه جُمع فيه خيلان سود ، كأنها الثآليل . ورواه عن غندر عن شعبة عن عاصم عن عبد الله بن سرجس .. فذكر الحديث . وشك شعبة فى أنه هل هو فى نَغْضِ الكتف اليمنى أو اليسرى ؟ وقد رواه مسلم من حديث حماد بن زيد ، وعلى بن مسهر ، وعبد الواحد بن زياد ــ ثلاثتهم عن عاصم ، عن عبد الله بن سرجس قال : أتيت رسول الله ﷺ وأكلتُ معه خبزا ولحما ــ أو قال : ثريدا ــ فقلت : يارسول الله غفر الله لك ، قال : ولك ، فقلت : أستغفر لك رسول الله ؟ قال : نعم ولكم ؛

---

(١) الحجلة : بيت كالقبة يزين بالثياب والستور للعروس كبار وتكون له أزرار
(٢) يقال : حجلت عين الفرس ــ أى غارت
(٣) ويراد بالحجلة القبجة ترز كالجرادة ــ أى تكبس ذنبها فى الأرض لتبيض
(٤) أى : تحرك (٥) جمع ثؤلول كزنبور ، وهو حلمة الثدى ــ وبثر صغير مستدير

ثم تلا هذه الآية « واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات »(١) قال : ثم درت خلفه فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه عند نغض كتفه اليسرى ، جمعا عليه خيلان كأمثال الثآليل * وقال أبو داود الطيالسي : ثنا قرة بن خالد ، ثنا معاوية بن قرة ، عن أبيه قال : أتيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله أرني الخاتم ، فقال : أدخل يدك ، فأدخلت يدي في جربانه(٢) فجعلت ألمس أنظر إلى الخاتم ، فإذا هو على نغض كتفه مثل البيضة ، فما منعه ذاك أن جعل يدعو لي وإن يدي لفي جربانه . ورواه النسائي عن أحمد بن سعيد عن وهب بن جرير عن قرة بن خالد به .

وقال الإمام أحمد : ثنا وكيع ، ثنا سفيان عن إياد بن لقيط السدوسي ، عن أبي رمثة التيمي قال : خرجت مع أبي حتى أتيت رسول الله ﷺ فرأيت برأسه ردع(٣) حناء ورأيت على كتفه مثل التفاحة فقال أبي : إني طبيب أفلا أطبها لك ؟ قال : طبيبها الذي خلقها ، قال : وقال لأبي : هذا ابنك ؟ قال : نعم ، قال : أما إنه لا يجني عليك ولا تجني عليه . وقال يعقوب بن سفيان : ثنا أبو نعيم ، ثنا عبيد الله بن زياد ، حدثني أبي عن أبي ربيعة - أو رمثة ، قال : انطلقت مع أبي نحو النبي ﷺ ، فنظر إلى مثل السلعة(٤) بين كتفيه فقال : يا رسول الله إني أطب الرجال أفأعالجها لك ؟ قال : لا ، طبيبها الذي خلقها . قال البيهقي : وقال الثوري عن إياد بن لقيط في هذا الحديث . فإذا خلف كتفيه مثل التفاحة ، وقال عاصم بن بهدلة عن أبي رمثة : فإذا في نغض كتفه مثل بعرة البعير أو بيضة الحمامة . ثم روى البيهقي من حديث سماك بن حرب عن سلامة العجلي ، عن سلمان الفارسي ، قال : أتيت رسول الله فألقى رداءه وقال : يا سلمان انظر إلى ما أمرت به . قال : فرأيت الخاتم بين كتفيه مثل بيضة الحمامة .

وروى يعقوب بن سفيان ، عن الحميدي ، عن يحيى بن سليم ، عن أبي خثيم عن سعيد ابن أبي راشد ، عن التنوخي الذي بعثه هرقل إلى رسول الله ﷺ وهو بتبوك ، فذكر الحديث كما قدمناه في غزوة تبوك ، إلى أن قال : فحل حبوته عن ظهره ثم قال : ههنا امض لما أمرت به ، قال : فجلت في ظهره فإذا أنا بخاتم في موضع غضروف الكتف مثل الحجمة الضخمة(٥) . وقال يعقوب بن سفيان : ثنا مسلم بن إبراهيم ، ثنا عبد الله بن ميسرة ، ثنا عتاب سمعت أبا سعيد يقول: الخاتم الذي بين كتفي النبي ﷺ لحمة نابتة . وقال الإمام أحمد : حدثنا شريح ، ثنا أبو ليلى عبد الله بن ميسرة الخراساني ، عن غياث البكري قال : كنا نجالس أبا سعيد الخدري بالمدينة فسألته عن خاتم رسول الله ﷺ الذي كان بين كتفيه ، فقال بإصبعه السبابة . هكذا . لحم ناشز بين كتفيه ﷺ تفرد به أحمد من هذا الوجه .

---

(١) من الآية ١٩ من سورة محمد (٢) جربان القميص : جيبه (٣) الردع : أثر الطيب في الجسد
(٤) السلعة غدة أو زيادة في البدن كالغدة تتحرك إذا حركت وتكون مثل الحمصة إلى البطيخة .
(٥) الحجم من الشيء : ملمسه الناتىء تحت يدك . وفي رواية : مثل الحجم الضخم

وقد ذكر الحافظ أبو الخطاب بن دحية المصرى فى كتابه ـ التنوير فى مولد البشير النذير ـ عن أبى عبد الله محمد بن على بن الحسين بن بشر ـ المعروف بالحكيم الترمذى ، أنه قال : كان الخاتم الذى بين كتفى رسول الله ﷺ كأنه بيضة حمامة ، مكتوب فى باطنها : الله وحده ، وفى ظاهرها : توجه حيث شئت فإنك منصور ، ثم قال : وهذا غريب واستنكره . قال : وقيل كان من نور ، ذكره الإمام أبو زكريا يحيى بن مالك بن عائذ فى كتابه : تنقل الأنوار ، وحكى أقوالا غريبة غير ذلك . ومن أحسن ما ذكره ابن دحية رحمه الله وغيره من العلماء قبله ـ فى الحكمة ـ فى كون الخاتم كان بين كتفى رسول الله ﷺ : إشارة إلى أنه لا نبى بعدك يأتى من ورائك . قال : وقيل كان على نغض كتفه ، لأنه يقال : هو الموضع الذى يدخل الشيطان منه إلى الإنسان ، فكان هذا عصمة له عليه السلام من الشيطان . قلت : وقد ذكرنا الأحاديث الدالة على أنه لا نبى بعده عليه السلام ولا رسول ، عند تفسير قوله تعالى : (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً)[1].

باب جامع لأحاديث متفرقة وردت فى صفة رسول الله ﷺ

قد تقدم فى رواية نافع بن جبير عن علىّ بن أبى طالب ، أنه قال : لم أر قبله ولا بعده مثله .

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا عبد الله بن مسلم القعنبى وسعيد بن منصور ، ثنا عمر بن يونس ، ثنا عمر بن عبد الله مولى غفرة ، حدثنى إبراهيم بن محمد من ولد علىّ ، قال : كان على إذا نعت رسول الله ﷺ قال : لم يكن بالطويل الممغط[2] ولا القصير المتردد ، وكان ربعة من القوم ، ولم يكن بالجعد القطط ، ولا بالسبط ، كان جعداً رجلا ولم يكن بالمطهم[3] ولا المكلثم[4] ، وكان فى الوجه تدوير أبيض مشرباً أدعج العينين ، أهدب الأشفار ، جليل المشاش والكتد[5] ، أجرد ذو مسربة ، شثن الكفين والقدمين ، إذا مشى تقلع كأنما يمشى فى صبب ، وإذا التفت التفت معاً ، بين كتفيه خاتم النبوة ، أجود الناس كفاً وأرحب الناس صدراً ، وأصدق الناس لهجة ، وأوفى الناس ذمة ، وألينهم عريكة ، وألزمهم عشرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة

---

(١) الآية : ٤٠ من سورة الأحزاب   (٢) أى المفرق فى الطول .

(٣) المطهم : السمين الفاحش فى السمن ، والنحيف الجسم الدقيقه ـ ضد

(٤) المكلثمة : اجتماع لحم الوجه بلا جهومة .   (٥) الكتد : مجتمع الكتفين .

أحيه ، يقول ناعِتُهُ : لم أر قبله ولا بعده مثله ، وقد روى هذا الحديث الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام فى كتاب الغريب .

ثم روى عن الكسائى والأصمعى وأبى عمرو تفسير غريبه . وحاصل ما ذكره مما فيه غرابة : أن المطهّم هو : الممتلىء الجسم ، والمكلثم : شديد تدوير الوجه ، يعنى لم يكن بالسمين الناهض ، ولم يكن ضعيفاً بل كان بين ذلك . ولم يكن وجهه فى غاية التدوير بل فيه سهولة — وهى أحلى عند العرب ، ومَنْ يعرف . وكان أبيض مشرباً حمرة — وهى أحسن اللون ، وَلهذا لم يكن أمْهق اللون . والأدعج : هو شديد سواد الحدقة ، وَجليل المشاش هو : عظيم رءوس العظام مثل الركبتين والمرفقين والمنكبين ، والكتد : الكاهل وما يليه من الجسد ، وقوله : شثن الكفين أى : غليظهما ، وتقلّع فى مشيته : أى شديد المشية ، وتقدم الكلام على الشُّكلة وَالشُّهلة والفرق بينهما . والأهدب: طويل أشفار العين، وَجاء فى حديث : أنه كان شبح الذراعين ، يعنى غليظهما وَالله تعالى أعلم .

حديث أم معبد فى ذلك

قد تقدم الحديث بتمامه فى الهجرة من مكة إلى المدينة ، حين ورد عليها رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وَمولاه عامر بن فهيرة ، وَدليلهم عبد الله بن أرَيقط الديلى ؛ فسألوها : هل عندها لبن أو لحم يشترونه منها ؟ فلم يجدوا عندها شيئاً ، وَقالت : لو كان عندنا شىء ما أعوزكم القِرى . وَكانوا مُمحِلين، فنظر إلى شاة فى كسر خَيمتها فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد؟ فقالت: خلفها الجهد . فقال : أتأذنين أن أحلبها ؟ فقالت : إن كان بها حلب فاحلبها . فدعا بالشاة فمسحها وَذكر اسم الله . . فذكر الحديث فى حَلبه منها ما كفاهم أجمعين ثم حلبها وترك عندها إناءها ملأى . وَكان يُرْبض[1] الرهط . فلما جاء بعلها استنكر اللبن وَقال : من أين لك هذا يا أم معبد؟ ولا حَلوبة فى البيت والشاه عازب ؟ فقالت : لا والله إنه مر بنا رجل مبارك . كان من حديثه كيت وكيت . فقال : صفيه لى . فوالله إنى لأراه صاحب قريش الذى تطلب. فقالت : رأيت رجلا ظاهر الوضاءة حسن الخلق ، مليح الوجه ، لم تعبه ثُجْلة[2] ، وَلم تزريه صَعْلة ، قسيم وَسيم ، فى عينيه دَعج وَفى أشفاره وَطف[3] ، وفى صوته صحَل[4] ، أحور ، أكحل، أزج ، أقرن ، فى عنقه

---

(١) أى : يرويهم ويكفيهم

(٢) أى : كبر البطن واسترخاؤها .

(٣) الوطف : كثرة شعر الحاجبين والعينين .

(٤) أى: بحة وخشونة فى الصوت يسيرة .

سطع[1] ، وفى لحيته كثاثة ، إذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء ، حلو المنطق ، فصل[2] لا نزر ولا هذر ، كأن منطقه خرزات نظم ينحدرن ، أبهى الناس وأجمله من بعيد ، وأحلاه وأحسنه من قريب ، ربعة لا تشنؤه عين من طول ، ولا تقتحمه عين من قصر ، غصن بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظراً ، وأحسنهم قدراً ، له رفقاء يحفون به ، إن قال استمعوا لقوله ، وإن أمر تبادروا إلى أمره ، محفود[3] محشود ، لا عابس ولا مفند . فقال بعلها : هذا والله صاحب قريش الذى تطلب ، ولو صادفته لالتمست أن أصحبه ، ولأجهدن إن وجدت إلى ذلك سبيلا ، قال : وأصبح صوت بمكة عال بين السماء والأرض ، يسمعونه ولا يرون من يقوله ، وهو يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه ... رفيقين حلا خيمتى أم معبد
هما نزلا بالبر وارتحلا به ... فأفلح من أمسى رفيق محمد
فيا لقصى ما زوى الله عنكم ... به من فعال لا تجازى وسودد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها ... فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت ... له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادره رهناً لديها لحالب ... يدر لها فى مصدر ثم مورد

وقد قدمنا جواب حسان بن ثابت لهذا الشعر المبارك بمثله فى الحسن .

والمقصود : أن الحافظ البيهقى روى هذا الحديث من طريق عبد الملك بن وهب المذحجى قال : ثنا الحسن بن الصباح ، عن أبى معبد الخزاعى ، فذكر الحديث بطوله كما قدمناه بألفاظه .

وقد رواه الحافظ يعقوب بن سفيان الفسوى ، والحافظ أبو نعيم فى كتابه ـ دلائل النبوة ـ قال عبد الملك : فبلغنى أن أبا معبد أسلم بعد ذلك ، وأن أم معبد هاجرت وأسلمت ، ثم إن الحافظ البيهقى أتبع هذا الحديث بذكر غريبه وقد ذكرناه فى الحواشى فيما سبق ، ونحن نذكر ههنا نكتاً من ذلك ، فقولها : ظاهر الوضاءة ـ أى ظاهر الجمال ، أبلج الوجه ـ أى مشرق الوجه مضيئه ، لم تعبه ثجلة ، قال أبو عبيد هو : كبر البطن ، وقال غيره : كبر الرأس ، ورد أبو عبيدة رواية من روى لم تعبه نحلة ـ يعنى من النحول وهو الضعف .

---

(١) أى : طول . (٢) الفصل : القول الحق .

(٣) الحفد ـ محركة : الخدم الأعوان ، ورجل محفود : أى مخدوم . والحشد ويحرك : الجماعة ، ورجل محشود : مطاع يحفون به لخدمته .

قلت : وهذا هو الذى فسر به البيهقى الحديث ، والصحيح قول أبى عبيدة ، ولو قيل : إنه كبر الرأس لكان قويا ؛ وذلك لقولها بعده : ولم تُزر به صَعْلة وهو صغر الرأس بلا خلاف ، ومنه يقال لولد النعامة : صَعْل ؛ لصغر رأسه ، ويقال له : الظليم .

وأما البيهقى فرواه لم تعبه نحلة - يعنى من الضعف كما فسره ، ولم تزر به صَعلة -وهو الخاصرة[1].

يريد أنه ضرب من الرجال ليس بمنتفخ[2] ولا ناحل ، قال : ويروى لم تعبه ثجلة -وهو كبر البطن .

ولم تزر به صعلة - وهو صغر الرأس . وأما الوسيم فهو : حسن الخلق ، وكذلك القسيم أيضاً ، والدعج : شدة سواد الحدقة ، والوطف: طول أشفار العينين ، ورواه القتيبى : فى أشفاره عَطف وتبعه البيهقى فى ذلك . قال : ابن قتيبة : ولا أعرف ما هسذا ، لأنه وقع فى روايته غلط فحار فى تفسيره ، والصواب ما ذكرناه ، والله أعلم .

وفى صوته صَحَل - وهو بحة يسيرة وهى أحلى فى الصوت من أن يكون حاداً ، قال أبو عبيد : وبالصَّحَل يوصف الظباء ، قال : ومن روى فى صوته صَهَل فقد غلط ، فإن ذلك لا يكون إلا فى الخيل ولا يكون فى الإنسان . قلت : وهو الذى أورده البيهقى . قال : ويروى صَحَل ، والصواب قول أبى عبيد والله أعلم . وأما قولها : أحور فمستغرب فى صفة النبى ﷺ وهو قبل فى العين يزينها ولا يشينها كالحَول . وقولها : أكحل ، قد تقدم له شاهد ، وقولها : أزجّ ، قال أبو عبيد: هو المتقوس الحاجبين . قال : وأما قولها : أقرن فهو التقاء الحاجبين بين العينين ، قال : ولا يعرف هذا فى صفة النبى ﷺ إلا فى هذا الحديث . قال : والمعروف فى صفته عليه السلام أنه أبلجُ الحاجبين فى عنقه سَطَع ، قال أبو عبيد : أى طول ، وقال غيره : نور ، قلت : والجمع ممكن بل متعين . وقولها إذا صمت فعليه الوقار ، أى الهيبة عليه فى حال صمته وسكوته ، وإذا تكلم سما - أى علا على الناس ، وعلاه البهاء - أى فى حال كلامه ، حلو المنطق فصل - أى فصيح بليغ يفصل الكلام ويبينه ، لا نزر ولا هذر - أى لا قليل ولا كثير ، كأن منطقه خرزات نظم - يعنى الذى من حسنه وبلاغته وفصاحته وبيانه وحلاوة لسانه ، أبهى الناس وأجله من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب - أى هو مليح من بعيد ومن قريب ، وذكرت أنه لا طويل ولا قصير بل هو أحسن من هذا ومن هذا ، وذكرت أن أصحابه يعظمونه ويخدمونه ويبادرون إلى طاعته وما ذلك إلا لجلالته عندهم وعظمته فى نفوسهم ومحبتهم له ، وأنه ليس بعابس أى ليس يعبس ، ولا يفند أحداً - أى يهجنه ويستقل عقله ، بل جميل المعاشرة حسن الصحبة صاحبه كريم عليه ، وهو حبيب إليه صلى الله عليه .

---

(١) الذى فى القاموس : الصعلة : نخلة فيها عوج (٢) أى : عريض

حديث هند بن هالة فى ذلك

وهند هذا هو : ربيب رسول الله ﷺ أمه خديجة بنت خويلد وأبوه أبو هالة كما قدمنا بيانه .
قال يعقوب بن سفيان الفسوى الحافظ رحمه الله : حدثنا سعيد بن حماد الأنصارى المصرى ، وأبو غسان مالك بن إسمعيل الهندى ، قالا : ثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلى ، قال : حدثنى رجل بمكة عن ابن لأبى هالة التميمى ، عن الحسن بن على قال : سألت خالى هند بن أبى هالة ـ وكان وصّافا ـ عن حلية رسول الله ﷺ ، وأنا أشتهى أن يصف لى منها شيئا أتعلق به ـ فقال : كان رسول الله ﷺ فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ، أطول من المربوع وأقصر من المشذّب[1] عظيم الهامة ، رَجْل الشعر ، إذا تفرقت عقيصته فرق وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه ، ذا وَفرة ، أزهر اللون واسع الجبين أزجّ الحواجب سوابغ فى غير قرن ، بينهما عرق يدره الغضب ، أقنى العرنين[2] له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم ، كث اللحية أدعَج سهل الخدين ، ضَليع الفم ، أشنب مُفلج الأسنان ، دقيق المسرُبة ، كأن عنقه جيد دمية فى صفاء ـ يعنى الفضة ـ معتدل الخلق ، بادن متماسك سواء البطن والصدر ، عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين ، ضخم الكراديس ، أنور المتجرد ، موصول ما بين اللّبة والسرة بشعر يجرى كالخطّ ، عارى الثديين والبطن مما سوى ذلك ، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر ، طويل الزندين رَحب الراحة سبط العصب ، شَثْن الكفين والقدمين ، سابل الأطراف ، خُمصان الأخمصين ، مسيح القدمين ، ينبو عنهما الماء إذا زال زال قُلعا[3] يخطو تكفيا ويمشى هَوْنا ، ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب ، وإذا التفت التفت جميعا ، خافض الطرف ، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء ، جُل نظره الملاحظة ، يسوق أصحابه ، يبدأ من لقيه بالسلام .

قلت : صف لى منطقه ، قال : كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان دائم الفكرة ، ليست له راحة ، لا يتكلم فى غير حاجة ، طويل السكوت ، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه يتكلم بجوامع الكلم ، فصل لا فضول ولا تقصير ، دَمِث ليس بالجافى ولا المهين ، يعظم النعمة وإن دقت ، لا يذم منها شيئا ولا يمدحه ، ولا يقوم لغضبه إذا تعرض للحق شىء حتى ينتصر له ، وفى رواية : لا تغضبه الدنيا وما كان لها ، فإذا تعرض للحق لم يعرفه أحد ، ولم يقم لغضبه شىء حتى ينتصر له ، لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها ، إذا أشار أشار بكفه كلها ، وإذا تعجب قلبها ، وإذا تحدث يصل بها يضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى ، وإذا غضب أعرض وأشاح ، وإذا فرح غض طرفه ، جُلّ ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حَب الغمام .

---

(١) المشذب : الطويل الحسن الخلق (٢) العرنين : الأنف كله ، أو ما صلب من عظمه
(٣) أى : إذا مشى كان يرفع رجليه رفعا بائنا ، لا يمشى اختيالا وتنعما

قال الحسن : فكتمتها الحسن بن على زمانا ثم حدثته فوجدته قد سبقنى إليه فسأله عما سألته عنه ، ووجدته قد سأل أباه عن مدخله ومخرجه ومجلسه وشكله ، فلم يدع منه شيئا . قال الحسن : سألت أبى عن دخول رسول الله ﷺ فقال : كان دخوله لنفسه مأذون له فى ذلك ، وكان إذا أوى إلى منزله جزّأ دخوله ثلاثة أجزاء ؛ جزءا لله ، وجزءا لأهله ، وجزءا لنفسه ، ثم جزأ جزأه بين الناس ، فرد ذلك على العامة والخاصة ، لا يدخر عنهم شيئا ، وكان من سيرته فى جزء الأمة : إيثار أهل الفضل بأدبه ، وقسمه على قدر فضلهم فى الدين ، فمنهم ذو الحاجة ، ومنهم ذو الحاجتين ، ومنهم ذو الحوائج ، فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم والأمة من مسألته عنهم وإخبارهم بالذى ينبغى ، ويقول : ليبلغ الشاهد الغائب ، وأبلغونى حاجة من لا يستطيع إبلاغى حاجته ؛ فإنه من بلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع إبلاغها إياه ـ ثبّت الله قدميه يوم القيامة ، لا يذكر عنده إلا ذلك ، ولا يقبل من أحد غيره ، يدخلون عليه زوارا ولا يفترقون إلا عن ذَواق[1] وفى رواية : ولا يتفرقون إلا عن ذَوق ، ويخرجون أدلة ـ يعنى فقهاء .

قال : وسألته عن مَخرجه كيف كان يصنع فيه ؟ فقال : كان رسول الله ﷺ يخزن لسانه إلا بما يعنيهم ، ويؤلفهم ولا ينفرهم ، ويكرم كريم كلّ قوم ويوليه عليهم ، ويحذر الناس ، ويحترس منهم من غير أن يطوى عن أحد منهم بشره ولا خلقه ، يتفقد أصحابه ويسأل الناس عما فى الناس ، ويحسن الحسن ويقويه ، ويقبح القبيح ويُوهيه ، معتدل الأمر غير مختلف ، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا ، لكل حال عنده عَتاد ، لا يقصر عن الحق ولا يجوزه ، الذين يلونه من الناس خيارهم ، أفضلهم عنده أعمهم نصيحة ، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة .

قال : فسألته عن مجلسه كيف كان ؟ فقال : كان رسول الله ﷺ لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر ، ولا يُوطن الأماكن[2] وينهى عن إيطانها ، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهى به المجلس ، ويأمر بذلك ، يعطى كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه ، مَنْ جالسه أو قاومه فى حاجة صابَره حتى يكون هو المنصرف ، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول ، قد وسع الناس منه بَسْطه وخُلقه ، فصار لهم أبا وصاروا عنده فى الحق سواء ، مجلسه مجلس حِلم وحياء وصبر وأمانة . لا تُرفع فيه الأصوات ، ولا تؤبن[3] فيه الحرم . ولا تُنثى[4] فلتاته . متعادلين يتفاضلون فيه بالتقوى . متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير يؤثرون ذا الحاجة . ويحفظون الغريب .

---

(١) أى : اختيار
(٢) أى : لا يتخذ لنفسه مجلسا يعرف به
(٣) أى : لا تعاب
(٤) أى : لا تعلو وتنتشر

قال : فسألته عن سيرته في جلسائه فقال : كان رسول الله ﷺ دائم البشر ، سهل الخلق لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخّاب[1] ، ولا فحاش ولا عياب ، ولا مزّاح ، يتغافل عما لا يشتهي . ولا يُؤيس منه راجيه ، ولا يخيب فيه ، قد ترك نفسه من ثلاث : المراء ، والإكثار ، ومالا يعنيه . وترك الناس من ثلاث : كان لا يذم أحداً ، ولا يعيّره ، ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه . إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رءوسهم الطير ، فإذا سكت تكلموا ولا يتنازعون عنده ، يضحك مما يضحكون منه ، ويتعجب مما يتعجبون منه ، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته ، حتى إن كان أصحابه يستجلبونه في المنطق ويقول : إذا رأيتم طالب حاجة فارفدوه ، ولا يقبل الثناء إلا من مُكافىء ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بانتهاء أو قيام .

قال: فسألته كيف كان سكوته ؟ قال : كان سكوته على أربع : الحلم ، والحذر ، والتقدير ، والتفكر . فأما تقديره ، ففي تسويته النظر والاستماع بين الناس ، وأما تذكره - أو قال تفكره - ففيما يبقى ويفنى ، وجُمع له ﷺ الحلم والصبر فكان لا يغضبه شيء ولا يستفزه ، وجُمع له الحذر في أربع : أخذه بالحسنى ، والقيام لهم فيما جمع لهم الدنيا والآخرة ﷺ .

وقد روى هذا الحديث بطوله الحافظ أبو عيسى الترمذي رحمه الله في كتاب شمائل رسول الله ﷺ عن سفيان بن وكيع بن الجراح ، عن جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي : حدثني رجل من ولد أبي هالة - زوج خديجة يكنى أباعبد الله ، سماه غيره يزيد بن عمر ، عن ابن لأبي هالة عن الحسن بن علي قال: سألت خالي فذكره ، وفيه حديثه عن أخيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب. وقد رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في الدلائل عن أبي عبد الله الحاكم النيسابوري لفظاً وقراءة عليه : أنا أبو محمد الحسن - محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن علي بن ابن أبي طالب القعنبي - صاحب كتاب النسب ببغداد ، حدثنا إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر ، بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - أبو محمد ، بالمدينة سنة ست وستين ومائتين ، حدثني علي بن جعفر بن محمد ، عن أخيه موسى بن جعفر ، عن جعفر بن محمد ، عن علي ابن الحسين بن علي عن أبيه محمد بن علي بن الحسين قال : قال الحسن: سألت خالي هند بن أبي هالة فذكره ، قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي رحمه الله في كتابه الأطراف - بعد ذكره ما تقدم من هاتين الطريقين - وروى إسماعيل بن مسلم بن قعنب القعنبي عن إسحاق بن صالح المخزومي ،

(١) السخب - محركة: الصخب ، وهو شدة الصوت

عن يعقوب التيمى عن عبد الله بن عباس ؛ أنه قال لهند بن أبى هالة ، وكان وصّافاً لرسول الله ـ : صف لنا رسول الله ﷺ فذكر بعض هذا الحديث .

وقد روى الحافظ البيهقى من طريق صبيح بن عبد الله الفرغانى ـ وهو ضعيف ـ عن عبد العزيز بن عبد الصمد ، عن جعفر بن محمد عن أبيه ، وعن هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة حديثاً مطولا فى صفة النبى ﷺ قريباً من حديث هند بن أبى هالة . وسرده البيهقى بتمامه، وفى أثنائه تفسير ما فيه من الغريب ، وفيما ذكرناه غنية عنه ، والله تعالى أعلم .

وروى البخارى عن أبى عاصم الضحاك عن عمر بن سعيد بن أحمد بن حسين ، عن ابن أبى مليكة عن عقبة بن الحارث قال : صلى أبو بكر العصر بعد موت النبى ﷺ بليال ، فخرج هو وعلىّ يمشيان ، فإذا الحسن بن على يلعب مع الغلمان ، قال: فاحتمله أبو بكر على كاهله وجعل يقول : بأبى ؛ شبه النبى ليس شبيهاً بعلى ، وعلىّ يضحك منهما رضى الله عنهما . وقال البخارى : ثنا أحمد بن يونس ، ثنا زهير ، ثنا إسماعيل عن أبى جُحَيفة قال : رأيت رسول الله ﷺ وكان الحسن بن علىّ يشبهه . وروى البيهقى عن أبى على الروذبارى عن عبد الله بن جعفر بن شوذب الواسطى ، عن شعيب بن أيوب الصريفينى ، عن عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبى إسحاق عن هانئ عن علىّ رضى الله عنه قال : الحسن أشبه برسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس ، والحسين أشبه برسول الله ﷺ ما كان أسفل من ذلك .

باب ذكر أخلاقه وشمائله الطاهرة ﷺ

قد قدمنا طيب أصله ومحتده ، وطهارة نسبه ومولده ، وقد قال الله تعالى : (اللهُ أعلمَ حَيْثُ يجعَلُ رِسالته)[1] . وقال البخارى : حدثنا قتيبة ، ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « بعثت من خير قرون بنى آدم قرناً بعد قرن حتى كنت من القرن الذى كنت فيه » . وفى صحيح مسلم عن واثلة بن الأسقع قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله اصطفى قريشاً من بنى إسماعيل ؛ واصطفى بنى هاشم من قريش ، واصطفانى من بنى هاشم » وقال الله تعالى : (نٓ * وَالقَلَمِ وما يَسْطُرُونَ * مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ * وإنّ لكَ لأجْراً غيرَ مَمْنُونٍ * وإنك لَعَلَى خُلُقٍ عَظيم)[2] قال العوفى عن ابن عباس فى قوله تعالى : (وإنك لَعَلَى خُلُقٍ عظيم) يعنى ـ وإنك لعلى دين عظيم ـ وهو الإسلام، وهكذا قال مجاهد وابن مالك والسدى والضحاك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقال عطية :

(١) من الآية ١٢٤ من سورة الأنعام

(٢) الآيات ١ ـ ٤ من سورة القلم

لعلى أدب عظيم . وقد ثبت فى صحيح مسلم من حديث قتـــادة عن زرارة بن أوفى عن سعد ابن هشام قال : سألت عائشة أم المؤمنين فقلت : أخبرينى عن خلق رسول الله ﷺ ، فقالت : أما تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى ، فقالت : كان خُلقه القرآن ، وقد روى الإمام أحمد عن إسماعيل بن عليه ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن البصرى قال : وسُئلت عائشة عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت : كان خُلقه القرآن .

وروى الإمام أحمد ، عن عبد الرحمن بن مهدى والنسائى من حديثه ، وابن جرير من حديث ابن وهب - كلاهما عن معاوية بن صالح ، عن أبى الزاهرية ، عن جبير بن نفير قال : حججت فدخلت على عائشة فسألتها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : كان خُلقه القرآن . ومعنى هذا : أنه عليه السلام مهما أمره به القرآن امتثله ، ومهما نهاه عنه تركه . هـذا ما جبله الله عليه من الأخلاق الجبلية الأصيلة العظيمة ، التى لم يكن أحد من البشر ولا يكون على أجمل منها وشرع له الدين العظيم الذى لم يشرعه لأحد قبله ، وهو مع ذلك خاتم النبيين فلا رسول بعده ولا نبى ﷺ ، فكان فيه من الحياء والكرم والشجاعة والحلم والصفح والرحمة وسائر الأخلاق الكاملة - مالا يُحد ولا يمكن وصفه . وقال يعقوب بن سفيان : ثنا سليمان ، ثنا عبد الرحمن ثنا الحسن ابن يحيى ، ثنا زيد بن واقد عن بشر بن عبيد الله عن أبى إدريس الخولانى عن أبى الدرداء قال : سألت عائشة عن خُلق رسول الله ﷺ ، فقالت : كان خُلقه القرآن ، يرضى لرضاه ويسخط لسخطه .

وقال البيهقى : أنا أبو عبد الله الحافظ ، أنا أحمد بن سهل الفقيه ببخارى ، أنا قيس بن أنيف ، ثنا قتيبة بن سعيد ، ثنا جعفر بن سليمان عن أبى عمران عن زيد بن بابنوس[1] قال : قلنا لعائشة يا أم المؤمنين ، كيف كان خلق رسول الله ﷺ ؟ قالت كان خلق رسول الله ﷺ القرآن ثم قالت : أتقرأ سورة المؤمنون ؟ اقرأ (قد أفلح المؤمنون) إلى العشر ، قالت : هكذا كان خُلق رسول الله ﷺ . وهكذا رواه النسائى عن قتيبة . وروى البخارى من حديث هشام ابن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير فى قوله تعالى : « خُذِ العَفْوَ وأمُرْ بالعُرْفِ وأعْرِضْ عَنِ الجاهِلين[2] » . قال : أمر رسول الله ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس . وقال الإمام أحمد : حدثنا سعيد بن منصور ، ثنا عبد العزيز بن محمد عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق » تفرد به أحمد . ورواه الحافظ أبو بكر الخرائطى فى كتابه فقال : وإنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق .

---

(١) كذا بالأصل ولم أقف على غيره (٢) الآية : ١٩٩ من آخر سورة الأعراف

وتقدم ما رواه البخارى من حديث أبى إسحاق عن البراء بن عازب قال : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجها ، وأحسن الناس خلقا . وقال مالك عن الزهرى عن عروة عن عائشة أنها قالت : ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما مالم يكن إثما ، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه ، وما انتقم لنفسه إلا أن تُنْتَهك حُرمة الله فينتقم لله بها ورواه البخارى ومسلم من حديث مالك .

وروى مسلم عن أبى كريب عن أبى أسامة عن هشام عن أبيه ، عن عائشة قالت : ما ضرب رسول الله ﷺ بيده شيئا قط ، لا عبداً ولا امرأة ولا خادما ـ إلا أن يجاهد فى سبيل الله ، ولا نِيل منه شيء فينتقم من صاحبه ـ إلا أن يُنتهك شيءٌ من محارم الله فينتقم لله عز وجل . وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أنا معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادما له قط ولا امرأة ، ولا ضرب بيده شيئا ـ إلا أن يجاهد فى سبيل الله ، ولا خُيِّر بين شيئين قط إلا كان أحبَّهما إليه أيسرُهما ، حتى يكون إثما ، فإذا كان إثما كان أبعدَ الناس من الإثم ، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه ، حتى تنتهك حرمات الله فيكون هو ينتقم لله عز وجل . وقال أبو داود الطيالسى : ثنا شعبة عن أبى إسحاق سمعت أبا عبد الله الجَدَلى يقول : سمعت عائشة وسألتها عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت : لم يكن فاحِشا ولا متفحِّشا ، ولا سَخَّابا فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، أو قال : يعفو ويغفر ـ شك أبوداود ورواه الترمذى من حديث شعبة وقال : حسن صحيح

وقال يعقوب بن سفيان : ثنا آدم وعاصم بن على قالا : ثنا ابن أبى ذئب ثنا صالح مولى التوأمة قال : كان أبو هريرة ينعت رسول الله قال : كان يُقبل جميعا ويُدبر جميعا ، بأبى وأمى لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا سَخَّابا فى الأسواق . زاد آدم : ولم أر مثله قبله ، ولم أر مثله بعده . وقال البخارى : ثنا عبدان عن أبى حمزة عن الأعمش عن أبى وائل عن مسروق عن عبد الله ابن عمرو قال : لم يكن النبى ﷺ فاحشا ولا متفحشا . وكان يقول : إن من خياركم أحسنكم أخلاقا . ورواه مسلم من حديث الأعمش به . وقد روى البخارى من حديث فُليح بن سليمان عن هلال بن على عن عطاء بن يسار . عن عبد الله بن عمرو أنه قال : إن رسول الله موصوف فى التوراة بما هو موصوف فى القرآن « (يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا) وحِرزاً للأميين أنت عبدى ورسولى . سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سَخَّاب فى الأسواق . ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، ويفتح أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غُلفا » وقد روى عن عبد الله بن سلام وكعب الأحبار .

وقال البخاري : ثنا مسدد ، ثنا يحيى عن شعبة عن قتادة عن عبد الله بن أبي عتبة ، عن أبي سعيد قال : كان النبي ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها ، حدثنا ابن بشار ثنا يحيى وعبد الرحمن قالا : ثنا شعبة مثله ، وإذا كره شيئا عرف ذلك في وجهه . ورواه مسلم من حديث شعبة . وقال الإمام أحمد : ثنا أبو عامر ، ثنا فليح عن هلال بن علي عن أنس بن مالك قال : لم يكن رسول الله ﷺ سبابا ولا لعانا ولا فاحشا ، كان يقول لأحدنا عند المعاتبة : ماله تربت جبينه[1] . ورواه البخاري عن محمد بن سنان عن فليح . وفي الصحيحين واللفظ لمسلم من حديث حماد بن زيد ، عن ثابت عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس ، وكان أجود الناس ، وكان أشجع الناس ، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قبل الصوت ، فتلقاهم رسول الله راجعا وقد سبقهم إلى الصوت وهو على فرس لأبي طلحة عري ، في عنقه السيف وهو يقول : « لم تراعوا لم تراعوا » ، قال : وجدناه بحرا ، أو إنه لبحر » قال : وكان فرسا يبطأ[2].
ثم قال مسلم : ثنا بكر بن أبي شيبة ، ثنا وكيع عن سعيد عن قتادة عن أنس قال : كان فزع بالمدينة فاستعار رسول الله ﷺ فرسا لأبي طلحة يقال له : مندوب فركبه ، فقال : ما رأينا من فزع وإن وجدناه لبحرا ، قال : كنا إذا اشتد البأس اتقينا برسول الله ﷺ . وقال أبو إسحاق السبيعي عن حارثة بن مضرب عن علي بن أبي طالب قال : لما كان يوم بدر اتقينا المشركين برسول الله ﷺ وكان أشد الناس بأسا . رواه أحمد والبيهقي . وتقدم في غزوة هوازن أنه عليه السلام لما فر جمهور أصحابه يومئذ ثبت وهو راكب بغلته ، وهو ينوه باسمه الشريف يقول : أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب ، وهو مع ذلك يركضها إلى نحور الأعداء . وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة العظيمة والتوكل التام ، صلوات الله عليه .

وفي صحيح مسلم ، من حديث إسماعيل بن علية ، عن عبد العزيز عن أنس قال : لما قدم رسول الله المدينة أخذ أبو طلحة بيدي فانطلق بنا إلى رسول الله فقال : يا رسول الله إن أنسا غلام كيس فليخدمك قال : فخدمته في السفر والحضر ، والله ما قال لي لشيء صنعته : لم صنعت هذا هكذا ؟ ولا لشيء لم أصنعه : لم لم تصنع هذا هكذا ؟ وله من حديث سعيد بن أبي بردة عن أنس قال : خدمت رسول الله تسع سنين ، فما أعلمه قال لي قط : لم فعلت كذا وكذا ؟ ولا عاب علي شيئا قط . وله من حديث عكرمة بن عمار عن إسحاق ، قال أنس : كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقا ، فأرسلني يوما لحاجة فقلت : والله لا أذهب - وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به رسول الله ﷺ - فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق ، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض

---

(١) أي : لزق بالتراب وخسر

(٢) أي : يعرف بالبطاءة والعجز وسوء السير . وقوله وجدناه بحرا - أي واسع الجري كالبحر

بقفاى مِن ورائى ، قال : فنظرت إليه وهو يضحك فقال : يا أُنَيس ، أذهبتَ حيث أمرتك ؟ فقلت : نعم أنا أذهب يا رسول الله قال أنس : والله لقد خدمته تسع سنين ما علمته قال لشيء صنعته : لم صنعت كذا وكذا ؟ أو لشيء تركتُه : هلاّ فعلتَ كذا وكذا ؟

وقال الإمام أحمد : ثنا كثير ، ثنا هشام ، ثنا جعفر ، ثنا عمران القصير عن أنس بن مالك قال : خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما أمرنى بأمر فتوانيتُ عنه أو ضيَّعتُه فلامَنى ، وإنْ لامَنى أحد من أهله إلا قال : دعُوه فلو قُدِّر — أو قال قُضِى — أن يكون كان . ثم رواه أحمد عن على ابن ثابت عن جعفر — هو ابن برقان — عن عمران البصرى وهو القصير ، عن أنس فذكره . تفرد به الإمام أحمد . وقال الإمام أحمد : ثنا عبد الصمد ، ثنا أبى ، ثنا أبو التَّياح ، ثنا أنس قال : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا وكان لى أخ يقال له أبو عُمير ، قال : أحسَبه قال فطيما ، قال : فكان إذا جاء رسول الله ﷺ فرآه قال : أبا عُمير ما فعل النُّغير ؟ قال : نُغَر[1] كان يلعب به ، قال : فربما تحضر الصلاة وهو فى بيتنا فيأمر بالبساط الذى تحته فيُكنس ثم ينضح ، ثم يقوم رسول الله ﷺ ونقوم خلفه يصلى بنا ، قال : وكان بساطهم من جريد النخل وقد رواه الجماعة إلا أبا داود من طرق عن أبى التَّياح — يزيد بن حميد ، عن أنس بنحوه . وثبت فى الصحيحين من حديث الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ أجودَ الناس ، وكان أجود ما يكون فى رَمضان ، حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن ، فلرسولُ الله ﷺ أجودُ بالخير من الريح المُرْسلة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو كامل ، ثنا حماد بن زيد ، ثنا سَلْمٌ العلوى ، سمعت أنس ابن مالك ، أن النبى ﷺ رأى على رجل صُفرة[2] فكرهها ، قال : فلما قام قال : لو أمرتم هذا أن يغسل عنه هذه الصفرة . قال : وكان لا يكاد يواجه أحداً بشيء يكرهه . وقد رواه أبو داود والترمذى فى الشمائل ، والنسائى فى اليوم والليلة ، من حديث حماد بن زيد عن سلم بن قيس العلوى البصرى . قال أبو داود : وليس من ولد على بن أبى طالب ، وكان يبصر فى النجوم ، وقد شهد عند عدى بن أرطاة على رؤية الهلال فلم يُجِز شهادته . وقال أبو داود : ثنا عثمان بن أبى شيبة ، ثنا يحيى بن عبد الحميد الحمانى ، ثنا الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عائشة قالت : كان النبى ﷺ إذا بلغه عن رجل شيء لم يَقُل : ما بالُ فلان يقول ، ولكن يقول : ما بال أقوام يقولون كذا وكذا . وثبت فى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : لا يُبلغنى أحد عن أحد شيئا ، إنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر . وقال مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة ، عن أنس

---

(١) النغر — كصرد : البلبل ، وفراخ العصافير (٢) الصفرة من الألوان — معروفة

ابن مالك قال : كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه بُرد غليظ الحاشية . فأدركه أعرابي فجبذ بردائه جَبذاً شديداً حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ فإذا قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جَبْذته ، ثم قال : يا محمد مُرْ لي من مال الله الذي عندك ، قال : فالتفت إليه رسول الله ﷺ فضحك ، ثم أمر له بعطاء . أخرجاه من حديث مالك .

وقال الإمام أحمد : ثنا زيد بن الحباب ، أخبرني محمد بن هلال القرشي عن أبيه ، أنه سمع أبا هريرة يقول : كنا مع رسول الله ﷺ في المسجد ، فلما قام قمنا معه فجاء أعرابي فقال : أعطني يا محمد ، فقال : لا ، وأستغفر الله فجذبه بحُجزته[1] فخدشه ، قال : فهمّوا به فقال : دعوه ، قال ثم أعطاه ، قال : فكانت يمينه : لا ، وأستغفر الله . وقد روى أصل هذا الحديث أبو داود والنسائي وابن ماجة من طارق ، عن محمد بن هلال بن أبي هلال - مولى بني كعب ، عن أبيه عن أبي هريرة بنحوه . وقال يعقوب بن سفيان : ثنا عبد الله بن موسى ، عن شيبان عن الأعمش عن ثمامة بن عتبة عن زيد بن أرقم قال : كان رجل من الأنصار يدخل على رسول الله ﷺ ويأمنه ، وإنه عقد له عَقَداً وألقاه في بئر ، فصرع ذلك رسول الله ﷺ فأتاه ملكان يعودانه ، فأخبراه أن فلانا عقد له عَقَداً وهي في بئر فلان ، ولقد اصفر الماء من شدة عَقَده ، فأرسل النبي ﷺ فاستخرج العقد فوجد الماء قد اصفرّ فحل العقد ونام النبي ﷺ ، فلقد رأيت الرجل بعد ذلك يدخل على النبي ﷺ فما رأيته في وجه النبي ﷺ حتى مات . قلت : والمشهور في الصحيح : أن لَبيد بن الأعصم اليهودي هو الذي سَحَر النبي ﷺ في مُشط ومُشاقة[2] في جف طَلْعة ذَكر تحت بئر ذَرْوان ، وأن الحال استمر نحو ستة أشهر حتى أنزل الله سورتي المعوذتين ، ويقال : إن آياتهما إحدى عشرة آية ، وأن عقد ذلك الذي سحر فيه كان إحدى عشرة عقدة ، وقد بسطنا ذلك في كتابنا التفسير بما فيه كفاية ، والله أعلم .

وقال يعقوب بن سفيان : ثنا أبو نعيم ، ثنا عمران بن زيد - أبو يحيى الملائي ، ثنا زيد العمي عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ إذا صافح أو صافحه الرجل ، لا ينزع يدَه من يده حتى يكون الرجل ينزع يدَه ، وإن استقبله بوجه لا يصرفه عنه حتى يكون الرجل ينصرف عنه ، ولا يرى مُقدّماً ركبتيه بين يدي جليس له . رواه الترمذي وابن ماجة من حديث عمران ابن زيد الثعلبي - أبي يحيى الطويل الكوفي ، عن زيد بن الحواري العمي عن أنس به . وقال أبو داود : ثنا أحمد بن منيع ، ثنا أبو قطن ، ثنا مبارك بن فضالة عن ثابت البناني ، عن أنس ابن مالك قال : ما رأيت رجلا قط التقم أذن النبي ﷺ فينحي رأسه حتى يكون الرجل

---

(١) الحجزة : معقد الإزار ومن السراويل : موضع التكة

(٢) المشاقة : ما يسقط من الشعر عند المشط . والجف : وعاء الطلع

هو الذى ينحّى رأسه ، وما رأيت رسول الله آخذاً بيد رجلٌ فترك يده ، حتى يكون الرجلُ هو الذى يدع يَدَه . تفرد به أبو داود .

قال الإمام أحمد : وحدثنا محمد بن جعفر ، وحجاج قالا : ثنا شعبة قال ابن جعفر فى حديثه قال : سمعتْ على بن يزيد قال : قال أنس بن مالكٌ : إن كانت الوليدة[1] من وَلائد أهل المدينة لتجىء فتأخذ بيد رسول الله ﷺ فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت . ورواه ابن ماجة من حديث شعبة ، وقال الإمام أحمد : ثنا هشيم ، ثنا حميد عن أنس بن مالك قال : إن كانت الأمة من أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به فى حاجتها . وقد رواه البخارى فى كتاب الأدب من صحيحه معلقا فقال : وقال محمد بن عيسى ـ هو ابن الطباع : ثنا هشيم فذكره .

وقال الطبرانى : ثنا أبو شعيب الحرانى ، ثنا يحيى بن عبد الله البابلى ، ثنا أيوب بن نهيك ، سمعت عطاء بن أبى رباح ، سمعت ابن عمر ، سمعت رسول الله ﷺ رأى صاحب بَزّ فاشترى منه قميصا بأربعة دراهم ، فخرج وهو عليه ، فإذا رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله اكسنى قميصا كساك الله من ثياب الجنة ، فنزع القميص فكساه إياه ، ثم رجع إلى صاحب الحانوت فاشترى منه قميصا بأربعة دراهم وبقى معه درهمان ، فإذا هو بجارية فى الطريق تبكى فقال : ما يبكيك ؟ فقالت : يا رسول الله دفع إلىّ أهلى درهمين أشترى بهما دقيقا فهلكا ، فدفع إليها رسول الله الدرهمين الباقيين ، ثم انقلب وهى تبكى ، فدعاها فقال : ما يبكيك وقد أخذت الدرهمين ؟ فقالت : أخاف أن يضربونى ، فمشى معها إلى أهلها فسلّم ، فعرفوا صوته ، ثم عاد فسلّم ، ثم عاد فسلّم ، ثم عاد فثلّث فردوا ، فقال : أسمعتم أول السلام ؟ قالوا : نعم ، ولكن أحببنا أن تزيدنا من السلام ، فما أشخصك بأبينا وأمنا ؟ فقال : أشفقتْ هذه الجارية أن تضربوها ، فقال صاحبها : هى حُرة لوجه الله لِمَمْشاك معها ، فبشرهم رسول الله بالخير والجنة . ثم قال : لقد بارك الله فى العَشرة ، كسا الله نبيه قميصا ، ورجلا من الأنصار قميصا ، وأعتق الله منها رقبة ، وأحمد الله هو الذى رزقنا هذا بقدرته . هكذا رواه الطبرانى ، وفى إسناده أيوب بن نهيك الحلبى وقد ضعّفه أبو حاتم ، وقال أبو زُرعة : منكر الحديث ، وقال الأزدى : متروك .

وقال الإمام أحمد : ثنا عفان ، ثنا حماد عن ثابت عن أنس أن امرأة كان فى عقلها شىء فقالت : يا رسول الله إنّ لى حاجة ، فقال يا أم فلان انظرى أى الطرق شئت ، فقام معها يناجيها حتى قضت حاجتها ، وهكذا رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة . وثبت فى الصحيحين من حديث الأعمش عن أبى حازم عن أبى هريرة قال : ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما قط ، إن اشتهاه

(١) أى الصبية ـ حرة كانت أو عبدة

أكله وإلا تركه . وقال الثورى عن الأسود بن قيس: عن شيخ العَوْفى[1] عن جابر قال : أتانا رسول الله فى منزلنا فذبحنا له شاة فقال : كأنهم علموا أنا نحب اللحم الحديث . وقال محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة عن عمر بن عبد العزيز عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا جلس يتحدث كثيرا ، ما يرفع طرفه إلى السماء ، وهكذا رواه أبو داود فى كتاب الأدب من سننه ، من حديث محمد بن إسحاق به .

وقال أبو داود : حدثنا سلمة بن شبيب ، ثنا عبد الله بن إبراهيم ، ثنا إسحاق بن محمد الأنصارى عن ربيح بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده - أبى سعيد الخدرى ، أن رسول الله ﷺ كان إذا جلس احتبى بيده . ورواه البزار فى مسنده ، ولفظه : كان إذا جلس نصب ركبتيه واحتبى بيديه ، ثم قال أبو داود : ثنا حفص بن عمر وموسى بن إسماعيل قالا : ثنا عبد الرحمن بن حسان العنبرى، حدثنى جدتاى : صفية ودُحَيْبة ابنتا عليبة . قال موسى ابنة حرملة وكانتا ربيبتى قَيْلة بنت مخرمة وكانت جدة أبيهما : أنها أخبرتهما أنها رأت رسول الله ﷺ وهو قاعد القُرفصاء قالت : فلما رأيت رسول الله المتخشع فى الجلسة أرعدْت من الفَرَق . ورواه الترمذى فى الشمائل وفى الجامع عن عبد بن حميد ، عن عفان بن مسلم بن عبد الله بن حسان به . وهو قطعة من حديث طويل قد ساقه الطبرانى بتمامه فى معجمه الكبير .

وقال البخارى : ثنا الحسن بن الصباح البزار ، ثنا سفيان عن الزهرى عن عروة عن عائشة ، أن رسول الله ﷺ كان يحدث حديثا لو عدّه العاد لأحصاه . قال البخارى : وقال الليث : حدثنى يونس عن ابن شهاب أخبرنى عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت : ألا أعجبك أبو فلان ؟ جاء فجلس إلى جانب حجرتى يحدث عن رسول الله ﷺ يسمعنى ذلك ، وكنت أسبح فقام قبل أن أقضى سبحتى ، ولو أدركته لرددت عليه ، إن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد الحديث كسردكم . وقد رواه أحمد عن على بن إسحاق ، ومسلم عن حرملة ، وأبو داود عن سليمان ابن داود - كلهم عن ابن وهب عن يونس بن يزيد به ، وفى روايتهم : ألا أعجبك من أبى هريرة فذكرت نحوه . وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع عن سفيان عن أسامة عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : كان كلام النبى ﷺ فصلا يفهمه كل أحد ، لم يكن يسرد سردا . وقد رواه أبو داود عن ابن أبى شيبة عن وكيع . وقال أبو يعلى : ثنا عبد الله بن محمد بن أسماء ، ثنا عبد الله ابن مسعر ، حدثنى شيخ ، أنه سمع جابر بن عبد الله - أو ابن عمر - يقول : كان فى كلام النبى ﷺ ترتيل أو ترسيل[2] .

(١) قيل : لعله شقيق الكوفى ، وهو شقيق بن سلمة الأسدى أبو وائل الكوفى أحد سادة التابعين، وقد أخذ عنه الأسود بن قيس .

(٢) الترسيل : هو الترتيل والاتئاد والتبيين .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا عبد الله بن المثنى عن ثمامة عن أنس أن رسول الله ﷺ كان إذا تكلم بكلمة رددها ثلاثا ، وإذا أتى قوما يسلم عليهم سلم ثلاثا ، ورواه البخارى من حديث عبد الصمد . وقال أحمد : ثنا أبو سعيد بن أبى مريم ثنا عبد الله بن المثنى ، سمعت ثمامة ابن أنس يذكر أن أنسا كان إذا تكلم تكلم ثلاثا ، ويذكر أن النبى ﷺ : كان إذا تكلم تكلم ثلاثا ، وكان يستأذن ثلاثا وجاء فى الحديث الذى رواه الترمذى عن عبد الله بن المثنى عن ثمامة عن أنس ، أن رسول الله ﷺ كان إذا تكلم يعيد الكلمة ثلاثاً لتعقل عنه ، ثم قال الترمذى حسن صحيح غريب . وفى الصحيح أنه قال : أوتيتُ جوامع الكلم ، وأختصر الحكم اختصارا قال الإمام أحمد: حدثنا ليث حدثنى عقيل بن خالد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ، أن أبا هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : بعثت بجوامع الكلم . ونُصرت بالرعب ، وبينا أنا نائم أوتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت فى يدى ، وهكذا رواه البخارى من حديث الليث .

وقال أحمد : ثنا إسحق بن عيسى ، ثنا ابن لهيعة عن عبد الرحمن الأعرج عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : نصرت بالرعب ، وأوتيتُ جوامع الكلم ، وبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوُضعتَ فى يدى . تفرد به أحمد من هذا الوجه . وقال أحمد : حدثنا يزيد ، ثنا محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ نُصرتُ بالرُّعب ، وأوتيتُ جوامع الكلم ، وجُعلت لى الأرضُ مسجدا وطَهورا ، وبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فتُلّت[1] فى يَدى ، تفرد به أحمد من هذا الوجه وهو على شرط مسلم . وثبت فى الصحيحين من حديث ابن وهب عن عمرو بن الحرث ، حدثنى أبو النضر عن سليمان بن يسار عن عائشة قالت : ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعا ضاحكا حتى أرى منه لهَوَاته[2] إنما كان يتبسم . وقال الترمذى : ثنا قتيبة ، ثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن المغيرة عن عبد الله بن الحرث ابن جزء قال : ما رأيت أحداً أكثر تبسما من رسول الله ﷺ . ثم رواه من حديث الليث عن يزيد بن أبى حبيب عن عبد الله بن الحرث بن جَزْء قال : ما كان ضحك رسول الله ﷺ إلا تبسما ، ثم قال صحيح .

وقال مسلم : ثنا يحيى بن يحيى ، ثنا أبو خيثمة عن سماك بن حرب قلت لجابر بن سَمُرة : أكنت تجالس رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم كثيراً . كان لا يقوم من مُصلاه الذى يُصلى فيه الصبح حتى تطلع الشمس قام ، وكانوا يتحدثون فيأخذون فى أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم رسول الله ﷺ . وقال أبو داود الطيالسى : ثنا شريك وقيس بن سعد عن سماك بن حرب قال : قلت لجابر بن سَمُرة : أكنت تجالس النبى ﷺ ؟ قال : نعم ، كان قليل الصمت ، قليل الضحك فكان أصحابه ربما يتناشدون الشِّعر عنده ، وربما قال الشىء من أمورهم فيضحكون ،

(١) أى دفعت وألقيت (٢) اللهوات : جمع اللهاة ، وهى اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم

وربما يتبسم . وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : أنا أبو عبد الله الحافظ ، وأبو سعيد بن أبي عمرو ، قالا : ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، ثنا محمد بن إسحاق ، أنا أبو عبد الرحمن المقرى ، ثنا الليث بن سعد ، عن الوليد بن أبي الوليد ، أن سليمان بن خارجة أخبره عن خارجة بن زيد - يعني ابن ثابت - أن نفراً دخلوا على أبيه فقالوا : حدثنا عن بعض أخلاق رسول الله ﷺ ، فقال : كنت جاره ، فكان إذا نزل الوحي بعث إلىّ ، فآتيه فأكتب الوحي ، وكنا إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا ، وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا ، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا ، فكل هذا نحدثكم عنه . ورواه الترمذي في الشمائل ، عن عباس الدوري ، عن أبي عبد الرحمن عن عبد الله بن يزيد المقرى به ، نحوه .

ذكر كرمه عليه الصلاة والسلام

تقدم ما أخرجاه في الصحيحين من طريق الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله ﷺ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان حين يلقاه جبريل بالوحي فيدارسه القرآن ، فلرسول الله ﷺ أجودُ بالخير من الرِّيح المُرْسَلة ، وهذا التشبيه في غاية ما يكون من البلاغة في تشبيه الكرم بالرِّيح المُرْسَلة ، في عُمومها وتواترها وعدم انقطاعها . وفي الصحيحين من حديث سفيان بن سعيد الثوري ، عن محمد بن المُنكدر ، عن جابر بن عبد الله ، قال : ما سُئِل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال : لا . وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن أبي عديّ ، عن حُميد ، عن موسى بن أنيس ، عن أنس ، أنّ رسول الله ﷺ لم يُسأل شيئاً على الإسلام إلا أعطاه ، قال : فأتاه رجل ، فأمر له بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة ، قال : فرجع إلى قومه فقال : يا قوم ، أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء ما يخشى الفاقة . ورواه مسلم ، عن عاصم بن النضر ، عن خالد بن الحارث ، عن حُميد . وقال أحمد : ثنا عفان ، ثنا حماد ، ثنا ثابت ، عن أنس ، أنّ رجلا سأل النبي ﷺ ، فأعطاه غَنَماً بين جبلين ، فأتى قومه فقال : يا قوم أسلموا ، فإن محمداً يُعطي عطاء ما يخاف الفاقة ، فإن كان الرجل ليجيء إلى رسول الله ﷺ ما يريد إلا الدُّنيا ، فما يُمسي حتى يكون دِينُهُ أحَبّ إليه وأعزّ عليه من الدنيا وما فيها . ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة به .

وهذا العطاء ليُؤلّف به قلوب ضعيفي القلوب في الإسلام ، ويتألّف آخرين ليدخلوا في الإسلام ، كما فعل يوم حُنين حين قسم تلك الأموال الجزيلة من الإبل والشاء والذهب والفضة في المؤلّفة ، ومع هذا لم يعط الأنصار وجمهور المهاجرين شيئاً ، بل أنفق فيمن كان يحبّ أن

يتألفه على الإسلام ، وترك أولئك لما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير ، وقال مسلياً لمن سأل عن وجه الحكمة في هذه القسمة ، لمن عتب من جماعة الأنصار : أما ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير ، وتذهبون برسول الله تحوزونه إلى رحالكم ؟ قالوا : رضينا يا رسول الله .
وهكذا أعطى عمه العباس بعد ما أسلم ، حين جاءه ذلك المال من البحرين ، فوضع بين يديه في المسجد ، وجاء العباس فقال : يا رسول الله ، أعطني فقد فاديت نفسي يوم بدر وفاديت عقيلا ، فقال : خذ ، فنزع ثوبه عنه وجعل يضع فيه من ذلك المال ، ثم قام ليقلّه فلم يقدر ، فقال لرسول الله : ارفعه عليّ ، قال : لا أفعل ، فقال : مُرْ بعضهم ليرفعه عليّ ، فقال : لا ، فوضع منه شيئاً ، ثم عاد فلم يقدر ، فسأله أن يرفعه أو أن يأمر بعضهم برفعه ، فلم يفعل ، فوضع منه ، ثم احتمل الباقي ، وخرج به من المسجد ، ورسول الله ﷺ يتبعه بصره عجباً من حرصه .

قلت : وقد كان العباس ـ رضي الله عنه ـ رجلا شديداً طويلا نبيلا ، فأقل ما احتمل شيء يقارب أربعين ألفاً ، والله أعلم .

وقد ذكره البخاري في صحيحه في مواضع معلقا بصيغة الجزم ، وهذا يورد في مناقب العباس لقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)[1] . وقد تقدم عن أنس بن مالك خادمه عليه السلام أنه قال : كان رسول الله ﷺ أجودَ الناس ، وأشجعَ الناس..الحديث .
وكيف لا يكون كذلك وهو رسول الله ﷺ المجبولُ على أكمل الصفات ، الواثقُ بما في يَدَي الله عز وجل ، الذي أنزل الله عليه في محكم كتابه العزيز : (وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَللهِ مِيرَاثُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ)[2] الآية ، وقال تعالى : (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)[3] . وهو عليه الصلاة والسلام القائل لمؤذنه بلال ، وهو الصادق المصدوق في الوعد والمقال : « أنفق بلال وَلا تخش منْ ذِي العَرْشِ إقلالاً » . وهو القائل عليه السلام : « ما مِنْ يوم تُصْبِح العباد فيه إلا وَمَلَكان يَقول أحدهما : اللهُمَّ أعطِ مُنْفِقاً خَلَفاً ، ويقول الآخر : اللهُمَّ أعطِ مُمْسكاً تَلَفاً » . وفي الحديث الآخر أنه قال لعائشة : « لا تُوعي[4] فيُوعي الله عليكِ ، ولا تُوكي[5] فيوكي الله عليكِ » . وفي الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال : « يقول الله تعالى : ابن آدم أنفِق أُنفِق عَلَيك » فكيف لا يكون أكرم الناس وأشجع الناس ،

---

(١) الآية ٧٠ من سورة الأنفال . (٢) من الآية : ١٠ من سورة الحديد .
(٣) من الآية : ٣٩ من سورة سبأ . (٤) لا تحفظي وتجمعي .
(٥) أي : لا تمسكي وتبخلي ، والوكاء : رباط القربة وغيرها .

وهو المتوكل الذى لا أعظم منه فى توكله ، الواثق برزق الله ونصره ، المستعين بربه فى جميع أمره ؟ ثم قد كان قبل بعثته وبعدها وقبل هجرته ـ ملجأ الفقراء ، والأرامل ، والأيتام ، والضعفاء ، والمساكين ، كما قال عمه أبو طالب فيما قدمناه من القصيدة المشهورة :

وما ترك قوم لا أبالَكَ سيداً　يحُوط الذِّمار[1] غيرذِربٍ موكَّل
وأبيض يُسْتَسْقى الغمامُ بوجهه　ثِمالُ[2] اليتامى عِصْمَةٌ للأرامِل
يَلوذ بهِ الهلاّكُ مِنْ آلِ هاشم　فَهُمْ عندهُ فى نِعْمَةٍ وَفَوَاضل

ومن تواضعه : ما روى الإمام أحمد من حديث حماد بن سلمة ، عن ثابت ، زاد النسائى ـ وحُميد ، عن أنس ـ أنَّ رجلا قال لرسول الله ﷺ : يا سيدنا وابن سيدنا ، فقال رسول الله ﷺ : « يا أيها الناس ، قولوا بقولكُمْ ولا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشيطانِ ، أنا محمد ابن عبد الله ورسوله ، والله ما أحب أنْ ترفعونى فوقَ ما رَفَعنى الله » . وفى صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تُطْرُونى كما أطرَت النصارى عيسى بن مَرْيم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى ، عن شعبة ، حدثنى الحَكَمَ ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، قال : قلت لعائشة : ما كان رسول الله ﷺ يصنع فى أهله ؟ قالت : كان فى مِهنَة[3] أهله ، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة . وحدثنا وكيع ، ومحمد بن جعفر ، قالا : حدثنا شعبة ، عن الحَكَمَ ، عن إبراهيم ، عن الأسود قال : قلت لعائشة : ما كان النبى ﷺ يصنع إذا دخل بيته ؟ قالت : كان يكون فى مِهْنة أهله ، فإذا حضرت الصلاة خرج فصلى . ورواه البخارى ، عن آدم ، عن شعبة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبدة ، ثنا هشام بن عروة ، عن رجل قال : سُئِلت عائشة : ما كان رسول الله ﷺ يَصْنع فى بيته ؟ قالت : كان يُرَقِّعُ الثوب وَيَخْصِفُ[4] النَّعل ونحو هذا ، وهذا منقطع من هذا الوجه . وقد قال عبد الرزاق : أنا معمر ، عن الزهرى ، عن عروة ، وهشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : سأل رجل عائشة : هل كان رسول الله ﷺ يَعْمَلُ فى بيته ؟ قالت : نعم ، كان يَخْصِفُ نَعْله ، وَيَخيط ثوبه ، كما يَعْمَل أحدكم فى بيته . رواه البيهقى فاتصل الإسناد .

---

(١) الذمار : ما يلزم حفظه وحمايته . والذرب ـ بالكسر ـ السليط اللسان .
(٢) الثمال : الغياث الذى يقوم بأمر قومه .
(٣) المهنة ـ بالكسر والفتح والتحريك ـ الحذق بالخدمة والعمل .
(٤) أى : يخرزها ويخيطها . والخصيف : النعل المخصوفة .

وقال البيهقى : أنا أبو الحسين بن بشران ، أنا أبو جعفر محمد بن عمرو بن البحترى — إملاء — حدثنا محمد بن إسماعيل السلمى ، حدثنا ابن صالح ، حدثنى معاويه بن صالح عن يحيى بن سعيد عن عمرة قالت: قلت لعائشة : ما كان يعمل رسول الله ﷺ في بيته ؟ قالت : كان رسول الله ﷺ بشراً من البَشر ، يُفلّى ثوبه ويَحلب شاته ، ويخدُم نفسه . ورواه الترمذى فى الشمائل عن محمد بن إسماعيل عن عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن يحيى بن سعيد عن عمرة قالت : قيل لعائشة: ما كان يعمل رسول الله ﷺ فى بيته؟ الحديث . وروى ابن عساكر من طريق أبى أسامة عن حارثة بن محمد الأنصارى عن عمرة قالت : قلت لعائشة : كيف كان رسول الله ﷺ فى أهله ؟ قالت : كان ألين الناس ، وأكرَم الناس ، وكان ضَحّاكا بساما .

وقال أبو داود الطيالسى : ثنا شعبة ، حدثنى مسلم أبو عبد الله الأعور ، سمع أنسا يقول : كان رسول الله ﷺ يُكثر الذِّكر ويُقل اللغو ، ويركب الحمار ، ويلبس الصوف ، ويُجيب دعوة المملوك ، ولقد رأيته يوم خَيبر على حمار ، خِطامه من ليف . وفى الترمذى وابن ماجة من حديث مسلم بن كيسان الملائى عن أنس بعض ذلك . وقال البيهقى : أنا أبو عبد الله الحافظ — إملاء — ثنا أبو بكر محمد بن جعفر الآدمى القارى ببغداد ، ثنا عبد الله بن أحمد بن إبراهيم الدورقى ، ثنا أحمد بن نصر بن مالك الخزاعى ، ثنا على بن الحسين ابن واقد عن أبيه قال : سمعت يحيى بن عقيل يقول : سمعت عبد الله بن أبى أوفى يقول : كان رسول الله ﷺ يكثر الذكر ، ويقل اللغو ويُطيل الصلاة ، ويقصر الخطبة ، ولا يستنكف أن يمشى مع العبد ، ولا مع الأرملة ، حتى يفرغ لهم من حاجاتهم . ورواه النسائى عن محمد بن عبد العزيز عن أبى زرعة عن الفضل بن موسى عن الحسين بن واقد عن يحيى بن عقيل الخزاعى البصرى عن ابن أبى أوفى بنحوه . وقال البيهقى : أنا أبو عبد الله الحافظ ، ثنا أبو بكر إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الفقيه بالرى ، ثنا أبو بكر محمد بن الفرَج الأزرق ، ثنا هاشم بن القاسم ، ثنا شيبان أبو معاوية عن أشعث ابن أبى الشعثاء عن أبى بردة عن أبى موسى قال : كان رسول الله ﷺ يركب الحمار ، ويلبس الصوف ، ويعتقل الشاة ، ويأتى مُرَاعاة الضيف[1] ، وهذا غريب من هذا الوجه ، ولم يخرجوه وإسناده جيد .

[وروى] محمد بن سعد ؛ عن إسماعيل بن أبى فُديك عن موسى بن يعقوب الربعى عن سهل مولى عتيبة ، أنه كان نصرانيا من أهل مَريس ، وأنه كان فى حِجر عمه ، وأنه قال : قرأت

---

(١) كذا بالأصل راعيته لاحظته وراعيت الأمر: نظرت إلام يصير ، فلعل المراد : أنه كان يلاحظون يقومون على خدمة الضيف .

يوماً فى مصحف[1] لعمّى فإذا فيه ورقة بغير الخط ، وإذا فيها نعت محمد ﷺ : لا قصير ولا طويل، أبيض ذو ضفيرتين ، بين كتفيه خاتم ، يكثر الاحتباء ، ولا يقبل الصدقة ، ويركب الحمار والبعير ، ويحتلب الشاة ، ويلبس قميصا مرقوعا ، ومن فعل ذلك فقد برئ من الكبر ، وهو من ذرية إسماعيل ـ اسمه أحمد . قال : فلما جاء عمّى ورآنى قد قرأتها ضربنى وقال : مالك وفتح هذه ؟ فقلت : إن فيها نعت أحمد ، فقال : إنه لم يأت بعد . وقال الإمام أحمد : ثنا إسماعيل ، ثنا أيوب ، عن عمرو عن سعيد عن أنس قال : ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ ، وذكر الحديث . ورواه مسلم عن زهير بن حرب عن إسماعيل بن علية به .

وقال الترمذى فى الشمائل : ثنا محمود بن غيلان ، ثنا أبو داود ، عن شعبة عن الأشعث ابن سليم ، قال : سمعت عمتى تحدث عن عمها قال : بينا أنا أمشى بالمدينة إذا إنسان خلفى يقول : ارفع إزارك فإنه أتقى وأبقى ، فنظرت فإذا هو رسول الله ، فقلت : يا رسول إنما هى بُرْدة مَلحاء[2] ، قال : أمالك فىّ أسوة ؟ فإذا إزاره إلى نصف ساقيه ثم قال : ثنا سويد بن نصر ، ثنا عبد الله بن المبارك ، عن موسى بن عبيدة عن إياس بن سلمة عن أبيه قال : كان عثمان بن عفان متزراً إلى أنصاف ساقيه ، قال : هكذا كانت أزرة[3] صاحبى ﷺ . وقال أيضاً : ثنا يوسف ابن عيسى ، ثنا وكيع ، ثنا الربيع بن صبيح ، ثنا يزيد بن أبان ، عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ يكثر القناع ، كأن ثوبه ثوب زيات ، وهذا فيه غرابة ونكارة ، والله أعلم . وروى البخارى عن على بن الجعد عن شعبة عن يسار أبى الحكم عن ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ مرّ على صبيان يلعبون فسلّم عليهم ورواه مسلم من وجه آخر عن شعبة .

ذكر مزاحه عليه السلام

وقال ابن لهيعة : حدثنى عمارة بن غزية عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ من أفكه الناس مع صبى . وقد تقدم حديثه فى ملاعبته أخاه أبا عمير ، وقوله : أبا عُمير ما فعل النُّغَير ، يذكره بموت نُغَر كان يلعب به ليمازحه بذلك كما جرت به عادة الناس من المداعبة مع الأطفال الصغار . وقال الإمام أحمد : ثنا خلف بن الوليد ، ثنا خالد بن عبدالله ، عن حميد الطويل ، عن أنس بن مالك أن رجلا أتى النبى ﷺ فاستحمله ، فقال رسول الله ﷺ : إنا حاملوك على ولد ناقة فقال : يا رسول الله ما أصنع بولد ناقة ؟ فقال رسول الله ﷺ : وهل

---

(١) لعله يريد بالمصحف : الكتاب الذى يضم صحفا ؛ فإن المصحف : من أصحف بالضم : أى جعلت فيه الصحف ، ويؤيد هذا أن عمه قال له : إنه لم يأت بعد . وفى نسخة : « فى مصرف » وليس بشىء

(٢) أى : فيها خطوط سود وبيض (٣) الأزرة هيئة الائتزار .

تلد الإبل إلا النوق ؟ رواه أبو داود عن وهب بن بقية ، والترمذى عن قتيبة ـ كلاهما عن خالد ابن عبد الله الواسطى الطحان به ، وقال الترمذى صحيح غريب . وقال أبو داود فى هـذا الباب : ثنا يحيى بن معين ، ثنا حجاج بن محمد ، ثنا يونس بن أبى إسحاق عن أبى إسحاق عن العيزار بن حريث ، عن النعمان بن بشير قال : استأذن أبو بكر على النبى ﷺ فسمع صوت عائشة عاليا على رسول الله ، فلما دخل تناولها ليَلْطِمَها وقال : ألا أراك ترفعين صوتك على رسول الله ! ، فجعل النبى ﷺ يحجزه وخرج أبو بكر مُغْضَبا ، فقال رسول الله حين خرج أبو بكر : كيف رأيتنى أنقذتك من الرجل ؟ فمكث أبو بكر أياما ، ثم استأذن على رسول الله فوجدهما قد اصطلحا ، فقال لهما : أدخلانى فى سِلْمكما كما أدخلتمانى فى حَربكما ، فقال رسول الله ﷺ : قد فعلنا قد فعلنا .

وقال أبو داود : ثنا مؤمل بن الفضل ، ثنا الوليد بن مسلم ، عن عبد الله بن العلاء عن بشر ابن عبيد الله عن أبى إدريس الخولانى ، عن عوف بن مالك الأشجعى قال : أتيت رسول الله فى غزوة تبوك وهو فى قُبة من أدَم[1] فسلمت فرد وقال : ادخل ، فقلت : أكلّى يا رسول الله ، فقال : كلّك ، فدخلت . وحدثنا صفوان بن صالح ، ثنا الوليد ابن عثمان بن أبى العاملة إنما قال أدخل كلى من صِغَر القُبة . ثم قال أبو داود : ثنا إبراهيم بن مهدى ، ثنا شريك عن عاصم عن أنس قال : قال لى رسول الله ﷺ يا ذا الأذنين ، قلت : ومن هذا القبيل ما رواه الإمام أحمد : ثنا عبد الرزاق ، ثنا معمر عن ثابت عن أنس ، أنّ رجلا من أهل البادية كان اسمه زاهراً ، وكان يهدى النبى ﷺ الهـدية من البادية ، فيجهزه النبى ﷺ إذا أراد أن يخرج ، فقال رسول الله : إن زاهراً باديتنا ونحن حاضروه ، وكان رسول الله ﷺ يُحبه ، وكان رجلا دميما ، فأتاه رسول الله ﷺ وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه ولا يُبصره الرجل ، فقال : أرسلنى ، من هذا ؟ فالتفت فعرف النبى ﷺ فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصَدْر النبى ﷺ حين عرفه ، وجعل رسول الله ﷺ يقول : مَن يشترى العبد ؟ فقال : يا رسول الله إذنْ والله تجدنى كاسداً ، فقال رسول الله ﷺ : لكن عند الله لست بكاسد ـ أو قال : لكن عند الله أنت غالٍ . وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات على شرط الصحيحين ، ولم يروه إلا الترمذى فى الشمائل عن إسحق بن منصور عن عبد الرزاق . ورواه ابن حبان فى صحيحه عنه .

ومن هذا القبيل ما رواه البخارى من صحيحه ، أن رجلا كان يقال له عبد الله ـ ويلقب حمارا ـ وكان يضحك النبى ﷺ وكان يؤتى به فى الشراب ، فجىء به يوما فقال : لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله » . ومن هذا

(١) أى : من جلد ، قال فى القاموس : والأديم الجلد ، أو أحمره ، أو مدبوغه ، والجمع آدمه ، وأدم : اسم للجمع .

ما قال الإمام أحمد : ثنا حجاج ، حدثنى شعبة عن ثابت البنانى عن أنس بن مالك أن النبى ﷺ كان فى مسير وكان حادٍ يَحْدُو بنسائه أو سائق ، قال : فكان نساؤه يتقدمن بين يديه ، فقال : يا أنجشة وَيْحك ، أرْفُق بالقوارير . وهذا الحديث فى الصحيحين عن أنس ، قال : كان للنبى ﷺ حادٍ يحدو بنسائه يقال له : أَنْجَشَة ، لحدا فأعنقت[1] الإبل ، فقال رسول الله ﷺ : وَيْحك يا أنجشة ، ارفُق بالقوارير . ومعنى القوارير : النساء ، وهى كلمة دُعابة[2] ، صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين .

ومن مكارم أخلاقه ودعابته وحسن خُلقه : استماعه عليه السلام حديث أم زرع من عائشة بطوله ، ووقع فى بعض الروايات ، أنه عليه السلام هو الذى قصَّه على عائشة . ومن هذا ما رواه الإمام أحمد : ثنا أبو النضر ، ثنا أبو عقيل - يعنى عبد الله بن عقيل الثقفى - به ، حدثنا مجالد بن سعيد ، عن عامر ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : حدث رسولُ الله ﷺ نساءه ذات ليلة حديثًا ، فقالت امرأة منهن : يا رسول الله ، كان الحديث حديث خُرَافة ، فقال رسول الله ﷺ : « أتدرين ما خُرَافة ؟ إنَّ خرافة كان رجلا من عذرة أسرته الجن فى الجاهلية ، فمكث فيهم دهراً طويلا ، ثم ردوه إلى الإنس ، فكان يحدث الناس بما رأى فيهم من الأعاجيب ، فقال الناس : حديث خُرَافة » . وقد رواه الترمذى فى الشمائل عن الحسن بن الصَّباح البزار ، عن أبى النضر هاشم بن القاسم به . قلت : وهو من غرائب الأحاديث ، وفيه نكارة ، ومجالد بن سعيد يتكلمون فيه ، فالله أعلم .

وقال الترمذى فى [باب خراج النبى] ﷺ من كتابه الشمائل : ثنا عبد بن حميد ، ثنا مصعب بن المقدام ، ثنا المبارك بن فضالة ، عن الحسن ، قال : أتت عجوز النبى ﷺ فقالت : يا رسول الله ، ادع لى أن يُدْخلنى الله الجنة ، قال : يا أمّ فلان ، إن الجنة لا يدخلها عجوز ، فولّت العجوز تبكى ، فقال : أخبروها أنها لا تدخلها وهى عجوز ، فإن الله تعالى يقول : « إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً »[3] . وهذا مرسل من هذا الوجه . وقال الترمذى : ثنا عباس بن محمد الدورى ، ثنا على بن الحسن بن شقيق ، ثنا عبد الله بن المبارك ، عن أسامة بن زيد ، عن سعيد المقبرى ، عن أبى هريرة قال : قالوا : يا رسول الله ، إنك تداعبنا ، قال : إنى لا أقول إلا حقا . تداعبنا : يعنى تمازحنا ، وهكذا رواه الترمذى فى جامعه فى [باب البر] بهذا الإسناد ، ثم قال : وهذا حديث مرسل حسن .

---

(١) أى : أسرعت فى السير عند سماع الحداء . والعنق : نوع من السير السريع للابل .
(٢) الدعابة : المزاح ، والداعبة الممازحة . (٣) الآيتان ٣٥ - ٣٦ من سورة الواقعة .

باب زهده عليه السلام ، وإعراضه عن هذه الدار

وإقباله ، واجتهاده ، وعمله لدار القرار

قال الله تعالى : « وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى »(١) ، وقال تعالى : « وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً »(٢) ، وقال تعالى : « فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ »(٣) ، وقال : « وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ * لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ »(٤) ، والآيات في هذا كثيرة . وأما الأحاديث ، فقال يعقوب بن سفيان : حدثني أبو العباس ـ حيوة ابن شريح ، أنا بقية ، عن الزبيدي ، عن الزهري ، عن محمد بن عبد الله بن عباس ، قال : كان ابن عباس يحدث أن الله أرسل إلى نبيه ملكاً من الملائكة معه جبريل ، فقال الملك لرسوله : « إنّ الله يخيرك بين أن تكون عبداً نبيًّا وبين أن تكون ملكاً نبيًّا » فالتفت رسول الله ﷺ إلى جبريل كالمستشير له ، فأشار جبريل إلى رسول الله ﷺ : أن تواضع ، فقال رسول الله ﷺ : « بل أكونُ عبداً نبيًّا » قال : فما أكل بعد تلك الكلمة طعاماً متكئاً حتى لقي الله عزّ وجل . وهكذا رواه البخاري في التاريخ عن حيوة بن شريح ، وأخرجه النسائي ، عن عمرو بن عثمان ـ كلاهما عن بقية بن الوليد به ، وأصل هذا الحديث في الصحيح بنحو من هذا اللفظ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن فضيل ، عن عمارة ، عن أبي زرعة ـ ولا أعلمه إلا عن أبي هريرة ـ قال : جلس جبريل إلى رسول الله ﷺ ، فنظر إلى السماء ، فإذا ملك ينزل ، فقال جبريل : إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خُلق قبل الساعة ، فلما نزل قال : يا محمد ، أرسلني إليك ربك ، أفملكا نبيًّا يجعلك ، أو عبداً رسولا ؟ هكذا وجدته بالنسخة التي عندي بالمسند مقتصراً ، وهو من إفراده من هذا الوجه . وثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس ، عن عمر بن الخطاب في حديث إيلاء رسول الله ﷺ من أزواجه أن لا يدخُلَ عليهن شهراً ،

---

(١) الآية ١٣١ من سورة طه (٢) الآية ٢٨ من سورة الكهف .
(٣) الآيتان ٢٩ و ٣٠ من سورة النجم . (٤) الآيتان ٨٧ و ٨٨ من سورة الحجر .

واعتزَل عنهنّ في عِلية[1]، فلما دخل عليه عمر في تلك العِلّية ، فإذا ليس فيها سوى صُبرة[2] من قرظ ، وأهبة[3] معلقة ، وصُبرة من شعير ، وإذا هو مضطجع على رمال حصير قد أثر في جنبه ، فهَمَلت عينا عمر ، فقال : مالك ، فقلت : يا رسول الله ، أنت صفوةُ الله من خلقه ، وكسرى وقيصَر فيما هما فيه ، فجلس مُحمرًا وجهه فقال : أوفي شك أنت يا ابن الخطاب ؟ ثم قال : أولئك قوم عُجِّلت لهم طيباتُهم في حياتهم الدنيا . وفي رواية لمسلم : أما ترْضَى أن تكون لهُم الدنيا ولنا الآخرة ؟ فقلت : بلى يا رسول الله ، قال : فاحمد الله عز وجل . ثم لما انقضى الشهر أمرهُ الله عز وجل أن يُخيِّر أزواجه ، وأنزل عليه قوله : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ ، فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا »[4] . وقد ذكرنا هذا مبسوطًا في كتابنا التفسير ، وأنه بدأ بعائشة ، فقال لها : إني ذاكر لكِ أمرًا فلاَ عليكِ أن لا تَعْجَلي حتى تستأمرى أبويكِ ، وتلاَ عليها هذه الآية ، قالت : فقلت : أفي هذا أستأمِرُ أبويّ ؟ فإني أختار الله ورسوله والدار الآخرة ، وكذلك قال سائر أزواجه عليه السلام ورَضِيَ عنهنّ .

وقال مبارك بن فضالة عن الحسن عن أنس ، قال : دخلت على رسول الله وهو على سرير مَرمول[5] بالشَّريط ، وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف ، ودخل عليه عمر وناس من الصحابة فانحرَف رسول الله انحرافة ، فرأى عمر أثر الشريط في جنبه فبكى ، فقال له : ما يبكيك ياعمر ؟ قال : ومالي لا أبكي ، وكسرى ، وقيصر يعيشان فيما يعيشان فيه من الدنيا ، وأنت على الحال الذي أرى ، فقال : ياعمر ، أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟ قال : بلى ، قال : هو كذلك ، هكذا رواه البيهقي . وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ثنا مبارك عن الحسن عن أنس بن مالك ، قال : دخلت على رسول الله وهو على سرير مضطجع مزَمَّل بشريط وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف ، فدخل عليه نفر من أصحابه ، ودخل عمر فانحرَف رسول الله انحرافة ، فلم ير عمرُ بين جنبه وبين الشريط ثوبًا وقد أثر الشريط بجنب رسول الله ، فبكى عمر ، فقال له رسول الله ﷺ : ما يبكيك يا عمر ؟ قال : والله ما أبكي ألاَّ أكونَ أعلم أنك أكرم

---

(١) العلية ، بكسر العين وضمها : الغرفة .
(٢) أي كومة ، والصبرة : ما جمع من الطعام بلا كيل ولا وزن بعضه فوق بعض .
(٣) الأهبة : العدة ، وتأهب : استعد . (٤) الآيتان ٢٨ - ٢٩ من سورة الأحزاب .
(٥) أي ملفوف ومربوط . والشريط : خوص مفتول يربط به السرير ونحوه .

على الله مِن كسرى وقيصر ، وهما يعيشان فى الدنيا فيما يعيشان فيه ، وأنت يارسول الله فى المكان الذى أرى ، فقال رسول الله : أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟ قال : بلى ، قال فإنه كذلك .

وقال أبو داود الطيالسى ؛ ثنا المسعودى عن عمرو بن مرة عن إبراهيم عن علقمه بن مسعود قال : اضطجع رسول الله على حصير فأثر الحصير بجلده ، فجعلت أمسحه وأقول : بأبى أنت وأمى ، ألا آذنتنا فنبسط لك شيئاً يقيك منه تنام عليه ؟ فقال : مالى وللدنيا ، ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها . ورواه ابن ماجة ، عن يحيى بن حكيم عن أبى داود الطيالسى به . وأخرجه الترمذى عن موسى بن عبد الرحمن الكندى عن زيد بن الحباب ـ كلاهما عن المسعودى به ، وقال الترمذى : حسن صحيح . وقد رواه الإمام أحمد من حديث ابن عباس ، فقال : حدثنا عبد الصمد وأبو سعيد وعفان قالوا : ثنا ثابت ، ثنا هلال عن عكرمة عن ابن عباس ، أن رسول الله دخل عليه عمر وهو على حصير قد أثرّ فى جنبه ، فقال : يا رسول الله لو اتخذت فراشا أوثر من هذا ! فقال : مالى وللدنيا ، ما مثلى ومثل الدنيا إلا كراكب سارَ فى يوم صائفٍ . فاستظلّ تحت شجرة ساعةً من نهار ثم راح وتركها . تفرد به أحمد .

وفى صحيح البخارى ، من حديث الزهرى عن عبد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبى هريرة ، أن رسول الله قال : لو أنّ لى مثلَ أحُد ذهبا ما سرنى أن تأتى على ثلاث ليال وعندى منه شىء إلا شىء أرصدُه لدين . وفى الصحيحين من حديث عمارة بن القعقاع عن أبى زرعة عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا[1] . فأما الحديث الذى رواه ابن ماجة من حديث يزيد بن سنان عن المبارك عن عطاء ، عن أبى سعيد ، أن رسول الله ﷺ قال : اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين ـ فإنه حديث ضعيف لا يثبت من جهة إسناده ، لأن فيه يزيد بن سنان ـ أبا فروة الرهاوى ، وهو ضعيف جداً ، والله أعلم . وقد رواه الترمذى من وجه آخر فقال : حدثنا عبد الأعلى بن واصل الكوفى ، ثنا ثابت بن محمد العابد الكوفى ، حدثنا الحارث بن النعمان الليثى عن أنس ، أن رسول الله ﷺ قال : اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين يوم القيامة ، فقالت عائشة : لم يا رسول الله ؟ قال : إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا[2] ، يا عائشة لا تردّى

(١) القوت : ما يقوم به البدن من الطعام .

(٢) الخريف : السنة والعام .

المسكين ولو بشق تمرة ، يا عائشة حبي المساكين وقربيهم فإن الله يُقرّبك يوم القيامة . ثم قال : هذا حديث غريب . قلت : وفي إسناده ضعف ، وفي متنه نكارة ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، قال : حدثنا أبو عبد الرحمن - يعني - عبد الله ابن دينار ، عن أبي حازم عن سعيد بن سعد ، أنه قيل له : هل رأى النقيّ بعينه ؟ - يعني الحُوّارَى[1] - فقال له : ما رأى رسول الله النّقيّ بعينه حتى لقي الله عز وجل ، فقيل له : هل كانت لكم مناخل على عهد رسول الله ؟ فقال : ما كانت لنا مناخل ، فقيل له : فكيف كنتم تصنعون بالشعير ؟ قال : ننفخه فيطير منه ما طار . وهكذا رواه الترمذي من حديث عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار به ، وزاد ثم نذريه ونعجنه ، ثم قال : حسن صحيح . وقد رواه مالك عن أبي حازم .

قلت :وقد رواه البخاري عن سعيد بن أبي مريم عن محمد بن مُطرّف بن غسان المدني عن أبي حازم عن سهل بن سعد به ورواه البخاري أيضاً والنسائي عن شيبة عن يعقوب بن عبد الرحمن القاري عن أبي حازم عن سهل به . وقال الترمذي : حدثنا عباس بن محمد الدوري ، ثنا يحيى بن أبي بكير ، ثنا جرير بن عثمان عن سليم بن عامر ، سمعت أبا أمامة يقول : ما كان يفضل عن أهل بيت رسول الله ﷺ خبز الشعير ، ثم قال : حسن صحيح غريب .

وقال الإمام أحمد : ثنا يحيى بن سعيد عن يزيد بن كيسان ، حدثني أبو حازم قال : رأيت أبا هريرة يشير بأصبعه مراراً . والذي نفسُ أبي هريرة بيده ما شبع نبي الله وأهله ثلاثة أيام تباعاً من خُبز حنطة حتى فارق الدنيا . ورواه مسلم والترمذي وابن ماجة من حديث يزيد ابن كيسان . وفي الصحيحين من حديث جرير بن عبد الحميد ، عن منصور ، عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت : ما شبع آل محمد ﷺ منذ قَدِموا المدينة ثلاثةَ أيام تباعاً من خُبز بُر حتى مضى لسبيله . وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم ، ثنا محمد بن طلحة عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت : ما شبع آل محمد ثلاثاً من خبز بُرٍّ حتى قُبض ، وما رُفع من مائدته كسرة قط حتى قُبض وقال أحمد : ثنا محمد بن عبيد ، ثنا مطيع الغزال عن كردوس عن عائشة قالت : قد مضى رسول الله لسبيله وما شبع أهله ثلاثة أيام من طعام برّ ، وقال الإمام أحمد : ثنا حسن ، ثنا زويد عن أبي سهل عن سليمان بن رزمان - مولى عروة - عن عروة عن عائشة أنها قالت : والذي بعث محمداً بالحق ما رأى مُنخلاً ولا أكل خبزاً مَنخولاً منذ بعثه الله عز وجل إلى أن قُبض . قلت : كيف كنتم تأكلون الشعير ؟ قالت : كنا نقول أف ، تفرد به أحمد من هذا الوجه

---

(١) هو اللباب الدقيق الأبيض .

وروى البخارى عن محمد بن كثير عن الثورى ، عن عبد الرحمن بن عابس بن ربيعه ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : إن كنا لنُخْرج الكُرَاع[1] بعد خمسة عشر يوما فنأكله ، قلت : ولم تفعلون ذلك ؟ فضحكت وقالت : ما شبع آل محمد ﷺ من خبز مأدُوم حتى لحق بالله عز وجل ، وقال أحمد : ثنا يحيى ، ثنا هشام ، أخبرنى أبى عن عائشة قالت : كان يأتى على آل محمد الشهر ما يوقدون فيه ناراً ، ليس إلا التمر والماء ـ إلا أن يؤتى باللحم

وفى الصحيحين من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت : إن كنا آل محمد ليمرُّ بنا الهلال ما نوقد ناراً ، إنما هو الأسودان : التمر والماء ، إلا أنه كان حولنا أهل دُور من الأنصار يبعثون إلى رسول الله بلبن مَنائحهم[2] فيشرب ويسقينا من ذلك اللبن . ورواه أحمد عن بريدة عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عنها بنحوه . وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله ، حدثنى أبى ، ثنا حسين ثنا محمد بن مطرف . عن أبى حازم عن عروة بن الزبير ، أنه سمع عائشة تقول : كان يمر بنا هلالٌ وهلالٌ ما يُوقد فى بيت من بيوت رسول الله ﷺ نار ، قال : قلت : يا خالة ، على أى شىء كنتم تعيشون ؟ قالت : على الأسودين : التمر والماء ، تفرد به أحمد . وقال أبو داود الطيالسى ، عن شعبة عن أبى إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد عن الأسود عن عائشة قالت : ما شبع رسول الله ﷺ من خُبز شعير يومين متتابعين حتى قبض ، وقد رواه مسلم من حديث شعبة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله ، حدثنى أبى ، ثنا بهز ، ثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال : قالت عائشة : أرسل إلينا آل أبى بكر بقائمة شاة ليلاً فأمسكت وقطع رسول الله ﷺ أو قالت : أمسك رسول الله ﷺ وقطعتُ قالت ـ تقول للذى تحدثه ـ هذا على غير مصباح ، وفى رواية لو كان عندنا مصباح لائتدمنا به ، قال : قالت عائشة : إنه ليأتى على آل محمد الشهر ما يختبزون خبزاً ، ولا يطبخون قدرا ، وقد رواه أيضا عن بهز بن أسد عن سليمان بن المغيرة ، وفى رواية: شهرين. تفرد به أحمد .

وقال الإمام أحمد : ثنا خلف ، ثنا أبو معشر عن سعيد ـ هو ابن أبى سعيد ـ عن أبى هريرة قال : كان يمر بآل رسول الله هلال ثم هلال ، لا يوقدون فى بيوتهم النار لا يخبز ولا يطبخ ، قالوا : بأى شىء كانوا يعيشون يا أبا هريرة ؟ قال : الأسودان التمر والماء ، وكان لهم جيران من الأنصار ـ جزاهم الله خيرا ـ لهم منائح يرسلون إليهم شيئاً من لبن ، تفرد به أحمد . وفى صحيح

---

(١) الكراع من البقر والغنم : مستدق الساق والجمع : أكرع . وفى المثل : أعطى العبد كراعا فطلب ذراعا ، لأن الذراع أفضل من الكراع .

(٢) جمع منيحة ، وهى الإبل أو الشاء تعار للبن خاصة ثم ترد إلى أصحابها .

مسلم من حديث منصور بن عبد الرحمن الحجبي ، عن أمه عن عائشة قالت : توفي رسول الله وقد شبع الناس من الأسودين : التمر والماء . وقال ابن ماجة : حدثنا سويد بن سعيد ، ثنا علي ابن مسهر عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : أتي رسول الله ﷺ يوما بطعام سخن فأكل فلما فرغ قال : الحمد لله ما دخل بطني طعام سخن منذ كذا وكذا . وقال الإمام أحمد : ثنا عبد الصمد ، ثنا عمار أبو هاشم - صاحب الزعفراني عن أنس بن مالك ، أن فاطمة ناولت رسول الله ﷺ كسرة من خبز الشعير فقال : هذا أول طعام أكله أبوك منذ ثلاثة أيام ، تفرد به أحمد . وروى الإمام أحمد عن عفان والترمذي وابن ماجة - جميعا عن عبد الله بن معاوية - كلاهما عن ثابت بن يزيد عن هلال بن خباب العبدي الكوفي ، عن عكرمة عن ابن عباس ، أن رسول الله ﷺ كان يبيت الليالي المتتابعة طاويا ، وأهله لا يجدون عشاء ، وكان عامة خبزهم خبز الشعير ، وهذا لفظ أحمد .

وقال الترمذي في الشمائل : ثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، ثنا عمر بن حفص بن غياث عن أبيه عن محمد بن أبي يحيى الأسلمي عن يزيد عن أبي أمية الأعور ، عن أبي يوسف بن عبد الله ابن سلام قال : رأيت رسول الله أخذ كسرة من خبز الشعير فوضع عليها تمرة ، وقال : هذه إدام هذه وأكل . وفي الصحيحين من حديث الزهري عن عروة عن عائشة قالت : كان أحب الشراب إلى رسول الله الحلو البارد ، وروى البخاري من حديث قتادة عن أنس قال : ما أعلم رسول الله ﷺ رأى رغيفا مرققا حتى لحق بالله ، ولا شاة سميطا[1] بعينه قط . وفي رواية له عنه أيضا : ما أكل رسول الله ﷺ على خوان ولا في سكرجة[2] ولا خبز له مرقق ، قلت لأنس : فعلام كانوا يأكلون ؟ قال : على هذه السفرة[3] . وله من حديث قتادة أيضا عن أنس أنه مشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبز شعير وإهالة[4] سنخة ، ولقد رهن درعه من يهودي فأخذ لأهله شعيرا ، ولقد سمعته ذات يوم يقول : ما أمسى عند آل محمد صاع تمر ولا صاع حب . وقال الإمام أحمد : ثنا عفان ، ثنا أبان بن يزيد ، ثنا قتادة عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ لم يجتمع له غداء ولا عشاء من خبز ولحم إلا على ضفف[5] . ورواه الترمذي في الشمائل

---

(١) أي : قد نظفت من الشعر الماء الحار لتشوى

(٢) الخوان : ما يوضع عليه الطعام عند الأكل . والسكرجة - بضم السين والكاف والراء المشددة : إناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم ، وهي كلمة فارسية وأكثر ما يوضع فيها الكوامخ ونحوها

(٣) السفرة : قطعة من جلد تبسط ليؤكل عليها - (٤) الإهالة : ما أذيب من الشحم والزيت ومعنى سنخة : متغيرة الرائحة . ويقال : زنخة . (٥) الضفف : التناول مع الناس .

عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى عن عفان ، وهذا الاسناد على شرط الشيخين . وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا شعبة عن سماك بن حرب ، سمعت النعمان بن بشير يقول : سمعت عمر بن الخطاب يخطب ، فذكر ما فتح الله على الناس ، فقال : لقد رأيت رسول الله ﷺ يلتوى من الجوع ما يجدُ من الدَّقل[1] ما يملأُ بطنه ، وأخرجه مسلم من حديث شعبة . وفى الصحيح أن أبا طلحة قال : يا أمّ سليم ، لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ أعرف فيه الجوع ، وسيأتى الحديث فى دلائل النبوة . وفى قصة أبى الهيثم بن التيهان : أن أبا بكر وعمر خرجا من الجوع ، فبينما هما كذلك إذ خرج رسول الله ، فقال : ما أخرجكما ؟ فقالا : الجُوع ، فقال : والذى نفسى بيده لقد أخرجنى الذى أخرجكما ، فذهبوا إلى حديقة الهيثم بن التيهان فأطعمهم رطبا وذبح لهم شاةً فأكلوا وشربوا الماء البارد ، وقال رسول الله ﷺ : هذا من النعيم الذى تُسألون عنه . وقال الترمذى : ثنا عبد الله بن أبى زياد ، ثنا سيار ، ثنا يزيد بن أسلم عن يزيد بن أبى منصور عن أنس عن أبى طلحة قال : شكونا إلى رسول الله ﷺ الجُوع ورفعنا عن بطوننا عن حَجَر حجر ، فرفع رسول الله ﷺ عن بطنه عن حجرَين ، ثم قال: غريب .

وثبت فى الصحيحين من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ، أنها سئلت عن فراش رسول الله ﷺ فقالت : كان من أدم[2] حَشوه ليف . وقال الحسن بن عرفة : ثنا عباد بن عباد المهلبى عن مجالد بن سعيد عن الشعبى عن مسروق عن عائشة قالت : دَخلت علىّ امرأةٌ من الأنصار فرأت فراش رسول الله عَباءة مُثنية ، فانطلقت فبعثت إلىّ بفراش حَشوه الصُّوف ، فدخل علىّ رسول الله فقال : ما هذا ياعائشة ؟ قالت : قلت : يا رسول الله ، فلانة الأنصارية دخلت علىّ فرأت فراشك فذهبت فبعثت إلى بهذا فقال : رُدِّيه ، قالت : فلم أردّه وأعجبنى أن يكون فى بيتى حتى قال ذلك ثلاث مرات ، قالت: فقال : ردّيه ياعائشة فوالله لوشئت لأجرى الله معى جبال الذهب والفضة . وقال الترمذى فى الشمائل : حدثنا أبو الخطاب زياد بن يحيى البَصرى ، ثنا عبد الله بن مهدى ، ثنا جعفر بن محمد عن أبيه قال: سُئلت عائشة ما كان فراشُ رسول الله ﷺ فى بيتك ؟ قالت : من أدَم حشوه ليف ، وسئلت حفصة ما كان فراش رسول الله ﷺ ؟ قالت : مِسْحا[3] نَثنيه ثَنْيتين فينام عليه ، فلما كان ذات ليلة قلت : لو ثَنَيتَه بأربع ثَنيات كان أوطأ له ، فثنيناه له بأربع ثَنيات ، فلما أصبح قال : ما فَرشتمْ لى الليلة ؟ قالت : قلنا هو فراشُك إلا أنا ثنيناه بأربع ثنيات ، قلنا هو أوطأ لك ، قال : رُدّوه لحالته الأولى ؛ فإنه منعتنى وطأته صلاتى الليلة .

---

(١) الدقل : أردأ التمر (٢) أى : جلد

(٣) المسح بوزن الملح : ثوب من الشعر غليظ .

وقال الطبرانى : حدثنا محمد بن أبان الأصبهانى ، حدثنا محمد بن عبادة الواسطى ، حدثنا يعقوب ابن محمد الزهرى ، حدثنا محمد بن إبراهيم ، حدثنا ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة عن حكيم ابن حزام قال : خرجت إلى اليمن فابتعت حلة ذى يَزَن ، فأهديتها إلى النبى ﷺ فردّها ، فبعتها فاشتراها فلبسها ، ثم خرج على أصحابه وهى عليه ، فما رأيت شيئا أحسنَ منه فيها ، فما ملكت نفسى أن قلت :

ما ينظر الحكّامُ بالفضل بعدما — بدا واضحٌ من غرّة وحُجُول
إذا قايسوه الجدَّ أربَى عليهم — بمستفرغ ماء الذِّناب سَجِيل

فسمعها النبى ﷺ فالتفت إلىَّ يتبسم ، ثم دخل فكساها أسامة بن زيد . وقال الإمام أحمد : حدثنى حسين بن على عن زائدة عن عبد الملك بن عمير قال : حدثنى ربعى بن خراش عن أم سلمة قالت : دخل علىَّ رسول الله ﷺ وهو ساهم الوجه ، قالت : فحسبت ذلك من وَجَع ، فقلت : يا رسول الله أراك ساهمَ الوجه ، أفمن وجَع ؟ فقال : « لا ، ولكن الدنانير السبعة التى أتينا بها أمس ، أمسينا ولم ننفقها ، نسيتها فى خُصْم[1] الفراش » . تفرد به أحمد . وقال الإمام أحمد : ثنا أبو سلمة ، قال : أنا بكر بن مُضر ، ثنا موسى بن جبير عن أبى أمامة بن سهل قال : دخلت أنا وعروة بن الزبير يوما على عائشة فقالت : لو رأيتما نبىَّ الله ﷺ ذات يوم فى مَرض مرضه ؟ قالت : وكان له عندى ستة دنانير ، قال موسى : أو سبعة ، قالت : فأمرنى رسول رسول الله ﷺ أن أفرقها ، قالت : فشغلنى وَجَع نبى الله ﷺ حتى عافاه الله عز وجل ، قالت : ثم سألنى عنها فقال : ما فعلت الستة ؟ قال : أو السبعة ، قلت : لا والله لقد شغلنى عنها وجَعُك ، قالت : فدعا بها ثم صَفّها فى كفه ، فقال : ما ظنّ نبى الله لو لقى الله وهذه عنده ؟ تفرد به أحمد .

وقال قتيبة : ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ لا يدخر شيئا لغد . وهذا الحديث فى الصحيحين ، والمراد : أنه كان لا يدخر شيئا لغد مما يُسرع إليه الفساد كالأطعمة ونحوها ؛ لما ثبت فى الصحيحين عن عمر أنه قال : كانت أموالُ بنى النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليها بخيل ولا ركاب ، فكان يعزل نفقة أهله سنة ، ثم يجعل ما بقى فى الكراع والسلاح عُدّة فى سبيل الله عز وجل . ومما يؤيد ما ذكرناه ما رواه الإمام أحمد : حدثنا مروان بن معاوية ، قال : أخبرنى هلال بن سُوَيد أبو معلى قال : سمعت أنس بن مالك وهو يقول : أهديت لرسول الله ﷺ ثلاثة طوائر ، فأطعم خادمه طائراً ،

(١) أى : فى جانبه وطرفه . وخصم كل شىء : طرفه وجانبه .

فلما كان من الغد أتته به ، فقال لها رسول الله ﷺ : ألم أنهك أن ترفعي شيئا لغد ؟ فإن الله عز وجل يأتي برزق كل غد .

حديث بلال في ذلك

قال البيهقي : ثنا أبو الحسين بن بشران ، أنا أبو محمد بن جعفر بن نصير ، ثنا إبراهيم بن عبد الله البصري ، ثنا بكار بن محمد ، أنا عبد الله بن عون عن ابن سيرين عن أبي هريرة ، أن رسول الله دخل على بلال فوجد عنده صُبَرًا[1] من تمر ، فقال : ما هذا يابلال ؟ قال : تمر أدخره ، قال : ويحك يا بلال ! أو ما تخاف أن يكون لك بخار في النار ! أنفق بلالُ ولا تخش من ذي العرش إقلالاً . قال البيهقي بسنده عن أبي داود السجستاني وأبي حاتم الرازي ـ كلاهما عن أبي توبة الربيع بن نافع ، حدثني معاوية بن سلام عن زيد بن سلام ، حدثني عبد الله الهوزني قال : لقيت بلالاً مؤذن رسول الله ﷺ بحلب ، فقلت : يابلال ، حدثني كيف كانت نفقة رسول الله ﷺ ؟ فقال : ما كان له شيء إلا أنا الذي كنت ألي ذلك منه منذ بعثه الله إلى أن توفي ، فكان إذا أتاه الإنسان المسلم فرآه عائلا ، يأمرني فأنطلق فأستقرض فأشتري البردة والشيء فأكسوه وأطعمه ، حتى اعترضني رجل من المشركين فقال : يابلال ، إنّ عندي سعة فلا تستقرض من أحد إلا مني ، ففعلت ، فلما كان ذات يوم توضأت ثم قمت لأؤذن بالصلاة ، فإذا المشرك في عصابة من التجار ، فلما رآني قال : ياحبشي ، قال قلت: يالبيّه ، فتجهمني ، وقال قولا عظيما أو غليظا ، وقال : أتدري كم بينك وبين الشهر ؟ قلت : قريب ، قال : إنما بينك وبينه أربع ليال ، فآخذك بالذي لي عليك ، فإني لم أعطك الذي أعطيتك من كرامتك ولا من كرامة صاحبك ، وإنما أعطيتك لتصيرَ لي عبداً ، فأذرك ترعى في الغنم كما كنت قبل ذلك .

قال : فأخذني في نفسي ما يأخذ في أنفس الناس ، فانطلقت فناديت بالصلاة ، حتى إذا صلّيت العتمة ، ورجع رسول الله ﷺ إلى أهله ، فاستأذنت عليه فأذن لي ، فقلت : يا رسول الله بأبي أنت وأمي إنّ المشرك الذي ذكرت لك أني كنت أتداين منه قد قال كذا وكذا ، وليس عندك ما يقضي عني ، ولا عندي ، وهو فاضحي ، فأذن لي أن آتيَ إلى بعض هؤلاء الأحياء الذين قد أسلموا حتى يرزق الله رسوله ﷺ ما يَقضي عني ، فخرجت حتى أتيت منزلي فجعلت سيفي وجرابي ورمحي وَنعلي عند رأسي ، فاستقبلت بوجهي الأفق ، فكلما نمت انتبهت ، فإذا

(١) صبر : جمع صبرة ، وهي : ما جمع من الطعام بلا كيل ولا وزن .

رأيت تَلَيَّ ليلا نمت حتى انشق عمود الصبح الأول ، فأردت أن أنطلق ، فإذا إنسان يدعو : يا بلال ، أجب رسول الله ﷺ ، فانطلقت حتى أتيته ، فإذا أربع ركائب عليهن أحمالهن ، فأتيت رسول الله ﷺ فاستأذنت ، فقال لي رسول الله ﷺ : أبشر فقد جاءك الله بقضاء دَينك ، فحمدت الله ، وقال : ألم تمرّ على الركائب المُناخات الأربع ؟ قال : قلت : بلى ، قال : فإنّ لك رقابهن وما عليهن — فإذا عليهنّ كسوة وطعام أهداهنّ له عظيم فَدَك — فاقبضهنّ إليك ، ثم اقض دينك . قال : ففعلت فحططت عنهنّ أحمالهنّ ، ثم علّفتهن ، ثم عمدت إلى تأذين صلاة الصبح حتى إذا صلّى رسول الله ﷺ خرجت إلى البقيع ، فجعلت أصبعي في أذني ، فقلت : من كان يطالب من رسول الله ﷺ دَيناً فليحضر ، فما زلت أبيع وأقضي وأعرض حتى لم يبق على رسول الله ﷺ دين في الأرض ، حتى فضل عندي أوقيتان أو أوقية ونصف ، ثم انطلقت إلى المسجد ، وقد ذهب عامة النهار ، فإذا رسول الله ﷺ قاعد في المسجد وحده ، فسلّمت عليه ، فقال لي : ما فعل ما قِبلك ؟ قلت : قد قضى الله كلّ شيء كان على رسول الله ﷺ فلم يبق شيء ، قال : فضلَ شيء ؟ قلت : نعم ، ديناران ، قال : انظر أن تريحني منهما ، فلست بداخل على أحد من أهلي حتى تريحني منهما ، فلم يأتنا أحد ، فبات في المسجد حتى أصبح وظل في المسجد اليوم الثاني ، حتى إذا كان في آخر النهار جاء راكبان ، فانطلقتُ بهما ، فكسوتهما وأطعمتهما ، حتى إذا صلى العَتَمَة دعاني ، فقال : ما فعل الذي قِبلك ؟ قلت : قد أراحك الله منه ، فكبّر وحمد الله شفقا من أن يدركه الموت وعنده ذلك ، ثم اتبعته حتى جاء أزواجه ، فسلّم على امرأة امرأة حتى أتى مبيته ، فهذا الذي سألتني عنه .

وقال الترمذي في الشمائل : حدثنا هارون بن موسى بن أبي علقمة المديني ، حدثني أبي ، عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر بن الخطاب ، أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يُعطيه ، فقال : ما عندي ما أعطيك ، ولكن ابتَع عليّ شيئاً ، فإذا جاءني شيء قضيتُه ، فقال عمر : يا رسول الله ، قد أعطيته ، فما كلّفك الله ما لا تَقدرُ عليه ، فكره النبي ﷺ قولَ عمر ، فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله ، أنفق ولا تخفْ مِنْ ذي العرش إقلالا ، فتبسّم رسول الله ﷺ ، وعُرِف التبسّمُ في وجهه لقول الأنصاري ، وقال : بهذا أُمرت . وفي الحديث : ألا إنّهم ليسألوني وَيأبى الله عليّ البخل . وقال يوم حنين ، حين سألوه قسم الغنائم : والله لو أنّ عندي عددَ هذه العِضاه نعَماً لقسّمتها فيكم ثمّ لا تجدوني بخيلاً ولا جبانا ، ولا كذّاباً ﷺ . وقال الترمذي : ثنا علي بن حُجر ، ثنا شريك ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن الربيع بنت مُعوّذ بن عفراء ، قالت : أتيت رسول الله ﷺ

بقِناع[1] منْ رُطَب ، وأجْرُزٍ[2] عِنب ، فأعطانى ملء كفه حُليًا أو ذهباً .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن مطرف ، عن عطية ، عن أبى سعيد ، عن النبى ﷺ قال : « كيف أنعم وقد التقم صاحبُ القرن القرن ، وحنَى جبهته وأصغى سمعه ينتظر متى يؤمر ، قال المسلمون : يا رسول الله ، فما نقول ؟ قال : قولوا (حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)[3] (عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا)[4] . ورواه الترمذى ، عن ابن أبى عمر ، عن سفيان بن عيينة ، عن مطرف ، ومن حديث خالد بن طهمان ـ كلاهما عن عطية ، وأبى سعيد العوفى الجبلى ، وأبو الحسن الكوفى ، عن أبى سعيد الخدرى ، وقال الترمذى : حسن .

قلت : وقد روى من وجه آخر عنه ، ومن حديث ابن عباس ، كما سيأتى فى موضعه .

ومن تواضعه عليه الصلاة والسلام ، قال أبو عبد الله بن ماجة : حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى ابن سعيد القطان ، ثنا عمرو بن محمد ، ثنا أسباط بن نصر ، عن السدى ، عن أبى سعد الأزدى ـ وكان قارىء الأزد ـ عن أبى الكنود ، عن خباب فى قوله تعالى : (وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) إلى قوله (فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ)[5] قال : جاء الأقرع بن حابس التميمى ، وعيينة بن حصن الفزارى ، فوجدوا رسول الله ﷺ مع صُهَيْب ، وبلال ، وعمّار ، وخبّاب ـ قاعداً فى ناس من الضعفاء من المؤمنين ، فلما رأوهم حول رسول الله ﷺ حقروهم ، فأتوا فخلَوْا به ، فقالوا : نريد أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا به العرب فَضْلنا ؛ فإنّ وفود العرب تأتيك ، فنستحى أن ترانا العرب مع هذه الأعبد ، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنك ، فإذا نحن فرغنا فاقعُد معهم إن شئت ، قال : نعم ، قالوا : فاكتب لنا عليك كتاباً ، قال : فدعا بصحيفة ودعا عليًّا ليكتبَ ونحن قعود فى ناحية ، فنزل جبريل عليه السلام فقال : (وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ) ثم ذكر الأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن ، فقال : (وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلاَءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ)[6] ، ثم قال : (وَإِذَا جَاءَكَ

---

(١) القناع : الطبق من سعف النخل والمقنعة ـ بكسر الميم : ما تقنع به المرأة رأسها ، والقناع : أوسع من المقنعة .

(٢) أى : حزم ، والجرزة ـ بالضم ـ الحزمة من القت ونحوه .

(٣) من الآية ١٧٣ من سورة آل عمران .

(٤) من الآية ٨٩ من سورة الأعراف .

(٥) الآية ٥٢ من سورة الأنعام .

(٦) الآية ٥٣ من سورة الأنعام .

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ)[1] . قال : فدنونا منه حتى وضعنا رُكَبنا على رُكبته ، فكان رسول الله ﷺ يجلس معنا ، فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا ، فأنزل الله عز وجل : (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ)[2]، ولا تجالس الأشراف (وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا) يعني عيينة والأقرع (وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) ، قال : هلاكاً ، قال : ذكر أمر عُيينة والأقرع .

ثم ضرب لهم مَثَل الرجلين ومَثَل الحياة الدنيا ، قال خَبَّاب : فكنا نقعد مع رسول الله ﷺ ، فإذا بلغنا الساعة التي يقوم قُمْنا وتركناه حتى يقوم . ثم قال ابن ماجة : حدثنا يحيى بن حكيم ، ثنا أبو داود ، ثنا قيس بن الربيع ، عن المقدام بن شريح ، عن أبيه ، عن سَعد قال : نزلت هذه الآية فينا ستة : فيّ ، وفي ابن مسعود ، وصُهيب ، وعَمّار ، والمِقداد ، وبلال . قال : قالت قريش : يا رسول الله ، إنا لا نرضى أن نكون أتباعًا لهم فاطرُدْهم عنك . قال : فدخل قَلْبَ رسول الله ﷺ من ذلك ما شاء الله أن يَدْخُل ، فأنزل الله عز وجل : (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ...) الآية .

وقال الحافظ البيهقي : أنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصفهاني ، أنا أبو سعيد بن الأعرابي ، ثنا أبو الحسن – خلف بن محمد الواسطي الدوسي ، ثنا يزيد بن هارون ، ثنا جعفر بن سليمان الضبعي ، ثنا المعلى بن زياد – يعني عن العلاء بن بشير المازني [عن] أبي الصديق الناجي – عن أبي سعيد الخدري ، قال : كنت في عصابة من المهاجرين جالسًا معهم ، وإنّ بعضهم ليستَتِرُ ببعض من العُرْي ، وقارىء لنا يقرأ علينا ، فكنا نسمعُ إلى كتاب الله ، فقال رسول الله ﷺ : الحمد لله الذي جعل مِنْ أُمّتي مَنْ أُمرت أن أصبر مَعهم نفسي . قال : فاستدارت الحلقة وبرزَت وجوههم ، قال : فما عَرف رسول الله ﷺ أحداً منهم غيري ، فقال رسول الله ﷺ : أبشروا معاشر صعاليكَ المهاجرين بالنُّور يوم القيامة ، تدخلون قبل الأغنياء بنصف يوم ، وذلك خمسمائة عام . وقد روى الإمام أحمد ، وأبو داود ، والترمذي من حديث حماد بن سلمة ، عن حُميد ، عن أنس قال : لم يكن شخصٌ أحَبَّ إليهم من رسول الله ﷺ . قال : وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك .

---

(١) من الآية ٥٤ من سورة الأنعام

(٢) من الآية ٢٨ من سورة الكهف .

فصل فى عبادته عليه السلام واجتهاده فى ذلك

قالت عائشة : كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر ، ويُفطر حتى نقول لا يصوم ، وكان لا تشاء تراه من الليل قائما إلا رأيته ، ولا تشاء تراه نائما إلا رأيته ، قالت : وما زاد رسول الله ﷺ فى رمضان وفى غيره على إحدى عشرة ركعة ؛ يُصلى أربعا ، فلا تسأل عن حُسنهن وطُولهن . ثم يُصلى أربعا ، فلا تسأل عن حُسنهن وطُولهن ، ثم يُوتر بثلاث . قالت : وكان رسول الله ﷺ يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها ، قالت : ولقد كان يقوم حتى أرثى له من شدة قيامه . وذكر ابن مسعود : أنه صلى معه ليلةً فقرأ فى الركعة الأولى بالبقرة والنساء وآل عمران ، ثم ركع قريبا من ذلك ، ورفع نحوه وسجد نحوه . وعن أبى ذر : أن رسول الله ﷺ قام ليلةً حتى أصبح يقرأ هذه الآية : « إنْ تُعذِّبهم فإنَّهم عبادُك وإنْ تَغفِرْ لهَمْ فإنَّك أنتَ العزيزُ الحكيم »(1) رواه أحمد . وكل هذا فى الصحيحين وغيرهما من الصحاح ، وموضع بسط هذه الأشياء فى كتاب الأحكام الكبير .

وقد ثبت فى الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة ، عن زياد بن عَلاقة عن المغيرة بن شعبة : أن رسول الله ﷺ قام حتى تَفطّرت قدماه ، فقيل له : أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : أفلا أكون عبدا شكورا وتقدم فى حديث سَلاّم بن سليمان عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : حُبِّب إلىَّ الطِّيب والنساء وجُعلت قُرّةُ عينى فى الصلاة . رواه أحمد والنسائى . وقال الإمام أحمد : ثنا عفان ، ثنا حماد بن سلمة ، أخبرنى على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس ، أنّ جبريل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد حُبِّب إليك الصلاة فخذ منها ما شئت » . وثبت فى الصحيحين عن أبى الدرداء قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان فى حَرّ شديد ، وما فينا صائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعبد الله ابن رَواحة . وفى الصحيحين من حديث منصور عن إبراهيم عن علقمة قال : سألت عائشة هل كان رسول الله ﷺ يَخُصّ شيئا من الأيام ؟ قالت : لا ، كان عمله دِيمة(2) وأيكم يستطيع ما كان رسول الله ﷺ يستطيع ؟ . وثبت فى الصحيحين من حديث أنس وعبد الله بن عمر وأبى هريرة وعائشة ، أن رسول الله ﷺ كان يُواصل وينهى أصحابه عن الوِصال(3) وقال : إنى لست كأحدكم ، إنى أبيت عند ربِّى يُطعمنى ويَسقينى . والصحيح أن هذا الإطعام والسّقيا معنويان ، كما ورد فى الحديث الذى رواه ابن عاصم ، أن رسول الله ﷺ قال : لا تُكرِهوا مرضاكم على الطعام والشراب ؛ فإنّ الله يُطعمهم وَيسقيهم . وما أحسن ما قال بعضهم :

(1) الآية ١١٨ من سورة المائدة

(2) الديمة : مطر يدوم فى سكون بلا رعد وبرق ، تريد : عملا متصلا هادئا .

(3) أى : المواصلة فى الصوم وغيره

لها أحاديثُ من ذكراك يشغلها عن الشراب ويُلهيها عن الزاد

وقال النضر بن شميل ، عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إنى لأستغفرُ الله وأتوبُ إليه فى اليوم مائة مرة وروى البخارى عن الفريابى عن الثورى عن الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : اقرأ علىّ ، فقلت : أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ فقال : إنى أحبّ أن أسمعه من غيرى ، قال : فقرأت سورة النساء ، حتى إذا بلغت : (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً)[1] قال : حسبك ، فالتفت فإذا عيناه تذرفان . وثبت فى الصحيح : أنه عليه السلام كان يجد التمرة على فراشه فيقول : لولا أنى أخشى أن تكون من الصدقة لأكلتها . وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، ثنا أسامة بن زيد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، أن رسول الله ﷺ وجد تحت جنبه تمرة من الليل ، فأكلها فلم ينم تلك الليلة ، فقال بعض نسائه : يا رسول الله ، أرقتَ الليلة ، قال : إنى وجدت تحت جنبى تمرة فأكلتها ، وكان عندنا تمر من تمر الصدقة ، فخشيت أن تكون منه ، تفرد به أحمد . وأسامة بن زيد هو الليثى من رجال مسلم . والذى نعتقد أن هذه التمرة لم تكن من تمر الصدقة ، لعصمته عليه السلام ، ولكن من كمال ورعه عليه السلام أرق تلك الليلة . وقد ثبت عنه فى الصحيح أنه قال : والله إنى لأتقاكم لله ، وأعلمكم بما أتقى .

وفى الحديث الآخر أنه قال : دع ما يريبك إلى ما لا يريبك . وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلى ولجوفه أزيز كأزيز المرجل ، وفى رواية : وفى صدره أزيز كأزيز الرحا من البكاء . وروى البيهقى من طريق أبى كريب ــ محمد بن العلاء الهمدانى ، ثنا معاوية بن هشام عن شيبان عن أبى إسحاق عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال أبو بكر : يا رسول الله أراكَ شبتَ ، فقال : شيّبتنى هُودُ والواقعةُ ، والمرسلات ، وعمّ يتساءلون ، وإذا الشمس كُوِّرت . وفى رواية له عن أبى كريب عن معاوية عن هشام عن شيبان عن فراس عن عطية عن أبى سعيد قال : قال عمر بن الخطاب : يا رسول الله أسرعَ إليك الشيب ، فقال شيبتنى هود وأخواتها : الواقعة ، وعم يتساءلون ، وإذا الشمس كورت .

فصل فى شجاعته ﷺ

ذكرت فى التفسير عن بعض من السلف ، أنه استنبط من قوله تعالى : (فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ)[2] أنّ رسول الله ﷺ كان مأموراً أن لا يفرّ من

(١) الآية : ٤١ من سورة النساء (٢) من الآية : ٨٤ من سورة النساء

المشركين إذا واجهوه ولو كان وحده — من قوله (لا تُكلَّفُ إلا نفْسك) وقد كان ﷺ من أشجع الناس وأصبر الناس وأجلدِهم ، ما فرَّ قطّ من مصافّ ولو تولى عنه أصحابه . قال بعض أصحابه : كنا إذا اشتد الحرب وحَمِيَ الناس ، نتّقي برسول الله ﷺ ، ففي يوم بدر رمى ألفَ مُشرِكٍ بقبضة من حصباء فنالتهم أجمعين حين قال : شاهَت الوُجوه . وكذلك يوم حُنين كما تقدم ، وفرَّ أكثر أصحابه في تالي الحال يوم أحد وهو ثابت في مقامه لم يبرح منه ، ولم يبق معه إلا اثنا عشر ، قُتِل منهم سبعة وبقي الخمسة . وفي هذا الوقت قُتِل أُبيُّ بن خلف لعنه الله فعجّله الله إلى النار . ويوم حُنين ولّى الناس كلُّهم وكانوا يومئذ اثنا عشر ألفاً وثبت هو في نحو من مائة من الصحابة وهو راكب يومئذ بغلته وهو يَركُض بها إلى نحو العدو ، وهو ينوهُ باسمه ويُعلن بذلك قائلا : أنا النبيُّ لا كذب ، أنا ابنُ عبد المطّلب . حتى جعل العباس وعليّ وأبو سفيان يتعلقون في تلك البغلة ، ليُبطِئُوا سيرها ، خوفاً عليه من أن يَصِلَ أحد من الأعداء إليه . وما زال كذلك حتى نصره الله وأيده في مقامه ذلك ، وما تراجع الناس إلا والأشلاء مُجَنْدلة بين يديه ﷺ .

وقال أبو زرعة : حدثنا العباس بن الوليد بن صبيح الدمشقي ، حدثنا مروان — يعني ابن محمد — حدثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ فُضِّلت على الناس بشدة البَطش[1] .

فصل فيما يذكر من صفاته عليه السلام

في الكتب المأثورة عن الأنبياء الأقدمين

قد أسلفنا طرفاً صالحاً من ذلك في البشارات قبل مولده ، ونحن نذكر هنا غُرراً من ذلك ، فقد روى البخاري والبيهقي واللفظ له ، من حديث فُلَيح بن سليمان عن هلال بن علي عن عطاء ابن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو فقلت : أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة ، فقال : أجَلْ ، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في الفرقان : « (يا أيها النبيُّ إنّا أرْسلناكَ شاهداً ومُبَشِّراً ونذيراً)[1] وحرزاً للأُمّيين ، أنت عَبْدِي ورسولي ، سَمّيتك المتوكّل ليس بفظّ ولا غليظ ولا صَخّاب[2] بالأسواق ، ولا يدفعُ السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، وإن أقبضه حتى أُقيمَ به المِلّة العوجاء بأن يقولوا : لا إلهَ إلا الله ؛ وأفتح به أعيناً عُمْياً ، وآذاناً صُمّاً ، وقلوباً غُلْفاً » . قال عطاء بن يسار : ثم لقيت كعبا الحبر فسألته فما اختلفا في حرف

(١) الآية : ٤٥ من سورة الأحزاب . (٢) الصخب : الجلبة والصياح وهو والسخب سواء .

إلا أن كعباً قال : أعيناً . ورواه البخارى أيضاً عن عبد الله غير منسوب ـ قيل : هو ابن رجاء ، وقيل : عبد الله بن صالح وهو الأرجح ، عن عبد العزيز بن أبى سلمة الماجشون ، عن هلال ابن على به . قال البخارى : وقال سعيد عن هلال عن عطاء عن عبد الله بن سلام ـ كذا علقه البخارى . وقد روى البيهقى من طريق يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو صالح — هو عبد الله ابن صالح كاتب الليث — حدثنى خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبى هلال ، عن أسامة عن عطاء بن يسار ، عن ابن سلام أنه كان يقول : إنا لنجد صفة رسول الله ﷺ « إنّا أرسلناك شاهداً ومُبَشِّراً ، أنت عبدى ورسولى ، سميته المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخّاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة مثلها ، ولكن يعفو ويتجاوز ، وليس أقبضه حتى يقيم الملة العوجاء ، بأن تشهد (أن لا إلهَ إلا الله) يفتح به أعيناً عمياً ، وآذاناً صما ، وقلوبا غلفا » .

قال عطاء بن يسار . وأخبرنى الليثى أنه سمع كعب الأحبار يقول مثل ما قال ابن سلام .

وقد روى عن عبد الله بن سلام من وجه آخر فقال الترمذى : حدثنا زيد بن أخزم الطائى البصرى ، ثنا أبو قتيبة - مسلم بن قتيبة - ، حدثنى أبو مَوْدُود المدنى ، ثنا عثمان الضحاك عن محمد بن يوسف عن عبد الله بن سلّام عن أبيه عن جده قال : مكتوب فى التوراة « محمد وعيسى بن مريم يُدفن معه » فقال أبو مَوْدُود : قد بقى فى البيت موضع قبر ، ثم قال الترمذى : هذا حديث حسن . هكذا قال الضحاك والمعروف الضحاك بن عثمان المدنى ، وهكذا حكى شيخنا الحافظ المزى فى كتابه الأطراف عن ابن عساكر أنه قال مثل قول الترمذى ، ثم قال : وهو شيخ آخر أقدم من الضحاك بن عثمان ، ذكره ابن أبى حاتم عن أبيه فيمن اسمه عثمان . فقد روى هذا عن عبد الله بن سلّام ، وهو من أئمة أهل الكتاب ممن آمن . وعبد الله بن عمرو ابن العاص ، وقد كان له اطلاع على ذلك من جهة زاملتين[1] كان أصابهما يوم اليرموك ، فكان يحدث منهما عن أهل الكتاب ، وعن كعب الأحبار ، وكان بصيراً بأقوال المتقدمين على ما فيها من خلط وغلط ، وتحريف وتبديل ، فكان يقولها بما فيها من غير نقد ، وربما أحسن بعض السلف بها الظن فنقلها عنه مسلمة ، وفى ذلك من المخالفة لبعض ما بأيدينا من الحق جملة كثيرة ، لكن لا يتفطن لها كثير من الناس .

ثم ليعلم أن كثيراً من السلف يطلقون التوراة على كتب أهل الكتاب المتلوة عندهم ، أو أعم من ذلك ، كما أن لفظ القرآن يطلق على كتابنا خصوصا ـ ويراد به غيره ، كما فى الصحيح : خُفّف على داود القرآن فكان يأمر بدوابّه فتسرج فيقرأ القرآن مقدار ما يفرغ ، وقد بسط هذا فى غير هذا الموضع ، والله أعلم .

(١) الزاملة : البعير الذى يحمل عليه الطعام والمتاع وغير ذلك ولعلهما كان يحملان كثيراً من الكتب .

وقال البيهقى ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق : حدثنى محمد بن ثابت بن شرحبيل ، عن أم الدرداء قالت : قلت لكعب الحبر كيف تجدون صفة رسول الله ﷺ فى التوراة ؟ قال : نجده محمد رسول الله ، اسمه المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سخاب بالأسواق ، وأعطى المفاتيح ليبصر الله به أعينا عميا ، ويسمع به آذانا وقرا ، ويقيم به ألسنا معوجة حتى تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يعين المظلوم ويمنعه . وبه عن يونس بن بكير عن يونس بن عمرو ، عن العيزار ابن حريث عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب فى الإنجيل : لا فظ ، ولا غليظ ولا سخاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة مثلها ، بل يعفو ويصفح . وقال يعقوب ابن سفيان : ثنا قيس البجلى ، حدثنا سلام بن مسكين عن مقاتل بن حيان قال : أوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم : جد فى أمرى ، ولا تهزل ، واسمع وأطع يا ابن الطاهر البتول[1] ، إنى خلقتك من غير فحل ، وجعلتك آية للعالمين ، فإياى فاعبد ، وعلى فتوكل ، فبين لأهل سوران أنى أنا الحق القائم الذى لا أزول ، صدقوا بالنبى العربى ، صاحب الجمل والمدرعة[2] والعمامة والنعلين والهراوة ، الجعد الرأس ، الصلت الجبين ، المقرون الحاجبين ، الأدعج العينين ، الأقنى الأنف ، الواضح الخدين ، الكث اللحية ، عرقه فى وجهه كاللؤلؤ ، ريحه المسك ينفح منه ، كأن عنقه إبريق فضة ، وكأن الذهب يجرى فى تراقيه ، له شعرات من لبته إلى سرته تجرى كالقضيب ، ليس على صدره ولا بطنه شعر غيره ، شثن الكفين والقدم ، إذا جامع الناس غمرهم ، وإذا مشى كأنما يتقلع من الصخر ، وينحدر فى صبب ، ذو النسل القليل .

وروى الحافظ البيهقى بسنده عن وهب بن منبه اليمانى قال : إن الله عز وجل لما قرب موسى نجيا ، قال : رب إنى أجد فى التوراة أمة خير أمة أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويؤمنون بالله ، فاجعلهم أمتى ، قال : تلك أمة أحمد . قال : رب إنى أجد فى التوراة أمة هم خير الأمم الآخرون من الأمم ، السابقون يوم القيامة ، فاجعلهم أمتى . قال : تلك أمة أحمد قال : يا رب إنى أجد فى التوراة أمة أناجيلهم فى صدورهم يقرءونها ، وكان من قبلهم يقرءون كتبهم نظرا ، ولا يحفظونها ، فاجعلهم أمتى ، قال : تلك أمة أحمد قال : رب إنى أجد فى التوراة أمة يؤمنون بالكتاب الأول والآخر ، ويقاتلون رءوس الضلالة

---

(١) البتول : المنقطعة عن الرجال والسيدة مريم العذراء والبتول أيضا : المنقطعة عن الدنيا إلى الله

(٢) المدرعة : ثوب لا يكون إلا من صوف — وهو كالدراعة — واحدة الدراريع ، والدرع معروف .

حتى يقاتلوا الأعور الكذّاب ، فاجعلهم أمتى ، قال : تلك أمة أحمد . قال : رب إنى أجد فى التوراة أمةً يأكلون صَدقاتهم فى بطونهم ، وكان مَن قَبلهم إذا أخرج صدقته بعث الله عليها ناراً فأكلتها ، فإن لم تقبل لا تقربها النار ، فاجعلهم أمتى ، قال : تلك أمة أحمد . قال : ربِّ إنى أجد فى التوراة أمة إذا هَمَّ أحدهم بسيئة لم تكتب عليه ، فإن عملها كتبت عليه سيئةٌ واحدة ، وإذا هَمَّ أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كُتب له عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، فاجعلهم أمتى ، قال : تلك أمة أحمد قال : رب إنى أجد فى التوراة أمة هم المستجيبون والمستجاب لهم فاجعلهم أمتى ، قال : تلك أمة أحمد .

قال : وذكر وهب بن منبه فى قصة داود عليه السلام ، وما أوحى إليه فى الزبور : يا داودُ ، إنه سيأتى من بعدك نبىّ اسمه أحمد ومحمد ، صادقاً سيِّداً ، لا أغضب عليه أبداً ، ولا يغضبنى أبداً ، وقد غفرت له قبل أن يَعصينى ما تقدّم من ذنبه وما تأخر ، أمته مرحُومة ، أعطيهم من النوافل مثلَ ما أعطيت الأنبياء ، وافترضت عليهم الفرائض التى افترضتُ على الأنبياء والرسل ، حتى يأتونى يوم القيامة ونورهم مثل نور الأنبياء ، وذلك أنى افترضت عليهم أن يتطهروا إلى كلّ صلاة ، كما افترضت على الأنبياء قبلهم ، وأمرتهم بالغسل من الجنابة كما أمرت الأنبياء قبلهم ، وأمرتهم بالحج كما أمرت الأنبياء قبلهم ، وأمرتهم بالجهاد كما أمرت الرسل قبلهم . يا داود إنى فضلت محمداً وأمته على الأمم كلّها ، أعطيتهم ست خصال لم أعطها غيرهم من الأمم : لا آخذهم بالخطأ والنسيان ، وكل ذنب ركبوه على غير عمد إن استغفرونى منه غفرته لهم . [وما قدّموا لآخرتهم من شىء طيبة به أنفسهم جعلته لهم أضعافاً مضاعفة][1] ، ولهم فى المدخر عندى أضعاف مضاعفة وأفضل من ذلك . وأعطيتهم على المصائب فى البلايا إذا صبروا وقالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون ـ الصلاة والرحمة والهدى إلى جنات النعيم ، فإن دعونى استجبت لهم ؛ فإما أن يروه عاجلا ، وَإما أن أصرف عنهم سُوءا ، وَإما أن أدخره لهم فى الآخرة يا داود من لقينى من أمة محمد يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له صادقا بها ، فهو معى فى جنتى وكرامتى ، وَمن لقينى ، وقد كذب محمداً أو كذب بما جاء به ، وَاستهزأ بكتابى ـ صببت عليه فى قبره العذاب صبًّا ، وَضَرَبَت الملائكةُ وَجهه وَدُبره عند منشره من قبره ، ثم أدخله فى الدَّرك[2] الأسفل من النار .

وَقال الحافظ البيهقى : أخبرنا الشريف أبو الفتح العمرى ، ثنا عبد الرحمن بن أبى شريح الهروى

---

(١) هذه الزيادة من التيمورية

(٢) الدرك ـ بسكون الراء وفتحها ـ واحدة دركات النار ، أى طبقاتها السبع .

ثنا يحيى بن محمد بن صاعد ، ثنا عبد الله بن شبيب أبو سعيد ، حدثنى محمد بن عمر بن سعيد — يعنى ابن محمد بن جبير بن مطعم — قال : حدثتنى أم عثمان بنت سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيها عن أبيه قال : سمعت أبى جُبير بن مُطعم يقول : لما بعث الله نبيه ﷺ ، وظهر أمره بمكة ، خرجت إلى الشام ، فلما كنت ببصرى أتتنى جماعة من النصارى فقالوا لى : أمن الحرَم أنت ؟ قلت : نعم ، قالوا : فتعرف هذا الذى تَنبّأ فيكم ؟ قلت : نعم ، قال : فأخذوا بيدى فأدخلونى دَيراً[1] لهم فيه تماثيل وصُور ، فقالوا لى : أنظر ، هل ترى صورة هذا النبىّ الذى بعث فيكم ؟ فنظرت فلم أر صورته ، قلت : لا أرى صورته . فأدخلونى دَيراً أكبر من ذلك الدَّير ، فإذا فيه تماثيل وصور أكثر مما فى ذلك الدّير ، فقالوا لى : انظر هل ترى صورته ؟ فنظرت ، فإذا أنا بصفة رسول الله ﷺ وصورته ، وإذا أنا بصفة أبى بكر وصورته وهو آخذ بعقب رسول الله ﷺ . فقالوا لى : هل ترى صفته ؟ قلت : نعم ، قالوا : هو هذا ؟ — وأشاروا إلى صفة رسول الله ﷺ — قلت : اللهم نعم ، أشهد أنه هو ، قالوا : أتعرف هذا الذى آخذ بعقبه ؟ قلت : نعم ، قالوا : نشهد أن هذا صاحبكم ، وأن هذا الخليفة من بعده .

ورواه البخارى فى التاريخ عن محمد — غير منسوب — عن محمد بن عمر هذا بإسناده فذكره مختصرا ، وعنده فقالوا : إنه لم يكن نبىّ إلا بعده نبىّ إلا هذا النبى . وقد ذكرنا فى كتابنا التفسير عند قوله تعالى فى سورة الأعراف : (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ)[2] الآية . ذكرنا ما أورده البيهقى وغيره من طريق أبى أمامة الباهلى ، عن هشام بن العاص الأموى قال : بعثت أنا ورجل من قريش إلى هِرَقْل صاحب الروم ندعوه إلى الإسلام ، فذكر اجتماعهم به وأن غُرفته انتفضت[3] حين ذكروا الله عز وجل ، فأنزلهم فى دار ضيافته ، ثم استدعاهم بعد ثلاث ، فدعا بشىء نحو الرَّبعة[4] العظيمة فيها بيوت صغار عليها أبواب ، وإذا فيها صور الأنبياء ممثلة فى قطع من حرير من آدم إلى محمد صلوات الله عليهم أجمعين ، فجعل يخرج لهم واحدا واحدا ويُخبرهم عنه ، وأخرج لهم صورة آدم ، ثم نوح ، ثم إبراهيم ، ثم تعجل إخراج صورة رسول الله ﷺ ، قال : ثم فتح بابا آخر ، فإذا فيها صورة بيضاء ، وإذا والله رسول الله ﷺ ، قال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : نعم ، محمد رسول الله ، قال : وبكينا ،

---

(١) الدير : خان النصارى .　　(٢) من الآية ١٥٧ من سورة الأعراف .

(٣) قيل : صارت كأنها غدق تصفقه الرياح　　(٤) الربعة : صندوق أجزاء المصحف وهى مولدة

قال : والله يعلم أنه قام قائماً ثم جلس وقال : والله إنه لهو ؟ قلنا نعم ، إنه لهو كأنك تنظر إليه ، فأمسك ساعة ينظر إليها ثم قال : أما إنه كان آخر البيوت ولكنّي عجلته لكم لأنظر ما عندكم ، ثم ذكر تمام الحديث فى إخراجه بقية صور الأنبياء وتعريفه إياها بهم ، وقال فى آخره : قلنا له : من أين لك هذه الصور ؟ لأنا نعلم أنها على ما صُوِّرت عليه الأنبياء عليهم السلام ، لأنا رأينا صورة نبينا عليه السلام مثله ، فقال : إن آدم عليه السلام سأل ربّه أن يريه الأنبياء من ولده ، فأنزل عليه صورهم ، فكانت فى خزانة آدم عليه السلام عند مغرب الشمس ، فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس ، فدفعها إلى دانيال ثم قال : أما والله إن نفسى طابت بالخروج من مُلكى ، وإنى كنت عبداً لأشرّكم ملكة حتى أموت ، قال : ثم أجازنا فأحسن جائزتنا وسرّحنا . فلما أتينا أبا بكر الصديق رضى الله عنه حدثناه بما رأينا ، وبما قال لنا ، وما أجازنا ، قال : فبكى أبو بكر وقال : مسكين لو أراد الله به خيرا لفعل ، ثم قال : أخبرنا رسول الله ﷺ أنهم واليهود يجدون نعت محمد صلى الله عليه وسلم عندهم .

وقال الواقدى : حدثنى على بن عيسى الحكيمى عن أبيه ، عن عامر بن ربيعة قال : سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يقول : أنا أنتظر نبيًّا من ولد إسماعيل ، ثم من بنى عبد المطلب ولا أرانى أدركه ، وأنا أومن به وأصدقه وأشهد برسالته ، فإن طالت بك مدة فرأيته فأقرئه منى السلام ، وسأخبرك ما نعته حتى لا يخفى عليك . قلت : هلمّ ، قال : هو رجل ليس بالطويل ولا بالقصير ، ولا بكثير الشعر ، ولا بقليله ، وليست تفارق عينيه حُمرة ، وخاتم النبوة بين كتفيه ، واسمه أحمد ، وهذا البلد مولده ومبعثه . ثم يخرجه قوم منها ، ويكرهون ما جاء به ، حتى يهاجر إلى يثرب ، فيظهر أمره ، فإياك أن تُخدع عنه ، فإنى طفت البلاد كلها أطلب دين إبراهيم ، فكل من سأل من اليهود والنصارى والمجوس يقولون : هذا الدين وراءك ، وينعتونه مثل ما نعته لك ، ويقولون : لم يبق نبى غيره قال عامر بن ربيعة : فلما أسلمت أخبرت النبى ﷺ ، قول زيد بن عمرو بن نفيل وإقرائه منه السلام ، فرد عليه السلام وترحم عليه ، وقال : قد رأيته فى الجنة يسحب ذيولا .

كتاب دلائل النبوة

وهى معنوية وحسية ؛ فمن المعنوية : إنزال القرآن عليه ، وهو أعظم المعجزات ، وأبهرُ الآيات ، وأبين الحجج الواضحات ؛ لما اشتمل عليه من التركيب المعجز الذى تحدّى به الإنس والجن أن يأتوا بمثله فعجزوا عن ذلك ، مع توافُر دواعى أعدائه على معارضته ، وفصاحتهم وبلاغتهم ، ثم تحدّاهم بعشر سُوَرٍ منه فعجزوا ، ثم تنازل إلى التّحدى بسورة مِن مِثْله ، فعجزوا عنه وهم يعلمون عجزهم وتقصيرهم عن ذلك ، وأنّ هذا مالا سبيل لأحد إليه أبداً ، قال الله تعالى : (قُلْ لَئن اجتمعَتِ الإنسُ والجنُّ على أنْ يأتوا بمثلِ هذا القرآن لا يأتونَ بمثْلِه وَلَوْ كانَ بَعضُهمْ لبعضٍ ظهيراً)[1] وهذه الآية مكية. وقال فى سورة الطور وهى مكية : (أم يَقولون تَقوّله بل لا يُؤمِنون * فليأتُوا بحديثٍ مِثْلِه إن كانُوا صادِقِين)[2] أى إن كنتم صادقين فى أنه قاله من عنده فهو بشر مثلكم ، فأتوا بمثل ما جاء به فإنكم مثله . وقال تعالى فى سورة البقرة وهى مدنية ـ مُعيداً للتحدّى ـ : (وإن كُنتُم فى رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلنا على عَبْدِنا فأتوا بِسُورةٍ مِنْ مِثْله وادْعُوا شُهداءكم مِنْ دُونِ الله إنْ كُنتُم صَادِقين * فإنْ لم تفعلوا ولَن تفعلوا فاتقُوا النَّارَ التى وَقُودُها الناسُ والحجارةُ أُعِدَّت للكافرين)[3] . وقال تعالى : (أم يقولُون افتراهُ قل فأتوا بعَشْر سُوَرٍ مِثلِه مُفترَياتٍ وادْعُوا مَنِ استطعْتُم مِن دُونِ الله إنْ كُنتُم صَادِقين * فإن لم يَستجيبُوا لَكُم فاعلمُوا أنَّما أُنزِل بعِلْمِ الله وأنْ لا إله إلا هُوَ فهَل أنتمْ مُسْلمون)[4] . وقال تعالى : (وما كانَ هذَا القرآنُ أنْ يُفْترَى مِن دُونِ الله ولكنْ تصْدِيقَ الذى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتفْصِيلَ الكتابِ لارَيْبَ فيه مِن رَبِّ العالَمين * أم يقُولون افتراهُ قُل فأتوا بسُورةٍ مِثْله وادْعُوا مَن استطَعْتُم مِن دُونِ الله إن كُنْتُمْ صَادِقين * بل كَذَّبوا بما لم يُحيطوا بِعلمه ولمَّا يأتِهم تأويلُه كذلكَ كَذَّبَ الذين مِنْ قَبْلِهمْ فانظُرْ كيفَ كانَ عاقبةُ الظَّالمين »[5] .

فبين تعالى أنّ الخلق عاجزون عن معارضة هذا القرآن ، بل عن عَشْرِ سور مِثله ، بل عن سورة منه ، وأنهم لا يستطيعون ذلك أبداً كما قال تعالى : (فإنْ لَمْ تفعلوا ولَنْ تفعلوا) أى فإن لم تفعلوا فى الماضى ولن تستطيعوا ذلك فى المستقبل ، وهذا تحدٍّ ثان وهو : أنه لا يمكن معارضتهم له ـ لا فى الحالِ ولا فى المآل . ومثل هذا التحدى إنما يَصدر عن واثقٍ بأن ما جاء به لا يمكن للبشر معارضته ولا الاتيانُ بمثله ، ولو كان من مُتقول من عند نَفْسه لخاف أن يُعارَض ،

(١) الآية : ٨٨ من سورة الإسراء (٢) الآيتان : ٣٣-٣٤ (٣) الآيتان ٢٣-٢٤ من سورة البقرة
(٤) الآيتان : ١٣ــ ١٤ من سورة هود (٥) الآيات : ٣٧ ـ ٣٩ من سورة يونس

فيفتضح ويعود عليه نقيض ما قصده من متابعة الناس له ، ومعلوم لكل ذى لب أن محمداً ﷺ من أعقل خلق الله ، بل أعقلهم وأكملهم على الإطلاق فى نفس الأمر ، فما كان ليقدم على هذا الأمر إلا وهو عالم بأنه لا يمكن معارضته ، وهكذا وقع ؛ فإنه من لدن رسول الله ﷺ وإلى زماننا هذا ـ لم يستطع أحد أن يأتى بنظيره ولا نظير سورة منه ، وهذا لا سبيل إليه أبدا ؛ فإنه كلام رب العالمين الذى لا يشبهه شىء من خلقه ، لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله ، فأنّى يشبه كلامُ المخلوقين كلامَ الخالق ؟

وقول كفار قريش الذى حكاه تعالى عنهم فى قوله : (وإذا تُتلى عليهم آياتُنا قالُوا قَدْ سَمِعْنا لَوْ نَشاء لقُلنا مثْلَ هذا إنْ هذا إلا أساطيرُ الأوّلين)[1] ـ كَذبٌ منهم ودَعْوى باطلة بلا دليل ولا بُرهان ولا حُجّة ولا بيان ، ولو كانوا صادقين لأتوا بما يعارضه ، بل هم يعلمون كَذِب أنفسهم . كما يعلمون كذب أنفسهم فى قولهم : (أساطيرُ الأوّلين اكْتَتَبَها فهى تُملى عليه بكرةً وأصيلاً) قال الله تعالى : (قُلْ أنزلَهُ الذى يَعْلَمُ السِّرَّ فى السَّموات والأرض إنه كان غفوراً رحيما)[2] أى أنزله عالم الخفيات ، رب الأرض والسموات ، الذى يعلم ما كان وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون ؛ فإنه تعالى أوحى إلى عبده ورسوله النبىّ الأمىّ الذى كان لا يُحسِن الكتابة ولا يدريها بالكلية ، ولا يعلم شيئا من علم الأوائل وأخبار الماضين ، فقصّ الله عليه خَبَر ما كان وما هو كائن ، على الوجه الواقع سواء بسواء .

وهو فى ذلك يفصل بين الحق والباطل الذى اختلفت فى إيراده جملة الكتب المتقدمة ، كما قال تعالى : (تِلْكَ مِنْ أنباء الغَيْبِ نُوحِيها إلَيْكَ ما كُنْتَ تَعلَمُها أنت ولا قَوْمُك مِن قَبْلِ هذا فاصْبِر إنّ العاقِبةَ للمتقين)[3] وقال تعالى : (كذلِكَ نَقُصُّ عَليكَ مِن أنباء ما قد سَبَقَ وَقد آتيناكَ من لَدُنا ذِكْراً * مَن أعْرَضَ عَنهُ فإنه يَحْمِلُ يومَ القِيامةِ وِزْراً * خالِدِينَ فيه وساءَلهمُ يومَ القيامةِ حِملا)[4] وقال تعالى : (وأنزلنا إليكَ الكتابَ بالحَقِ مُصدِّقاً لِمَا بين يديهِ مِنَ الكتابِ ومُهَيْمِناً عليه)[5] الآية ، وقال تعالى : (وما كُنتَ تَتلُو مِنْ قَبلِهِ مِن كِتابٍ ولا تَخُطُّهُ بيَمِينك إذاً لارتابَ المُبطِلون * بل هُوَ آياتٌ بيناتٌ فى صُدورِ الذين أوتُوا العِلمَ وما يَجْحَدُ بآياتنا إلا الظالمُون * وقالوا لولاَ أُنزِل عَليه آياتٌ من رَبه قل إنما الآياتُ عِندَ الله وإنما أنا نذيرٌ مُبين * أوَ لَمْ يكْفِهِم أنّا أنزلنا عليكَ الكتابَ يُتْلى عَليْهِمْ إن فى ذلكَ لرَحمةً وذِكْرَى لقومٍ يُؤمِنون * قُلْ كَفَى بالله بَيْنِى وَبينكم شَهِيداً يَعلمُ ما فى السمواتِ والأرضِ والذين

(١) الآية ٣١ من سورة الأنفال (٢) الآيتان : ٥ ـ ٦ من سورة الفرقان
(٣) الآية : ٤٩ من سورة هود (٤) الآيات : ٩٩ : ١٠١ من سورة طه
(٥) من الآية : ٤٨ من سورة المائدة

آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)[1] . فبيّن تعالى : أنّ نفس إنزال هذا الكتاب المشتمل على علم ما كان وما يكون وحكم ما هو كائن بين الناس ، على مثل هذا النبيّ الأمّى وحده ـ كان من الدلالة على صدقه .

وقال تعالى : (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ، قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُل لَّوْ شَاءَ اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ)[2] . يقول لهم : إنى لا أطيق تبديل هذا من تلقاء نفسى ، وإنما الله عز وجل هو الذى يمحو ما يشاء ويثبت وأنا مبلّغ عنه ، وأنتم تعلمون صدقى فيما جئتكم به ؛ لأنى نشأت بين أظهركم ، وأنتم تعلمون نسبى وصدقى وأمانتى، وأنى لم أكذب على أحد منكم يوما من الدهر ، فكيف يسعنى أن أكذب على الله عز وجل مالك الضر والنفع ، الذى هو على كل شىء قدير ، وبكل شىء عليم ؟ وأىّ ذنب عنده أعظمُ من الكذب عليه ، ونسبة ما ليس منه إليه ؟ كما قال تعالى : (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ)[3] .
أى لو كذب علينا لانتقمنا منه أشد الانتقام ، وما استطاع أحد من أهل الأرض أن يحجزنا عنه ويمنعنا منه ، وقال تعالى : (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ، وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللهُ ، وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ)[4] . وقال تعالى : (قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ)[5] . وهذا الكلام فيه الإخبار بأن الله شهيد على كل شىء ، وأنه تعالى أعظم الشهداء ، وهو مطلع علىّ وعليكم فيما جئتكم به عنه .

وتتضمن قوة الكلام قسماً ، به أنه قد أرسلنى إلى الخلق لأنذرهم بهذا القرآن ، فمن بلغه منهم فهو نذير له كما قال تعالى (وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ، إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ)[6] ففى هذا القرآن من الأخبار

(١) الآيات : ٤٨ ـ ٥٢ من سورة العنكبوت . (٢) الآيات : ١٥ ـ ١٧ من سورة يونس .
(٣) الآيات ٤٤ ـ ٤٧ من سورة الحاقة (٤) الآية ٩٣ من سورة الأنعام .
(٥) من الآية ١٩ من سورة الانعام (٦) من الآية ١٧ من سورة هود .

الصادقة عن الله وملائكته ، وعرشه ومخلوقاته العلوية والسفلية ، كالسموات والأرضين وما بينهما وما فيهن — أمور عظيمة كثيرة مبرهنة بالأدلة القطعية المرشدة إلى العلم بذلك من جهة العقل الصحيح ، كما قال تعالى : (ولقد صرّفنا للناس فى هذا القرآن من كلّ مثلٍ فأبى أكثرُ الناسِ إلا كُفورا)[1] وقال تعالى : (وتلك الأمثالُ نضربُها للناس وما يعقلها إلا العالمون)[2] . وقال تعالى :(ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كلّ مثلٍ لعلّهم يتذكّرون * قرآناً عربياً غيرَ ذى عوجٍ لعلهم يتقون)[3] .

وفى القرآن العظيم الإخبار عما مضى على الوجه الحق ، وبرهانه ما فى كتب أهل الكتاب من ذلك شاهدا له ، مع كونه نزل على رجل أمىّ لا يعرف الكتابة ، ولم يُعانِ يوما من الدهر شيئا من علوم الأوائل ، ولا أخبار الماضين ، فلم يفجأ الناس إلا بوحى إليه عما كان من الأخبار النافعة ، التى ينبغى أن تُذكر للاعتبار بها ؛ من أخبار الأمم مع الأنبياء ، وما كان منهم من أمورهم معهم ، وكيف نجّى الله المؤمنين وأهلك الكافرين ؛ بعبارة لا يستطيع بشر أن يأتى بمثلها أبدَ الآبدين ، ودهرَ الداهرين ؛ ففى مكان تُقصّ القصّة موجزة فى غاية البيان والفصاحة ، وتارة تُبسط ، فلا أحلى ولا أجلى ولا أعلى من ذلك السياق ، حتى كأن التالى أو السامع مشاهدٌ لما كان ، حاضر له ، مُعاين للخبر بنفسه، كما قال تعالى : (وما كنتَ بجانب الطُّور إذْ نادَيْنا ولكن رحمةً من ربك لتُنذرَ قوماً ما أتاهم من نذيرٍ من قبلك لعلهم يتذكرون)[4] وقال تعالى : (وما كنتَ لديهم إذ يُلقُون أقلامَهم أيُّهم يكفُلُ مريم وما كنتَ لديهم إذ يختصمون)[5] وقال تعالى فى سورة يوسف : (ذلك مِنْ أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنتَ لديهم إذ أجمعوا أمرَهم وهم يمكرون * وما أكثرُ الناسِ ولو حرصتَ بمؤمنين * وما تسألُهم عليه مِنْ أجرٍ إنْ هوَ إلاّ ذِكْرٌ للعالمين[6]) إلى أن قال فى آخرها (لقد كانَ فى قصصهم عِبْرةٌ لأولى الألبابِ ما كانَ حديثاً يُفترَى ولكن تصديقَ الذى بين يديهِ وتفصيل كلّ شىءٍ وهُدى ورحمةً لقوم يؤمنون)[7] وقال تعالى : (وقالوا لولا يأتينا بآيةٍ من ربه أو لم تأتهم بيّنة ما فى الصُّحُف الأولى)[8] وقال تعالى : (قُلْ أرأيتم إنْ كانَ مِنْ عندِ اللهِ ثم كفرتم بهِ مَنْ أضلُّ ممّن هُوَ فى شِقاقٍ بعيد * سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهمْ أنّه الحقُّ أوَ لمْ يكفِ بربك أنه على كلّ شىءٍ شهيد)[9] وعد تعالى أنه سيظهر الآيات : القرآن وصدقه ، وصدق من

(١) الآية : ٨٩ من سورة الإسراء (٢) الآية : ٤٣ من سورة العنكبوت
(٣) الآيتان : ٢٧ — ٢٨ من سورة الزمر (٤) الآية : ٤٦ من سورة القصص
(٥) من الآية ٤٤ من سورة آل عمران (٦) الآيات : ١٠٢-١٠٤ (٧) الآية : ١١١
(٨) الآية : ١٣٣ من سورة طه (٩) الآيتان: ٥٢ — ٥٣ من سورة فصلت

جاء به بما يخلقه فى الآفاق من الآيات الدالة على صدق هذا الكتاب ، وفى نفس المنكرين له المكذبين ـ ما فيه حجة عليهم وبرهان قاطع لشبههم ، حتى يستيقنوا أنه منزل من عند الله على لسان الصادق . ثم أرشد إلى دليل مستقل بقوله : (أو لم يَكْفِ بربك أنه على كل شىء شهيد) أى فى العلم بأن الله يطلع على هذا الأمر كفاية فى صدق هذا المخبر عنه ؛ إذ لو كان مفتريا عليه لعاجله بالعقوبة البليغة كما تقدم بيان ذلك .

وفى هذا القرآن إخبار عما وقع فى المستقبل طبق ما وقع سواء بسواء ، وكذلك فى الأحاديث حسب ما قررناه فى كتابنا التفسير وما سنذكره من الملاحم والفتن ، كقوله تعالى : (عَلِمَ أن سَيَكُونُ منكم مَرْضَى وآخَرُون يَضْرِبُونَ فى الأرضِ يَبْتَغُون مِنْ فَضْلِ اللهِ وآخَرُون يُقَاتِلون فى سَبِيل الله)[1] وهذه السورة من أوائل ما نزل بمكة . وكذلك قوله تعالى فى سورة اقتربت وهى مكية بلا خلاف : (سَيُهزَمُ الجمع ويُولون الدُّبر * بل الساعةُ مَوْعِدُهم والساعةُ أدهى وأَمَرّ)[2] وقع مصداق هذه الهزيمة يوم بدر بعد ذلك ، إلى أمثال هذا من الأمور البينة الواضحة ، وسيأتى فصل فيما أخبر به من الأمور التى وقعت بعده عليه السلام طبق ما أخبر به .

وفى القرآن الأحكام العادلة أمراً ونهياً ، المشتملة على الحكم البالغة التى إذا تأملها ذو الفهم والعقل الصحيح قطع بأن هذه الأحكام إنما أنزلها العالم بالخفيات ، الرحيم بعباده ، الذى يعاملهم بلطفه ورحمته ، وإحسانه ، قال تعالى (وَتَمّت كلمةُ رَبك صِدْقًا وَعَدْلا)[3] أى صدقا فى الأخبار وعدلا فى الأوامر والنواهى ، وقال تعالى (الر كتابٌ أُحكمَت آياتُه ثم فُصِّلت من لَدُن حكيم خَبير)[4] أى أحكمت ألفاظه وفصلت معانيه ، وقال تعالى : (هُو الذِى أرْسلَ رَسُوله بالهُدَى ودين الحق)[5] أى العلم النافع والعمل الصالح . وهكذا روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال لكُميْل بن زياد : هو كتاب الله ، فيه خَبر ما قبلكم ، وحُكم ما بينكم ، ونبأ ما بعدكم . وقد بسطنا هذا كله فى كتابنا التفسير بما فيه كفاية ، ولله الحمد والمنة .

فالقرآن العظيم معجز من وجوه كثيرة : من فصاحته ، وبلاغته ، ونظمه ، وتراكيبه ، وأساليبه ، وما تضمنه من الأخبار الماضية والمستقبلة ، وما اشتمل عليه من الأحكام المحكمة الجلية والتحدى ببلاغة ألفاظه يخص فصحاء العرب ، والتحدى بما اشتمل عليه من المعانى الصحيحة الكاملة ـ وهى أعظم فى التحدى عند كثير من العلماء ـ يعم جميع أهل الأرض من

---

(١) من الآية : ٢٠ آخر سورة المزمل
(٢) الآيتان ٤٥ ـ ٤٦ من سورة القمر
(٣) من الآيه : ١١٥ من سورة الأنعام
(٤) أول سورة هود
(٥) من الآيه : ٢٨ من سورة الفتح

الملّيين : أهل الكتاب ، وغيرهم من عقلاء اليونان والهند والفرس والقبط ، وغيرهم من أصناف بنى آدم فى سائر الأقطار والأمصار .

وأما مَن زعم من المتكلمين أن الإعجاز إنما هو من صَرف دواعى الكفرة عن معارضته مع إنكار ذلك ، أو هو سَلْب قدرتهم على ذلك ـ فقول باطل ، وهو مفرع على اعتقادهم أن القرآن مخلوق ، خلقه الله فى بعض الأجرام ، ولا فرق عندهم بين مخلوق ومخلوق . وقولهم هذا : كفر وباطل وليس مطابقا لما فى نفس الأمر ، بل القرآن كلام الله غير مخلوق ، تكلم به كما شاء تعالى وتقدس وتنزه عما يقولون علواً كبيراً ، فالخلق كلهم عاجزون حقيقة وفى نفس الأمر عن الإتيان بمثله ولو تعاضدوا وتناصروا على ذلك ، بل لا تقدر الرسل الذين هم أفصح الخلق وأعظم الخلق وأكملهم ـ أن يتكلموا بمثل كلام الله . وهذا القرآن الذى يبلغه الرسول ﷺ عن الله ، أسلوب كلامه لا يشبه أساليب كلام رسول الله ﷺ . وأساليب كلامه عليه السلام المحفوظة عنه بالسند الصحيح إليه ـ لا يقدر أحد من الصحابة ولا من بعدهم أن يتكلم بمثل أساليبه فى فصاحته وبلاغته ، فيما يرويه من المعانى بألفاظه الشريفة . بل وأسلوب كلام الصحابة أعلى من أساليب كلام التابعين ، وهلم جرا إلى زماننا .

وعلماء السلف أفصح وأعلم ، وأقل تكلفا ، فيما يرونه من المعانى بألفاظهم ـ من علماء الخلف ، وهذا يشهده من له ذوق بكلام الناس ، كما يدرك تفاوت ما بين أشعار العرب فى زمن الجاهلية وبين أشعار المولدين الذين كانوا بعد ذلك ؛ ولهذا جاء الحديث الثابت فى هذا المعنى وهو فيما رواه الإمام أحمد قائلا : حدثنا حجاج ، ثنا ليث ، حدثنى سعيد بن أبى سعيد عن أبيه عن أبى هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : ما من الأنبياء نبى إلا قد أعطى من الآياتِ ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى أوتيت وَحْيا أوحاه الله إلىّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة . وقد أخرجه البخارى ومسلم من حديث الليث بن سعد به ، ومعنى هذا : أن الأنبياء عليهم السلام، كل منهم قد أوتى من الحجج والدلائل على صدقه وصحة ما جاء به عن ربه ـ ما فيه كفاية وحجة لقومه الذين بعث إليهم ، سواء آمنوا به ففازوا بثواب إيمانهم ، أو جحدوا فاستحقوا العقوبة . وقوله : وإنما كان الذى أوتيت ـ أى جله وأعظمه ـ الوحى الذى أوحاه إليه ، وهو القرآن ، الحجة المستمرة الدائمة القائمة فى زمانه وبعده ؛ فإن البراهين التى كانت للأنبياء انقرض زمانها فى حياتهم ، ولم يبق منها إلا الخبر عنها . وأما القرآن فهو حجة قائمة كأنما يسمعه السامع من فى رسول الله ﷺ ، فحجة الله قائمة به فى حياته عليه السلام وبعد وفاته ، ولهذا قال : فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة ؛ أى لاستمرار ما آتانى الله من الحجة البالغة والبراهين الدامغة ؛ فلهذا يكون يوم القيامة أكثر الأنبياء تبعا .

فصل

ومن الدلائل المعنوية : أخلاقه عليه السلام الطاهرة ، وخُلُقه الكامل ، وشجاعته ، وحلمه ، وكرمه وزهده وقناعته ، وإيثاره ، وجميل صحبته ، وصدقه ، وأمانته ، وتقواه وعبادته ، وكرم أصله ، وطيب مولده ومنشئه ومرباه ، كما قدمناه مبسوطا فى مواضعه ، وما أحسن ما ذكره شيخنا العلامة أبو العباس بن تَيْمِية رحمه الله فى كتابه الذى ردّ فيه على فرق النصارى واليهود وما أشبههم من أهل الكتاب وغيرهم ؛ فإنه ذكر فى آخره : دلائل النبوة ، وسلك فيها مسالك حسنة صحيحة منتجة ، بكلام بليغ يخضع له كل من تأمله وفهمه . قال فى آخر هذا الكتاب المذكور :

فصل

وسيرة الرسول ﷺ وأخلاقه وأقواله وأفعاله من آياته ؛ أى من دلائل نبوته . قال : وشريعته من آياته ، وأمته من آياته ، وعِلْم أمته من آياته ، ودينهم من آياته ، وكرامات صالحى أمته من آياته . وذلك يظهر بتدبر سيرته من حين وُلِد إلى أن بُعث ، ومن حين بُعث إلى أن مات . وتدَبُّر نسبه وبلده وأصله وفصله ؛ فإنه كان من أشرف أهل الأرض نسبا ، من صميم سلالة إبراهيم الذى جعل الله فى ذريته النبوة والكتاب ، فلم يأت بعد إبراهيم نبىّ إلا من ذريته ، وجعل الله له ابنين : إسماعيل وإسحاق ، وذكر فى التوراة هذا وهذا ، وبشر فى التوراة بما يكون من ولد إسماعيل ، ولم يكن من ولد إسماعيل مَن ظهر فيه ما بشّرت به النبوات ـ غيرُه ، ودعا إبراهيمُ لذرية إسماعيل بأن يبعث الله فيهم رسولاً منهم . ثم الرسول ﷺ من قريش صفوة بنى إبراهيم ، ثم من بنى هاشم صفوة قريش ، ومن مكة أمّ القرى وبلد البيت الذى بناه إبراهيم ودعا الناس إلى حجه ، ولم يزل محجوجا من عهد إبراهيم ، مذكورا فى كتب الأنبياء بأحسن وصف .

وكان ﷺ من أكمل الناس تربية ونشأة ، لم يزل معروفا بالصدق والبر ومكارم الأخلاق ، والعدل وترك الفواحش والظلم ، وكلّ وصف مذموم ، مشهوداً له بذلك عند جميع من يعرفه قبل النبوة ، ومن آمن به ومَنْ كفر بعد النبوة ، ولا يعرف له شىء يُعاب به ، لا فى أقواله ولا فى أفعاله ولا فى أخلاقه ، ولا جرب عليه كذبة قط ، ولا ظلم ولا فاحشة .

وقد كان ﷺ ـ خَلْقه وصُورته ـ من أحسن الصور وأتمها وأجمعها للمحاسن الدالة على كماله ، وكان أميًا من قوم أميين لا يعرف هو ولا هم ما يعرفه أهل الكتاب ، من التوراة والإنجيل ، ولم يقرأ شيئا من علوم الناس ، ولا جالس أهلها ، ولم يدّع نبوة إلى أن أكمل الله له أربعين سنة ، فأتى بأمر هو أعجب الأمور وأعظمها ، وبكلام لم يسمع الأولون والآخرون بنظيره . وأخبر بأمر

لم يكن فى بلده وقومه من يعرف مثله ، ثم اتبعه أتباع الأنبياء وهم ضعفاء الناس ، وكذّب به أهل الرياسة وعادوه ، وسعوا فى هلاكه وهلاك من اتبعه بكل طريق ، كما كان الكفار يفعلون بالأنبياء وأتباعهم . والذين اتبعوه لم يتبعوه لرغبة ولا لرهبة فإنه لم يكن عنده مال يعطيهم ولا جهات يولّيهم إياها ، ولا كان له سيف ، بل كان السيف والجاه والمال مع أعدائه ، وقد آذوا أتباعه بأنواع الأذى وهم صابرون محتسبون ، لا يرتدون عن دينهم ؛ لما خالط قلوبهم من حلاوة الإيمان والمعرفة .

وكانت مكة يحجها العرب من عهد إبراهيم فيجتمع فى الموسم قبائل العرب ، فيخرج إليهم يبلغهم الرسالة ، ويدعوهم إلى الله صابرا على ما يلقاه من تكذيب المكذب ، وجفاء الجافى ، وإعراض المعرض ، إلى أن اجتمع بأهل يثرب وكانوا جيران اليهود ، وقد سمعوا أخباره منهم وعرفوه ، فلما دعاهم علموا أنه النبى المنتظر الذى يخبرهم به اليهود ، وكانوا سمعوا من أخباره أيضا ما عرفوا به مكانته ، فإنّ أمره كان قد انتشر وظهر فى بضع عشرة سنة ، فآمنوا به وبايعوه على هجرته وهجرة أصحابه إلى بلدهم ، وعلى الجهاد معه ، فهاجر هو ومن اتبعه إلى المدينة وبها المهاجرون والأنصار ليس فيهم من آمن برغبة دنيوية ولا برهبة ، إلا قليلا من الأنصار أسلموا فى الظاهر ثم حسن إسلام بعضهم . ثم أذن له فى الجهاد ثم أمر به ، ولم يزل قائما بأمر الله على أكمل طريقة وأتمها ؛ من الصدق والعدل والوفاء لا يحفظ له كذبة واحدة ، ولا ظلم لأحد ، ولا غدر بأحد ، بل كان أصدق الناس وأعدلهم وأوفاهم بالعهد مع اختلاف الأحوال ، من حرب وسلم ، وأمن وخوف ، وغنى وفقر ، وقدرة وعجز ، وتمكن وضعف ، وقلة وكثرة ، وظهور على العدو تارة ، وظهور العدو تارة . وهو على ذلك كله لازم لأكمل الطرق وأتمها ، حتى ظهرت الدعوة فى جميع أرض العرب التى كانت مملوءة من عبادة الأوثان ، ومن أخبار الكهان ، وطاعة المخلوق فى الكفر بالخالق ، وسفك الدماء المحرمة ، وقطيعة الأرحام ، لا يعرفون آخرة ولا معادا . فصاروا أعلم أهل الأرض وأدينهم وأعدلهم وأفضلهم ، حتى إن النصارى لما رأوهم حين قدموا الشام قالوا : ما كان الذين صحبوا المسيح أفضل من هؤلاء .

وهذه آثار علمهم وعملهم فى الأرض وآثار غيرهم ، تعرف العقلاء فرق ما بين الأمرين . وهو ﷺ مع ظهور أمره ، وطاعة الخلق له ، وتقديمهم له على الأنفس والأموال . مات ولم يخلف درهما ولا دينارا ، ولا شاة ولا بعيرا ، إلا بغلته وسلاحه ودرعه مرهونة عند يهودى على ثلاثين وسقا[1] من شعير ابتاعها لأهله . وكان بيده عقار ينفق منه على أهله ، والباقى يصرفه فى مصالح المسلمين ، فحكم بأنه لا يورث ولا يأخذ ورثته شيئا من ذلك ، وهو فى كل وقت يظهر من عجائب الآيات وفنون الكرامات ما يطول وصفه ، ويخبرهم بما كان وما يكون ،

(١) الوسق : ستون صاعا ، أو حمل بعير ، والصاع : خمسة أرطال وثلث عند أهل الحجاز

ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحلّ لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث ، ويشرع الشريعة شيئاً بعد شيء ، حتى أكمل الله دينَه الذى بعثه به ، وجاءت شريعته أكملَ شريعة ، لم يبق معروف تَعرِف العقولُ أنه معروف إلا أمر به ، ولا منكر تعرف العقول أنه منكر إلا نهى عنه . لم يأمر بشيء فقيل : ليته لم يأمر به ، ولا نهى عن شيء فقيل : ليته لم ينه عنه وأحلّ لهم الطيبات ـ لم يحرم منها شيئاً كما حُرم فى شريعة غيره ، وحرم الخبائث ـ لم يحل منها شيئاً كما استحل غيره .

وجمع محاسن ما عليه الأمم ، فلا يُذكر فى التوراة والإنجيل والزّبور نوعٌ من الخبر عن الله وعن الملائكة ، وعن اليوم الآخر ـ إلا وقد جاء به على أكمل وجه . وأخبر بأشياء ليست فى الكتب ، وليس فى الكتب إيجاب لعدل وقضاء بفضل ، ونَدب إلى الفضائل وترغيب فى الحسنات ـ إلا وقد جاء به ، وبما هو أحسن منه . وإذا نظر اللبيب فى العبادات التى شرعها وعبادات غيره من الأمم ـ ظهر له فضلها ورجحانها ، وكذلك فى الحدود والأحكام وسائر الشرائع . وأمته أكمل الأمم فى كل فضيلة ، وإذا قيس عِلْمُهم بعلم سائر الأمم ظهرَ فضل علمهم ، وإن قيس دينهم وعبادتهم وطاعتهم لله بغيرهم ـ ظهر أنهم أدين من غيرهم ، وإذا قيس شجاعتهم وجهادهم فى سبيل الله ، وصبرهم على المكاره فى ذات الله ـ ظهر أنهم أعظم جهادا وأشجع قلوبا . وإذا قيس سخاؤهم وبِرّهم وسَماحة أنفسهم بغيرهم ـ ظهر أنهم أسخى وأكرم من غيرهم .

وهذه الفضائل به نالوها ، ومنه تعلموها ، وهو الذى أمرهم بها . لم يكونوا قبله متبعين لكتاب جاء هو بتكميله ، كما جاء المسيح بتكميل شريعة التوراة ، فكانت فضائل أتباع المسيح وعلومهم ؛ بعضها من التوراة ، وبعضها من الزبور ، وبعضها من النبوات ، وبعضها من المسيح ، وبعضها ممن بعده من الحواريين ومن بعض الحواريين ، وقد استعانوا بكلام الفلاسفة وغيرهم حتى أدخلوا ـ لمّا غيروا من دين المسيح ـ فى دين المسيح أمورا من أمور الكفار المناقضة لدين المسيح . وأما أمة محمد ﷺ فلم يكونوا قبله يقرءون كتابا ، بل عامتهم ما آمنوا بموسى وعيسى وداود والتوراة والإنجيل والزبور إلا من جهته . وهو الذى أمرهم أن يؤمنوا بجميع الأنبياء ، ويقروا بجميع الكتب المنزلة من عند الله ، ونهاهم عن أن يفرقوا بين أحد من الرسل ، فقال تعالى فى الكتاب الذى جاء به : ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1] . وقال تعالى :

(١) الآيتان : ١٣٦ ـ ١٣٧ من سورة البقرة

(آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ، وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ، غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ)[1] الآية .

وأمته عليه السلام لا يستحلون أن يُوجدوا شيئا من الدين غير ما جاء به ، ولا يبتدعون بدعةً ما أنزل الله بها من سلطان ، ولا يشرعون من الدين مالم يأذن به الله ، لكن ما قصّه عليهم من أخبار الأنبياء وأممهم ـ اعتبروا به ، وما حدثهم أهل الكتاب موافقا لما عندهم ـ صدقوه ، وما لم يعلم صدقه ولا كذبه ـ أمسكوا عنه ، وما عرفوا بأنه باطل ـ كذبوه ، ومن أدخل فى الدين ما ليس منه من أقوال مُتفلسفة الهند والفرس واليونان أو غيرهم ـ كان عندهم من أهل الإلحاد والابتداع . وهذا هو الدين الذى كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون ، وهو الذى عليه أئمة الدين الذين لهم فى الأمة لسان صدق ، وعليه جماعة المسلمين وعامتهم . ومن خرج عن ذلك كان مذموما مدحورا عند الجماعة ، وهو مذهب أهل السنة والجماعة ، الظاهرين إلى قيام الساعة ، الذين قال فيهم رسول الله ﷺ : « لا تزالُ طائفةٌ من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرُّهم مَنْ خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة » .

وقد يتنازع بعض المسلمين مع اتفاقهم على هذا الأصل الذى هو دينُ الرسل عموما ، ودينُ محمد ﷺ خصوصا . ومن خالف فى هذا الأصل كان عندهم مُلحدا مذموما ، ليسوا كالنصارى الذين ابتدعوا دينا ما قام به أكابر علمائهم وعبادهم وقاتل عليه ملوكهم ، ودان به جمهورهم . وهو دين مُبتدَع ليس هو دينَ المسيح ، ولا دين غيره من الأنبياء ، والله سبحانه أرسل رُسله بالعلم النافع ، والعمل الصالح ، فمن اتبع الرُّسل حَصَل له سعادة الدنيا والآخرة ، وإنما دخل فى البدع مَنْ قصّر فى اتباع الأنبياء علما وعملا .

ولما بعث الله محمدا ﷺ بالهدى ودين الحق ، تلقى ذلك عنه المسلمون من أمته ، فكل علم نافع وعمل صالح عليه أمة محمد ـ أخذوه عن نبيهم ، كما ظهر لكل عاقل أن أمّته أكمل الأمم فى جميع الفضائل : العلمية والعملية . ومعلوم أن كلّ كمال فى الفرع المتعلّم هو فى الأصل المعلّم وهذا يقتضى أنه عليه السلام كان أكمل الناس علما ودينا .

وهذه الأمور توجب العلم الضرورى بأنه كان صادقا فى قوله : (إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ

---

(1) الآيتان : ٢٨٥ ـ ٢٨٦ من آخر سورة البقرة .

إِلَيْكُمْ جَمِيعًا)[1] لم يكن كاذبا مفتريا ؛ فإن هذا القول لا يقوله إلا من هو من خيار الناس وأكملهم ، إن كان صادقا أو من هو من أشر الناس وأخبثهم إن كان كاذبا ، وما ذكر من كمال علمه ودينه يناقض الشر والخبث والجهل ، فتعين أنه متصف بغاية الكمال فى العلم والدين ، وهذا يستلزم أنه كان صادقا فى قوله : (إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) لأن الذى لم يكن صادقا : إما أن يكون متعمداً للكذب أو مخطئا ، والأول يوجب أنه كان ظالما غاويا ، والثانى يقتضى أنه كان جاهلا ضالا ، ومحمد ﷺ كان علمهُ ينافى جهله ، وكمالُ دينه ينافى تعمُّد الكذب ، فالعلم بصفاته يستلزم العلم بأنه لم يكن يتعمد الكذب ولم يكن جاهلا يكذب بلا علم ، وإذا انتفى هذا وذاك تعين أنه كان صادقا عالما بأنه صادق ، ولهذا نزهه الله عن هذين الأمرين بقوله تعالى : (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)[2] وقال تعالى عن الملك الذى جاء به : (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ) ثم قال عنه : (وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ * وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ * فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ)[3] وقال تعالى : (وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)[4] إلى قوله : (هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ)[5] . بين سبحانه أن الشيطان إنما يَنْزِل على من يناسبه ، ليحصل به غرضه ، فإن الشيطان يقصد الشر ، وهو الكذب والفجور ، ولا يقصد الصدق والعدل ، فلا يقترن إلا بمن فيه كذب إما عمدا ، وإما خطأ وفجورا أيضا فإن الخطأ فى الدين هو من الشيطان أيضا . كما قال ابن مسعود لما سئل عن مسألة : أقول فيها برأيي ، فإن يكن صوابا فمن الله ، وإن يكن خطأ فمنى ، ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه ، فإنَّ رسول الله برىء من تنزل الشياطين عليه فى العمد والخطأ ، بخلاف غير الرسول ، فإنه قد يخطىء ويكون خطؤه من الشيطان ، وإن كان خطؤه مغفورا له . فإذا لم يعرف له خبرا أخبر به كان فيه مُخطئا ، ولا أمرا أمر به كان فيه فاجرا ، علم أن الشيطان لم ينزل عليه وإنما ينزل عليه ملك كريم .

---

(١) من الآية : ١٥٨ من سورة الأعراف . (٢) الآيات : ١ ـ ٤ من أول سورة النجم .
(٣) الآيات : ١٩ ـ ٢٧ من سورة التكوير .
(٤) الآيات : ١٩٢ ـ ١٩٥ من سورة الشعراء .
(٥) الآيات : ٢٢١ ـ ٢٢٣ من السورة نفسها .

ولهذا قال في الآية الأخرى عن النبي : (إنَّه لَقولُ رَسُولٍ كريم * وما هوَ بقولِ شاعرٍ قليلاً ما تُؤمنون * ولا بِقَولِ كاهنٍ قليلاً ما تَذَكَّرون * تنزيلٌ مِنْ رَبِّ العالمين)[1] . انتهى ما ذكره ، وهذا عين ما أورده بحروفه .

باب : وأما دلائل النبوة الحسية - أعني المشاهدة بالأبصار - فسماوية ، وأرضية

ومن أعظم ذلك كلِّه انشقاق القمر المنير فرقتين ، قال الله تعالى : (اقتَرَبَتِ الساعةُ وانشَقَّ القَمر * وإن يَرَوْا آيةً يُعْرِضوا وَيقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِر * وكَذَّبوا واتَّبَعوا أهْواءهم وكُلُّ أمْرٍ مُستقِر * ولقد جَاءهمُ من الأنْباء ما فيه مُزْدَجَر * حِكمَةٌ بالِغةٌ فما تُغنِي النُّذُر)[2] . وقد اتفق العلماء مع بقية الأئمة على أن انشقاق القمر كان في عهد رسول الله ﷺ ، وقد وردت الأحاديث بذلك من طرق تُفيد القَطع عند الأمة :

رواية أنس بن مالك — قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، ثنا معمر عن قتادة عن أنس قال : سأل أهل مكة النبي ﷺ آية ، فانشق القمر بمكة فرقتين ، فقال : (اقتَرَبَت السَّاعَةُ وانشَقَّ القَمر) . ورواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق . وقال البخاري : حدثني عبد الله ابن عبد الوهاب ، ثنا بشر بن المفضل ، ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك ، أن أهل مَكة سألوا رسول الله ﷺ أن يُريَهم آية ، فأراهم القمر شِقَّين ، حتى رأوا حِرَاء بينهما . وأخرجاه في الصحيحين من حديث شيبان عن قتادة ، ومسلم من حديث شعبة عن قتادة .

رواية جبير بن مطعم — قال أحمد : حدثنا محمد بن كثير ، ثنا سليمان بن بكير ، عن حصين ابن عبد الرحمن ، عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : انشقَّ القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فِرقتين : فرقة على هذا الجبل ، وفرقةٌ على هذا الجبل ، فقالوا : سَحَرَنا محمد ، فقالوا : إن كان سحرنا فإنه لا يستطيع أن يسحر الناسَ . تفرد به أحمد ، ورواية ابن جرير والبيهقي من طرق ، عن حصين بن عبد الرحمن به .

رواية حُذيفة بن اليمان — قال أبو جعفر بن جرير : حدثني يعقوب ، حدثني ابن علية ، أنا عطاء بن السائب ، عن أبي عبد الرحمن السلمي قال : نزلنا المدائن فكنَّا منها على فَرْسخ ، فجاءت الجمُعة فحضر أبي وحضرت معه ، فخطبنا حُذيفة فقال : إن الله تعالى يقول : (اقتَرَبت الساعةُ وانشَقَّ القَمَرْ) ، ألاَ وإنَّ الساعة قد اقتربت ، ألاَ وإنَّ القمر قد انشق ، ألاَ وإنَّ الدنيا

---

(١) الآيات : ٤٠ - ٤٣ من سورة الحاقة (٢) الآيات : ١ - ٥ من أول سورة القمر

قد آذنت بفراق ، ألاَ وإنّ اليوم المضمار وغداً السّباق . فقلت لأبى : أتستبقُ الناس غداً ؟ فقال : يا بنى إنك لجاهل ؛ إنما هُو السّباق بالأعمال ، ثم جاءت الجمعة الأخرى فحضرها فخطب حُذيفة ، فقال : ألا إنّ الله يقول : (اقْتربَت الساعةُ وانشقّ القَمر) ألا وإنّ الدنيا قد آذنت بفراق . ورواه أبو زرعة الرازى فى كتاب دلائل النبوة من غير وجه ، عن عطاء بن السائب ، عن أبى عبد الرحمن عن حذيفة ، فذكر نحوه ، وقال : ألا وإنّ القمر قد انشق على عهد رسول الله ﷺ الا وإنّ اليوم المضمار وغداً السّباق . ألا وإن الغاية النار ، والسابق من سَبق إلى الجنة .

رواية عبد الله بن عباس — قال البخارى : ثنا يحيى بن بكير ، ثنا بكر عن جعفر عن عراك ابن مالك ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال : انشقّ القمر فى زمان النبى ﷺ ورواه البخارى أيضا ومسلم من حديث بكر بن مضر عن جعفر بن ربيعة به .

(طريق أخرى عنه) قال ابن جرير : ثنا ابن مثنى ، ثنا عبد الأعلى ، ثنا داود بن أبى هند عن على بن أبى طالحة ، عن ابن عباس فى قوله : (اقتربَت الساعةُ وانشقّ القمر * وإنْ يَروْا آيةً يُعْرِضوا وَيقولُوا سِحْرٌ مُستَمر) قال : قد مضى ذلك ، كان قبلَ الهجرة انشق القمر حتى رأوا شِقَّيه . وروى العَوفى عن ابن عباس نحواً من هذا . وقد روى من وجه آخر عن ابن عباس ، فقال أبو القاسم الطبرانى : ثنا أحمد بن عمرو البزار ، ثنا محمد بن يحيى القطيعى ، ثنا محمد بن بكير ، ثنا ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال : كسِف القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا : سُحِر القمر ، فنزلت : (اقتربَت الساعةُ وانشقّ القمر * وإن يَروْا آيةً يُعرِضُوا وَيقُولُوا سِحْرٌ مُستَمِر) وهذا سياق غريب ، وقد يكون حصل للقمر مع انشقاقه كسوف ، فيدل على أن انشقاقه إنما كان فى ليالى إبداره ، والله أعلم .

رواية عبد الله بن عمر بن الخطاب — قال الحافظ أبو بكر البيهقى : أنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضى قالا : ثنا أبو العباس الأصم ، ثنا العباس بن محمد الدورى : ثنا وهب بن جرير ، عن شعبة عن الأعمش عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب فى قوله : (اقتربَت الساعةُ وانشقّ القمَر) ، قال : وقد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ انشق فلقتين : فلقةٌ من دون الجبل ، وفلقة من خلف الجبل فقال رسول الله ﷺ : « اللهم اشهد » وهكذا رواه مسلم والترمذى من طرق عن شعبة عن الأعمش عن مجاهد ، قال مسلم : كرواية مجاهد عن أبى معمر عن ابن مسعود ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

زواية عبد الله بن مسعود — قال الإمام أحمد : ثنا سفيان عن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين حتى نظروا إليه ، فقال رسول الله ﷺ : «اشهدوا» . ورواه البخاري ومسلم من حديث سفيان بن عيينة ، وأخرجاه من حديث الأعمش ، عن إبراهيم عن أبي معمر — عبد الله بن سخبرة ، عن ابن مسعود به . قال البخاري : وقال أبو الضحى عن مسروق عن عبد الله بمكة . وهذا الذي علقه البخاري قد أسنده أبو داود الطيالسي في مسنده ، فقال : حدثنا أبو عوانة عن المغيرة عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالت قريش : هذا سحرُ ابن أبي كَبْشة ، قال : فقالوا : انظروا ما يأتينا به السفّار ، فإن محمداً لا يستطيع أن يَسحر الناسَ كلَّهم ، قال : فجاء السُّفّار فقالوا ذلك .

وروى البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن ابن عباس الدوري عن سعيد بن سليمان عن هشام عن مغيرة عن أبي الضحى ، عن مسروق عن عبد الله قال : انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين ، فقالت كفار قريش أهل مكة : هذا سحرٌ سَحَركم به ابنُ أبي كبشة ، انظروا المسافرين ، فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صَدَق ، وإن كانوا لم يروا ما رأيتم فهو سِحرٌ سحركم به ، قال : فسُئِل السُّفار — وقدموا من كل وجه — فقالوا : رأيناه . ورواه ابن جرير من حديث المغيرة ، وزاد : فأنزل الله : (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) . وقال الإمام أحمد : حدثنا مؤمل عن إسرائيل عن سماك عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله قال : انشقّ القمر على عَهد رسول الله ﷺ حتى رأيت الجَبَل بين فرقَتي القمر . وروى ابن جرير عن يعقوب الدوري عن ابن علية عن أيوب عن محمد ابن سيرين قال : نُبئت أن ابن مسعود كان يقول : لقد انشق القمر ، ففي صحيح البخاري عن ابن مسعود أنه كان يقول : خمس قد مضَين : الروم ، واللزام[1] ، والبطشة ، والدخان ، والقمر ، وفي حديث طويل عنه مذكور في تفسير سورة الدخان .

وقال أبو زرعة في الدلائل : حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي ، حدثنا الوليد ، عن الأوزاعي عن أبي بكير قال : انشق القمر بمكة والنبي ﷺ قبل الهجرة نخر شِقّتين ، فقال المشركون : سَحَره ابن أبي كَبْشة ، وهذا مرسل من هذا الوجه . فهذه طرق عن هؤلاء الجماعة من الصحابة ، وشهرة هذا الأمر تغني عن إسناده مع وروده في الكتاب العزيز .

(١) اللزام : الموت والهلاك ، وقيل هو يوم بدر . والبطشة : هي يوم بدر في رأى ابن مسعود . والدخان هو : ما رأته قريش حين تطلعت إلى السماء وقد أصابها الجوع والجهد وأكلوا الميتة والعظام لما دعا عليهم الرسول بسنين كسني يوسف .

وما يذكره بعض القصاص من أن القمر دخل فى جيب النبى ﷺ وخرج من كمه ، ونحو هذا الكلام فليس له أصل يعتمد عليه ، والقمر فى حال انشقاقه لم يزايل السماء بل انفرق باثنتين ، وسارت إحداهما حتى صارت وراء جبل حراء ، والأخرى من الناحية الأخرى ، وصار الجبل بينهما ، وكلتا الفرقتين فى السماء وأهل مكة ينظرون إلى ذلك . وظن كثير من جهلتهم أن هذا شىء سُحِّرت به أبصارهم ، فسألوا من قدم عليهم من المسافرين ، فأخبروهم بنظير ما شاهدوه ، فعلموا صحة ذلك وتيقنوه . فإن قيل : فلم لم يعرف هذا فى جميع أقطار الأرض ؟ فالجواب : ومن ينفى ذلك ؟ ولكن تطاول العهد والكفرة يجحدون بآيات الله ، ولعلهم لما أخبروا أن هذا كان آية لهذا النبى المبعوث ـ تداعت آراؤهم الفاسدة على كتمانه وتناسيه ، على أنه قد ذكر غير واحد من المسافرين أنهم شاهدوا هيكلا بالهند مكتوبا عليه : أنه بُنى فى الليلة التى انشق القمر فيها . ثم لما كان انشقاق القمر ليلا قد يخفى أمره على كثير من الناس لأمور مانعة من مشاهدته فى تلك الساعة ، من غيوم متراكمة كانت تلك الليلة فى بلدانهم ، ولنوم كثير منهم ، أو لعله كان فى أثناء الليل حيث ينام كثير من الناس وغير ذلك من الأمور ، والله أعلم . وقد حرّرنا هذا فيما تقدم فى كتابنا التفسير .

فأما حديث رد الشمس بعد مغيبها ، فقد أنبأنى شيخنا المسند الرحلة بهاء الدين القاسم بن المظفر بن تاج الأمناء بن عساكر قال : أخبرنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عساكر المشهور بالنسابة ، قال : أخبرنا أبو المظفر بن القشيرى ، وأبو القاسم المستملى قالا : ثنا أبو عثمان البحيرى ، أنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن الحسين الدانقانى بها ، أنا محمد بن أحمد بن محبوب . وفى حديث ابن القشيرى : ثنا أبو العباس المحبوبى ، ثنا سعيد بن مسعود ح ، قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر : أنا أبو الفتح الماهانى ، أنا شجاع بن على ، أنا أبو عبد الله بن منده ، أنا عثمان بن أحمد النسى ، أنا أبو أمية محمد بن إبراهيم قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ، ثنا فضيل بن مرزوق عن إبراهيم بن الحسن . زاد أبو أمية بن الحسن : عن فاطمة بنت الحسين عن أسماء بنت عميس قالت : كان رسول الله ﷺ يوحى إليه ورأسه فى حجر علىّ ، فلم يصلّ العصر حتى غربت الشمس ، فقال رسول الله ﷺ صليت العصر ؟ وقال أمية : صليت يا على ؟ قال : لا ، قال رسول الله ﷺ : وقال أبو أمية : فقال النبى ﷺ : اللهم إنه كان فى طاعتك وطاعة نبيك وقال أبو أمية : رسولك ، فاردد عليه الشمس ، قالت أسماء : فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت .

وقد رواه الشيخ أبو الفرج بن الجوزى فى الموضوعات من طريق أبى عبد الله بن منده كما تقدم ومن طريق أبى جعفر العقيلى : ثنا أحمد بن داود ، ثنا عمار بن مطر ، ثنا فضيل بن مرزوق فذكره ، ثم قال : وهذا حديث موضوع ، وقد اضطرب الرواة فيه ، فرواه سعيد بن مسعود عن عبيد الله بن موسى ، عن فضيل بن مرزوق عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ، عن على

ابن الحسن عن فاطمة بنت عليّ عن أسماء . وهذا تخليط فى الرواية . قال : وأحمد بن داود ليس بشيء ، قال الدار قطنى: متروك كذاب ، وقال ابن حِبان كان يضع الحديث . وعمار بن مطر قال فيه العقيلى : كان يحدث عن الثقات بالمناكير ، وقال ابن عدى : متروك الحديث قال : وفضيل بن مرزوق قد ضعفه يحيى ، وقال ابن حبان : يروى الموضوعات ويخطىء عن الثقات . وبه قال الحافظ بن عساكر . قال : وأخبرنا أبو محمد عن طلوس ، أنا عاصم بن الحسن أنا أبو عمرو بن مهدى ، أنا أبو العباس بن عقدة ، ثنا أحمد بن يحيى الصوفى ، حدثنا عبد الرحمن بن شريك ، حدثنى أبى عن عروة بن عبد الله بن قشير قال : دخلت على فاطمة بنت على فرأيت فى عنقها خَرَزة ، ورأيت فى يديها مَسَكتين(١) غليظتين — وهى عجوز كبيرة — فقلت لها: ما هذا ؟ فقالت : إنه يكره للمرأة أن تتشبه بالرجال . ثم حدثتنى أن أسماء بنت عميس حدثتها ، أن على بن أبى طالب دفع إلى النبى ﷺ وقد أوحى إليه فجلله بثوبه ، فلم يزل كذلك حتى أدبرت الشمس يقول : غابت أو كادت أن تغيبَ ، ثم إن نبىَ الله ﷺ سُرّى عنه فقال : أصليت ياعلى؟ قال: لا ، فقال النبى ﷺ: ردّ على علىّ الشمس، فرجعت حتى بلغت نصف المسجد: قال عبد الرحمن : وقال أبى حدثنى موسى الجهنى نحوه : ثم قال الحافظ ابن عساكر : هذا حديث منكر ، وفيه غير واحد من المجاهيل .

وقال الشيخ أبو الفرج بن الجوزى فى الموضوعات : وقد روى ابن شاهين هذا الحديث عن ابن عقدة فذكره ، ثم قال : وهذا باطل ، والمتهم به ابن عقدة ، فإنه كان رافضيا يحدث بمثالب الصحابة ، قال الخطيب : ثنا على بن محمد بن نصر ، سمعت حمزة بن يوسف يقول : كان ابن عقدة بجمع بَراثا(٢) يملى مثالب الصحابة أو قال : الشيخين فتركته ، وقال الدار قطنى : كان ابن عقدة رجل سوء ، وقال ابن عدى : سمعت أبا بكر بن غالب يقول : ابن عقدة لا يتدين بالحديث ، لأنه كان يحمل شيوخا بالكوفة على الكذب فيسوّى لهم نسخا ويأمرهم أن يرووها ، وقد بيّنا كذبه من غير ، شيخ بالكوفة . وقال الحافظ أبو بشر الدولابى فى كتابه [الذرية الطاهرة] : حدثنا إسحاق بن يونس ، ثنا سويد بن سعيد، ثنا المطلب بن زياد عن إبراهيم بن حبان عن عبد الله بن حسن ، عن فاطمة بنت الحسين عن الحسين قال : كان رأس رسول الله ﷺ فى حجر علىّ وهو يوحَى إليه فذكر الحديث بنحو ما تقدم. وإبراهيم بن حبان هذا تركه الدارقطنى وغيره . وقال محمد بن ناصر البغدادى الحافظ : هذا الحديث موضوع ، قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبى : وصدق ابن ناصر . وقال ابن الجوزى : وقد رواه ابن مردويه من طريق حديث داود بن واهج عن أبى هريرة قال: نام رسول الله ﷺ ورأسه فى حجر علىّ

(١) المسكة بالتحريك السوار من القرون والعاج

(٢) جامع براثى : جامع مشهور ببغداد .

ولم يكن صلى العصر حتى غربت الشمس ، فلما قام رسول الله دعا له فردّت عليه الشمس حتى صلى ثم غابت ثانية . ثم قال : وداود ضعفه شعبة ، ثم قال ابن الجوزى : ومن تغفيل واضع هذا الحديث، أنه نظر إلى صورة فضله ولم يتلمح عدم الفائدة ، فإن صلاة العصر بغيبوبة الشمس صارت قضاء فرجوع الشمس لا يعيدها أداء .

وفى الصحيح عن رسول الله ﷺ : أن الشمس لم تُحبس على أحد إلا ليوشع . قلت : هذا الحديث ضعيف ومنكر من جميع طرقه ، فلا تخلو واحدة منها عن شيعى ، ومجهول الحال ، وشيعى ومتروك . ومثل هذا الحديث لا يقبل فيه خبر واحد إذا اتصل سنده ، لأنه من باب ما تتوافر الدواعى على نقله ، فلا بد من نقله بالتواتر والاستفاضة لا أقل من ذلك .

ونحن لا ننكر هذا فى قدرة الله تعالى ، وبالنسبة إلى جناب رسول الله ﷺ ، فقد ثبت فى الصحيح أنها رُدّت ليوشع بن نون ، وذلك يوم حاصر بيت المقدس ، واتفق ذلك فى آخر يوم الجمعة وكانوا لا يقاتلون يوم السبت ، فنظر إلى الشمس وقد تنصفت للغروب فقال : إنّك مأمورة ، وأنا مأمور . اللهم احبسها علىّ ، فحبسها الله عليه حتى فتحوها ، ورسول الله ﷺ أعظم جاهاً وأجلّ منصباً وأعلى قدراً من يُوشع بن نون ، بل من سائر الأنبياء على الإطلاق ، ولكن لا نقول إلا ما صح عندنا ولا نسند إليه ما ليس بصحيح ، ولو صح لكنا من أول القائلين به . والمعتقدين له ، وبالله المستعان .

وقال الحافظ أبو بكر محمد بن حاتم بن زنجويه البخارى فى كتابه [إثبات إمامة أبى بكر الصديق] : فإن قال قائل من الروافض : إن أفضل فضيلة لأبى الحسن وأدل دليل على إمامته ، ما روى عن أسماء بنت عُميس قالت : كان رسول الله ﷺ يُوحَى إليه ورأسه فى حجر علىّ ابن طالب ، فلم يصل العصر حتى غربت الشمس ، فقال رسول الله ﷺ لعلىّ : صليت ؟ قال : لا ، فقال رسول الله : اللهم إنه كان فى طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس ، قالت أسماء : فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت . قيل له : كيف لنا لو صح هذا الحديث فنحتج على مخالفيه من اليهود والنصارى؟ ولكن الحديث ضعيف جداً لا أصل له، وهذا مما كسبت أيدى الروافض ولو ردت الشمس بعد ما غربت لرآها المؤمن والكافر ، ونقلوا إلينا أنه فى يوم كذا من شهر كذا فى سنة كذا ردت الشمس بعد ما ربت . ثم يقال للروافض: أيجوز أن ترد الشمس لأبى الحسن حين فاتته صلاة العصر ، ولا ترد لرسول الله ولجميع المهاجرين والأنصار وعلىّ فيهم ، حين فاتتهم صلاة الظهر والعصر والمغرب يوم الخندق ؟ . قال : وأيضا مرة أخرى عرّس رسول الله ﷺ بالمهاجرين والأنصار حين قفل من غزوة خيبر ، فذكر نومهم عن صلاة الصبح وصلاتهم لها بعد طلوع الشمس ، قال : فلم يرد الليل على رسول الله وعلى أصحابه . قال : ولو كان هذا فضلا أعطيه رسول الله ، وما كان الله ليمنع رسوله شرفا وفضلا ــ يعنى أعطيه على بن أبى طالب ــ ثم قال :

وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني : قلت لمحمد بن عبيد الطنافسي ما تقول فيمن يقول : رجعت الشمس على عليّ بن أبي طالب حتى صلّى العصر ؟ فقال : من قال هذا فقد كذب . وقال إبراهيم ابن يعقوب : سألت يعلى بن عبيد الطنافسي قلت : إن ناسا عندنا يقولون : إن عليًا وصى رسول الله ﷺ ورجعت عليه الشمس ، فقال : كذب هذا كله

فصل في إيراد طرق هذا الحديث من أماكن متفرقة

وقد جمع فيه أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن أحمد الحسكاني جزءا وسماه : مسألة في تصحيح رد الشمس وترغيم النواصب الشمس .

وقال : قد روى ذلك من طريق أسماء بنت عميس ، وعليّ بن أبي طالب ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري . ثم رواه من طريق أحمد بن صالح ، وأحمد بن الوليد الأنطاكي ، والحسن بن داود — ثلاثتهم عن محمد بن إسماعيل بن أبي فديك ، وهو ثقة ، أخبرني محمد بن موسى الفطري المدني وهو ثقة أيضاً ، عن عون بن محمد ، قال : وهو ابن محمد بن الحنفية ، عن أمه أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب ، عن جدتها أسماء بنت عميس ، أن رسول الله ﷺ صلى الظهر بالصهباء من أرض خيبر ، ثم أرسل عليًا في حاجة فجاء وقد صلّى رسول الله العصر ، فوضع رأسه في حجر عليّ ولم يحركه حتى غربت الشمس ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم إن عبدك عليًا احتبس نفسه على نبيه فرد عليه شرقها ، قالت أسماء : فطلعت الشمس حتى رفعت على الجبال فقام عليّ فتوضأ وصلى العصر ثم غابت الشمس .

وهذا الإسناد فيه من يجهل حاله ، فإن عونا هذا وأمه ، لا يعرف أمرهما بعدالة وضبط يُقبل بسببها خبرُهما فيما هو دون هذا المقام ، فكيف يثبت بخبرهما هذا الأمرُ العظيم الذي لم يروه أحد من أصحاب الصحاح ولا السنن ولا المسانيد المشهورة ؟ فالله أعلم . ولا ندري أسمعت ؟ أم هذا من جدتها أسماء بنت عميس ؟ أم لا ؟ ثم أورده هذا المص من طريق الحسين بن الحسن الأشقر — وهو شيعي جلد وضعفه غير واحد — عن الفضيل بن مرزوق عن إبراهيم بن الحسين بن الحسن ، عن فاطمة بنت الحسين الشهيد عن أسماء بنت عميس فذكر الحديث . قال وقد رواه عن فضيل بن مرزوق جماعة ، منهم : عبيد الله بن موسى . ثم أورده من طريق أبي جعفر الطحاوي من طريق عبد الله . وقد قدمنا روايتنا له من حديث سعيد بن مسعود وأبي أمية الطرسوسي ، عن عبيد الله ابن موسى العبسي — وهو من الشيعة . ثم أورده هذا المص من طريق أبي جعفر العقيلي ، عن أحمد ابن داود ، عن عمار بن مطر ، عن فضيل بن مرزوق ، والأغر الرقاشي — ويقال الرواسي ، أبو عبد

الرحمن الكوفى ـ مولى بنى عنزة ، وثقه الثوري ، وابن عيينة ، وقال أحمد: لا أعلم إلا خيراً ، وقال ابن معين : ثقة ، وقال مرة : صالح ولكنه شديد التشييع ، وقال مرة : لا بأس به ، وقال أبو حاتم : صدوق صالح الحديث يهم كثيراً يكتب حديثه ولا يحتج به . وقال عثمان بن سعيد الدارمى : يقال : إنه ضعيف ، وقال النسائى : ضعيف ، وقال ابن عدى : أرجو أن لا بأس به . وقال ابن حبان : منكر الحديث جداً كان يخطىء على الثقات ويروى عن عطية الموضوعات . وقد روى له مسلم وأهل السنن الأربعة . فمن هذه ترجمته لا يتهم بتعمد الكذب ، ولكنه قد يتساهل ولا سيما فيما يوافق مذهبه فيروى عمن لا يعرفه ، أو يحسن به الظن ، فيدلس حديثه ويسقطه ويذكر شيخه . ولهذا قال فى هذا الحديث الذى يجب الاحتراز فيه وتوقى الكذب فيه : «عن» ـ بصيغة التدليس ، ولم يأت بصيغة التحديث ، فلعل بينهما من يجهل أمره . على أن شيخه هذا ـ إبراهيم بن الحسن بن على بن أبى طالب ـ ليس بذلك المشهور فى حاله ، ولم يرو له أحد من أصحاب الكتب المعتمدة ، ولا روى عنه غير الفضيل بن مرزوق هذا ويحيى بن المتوكل قاله أبو حاتم وأبو زرعة الرازيان ولم يتعرضا لجرح ولا تعديل .

وأما فاطمة بنت الحسين بن على بن أبى طالب ـ وهى أخت زين العابدين ـ فحديثها مشهور روى لها أهل السنن الأربعة ، وكانت فيمن قدم بها مع أهل البيت بعد مقتل أبيها إلى دمشق ، وهى من الثقات ، ولكن لا يدرى أسمعت هذا الحديث من أسماء أم لا ؟ فالله أعلم .

ثم رواه هذا المصنف من حديث أبى حفص الكتانى : ثنا محمد بن عمر القاضى ـ هو الجعابى ، حدثنا محمد بن القاسم بن جعفر العسكرى من أصل كتابه ، ثنا أحمد بن محمد بن يزيد بن سليم ، ثنا خلف بن سالم ، ثنا عبد الرزاق ، ثنا سفيان الثورى [عن أشعث أبى الشعثاء عن أمه عن فاطمة ـ يعنى بنت الحسين] عن أسماء ، أن رسول الله ﷺ دعا لعلى حتى ردت عليه الشمس ، وهذا إسناد غريب جداً ، وحديث عبد الرزاق وشيخه الثورى محفوظ عند الأئمة لا يكاد يترك منه شىء من المهمات . فكيف لم يرو عن عبد الرزاق مثل هذا الحديث العظيم ـ إلا خلف بن سالم بما قبله من الرجال الذين لا يعرف حالهم فى الضبط والعدالة كغيرهم ؟ ثم إن أم أشعث مجهولة ، فالله أعلم .

ثم ساقه هذا المص من طريق محمد بن مرزوق ، ثنا حسين الأشقر ـ وهو شيعى وضعيف كما تقدم ـ عن على بن هاشم بن البريد ـ وقد قال فيه ابن حبان : كان غاليا فى التشيع يروى المناكير عن المشاهير ـ عن عبد الرحمن ابن عبد الله بن دينار ، عن على ، عن على بن الحسين بن الحسن ، عن فاطمة بنت على عن أسماء بنت عميس فذكره ، وهذا إسناد لا يثبت .

ثم أسنده من طريق عبد الرحمن بن شريك عن أبيه عن عروة بن عبد الله عن فاطمة بنت علي عن أسماء بنت عميس، فذكر الحديث كما قدمنا إيراده من طريق ابن عقدة عن أحمد بن يحيى الصوفي، عن عبد الرحمن بن شريك عن عبد الله النخعي : وقد روى عنه البخاري في كتاب الأدب، وحدث عنه جماعة من الأئمة، وقال فيه أبو حاتم الرازي : كان واهي الحديث، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات و [قال] : ربما أخطأ . وأرخ ابن عقدة وفاته سنة سبع وعشرين ومائتين، وقد قدمنا أن الشيخ أبا الفرج بن الجوزي قال : إنما اتهم بوضعه أبا العباس بن عقدة، ثم أورد كلام الأئمة فيه بالطعن والجرح، وأنه كان يسوي النسخ للمشايخ فيرويهم إياها، والله أعلم.

قلت : في سياق هذا الاسناد عن أسماء، أن الشمس رجعت حتى بلغت نصف المسجد، وهذا يناقض ما تقدم من أن ذلك كان بالصهباء من أرض خيبر، ومثل هذا يوجب توهين الحديث وضعفه والقدح فيه . ثم سرده من حديث محمد بن عمر القاضي الجعابي : ثنا علي بن العباس بن الوليد، ثنا عبادة بن يعقوب الرواجي، ثنا علي بن هاشم، عن صباح عن عبد الله بن الحسن - أبي جعفر - عن حسين المقتول، عن فاطمة عن أسماء بنت عميس قالت : لما كان يوم شغل علي لمكانه من قسم المغنم حتى غربت الشمس أو كادت، فقال رسول الله ﷺ : أما صليت ؟ قال : لا، فدعا الله فارتفعت الشمس حتى توسطت السماء فصلى علي، فلما غربت الشمس سمعت لها صريرا كصرير المنشار في الحديد . وهذا أيضا سياق مخالف لما تقدم من وجوه كثيرة، مع أن إسناده مظلم جدا، فإن صباحا هذا لا يعرف، وكيف يروي الحسين بن علي المقتول شهيدا عن واحد عن واحد عن أسماء بنت عميس ؟ هذا تخبيط إسنادا ومتنا ؛ ففي هذا أن عليا شغل بمجرد قسم الغنيمة، وهذا لم يقله أحد، ولا ذهب إلى جواز ترك الصلاة لذلك ذاهب، وإن كان قد جوز بعض العلماء تأخير الصلاة عن وقتها لعذر القتال، كما حكاه البخاري عن مكحول والأوزاعي وأنس بن مالك - في جماعة من أصحابه، واحتج لهم البخاري بقصة تأخير الصلاة يوم الخندق، وأمره عليه السلام أن لا يصلي أحد منهم العصر إلا في بني قريظة، وذهب جماعة من العلماء إلى أن هذا نسخ بصلاة الخوف .

والمقصود، أنه لم يقل أحد من العلماء : إنه يجوز تأخير الصلاة بعذر قسم الغنيمة، حتى يسند هذا إلى صنيع علي رضي الله عنه . وهو الراوي عن رسول الله ﷺ أن الوسطى هي العصر، فإن كان [هذا] ثابتا على ما رواه هؤلاء الجماعة وكان علي متعمدا لتأخير الصلاة لعذر قسم الغنيمة، وأقره عليه الشارع - صار هذا وحده دليلا على جواز ذلك، ويكون أقطع في الحجة مما ذكره البخاري ؛ لأن هذا بعد مشروعية صلاة الخوف قطعا، لأنه كان بخيبر سنة سبع، وصلاة الخوف شرعت قبل ذلك . وإن كان علي ناسيا حتى ترك الصلاة إلى الغروب، فهو معذور فلا يحتاج

إلى رد الشمس ، بل وقتها بعد الغروب والحالة هذه إذن كما ورد به الحديث والله أعلم . وهذا كله مما يدل على ضعف هذا الحديث ، ثم إن جعلناه قضية أخرى وواقعة غير ما تقدم ــ فقد تعدد رد الشمس غير مرة ومع هذا لم ينقله أحد من أئمة العلماء ، ولا رواه أهل الكتب المشهورة . وتفرد بهذه الفائدة هؤلاء الرواة الذين لا يخلو إسناد منها عن مجهول ومتروك ومتهم ، والله أعلم .

ثم أورد هذا النص من طريق أبي العباس بن عقدة : حدثنا يحيى بن زكريا ، ثنا يعقوب ابن سعيد ، ثنا عمرو بن ثابت قال : سألت عبد الله بن حسن بن حسين بن علي بن أبي طالب عن حديث رد الشمس على علي بن أبي طالب : هل يثبت عندكم ؟ فقال لي : ما أنزل الله في كتابه أعظم من رد الشمس ، قلت : صدقت ــ جعلني الله فداك ــ ولكني أحب أن أسمعه منك ، فقال : حدثني أبي ــ الحسن ــ عن أسماء بنت عميس أنها قالت : أقبل عليّ بن أبي طالب ذات يوم وهو يريد أن يصلّي العصر مع رسول الله ﷺ ، فوافق رسول الله ﷺ قد انصرف ونزل عليه الوحي ، فأسنده إلى صدره فلم يزل مسنده إلى صدره حتى أفاق رسول الله ﷺ فقال : أصليت العصر يا عليّ ؟ قال : جئت والوحي ينزلُ عليك فلم أزل مُسندَك إلى صدري حتى الساعة ، فاستقبل رسول الله ﷺ القبلة ــ وقد غربت الشمس ــ وقال : اللهم إنّ عليا كان في طاعتك فارددها عليه . قالت أسماء : فأقبلت الشمس ولها صرير كصرير الرّحى ، حتى كانت في موضعها وقت العصر ، فقام عليّ متمكنا فصلّى ، فلما فرغ رجعت الشمس ولها صرير كصرير الرّحى ، فلما غابت اختلط الظلام وبدت النجوم .

وهذا منكر أيضا إسنادا ومتنا ، وهو مناقض لما قبله من السياقات . وعمرو بن ثابت هذا ــ هو المتهم بوضع هذا الحديث أو سرقته من غيره ، وهو عمرو بن ثابت بن هرمز البكري الكوفي ــ مولى بكر بن وائل ، ويعرف بعمرو بن المقدام الحداد ، روى عن غير واحد من التابعين ، وحدث عنه جماعة ، منهم سعيد بن منصور وأبو داود وأبو الوليد الطيالسيان ، قال : تركه عبدالله ابن المبارك وقال : لا تحدثوا عنه فإنه كان يسب السلف ، ولما مرت به جنازته توارى عنها ، وكذلك تركه عبد الرحمن بن مهدي ، وقال أبو معين والنسائي : ليس بثقة ولا مأمون ولا يكتب حديثه . وقال مرة أخرى هو وأبو زرعة وأبو حاتم : كان ضعيفا ، زاد أبو حاتم : وكان رديء الرأي شديد التشيع لا يكتب حديثه ، وقال البخاري : ليس بالقوى عندهم ، وقال أبو داود : كان من شرار الناس كان رافضيا خبيثا رجل سوء قال هنا : ولما مات لم أصلِّ عليه لأنه قال لما مات رسول الله ﷺ : كفر الناس إلا خمسة ، وجعل أبو داود يذمه ، وقال ابن حبان : يروى الموضوعات [عن الاثبات] وقال ابن عدى : والضعف على حديثه بينٌ ، وأرّخوا وفاته في سنة سبع وعشرين ومائة ، ولهذا قال شيخنا أبو العباس ابن تيمية : وكان عبد الله بن حسن أبوه أجلّ قدرا من أن يحدثا بهذا الحديث . قال هذا المصنّف المنصف.

وأما حديث أبى هريرة فأخبرنا عقيل بن الحسن العسكرى ، أنا أبو محمد صالح بن الفتح النسائى ، ثنا أحمد بن عمير بن حوصاء ، ثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرى ، ثنا يحيى بن يزيد بن عبد الملك النوفلى عن أبيه ، ثنا داود بن فراهيج ، وعن عمارة بن برد ، وعن أبى هريرة فذكره ، وقال : اختصرته من حديث طويل ، وهذا إسناد مُظلم . ويحيى بن يزيد وأبوه وشيخه داود ابن فراهيج ـ كلهم مضعفون ، وهذا هو الذى أشار ابن الجوزى إلى أن ابن مردويه رواه من طريق داود بن فراهيج ، عن أبى هريرة ، وضعف داود هذا ـ شعبة والنسائى وغيرهما . والذى يظهر أن هذا مفتعل من بعض الرواة ، أو قد دخل على أحدهم وهو لا يشعر ، والله أعلم .

قال : وأما حديث أبى سعيد ، فأخبرنا محمد بن إسماعيل الجرجانى كتابة ، أن أبا طاهر محمد ابن على الواعظ أخبرهم : أنا محمد بن أحمد بن متيم ، أنا القاسم بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن عمر بن على بن أبى طالب : [حدثنى أبى عن أبيه محمد عن أبيه عبد الله عن أبيه عمر قال :] قال الحسين بن على : سمعت أبا سعيد الخدرى يقول : دخلت على رسول الله ﷺ ، فإذا رأسه فى حجر علىّ ، وقد غابت الشمس ، فانتبه النبى ﷺ وقال : يا علىّ أصليت العصر ؟ قال : لا ، يارسول الله ما صليت ، كرهت أن أضع رأسك من حجرى وأنت وجع ، فقال رسول الله : يا علىّ ادع يا علىّ أن ترد عليك الشمس ، فقال علىّ : يا رسول الله ادع أنت وأنا أؤمن ، فقال : يا ربّ إن عليًا فى طاعتك وطاعة نبيك فاردد عليه الشمس ، قال أبو سعيد : فوالله لقد سمعت للشمس صريراً كصرير البكرة حتى رجعت بيضاء نقية . وهذا إسناد مظلم أيضاً ومتنه منكر ، ومخالف لما تقدمه من السياقات ، وكل هذا يدل على أنه موضوع مصنوع مفتعل ، يسرقه هؤلاء الرافضة بعضهم من بعض ، ولو كان له أصل من رواية أبى سعيد لتلقاه عنه كبار أصحابه ، كما أخرجا فى الصحيحين من طريقه حديث قتال الخوارج ، وقصة المُخدج [1] وغير ذلك من فضائل علىّ .

قال : وأما حديث أمير المؤمنين علىّ ، فأخبرنا أبو العباس الفرغانى ، أنا أبو الفضل الشيبانى ثنا رجاء بن يحيى الساماني ، ثنا هارون بن سعدان بسامرا سنة أربعين ومائتين ، ثنا عبد الله ابن عمرو بن الأشعث عن داود بن الكميت ، عن عمه المستهل بن زيد ، عن أبيه زيد بن سلهب ، عن جويرية بنت شهر قالت : خرجت مع على بن أبى طالب فقال : يا جويرية إن رسول الله ﷺ كان يوحى إليه ورأسه فى حجرى ، فذكر الحديث ، وهذا الإسناد مظلم ، وأكثر رجاله لا يعرفون ، والذى يظهر ـ والله أعلم ـ أنه مركب مصنوع مما عملته أيدى الروافض ـ قبحهم الله ولعن من كذب على رسول الله ﷺ ، وعجل لهما توعده الشارع من العذاب والنكال ،

(١) المخدج : هو أحد الخوارج من الحرورية الذين قاتلهم سيدنا على . قيل : اسمه نافع ، وقد قتله الأشهب البجلى ؛ وقد جاء فى وصفه أنه رجل مخدج اليد ـ أى ناقصها ـ له عضد وليس له ذراع ، على عضده مثل حلمة الثدى ، عليه شعرات بيض .

حيث قال وهو الصادق فى المقال : « مَنْ كَذَبَ على متعمِّداً فليتبوَّأْ مقعدَه من النار » .
وكيف يدخل فى عقل أحد من أهل العلم - أن يكون هذا الحديث يرويه علىّ بن أبى طالب ، وفيه منقبة عظيمة له ، ودلالة معجزة باهرة لرسول الله ﷺ ، ثم لا يروى عنه إلا بهذا الإسناد المظلم ، المركب على رجال لا يعرفون ؟ وهل لهم وجود فى الخارج أم لا ؟ الظاهر - والله أعلم - لا ، ثم هو عن امرأة مجهولة العين والحال ، فأين أصحاب على الثقات ؟ كعبيدة السلمانى ، وشريح القاضى ، وعامر الشعبى وأضرابهم . ثم فى ترك الأئمة ؛ كمالك وأصحاب الكتب الستة ، وأصحاب المسانيد والسنن والصحاح والحسان - رواية هذا الحديث ، وإيداعه فى كتبهم ، أكبر دليل على أنه لا أصل له عندهم ، وهو مفتعل مأفوك[1] بعدهم . وهذا أبو عبد الرحمن النسائى قد جمع كتاباً فى خصائص على بن أبى طالب ، ولم يذكره . وكذلك لم يروه الحاكم فى مستدركه - وكلاهما ينسب إلى شىء من التشيع ، ولا رواه من رواه من الناس المعتبرين إلا على سبيل الاستغراب والتعجب . وكيف يقع مثل هذا نهاراً جهرة وهو مما تتوفر الدواعى على نقله ، ثم لا يروى إلا من طرق ضعيفة منكرة وأكثرها مركبة موضوعة ؟ وأجود ما فيها ما قدمناه من طريق أحمد بن صالح المصرى ، عن ابن أبى فُديك ، عن محمد بن موسى الفطرى عن عون ابن محمد ، عن أمه أم جعفر ، عن أسماء - على ما فيها من التعليل الذى أشرنا إليه فيما سلف .

وقد اغتر بذلك أحمد بن صالح رحمه الله ومال إلى صحته ، ورجح ثبوته . قال الطحاوى فى كتابه (مشكل الحديث) : عن على بن عبد الرحمن ، عن أحمد بن صالح المصرى ، أنه كان يقول : لا ينبغى لمن كان سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء فى رد الشمس ؛ لأنه من علامات النبوة . وهكذا مال إليه أبو جعفر الطحاوى أيضاً فيما قيل . ونقل أبو القاسم الحسكانى هذا عن أبى عبد الله البصرى المتكلم المعتزلى أنه قال : عَوْدُ الشمس بعد مغيبها آكد حالا فيما يقتضى نقله ، لأنه وإن كان فضيلة لأمير المؤمنين - فإنه من أعلام النبوة ، وهو مقارن لغيره فى فضائله فى كثير من أعلام النبوة . وحاصل هذا الكلام يقتضى أنه كان ينبغى أن ينقل هذا نقلا متواتراً ، وهذا حق لو كان الحديث صحيحاً ، ولكنه لم ينقل كذلك ، فدل على أنه ليس بصحيح فى نفس الأمر ، والله أعلم .

قلت : والأئمة فى كل عصر ينكرون صحة هذا الحديث ويردونه ، ويبالغون فى التشنيع على رواته كما قدمنا عن غير واحد من الحفاظ ، كمحمد ويعلى بن عبيد الطنافسيين ، وكإبراهيم بن يعقوب الجوزجانى - خطيب دمشق ، وكأبى بكر محمد بن حاتم البخارى - المعروف بابن زنجويه ، وكالحافظ أبى القاسم بن عساكر ، والشيخ أبى الفرج بن الجوزى ، وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين وممن صرح بأنه موضوع : شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزى ، والعلامة

(١) أى مكذوب . والإفك : الكذب والإثم . والمأفوك : الضعيف العقل والرأى .

أبو العباس بن تيمية . وقال الحاكم أبو عبد الله النيسابورى : قرأت على قاضي القضاة أبي الحسن محمد بن صالح الهاشمى : ثنا عبد الله بن الحسين بن موسى ، ثنا عبد الله بن على بن المدينى قال : سمعت أبي يقول : خمسة أحاديث يروونها ، ولا أصل لها عن رسول الله ﷺ ، حديث : لو صدق السائل ما أفلح من ردّه . وحديث : لا وجع إلا وجع العين ولا غم إلا غم الدين . وحديث : أن الشمس رُدّت على عليّ بن أبي طالب . وحديث : أنا أكرم على الله من أن يدعنى تحت الأرض مائتى عام . وحديث : أفطر الحاجم والمحجوم إنهما كانا يغتابان . والطحاوى ـ رحمه الله ـ وإن كان قد اشتبه عليه أمره ، فقد روى عن أبى حنيفة رحمه الله إنكاره والتهكم بمن رواه .

قال أبو العباس بن عقدة : ثنا جعفر بن محمد بن عمير ، ثنا سليمان بن عباد ، سمعت بشار ابن دراع قال : لقى أبو حنيفة محمد بن النعمان فقال : عمّن رويتَ حديث رد الشمس ؟ فقال : عن غير الذى رويت عنه : يا سارية الجبل . فهذا أبو حنيفة رحمه الله ـ وهو من الأئمة المعتبرين وهو كوفى ـ لا يتهم على حُبّ على بن أبى طالب وتفضيله بما فضله الله به ورسوله ، وهو مع هذا ينكر على راويه ، وقول محمد بن النعمان له ليس بجواب بل مجرد معارضة بما لا يجدى ؛ أى أنا رويت فى فضل على هذا الحديث ، وهو وإن كان مستغربا فهو فى الغرابة نظيرُ ما رويتَه أنت فى فضل عمر بن الخطاب فى قوله : يا ساريةُ الجبَل . وهذا ليس بصحيح من محمد بن النعمان ، فإنّ هذا ليس كهذا إسناداً ولامتنا ، وأين مكاشفة إمام ، قد شهد الشارع له بأنه مُحَدَّث ، بأمر خير من رد الشمس طالعة بعد مغيبها الذى هو أكبر علامات الساعة ؟ والذى وقع ليوشع ابن نون ليس رداً للشمس عليه ، بل حُبِست ساعة قبل غروبها بمعنى تَباطأَتْ فى سيرها حتى أمكنهم الفتح ، والله تعالى أعلم .

وتقدم ما أورده هذا المص من طرق هذا الحديث ، عن علىّ وأبى هريرة وأبى سعيد وأسماء بنت عميس ، وقد وقع فى كتاب أبى بشر الدولابى فى الذرية الطاهرة من حديث الحسين ابن على ، والظاهر أنه عنه ، عن أبى سعيد الخدرى كما تقدم ، والله أعلم .

وقد قال شيخ الرافضة ـ جمال الدين يوسف بن الحسن ـ الملقب بابن المطهر الحلى ، فى كتابه فى الإمامة الذى رد عليه فيه شيخنا العلامة أبو العباس ابن تيمية قال ابن المطهر : التاسع رجوع الشمس مرتين : إحداهما فى زمن النبى ﷺ والثانية بعده ، أما الأولى فروى جابر وأبو سعيد : أن رسول الله ﷺ نزل عليه جبريل يوماً يناجيه من عنـده الله ، فلما تغَشّاه الوحْىُ توسّده فخذ أمير المؤمنين ، فلم يرفع رأسه حتى غابت الشمس ، فصلى على العصر بالإيماء

فلما استيقظ رسول الله ﷺ قال له : سل الله أن يردّ عليك الشمس فتصلى قائماً . فدعا فردّت الشمس ، فصلى العصر قائماً وأما الثانية فلما أراد أن يعبُرَ الفرات ببابل ، اشتغل كثير من الصحابة بدوابهم وصلّى لنفسه فى طائفة من أصحابه العصر ، وفات كثيراً منهم ، فتكلموا فى ذلك فسأل الله رَدّ الشمس فردّت . قال : وقد نظمه الحميرى فقال :

رُدَّت عليه الشمس لما فاته وقت الصلاة وقد دَنت للمغرب
حتى تبلّج نورها فى وقتها للعصر ثم هوت هوِىّ الكوكب
وعليه قد ردّت ببابل مرة أخرى وما ردّت لخلق مقرب

قال شيخنا أبو العباس بن تيمية ــ رحمه الله : فضل علىّ وولايته وعلو منزلته عند الله معلوم ولله الحمد ، بطرق ثابتة أفادتنا العلم اليقينى ، لايحتاج معها إلا ما لم يعلم صدقه أو يعلم أنه كذب . وحديث ردّ الشمس قد ذكره طائفة ؛ كأبى جعفر الطحاوى ، والقاضى عياض وغيرهما ، وعدوا ذلك من معجزات رسول الله ﷺ . لكن المحققون من أهل العلم والمعرفة بالحديث ــ يعلمون أن هذا الحديث كذب موضوع ، ثم أورد طرقه واحدة واحدة كما قدمنا ، وناقش أبا القاسم الحسكانى فيما تقدم ، وقد أوردنا كل ذلك وزدنا عليه ونقصنا منه ، والله الموفق .

واعتذر عن أحمد بن صالح المصرى فى تصحيحه هذا الحديث بأنه اغتر بسنده ، وعن الطحاوى بأنه لم يكن عنده نقد جيد للأسانيد كجهابذة الحفاظ ، وقال فى عيون كلامه : والذى يُقطع به أنه كذب مفتعل . قلت : وإيراد ابن المطهر لهذا الحديث من طريق جابر غريب ، ولكن لم يسنده وفى سياقه ما يقتضى أن علياً هو الذى دعا برد الشمس فى الأولى والثانية ، وأما إيراده لقصة بابل فليس لها إسناد ، وأظنه ــ والله أعلم ــ من وضع الزنادقة من الشيعة ونحوهم ، فإنّ رسول الله ﷺ وأصحابه يوم الخندق قد غربت عليهم الشمس ولم يكونوا صلوا العصر ، بل قاموا إلى بطحان ــ وهو واد هناك ــ فتوضئوا وصلوا العصر بعد ما غربت الشمس ، وكان علىّ أيضا فيهم ولم تردّ لهم ، وكذلك كثير من الصحابة الذين ساروا إلى بنى قريظة ، فاتتهم العصر يومئذ حتى غربت الشمس ولم ترد لهم . وكذلك لما نام رسول الله ﷺ وأصحابه عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس ، صلوها بعد ارتفاع النهار ولم يردّ لهم الليل ، فما كان الله عز وجل ليعطى عليًا وأصحابه شيئاً من الفضائل لم يعطها رسول الله ﷺ وأصحابه . وأما نظم الحميرى فليس فيه حجة ، بل هو كهذيان ابن المطهّر هذا ، لا يعلم ما يقول من النثر ، وهذا لا يدرى صحة ما ينظم . بل كلاهما كما قال الشاعر :

إن كنت أدرى فعلىّ بَدَنَهْ من كثرة التخليط أنى من أنَهْ

والمشهور عن علىّ فى أرض بابل : ما رواه أبو داود رحمه الله فى سننه عن علىّ ، أنه مر

بأرض بابل وقد حانت صلاة العصر فلم يصلّ حتى جاوزها ، وقال : نهانى خليلى ﷺ أن أصلى بأرض بابل فإنها ملعونة . وقد قال أبو محمد بن حزم فى كتابه الملل والنحل ـ مبطلا لرد الشمس على علىّ ، بعد كلام ذكره رادا على من ادعى باطلاً من الأمر فقال : ولا فرق بين من ادعى شيئاً مما ذكرنا لفاضل، وبين دعوى الرافضة ردّ الشمس على علىّ بن أبى طالب مرتين ، حتى ادعى بعضهم أن حبيب بن أوس قال :

فردّت علينا الشمس والليل راغم ... بشمس لهم من جانب الخدر تطلع

نضا ضوءها صبغ الدجنّة وانطوى ... لبهجتها نور السماء المرجّع

فوالله ما أدرى علىّ بدا لنا فردّت ... له ، أم كان فى القوم يوشع

هكذا أورده ابن حزم فى كتابه . وهذا الشعر تظهر عليه ركة فى التركيب ، وأنه مصنوع والله أعلم .

ومما يتعلق بالآيات السماوية فى باب دلائل النبوة : استسقاؤه عليه السلام ربه عز وجل لأمته حين تأخر المطر ، فأجابه إلى سؤاله سريعاً ، بحيث لم ينزل عن منبره إلا والمطر يتحادر على لحيته عليه السلام . وكذلك استصحاؤه[1] قال البخارى : ثنا عمرو بن على ، ثنا أبو قتيبة ، ثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه قال : سمعت ابن عمر يتمثل بشعر أبى طالب :

وأبيضَ يستسقى الغمامُ بوجهه ... ثمال اليتامى عِصْمَةٌ للأرامل

قال البخارى : وقال أبو عقيل الثقفى عن عمرو بن حمزة : ثنا سالم عن أبيه ، ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه رسول الله ﷺ يستسقى ، فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب .

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وهو قول أبى طالب . تفرد به البخارى ، وهذا الذى علقه قد أسنده ابن ماجة فى سننه فرواه عن أحمد بن الأزهر عن أبى النضر عن أبى عقيل عن عمر بن حمزة عن سالم عن أبيه .

وقال البخارى : ثنا محمد ـ هو ابن سلام ـ ثنا أبو ضمرة ، ثنا شريك بن عبد الله بن أبى نمر ، أنه سمع أنس بن مالك يذكر أن رجلا دخل المسجد يوم جمعة ، من باب كان وجاه المنبر ، ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً ، فقال : يا رسول الله هلكت الأموال ، وتقطعت السبل ، فادع الله لنا يغيثنا ، قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال : اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا . قال أنس : ولا والله ما نرى فى السماء من سحاب ولا قزعة[2] ولا شيئاً ، وما بيننا وبين سَلْع من بيت ولا دار ، قال : فطلعت من ورائه سحابة مثل

(١) أى : طلبه الصحو ، وهو ذهاب الغيم . يقال . سماء صحو ـ أى لاغيم فيها ويوم صاح .
(٢) القزعة : قطعة مجتمعة من السحاب لم تمطر والجمع : قزع ـ بالتحريك .

التُّرس⁽¹⁾ ، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت ، قال : والله ما رأينا الشمس سِتًا . ثم دخل رجل من ذلك الباب فى الجمعة المقبلة ، ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فاستقبله قائمًا ، وقال : يارسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل ، ادعُ الله يُمسكها . قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال : اللهم حَوَالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام⁽²⁾ والجبال والظِّراب⁽³⁾ ومنابت الشجر . قال : فانقطعت وخرجنا نمشى فى الشمس . قال شريك : فسألت أنسا : أهو الرجل الذى سأل أولاً ؟ قال : لا أدرى ، وهكذا رواه البخارى أيضاً ، ومسلم من حديث إسماعيل بن جعفر عن شريك به .

وقال البخارى : ثنا مسدد ، ثنا أبو عوانة ، عن قتادة عن أنس قال : بينما رسول الله ﷺ يخطب يوم جمعة إذ جاء رجل فقال : يارسول الله قَحِطَ المطر ، فادع الله أن يَسقينا ، فدعا فَمُطِرنا ، فما كدنا أن نصل إلى منازلنا ، فما زلنا نُمطر إلى الجمعة المقبلة ، قال : فقام ذلك الرجل أو غيره ، فقال : يارسول الله ادع الله أن يصرفه عنا ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم حَوالينا ولا عَلَينا ، قال : فلقد رأيت السحاب يتقطّع يميناً وشمالا يُمطَرون ولا يُمطر أهلُ المدينة ، تفرد به البخارى من هذا الوجه . وقال البخارى : ثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن شريك بن عبد الله بن أبى نَمِر ، عن أنس قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : هلكت المواشى وتقطعت السبل ، فادع الله ، فدعا فَمُطرنا من الجمعة إلى الجمعة ثم جاء رجل فقال : تهدّمت البيوت وتقطعت السبل ، وهلكت المواشى ، فادعُ الله أن يمسكها . فقال : اللهم على الآكام والظِّراب والأودية ومنابت الشجر ، فانجابت⁽⁴⁾ عن المدينة انجياب الثوب . وقال البخارى : ثنا محمد بن مقاتل ، ثنا عبد الله ، ثنا الأوزاعى ، ثنا إسحق بن عبد الله بن أبى طلحة الأنصارى ، حدثنى أنس ابن مالك قال : أصابت الناس سَنَةٌ على عهد رسول الله ﷺ فبينا رسول الله ﷺ يخطب على المنبر يوم الجمعة ، قام أعرابى فقال : يا رسول الله هلك المال ، وجاع العيال ، فادع الله أن يسقينا ، قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه وما فى السماء قَزَعة فوالذى نفسى بيده ما وضعها حتى ثار سحابٌ أمثالُ الجبال ، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادَرُ على لحيته قال: فمُطرنا يومنا ذلك ، وفى الغد ، ومن بعد الغد والذى يليه إلى الجمعة الأخرى ، فقام ذلك الأعرابى - أو قال غيره - فقال : يارسول الله تهدّم البناء ، وغرق المال ، فادع الله لنا ، فرفع رسول الله ﷺ يديه وقال : اللهم حَوالينا ولا علينا ، قال : فما جعل رسول الله ﷺ يشير بيده إلى ناحية من السماء

---

(١) الترس : الغليظ من جلد الأرض (٢) الآكام ، جمع أكمة : وهى المكان المرتفع دون الجبل

(٣) الظراب : جمع ظرب ككتف ، وهو الجبل المنبسط أو الصغير .

(٤) أى : انكشفت :

إلا انفرجت ، حتى سارت المدينة فى مثل الجَوْبة[1] وسال الوادى قناة شهرا ، ولم يجىء أحد من ناحية إلا حدّث بالجَود ، ورواه البخارى أيضا فى الجمعة ومسلم من حديث الوليد عن الأوزاعى .

وقال البخارى : وقال أيوب بن سليمان : حدثنى أبو بكر بن أبى أويس، عن سليمان بن بلال قال : قال يحيى بن سعيد : سمعت أنس بن مالك قال : أتى رجل أعرابى من أهل البَدْو إلى رسول الله ﷺ يوم الجمعة فقال : يا رسول الله هلكت الماشية ، هلك العيال ، هلك الناس ، فرفع رسول الله ﷺ يديه يدعو ، ورفع الناسُ أيديَهم مع رسول الله ﷺ يدعون ، قال : فما خرجنا من المسجد حتى مُطرنا ، فما زلنا نُمطَر حتى كانت الجمعة الأخرى ، فأتى الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله بَشِقَ[2] المسافر ومُنِع الطريق . قال البخارى : وقال الأويسى - يعنى عبد الله - : حدثنى محمد بن جعفر - هو ابن كثير - عن يحيى بن سعيد وشريك ، سمعا أنسا عن النبى ﷺ رَفَع يديه حتى رأيت بياض إبطيه . هكذا علق هذين الحديثين ولم يسندهما أحد من أصحاب الكتب الستة بالكلية وقال البخارى : ثنا محمد بن أبى بكر قال : حدثنا معتمر عن عبيد الله عن ثابت ، عن أنس بن مالك قال : كان النبى ﷺ يخطب يوم جمعة فقام الناس فصاحوا فقالوا : يا رسول الله قَحِط المطر ، واحمرّت الشجر ، وهلكت البهائم ، فادع الله أن يسقينا ، فقال : اللهم اسقنا مرتين ، وأيم الله ما نرى فى السماء قزَعة من سحاب ، فنشأت سحابة وأمطرت ، ونزل عن المنبر فصلّى ، فلما انصرف لم تزل تمطر إلى الجمعة التى تليها ، فلما قام النبى ﷺ يخطب صاحوا إليه : تهدّمت البيوت ، وتقطعت السبل ، فادع الله يحبسها عنا ، قال : فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال : اللهم حَوَالينا ولا علينا ، فتكشَّطت[3] المدينة فجعلت تمطر حولها ولا تُمطر بالمدينة قطرة ، فنظرت إلى المدينة وإنها لفى مثل الإكليل[4] ، وقد رواه مسلم من حديث معتمر ابن سليمان عن عبيد الله ، وهو ابن عمر العمرى به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن أبى عدى عن حميد قال : سئل أنس هل كان رسول الله ﷺ يرفع يديه ؟ فقال : قيل له يوم جمعة : يا رسول الله قَحِط المطر ، وأجدبت الأرض ، وهلك المال ، قال : فرفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه فاستسقى ، ولقد رفع يديه فاستسقى ، ولقد رفع يديه وما نرى فى السماء سحابة ، فما قضينا الصلاة حتى إن الشاب قريب الدار ليهمه الرجوع إلى أهله ، قال : فلما كانت الجمعة التى تليها قالوا : يا رسول الله تهدمت البيوت واحتبست الركبان ، فتبسم رسول الله ﷺ من سُرعة ملالة ابن آدم وقال : اللهم حَوالينا ولا علينا ، قال فتكشّطت عن المدينة . وهذا إسناد ثلاثى على شرط الشيخين ولم يخرجوه . وقال البخارى وأبو داود

(١) الجوبة : الحفرة المستديرة الواسعة - أى حتى صار الغيم والسحاب محيطا بآفاق المدينة

(٢) أى : حبس وتأخر وعجز عن السفر لكثرة المطر (٣) أى : انكشفت وذهب ما عليها من سحاب

(٤) الإكليل : شبه عصابة تزين بالجواهر ، ويسمى التاج إكليلا

واللفظ له : ثنا مسدد ، ثنا حماد بن زيد عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك ، وعن يونس ابن عبيد عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال : أصاب أهلَ المدينة قحط على عهد رسول الله ﷺ ، فبينا هو يخطب يوم جمعة إذ قام رجل فقال : يا رسول الله ، هلكت الكُراع[1] ، هلكت الشاء ، فادع الله يسقينا ، فمد يده ودعا . قال أنس : وإن السماء لمثل الزجاجة ، فهاجت ريح أنشأت سَحابا ، ثم اجتمع ، ثم أرسلت السماء عَزَالِيَها [2] فخرجنا نخوض الماء حتى أتينا منازلنا ، فلم تزل تمطر إلى الجمعة الأخرى ، فقام إليه ذلك الرجل أو غيره فقال : يا رسول الله ، تهدمت البيوت فادع الله يحبسه . فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال : حَوالينا ولا علينا ، فنظرت إلى السحاب يتصدع حول المدينة كأنه إكليل. فهذه طرق متواترة عن أنس بن مالك لأنها تفيد القطع عند أئمة هذا الشان

وقال البيهقى بإسناده من غير وجه إلى أبى معمر سعيد بن أبى خيثم الهلالى ، عن مسلم الملائى ن أنس بن مالك قال : جاء أعرابى فقال : يا رسول الله والله لقد أتيناك ، وما لنا بعير يبسُط[3] ولا صبى يصطبح[4] وأنشد :

أتيناك والعــذراء يَدمى . لَبانُها ... وقد شُغلت أم الصبى عن الطــفل

وألقى بكفّــيه الفتى لاستكانة ... من الجوع ضعفا قائما وهو لا يُخلى

ولا شىء مما يأكل الناس عندنا ... سوى الحنظل العامى والعلهز[5] الفَسْل

وليس لنا إلا إليك فرارُنا ... وأين فرارُ الناس إلا إلى الرُّسل

قال : فقام رسول الله ﷺ وهو يجر رداءه ، حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم رفع يديه نحو السماء وقال : اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا مريعا[6] سريعا غدقا[7] طبقا ، عاجلا غير رائث ، نافعا غير ضار تملأ به الضرع ، وتنبت به الزرع ، وتحيى به الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون . قال : فوالله ما رد يده إلى نحره حتى ألقت السماء بأوراقها ، وجاء أهل البطانة يصيحون : يا رسول الله ! الغرق الغرق ، فرفع يديه إلى السماء وقال : اللهم حوالينا ولا علينا ، فانجاب السحاب عن المدينة حتى أحدق بها كالإكليل ، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال : لله درّ أبى طالب لو كان حيا قرت عيناه ، من ينشد قوله ؟ فقام على بن أبى طالب فقال : يا رسول الله كأنك أردت قوله :

---

(١) الكراع : الخيل

(٢) عزالى : جمع عزلاء ، وهى مصب الماء من الراوية ونحوها يريد : تدفق الماء منها .

(٣) بسط يده : مدها ، يريد : أنه لايتحرك من الضعف

(٤) أى يشرب الصبوح ، وهو اللبن يحلب بالغداة

(٥) العهلز : طعام من الدم والوبر كان يتخذ فى المجاعة ، والفسل : الذى لا خير فيه .

(٦) المريع ، الخصيب ، والمراد : غيثا ذا مراعة وخصب . يقال أمرع الوادى ـ إذا أخصب .

(٧) غدقا : كثيرا ، وطبقا : أى مالئا للأرض مغطيا لها

وأبيضُ يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاّك من آل هاشم ... فهم عنده فى نعمة وفواضل
كذبتم وبيت الله يُبزَى[1] محمدٌ ... ولما نقاتل دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرّع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل

قال : وقام رجل من بنى كنانة فقال :

لك الحمد والحمد ممن شكر ... سقينا بوجه النبى المطر
دعا الله خالقه دعوة ... إليه وأشخص منه البصر
فلم يكُ إلا كلفَّ الرداء ... وأسرع حتى رأينا الدرر
رقاق العوالى عم البقاع ... أغاث به الله عليا مضر
وكان كما قاله عمه ... أبو طالب أبيض ذو غرر
به الله يسقى بصوب الغمام ... وهذا العيان كذاك الخبر
فمن يشكر الله يلقى المزيد ... ومن يكفر الله يلقى الغِيَر

قال : فقال رسول الله ﷺ : إن يك شاعر يحسن فقد أحسنت . وهذا السياق فيه غرابة ولا يشبه ما قدمنا من الروايات الصحيحة المتواترة عن أنس ؛ فإن كان هذا هكذا محفوظاً فهو قصة أخرى غير ما تقدم ، والله أعلم .

وقال الحافظ البيهقى : أنا أبو بكر بن الحارث الأصبهانى ، ثنا أبو محمد بن حيان ، ثنا عبد الله بن مصعب ، ثنا عبد الجبار ، ثنا مروان بن معاوية ، ثنا محمد بن أبى ذئب المدنى ، عن عبد الله بن محمد بن عمر بن حاطب الجمحى ، عن أبى وجرة - يزيد بن عبيد السلمى قال : لما قفل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك ، أتاه وفد بنى فزارة فيهم بضعة عشر رجلا ، فيهم خارجة ابن الحصين ، والحر بن قيس — وهو أصغرهم — ابن أخى عيينة بن حصن ، فنزلوا فى دار رملة بنت الحارث من الأنصار وقدموا على إبل ضعاف عجاف وهم مُسنتون[2] ، فأتوا رسول الله ﷺ مقرّين بالإسلام ، فسألهم رسول الله ﷺ عن بلادهم قالوا : يا رسول الله ، أسنتت بلادنا ، وأجدبت أحياؤنا ، وعريت عيالنا ، وهلكت مواشينا ، فادع ربك أن يغيثنا ، وتشفع لنا إلى ربك ويشفع ربك إليك ، فقال رسول الله ﷺ : سبحان الله ، ويلك ! هذا ما شفعت إلى ربى ، فمن ذا الذى يشفع ربنا إليه ؟ لا إله إلا الله ، وسع كرسيه السموات والأرض ، وهو يئط[3] من عظمته وجلاله كما يئط الرحل الجديد ، قال رسول الله ﷺ : إن الله يضحك من شفقتكم

---

(١) يبزى : يقهر ويبطش به .
(٢) أسنتوا : أجدبوا ، وأرض مسنتة : لم تنبت
(٣) يئط : يسمع له صوت وصياح

وأزلكم[1] وقرب غياثكم ، فقال الأعرابى : ويضحك ربنا يا رسول الله ؟ قال : نعم ، فقال الأعرابى : لن نعدم يارسول الله من رب يضحك خيراً ، فضحك رسول الله ﷺ من قوله ، فقام رسول الله ﷺ فصعد المنبر وتكلم بكلام ورفع يديه ـ وكان رسول الله ﷺ لا يرفع يديه فى شىء من الدعاء إلا فى الاستسقاء ـ ورفع يديه حتى رُئى بياض إبطيه ، وكان مما حفظ من دعائه : اللهم اسق بلدك وبهائمك ، وانشر رحمتك ، وَأحى بلدك الميت ، اللهم اسقنا غيثا مغيثا مَرِيئا مَرِيعا طبقا واسعا ، عاجلا غير آجل ، نافعاً غير ضار ، اللهم سُقيا رحمة ولا سُقيا عذاب ولا هَدْم ولا غَرق ولا مَحق ، اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الأعداء ، فقام أبو لبابة بن عبد المنذر فقال : يا رسول الله إن التمر فى المرابد ، فقال رسول الله : اللهم اسقنا ، فقال أبو لبابة التمر فى المرابد ، ثلاث مرات ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم اسقنا حتى يقوم أبو لبابة عُريانا فيسدّ ثَعْلب[2] مِرْبده بإزاره ، قال : فلا والله ما فى السماء من قَزعة ولا سحاب وما بين المسجد وسَلع من بناء ولا دار ، فطلعت من وراء سَلع سحابة مثل التُرس ، فلما توسطت السماء انتشرت وهم ينظرون ، ثم أمطرت . فوالله ما رأوا الشمس سِتًّا ، وقام أبو لبابة عريانا يسد ثعلب مربده بإزاره لئلا يخرج التمر منه ، فقال رجل : يا رسول الله هلكت الأموال ، وانقطعت السبل ، فصعد النبى ﷺ المنبر فدعا ورفع يديه حتى رُئى بياض إبطيه ، ثم قال : اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والظِّراب وبطون الأودية ، ومنابت الشجر ، فانجابت السحابة عن المدينة كانجياب الثوب . وهذا السياق يشبه سياق مسلم الملائى عن أنس ، ولبعضه شاهد فى سنن أبى داود ، وفى حديث أبى رزين العقيلى شاهد لبعضه ، والله أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقى فى الدلائل : أنا أبو بكر محمد بن الحسن بن على بن المؤمل ، أنا أبو أحمد محمدُ بن محمد الحافظ ، أبا عبد الرحمن بن أبى حاتم ، ثنا محمد بن حماد الظهرانى ، انا سهل بن عبد الرحمن المعروف بالسيدى بن عبدويه ، عن عبد الله بن عبد الله بن أبى أويس المدنى ، عن عبد الرحمن بن حَرملة ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى لبابة بن عبد المنذر الأنصارى قال : استسقى رسول الله ﷺ يوم جمعة وقال : اللهم اسقنا اللهم اسقنا ، فقام أبو لبابة فقال : يارسول الله إن التمر فى المرابد ، وما فى السماء من سحاب نراه ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم اسقنا ، فقام أبو لُبابة فقال : يا رسول الله ، إن التمر فى المرابد ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم اسقنا ، حتى يقوم

---

(١) الأزل : الضيق والشدة .

(٢) الثعلب : الجحر الذى يخرج منه ماء المطر . ومخرج الماء من جرين التمر . والمربد : موضع يجفف فيه التمر . وثعلبه : ثقبه الذى يسيل منه ماء المطر .

أبو لبابة يَسُدّ ثعلب مِربده بإزاره ، فاستهلّت(١) السماء ومَطرت ، وصلّى بنا رسول الله ﷺ فأتى القوم أبا لبابة يقولون له : يا أبا لبابة ، إن السماء والله ان تُقلع حتى تقوم عريانا فتسد ثعلب مربدك بإزارك كما قال رسول الله ﷺ ، قال . فقام أبو لبابة عريانا يَسُدّ ثَعلَب مربده بإزاره فأقلعت السماء . وهذا إسناد حسن ولم يروه أحد ولا أهل الكتب ، والله أعلم .

وقد وقع مثل هذا الاستسقاء فى غزوة تبوك فى أثناء الطريق كما قال عبد الله بن وهب : أخبرنى عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبى هلال ، عن عتبة بن أبى عتبة ، عن نافع بن جبير ، عن عبد الله بن عباس ، أنه قيل لعمر بن الخطاب : حدثنا عن شأن ساعة العُسرة ، فقال عمر : خرجنا إلى تَبوك فى قيظ شديد ، فنزلنا منزلا ، وأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رِقابنا ستنقطع ، حتى أن كان أحدنا ليذهب فيلتمس الرحل فلا يجده حتى يظن أن رقبته ستنقطع ، حتى أن الرجل لينحر بعيره فيعصر فَرْثه فيشربه ، ثم يجعل ما بقى على كَبِده ، فقال أبو بكر الصديق : يارسول الله ، إن الله قد عَوَّدَك فى الدعاء خيراً ، فادع الله لنا ، فقال : أو تُحبُّ ذلك ؟ قال : نعم ، قال : فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعهما حتى قالت(٢) السماء فأطلّت ثم سكبت ، فملأوا ما معهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر . وهذا إسناد جيد قوى ولم يخرجوه

وقد قال الواقدى : كان مع المسلمين فى هذه الغزوة اثنا عشر ألف بعير ، ومثلها من الخيل ، وكانوا ثلاثين ألفاً من المقاتلة ، قال : ونزل من المطر ماء أغدق الأرض ، حتى صارت الغُدران تسكب بعضها فى بعض ، وذلك فى حمأة القيظ ــ أى شدة الحر البليغ ، فصلوات الله وسلامه عليه ، وكم له عليه السلام من مثل هذا فى غير ما حديث صحيح ، ولله الحمد . وقد تقدم أنه لما دعا على قريش ــ حين استعصت ــ أن يسلط الله عليها سبعاً كسبع يوسف ، فأصابتهم سنة حصّت كل شىء حتى أكلوا العظام والكلاب والعِلهز ، ثم أتى أبو سفيان يشفع عنده فى أن يدعو الله لهم ، فدعا لهم فرفع ذلك عنهم . وقد قال البخارى : ثنا الحسن بن محمد ، ثنا محمد بن عبد الله الأنصارى ، ثنا أبى عبد الله بن المثنى ، عن ثمامة بن عبد الله بن أنس ، عن أنس بن مالك ، أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس وقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا ، قال : فيسقون ، تفرد به البخارى .

---

(١) فاستهلت : أى أبرقت واستهل الهلال وهل : ظهر ، والشهر : ظهر هلاله ، ولاتقل أهل

(٢) أى استعدت وتهيأت . وأطلت : أى أمطرت ماء خفيفا : والطل المطر الضعيف .

فصل في أما المعجزات الأرضية

فمنها ما هو متعلق بالجمادات ، ومنها ما هو متعلق بالحيوانات ، فمن المتعلق بالجمادات : تكثيره الماء في غير ما موطن على صفات متنوعة ، سنوردها بأسانيدها إن شاء الله ، وبدأنا بذلك لأنه أنسب باتباع ما أسلفنا ذكره من استسقائه وإجابة الله له . قال البخاري : ثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال : رأيت رسول الله ﷺ وقد حانت صلاة العصر والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه ، فأتى رسول الله ﷺ بوَضُوء[1] فوضع رسول الله ﷺ يده في ذلك الإناء ، فأمر الناس أن يتوضأوا منه ، فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه ، فتوضأ الناس حتى توضأوا من عند آخرهم ، وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي من طرق عن مالك به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

طريق أخرى عن أنس . قال الإمام أحمد : حدثنا يونس بن محمد ، ثنا حزم ، سمعت الحسن يقول : حدثنا أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم لبعض مخارجه ، ومعه ناس من أصحابه ، فانطلقوا يسيرون فحضرت الصلاة فلم يجد القوم ما يتوضأون به ، فقالوا : يا رسول الله ما نجد ما نتوضأ به ، ورأى في وجوه أصحابه كراهيةَ ذلك ، فانطلق رجل من القوم فجاء بقدح من ماء يسير ، فأخذ نبيّ الله فتوضأ منه ، ثم مدّ أصابعه الأربع على القدح ثم قال : هلمّوا فتوضأوا ، فتوضأ القوم حتى بلغوا فيما يريدون من الوضوء ، قال الحسن : سُئل أنس كم بلغوا ؟ قال : سبعين أو ثمانين وهكذا رواه البخاري عن عبد الرحمن بن المبارك العنسي عن حزم بن مهران القطيعي به .

طريق أخرى عن أنس قال الإمام أحمد : حدثنا ابن أبي عدي عن حميد ويزيد قال : أنا حميد المعنى عن أنس بن مالك قال : نودي بالصلاة ، فقام كل قريب الدار من المسجد وبقي من كان أهله نائي الدار ، فأتى رسول الله ﷺ بمخضب[2] من حجارة فصغر أن يَبْسُط كفّه فيه ، قال : فضم أصابعه قال فتوضأ بقيتهم ، قال حميد : وسئل أنس : كم كانوا ؟ قال : ثمانين أو زيادة . وقد روى البخاري عن عبد الله بن منير عن يزيد بن هارون عن حميد عن أنس بن مالك قال : حضرت الصلاة فقام من كان قريب الدار من المسجد يتوضأ وبقي قوم فأتى رسول الله ﷺ بمخضب من حجارة فيه ماء ، فوضع كفه فصغر المخضب أن يبسط فيه كفّه ، فضم أصابعه فوضعها في المخضب ، فتوضأ القوم كلهم جميعاً ، قلت : كم كانوا ؟ قال : كانوا ثمانين رجلا .

(١) الوضوء – بفتح الواو : الماء الذي يتوضأ به – وبالضم : الفعل .

(٢) المخضب : إناء يغسل فيه الثياب ، ويسمى : الإجانة ، والمركن – بكسر الميم .

طريق أخرى عنه . قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، ثنا سعيد إملاء عن قتادة عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ كان بالزوراء ، فأتى بإناء فيه ماء لا يغمر أصابعه ، فأمر أصحابه أن يتوضأوا ، فوضع كفه في الماء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه وأطراف أصابعه حتى توضأ القوم ، قال : فقلت لأنس : كم كنتم ؟ قال : كنا ثلثمائة . وهكذا رواه البخاري عن بندار بن أبي عدي ، ومسلم ، عن أبي موسى عن غندر - كلاهما عن سعيد بن أبي عروبة ، وبعضهم يقول عن شعبة ، والصحيح سعيد عن قتادة عن أنس قال : أتى رسول الله ﷺ بإناء وهو في الزوراء ، فوضع يده في الإناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ القوم ، قال قتادة فقلت لأنس : كم كنتم ؟ قال : ثلثمائة أو زهاء ثلثمائة . لفظ البخاري .

حديث البراء بن عازب في ذلك . قال البخاري : ثنا مالك بن إسماعيل عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب قال : كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة ، والحديبية : بئر[١] فنزحناها حتى لم نترك فيها قطرة ، فجلس رسول الله ﷺ على شفير البئر ، فدعا بماء فمضمض ومج في البئر ، فمكثنا غير بعيد ، ثم استقينا حتى روينا وروت أو صدرت ركائبنا . تفرد به البخاري إسناداً ومتناً .

حديث آخر عن البراء بن عازب . قال الإمام أحمد حدثنا عفان وهاشم ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، حدثنا حميد بن هلال ، حدثنا يونس - هو ابن عبيدة مولى محمد بن القاسم - عن البراء . قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فأتينا على ركي[٢] ذمة - يعني قليلة الماء ، قال : فنزل فيها ستة إناس أنا سادسهم - ماحة[٣] ، فأدليت إلينا دلو . قال : ورسول الله ﷺ على شفتي الركي فجعلنا فيها نصفها أو قراب ثلثيها ، فرفعت إلى رسول الله ﷺ قال البراء : فكدت بإنائي هل أجد شيئاً أجعله في حلقي ؟ فما وجدت ، فرفعت الدلو إلى رسول الله ﷺ فغمس يده فيها فقال ما شاء الله أن يقول ، وأعيدت إلينا الدلو بما فيها ، قال : فلقد رأيت أحدنا[٤] أخرج بثوب خشية الغرق ، قال : ثم ساحت - يعني جرت نهراً . تفرد به الإمام أحمد . وإسناده جيد قوي ، والظاهر أنها قصة أخرى غير يوم الحديبية والله أعلم .

---

(١) هي بئر قريب من مكة ، وغزوة الحديبية كانت في ذي القعدة سنة ست .

(٢) الركي : جنس للركية هي البئر . (٣) الميح ، أن ينزل الرجل إلى قرار البئر إذا قل ماؤها فيملأ الدلو بيده يميح فيها بيده ويميح أصحابه ، والواحد : مائح ، والجمع ماحة ، والفعل : ماح يميح .

(٤) قال في القاموس : هو : أوس بن الحدثان - محركة - صحابي .

حديث آخر عن جابر فى ذلك . قال الإمام أحمد : ثنا سنان بن حاتم ، ثنا جعفر - يعنى ابن سليمان - ثنا الجعد أبو عثمان ، ثنا أنس بن مالك ، عن جابر بن عبد الله الأنصارى قال : اشتكى أصحاب رسول الله ﷺ إليه العطش، قال: فدعا بعُس[1] فصب فيه شيء من الماء ، ووضع رسول الله ﷺ فيه يده وقال : استقوا ، فاستقى الناس قال : فكنت أرى العيون تنبع من بين أصابع رسول الله ﷺ . تفرد به أحمد من هذا الوجه وفى إفراد مسلم من حديث حاتم بن إسماعيل ، عن أبى حرزة - يعقوب بن مجاهد ، عن عبادة بن الوليد بن عبادة ، عن جابر بن عبد الله فى حديث طويل قال فيه : سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا واديا أفيح[2] ، فذهب رسول الله ﷺ يقضى حاجته ، فاتبعته بإداوة من ماء فنظر رسول الله فلم ير شيئاً يستتر به ، وإذا بشجرتين بشاطئ الوادى ، فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها ، فقال: انقادى علىّ بإذن الله ، فانقادت معه كالبعير المخشوش[3] الذى يصانع قائده ، حتى أتى الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها . فقال : انقادى علىّ بإذن الله ، فانقادت معه كذلك ، حتى إذا كان بالمنصف[4] مما بينهما لأم بينهما - يعنى جمعهما - فقال : التئما علىّ بإذن الله ، فالتأمتا . قال جابر: فخرجت أحضر[5] مخافة أن يحس رسول الله بقربى فيبتعد ، فجلست أحدث نفسى فحانت منى لفتة ، فإذا أنا برسول الله ﷺ مقبلا ، وإذا بالشجرتين قد افترقتا ، فقامت كل واحدة منهما على ساق ، فرأيت رسول الله وقف وقفة فقال برأسه هكذا : وأشار أبو اسماعيل برأسه يميناً وشمالا ، ثم أقبل ، فلما انتهى إلىّ قال : ياجابر ، هل رأيت مقامى ؟ قلت : نعم يا رسول الله ، قال : فانطلق إلى الشجرتين فاقطع من كل واحدة منهما غصناً فأقبل بهما ، حتى إذا قمت مقامى فأرسل غصنا عن يمينك وغصنا عن شمالك ، قال جابر : فقمت فأخذت حجرا فكسرته وحددته فانذلق[6] لى ، فأتيت الشجرتين فقطعت من كل واحدة منها غصناً ، ثم أقبلت أجرهما حتى قمت مقام رسول الله ﷺ فأرسلت غصنا عن يمينى وغصناً عن يسارى ، ثم لحقته فقلت : قد فعلت يا رسول الله ، قال فقلت : فلم ذاك ؟ قال : إنى مررت بقبرين يعذبان ، فأحببت بشفاعتى أن يرفع ذلك عنهما مادام الغصنان رطبين .

---

(١) العس : القدح العظيم . وعس القوم : أطعمهم شيئا قليلا .

(٢) أى : واسعاً ، وبحر أفيح وفياح : بين الفيح واسع .

(٣) المخشوش : الذى يجعل فى أنفه خشاش - أى عود - فيه حبل ينقاد به ، وهو مع ذلك يتمانع فإذا آلمه العود ينقاد . (٤) أى نصف المسافة . (٥) أى أعدو وأسعى سعيا شديدا

(٦) أى : انسل بلا سل وأصبح حاداً وذلق كل شيء : حده .

قال فأتينا العسكر ، فقال رسول الله ﷺ : يا جابر ناد الوَضوء ، فقلت : ألاَ وَضوء ؟ ألاَ وَضوء ؟ ألا وَضوء ؟ قال : قلت : يا رسول الله ما وجدت فى الركب من قطرة ، وكان رجل من الأنصار يبرّد لرسول الله فى أشجاب[١] له على حمارة[٢] من جريد ، قال : فقال لى : انطلق إلى فلان بن فلان الأنصارى فانظر هل ترى فى أشجابه من شىء ؟ قال : فانطلقت إليه فنظرت فيها فلم أجد فيها إلا قطرة فى عَزْلاء[٣] لاشجْب فيها لو أنى أفرغته لشربه يابسه ، فأتيت رسول الله فقلت : يا رسول الله لم أجد فيها إلا قطرة فى عَزْلاء شَجْب فيها لو أنى أفرغته لشربه يابسه قال : اذهب فأتنى به ، فأتيته فأخذه بيده فجعل يتكلم بشىء لا أدرى ما هو ، وغمزه بيده ثم أعطانيه فقال : يا جابر ناد بجفنة ، فقلت : يا جَفنة الركب[٤] ، فأتيت بها تُحمل ، فوضعتها بين يديه ، فقال رسول الله بيده فى الجفنة هكذا ، فبسطها وفرّق بين أصابعه ثم وضعها فى قعر الجفنة وقال : خذ يا جابر فصُبّ علىّ وقل : بسم الله ، فصببت عليه وقلت : بسم الله ، فرأيت الماء يفور من بين أصابع رسول الله ﷺ ، ثم فارت الجفنة ودارت حتى امتلأت فقال : يا جابر نادِ من كانت له حاجة بماء ، قال : فأتى الناس فاستقوا حتى رَوُوا ، فقلت : هل بقى أحد له حاجة ؟ فرفع رسول الله ﷺ يده من الجفنة وهى ملأى . قال : وشكى الناس إلى رسول الله ﷺ الجوع ، فقال : عسى الله أن يطعمكم ، فأتينا سِيفَ البحر[٥] فزخر زخْرة فألقى دابةً فأورينا على شقها النار فاطّبخنا واشتوينا وأكلنا حتى شبعنا ، قال جابر : فدخلت أنا وفلان وفلان حتى عد خمسة فى محاجر عينها ما يرانا أحد ، حتى خرجنا وأخذنا ضلعا من أضلاعها فقوسناه ثم دعونا بأعظم رجل فى الركب ، وأعظم جمل فى الركب ، وأعظم كِفْل[٦] فى الركب فدخل تحتها ما يطأطئ رأسه .

وقال البخارى : ثنا موسى بن إسمعيل ، ثنا عبد العزيز بن مسلم ، ثنا حصين عن سالم بن أبى الجعد ، عن جابر بن عبد الله قال : عطش الناس يوم الحديبية والنبى ﷺ بين يديه ركوة يتوضأ فجهش[٧] الناس نحوه فقال : ما لكم ؟ قالوا : ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك ، فوضع يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون ، فشربنا وتوضأنا ، قلت : كم كنتم ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة . وهكذا رواه مسلم من حديث حصين وأخرجاه من حديث الأعمش . وزاد مسلم وشعبة ـ ثلاثتهم عن جابر بن سالم بن جابر ،

---

(١) أشجاب جمع شجب وهو : السقاء الذى أخلق وبلى وصار شنا

(٢) هى الأعواد التى تعلق عليها أسقية الماء (٣) العزلاء : فم المزادة الأسفل

(٤) أى : يا صاحب جفنة الركب (٥) السيف ـ بكسر السين : ساحل البحر وساحل الوادى وكل ساحل

(٦) الكفل : هنا الكساء الذى يحويه راكب البعير على سنامه لئلا يسقط

(٧) أى : فزعوا وتوجهوا

طريق اخر عن أنس بن مالك رضى الله عنه ـ قال أبو يعلى : ثنا هدبة بن خالد ، ثنا مبارك ابن فضالة ، ثنا بكير وثابت البناني عن أنس ، أن أبا طلحة رأى رسول الله ﷺ طاويا ، فجاء إلى أم سليم فقال : إني رأيت رسول الله ﷺ طاويا ، فهل عندك من شيء ؟ قالت : ما عندنا إلا نحو من مدّ دقيق شعير قال : فاعجنيه وأصلحيه عسى أن ندعوَ رسول الله ﷺ فيأكل عندنا ، قال : فعجنته وخبزته فجاء قُرصا ، فقال : يا أنس ادع رسول الله ، فأتيت رسول الله ومعه أناس ، قال مبارك : أحسبه قال : بضعة وثمانون ، قال : فقلت : يا رسول الله أبو طلحة يدعوك ، فقال لأصحابه : أجيبوا أبا طلحة ، فجئت جزعا حتى أخبرته أنه قد جاء بأصحابه ، قال بكير : فعدى قدمه ، وقال ثابت قال أبو طلحة : رسول الله أعلم بما في بيتي مني ، وقالا جميعا عن أنس : فاستقبله أبو طلحة فقال : يا رسول الله ما عندنا شيء إلا قرص ، رأيتك طاويا ، فأمرت أم سليم فجعلت لك قُرصا ، قال : فدعا بالقرص ودعا بجفنة ، فوضعه فيها وقال : هل من سمن ؟ قال أبو طلحة : قد كان في العكة شيء ، قال : فجاء بها ، قال : فجعل رسول الله وأبو طلحة يعصرانها حتى خرج شيء مسح رسول الله به سبابته ، ثم مسح القرص فانتفخ وقال : بسم الله فانتفخ القرص ، فلم يزل يصنع كذلك والقُرص ينتفخ حتى رأيت القُرص في الجفنة يميع[1] فقال : ادع عشرة من أصحابي ، فدعوت له عشرة ، قال : فوضع رسول الله ﷺ يده وسط القرص وقال : كلوا بسم الله ، فأكلوا من حوالي القرص حتى شبعوا . ثم قال : ادع لي عشرة أخرى ، فدعوت له عشرة أخرى ، فقال : كلوا بسم الله ، فأكلوا من حوالي القرص حتى شبعوا . فلم يزل يدعو عشرة عشرة يأكلون من ذلك القرص حتى أكل منه بضعة وثمانون من حوالي القرص حتى شبعوا ، وإنّ وسَط القرص حيث وضع رسول الله ﷺ يده كما هو . وهذا إسناد حسن على شرط أصحاب السنن ولم يخرجوه ، فالله أعلم .

طريق أخرى عن أنس بن مالك رضى الله عنه ـ قال الإمام أحمد : ثنا عبد الله بن نمير ، ثنا سعد — يعني ابن سعيد بن قيس — أخبرني أنس بن مالك قال : بعثني أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ لأدعوه ، وقد جعل له طعاما ، فأقبلت ورسول الله ﷺ مع الناس ، قال : فنظر إليّ فاستحييت فقلت : أجب أبا طلحة ، فقال للناس : قوموا ، فقال أبو طلحة : يا رسول الله إنما صنعت شيئا لك ، قال : فمسّها رسول الله ودعا فيها بالبركة ، ثم قال : أدخل نفرا من أصحابي عشرة ، فقال : كلوا فأكلوا حتى شبعوا وخرجوا . وقال : أدخل عشرة

---

(١) أي : يذوب ويتحرك .

حديث عن عبد الله بن مسعود فى ذلك — قال البخارى : ثنا محمد بن المثنى ، ثنا أبو أحمد الزبيرى ، ثنا إسرائيل عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : كنا نعد الآيات بركة ، وأنتم تعدونها تخويفا ، كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فقل الماء فقال : اطلبوا فضلة من ماء ، فجاءوا بإناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده فى الإناء ثم قال : حى على الطهور المبارك ، والبركة من الله عز وجل ، قال : فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل . ورواه الترمذى عن بندار عن ابن أحمد وقال : حسن صحيح .

حديث عن عمران بن حصين فى ذلك — قال البخارى : ثنا أبو الوليد ، ثنا مسلم بن زيد ، سمعت أبا رجاء قال : حدثنا عمران بن حصين أنهم كانوا مع رسول الله ﷺ فى مسير فأدلجوا ليلتهم ، حتى إذا كان وجه الصبح عرسوا فغلبتهم أعينهم حتى ارتفعت الشمس ، فكان أول من استيقظ من منامه أبو بكر ، وكان لا يوقظ رسول الله ﷺ من منامه حتى يستيقظ ، فاستيقظ عمر ، فقعد أبو بكر عند رأسه ، فجعل يكبر ويرفع صوته حتى استيقظ النبى ﷺ فنزل وصلى بنا الغداة ، فاعتزل رجل من القوم لم يصل معنا ، فلما انصرف قال : يا فلان ما يمنعك أن تصلى معنا ؟ قال : أصابتنى جنابة ، فأمره أن يتيمم بالصعيد ثم صلى ، وجعلنى رسول الله ﷺ فى ركوب بين يديه ، وقد عطشنا عطشا شديدا ، فبينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ إذا نحن بامرأة سادلة[١] رجليها بين مزادتين فقلنا لها : أين الماء ؟ قالت : إنه لا ماء ، فقلنا : كم بين أهلك وبين الماء ؟ قالت : يوم وليلة ، فقلنا : انطلقى إلى رسول الله ﷺ ، قالت : وما رسول الله ؟ فلم نملكها من أمرها حتى استقبلنا بها النبى ﷺ ، فحدثته بمثل الذى حدثتنا ، غير أنها حدثته أنها مؤتمة[٢] فأمر بمزادتيها فمسح فى العزلاوين[٣] فشربنا عطاشا أربعين رجلا حتى روينا ، وملأنا كل قربة معنا وإداوة ، غير أنه لم نسق بعيرا وهى تكاد تبض[٤] من الملء ، ثم قال : هاتوا ما عندكم ، فجمع لها من الكسر والتمر حتى أتت أهلها ، قالت : أتيت أسحر الناس ، أو هو نبى كما زعموا ، فهدى الله ذاك الصرم[٥] بتلك المرأة فأسلمت وأسلموا . وكذلك رواه مسلم من حديث سلم ابن رزين ، وأخرجاه من حديث عوف الأعرابى ، كلاهما عن رجاء العطاردى — واسمه عمران بن تيم — عن عمران بن حصين به . وفى رواية لهما فقال لها : اذهبى بهذا معك لعيالك واعلمى أنا لم نرزأك من مائك شيئا ، غير أن الله سقانا . وفيه أنه لما فتح العزلاوين سمى الله عز وجل .

---

(١) أى : مدلية (٢) أى : ذات أيتام (٣) العزلاوين : مثنى عزلاء
(٤) أى : ترشح يقال بض الماء سال قليلا قليلا (٥) الصرم : الجماعة من الناس

حديث عن أبي قتادة في ذلك — قال الإمام أحمد : ثنا يزيد بن هارون ، ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الله بن رباح ، عن أبي قتادة قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سَفر فقال : إنكم إن لا تُدركوا الماء غداً تَعطشوا ، وانطلق سُرعان الناس يريدون الماء ، ولزمتُ رسول الله ﷺ ، فمالت برسول الله ﷺ راحلته فنَعَس رسول الله ﷺ فدَعَمته[1] فادّعم ، ثم مال فدعمته فادعم ، ثم مال حتى كاد أن ينجفل[2] عن راحلته فدعمته فانتبه فقال : من الرجل ؟ فقلت : أبو قتادة ، قال : منذ كم كان مسيرك ؟ قلت : منذ الليلة ، قال : حفظك الله كما حفظت رسوله ، ثم قال : لو عَرّسنا[3] ، فمال إلى شجرة فنزل فقال : انظر هل ترى أحداً ؟ قلت : هذا راكب ، هذان راكبان ، حتى بلغ سبعة ، فقال : احفظوا علينا صلاتنا ، فنمنا فما أيقظنا إلا حر الشمس ، فانتبهنا فركب رسول الله ﷺ فسار وسرنا هُنَيهة ، ثم نزل فقال : أمعكم ماء ؟ قال : قلت : نعم معي ميضأة[4] فيها شيء من ماء ، قال : ائت بها ، قال فأتيته بها فقال : مُسّوا منها[5] مسّوا منها ، فتوضأ القوم وبقيت جُرعة فقال : ازدَهر بها[6] يا أبا قتادة فإنه سيكون لها نبأ ، ثم أذّن بلال وصلوا الركعتين قبل الفجر ثم صلوا الفجر ، ثم ركب وركبنا فقال بعضهم لبعض : فرطنا في صلاتنا ، فقال رسول الله ﷺ : ما تقولون ؟ إن كان أمر دنياكم فشأنكم ، وإن كان أمر دينكم فإليّ ، قلنا : يا رسول الله فرطنا في صلاتنا ، فقال : لا تفريط في النوم ، إنما التفريط في اليقظة ، فإذا كان ذلك فصلوها ومن الغد وقتها ، ثم قال : صلوا بالقوم ، قالوا : إنك قلت بالأمس : إن لا تدركوا الماء غداً تَعطشوا ، والناس بالماء ، قال : فلما أصبح الناس وقد فقدوا نبيهم ، فقال بعضهم لبعض : إن رسول الله ﷺ بالماء ، وفي القوم أبو بكر وعمر ، فقالا : أيها الناس إن رسول الله ﷺ لم يكن ليسبقكم إلى الماء ويخلفكم ، فإن يطع الناس أبا بكر وعمر يرشدوا ، قالها ثلاثا ، فلما اشتدت الظهيرة دفع بهم رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله هلكنا عطشا ، تقطعت الأعناق فقال : لا هلاك عليكم .

ثم قال : يا أبا قتادة ائت بالميضأة ، فأتيته بها ، فقال : احلل لي غُمَري – يعني قدحه – فحللته فأتيته به ، فجعل يصب فيه ويسقي الناس فازدحم الناس عليه ، فقال رسول الله ﷺ : يا أيها الناس أحسنوا الملأ فكلكم سيصدر عن ريّ ، فشرب القوم حتى لم يبق غيري وغير رسول الله ﷺ

---

(١) دعمه : مال فأقامه (٢) أي : يقع ويصرع
(٣) التعريس : النزول في السفر من آخر الليل للاستراحة (٤) الميضأة : إناء به ماء يتطهر به
(٥) المس : لمس الشيء ومسكه باليد ، ويراد به هنا : الأخذ
(٦) أي احتفظ بها ولا تضيعها ، مأخوذ من قولهم : قضيت منه زهرتي ، أي وطري

فصبّ لى فقال : اشرب يا أبا قتادة ، قال : قلت : اشرب أنت يا رسول الله ، قال إنّ ساقى القوم آخرهم ، فشربت وشرب بعدى وبقى فى الميضأة نحو مما كان فيها ، وهم يومئذ ثلثمائة . قال عبد الله : فسمعنى عمران بن حصين وأنا أحدّث هذا الحديث فى المسجد الجامع فقال : مَن الرجل ؟ قلت : أنا عبد الله بن رباح الأنصارى ، قال : القوم أعلم بحديثهم ، انظر كيف تحدث ، فإنى أحد السبعة تلك الليلة ، فلما فرغت قال : ما كنت أحسب أحدا يحفظ هذا الحديث غيرى .

قال حماد بن سلمة : وحدثنا حميد الطويل عن بكر بن عبد الله المزنى ، عن عبد الله بن رباح عن أبى قتادة الموصلى عن النبى ﷺ بمثله ، وزاد قال : كان رسول الله ﷺ إذا عرّس وعليه ليل توسد يمينه ، وإذا عرّس الصبح وضع رأسه على كفه اليمنى وأقام ساعده . وقد رواه مسلم عن شيبان بن فروخ عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن عبد الله بن رباح عن أبى قتادة ـ الحرث بن ربعى الأنصارى بطوله ، وأخرج من حديث حماد بن سلمة بسنده الأخير أيضاً .

حديث آخر عن أنس يشبه هذا — روى البيهقى من حديث الحافظ أبى يعلى الموصلى : ثنا شيبان ، ثنا سعيد بن سليمان الضبعى ، ثنا أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ جهّز جيشا إلى المشركين فيهم أبو بكر فقال لهم : جِدُّوا السير فإن بينكم وبين المشركين ماء ، إن يسبق المشركون إلى ذلك الماء شقّ على الناس وعطشتم عطشا شديداً أنتم ودوابكم ، قال : وتخلف رسول الله ﷺ فى ثمانية أنا تاسعهم ، وقال لأصحابه : هل لكم أن نُعرِّس قليلا ثم نلحق بالناس ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، فعرّسوا فما أيقظهم إلا حر الشمس ، فاستيقظ رسول الله ﷺ واستيقظ أصحابه ، فقال لهم : تقدموا واقضوا حاجاتكم ، ففعلوا ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ ، فقال لهم : هل مع أحد منكم ماء ؟ قال رجل منهم : يا رسول الله معى ميضأة فيها شىء من ماء ، قال : فجىء بها ، فجاء بها فأخذها نبى الله ﷺ فمسحها بكفيه ودعا بالبركة فيها وقال لأصحابه : تعالوا فتوضأوا ، فجاءوا وجعل يَصبّ عليهم رسول الله ﷺ حتى توضأوا كلهم ، فأذّن رجل منهم وأقام فصلى رسول الله ﷺ لهم وقال لصاحب الميضأة : ازدَهِرْ بميضأتك فسيكون لها شأن ، وركب رسول الله ﷺ قَبل الناس وقال لأصحابه : ما ترون الناس فعلوا ؟ فقالوا : الله ورسوله أعلم . فقال لهم : فيهم أبو بكر وعمر وسيرشد الناس ، فقدم الناس وقد سبق المشركون إلى ذلك الماء ، فشق ذلك على الناس وعطشوا عطشا شديداً ركابهم ودوابهم ، فقال رسول الله ﷺ : أين صاحب الميضأة ؟ قالوا : هو هذا يا رسول الله ، قال : جئنى بميضأتك ، فجاء بها وفيها شىء من ماء ، فقال لهم : تعالوا فاشربوا ، فجعل يصب لهم رسول الله ﷺ حتى شرب الناس كلهم

وَسَقوا دوابهم وركابهم ، وملأوا ما كان معهم من إداوة وقربة ومزادة ، ثم نهض رسول الله ﷺ وأصحابه إلى المشركين ، فبعث الله ريحاً فضرب وجوهَ المشركين ، وأنزل الله نصره ، وأمكن من ديارهم ، فقتلوا مقتلة عظيمة ، وأسروا أسارى كثيرة ، واستاقوا غنائم كثيرة ، ورجع رسول الله ﷺ والناس وافرين صالحين . وقد تقدم قريبا عن جابر ما يشبه هذا ، وهو فى صحيح مسلم .

وقدمنا فى غزوة تبوك ما رواه مسلم من طريق مالك عن أبى الزبير ، عن أبى الطفيل ، عن معاذ بن جبل ، فذكر حديث جمع الصلاة فى غزوة تبوك إلى أن قال : وقال — يعنى رسول الله ﷺ — : إنكم ستأتون غداً إن شاء الله عَين تبوك ، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى ضحى النهار ، فمن جاءها فلا يَمسّ من مائها شيئا حتى آتى ، قال : فجئناها ، وقد سبق إليها رجلان والعين مثل الشراك[1] تبض بشىء ، فسألهما رسول الله ﷺ : هل مسستما من مائها شيئا ؟ قالا : نعم ، فسبهما وقال لهما : ما شاء الله أن يقول ، ثم غرفوا من العين قليلا قليلا حتى اجتمع فى شىء ، ثم غسل رسول الله ﷺ وجهه ويديه ، ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير ، فاستقى الناس ، ثم قال رسول الله ﷺ : يا معاذ يوشك إن طالت بك حياة أن ترى ما ها هنا قد ملىء جنانا .

وذكرنا فى باب الوفود ، من طريق عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، عن زياد بن الحارث الصدائى فى قصة وفادته ، فذكر حديثا طويلا فيه ، ثم قلنا : يا رسول الله إن لنا بئراً إذا كان الشتاء وسعنا ماؤها ، واجتمعنا عليها . وإذا كان الصيف قل ماؤها فتفرقنا على مياه حولنا ، وقد أسلمنا ، وكل من حولنا عدوّ . فادع الله لنا فى بئرنا فيسعنا ماؤها فنجتمع عليه ولا نتفرق ، فدعا بسبع حصيات ففركهن بيده ودعا فيهن ، ثم قال : اذهبوا بهذه الحصيات ، فإذا أتيتم البئر فألقوا واحدة واحدة واذكروا اسم الله عز وجل ، قال الصدائى : ففعلنا ما قال لنا ، فما استطعنا بعد ذلك أن ننظر إلى قعرها — يعنى البئر . وأصل هذا الحديث فى المسند وسنن أبى داود والترمذى وابن ماجة . وأما الحديث بطوله ففى دلائل النبوة للبيهقى رحمه الله . وقال البيهقى :

---

(١) الشراك : أحد سيور النعل

(باب) ما ظهر فى البئر التى كانت بقباء من بركته

أخبرنا أبو الحسن محمد بن الحسين العلوى ، ثنا أبو حامد بن الشرقى ، أنا أحمد بن حفص بن عبد الله ، نا أبى ، حدثنا إبراهيم بن طهمان عن يحيى بن سعيد ، أنه حدثه ، أن أنس بن مالك أتاهم بقباء فسأله عن بئر هناك ، قال : فدَلَلْته عليها ، فقال : لقد كانت هذه ، وإنّ الرجل لينضح على حماره فينزح ، فجاء رسول الله ﷺ وأمر بذَنوب فسقى ؛ فإما أن يكون توضأ منه ـ وإما أن يكون تَفَل فيه ، ثم أمر به فأعيد فى البئر ، قال : فما نزحت بعد . قال : فرأيته بالَ ثم جاء فتوضأ ومسح على جبينه ثم صلّى . وقال أبو بكر البزار : ثنا الوليد بن عمرو بن مسكين ، ثنا محمد بن عبد الله بن مثنى عن أبيه عن ثمامة عن أنس قال : أتى رسول الله ﷺ فنزلنا فسقيناه من بئر لنا فى دارنا كانت تسمى : النَّزور فى الجاهلية ، فتفَل فيها فكانت لا تنزح بعد . ثم قال : لا نعلم هذا يروى إلا من هذا الوجه .

باب تكثيره عليه السلام الأطعمة

للحاجة إليها فى غير ما موطن

(تكثيره اللبن فى مواطن أيضاً) قال الإمام أحمد : ثنا روح ، ثنا عمر بن ذر عن مجاهد أن أبا هريرة كان يقول : والله إن كنت لأعتمد بكبدى على الأرض من الجوع ، وإن كنت لأشدّ الحجَرَ على بَطنى من الجوع ، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذى يخرجون منـــه ، فمر أبو بكر فسألتُه عن آية من كتاب الله عز وجل ، ما سألتُه إلا ليستتبعنى[1] فلم يَفعل ؛ فمر عمر رضى الله عنه فسألته عن آية من كتاب الله ، ما سألته إلا ليستتبعنى فلم يفعل ، فمر أبو القاسم ﷺ فعرف ما بوجهى وما فى نفسى ، فقال : أبا هريرة ، قلت له : لبيك يارسول الله ، فقال : الحق . واستأذنت فأذن لى فوجدت لبناً فى قَدح . قال : من أين لكم هذا اللبن ؟ فقالوا : أهداه لنا فلان وآل فلان ، قال : أبا هرّ ، قلت : لبيك يارسول الله ، قال : انطلق إلى أهل الصفّة فادعهم لى ، قال : ـ وأهل الصفّة أضياف الإسلام ، لم يأووا إلى أهل ولا مال[2] ، إذا جاءت رسولَ الله ﷺ هدّية أصاب منها وبعث إليهم منها ، وإذا جاءته الصدقة أرسل بها إليهم ولم يصب منها . قال : وأحزننى ذلك ، وكنت أرجو أن أصيب من اللبن شربة أتقوّى بها بقية يومى

---

(١) أى : يطلب منى أن أتبعه وأمضى معه .

(٢) كانوا يبيتون فى صفة المسجد ، وهى : موضع مظلل منه .

وليلتى ، وقلت : أنا الرسول ، فإذا جاء القوم كنت أنا الذى أعطيهم ، وقلت : ما يبقى لى من هذا اللبن ، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بدٌّ ، فانطلقت فدعوتهم فأقبلوا ، فاستأذنوا فأذن لهم فأخذوا مجالسهم من البيت ، ثم قال : أبا هرٍّ خذ فأعطهم ، فأخذت القدح فجعلت أعطيهم فيأخذ الرجل القدح فيشرب حتى يروى ثم يرد القدح ، حتى أتيت على آخرهم ، ودفعت إلى رسول الله ﷺ فأخذ القدح فوضعه فى يده وبقى فيه فضلة ، ثم رفع رأسه ونظر إلىّ وتبسم ، وقال : أبا هرّ ، فقلت : لبيك رسول الله . قال : بقيت أنا وأنت ، فقلت : صدقت يارسول الله قال : فاقعد فاشرب ، قال : فقعدت فشربت ثم قال لى : اشرب ، فشربت ، فما زال يقول لى : اشرب فأشرب حتى قلت : لا ، والذى بعثك بالحق ما أجـد له فىّ مسلكا ، قال : ناولنى القدح ، فرددت إليه القدح فشرب من الفضلة . ورواه البخارى عن أبى نعيم ، وعن محمد بن مقاتل عن عبد الله بن المبارك . وأخرجه الترمذى عن عباد بن يونس بن بكير - ثلاثتهم ، عن عمر بن ذرّ وقال الترمذى : صحيح .

وقال الإمام أحمد : ثنا أبو بكر بن عياش ، حدثنى عن زرّ عن ابن مسعود قال : كنت أرعى غنما لعقبة بن أبى معيط ، فمر بى رسول الله ﷺ وأبو بكر فقال : ياغلام هل من لبن ؟ قال: فقلت : نعم ولكنى مؤتمن ، قال : فهل من شاة لم ينز عليها الفحل ؟ فأتيته بشاة فمسح ضرعها فنزل لبن ، فحلبه فى إناء فشرب وسقى أبا بكر ، ثم قال للضرع : اقلص[1] ، فقلص . قال : ثم أتيته بعد هذا فقلت : يارسول الله علمنى من هذا القول ، قال : فمسح رأسى وقال : ياغلام يرحمك الله ، فإنك عليم معلم . ورواه البيهقى من حديث أبى عوانة عن عاصم عن أبى النجود عن زرّ عن ابن مسعود ، وقال فيه : فأتيته بعناق[2] جذعة فاعتقلها ، ثم جعل يمسح ضرعها ويدعو ، وأتاه أبو بكر بجفنة فحلب فيها وسقى أبا بكر ثم شرب ، ثم قال للضرع : اقلص فقلص ، فقلت : يارسول الله علمنى من هذا القول ، فمسح رأسى وقال : إنك غلام معلم فأخذت عنه سبعين سورة ما نازعنيها بشر .

وتقدم فى الهجرة حديث أم معبد وحلبه عليه السلام شاتها ، وكانت عجفاء لا لبن لها ، فشرب هو وأصحابه وغادر عندها إناء كبيراً من لبن حتى جاء زوجها . وتقدم فى ذكر من كان يخدمه من غير مواليه عليه السلام : المقداد بن الأسود ، حين شرب اللبن الذى كان قد جاء لرسول الله ﷺ ثم قام فى الليل ليذبح له شاة فوجد لبناً كثيراً ، فحلب ما ملأ منه إناء كبيرا جدا . . . الحديث وقال أبو داود الطيالسى : ثنا زهير عن أبى إسحاق عن ابنة خباب ، أنها أتت رسول الله ﷺ

---

(١) أى : انكمش وليرتفع اللبن . (٢) العناق : الأنثى من أولاد المعز .

بشاة فأعتقلها وحلبها ، فقال : ائتنى بأعظم إناء لكم ، فأتيناه بجفنة العجين ، فحلب فيها حتى ملأها ، ثم قال : اشربوا أنتم وجيرانكم . وقال البيهقي : أنا أبو الحسين بن بشران ببغداد ، أنا إسمعيل بن محمد الصفار ، أنا محمد بن الفرج الأزرق ، ثنا عصمة بن سليمان الخراز ، ثنا خلف بن خليفة عن أبى هاشم الرمانى عن نافع – وكانت له صحبة – قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر ، وكنا زهاء أربعمائة ، فنزلنا فى موضع ليس فيه ماء ، فشق ذلك على أصحابه وقالوا : رسول الله ﷺ أعلم ، قال : فجاءت شويهة لها قرنان ، فقامت بين يدى رسول الله ﷺ فحلبها فشرب حتى روى ، وسقى أصحابه حتى رووا ، ثم قال : يانافع املكها الليلة ، وما أراك تملكها ؛ قال : فأخذتها فوتدت لها وتدا . ثم ربطتها بحبل ، ثم قمت فى بعض الليل فلم أر الشاة ورأيت الحبل مطروحاً ، فجئت رسول الله فأخبرته من قبل أن يسألنى ، فقال : يا نافع ذهب بها الذى جاء بها . قال البيهقي : ورواه محمد بن سعد عن خلف بن الوليد – أبى الوليد الأزدى – عن خلف بن خليفة عن أبان . وهذا حديث غريب جدا إسناداً ومتنا .

ثم قال البيهقي : أنا أبو سعيد الماليني ، أنا أبو أحمد بن عدى ، أنا ابن العباس بن محمد بن العباس ، ثنا أحمد بن سعيد بن أبى مريم ، ثنا أبو حفص الرياحى ، ثنا عامر بن أبى عامر الخراز ، عن أبيه عن الحسن عن سعد – يعنى مولى أبى بكر – قال : قال رسول الله ﷺ :احلب لى العنز ، قال : وعهدى بذلك الموضع لا عنز فيه ، قال : فأتيت فإذا العنز حافل ، قال : فاحتلبتها واحتفظت بالعنز وأوصيت بها ، قال : فاشتغلنا بالرحلة ففقدت ، فقلت : يارسول الله فقد فقدت العنز ، فقال : إن لها ربًّا . وهذا أيضاً حديث غريب جداً إسناداً ومتنا وفى إسناده من لا يعرف حاله ، وسيأتى حديث الغزالة فى قسم مايتعلق من المعجزات بالحيوانات .

تكثيره عليه السلام السمن لأم سليم .

قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا شيبان . ثنا محمد بن زيادة البرجمى عن أبى طلال ، عن أنس عن أمه قال : كانت لها شاة فجمعت من سمنها فى عكة[١] فملأت العكة ثم بعثت بها مع ربيبة[٢] فقالت : ياربيبة ،أبلغى هذه العكة رسول الله ﷺ يأتدم بها ، فانطلقت بها ربيبة حتى أتت رسول الله ﷺ فقالت: يارسول الله هذه عكة سمن بعثت بها إليك أم سليم ، قال : أفرغوا لها عكتها ، ففرغت العكة فدفعت إليها فانطلقت بها ، وجاءت وأم سليم ليست فى البيت فعلقت العكة على وتد ، فجاءت أم سليم فرأت العكة ممتلئة تقطر ، فقالت أم سليم : ياربيبة أليس أمرتك أن تنطلقى بها إلى رسول الله ؟ فقالت : قد فعلت ، فإن لم تصدقينى فانطلقى

(١) العكة : إناء من جلد للسمن والعسل أصغر من القربة (٢) الربيبة : الحاضنة .

فسلى رسول الله ﷺ ، فانطلقت ومعها ربيبة ؛ فقالت : يارسول الله إنى بعثت معها إليك بعُكة فيها سمن ، قال : قد فعلت ، قد جاءت ، قالت : والذى بعثك بالحق ودين الحق إنها لممتلئة تقطر سمناً ، قال : فقال لها رسول الله ﷺ : يا أمّ سليم : أتعجبين إن كان الله أطعمك كما أطعمت نبيّه ؟ كُلى وأطعمى ، قالت : فجئت إلى البيت فقسمت فى قَعْب لنا وكذا وكذا ، وتركت فيها ما ائتدمنا به شهراً أو شهرين .

حديث آخر فى ذلك ــ قال البيهقى : أنا الحاكم ، أنا الأصم ، ثنا عباس الدورى ، ثنا على بن بحر القطان ، ثنا خلف بن خليفة عن أبى هاشم الرمانى ، عن يوسف بن خالد عن أوس بن خالد ، عن أم أوس البَهْزية[1] ، قالت : سليت سمنا لى فجعلته فى عُكة ، فأهديته لرسول الله فقبله ، وترك فى العُكة قليلا ونفخ فيها ، ودعا بالبركة ، ثم قال : ردّوا عليها عُكتها ، فردوها عليها وهى مملوءة سمناً ، قالت : فظننت أن رسول الله لم يقبلها فجاءت ولها صراخ ، فقالت : يارسول الله إنما سَليته لك لتأكله ، فعلم أنه قد استجيب له ، فقال : اذهبوا فقولوا لها فلتأكل سمنها وتدعو بالبركة ، فأكلت بقية عُمر النبى ﷺ وولاية أبى بكر وولاية عمر وولاية عثمان ، حتى كان من أمر على ومعاوية ما كان .

حديث آخر ــ روى البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بكير ، عن عبد الأعلى بن المسور القرشى ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن أبى هريرة قال : كانت امرأة من دَوْس يقال لها : أم شريك ، أسلمت فى رمضان ، فذكر الحديث فى هجرتها وصحبة ذلك اليهودى لها ، وأنها عطشت فأبى أن يسقيها حتى تهود ، فنامت فرأت فى النوم مَن يسقيها ، فاستيقظت وهى ريانة . فلما جاءت رسول الله قصت عليه القصة ، فخطبها إلى نفسها فرأت نفسها أقلّ من ذلك . وقالت : بل زوّجنى من شئت ، فزوّجها زيداً وأمر لها بثلاثين صاعا ، وقال : كلوا ولا تكيلوا . وكانت معها عُكة سمن هدية لرسول الله ، فأمرت جاريتها أن تحملها إلى رسول الله ، ففرغت وأمرها رسول الله إذا ردّتها أن تعلقها ولا توكيها ، فدخلت أم شريك فوجدتها ملآى ، فقالت للجارية : ألم آمرك أن تذهبى بها إلى رسول الله ؟ فقالت : قد فعلت ، فذكروا ذلك لرسول الله ، فأمرهم أن لا يوكئوها ، فلم تزل حتى أوكتها أم شريك ، ثم كالوا الشعير فوجدوه ثلاثين صاعا لم ينقص منه شىء .

حديث آخر فى ذلك : قال الإمام أحمد : ثنا حسن ، ثنا ابن لهيعة ثنا أبو الزبير عن جابر أن

(١) نسبة إلى بهز : حى من العرب ، منهم ضمرة بن ثعلبة البهزى الصحابى .

أم مالك البَهْزية كانت تهدى فى عُكّة لها ـ سمناً للنبى ﷺ ، فبينما بنوها يسألونها الإدام وليس عندها شىء ، عَمدت إلى عُكّتها التى كانت تهدى فيها إلى النبى ﷺ ، فقال : أعصرتيها ؟ فقلت نعم ، قال : لو تركتيها ما زال ذلك مقيما. ثم روى الإمام أحمد بهذا الإسناد من جابر عن النبى ﷺ أنه أتاه رجل يستطعمه فأطعمه شطر وَسق شعير ، فما زال الرجل يأكل منه هو وامرأته وضيف لهم حتى كالوه ، فقال رسول الله ﷺ : لو لم تكيلوه لأكلتم فيه ولقام لكم . وقد روى هذين الحديثين مسلم من وجه آخر عن أبى الزبير عن جابر .

ذكر ضيافة أبى طلحة الأنصارى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وما ظهر فى ذلك اليوم من دلالات النبوة ؛ فى تكثير الطعام الندر حتى عم من هناك من الضيفان ، وأهل المنزل ، والجيران .

قال البخارى : ثنا عبد الله بن يوسف ، أخبرنا مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة أنه سمع أنس بن مالك يقول : قال أبو طلحة لأم سليم : لقد سمعت صَوت رسول الله ضعيفاً أعرف فيه الجوع ، فهل عندك من شىء ؟ قالت : نعم ، فأخرجت أقراصاً من شعير ، ثم أخرجت خِماراً لها ، فلفت الخبز ببعضه ، ثم دسته تحت يدى ولاَثتنى[1] ببعضه ، ثم أرسلتنى إلى رسول الله ﷺ ، قال : فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ فى المسجد ومعه الناس ، فقمت عليهم ، فقال لى رسول الله ﷺ : آرسلك أبو طلحة ؟ فقلت نعم : قال بطعام ؟ قلت : نعم ، فقال رسول رسول الله ﷺ لمن معه : قوموا ، فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته ، فقال أبو طلحة : يا أم سليم قد جاء رسول الله ﷺ والناس وليس عندنا ما نطعمهم ؟ فقالت : الله ورسوله أعلم ، فانطلق أبو طلحة حتى لقى رسول الله ﷺ فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه ، فقال رسول الله : هَلُمّى يا أم سليم ما عندك ؟ فأتت بذلك الخبز ، فأمر به رسول الله ﷺ ففُتّ ، وعَصرت أم سليم عُكّة فأدَمته[2] ثم قال رسول الله فيه ما شاء الله أن يقول ثم قال : ائذن لعشرة ، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال : ائذن لعشرة ، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال : ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال : ائذن لعشرة فأكل القوم كلهم ، والقوم سبعون أو ثمانون رجلا . وقد رواه البخارى فى مواضع أخر من صحيحه ، ومسلم من غير وجه عن مالك .

---

(١) أى : لفتنى ، والالتياث الالتفاف . (٢) أى : جعلته إداماً للمفتوت

طريق آخر عن أنس بن مالك رضي الله عنه ـ قال أبو يعلى : ثنا هدبة بن خالد ، ثنا مبارك ابن فضالة ، ثنا بكير وثابت البناني عن أنس ، أن أبا طلحة رأى رسول الله ﷺ طاويا ، فجاء إلى أم سليم فقال : إني رأيت رسول الله ﷺ طاويا ، فهل عندك من شيء ؟ قالت : ما عندنا إلا نحو من مُدّ دقيق شعير قال : فاعجنيه وأصلحيه عسى أن ندعُوَ رسول الله ﷺ فيأكل عندنا ، قال : فعجنته وخبزته فجاء قُرصاً ، فقال : يا أنس ادع رسول الله ، فأتيت رسول الله ومعه أناس ، قال مبارك : أحسبه قال : بضعة وثمانون ، قال : فقلت : يا رسول الله أبو طلحة يدعوك ، فقال لأصحابه : أجيبوا أبا طلحة ، فجئت جزعا حتى أخبرته أنه قد جاء بأصحابه ، قال بكير : فعدى قدمه ، وقال ثابت قال أبو طلحة : رسول الله أعلم بما في بيتي مني ، وقالا جميعا عن أنس : فاستقبله أبو طلحة فقال : يا رسول الله ما عندنا شيء إلا قرص ، رأيتك طاويا ، فأمرت أم سليم فجعلت لك قُرصاً ، قال : فدعا بالقرص ودعا بجفنة ، فوضعه فيها وقال : هل من سمن ؟ قال أبو طلحة : قد كان في العُكة شيء ، قال : فجاء بها ، قال : فجعل رسول الله وأبو طلحة يَعْصُرانها حتى خرج شيء مسح رسول الله به سبّابته ، ثم مسح القرص فانتفخ وقال : بسم الله فانتفخ القرص ، فلم يزل يصنع كذلك والقُرص ينتفخ حتى رأيت القُرص في الجفنة يميع[1] فقال : ادع عشرة من أصحابي ، فدعوت له عشرة ، قال : فوضع رسول الله ﷺ يده وسط القرص وقال : كلوا بسم الله ، فأكلوا من حوالى القرص حتى شبعوا . ثم قال : ادع لي عشرة أخرى ، فدعوت له عشرة أخرى ، فقال : كلوا بسم الله ، فأكلوا من حوالى القرص حتى شبعوا . فلم يزل يدعو عشرة عشرة يأكلون من ذلك القرص حتى أكل منه بضعة وثمانون من حوالى القرص حتى شبعوا ، وإنّ وَسَط القرص حيث وضع رسول الله ﷺ يده كما هو . وهذا إسناد حسن على شرط أصحاب السنن ولم يخرجوه ، فالله أعلم .

طريق أخرى عن أنس بن مالك رضي الله عنه ـ قال الإمام أحمد : ثنا عبد الله بن نمير ، ثنا سعد — يعني ابن سعيد بن قيس — أخبرني أنس بن مالك قال : بعثني أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ لأدعوه ، وقد جعل له طعاما ، فأقبلت ورسول الله ﷺ مع الناس ، قال : فنظر إليّ فاستحييت فقلت : أجب أبا طلحة ، فقال للناس : قوموا ، فقال أبو طلحة : يا رسول الله إنما صنعت شيئاً لك ، قال : فمسّها رسول الله ودعا فيها بالبركة ، ثم قال : أدخل نفراً من أصحابي عشرة ، فقال : كلوا فأكلوا حتى شبعوا وخرجوا . وقال : أدخل عشرة

(١) أي : يذوب ويتحرك .

فأكلوا حتى شبعوا ، فما زال يدخل عشرة ويخرج عشرة حتى لم يبق منهم أحد إلا دخل فأكل حتى شبع ، ثم هيأها ، فإذا هي مثلها حين أكلوا منها .

وقد رواه مسلم ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، ومحمد بن عبد الله بن نمير — كلاهما عن عبد الله بن نمير ، وعن سعيد بن يحيى الأموى عن أبيه — كلاهما ، عن سعد بن سعيد ابن قيس الأنصاري .

طريق أخرى ـ رواه مسلم في الأطعمة ، عن عبد بن حميد ، عن خالد بن مخلد ، عن محمد ابن موسى ، عن عبد الله بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس فذكر نحو ما تقدم . وقد رواه أبو يعلى الموصلي ، عن محمد بن عباد المكي ، عن حاتم ، عن معاوية بن أبي مردد ، عن عبد الله ابن عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه ، عن أبي طلحة فذكره ، والله أعلم .

طريق أخرى عن أنس ـ قال الإمام أحمد : ثنا علي بن عاصم ، ثنا حصين بن عبد الرحمن ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أنس بن مالك قال : أتى أبو طلحة بمدّين من شعير ، فأمر به فصنع طعاماً ، ثم قال لي : يا أنس انطلق ائت رسول الله ﷺ فادعه ، وقد تعلم ما عندنا ، قال : فأتيت رسول الله ﷺ وأصحابه عنده فقلت : إن أبا طلحة يدعوك إلى طعامه ، فقام وقال للناس : قوموا فقاموا ، فجئت أمشي بين يديه حتى دخلت على أبي طلحة فأخبرته ، قال : فضحتنا ، قلت : إني لم أستطع أن أردّ على رسول الله ﷺ أمره ، فلما انتهى رسول الله ﷺ قال لهم : اقعدوا ، ودخل عاشرَ عَشرة ، فلما جيء بالطعام تناول فأكل وأكل معه القوم حتى شبعوا ، ثم قال لهم : قوموا ، وليدخل عشرة مكانكم ، حتى دخل القوم كلهم وأكلوا ، قال : قلت : كم كانوا؟ قال: كانوا نيفاً وثمانين ، قال : وفضل لأهل البيت ما أشبعهم . وقد رواه مسلم في الأطعمة ، عن عمرو الناقد ، عن عبدالله بن جعفر الرقي ، عن عبيد الله بن عمرو ، عن عبد الملك ابن عمير ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أنس قال : أمر أبو طلحة أم سليم قال : اصنعي للنبي ﷺ لنفسه خاصة طعاماً يأكل منه ، فذكر نحو ما تقدم .

طريق أخرى عن أنس ـ قال أبو يعلى : ثنا شجاع بن مخلد ، ثنا وهب بن جرير ، ثنا أبي ، سمعت جرير بن يزيد يحدث ، عن عمرو بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس بن مالك قال : رأى أبو طلحة رسول الله في المسجد مضطجعاً يتقلب ظهراً لبطن ، فأتى أم سليم فقال : رأيت رسول الله مضطجعاً في المسجد يتقلب ظهراً لبطن ، فخبزت أم سليم قُرصاً ، ثم قال لي أبو طلحة : اذهب فادع رسول الله ، فأتيته وعنده أصحابه فقلت : يارسول الله يدعوك أبو طلحة ، فقام وقال: قوموا ، قال : فجئت أسعى إلى أبي طلحة ، فأخبرته أن رسول الله قد كان تبعه أصحابه ، فتلقاه

أبو طلحة ، فقال : يا رسول الله إنما هو قرص ، فقال : إنّ الله سيبارك فيه ، فدخل رسول الله وجيء بالقرص فى قصعة ، فقال : هل مِنْ سَمْن ؟ فجيء بشيء من سمن فغوّر القرص بأصبعه هكذا ، ورفعها ، ثم صبّ وقال : كلوا من بين أصابعى ، فأكل القوم حتى شبعوا ، ثم قال : أدخل علىّ عشرة ، فأكلوا حتى شبعوا ، حتى أكل القوم فشبعوا ، وأكل رسول الله ﷺ وأبو طلحة وأم سليم وأنا ، حتى شبعنا ، وفضلت فضلة أهديت لجيران لنا .

ورواه مسلم فى الأطعمة من صحيحه ، عن حسن الحلوانى ، وعن وهب بن جرير ابن حازم ، عن عمه جرير بن يزيد ، عن عمرو بن عبد الله بن أبى طلحة ، عن أنس ابن مالك فذكر ما تقدم .

طريق أخرى عن أنس - قال الإمام أحمد : ثنا يونس بن محمد ، ثنا حماد - يعنى ابن زيد - عن هشام عن محمد - يعنى ابن سيرين - عن أنس ، قال حماد : والجعد قد ذكره ، قال : عمدت أم سليم إلى نصف مُدّ شعير فطحنته ، ثم عمدت إلى عُكّة كان فيها شيء من سمن فاتخذت منه خَطيفة[1] . قال : ثم أرسلتنى إلى رسول الله ﷺ قال : فأتيته وهو فى أصحابه فقلت : إن أم سليم أرسلتنى إليك تدعوك ، فقال : أنا ومن معى ، قال : فجاء هو ومن معه ، قال : فدخلت فقلت لأبى طلحة : قد جاء رسول الله ﷺ ومن معه ، فخرج أبو طلحة فمشى إلى جنب النبى ﷺ وقال : يا رسول الله إنما هى خَطيفة اتخذتها أم سليم من نصف مدّ شعير ، قال : فدخل فأتى به ، قال : فوضع يده فيها ، ثم قال : أدخل عشرة ، قال: فدخل عشرة فأكلوا حتى شبعوا ، ثم دخل عشرة فأكلوا ، ثم عشرة فأكلوا ، حتى أكل منها أربعون - كلهم أكلوا حتى شبعوا ، قال : وبقيت كما هى ، قال : فأكلنا .

وقد رواه البخارى فى الأطعمة ، عن الصلت بن محمد ، عن حماد بن زيد ، عن الجعد أبى عثمان ، عن أنس وعن هشام بن محمد ، عن أنس وعن سنان بن ربيعة ، عن أبى ربيعة عن أنس ، أن أم سليم عمدت إلى مدّ من شعير جشّته[2] وجعلت منه خَطيفة ، وعمدت إلى عُكّة فيها شيء من سمن فعصرته ، ثم بعثتنى إلى رسول الله وهو فى أصحابه .. الحديث بطوله .

ورواه أبو يعلى الموصلى : ثنا عمرو عن الضحاك ، ثنا أبى ، سمعت أشعث الحرانى . قال : قال محمد ابن سيرين : حدثنى أنس بن مالك ، أن أبا طلحة بلغه أنه ليس عند رسول الله ﷺ طعام ، فذهب فأجّر نفسه بصاع من شعير فعمل يومه ذلك ، فجاء به وأمر أم سليم أن تعمله خطيفة . وذكر الحديث .

(١) الخطيفة : دقيق يذر عليه اللبن ثم يطبخ فيلعق ويختطف بالملاعق - وهى العصيدة .
(٢) أى دقته وكسرته وطحنته .

طريق أخرى عن أنس رضى الله عنه ـ قال الإمام أحمد : ثنا يونس بن محمد ، ثنا حارث ابن ميمون ، عن النضر بن أنس ، عن أنس بن مالك قال : قالت أم سليم : اذهب إلى نبي الله ﷺ فقل : إن رأيت أن تتغدى عندنا فافعل ، فجئته فبلغته ، فقال : ومن عندى ؟ قلت : نعم ، قال : انهضوا ، قال : فجئته فدخلت على أم سليم وأنا دَهِشٌ لمن أقبل مع رسول الله ﷺ قال : فقالت أم سليم : ما صنعت يا أنس ؟ فدخل رسول الله ﷺ على إثر ذلك فقال : هل عندك سمن ؟ قالت : نعم ، قد كان منه عندى عُكّة فيها شيء من سمن ، قال : فأت بها ، قالت : فجئتُ بها ففتح رباطها ثم قال : بسم الله ، اللهم أعظم فيها البركة ، قال : فقال اقلبيها ، فقلبتها فعصرَها نبيّ الله ﷺ وهو يُسمّى[1] ، فأخذت نقع[2] قدر فأكل منها بضع وثمانون رجلا ، وفَضَل فضلة فدفعها إلى أمّ سليم فقال : كُلِي وأطعمى جيرانك . وقد رواه مسلم فى الأطعمة عن حجاج ابن الشاعر ، عن يونس بن محمد المؤدب به .

طريق أخرى ـ قال أبو القاسم البغوى : ثنا على بن المدينى ، ثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردى عن عمرو بن يحيى بن عمارة المازنى عن أبيه ، عن أنس بن مالك ، أن أمه أم سليم صنعت خَزِيراً[3] ، فقال أبو طلحة : اذهب يا بنى فادع رسول الله ﷺ ، قال فجئته وهو بين ظهرانى الناس فقلت : إن أبى يدعوك ، قال : فقام وقال للناس : انطلقوا ، قال : فلما رأيته قام بالناس تقدمت بين أيديهم ، فجئت أبا طلحة فقلت : يا أبت قد جاءك رسول الله ﷺ بالناس ، قال فقام أبو طلحة على الباب وقال : يا رسول الله إنما كان شيئاً يسيراً ، فقال : هَلُمَّهُ ؛ فإن الله سيجعل فيه البركة ، فجاء به فجعل رسول الله يده فيه ، ودعا الله بما شاء أن يدعو ، ثم قال : أدخل عشرة عشرة ، فجاءه منهم ثمانون فأكلوا وشبعوا . ورواه مسلم فى الأطعمة عن عبد ابن حميد عن القعنبى عن الدراوردى ، عن يحيى بن عمارة بن أبى حسن الأنصارى المازنى ، عن أبيه عن أنس بن مالك بنحو ما تقدم .

طريق أخرى ـ ورواه مسلم فى الأطعمة أيضاً عن حرملة ، عن ابن وهب ، عن أسامة بن زيد الليثى ، عن يعقوب بن عبد الله بن أبى طلحة ، عن أنس كنحو ما تقدم . قال البيهقى : وفى بعض حديث هؤلاء : ثم أكل رسول الله ﷺ وأكل أهل البيت وأفضلوا ما بلغ جيرانهم . فهذه طرق متواترة عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه شاهد ذلك ، على ما فيه من اختلاف عنه فى بعض

---

(١) تمام الحديث فى الأصل : أنه أمر أنسا فدعا تسعين فأكلوا وشهدوا الرسول ، ثم دعا تسعين كذلك ، فكان جملة من أكل من الطعام « مائة وثمانين من الأنصار » .

(٢) النقع : ما يجتمع فى البئر من الماء . (٣) أى : عصيدة ، أو مرقة من بلالة النخالة .

حروفه ، ولكن أصل القصة متواتر لا محالة كما ترى ، ولله الحمد والمنة ، فقد رواه عن أنس ابن مالك ـ إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، وبكر بن عبد الله المزنى ، وثابت بن أسلم البنانى ، والجعد ابن عثمان ، وسعد بن سعيد ـ أخو يحيى بن سعيد الأنصارى ، وسنان بن ربيعة ، وعبد الله بن عبد الله بن أبي طلحة ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، وعمرو بن عبد الله بن أبي طلحة ، ومحمد بن سيرين ، والنضر بن أنس ، ويحيى بن عمارة بن أبي حسن ، ويعقوب بن عبد الله بن أبي طلحة .

وقد تقدم فى غزوة الخندق حديث جابر فى إضافته ﷺ على صاع من شعير وعناق ، فعزم عليه السلام على أهل الخندق بكمالهم ، فكانوا ألفا أو قريباً من ألف ، فأكلوا كلهم من تلك العناق وذلك الصاع حتى شبعوا وتركوه كما كان . وقد أسلفناه بسنده ومتنه وطرقه ، ولله الحمد والمنة .

ومن العجب الغريب : ما ذكره الحافظ أبو عبد الرحمن بن محمد بن المنذر الهروى ـ المعروف بشكر ـ فى كتاب العجائب الغريبة ، فى هذا الحديث ، فإنه أسنده وساقه بطوله ، وذكر فى آخره شيئا غريبا فقال : ثنا محمد بن على بن طرخان ، ثنا محمد بن مسرور ، أنا هاشم بن هاشم ـ ويكنى بأبى برزة ـ بمكة فى المسجد الحرام ، ثنا أبو كعب البداح بن سهل الأنصارى ـ من أهل المدينة من الناقلة الذين نقلهم هارون إلى بغداد ، سمعت منه بالمصيصة[1] عن أبيه سهل بن عبد الرحمن ، عن أبيه عبد الرحمن بن كعب ، عن أبيه كعب بن مالك قال : أتى جابر بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فعرف فى وجهه الجوع ، فذكر أنه رجع إلى منزله فذبح داجناً[2] كانت عندهم وطبخها ، وثرد تحتها فى جفنة ، وحملها إلى رسول الله ﷺ فأمره أن يدعو له الأنصار ، فأدخلهم عليه أرسالا فأكلوا كلهم وبقى مثل ما كان . وكان رسول الله ﷺ يأمرهم أن يأكلوا ولا يكسروا عظما ، ثم إنه جمع العظام فى وسط الجفنة فوضع عليها يده ، ثم تكلم بكلام لا أسمعه ، إلا أنى أرى شفتيه تتحرك ، فإذا الشاة قد قامت تنفض أذنيها ، فقال : خذ شاتك يا جابر ، بارك الله لك فيها ، قال : فأخذتها ومضيت ، وإنها لتنازعنى أذنها حتى أتيت بها البيت ، فقالت لى المرأة : ما هذا يا جابر ؟ فقلت : هذه والله شاتنا التى ذبحناها لرسول الله ، دعا الله فأحياها لنا فقالت : أنا أشهد أنه رسول الله ، أشهد أنه رسول الله ، أشهد أنه رسول الله .

حديث آخر عن أنس فى معنى ما تقدم — قال أبو يعلى الموصلى والباغندى : ثنا شيبان ، ثنا محمد بن عيسى بصرى ـ وهو صاحب الطعام ـ ثنا ثابت البنانى ، قلت لأنس بن مالك : يا أنس ، أخبرنى بأعجب شىء رأيته ، قال : نعم يا ثابت ، خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فلم يعب على شيئا أسأت فيه ، وإن نبى الله ﷺ لما تزوج زينب بنت جحش قالت لى أمى :

---

(١) المصيصة ـ كسفينة : بلد بالشام (٢) الداجن : ما تألف البيوت من الشياه ونحوها

ياأنس، إن رسول الله ﷺ أصبح عَروسا، ولا أدرى، أصبح له غداء؟ فهلمّ تلك العُكة، فأتيتها بالعكة وبتمر فجعلت له حَيسا(١) فقالت: ياأنس اذهب بهذا إلى نبى الله وامرأته، فلما أتيت رسول الله ﷺ بتور(٢) من حجارة فيه ذلك الحَيْس قال: دعه ناحية البيت وادع لى أبا بكر وعمر وعليا وعثمان، ونفراً من أصحابه، ثم ادع لى أهل المسجد ومن رأيت فى الطريق، قال: فجعلت أتعجب من قلة الطعام ومن كثرة ما يأمرنى أن أدعوَ الناس، وكرهت أن أعصيه، حتى امتلأ البيت والحُجرة، فقال: يا أنس، هل ترى من أحد؟ فقلت: لا يارسول الله، قال: هات ذلك التّور فجئت بذلك التور فوضعته قدامه، فغمس ثلاث أصابع فى التور فجعل التمر يربو، فجعلوا يتغذون ويخرجون حتى إذا فرغوا أجمعون وبقى فى التّور نحو ما جئت به، فقال: ضَعه قدام زينب، فخرجت وأسقفت عليهم باباً من جريد، قال ثابت: قلنا: ياأبا حمزة: كم ترى كان الذين أكلوا من ذلك التّور؟ فقال: أحسب واحداً وسبعين أو اثنين وسبعين. وهذا حديث غريب من هذا الوجه ولم يخرجوه.

حديث آخر عن أبى هريرة فى ذلك — قال جعفر بن محمد الفريابى: ثنا عثمان ابن أبى شيبة، ثنا حاتم بن إسماعيل عن أنيس بن أبى يحيى عن إسحاق بن سالم عن أبى هريرة قال: خرج علىَّ رسول الله ﷺ فقال: أدع لى أصحابك من أصحاب الصُّفة، فجعلت أنبههم رجلا رجلا فجمعتهم، فجئنا باب رسول الله ﷺ فاستأذنا فأذن لنا، قال أبو هريرة: فوضعت بين أيدينا صَحفة أظن أن فيها قَدْر مُدّ من شعير، قال: فوضع رسول الله ﷺ عليها يده وقال: كلوا بسم الله، قال: فأكلنا ما شئنا ثم رفعنا أيدينا، فقال رسول الله ﷺ حين وضعت الصحفة: والذى نفسى بيده ما أمسى فى آل محمد طعام ليس تروْنه، قيل لأبى هريرة: قدركم. كانت حين فرغتم منها؟ قال: مثلها حين وضعت، إلا أن فيها أثر الأصابع وهذه قصة غير قصة أهل الصفة المتقدمة فى شربهم اللبن كما قدمنا.

حديث آخر عن أبى أيوب فى ذلك — قال جعفر الفريابى: ثنا أبو سلمة يحيى بن خلف، ثنا عبد الأعلى عن سعيد الجريرى، عن أبى الورد عن أبى محمد الحضرمى، عن أبى أيوب الأنصارى قال: صنعت لرسول الله ﷺ ولأبى بكر طعاما قدر ما يكفيهما به فقال رسول الله ﷺ: اذهب فادع لى ثلاثين من أشراف الأنصار، قال: فشقّ ذلك علىّ، ما عندى شىء أزيده، قال: فكأنى تثاقلت، فقال: اذهب فادع لى ثلاثين من أشراف الأنصار، فدعوتهم فجاءوا فقال: اطعموا، فأكلوا حتى صدروا ثم شهدوا أنه رسول الله ثم بايعوه قبل أن يخرجوا،

---

(١) الحيس: تمر يخلط بسمن وأقط ويعجن شديدا ويندر منه نواه (٢) التور: إناء يشرب فيه.

ثم قال : اذهب فادع لى ستين من أشراف الأنصار ، قال أبو أيوب : فوالله لأنا بالستين أجودُ منى بالثلاثين ، قال : فدعوتهم ، فقال رسول الله ﷺ تربعوا ، فأكلوا حتى صدروا ، ثم شهدوا أنه رسول الله وبايعوه قبل أن يخرجوا ، قال : فاذهب فادع لى تسعين من الأنصار ، قال : فلأنا أجودُ بالتسعين والستين منى بالثلاثين ، قال : فدعوتهم فأكلوا حتى صدروا ثم شهدوا أنه رسول الله وبايعوه قبل أن يخرجوا ، قال : فأكل من طعامى ذلك مائة وثمانون رجلا كلهم من الأنصار . وهذا حديث غريب جداً إسنادا ومتنا . وقد رواه البيهقى من حديث محمد بن أبى بكر المقدمى عن عبد الأعلى به .

قصة أخرى فى تكثير الطعام فى بيت فاطمة

قال الحافظ أبو يعلى : ثنا سهل بن الحنظلية ، ثنا عبد الله بن صالح ، حدثنى ابن لهيعة عن محمد ابن المنكدر عن جابر ، أن رسول الله ﷺ أقام أياما لم يطعم طعاما حتى شق ذلك عليه ، فطاف فى منازل أزواجه فلم يُصب عند واحدة منهن شيئا ، فأتى فاطمة فقال : يا بنية ، هل عندك شىء آكله فإنى جائع ؟ فقالت : لا ، والله بأبى أنت وأمى[١] ، فلما خرج من عندها رسول الله ﷺ بعثت إليها جارة لها برغيفين وقطعة لحم فأخذته منها فوضعته فى جفنة لها وغطت عليها وقالت : لأوثرن بهذا رسول الله ﷺ على نفسى ومن عندى ، وكانوا جميعا محتاجين إلى شبعة طعام ، فبعثت حسنا أو حسينا إلى رسول الله ﷺ فرجع إليها فقالت له : بأبى أنت وأمى ، قد أتى الله بشىء فخبأته لك ، قال : هلمى يا بنية ، فكشفت عن الجفنة ، فإذا هى مملوءة خبزا ولحما ، فلما نظرت إليها بهتت وعرفت أنها بركة من الله ، فحمدت الله وصلت على نبيه ﷺ وقدمته إلى رسول الله ، فلما رآه حمد الله وقال : من أين لك هذا يا بنية ؟ قالت : يا أبت هو من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ، فحمد الله وقال : الحمد لله الذى جعلك يا بنية شبيهة سيدة نساء بنى إسرائيل ، فإنها كانت إذا رزقها الله شيئا فسئلت عنه قالت : هو من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب .

فبعث رسول الله ﷺ إلى على ثم أكل رسول الله ﷺ وعلى وفاطمة وحسن وحسين ، وجميع أزواج رسول الله ﷺ وأهل بيته جميعا حتى شبعوا ، قالت : وبقيت الجفنة كما هى ، فأوسعت[٢] ببقيتها على جميع جيرانها ، وجعل الله فيها بركة وخيرا كثيرا . وهذا حديث غريب أيضا إسنادا ومتنا . وقد قدمنا فى أول البعثة حين نزل قوله تعالى : (وأنذر عشيرتك الأقربين)[٣]

---

(١) هكذا بالأصل ، ويظهر أنها قالت ذلك لأبيها ﷺ على عادة العرب .

(٢) أوسع الله عليه : أغناه ـ كوسع عليه (٣) الآية : ٢١٤ من سورة الشعراء

حديث ربيعة بن ماجد عن علي في دعوته عليه السلام بني هاشم - وكانوا نحوا من أربعين - فقدم إليهم طعاما من مدّ ، فأكلوا حتى شبعوا وتركوه كما هو ، وسقاهم من عُسّ[1] شرابا حتى رووا وتركوه كما هو ثلاثة أيام متتابعة ، ثم دعاهم إلى الله كما تقدم .

قصة أخرى في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الإمام أحمد : ثنا علي بن عاصم ، ثنا سليمان التيمي ، عن أبي العلاء بن الشخير ، عن سَمُرة بن جُنْدُب قال : بينما نحن عند النبي ﷺ إذ أتى بقصعة فيها ثريد ، قال : فأكل وأكل القوم ، فلم يزالوا يتداولونها إلى قريب من الظهر ، يأكل قوم ثم يقومون ، ويجيء قوم فيتعاقبونه ، قال : فقال له رجل : هل كانت تُمدّ بطعام ؟ قال : أمّا من الأرض فلا ، إلا أن تكون كانت تُمدّ من السماء . ثم رواه أحمد ، عن يزيد بن هارون ، عن سليمان عن أبي العلاء ، عن سمرة ، أن رسول الله أتى بقصعة فيها ثريد فتعاقبوها إلى الظهر من غدوة ؛ يقوم ناس ويقعد آخرون ، قال له رجل : هل كانت تُمدّ ؟ فقال له : فمن أين تعجب ؟ ما كانت تمد إلا من ههنا ، وأشار إلى السماء . وقد رواه الترمذي والنسائي أيضاً من حديث معتمر بن سليمان ، عن أبيه عن أبي العلاء - واسمه يزيد بن عبد الله بن الشخير - عن سَمُرة بن جُنْدب به .

قصة قصعة بيت الصديق ، ولعلها هي القصعة المذكورة في حديث سمرة ، والله أعلم

قال البخاري : ثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا معتمر عن أبيه ، ثنا أبو عثمان ، أنه حدثه عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما : أن أصحاب الصُّفّة كانوا أناساً فقراء ، وأن النبي ﷺ قال مرة : من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو سادس - أو كما قال ، وأن أبا بكر جاء بثلاثة ، وانطلق النبي ﷺ بعشرة ، وأبو بكر بثلاثة قال : فهو أنا وأبي وأمي : ولا أدري هل قال امرأتي وخادمي بين بيتنا وبيت أبي بكر ، وأنّ أبا بكر تعشّى عند النبي ﷺ ثم لَبث حتى صلّى العشاء ، ثم رجع فلبث حتى تعشّى رسول الله ﷺ فجاء بعد ما مضى من الليل ما شاء الله . قالت له امرأته : ما حبَسك عن أضيافك أو ضَيْفك ؟ قال : أو ما عشيتيهم ؟ قالت : أبَوْا حتى تجيء ، قد عرَضوا عليهم فغَلَبُوهم ، فذهبتُ فاختبأتُ ، فقال يا غُنْثَر[2] فجدّع[3] وسبّ وقال : كُلوا [في رواية أخرى لا هنيئاً] وقال :

---

(١) العس : القدح ، والجمع عساس ككتاب . (٢) الغنثر : الجاهل والأحمق .
(٣) أي : دعا بالجدع ، وهو : قطع الأذن أو الانف أو غيرها .

لا أطعَمُه أبداً ، والله ما كنا نأخذ من لُقمة إلا رَبَا[١] من أسفلها أكثر منها حتى شبعوا ، وصارت أكثر مما كانت قبل : فنظر أبو بكر ، فإذا هى شىء أو أكثر[٢] فقال لامرأته [فى رواية أخرى : ما هذا] يا أخت بنى فراس ؟ قالت : لا ، وقُرَّةِ عينى لهى الآن أكثر مما قبل بثلاث مرات : فأكل منها أبو بكر ، وقال : إنما كان الشيطان - يعنى يمينه - ثم أكل منها لُقمة ، ثم حملها إلى النبى ﷺ فأصبحت عنده ، وكان بيننا وبين قوم عهد ، فمضى الأجلُ فتعرَّفنا اثنى عشر رجلا ، مع كل رجل منهم أناس ، الله أعلم كم مع كل رجل ، غير أنه بَعثَ معهم ، قال : فأكلوا منها أجمعون أو كما قال . وغيرهم يقول : فتفرَّقنا ، هذا لفظه . وقد رواه فى مواضع أخر من صحيحه ومسلم من غير وجه ، عن أبى عثمان عبد الرحمن بن مُل النهدى ، عن عبد الرحمن بن أبى بكر .

حديث آخر عن عبد الرحمن بن أبى بكر فى هذا المعنى

قال الإمام أحمد : ثنا حازم ، ثنا معتمر بن سليمان عن أبيه ، عن أبى عثمان ، عن عبد الرحمن ابن أبى بكر أنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ ثلاثين ومائة ، فقال النبى ﷺ : هل مَع أحد منكم طعام ؟ فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه فَعُجِن ، ثم جاء رجل مشرك مُشْعَانٌ[٣] طويل بغنم يسوقها ، فقال النبى ﷺ : أبَيعٌ أم عطية ؟ أو قال : أم هِبة ؟ قال : لا ، بل بَيعٌ ، فاشترى منه شاة فصُنِعت ، فأمر النبى ﷺ بسَواد البطن أن يُشْوى ، قال : وأيمُ الله ما من الثلاثين والمائة إلا قد حَزَّ له رسول الله ﷺ حُزّة من سواد بطنها ، إن كان شاهداً أعطاها إياه ، وإن كان غائباً خبأها له ، قال : ثم جعل منها قصعتين ، قال . فأكلنا منهما أجمعون وشَبِعنا ، وفَضَل فى القصعتين فحملناه على البعير ، أو كما قال . وقد أخرجه البخارى ومسلم من حديث معتمر بن سليمان .

حديث آخر فى تكثير الطعام فى السفر

قال الإمام أحمد . حدثنا فزارة بن عمر ، أنا فليح عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : خرج رسول الله ﷺ فى غزوة غزاها فأرمَل[٤] فيها المسلمون واحتاجوا إلى الطعام ، فاستأذنوا رسول الله ﷺ فى نحر الإبل فأذن لهم ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب

(١) ربا : أى زاد . (٢) أى : كما كان أو أكثر مما كان .
(٣) أى : منتفش الشعر ، أو فوق الطويل . (٤) أى : نفد زادهم .

رضى الله عنه ، قال : فجاء فقال : يا رسول الله إبلهم تحملهم وتبلغهم عدوهم ينحرونها ؟ ادع يا رسول الله بغُبّرات[1] الزاد فادع الله عز وجل فيها بالبركة ، قال : أجل ، فدعا بغُبّرات الزاد فجاء الناس بما بقى معهم ، فجمعه ثم دعا الله عز وجل فيه بالبركة ، ودعاهم بأوعيتهم فملأها وفضَل فضلٌ كثير ، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنى عبد الله ورسوله ، ومن لقى الله عز وجل بهما غير شاك دخل الجنة . وكذلك رواه جعفر الفريابى عن أبى مصعب الزهرى ، عن عبد العزيز بن أبى حازم ، عن أبيه سهيل به . ورواه مسلم والنسائى جميعاً ، عن أبى بكر بن أبى النضر عن أبيه ، عن عبيد الله الأشجعى ، عن مالك بن مغول ، عن طلحة بن مصرف ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة به . وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى : ثنا زهير ، ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى صالح سعيد ، أو عن أبى هريرة ـ شك الأعمش ـ قال : لما كانت غزوة تبوك اصاب الناس مجاعة ، فقالوا : يا رسول الله لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا فأكلنا وادّهنا ؟ فقال : افعلوا ، فجاء عمر فقال : يا رسول إن فعلوا قلّ الظهر ، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ، ثم ادع لهم عليها بالبركة ، لعل الله أن يجعل فى ذلك البركة ، فأمر رسول الله بنطع[2] فبُسِط ودعا بفضل أزوادهم ، قال : فجعل الرجل يجىء بكف التمر ، والآخر بالكسرة حتى اجتمع على النطع شىء من ذلك يسير ، فدعا عليهم بالبركة ، ثم قال : خُذُوا فى أوعيتكم ، فأخذوا فى أوعيتهم حتى ما تركوا فى المعسكر وعاء إلا ملأوه ، وأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة ، فقال رسول الله ﷺ : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله ، لا يلقى الله بها عبد غيرُ شاك ، فتحتجب عنه الجنة . وهكذا رواه مسلم أيضاً ، عن سهل بن عثمان وأبى كريب ـ كلاهما عن أبى معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى صالح عن أبى سعيد وأبى هريرة فذكر مثله .

حديث آخر فى هذه القصة ـ قال الإمام أحمد : ثنا على بن إسحاق ، ثنا عبد الله ـ هو ابن المبارك ـ أنا الأوزاعى ، أنا المطلب بن حَنطب المخزومى ، حدثنى عبد الرحمن بن أبى عمرة الأنصارى ، حدثنى أبى قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى غزاة ، فأصاب الناس مخمصة ، فاستأذن الناس رسول الله ﷺ فى نحر بعض ظهورهم وقالوا : يبلغنا الله به ، فلما رأى عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قد هَمّ أن يأذن لهم فى نحر بعض ظهورهم ، قال : يا رسول الله ، كيف بنا إذا نحن لقينا العدو غداً جياعا رُجّالا ؟ ولكن إن رأيت يا رسول الله أن تدعوك لنا ببقايا أزوادهم وتجمعها ، ثم تدعو الله فيها بالبركة ، فإن الله سيبلغنا بدعوتك ، أو سيبارك لنا فى

---

(١) أى : البقايا منه ، واحدها غابر ، وغبر الشىء : بقيته . (٢) النطع : بساط من الأديم .

دعوتك ، فدعا النبي ﷺ ببقايا أزوادهم ، فجعل الناس يجيئون بالحبة من الطعام وفوق ذلك ، فكان أعلاهم من جاء بصاع من تمر ، فجمعها رسول الله ﷺ ، ثم قام فدعا ما شاء الله أن يدعو ، ثم دعا الجيش بأوعيتهم وأمرهم أن يحتثوا[1] ، فما بقي في الجيش وعاء إلا ملأوه وبقي مثله ، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أني رسول الله ، لا يلقى الله عبد يؤمن بهما إلا حجبت عنه النار يوم القيامة . وقد رواه النسائي من حديث عبد الله بن المبارك بإسناده نحو ما تقدم .

حديث آخر في هذه القصة ـ قال الحافظ أبو بكر البزار : ثنا أحمد بن المعلى الادمى ، ثنا عبد الله بن رجاء ، ثنا سعيد بن سلمة ، حدثني أبو بكر ـ أظنه من ولد عمر بن الخطاب ـ عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة ، أنه سمع أبا خُنَيس الغفاريّ أنه كان مع رسول الله ﷺ في غزوة تهامة ، حتى إذا كنا بعسفان جاءه أصحابه فقالوا : يا رسول الله ، جهدنا الجوع فأذن لنا في الظَّهر أن نأكله ، قال : نعم ، فأخبر بذلك عمر بن الخطاب فجاء رسول الله فقال : يا نبي الله ما صنعت ؟ أمرتَ الناس أن ينحروا الظهر فعلى مَ يركبون ؟ قال : فما ترى يا ابن الخطاب ؟ قال : أرى أن تأمرهم أن يأتوا بفَضل أزوادهم فتجمعه في ثوب ، ثم تدعو لهم ، فأمرهم فجمعوا فَضل أزوادهم في ثوب ، ثم دعا لهم ثم قال : ائتوا بأوعيتكم ، فملأ كلّ إنسان وعاءه . ثم أذن بالرحيل ، فلما جاوز مُطِروا فنزل ونزلوا معه وشربوا من ماء السماء ، فجاء ثلاثة نفر فجلس اثنان مع رسول الله وذهب الآخر مُعرضاً ، فقال رسول الله : ألا أخبركم عن النفر الثلاثة ؟ أمّا واحد فاستحَى من الله فاستحَى الله منه ، وأما الآخر فأقبل تائباً فتاب الله عليه ، وأما الآخر فأعرض ، فأعرض الله عنه ثم قال البزار : لا نعلم روى أبو خُنَيس إلا هذا الحديث بهذا الإسناد . وقد رواه البيهقي ، عن الحسين بن بشران ، عن أبي بكر الشافعي ، ثنا إسحاق ابن الحسن الحرزى ، أنا أبو رجاء ، ثنا سعيد بن سلمة ، حدثني أبو بكر بن عمرو بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة ، أنه سمع أبا خُنيس الغفاري فذكره .

حديث آخر عن عمر بن الخطاب في هذه القصة

قال الحافظ أبو يعلى : ثنا ابن هشام ـ محمد بن يزيد الرفاعي ـ ، ثنا ابن فضل ، ثنا يزيد ـ وهو ابن أبي زياد ـ عن عاصم بن عبيد الله بن عاصم عن أبيه ، عن جده عمر قال : كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فقلنا : يارسول الله إن العدوّ قد حضر وهم شِباع والناس جياع ، فقالت

(١) أي : يأخذوا ويملأوا أوعيتهم ، والحثى : ما رفعت به يدك . وحثوت له : أعطيته يسيرا .

الأنصار : ألا ننحر نواضحنا فنطعمها الناس ؟ فقال رسول الله ﷺ :من كان معه فضلُ طعام فليجىء به ، فجعل الرجل يجيء بالمدّ ، والصّاع ، وأقل وأكثر ، فكان جميع ما في الجيش بضعا وعشرين صاعا ، فجلس النبي ﷺ إلى جنبه فدعا بالبركة ، فقال النبي ﷺ : خذوا ولا تنتهبوا ، فجعل الرجل يأخذ في جرابه وفي غرارته ، وأخذوا في أوعيتهم ، حتى إن الرجل ليربط كُمَّ قميصه فيملؤه ، ففرغوا والطعام كما هو . ثم قال النبي ﷺ : أشهد أن لا إلهَ إلا الله وأني رسول الله ، لا يأتي بها عبد مُحِق إلا وقاه الله حرّ النار . ورواه أبو يعلى أيضا عن إسحاق بن إسمعيل الطالقاني ، عن جرير عن يزيد بن أبي زياد ، فذكره . وما قبله شاهد له بالصحة ـ كما أنه متابع لما قبله ، والله أعلم .

حديث آخر عن سلمة بن الأكوع في ذلك

قال الحافظ أبو يعلى : ثنا محمد بن بشّار ، ثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي القاري ، ثنا عكرمة ابن عمار عن إياس بن سلمة عن أبيه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة خيبر ، فأمرنا أن نجمع ما في أزوادنا ـ يعني من التمر ـ فبسط نطعا نشرنا عليه أزوادنا ، قال : فتمطّيت فتطاولت فنظرت فحزرته كربضة[1] شاة ، ونحن أربع عشرة مائة ، قال : فأكلنا ثم تطاولت فنظرت فحزرته كربضة شاة ، وقال رسول الله ﷺ : هل من وَضوء ؟ قال : فجاء رجل بنقطة في إداوته ، قال : فقبضها فجعلها في قدح ، قال : فتوضأنا كلّنا نُدغفقها[2] دغفقة ونحن أربع عشرة مائة ، قال : فجاء أناس فقالوا : يا رسول الله ، ألا وضوء ؟ فقال : قد فرغ الوضوء . وقد رواه مسلم عن أحمد بن يوسف السلمي عن النضر بن محمد ، عن عكرمة بن عمار عن إياس ، عن أبيه سلمة ، وقال : فأكلنا حتى شبعنا ثم حشونا جُرُبنا[3] . وتقدم ما ذكره ابن إسحاق في حفر الخندق حيث قال : حدثني سعد بن ميناء أنه قد حدث أن ابنة لبشير بن سعد ـ أخت النعمان بن بشير ـ قالت : دعتني أمي عَمرة بنت رواحه ، فأعطتني جَفنة من تمر في ثوبي ثم قالت : أي بنية ، اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بغدائهما قالت : فأخذتها فانطلقت بها ، فمررت برسول الله ﷺ وأنا ألتمس أبي وخالي ، فقال : تعالي يا بُنَيّة ، ما هذا معك ؟ قالت : قلت : يارسول الله ، هذا تمر بعثتني به أمي إلى أبي بشير بن سعد وخالي عبد الله بن رَواحة يتغذيانه ، فقال : هاتيه ، قالت : فصببته في كفي رسول الله ﷺ ، فما ملأتهما ثم أمر بثوب فبُسط له ثم دعا بالتمر فنبذ[4] فوق الثوب ، ثم قال لانسان عنده : اصرخ في أهل الخندق : أن هَلُمّ إلى الغداء فاجتمع أهل الخندق عليه ، فجعلوا يأكلون منه ، وجعل يزيد ، حتى صدر أهل الخندق عنه وإنه ليسقط من أطراف الثوب .

(١) الربضة بالكسر : الجثة (٢) وغفق الماء : صبه صبا كثيرا

(٣) الجرب: جمع جراب ، وهو : المزود أو الوعاء (٤) أى طرح وألقى به

قصة جابر ودين أبيه ، وتكثيره عليه السلام التمر

قال البخاري في دلائل النبوة : حدثنا أبو نعيم ، ثنا زكريا ، حدثني عامر ، حدثني جابر ، أن أباه تُوفي وعليه دَين ، فأتيت النبي ﷺ فقلت : إنّ أبي ترك عليه دَيْنا ، وليس عندي إلا ما يُخرج نخلُهُ ولا يبلغ ما يُخرج سنينَ ما عليه ، فانطلق معي لكيلا يُفحِش عليّ الغرماء ، فمشى حول بَيْدرٍ[1] من بيادر التمر ، فدعا ، ثم آخر ثم جلس عليه ، فقال : انزعوه ، فأوفاهم الذي لهم وبقي مثلُ ما أعطاهم . هكذا رواه هنا مختصرا . وقد أسنده من طرق عن عامر بن شراحيل الشعبي عن جابر به . وهذا الحديث قد روى من طرق متعددة عن جابر بألفاظ كثيرة ، وحاصلها : أنه ببركة رسول الله ﷺ ودعائه له ومشيه في حائطه وجلوسه على تمره ـ وفىّ الله دين أبيه ، وكان قد قتل بأحد ، وجابر كان لا يرجو وفاءه في ذلك العام ولا ما بعده ، ومع هذا فَضَل له من التمر أكثر فوق ما كان يؤمله ويرجوه ، ولله الحمد والمنة .

قصة سلمان في تكثيره ﷺ تلك القطعة من الذهب لوفاء دينه في مكاتبته

[قال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي عن ابن إسحاق ، حدثني يزيد بن أبي حبيب ـ رجل من عبد القيس ـ عن سَلمان قال : لما قلت : وأين تقع هذه من الذي عليّ يا رسول الله ؟ أخذها رسول الله ﷺ فقلّبها على لسانه ثم قال : خذها فأوفهم منها ، فأخذتها فأوفيتهم منها حقهم أربعين أوقية][2] .

ذكر مزود أبي هريرة وتمره

قال الإمام أحمد : حدثنا يونس ، حدثنا حماد ـ يعني ابن زيد ـ عن المهاجر ، عن أبي العالية عن أبي هريرة قال : أتيت رسول الله ﷺ يوما بتمرات فقال : ادع الله لي فيهن بالبركة ، قال : فصفهن بين يديه ثم دعا فقال لي : اجعلهن في مِزود وأدخل يدك ولا تنثره ، قال : فحملت منه كذا وكذا وسقا في سبيل الله ، ونأكل ونطعم وكان لا يفارق حَقْوِي[3] . فلما قتل عثمان رضي الله عنه انقطع عن حَقْوِي فسقط . ورواه الترمذي عن عمران بن موسى القزاز البصري عن حماد بن زيد عن المهاجر عن أبي مخلد عن رفيع أبي العالية عنه ، وقال الترمذي : حسن غريب من هذا الوجه .

---

(١) البيدر : المكان الذي يداس فيه الطعام . وهو للنخل كالجرن للحب

(٢) مابين القوسين : زيادة من التيمورية (٣) الحقو : الخصر ، أو معقد الإزار

طريق أخرى عنه ـ قال الحافظ أبو بكر البيهقى : أخبرنا أبو الفتح هلال بن محمد بن جعفر الحفار ، أنا الحسين بن يحيى بن عباس القطان ، ثنا حفص بن عمر ، ثنا سهل بن زياد ـ أبو زياد ، ثنا أيوب السختيانى ، عن محمد بن سيرين ، عن أبى هريرة قال : كان رسول الله ﷺ فى غزاة فأصابهم عوز من الطعام ، فقال : يا أبا هريرة عندك شىء ؟ قال : قلت شىء من تمر فى مزود لى ، قال : جىء به ، قال : فجئت بالمزود ، قال : هات نطعاً ، فجئت بالنطع فبسطته ، فأدخل يده فقبض على التمر ، فإذا هو واحد وعشرون ، فجعل يضع كل تمرة ويسمى ، حتى أتى على التمر ، فقال به هكذا فجمعه ، فقال : ادع فلاناً وأصحابه ، فأكلوا حتى شبعوا وخرجوا ، ثم قال : ادع فلانا وأصحابه ، فأكلوا حتى شبعوا وخرجوا ، ثم قال : ادع فلاناً وأصحابه فأكلوا وشبعوا وخرجوا ، ثم قال : ادع فلاناً وأصحابه فأكلوا وشبعوا وخرجوا ، وفضل . ثم قال لى : اقعد ، فقعدت فأكل وأكلت ، قال : وفضل تمر فأدخلته فى المزود ، وقال لى : يا أبا هريرة إذا أردت شيئاً فأدخل يدك وخذه ، ولا تكفئ فيكفى عليك ، قال : فما كنت أريد تمراً إلا أدخلت يدى ، فأخذت منه خمسين وسقاً فى سبيل الله ، قال : وكان معلقاً خلف رحلى ، فوقع فى زمن عثمان فذهب .

طريق أخرى عن أبى هريرة فى ذلك

روى البيهقى من طريقين : عن سهل بن أسلم العدوى ، عن يزيد بن أبى منصور ، عن أبيه عن أبى هريرة قال : أصبت بثلاث مصيبات فى الإسلام لم أصب بمثلهن : موت رسول الله ﷺ وكنت صويحبه ، وقتل عثمان ، والمزود . قالوا : وما المزود يا أبا هريرة ؟ قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فقال . يا أبا هريرة أمعك شىء ؟ قال : قلت تمر فى مزود ، قال . جىء به ، فأخرجت تمراً فأتيته به ، قال : فمسه ودعا فيه ، ثم قال : ادع عشرة ، فدعوت عشرة فأكلوا حتى شبعوا ، ثم كذلك حتى أكل الجيش كله ، وبقى من تمر معى فى المزود ، فقال : يا أبا هريرة إذا أردت أن تأخذ منه شيئاً فأدخل يدك فيه ولا تكفه ، قال : فأكلت منه حياة النبى ﷺ ، وأكلت منه حياة أبى بكر كلها ، وأكلت منه حياة عمر كلها ، وأكلت منه حياة عثمان كلها ، فلما قتل عثمان انتهب ما فى يدى وانتهب المزود ، ألا أخبركم كم أكلت منه ؟ أكلت منه أكثر من مائتى وسق .

طريق أخرى ـ قال الإمام أحمد . حدثنا أبو عامر ، ثنا إسماعيل ـ يعنى ابن مسلم ـ عن أبى المتوكل ، عن أبى هريرة قال: أعطانى رسول الله ﷺ من تمر فجعلته فى مكتل ، فعلقناه فى سقف البيت فلم نزل نأكل منه حتى كان آخره إصابة أهل الشام حيث أغاروا بالمدينة . تفرد به أحمد .

حديث عن العرباض بن سارية فى ذلك[1]

رواه الحافظ بن عساكر فى ترجمته من طريق محمد بن عمر الواقدى

حدثنى ابن أبى سَبرة ، عن موسى بن سعد عن العرباض ، قال : كنت ألزم باب رسول الله ﷺ فى الحضر والسفر ، فرأينا ليلة ونحن بتبوك ، أو ذهبنا لحاجة فرجعنا إلى رسول الله ﷺ وقد تعشى ومَن عنده ، فقال : أين كنت منذ الليلة ؟ فأخبرته ، وطلع جعيل بن سراقة ، وعبد الله بن معقل المزنى ، فكنّا ثلاثة كلنا جائع ، فدخل رسول الله ﷺ بيت أم سلمة فطلب شيئاً نأكله فلم يجده ، فنادى بلالا : هل من شىء ؟ فأخذ الجرب ينفضها[2] ، فاجتمع سبع تمرات ، فوضعها فى صحفة ووضع عليهن يده وسمى الله ، وقال : كلوا باسم الله ، فأكلنا ، فأحصيت أربعا وخمسين تمرة ، كلها أعدها ونواها فى يدى الأخرى وصاحباى يصنعان ما أصنع ، فأكل كل منهما خمسين تمرة ، ورفعنا أيدينا ، وإذا التمرات السبع كما هن ، فقال : يا بلال ارفعهن فى جرابك فلما كان الغد وضعهن فى الصفحة ، وقال : كلوا بسم الله ، فأكلنا حتى شبعنا وإنا لعشرة ، ثم رفعنا أيدينا وإنهن كما هُن سبع ، فقال : لولا أنى أستحى من رَبىّ عز وجل لأكلت من هذه التمرات حتى نرد إلى المدينة عن آخرنا ، فلما رجع إلى المدينة طلع غُلَيم من أهل المدينة فدفعهن إلى ذلك الغلام فانطلق يلوكهن .

حديث آخر : روى البخارى ومسلم من حديث أبى أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت له : لقد تُوفى رسول الله ﷺ وما فى بيتى شىء يأكله ذو كَبد ـ إلا شطرُ شعير فى رَف لى ، فأكلتُ منه حتى طال علىّ فكلته فَفَنِى .

حديث آخر : روى مسلم فى صحيحه ، عن سلمة بن شبيب عن الحسن بن أعين عن معقل عن أبى الزبير عن جابر : أن رجلا أتى النبى ﷺ يستطعمه فأطعمه شطر وَسْق شعير ، فما زال الرجل يأكل منه وامرأته وضيفهما حتى كاله ، فأتى النبى ﷺ فقال : لو لم تكله لأكلتم منه ولقام لكم . وبهذا الإسناد عن جابر ، أن أم مالك كانت تهدى إلى رسول الله ﷺ فى عُكتها سمنا فيأتيها بنوها فيسألون الأدم وليس عندها شىء ، فتعمد إلى التى كانت تهدى فيه إلى رسول الله ﷺ فتجد فيه سمنا ، فما زال يقيم لها أدم بيتها حتى عصرتها ، فأتت رسول الله ﷺ فقال :

---

(١) هذا الحديث غير مثبت فى المخطوط بدار الكتب .

(٢) أى يضربها ليخرج ما فيها .

أعصرتيها ؟ قالت : نعم ، فقال لو تركتيها ما زالت قائمة وقد رواها الإمام أحمد عن موسى عن ابن لهيعة ، عن أبي الزبير عن جابر .

حديث آخر : قال البيهقي : أنا أبو عبد الله الحافظ ، أنا أبو جعفر البغدادي ، ثنا يحيى بن عثمان بن صالح ، ثنا حسان بن عبد الله ، ثنا ابن لهيعة ، ثنا يونس بن يزيد ، ثنا ابن إسحاق عن سعيد بن الحرث بن عكرمة عن جده نوفل بن الحرث بن عبد المطلب ، أنه استعان رسول الله في التزويج ، فأنكحه امرأة فالتمس شيئاً فلم يجده . فبعث رسول الله ﷺ أبا رافع وأبا أيوب بدرعه فرهناها عند رجل من اليهود بثلاثين صاعا من شعير ، فدفعه رسول الله ﷺ إليه ، قال : فطعمنا منه نصف سنة ، ثم كلناه فوجدناه كما أدخلناه . قال نوفل : فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال : لو لم تكله لأكلت منه ماعشت .

حديث آخر : قال الحافظ البيهقي في الدلائل : أنا عبد الله بن يوسف الأصفهاني ، أنا أبو سعيد بن الأعرابي ، ثنا عباس بن محمد الدوري ، أنا أحمد بن عبد الله بن يونس ، أنا أبو بكر بن عياش عن هشام - يعني ابن حسان - عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال : أتى رجل أهله فرأى ما بهم من الحاجة ، فخرج إلى البرية فقالت امرأته : اللهم ارزقنا ما نعتجن ونختبز ، قال : فإذا الجفنة ملأى خميراً ، والرحا تطحن ، والتنور ملأى خبزا وشواء ، قال : فجاء زوجها فقال : عندكم شيء ؟ قالت : نعم رزق الله ، فرفع الرحا فكنس ما حولها ، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال : لو تركها لدارت إلى يوم القيامة . وأخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، أنا أحمد بن عبيد الصفار ، ثنا أبو إسماعيل الترمذي ، ثنا أبو صالح - عبد الله بن صالح ، حدثني الليث بن سعد عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، أن رجلا من الأنصار كان ذا حاجة ، فخرج وليس عند أهله شيء ، فقالت امرأته : لو حركت رحاي ، وجعلت في تنوري سعفات[1] ، فسمع جيراني صوت الرحا ، ورأوا الدخان فظنوا أن عندنا طعاما وليس بنا خصاصة ؟ فقامت إلى تنورها فأوقدته ، وقعدت تحرك الرحا ، قال : فأقبل زوجها وسمع الرحا فقامت إليه لتفتح له الباب ، فقال : ماذا كنت تطحنين ؟ فأخبرته ، فدخلا وإن رحاها لتدور وتصب دقيقا فلم يبق في البيت وعاء إلا ملىء ، ثم خرجت إلى تنورها فوجدته مملوءا خبزا ، فأقبل زوجها فذكر ذلك للنبي ﷺ ، قال : فما فعلت الرحا ؟ قال : رفعتها ونفضتها ، فقال رسول الله ﷺ لو تركتموها ما زالت لكم حياتي ، أو قال : حياتكم . وهذا الحديث غريب سندا ومتنا .

حديث آخر : وقال مالك ، عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ، أن

---

(١) السعف محركة . جريد النخل ، أو ورقه إذا كان يابسا .

رسول الله ﷺ ضافه ضيف كافر، فأمر له بشاة فحلبت فشرب حلابها ، ثم أخرى فشرب حلابها ثم أخرى فشرب حلابها ، حتى شرب حلاب سبع شياه ، ثم إنه أصبح فأسلم ، فأتى رسول الله ﷺ فأمر له بشاة فحلبت فشرب حلابها ، ثم أمر له بأخرى فلم يستتمها ، فقال رسول الله ﷺ : إن المسلم يشرب فى معى واحد ، والكافر يشرب فى سبعة أمعاء[1] . ورواه مسلم من حديث مالك

حديث آخر : قال الحافظ البيهقى : أخبرنا على بن أحمد بن عبدان ، ثنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنى محمد بن الفضل بن حاتم ، ثنا الحسين بن عبد الأول ، ثنا حفص بن غياث ، ثنا الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : ضاف النبى ﷺ أعرابى ، قال : فطلب له شيئاً فلم يجد إلا كسرة فى كوة ، قال : فجزأها رسول الله ﷺ أجزاء ودعا عليها وقال : كل . قال : فأكل فأفضل قال : فقال يا محمد إنك لرجل صالح ، فقال له النبى ﷺ : أسلم ، فقال : إنك لرجل صالح . ثم رواه البيهقى من حديث سهل بن عثمان عن حفص بن غياث بإسناده نحوه .

حديث آخر : قال الحافظ البيهقى : أنا أبو عبد الله الحافظ ، أنا أبو على الحسين بن على الحافظ ، قال : وفيما ذكر عبدان الأهوازى ، ثنا محمد بن زياد البرجى ، ثنا عبيد الله بن موسى عن مسعر عن زبيد عن مرة ، عن عبد الله بن مسعود قال : أصاب النبى ﷺ ضيف ، فأرسل إلى أزواجه يبتغى عندهن طعاما فلم يجد عند واحدة منهن شيئاً ، فقال : اللهم إنى أسألك من فضلك ورحمتك ؛ فإنه لا يملكها إلا أنت ، قال : فأهديت له شاة مصلية[2] فقال : هذا من فضل الله ونحن ننتظر الرحمة . قال أبو على : حدثنيه محمد بن عبدان الأهوازى عنه ، قال : والصحيح عن زبيد مرسلا ، حدثناه محمد بن عبدان ، حدثنا أبى ، ثنا الحسن بن الحرث الأهوازى أنا عبيد الله بن موسى ، عن مسعر عن زبيد ، فذكره مرسلا .

حديث آخر : قال البيهقى أنا أبو عبد الرحمن السلمى ، ثنا أبو عمرو بن حمدان ؛ أنا الحسن بن سفيان ، ثنا إسحاق بن منصور ، ثنا سليمان بن عبد الرحمن ، ثنا عمرو بن بشر بن السرح ، ثنا الوليد بن سليمان ابن أبى السائب ، ثنا واثلة بن الخطاب عن أبيه عن جده واثلة بن الأسقع قال : حضر رمضان ونحن فى أهل الصفة فصمنا ، فكنا إذا أفطرنا أتى كل رجل منا

---

(١) قيل : المراد أن المؤمن يقتصد فى شربه وأكله ، وقيل : إنه يسمى الله عند ذلك فلا يشركه الشيطان بخلاف الكافر ، وقيل : المراد بالسبعة سبع صفات ـ وهى : الحرص ، والشره ، والطمع ، والحسد ، وسوء الطبع ، وطول الأمل ، وحب السمن .

(٢) أى مشوية ، يقال صلى اللحم بصلبه ، أى شواه

رَجلٌ من أهل البيعة فانطلق به فعشاه ، فأتت علينا ليلة لم يأتنا أحد وأصبحنا صباحا ، وأتت علينا القابلة فلم يأتنا أحد ، فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ فأخبرناه بالذى كان من أمرنا ، فأرسل إلى كل امرأة من نسائه يسألها ، هل عندها شيء؟ فما بقيت منهن امرأة إلا أرسلت تقسم ما أمسى فى بيتها ما يأكل ذو كبد ، فقال لهم رسول الله ﷺ فاجتمعوا فدعا ، وقال : اللهم إنى أسألك من فضلك ورحمتك ، فإنها بيديك لايملكها أحد غيرك ، فلم يكن إلا ومستأذن يستأذن ، فإذا بشاة مَصْلية ورغف ، فأمر بها رسول الله ﷺ فوضعت بين أيدينا فأكلنا حتى شبعنا ، فقال لنا رسول الله ﷺ : إنا سألنا الله من فضله ورحمته ؛ فهذا فضله ، وقد ادخر لنا عنده رحمته .

حديث الذراع

قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، ثنا يحيى بن إسحاق ، حدثنى رجل من بنى غفار فى مجلس سالم بن عبد الله ، قال : حدثنى فلان أنّ رسول الله ﷺ أتى بطعام من خبز ولحم فقال : ناولنى الذّراع فنووِل ذراعا ، قال يحيى : لا أعلمه إلا هكذا ، ثم قال : ناولنى الذراع ، فنووِل ذراعا فأكلها ثم قال : ناولنى الذّراع ، ، فقال : يارسول الله إنما هما ذراعان ، فقال : وأبيك لو سكتَّ مازلت أتناول منها ذراعا ما دعوتُ به . فقال سالم : أما هذه فلا ؛ سمعت عبد الله بن عمر يقول : قال رسول الله ﷺ : إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم . هكذا وقع إسناد هذا الحديث وهو عن مُبْهم عن مثله ، وقد روى من طرق أخرى . قال الإمام أحمد : حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا أبو جعفر - يعنى الرازى - عن شرحبيل عن أبى رافع مولى النبى ﷺ ، قال : أُهديت له شاة فجعلها فى القدر ، فدخل رسول الله ﷺ فقال : ما هذا يا أبا رافع ؟ قال : شاة أهديت لنا يا رسول الله فطبختها فى القدر ، فقال : ناولنى الذّراع يا أبا رافع ، فناولته الذراع ، ثم قال : ناولنى الذراع الآخر فناولته الذراع الآخر ، ثم قال : ناولنى الذراع الآخر ، فقال : يا رسول الله إنما للشاة ذراعان ، فقال رسول الله ﷺ أما إنك لو سكتّ لناولتنى ذراعاً فذراعاً ماسكت ، ثم دعا بماء فمضمض فاه وغسل أطراف أصابعه ثم قام فصلّى ثم عاد إليهم فوجد عندهم لحماً بارداً فأكل ، ثم دخل المسجد فصلّى ولم يمس ماء .

طريق أخرى عن أبى رافع

قال الإمام أحمد . ثنا مؤمل ، ثنا حماد ، حدثنى عبد الرحمن بن أبى رافع عن عمته ، عن أبى رافع قال : صنع لرسول الله ﷺ شاة مَصْلِيّة فأتى بها فقال لى : يا أبا رافع ناولنى الذراع ، فناولته ، ثم قال : يا أبا رافع ناولنى الذراع فناولته ، ثم قال : يا أبا رافع ناولنى الذراع ، فقلت :

يارسول الله ، وهل للشاة إلا ذراعان ؟ ! فقال : لو سكت لناولتني منها ما دعوت به . قال : وكان رسول الله ﷺ يعجبه الذراع ، قلت : ولهذا لما علمت اليهود - عليهم لعائن الله - بخيبر سمّوه فى الذراع فى تلك الشاة التى أحضرتها زينب اليهودية ، فأخبره الذراع بما فيه من السم ، لما نهس[1] منه نهسة ، كما قدمنا ذلك فى غزوة خيبر مبسوطاً .

طريق أخرى - قال الحافظ أبو يعلى : ثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، ثنا زيد بن الحباب ، حدثنى قائد مولى عبيد الله بن أبى رافع ، قال : أتيت رسول الله ﷺ يوم الخندق بشاة فى مِكْتَل[2] فقال : يا أبا رافع ناولنى الذراع فناولته ، ثم قال : يا أبا رافع ناولنى الذراع فناولته ، ثم قال : يا أبا رافع ناولنى الذراع ، فقلت : يارسول الله أ للشاة إلا ذراعان ؟ فقال : لو سكت ساعة ناولتنيه ما سألتك . فيه انقطاع من هذا الوجه . وقال أبو يعلى أيضاً ثنا محمد بن أبى بكر المقدمى ، ثنا فضيل ابن سليمان ، ثنا قايد مولى عبيد الله ، حدثنى عبيد الله ، أن جدته سلمى أخبرته أن النبى ﷺ بعث إلى أبى رافع بشاة ، وذلك يوم الخندق فيما أعلم ، فصلاها أبو رافع ، ليس معها خبز ثم انطلق بها ، فلقيه النبى ﷺ راجعاً من الخندق فقال : يا أبا رافع ضع الذى معك ، فوضعه ثم قال : يا أبا رافع ناولنى الذراع فناولته ، ثم قال : يا أبا رافع ناولنى الذراع فناولته ، ثم قال : يا أبا رافع ناولنى الذراع ، فقلت : يا رسول الله هل للشاة غير ذراعين ؟ فقال : لو سكت لناولتنى ما سألتك .

وقد روى من طريق أبى هريرة قال الإمام أحمد : ثنا الضحاك ، ثنا ابن عجلان عن أبيه عن أبى هريرة ، أن شاة طبخت فقال رسول الله ﷺ أعطنى الذراع ، فناولته إياه ، فقال أعطنى الذراع فناولته إياه ، ثم قال : أعطنى الذراع ، فقال يارسول الله إنما للشاة ذراعان ، قال . أما إنك لو التمستها لوجدتها .

حديث آخر - قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع عن دُكين بن سعيد الخثعمى ، قال : أتينا رسول الله ﷺ ونحن أربعون وأربعمائة نسأله الطعام ، فقال النبى ﷺ لعمر : قم فأعطهم . فقال : يارسول الله ما عندى إلا ما يُقَيِّظنى[3] والصبية ، قال وكيع : القيظ فى كلام العرب - أربعة أشهر ، قال : قم فأعطهم ، قال : يارسول الله سمعاً وطاعة ، قال : فقام عمر وقمنا معه ، فصعد بنا إلى غرفة له فأخرج المفتاح من حُجزته[4] ففتح الباب ، قال دُكين : فإذا فى الغرفة

(١) نهس اللحم : أخذه بمقدم أسنانه ونتفه .

(٢) المكتل . زنبيل يسع خمسة عشر صاعا .

(٣) قيظه الشيء : كفاه لقيظه ، والقيظ : صميم الصيف من طلوع الثريا إلى طلوع سهيل .

(٤) الحجزة : معقد الإزار ، وموضع التكة من السراويل .

من التمر شبيه بالفصيل الرابض ، قال : شأنكم ، قال : فأخذ كل رجل منا حاجته ما شاء ، ثم التفت وإنى لمن آخرهم ، فكأنا لم نرزأ منه تمرة . ثم رواه أحمد عن محمد ويعلى أبي عبيد عن إسماعيل — وهو ابن أبي خالد ، عن قيس — وهو ابن أبي حازم ، عن دكين به . ورواه أبو داود عن عبد الرحيم بن مطرف الرواسى ، عن عيسى بن يونس عن إسماعيل به .

حديث آخر — قال على بن عبد العزيز : ثنا أبو نعيم ، ثنا حشرج بن نباتة ، ثنا أبو نضرة ، حدثنى أبو رجاء قال : خرج رسول الله ﷺ حتى دخل حائطاً[1] لبعض الأنصار ، فإذا هو برسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : ما تجعل لى إن أرويت حائطك هذا ؟ قال : إنى أجهد أن أرويه فما أطيق ذلك ، فقال له رسول الله ﷺ : تجعل لى مائة تمرة أختارها من تمرك ؟ قال : نعم ، فأخذ رسول الله ﷺ الغرب ، فمالبث أن أرواه حتى قال الرجل : غرقت حائطى ، فاختار رسول الله ﷺ من تمره مائة تمرة ، قال : فأكل هو وأصحابه حتى شبعوا ، ثم رد عليه مائة تمرة ، كما أخذها . هذا حديث غريب أورده الحافظ بن عساكر فى دلائل النبوة من أول تاريخه ، بسنده عن على بن عبد العزيز البغوى ، كما أوردناه . وقد تقدم فى ذكر إسلام سلمان الفارسى ، ما كان من أمر النخيل التى غرسها رسول الله ﷺ بيده الكريمة لسلمان ، فلم يهلك منهن واحدة ، بل أنجب الجميع وكن ثلثمائة . وما كان من تكثيره الذهب حين قلبه على لسانه الشريف ، حتى قضى منه سلمان ما كان عليه من نجوم كتابته ، وعتق رضى الله عنه وأرضاه .

باب انقياد الشجر لرسول الله ﷺ

قد تقدم الحديث الذى رواه مسلم ، من حديث حاتم بن إسماعيل ، عن أبى حرزة — يعقوب بن مجاهد عن عبادة بن الوليد بن عبادة ، عن جابر بن عبد الله قال : سرنا مع النبى ﷺ حتى نزلنا وادياً أفيح[2] فذهب رسول الله ﷺ يقضى حاجته فاتبعته بإداوة من ماء ، فنظر فلم ير شيئاً يستتر به ، وإذا شجرتان بشاطىء الوادى ، فانطلق إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها ، وقال : انقادى على بإذن الله ، فانقادت معه كالبعير المخشوش الذى يصانع قائده ، حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها وقال : انقادى على بإذن الله ، فانقادت معه كالبعير المخشوش الذى يصانع قائده ، حتى إذا كان بالمنتصف فيما بينهما لأم بينهما — يعنى جمعهما — ، وقال :

(١) يطلق الحائط على البستان .　(٢) أى : واسعا .

التثما علىّ بإذن الله فالتأمتا ، قال جابر : فخرجت أحضر مخافة أن يحسّ بقربى فيبعد ، فجلست أحدث نفسى ، فحانت منى لفتة فإذا أنا برسول الله مُقبل وإذا الشجرتان قد افترقتا وقامت كل واحدة منهما على ساق ، فرأيت رسول الله وقف وقفةً وقال برأسه هكذا يمينا وشمالا . وذكر تمام الحديث فى قصة الماء وقصة الحوت الذى دسّره البحر كما تقدم ، ولله الحمد والمنة .

حديث آخر — قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، ثنا الأعمش عن أبى سفيان — وهو طلحة ابن نافع — عن أنس قال : جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ ذات يوم وهو جالس حزين ، قد خُضب بالدماء من ضربة بعض أهل مكة ، قال : فقال له : مالك ؟ فقال : فعل بى هؤلاء وفعلوا ، قال : فقال له جبريل : أتحب أن أريك آية ؟ قال : فقال : نعم ، قال : فنظر إلى شجرة من وراء الوادى فقال : ادع تلك الشجرة ، فدعاها ، قال : فجاءت تمشى حتى قامت بين يديه ، فقال : مُرْها فلترجع ، فأمرها فرجعت إلى مكانها ، فقال رسول الله ﷺ : حسبى . وهذا إسناد على شرط مسلم ، ولم يروه إلا ابن ماجة عن محمد بن طريف عن أبى معاوية .

حديث آخر — روى البيهقى من حديث حماد بن سلمة عن على بن زيد ، عن أبى رافع عن عمر بن الخطاب ، أن رسول الله كان على الحجون[1] كئيبا لما أذاه المشركون ، فقال : اللهم أرنى اليوم آية لا أبالى من كذّبنى بعدها ، قال : فأمر فنادى شجرة من قبل عقبة المدينة ، فأقبلت تخدّ الأرض حتى انتهت إليه ، قال : ثم أمرها فرجعت إلى موضعها ، قال : فقال : ما أبالى من كذّبنى بعدها من قومى . ثم قال البيهقى : أنا الحاكم وأبو سعيد بن عمرو ، قالا : ثنا الأصم ، ثنا أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير ، عن مبارك بن فضالة عن الحسن قال : خرج رسول الله ﷺ إلى بعض شعاب مكة وقد دخله من الغمّ ما شاء الله من تكذيب قومه إياه ، فقال : يا رب أرنى ما أطمئن إليه ويُذهب عنى هذا الغم ، فأوحى الله إليه : ادع إليك أى أغصان هذه الشجرة شئت ، قال : فدعا غصنا فانتزع من مكانه ثم خدّ فى الأرض حتى جاء رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله : ارجع إلى مكانك ، فرجع فحمد الله رسول الله وطابت نفسه ، وكان قد قال المشركون : أفضلت أباك وأجدادك يا محمد ؟ فأنزل الله : (أفغيرَ الله تأمرونّى أعبدُ أيها الجاهلون)[2] الآيات . قال البيهقى : وهذا المرسل يشهد له ما قبله .

حديث آخر — قال الإمام أحمد : ثنا أبو معاوية ، ثنا الأعمش عن أبى ظبيان — وهو حُصين ابن جُندب — عن ابن عباس قال : أتى النبى ﷺ رجل من بنى عامر فقال : يا رسول الله أرنى الخاتم الذى بين كتفيك ، فإنى من أطبّ الناس ، فقال له رسول الله ﷺ : ألا أريك آية ؟

(١) الحجون : جبل بمعلاة مكة

(٢) الآية : ٦٤ من سورة الزمر

قال : بلى ، قال : فنظر إلى نخلة فقال : ادع ذلك العذق ، فدعاه فجاء ينقز[1] بين يديه ، فقال له رسول الله ﷺ : ارجع ، فرجع إلى مكانه ، فقال العامرى : يا آل بنى عامر ، ما رأيت كاليوم رجلا أسحر من هذا . هكذا رواه الإمام أحمد ، وقد أسنده البيهقى من طريق محمد بن أبى عبيدة عن أبيه ، عن الأعمش عن أبى ظبيان عن ابن عباس ، قال : جاء رجل من بنى عامر إلى رسول الله ﷺ فقال : إن عندى طباً وعلما فما تشتكى ؟ هل يُريبك من نفسك شىء إلى ما تدعو ؟ قال : أدعو إلى الله والإسلام ، قال : فإنك لتقول قولا فهل لك من آية ؟ قال : نعم ، إن شئت أريتك آية ، وبين يديه شجرة ، فقال لغصن منها : تعال يا غُصن ، فانقطع الغصن من الشجرة ثم أقبل ينقز حتى قام بين يديه ، فقال : ارجع إلى مكانك فرجع ، فقال العامرى : يا آل عامر ابن صعصعة ، لا ألومك على شىء قلته أبدا [وهذا يقتضى أنه سالم الأمر ولم يجب من كل وجه] وقد قال البيهقى : أنا أبو الحسن على بن أحمد بن عبدان ، أنا أحمد بن عبيد الصفار ، ثنا ابن أبى قماش ، ثنا ابن عائشة ، عن عبد الواحد بن زياد عن الأعمش ، عن سالم بن الجعد عن ابن عباس قال : جاء رجل إلى رسول الله فقال : ما هذا الذى يقول أصحابك ؟ قال : وحول رسول الله أعذاق وشجر ، قال : فقال رسول الله : هل لك أن أريك آية ؟ قال : نعم ، قال : فدعا عذقا منها فأقبل يخدّ الأرض حتى وقف بين يديه ، يخدّ الأرض ويسجد ويرفع رأسه حتى وقف بين يديه ، ثم أمره فرجع ، قال العامرى : ــ وهو يقول يا آل عامر بن صعصعة ــ والله لا أكذبه بشىء يقوله أبدا .

طريق أخرى فيها أن العامرى أسلم

قال البيهقى : أخبرنا أبو نصر بن قتادة ، أنا أبو على حامد بن محمد بن الوفا ، أنا على بن عبد العزيز ، ثنا محمد بن سعيد بن الأصبهانى ، أنا شريك عن سماك عن أبى ظبيان عن ابن عباس قال : جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ فقال : بما أعرف أنك رسول الله ؟ قال : أرأيت إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة ، أتشهد أنى رسول الله ؟ قال : نعم . قال فدعا العذق فجعل العذق ينزل من النخلة حتى سقط فى الأرض ، فجعل ينتقل حتى أتى رسول الله ، ثم قال له : ارجع ، فرجع حتى عاد إلى مكانه ، فقال : أشهد أنك رسول الله ، وآمن . قال البيهقى : رواه البخارى فى التاريخ عن محمد بن سعيد الأصبهانى ، قلت : ولعله قال أولا : إنه سحر ، ثم تبصر لنفسه فأسلم وآمن ، لما هداه الله عز وجل ، والله أعلم .

---

(١) أى : يثب ويقفز ، والنقز بالفتح : الوثب ـ والتنقيز : الترقيص .

حديث آخر عن ابن عمر فى ذلك - قال الحاكم أبو عبد الله النيسابورى : أنا أبو بكر محمد بن عبد الله الوراق ، أنا الحسين بن سفيان أنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن أبان الجعفى ، ثنا محمد بن فضيل عن أبى حيان عن عطاء عن ابن عمر قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فأقبل أعرابى ، فلما دنا منه قال له رسول الله : أين تريد ؟ قال : إلى أهلى ، قال : هل لك إلى خير ؟ قال : ما هو ؟ قال : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، قال : هل من شاهد على ما تقول ؟ قال : هذه الشجرة ، فدعاها رسول الله ﷺ وهى على شاطىء الوادى فأقبلت تخد الأرض خدا ، فقامت بين يديه ، فاستشهدها ثلاثا فشهدت أنه كما قال ، ثم إنها رجعت إلى منبتها ورجع الأعرابى إلى قومه ، فقال : إن يتبعونى أتيتك بهم وإلا رجعت إليك وكنت معك . وهذا إسناد جيد ولم يخرجوه ولا رواه الإمام أحمد ، والله أعلم .

باب حنين الجذع شوقا إلى رسول الله ﷺ وشفقا من فراقه

وقد ورد من حديث جماعة من الصحابة بطرق متعددة تفيد القطع عند فرسان هذا الميدان .

الحديث الأول عن أبى بن كعب رضى الله عنه

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعى - رحمه الله : حدثنا إبراهيم بن محمد ، قال : أخبرنى عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن الطفيل بن أبى بن كعب عن أبيه قال : كان النبى ﷺ يصلى إلى جذع نخلة إذ كان المسجد عريشاً ، وكان يخطب إلى ذلك الجذع ، فقال رجل من أصحابه : يا رسول الله ، هل لك أن نجعل لك منبرا تقوم عليه يوم الجمعة فتسمع الناس خطبتك ؟ قال : نعم ، فصنع له ثلاث درجات هن اللاتى على المنبر ، فلما صُنِع المنبر ووضع موضعه الذى وضعه فيه رسول الله ﷺ ، بدا للنبى ﷺ أن يقوم على ذلك المنبر فيخطب عليه ، فمر إليه ، فلما جاوز ذلك الجذع الذى كان يخطب إليه - خار حتى تصدع وانشق ، فنزل النبى ﷺ لما سمع صوت الجذع فمسحه بيده ثم رجع إلى المنبر ، فلما هدم المسجد أخذ ذلك الجذع أُبىُّ بن كعب - رضى الله تعالى عنه ، فكان عنده حتى بلى وأكلته الأرضة وعاد رُفاتاً . وهكذا رواه الإمام أحمد ابن حنبل ، عن زكريا بن عدى عن عبيد الله بن عمرو الرقى ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل عن أبى كعب فذكره ، وعنده : فمسحه بيده حتى سكنَ ، ثم رجع إلى المنبر ، وكان إذا صلى صلى إليه ، والباقى مثله . وقد رواه ابن ماجة عن إسمعيل بن عبد الله الرقى عن عبيد الله ابن عمرو الرقى به

الحديث الثاني عن أنس بن مالك رضى الله عنه

قال الحافظ أبو يعلى الوصلي : ثنا أبو خيثمة ، ثنا عمر بن يونس الحنفي : ثنا عكرمة بن عمار ، ثنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، حدثنا أنس بن مالك : أن رسول الله كان يوم الجمعة يسند ظهره إلى جذع منصوب في المسجد يخطب الناس ، فجاءه رُومِيّ فقال : ألا أصنع لك شيئاً تقعد عليه كأنك قائم ؟ فصنع له منبراً درجتان ويقعد على الثالثة ، فلما قعد نبيُّ الله على المنبر - خار الجذع كخُوار الثور حتى ارتج لخواره حزناً على رسول الله ، فنزل إليه رسول الله من المنبر فالتزمه وهو يخور ، فلما التزمه سكت ، ثم قال : والذي نفس محمد بيده لو لم ألتزمه لما زال هكذا حتى يوم القيامة حزناً على رسول الله ، فأمر به رسول الله ﷺ فدُفن . وقد رواه الترمذي ، عن محمود بن غيلان ، عن عمر بن يونس به ، وقال : صحيح غريب من هذا الوجه .

طريق أخرى عن أنس . قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده : ثنا هدبة ، ثنا حماد عن ثابت ، عن أنس عن النبي ﷺ أنه كان يخطب إلى جذع نخلة ، فلما اتخذ المنبر تحوّل إليه ، فحنّ فجاء رسول الله ﷺ حتى احتضنه فسكن ، وقال : لو لم أحتضنه لحنّ إلى يوم القيامة . وهكذا رواه ابن ماجة ، عن أبي بكر بن خلاد ، عن بهز بن أسد ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت عن أنس ، وعن حماد ، عن عمار بن أبي عمار ، عن ابن عباس به . وهذا إسناد على شرط مسلم .

طريق أخرى عن أنس - قال الإمام أحمد : حدثنا هاشم ، ثنا المبارك عن الحسن ، عن أنس ابن مالك قال : كان رسول الله ﷺ إذا خطب يوم الجمعة يُسند ظهره إلى خشبة ، فلما كثر الناس قال : ابنوا لي منبراً - أراد أن يسمعهم - فبنوا له عتبتين ، فتحول من الخشبة إلى المنبر ، قال : فأخبر أنس بن مالك أنه سمع الخشبة تحنّ حنين الواله ، قال : فما زالت تحنّ حتى نزل رسول الله ﷺ عن المنبر ، فمشى إليها فاحتضنها فسكنت تفرد به أحمد ، وقد رواه أبو القاسم البغوي ، عن شيبان بن فروخ ، عن مبارك بن فضالة ، عن الحسن ، عن أنس فذكره . وزاد : فكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى ، ثم قال : يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله شوقاً إليه لمكانه من الله ، فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه . وقد رواه الحافظ أبو نعيم من حديث الوليد بن مسلم ، عن سالم بن عبد الله الخياط ، عن أنس بن مالك ، فذكره .

طريق أخرى عن أنس - قال أبو نعيم : ثنا أبو بكر بن خلاد ، ثنا الحارث بن محمد بن أبي أسامة ، ثنا يعلى بن عباد ، ثنا الحكم ، عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ يخطب إلى جذع ، فحنّ الجذع فاحتضنه وقال : لو لم أحتضنه لحنّ إلى يوم القيامة .

الحديث الثالث عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما

قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، ثنا عبد الواحد بن أيمن ، عن أبيه ، عن جابر قال : كان رسول الله ﷺ يخطب إلى جذع نخلة قال : فقالت امرأة من الأنصار ـ وكان لها غلام نجار ـ يا رسول الله ، إن لى غلاماً نجاراً أفآمره أن يتخذ لك منبراً تخطب عليه ؟ قال : بلى ، قال : فاتخذ له منبراً ، قال : فلما كان يوم الجمعة خطب على المنبر ، قال : فأنّ الجذع الذى كان يقوم عليه كما يئن الصبىّ ، فقال النبى ﷺ : إن هذا بكى لما فقد من الذكر . هكذا رواه أحمد ، وقد قال البخارى : ثنا عبد الواحد بن أيمن ، قال : سمعت أبى ، عن جابر بن عبد الله : أن رسول الله ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة ، فقالت امرأة من الأنصار ـ أو رجل : يا رسول الله ! ألا نجعل لك منبراً ؟ قال: إن شئتم ، فجعلوا له منبراً ، فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر ، فصاحت النخلة صياح الصبىّ ، ثم نزل النبى ﷺ فضمّها إليه وهى تئنّ أنين الصّبى الذى يسكن : قال : كانت تبكى على ما كانت تسمع من الذكر عندها . وقد ذكره البخارى فى غير ما موضع من صحيحه من حديث عبد الواحد بن أيمن عن أبيه ـ وهو أيمن الحبشى المكى مولى ابن أبى عمرة المخزومى ، عن جابر به .

طريق أخرى عن جابر ـ قال البخارى : ثنا إسماعيل ، حدثنى أخى عن سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد ، حدثنى حفص بن عبيد الله بن أنس بن مالك ، أنه سمع جابر بن عبد الله الأنصارى يقول : كان المسجد مسقوفا على جذوع من نخل ، فكان النبى ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها ، فلما صُنع له المنبر وكان عليه ، سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العِشار[1] حتى جاء النبى ﷺ فوضع يده عليها فسكنت تفرد به البخارى .

طريق أخرى عنه ـ قال الحافظ أبو بكر البزار ، ثنا محمد بن المثنى ، ثنا أبو المساور ، ثنا أبو عَوانة الأعمش عن أبى صالح ـ وهو ذكوان ـ عن جابر بن عبد الله . وعن إسحاق ، عن كريب ، عن جابر قال : كانت خشبة فى المسجد يخطب إليها النبى ﷺ فقالوا : لو اتخذنا لك مثل الكرسى تقوم عليه ؟ ففعل ، فحنّت الخشبة كما تحن الناقة الخَلُوج[2] ، فأتاها فاحتضنها فوضع يده عليها فسكنت . قال أبو بكر البزار : وأحسب أنا . قد حدثناه عن أبى عوانة ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن جابر . وعن أبى إسحاق ، عن كريب ، عن جابر بهذه القصة

---

(١) العشار ـ بكسر العين : جمع عشراء ، وهى الناقة التى أتى عليها من وقت الحمل عشرة أشهر .
(٢) الخلوج : التى اختلج ـ أى انتزع ـ عنها ولدها فقل لبنها .

التى رواها أبو المساور ، عن أبى عوانة . وحدثناه محمد بن عثمان بن كرامة ، ثنا عبيد الله ابن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن أبى كريب ، عن جابر ، عن النبى ﷺ بنحوه والصواب إنما هو سعيد بن أبى كريب ، وكريب خطأ ، ولا يعلم يروى عن سعيد بن أبى كريب إلا أبا إسحاق قلت : ولم يخرجوه من هذا الوجه وهو جيد .

طريق أخرى عن جابر ـ قال الإمام أحمد : ثنا يحيى بن آدم ، ثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن أبى كريب ، عن جابر بن عبد الله قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يخطب إلى خشبة ، فلما جعل له منبر حنّت حنين الناقة ، فأتاها فوضع يده عليها فسكنت . تفرد به أحمد

طريق أخرى عن جابر ـ قال الحافظ أبو بكر البزار : ثنا محمد بن معمر ، ثنا محمد بن كثير ، ثنا سليمان بن كثير ، عن الزهرى عن سعيد بن المسيب ، عن جابر بن عبد الله قال : كان النبى ﷺ يقوم إلى جذع قبل أن يجعل له المنبر ، فلما جعل المنبر حنّ الجذع حتى سمعنا حنينه ، فمسح رسول الله ﷺ يده عليه فسكن . قال البزار : لا نعلم رواه ، عن الزهرى إلا سليمان بن كثير . قلت : وهذا إسناد جيد رجاله على شرط الصحيح ، ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة ، وقال الحافظ أبو نعيم فى الدلائل : ورواه عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن رجل سماه عن جابر . ثم أورده من طريق أبى عاصم بن على عن سليمان بن كثير ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، عن جابر مثله . ثم قال : ثنا أبو بكر بن خلاد ، ثنا أحمد بن على الخراز ، حدثنا عيسى بن المساور ، ثنا الوليد بن مسلم ، عن الأوزاعى ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن أبى سلمة ، عن جابر ، أن رسول الله كان يخطب إلى جذع ، فلما بنى المنبر حنّ الجذع فاحتضنه فسكن ، وقال : لو لم أحتضنه لحنّ إلى يوم القيامة . ثم رواه من حديث أبى عوانة ، عن الأعمش ، عن أبى صالح عن جابر ، وعن أبى إسحاق ، عن كريب عن جابر مثله .

طريق أخرى عن جابر رضى الله عنه :

قال الإمام أحمد : ثنا عبد الرزاق ، أنا ابن جريج وروح قال : حدثنا ابن جريج ، أخبرنى أبو الزبير ، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : كان النبى ﷺ إذا خطب يستند إلى جذع نخلة من سوارى المسجد ، فلما صنع له منبره واستوى عليه ـ اضطربت تلك السارية كحنين الناقة ، حتى سمعها أهل المسجد ، حتى نزل إليها رسول الله ﷺ فاعتنقها فسكتت . وقال روح : فسكنت . وهذا إسناد على شرط مسلم ولم يخرجوه .

طريق أخرى عن جابر — قال الإمام أحمد : ثنا ابن أبى عدى عن سليمان عن أبى نضرة عن جابر قال : كان رسول الله ﷺ يقوم فى أصل شجرة ، أو قال : إلى جذع ، ثم اتخذ منبراً قال : فحنّ الجذع ، قال جابر : حتى سمعه أهل المسجد، حتى أتاه رسول الله ﷺ فمسحه فسكن ، فقال بعضهم : لو لم يأته لحنّ إلى يوم القيامة وهـذا على شرط مسلم ، ولم يروه إلا ابن ماجة : عن بكير بن خلف عن ابن أبى عدى ، عن سليمان التيمى عن أبى نضرة المنذر بن مالك بن قطفة العبدى النضرى عن جابر به .

الحديث الرابع عن سهل بن سعد

قال أبو بكر بن أبى شيبة : ثنا سفيان بن عيينة عن أبى حازم قال : أتوا سهل بن سعد فقالوا : من أى شىء منبر رسول الله ﷺ ؟ فقال : كان رسول الله ﷺ يستند إلى جذع فى المسجد يُصلّى إليه إذا خطب ، فلما اتخذ المنبر فصعد حنّ الجذع ، حتى أتاه رسول الله ﷺ فوطنه حتى سكن . وأصل هذا الحديث فى الصحيحين وإسناده على شرطهما . وقد رواه إسحاق بن راهويه وابن أبى فديك عن عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد ، عن أبيه عن جده . ورواه عبد الله ابن نافع وابن وهب ، عن عبد الله بن عمر عن ابن عباس بن سهل ، عن أبيه فذكره . ورواه ابن لهيعة عن عمارة بن عرفة عن ابن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه بنحوه .

الحديث الخامس عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما

قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، ثنا حماد عن عمار بن أبى عمار عن ابن عباس رضى الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ كان يخطب إلى جذع قبل أن يتخذ المنبر ، فلما اتخذ المنبر وتحوّل إليه ـ حنّ عليه ، فأتاه فاحتضنه فسكن ، قال : لو لم أحتضنه لحنّ إلى يوم القيامة . وهـذا الاسناد على شرط مسلم ولم يروه إلا ابن ماجة من حديث حماد بن سلمة .

الحديث السادس عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما

قال البخارى : ثنا محمد بن المثنى ، حدثنا يحيى بن كثير أبو غسان ، ثنا أبو حفص ، واسمه عمر بن العلاء — أخو أبى عمرو بن العلاء — قال : سمعت نافعا عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كان النبى ﷺ يخطب إلى جذع ، فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحنّ الجذع فأتاه فمسح يده عليه . وقال عبد الحميد : أنا عثمان بن عمر ، أنا معاذ بن العلاء عن نافع بهذا . ورواه أبو عاصم عن ابن أبى رواد ، عن نافع عن ابن عمر عن النبى ﷺ ، هكذا ذكره البخارى . وقد رواه الترمذى

عن عمرو بن على الفلاس عن عثمان بن عمرو ويحيى بن كثير ، عن أبى غسان العنبرى ـ كلاهما عن معاذ بن العلاء به . وقال : حسن صحيح غريب . قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزى فى أطرافه : ورواه على بن نصر بن على الجهضمى وأحمد بن خالد الخلال ، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمى فى آخرين ، عن عثمان بن عمر عن معاذ بن العلاء قال : وعبد الحميد هذا ـ يعنى الذى ذكره البخارى ـ يقال : إنه عبد ابن حميد ، والله أعلم . قال شيخنا : وقد قيل إن قول البخارى : عن أبى حفص واسمه عمرو بن العلاء ـ وهم ، والصواب : معاذ بن العلاء كما وقع فى رواية الترمذى. قلت : وليس هذا ثابتا فى جميع النسخ ، ولم أرَ فى النسخ التى كتبت منها تسميته بالكلية والله أعلم . وقد روى هذا الحديث الحافظ أبو نعيم ، من حديث عبد الله بن رجاء ، عن عبيد الله بن عمر . ومن حديث أبى عاصم عن ابن أبى رواد ـ كلاهما عن نافع عن ابن عمر قال : قال تميم الدارى : ألا نتخذ لك منبرا ؟ فذكر الحديث

طريق أخرى عن ابن عمر رضى الله عنه

قال الامام أحمد : ثنا حسين ، ثنا خلف عن أبى خباب — وهو يحيى بن أبى حية ـ عن أبيه عن عبد الله بن عمر قال : كان جذع نخلة فى المسجد يسند رسول الله ﷺ ظهره إليه إذا كان يوم جمعة ، أو حدث أمر يريد أن يكلم الناس ، فقالوا : ألا نجعل لك يا رسول الله شيئا كقدر قيامك ؟ قال : لا عليكم أن تفعلوا ، فصنعوا له منبراً ثلاث مَراقى : قال : فجلس عليه ، قال : فخار الجذع كما تخور البقرة جزعا على رسول الله ﷺ فالتزمه ومسحه حتى سكن . تفرد به أحمد .

الحديث السابع عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه

قال عبد بن حميد الليثى : ثنا على بن عاصم عن الجريرى عن أبى نضرة العبدى ، حدثنى أبو سعيد الخدرى قال : كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إلى جذع نخلة ، فقال له الناس : يا رسول الله ، إنه قد كثر الناس — يعنى المسلمين — وإنهم ليحبون أن يروك ، فلو اتخذت منبرا تقوم عليه ليراك الناس ؟ قال : نعم ، من يجعل لنا هذا المنبر ؟ فقام إليه رجل فقال : أنا ، قال : تجعله ؟ قال : نعم ، ولم يقل : إن شاء الله ، قال : ما اسمك ؟ قال : فلان ، قال : اقعد ، فقعد ثم عاد فقال : من يجعل لنا هـذا المنبر ؟ فقام إليه رجل فقال : أنا ، قال : تجعله ؟ قال : نعم ، ولم يقل : إن شاء الله ، قال : ما اسمك ؟ قال : فلان ، قال : اقعد ، فقعد . ثم عاد فقال : من يجعل لنا هذا المنبر ؟ فقام إليه رجل فقال : أنا ، قال : تجعله ؟ قال : نعم ، ولم يقل : إن شاء الله ، قال : ما اسمك ؟ قال : فلان ، قال اقعد فقعد . ثم عاد فقال : من يجعل لنا هذا المنبر ؟ فقام إليه رجل فقال :

أنا ، قال تجعله ؟ قال : نعم إن شاء الله ، قال : ما اسمك ؟ قال : إبراهيم ، قال : اجعله . فلما كان يوم الجمعة اجتمع الناس للنبي ﷺ في آخر المسجد ، فلما صعد رسول الله ﷺ المنبر فاستوى عليه فاستقبل الناس ـ حنّت النخلة حتى أسمعتني وأنا في آخر المسجد ، قال : فنزل رسول الله ﷺ عن المنبر فاعتنقها ، فلم يزل حتى سكنت . ثم عاد إلى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن هذه النخلة إنما حنّت شوقا إلى رسول الله ؛ لما فارقها، فوالله لولم أنزل إليها فأعتنقها لما سكنت إلى يوم القيامة . وهذا إسناد على شرط مسلم ، ولكن في السياق غرابة ، والله تعالى أعلم .

طريق أخرى عن أبي سعيد ـ

قال الحافظ أبو يعلى : ثنا مسروق بن المرزبان ، ثنا زكريا عن مجالد عن أبي الوداك ـ وهو جبر بن نوف ، عن أبي سعيد قال : كان النبي ﷺ يقوم إلى خشبة يتوكأ عليها يخطب كل جمعة ، حتى أتاه رجل من الروم فقال : إن شئت جعلت لك شيئا إذا قعدت عليه كنت كأنك قائم ، قال : نعم ، قال : فجعل له المنبر ، فلما جلس عليه حنّت الخشبة حنين الناقة على ولدها ، حتى نزل النبي ﷺ فوضع يده عليها ، فلما كان الغد رأيتها قد حُوّلت ، فقلنا : ما هذا ؟ قالوا : جاء رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر البارحة فحوّلوها . وهذا غريب أيضا .

الحديث الثامن عن عائشة رضى الله عنها

رواه الحافظ من حديث علي بن أحمد الحوار ، عن قبيصة عن حبان بن علي ، عن صالح بن حبان عن عبد الله بن بريدة عن عائشة فذكر الحديث بطوله ، وفيه أنه خيّره بين الدنيا والآخرة فاختار الجذع الآخرة ، وغار حتى ذهب فلم يعرف.. هذا حديث غريب إسنادًا ومتنا .

الحديث التاسع عن أم سلمة رضى الله عنها

روى أبو نعيم من طريق شريك القاضي. وعمر بن أبي قيس ومعلى بن هلال ـ ثلاثتهم عن عمار الذهبي ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أم سلمة قالت : كان لرسول الله ﷺ خشبة يستند إليها إذا خطب ، فصنع له كرسي أو منبر ، فلما فقدته خارت[1] كما يخور الثور ، حتى سمع أهل المسجد ، فأتاها رسول الله ﷺ فسكنت . هذا لفظ شريك .

---

(١) خارت : أي صاحت والخوار ـ للبقر

وفى رواية معلى بن هلال : أنها كانت من دَوْم[1] ، وهذا إسناد جيد ولم يخرجوه. وقد روى الإمام أحمد والنسائى من حديث عمار الذهبى ، عن أبى سلمه عن أم سلمة قالت : قال رسول الله ﷺ قوائم منبرى فى زاوية فى الجنة

وروى النسائى أيضاً بهذا الإسناد : « ما بين بَيْتى ومِنْبرى رَوضة مِن رياض الجنة » ، فهذه الطرق من هذه الوجوه تفيد القطع بوقوع ذلك عند أئمة هذا الفن ، وكذا من تأملها وأنعم فيها النظر والتأمل ، مع معرفته بأحوال الرجال وبالله المستعان . وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقى : أنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنى أبو أحمد بن أبى الحسن ، ثنا عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازى قال : قال أبى — يعنى أبا حاتم الرازى — قال عمرو بن سواد ، قال لى الشافعى : ما أعطى الله نبياً ما أعطى محمداً ﷺ ، فقلت له : أعطى عيسى إحياء الموتى ، فقال : أعطى محمدا الجذع الذى كان يخطب إلى جنبه حتى هُيِّىء له المنبر ، فلما هيىء له المنبر حَنَّ الجذع حتى سمع صوته ، فهذا أكبر من ذلك .

(باب) تسبيح الحصى فى كفه عليه الصلاة والسلام

قال الحافظ أبو بكر البيهقى : أنا أبو الحسن على بن أحمد بن عبدان ، أنا أحمد بن عبيد الصفار ، ثنا الكديمى ، ثنا قريش بن أنس ، ثنا صالح بن أبى الأخضر عن الزهرى ، عن رجل يقال له سويد ابن يزيد السلمى ، قال : سمعت أبا ذَر يَقول : لا أذكر عثمان إلا بخير بعد شىء رأيته ، كنت رجلا أتبع خلواتِ رسول الله ﷺ فرأيته يوماً جالساً وحده ، فاغتنمت خَلوته فجئت حتى جلست إليه ، فجاء أبو بكر فسلّم عليه ثم جلس عن يمين رسول الله ﷺ ، ثم جاء عمر فسلّم وجلس عن يمين أبى بكر ، ثم جاء عثمان فسلم ثم جلس عن يمين عمر ، وبين يدى رسول الله ﷺ سبعُ حَصات ، أو قال : تسع حصيات ، فأخذهن فى كفّه فسبّحن ، حتى سمعت لهن حنينا كحنين النَّخل ، ثم وضعهن نَخَرِسن . ثم أخذهن فوضعهن فى كف أبى بكر فسبّحن ، حتى سمعت لهن حنينا كحنين النخل ، ثم وضعهن نخَرِسْن. ثم تناولهن فوضعهن فى يد عثمان فسبّحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النخل ، ثم وضعهن نخَرِسْن . فقال النبى ﷺ : هذه خلافة النبوة

قال البيهقى : وكذلك رواه محمد بن يسار عن قريش بن أنس عن صالح بن أبى الأخضر ، وصالح لم يكن حافظا ، والمحفوظ عن أبى حمزة عن الزهرى ، قال : ذكر الوليد بن سويد هذا الحديث عن أبى ذر هكذا . قال البيهقى : وقد قال محمد بن يحيى الذهلى فى الزهريات التى جمع فيها أحاديث الزهرى : حدثنا أبو اليمان ، ثنا شعيب قال : ذكر الوليد بن سويد ، أنّ رجلا من بنى

(١) الدوم : شجر معروف ، وثمره كذلك ، ويسمى : المقل .

سليم كبير السن ، كان ممن أدرك أبا ذر بالرّبذة[١] ، ذكر أنه بينما هو قاعد يوما فى ذلك المجلس وأبو ذر فى المجلس ، إذ ذكر عثمان بن عفان ، يقول السلمى : فأنا أظن أنّ فى نفس أبى ذر على عثمان مَعتَبة لإنزاله إياه بالرّبذة ، فلما ذكر له عثمان عرض له أهل العلم بذلك ، وهو يظن أن فى نفسه عليه مَعتبة ، فلما ذكره قال : لاتقل فى عثمان إلا خيرا . فإنى أشهد لقد رأيت منه منظراً وشهدت منه مشهدا لا أنساه حتى أموت ، كنت رجلا ألتمس خَلوات النبى ﷺ لأسمع منه أو لآخذ عنه ، فهجّرت[٢] يوما من الأيام ، فإذا النبى ﷺ قد خرج من بيته ، فسألت عنه الخادم فأخبرنى أنه فى بيت ، فأتيته وهو جالس ليس عنده أحد من الناس ، وكأنى حينئذ أرى أنه فى وَحْى ، فسلمت عليه فرد السلام ، ثم قال : ما جاء بك ؟ فقلت : جاء بى الله ورسوله ، فأمرنى أن أجلس ، فجلست إلى جنبه ، لا أسأله عن شىء ولا يذكره لى . فمكثت غيرَ كثير ، فجاء أبو بكر يمشى مسرعا فسلّم عليه فرد السلام ثم قال : ما جاء بك ؟ قال : جاء بى اللهُ ورسوله ، فأشار بيده أن اجلس ، فجلس إلى رَبوة مقابل النبى ﷺ بينه وبينها الطريق ، حتى إذا استوى أبو بكر جالسا فأشار بيده فجلس إلى جَنبى عن يمينى . ثم جاء عُمر ففعل مثل ذلك ، وقال له رسول الله ﷺ مثل ذلك ، وجلس إلى جنب أبى بكر على تلك الرّبوة . ثم جاء عثمان فسلّم فرد السلام وقال : ما جاء بك ؟ قال : جاء بى الله ورسوله ، فأشار إليه بيده فقعد إلى الرّبوة ، ثم أشار بيده فقعد إلى جنب عمر ، فتكلم النبى ﷺ بكلمة لم أفقه أولها غير أنه قال : قليل مايبقين ، ثم قبض على حصيات سبع أو تسع أو قريب من ذلك ، فسبّحن فى يده حتى سمع لهن حنين كحنين النخل فى كفّ النبى ﷺ . ثم ناولهن أبا بكر وجاوزنى فسبّحن فى كف أبى بكر كما سبّحن فى كف النبى ﷺ ، ثم أخذهن منه فوضعهنّ فى الأرض فخَرِسن فصرن حصًا ، ثم ناولهن عمر فسبّحن فى كفه كما سبّحن فى كف أبى بكر ، ثم أخذهن فوضعهن فى الأرض فخَرِسن . ثم ناولهن عثمان فسبحن فى كفه نحو ما سبحن فى كف أبى بكر وعمر ، ثم أخذهن فوضعهن فى الأرض فخرِسن .

قال الحافظ ابن عساكر : رواه صالح بن أبى الأخضر عن الزهرى ، فقال : عن رجل يقال له سويد بن يزيد السلمى ، وقول شعيب أصح . [وقال أبو نعيم فى كتاب دلائل النبوة : وقد روى داود بن أبى هند عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشى ، عن جبير بن نفير عن أبى ذر مثله . ورواه شهر بن حَوشب وسعيد بن المسيب عن أبى سعيد . قل : وفيه عن أبى هريرة] ، وقد تقدم

(١) الربذة : قرب المدينة ، وبها دفن أبو ذر الغفارى .

(٢) أى : سرت فى وقت الهاجرة ، وهى نصف النهار عند اشتداد الحر .

ما رواه البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه ، أنه قال : ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل .

حديث آخر فى ذلك — روى الحافظ البيهقى من حديث عبد الله بن إسحاق بن سعد بن أبى وقاص ، قال : حدثنى أبو أبى مالك بن حمزة بن أبى أسيد الساعدى عن أبيه عن جده أبى أسيد الساعدى ، قال : قال رسول الله ﷺ للعباس بن عبد المطلب : ياأبا الفضل لاترِم[1] منزلك غداً أنت وبنوك حتى آتيكم ؛ فإن لى فيكم حاجة ، فانتظروه حتى جاء بعد ما أضحى ، فدخل عليهم فقال : السلام عليكم ، فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، قال : كيف أصبحتم ؟ قالوا : أصبحنا بخير نحمد الله ، فكيف أصبحت بأبينا وأمنا أنت يارسول الله ؟ قال : أصبحت بخير أحمد الله ، فقال لهم : تقاربوا تقاربوا يزحف بعضكم إلى بعض ، حتى إذا أمكنوه اشتمل عليهم بملاءته وقال : يارب هذا عمى وصنو أبى ، وهؤلاء أهل بيتى فاسترهم من النار كسترى إياهم بملاءتى هذه ، قال : فأمنت أسكفة الباب[2] وحوائط البيت فقالت : آمين آمين آمين . وقد رواه أبو عبد الله بن ماجة فى سننه مختصراً عن أبى إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن حاتم الهروى عن عبد الله بن عثمان بن إسحاق بن سعد بن أبى وقاص الوقاصى الزهرى ، روى عنه جماعة ، وقد قال ابن معين : لا أعرفه ، وقال أبو حاتم : يروى أحاديث مشبهة .

حديث آخر — قال الإمام أحمد : ثنا يحيى بن أبى بكير ، ثنا إبراهيم بن طهمان ، حدثنى سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : إنى لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علىّ قبل أن أبعث ، إنى لأعرفه الآن رواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة عن يحيى بن أبى بكير به . ورواه أبو داود الطيالسى عن سليمان بن معاذ عن سماك به .

حديث آخر — قال الترمذى : ثنا عباد بن يعقوب الكوفى ، ثنا الوليد بن أبى ثور عن السدى عن عباد بن أبى يزيد ، عن على بن أبى طالب قال : كنت مع النبى ﷺ بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله . ثم قال : وهذا حديث حسن غريب وقد رواه غير واحد عن الوليد بن أبى ثور ، وقالوا : عن عباد بن أبى يزيد ، منهم فروة بن أبى المغراء . ورواه الحافظ أبو نعيم من حديث زياد بن خيثمة عن السدى ، عن أبى عمارة الحيوانى ، عن على قال : خرجت مع رسول الله ﷺ فجعل لا يمر على شجر ولا حجر إلا سلم عليه ، وقدمنا فى البعث أنه عليه السلام لما رجع وقد أوحى إليه ، جعل

---

(١) أى : لاتبرح ولا تتركه . (٢) أسكفة الباب : عتبته ، وهى الخشبة التى يوطأ عليها .

لا يمرّ بحجر ولا شجر ولا مدَر ولا شيء إلا قال له : السلام عليك يا رسول الله . وذكرنا في وقعة بدر ووقعة حُنين رميه عليه السلام بتلك القَبضة من التراب ، وأمره أصحابه أن يتبعوها بالحملة الصادقة فيكون النصر والظفر والتأييد عقب ذلك سريعاً . أما في وقعة بدر فقد قال الله تعالى في سياقها في سورة الأنفال : (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ولكنَّ اللهَ رَمَى[1]) الآية . وأما في غزوة حنين فقد ذكرناه في الأحاديث بأسانيده وألفاظه ، بما أغنى عن إعادته ههنا ، ولله الحمد والمنة :

حديث آخر — ذكرنا في غزوة الفتح : أن رسول الله ﷺ لما دخل المسجد الحرام فوجد الأصنام حول الكعبة لجعل يطعنها بشيء في يده ويقول : (جاء الحقُّ وزَهَق الباطِلُ إنَّ الباطِلَ كانَ زهُوقاً[2]) ، (قل جاء الحقُّ وما يُبدِىء الباطلُ وما يُعيدُ[3]) وفي رواية ، أنه جعل لا يشير إلى صَنم منها إلا خرّ لقفاه ، وفي رواية : إلاّ سقط . وقال البيهقي : أنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا : ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، ثنا بحر بن نصر ، وأحمد ابن عيسى اللخمي ، قالا : ثنا بشر بن بكير ، أنا الأوزاعي عن ابن شهاب أنه قال : أخبرني القاسم ابن محمد بن أبي بكر الصديق عن عائشة قالت : دخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا مستترة بقرام[4] فهتكه ثم قال : إن أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يشبهون بخلق الله . قال الأوزاعي : وقالت عائشة : أتى رسول الله ﷺ بترس فيه تمثال عقاب فوضع عليه يده ، فأذهبه الله عز وجل .

باب ما يتعلق بالحيوانات من دلائل النبوة

قصة البعير النادّ وسجوده له وشكواه إليه — صلوات الله وسلامه عليه

قال الإمام أحمد : حدثنا حسين ، ثنا خلف بن خليفة ، عن حفص ـ هو ابن عمر ـ عن عمه أنس ابن مالك قال : كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يَسْنون[5] عليه ، وأنه استصعب عليهم فمنعهم ظهره ، وأن الأنصار جاءوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا : إنه كان لنا جمل نَسْني عليه ، وأنه استصعب علينا ومنعنا ظهره ، وقد عطش الزرع والنخل ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : قوموا ، فقاموا فدخل الحائط والجمل في ناحيته ، فمشى النبي ﷺ نحوه ، فقالت الأنصار : يارسول

---

(١) من الآية : ١٧ من سورة الأنفال . (٢) الآية : ٨١ من سورة الإسراء .

(٣) الآية : ٤٩ من سورة سبأ . (٤) ثوب من صوف فيه ألوان يتخذ سترا ـ كالكلة .

(٥) أي : يسقون عليه زرعهم ، والسانية : الدلو العظيمة وأداتها .

الله إنه قد صار مثل الكَلْب الكَلِب(١) ، وإنا نخاف عليك صولته ، فقال: ليس عليّ منه بأس ، فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خرّ ساجداً بين يديه ، فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذلّ ما كانت قط ، حتى أدخله فى العمل ، فقال له أصحابه : يارسول الله هذه بهيمة لاتعقل تسجد لك ، ونحن أحق أن نسجد لك ، فقال : لايصلح لبشر أن يسجد لبشر ، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عِظم حقّه عليها ، والذى نفسى بيده لو كان من قدمه إلى مَفرق رأسه قُرحة تنفجر بالقَيح والصديد ثم استقبلته فلَحَسته ما أدّت حقه . وهذا إسناد جيد ، وقد روى النسائى بعضه من حديث خلف بن خليفة به .

رواية جابر فى ذلك — قال الإمام أحمد : حدثنا مصعب بن سلام سمعته من أبى مرتين ثنا الأجلح عن الذيال بن حرملة عن جابر بن عبد الله قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ من سَفره حتى إذا دفعنا إلى حائط من حيطان بنى النجار ، إذا فيه جمل لا يدخل الحائطَ أحد إلا شدّ عليه ، قال : فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ ، فجاء حتى أتى الحائط ، فدعا البعير فجاء واضعا مشْفَره إلى الأرض حتى برك بين يديه ، قال : فقال رسول الله ﷺ : هاتوا خِطاماً(٢) ، فخطمه ودفعه إلى صاحبه ، قال : ثم التفت إلى الناس فقال : إنه ليس شىء بين السماء والأرض إلاّ يعلم أنى رسول الله ، إلا عاصِى الجنّ والإنس . تفرد به الإمام أحمد ، وسيأتى عن جابر من وجه آخر بسياق آخر إن شاء الله ، وبه الثقة .

رواية ابن عباس — قال الحافظ أبو القاسم الطبرانى : ثنا بشر بن موسى ، ثنا يزيد بن مهران أخو خالد الجبار ، ثنا أبو بكر بن عياش عن الأجلح عن الذيال بن حَرملة ، عن ابن عباس قال : جاء قوم إلى رسول الله فقالوا : يارسول الله إنّ لنا بعيراً قد ندّ فى الحائط ، فجاء إليه رسول الله ﷺ فقال : تعالى ، فجاء مُطأطئا رأسه حتى خطَمه وأعطاه أصحابه ، فقال له أبو بكر الصديق : يارسول الله ، كأنه عِلم أنك نبى ، فقال رسول الله ﷺ : ما بين لابتيها(٣) أحد إلاّ يعلم أنى نبىّ الله ، إلا كفرة الجن والإنس . وهذا من هذا الوجه عن ابن عباس غريب جداً ، والأشبه رواية الإمام أحمد عن جابر ، اللهم إلا أن يكون الأجلح قد رواه عن الذيال عن جابر وعن ابن عباس ، والله أعلم .

---

(١) الكلب : داء شبه جنون يعترى الكلب فيعقر من أصاب فيصاب بهذا الداء .
(٢) الخطام : الزمام الذى يوضع فى أنف البعير لينقاد به .
(٣) أى : مابين لابتى المدينة وهما حرتان عظيمتان تكتنفانها ، والحرة : أرض ذات حجارة نخرة سود

(طريق أخرى عن ابن عباس)

قال الحافظ أبو القاسم الطبراني : ثنا العباس بن الفضل الأسفاطى ، ثنا أبو عون الزيادى ، ثنا أبو عزة الدباغ عن أبى يزيد المدينى ، عن عكرمة عن ابن عباس ، أن رجلا من الأنصار كان له فحلان فاغتلما[1] فأدخلهما حائطاً فسدّ عليهما الباب ، ثم جاء إلى رسول الله ﷺ فأراد أن يدعُوَ له ، والنبى قاعد معه نفر من الأنصار ، فقال : يانبى الله إنى جئت فى حاجة ، فإنّ فحلين لى اغتلما ، وإنى أدخلتهما حائطاً وسدَدت عليهما الباب ، فأحبّ أن تدعو لى أن يسخرهما الله لى فقال لأصحابه : قوموا معنا ، فذهب حتى أتى الباب فقال : افتح ، فأشفق الرجل على النبى ﷺ فقال : افتح ، ففتح الباب فإذا أحد الفحلين قريباً من الباب ، فلما رأى رسول الله ﷺ سجَدَ له ، فقال رسول الله : ائت بشىء أشدّ رأسه وأمكّنك منه ، فجاء بخطام فشدّ رأسه وأمكنه منه ، ثم مشى إلى أقصى الحائط إلى الفحل الآخر ، فلمّا رآه وقع له ساجداً ، فقال للرجل : ائتنى بشىء أشدُّ رأسه ، فشدّ رأسه وأمكنه منه ، فقال:اذهب فإنهما لا يعصيانك . فلما رأى أصحاب رسول الله ﷺ ذلك قالوا : يا رسول الله هذان فحلان سجدا لك ، أفلا نسجد لك ؟ قال : لا آمرُ أحَدًا أن يَسجدَ لأحد ، ولو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها. وهذا إسناد غريب ومتن غريب .

ورواه الفقيه أبو محمد عبد الله بن حامد فى كتابه [دلائل النبوة] عن أحمد بن حمدان السجزى ، عن عمر بن محمد بن بجير البحترى ، عن بشر بن آدم ، عن محمد بن عون - أبى عون الزيادى به . وقد رواه أيضاً من طريق مكى بن إبراهيم عن قائد أبى الورقاء ، عن عبد الله بن أبى أوفى ، عن النبى ﷺ بنحو ما تقدم عن ابن عباس .

رواية أبى هريرة - قال أبو محمد عبد الله بن حامد الفقيه : أخبرنا أحمد بن حمدان ، أنا عمر ابن محمد بن بجير ، حدثنا يوسف بن موسى ، حدثنا جرير عن يحيى بن عبيد الله عن أبيه عن أبى هريرة قال : انطلقنا مع رسول الله ﷺ إلى ناحية ، فأشرفنا إلى حائط ، فإذا نحن بناضح[2] ، فلما أقبل الناضح رفع رأسه فبصر برسول الله ﷺ فوضع جرانه[3] على الأرض ، فقال أصحاب رسول الله ﷺ : فنحن أحقّ أن نسجد لك من هذه البهيمة ، فقال : سبحان الله ، أدُون الله ؟

---

(١) أى : هاجا من الغلمة ، وهى شهوة الضراب .

(٢) الناضح : البعير يستسقى عليه ، والأنثى : ناضحة .

(٣) جران البعير : مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره .

ما ينبغى لأحد أن يسجد لأحد دون الله ، ولو أمرت أحداً أن يسجد لشىء من دون الله - لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها .

(رواية عبد الله بن جعفر فى ذلك)

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، ثنا مهدى بن ميمون عن محمد بن أبى يعقوب عن الحسن بن سعد عن عبد الله بن جعفر ح ، وثنا بهز وعفان قالا : ثنا مهدى ، ثنا محمد بن أبى يعقوب عن الحسن ابن سعد - مولى الحسن بن على - عن عبد الله بن جعفر قال : أردفنى رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه ، فأسرّ إلى حديثا لا أخبر به أحد أبداً ، وكان رسول الله ﷺ أحبّ ما استتر به فى حاجته هدف أو حائش[١] نخل ، فدخل يوما حائطا من حيطان الأنصار فإذا جمل قد أتاه فجرجر[٢] وذرفت عيناه ، وقال بهز وعفان : فلما رأى رسول الله حنّ وذرفت عيناه ، فمسح رسول الله سراته[٣] وذفراه فسكن ، فقال : من صاحب الجمل ؟ فجاء فتى من الأنصار قال : هو لى يارسول الله ، فقال أما تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملككها الله لك ؟ إنه شكا إلى أنك تجيعه وتدئبه[٣] .

وقد رواه مسلم من حديث مهدى بن ميمون به .

(رواية عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها فى ذلك)

قال الإمام أحمد : ثنا عبد الصمد وعفان قالا : ثنا حماد - هو ابن سلمة - عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب ، عن عائشة ، أن رسول الله ﷺ كان فى نفر من المهاجرين والأنصار فجاء بعير فسجد له فقال أصحابه : يارسول الله تسجد لك البهائم والشجر ، فنحن أحق أن نسجد لك ، فقال : اعبدوا ربكم وأكرموا أخاكم ، ولو كنت آمراً أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، ولو أمرها أن تنقل من جبل أصفر إلى جبل أسود ، ومن جبل أسود إلى جبل أبيض - كان ينبغى لها أن تفعله . وهذا الإسناد على شرط السنن ، وإنما روى ابن ماجة عن أبى بكر بن أبى شيبة عن عفان عن حماد به : لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها .... إلى آخره .

---

(١) الحائش : مجموعة النخل - لا واحد له . (٢) الجرجرة : صوت يردده البعير فى حنجرته .
(٣) السراة : الظهر ، والذفرى : العظم الشاخص خلف الأذن . (٣) أى تتعبه .

رواية يعلى بن مرة الثقفي ، أو هي قصة أخرى

قال الامام أحمد : ثنا أبو سلمة الخزاعي ، ثنا حماد بن سلمة ، عن عاصم بن بهدلة عن حسنين عن أبي جبيرة عن يعلى بن سيابة قال : كنت مع النبي ﷺ في مسير له ، فأراد أن يقضي حاجته فأمر وديتين[١] فانضمت إحداهما إلى الأخرى ، ثم أمرهما فرجعتا إلى منابتهما ، وجاء بعير فضرب بجرانه إلى الأرض ثم جرجر حتى ابتل ما حوله ، فقال رسول الله ﷺ : أتدرون ما يقول البعير ؟ إنه يزعم أن صاحبه يريد نحره ، فبعث إليه رسول الله ﷺ فقال : أواهبه أنت لي ؟ فقال : يا رسول الله مالي مال أحب إلي منه ، فقال : استوص به معروفا ، فقال : لا جرم لا أكرم مالا لي كرمته يا رسول الله . قال : وأتى على قبر يعذب صاحبه فقال : إنه يعذب في غير كبير ، فأمر بجريدة فوضعت على قبره ، وقال : عسى أن يخفف عنه ما دامت رطبة .

طريق أخرى عنه — قال الإمام أحمد : ثنا عبد الرزاق ، أنا معمر عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن جعفر عن يعلى بن مرة الثقفي قال : ثلاثة أشياء رأيتهن من رسول الله ﷺ : بينا نحن نسير معه إذ مررنا ببعير يسنى عليه ، فلما رآه البعير جرجر ووضع جرانه ، فوقف عليه النبي ﷺ فقال : أين صاحب هذا البعير ؟ فجاء ، فقال بعنيه ، قال : لا بل أهبه لك ، فقال : لا ، بل بعنيه ، قال لا بل نهبه لك ، إنه لأهل بيت ما لهم معيشة غيره ، قال : أما إذ ذكرت هذا من أمره ، فإنه شكى كثرة العمل وقلة العلف فأحسنوا إليه .

قال: ثم سرنا فنزلنا منزلا فنام رسول الله ﷺ ، فجاءت شجرة تشق الأرض حتى غشيته ثم رجعت إلى مكانها ، فلما استيقظ ذكرت له ، فقال : هي شجرة استأذنت ربها عز وجل في أن تسلم على رسول الله ﷺ فأذن لها قال : ثم سرنا فمررنا بماء فأتته امرأة بابن لها به جنة ، فأخذ النبي ﷺ بمنخره فقال : اخرج إني محمد رسول الله . قال : ثم سرنا ، فلما رجعنا من سفرنا مررنا بذلك الماء فأتته امرأة بجزر[٢] ولبن ، فأمرها أن ترد الجزر وأمر أصحابه فشربوا من اللبن ، فسألها عن الصبي فقالت : والذي بعثك بالحق ما رأينا منه ريبا بعدك .

طريق أخرى عنه — قال الإمام أحمد : ثنا عبد الله بن نمير ، ثنا عثمان بن حكيم ، أخبرني عبدالرحمن بن عبد العزيز عن يعلى بن مرة قال : لقد رأيت من رسول الله ﷺ ثلاثا ما رآها أحد قبلي ، ولا يراها أحد بعدي : لقد خرجت معه في سفر ، حتى إذا كنا ببعض الطريق مررنا بامرأة جالسة معها صبي لها فقالت : يا رسول الله هذا صبي أصابه بلاء وأصابنا منه بلاء ، يؤخذ

---

(١) مثنى ودية كغنية — وهي النخلة الصغيرة

(٢) جمع جزرة بسكون الزاي وفتحها ، وهي الشاة التي تصلح للذبح

فى اليوم ما أدرى كم مرة ، قال : ناولينيه ، فرفعته إليه فجعلته بينه وبين واسطة الرحل ، ثم فغرفاه فنفث فيه ثلاثا وقال : بسم الله أنا عبد الله ، اخسأ عدو الله ، ثم ناولها إياه ، فقال. القينا فى الرجعة فى هذا المكان فأخبرينا ما فعل ، قال : فذهبنا ورجعنا فوجدناها فى ذلك المكان معها شياه ثلاث ، فقال : ما فعل صبيك ؟ فقالت : والذى بعثك بالحق ما حسسنا منه شيئا حتى الساعة ، فاجترز هذه الغنم ، قال : انزل فخذ منها واحدة ورد البقية .

قال : وخرجت ذات يوم إلى الجبانة حتى إذا برزنا قال : ويحك ! انظر هل ترى من شىء يواريني ؟ قلت : ما أرى شيئا يواريك إلا شجرة ما أراها تواريك ، قال : فما بقربها ؟ قلت : شجرة مثلها أو قريب منها ، قال : فاذهب إليهما فقل : إن رسول الله يأمركما أن تجتمعا بإذن الله ، قال : فاجتمعتا فبرز لحاجته ثم رجع فقال : اذهب إليهما فقل لهما : إن رسول الله يأمركما أن ترجع كل واحدة منكما إلى مكانها ، فرجعت . قال : وكنت معه جالسا ذات يوم إذ جاء جمل يخبب حتى ضوى[1] بجرانه بين يديه ثم ذرفت عيناه فقال: ويحك ! انظر لمن هذا الجمل إن له لشأنا ؟ قال : فخرجت ألتمس صاحبه فوجدته لرجل من الأنصار ، فدعوته إليه فقال : ما شأن جملك هذا ؟ فقال وما شأنه ؟ قال : لا أدرى والله ما شأنه ، عملنا عليه ونضحنا عليه حتى عجز عن السقاية ، فائتمرنا البارحة أن ننحره ونقسم لحمه ، قال : فلا تفعل ، هبه لى أو بعنيه ، فقال : بل هو لك يا رسول الله ، فوسمه بسمة الصدقة ثم بعث به .

طريق أخرى عنه — قال الإمام أحمد : ثنا وكيع ، ثنا الأعمش بن المنهال عن عمرو ، عن يعلى ابن مرة عن النبى ﷺ أنه أتته امرأة بابن لها قد أصابه لمم[2] ، فقال رسول الله ﷺ : اخرج عدو الله ، أنا رسول الله ، قال : فبرأ ، قال : فأهدت إليه كبشين وشيئا من أقط وشيئا من سمن ، قال: فقال رسول الله : خذ الأقط والسمن وأحد الكبشين ، ورد عليها الآخر ، ثم ذكر قصة الشجرتين كما تقدم . وقال أحمد : ثنا أسود ، ثنا أبو بكر بن عياش عن حبيب بن أبى عمرة عن المنهال بن عمرو عن يعلى قال : ما أظن أن أحدا من الناس رأى من رسول الله ﷺ إلا دون ما رأيت ، فذكر أمر الصبى والنخلتين ، وأمر البعير — إلا أنه قال : ما لبعيرك يشكوك ؟ زعم أنك سانيه حتى إذا كبر تريد تنحره ، قال : صدقت والذى بعثك بالحق قد أردت ذلك ، والذى بعثك بالحق لا أفعل .

طريق أخرى عنه — روى البيهقى عن الحاكم وغيره عن الأصم : ثنا عباس بن محمد الدورى ، ثنا حمدان بن الأصبهانى ثنا يزيد عن عمرو بن عبد الله بن يعلى بن مرة ، عن أبيه عن جده قال :

---

(١) أى : مال

(٢) أى : جنون ، والملموم: المجنون

رأيت من رسول الله ﷺ ثلاثة أشياء ما رآها أحد قبلى :

كنت معه فى طريق مكة ، فمر بامرأة معها ابن لها به لَمَم ، ما رأيت لَمًا أشد منه ، فقالت : يا رسول الله ابنى هذا كما ترى ، فقال : إن شئت دعوتُ له فدعا له . ثم مضى فمرّ على بعير مادّ جرانه يرغو ، فقال : علىّ بصاحب هـذا البعير ، فجئ به ، فقال : هـذا يقول : نتجت عندهم فاستعملونى حتى إذا كبرت عندهم أرادوا أن ينحرونى . قال : ثم مضى ورأى شجرتين متفرقتين فقال لى : اذهب فمرهما فليجتمعا لى ، قال : فاجتمعتا فقضى حاجته . قال : ثم مضى ، فلما انصرف مرّ على الصبى وهو يلعب مع الغلمان وقد ذهب ما به ، وهيأت أمه أكبشا فأهدت له كبشين ، وقالت : ما عاد إليه شىء من اللمم ، فقال النبى ﷺ : ما من شىء إلا ويعلم أنى رسول الله ، إلا كفرة أو فسقة الجن والإنس ، فهذه طرق جيدة متعددة تفيد غلبة الظن أو القطع عند المتبحرين أن يعلى بن مرة حدث بهذه القصة فى الجملة .

وقد تفرد بهذا كله الإمام أحمد دون أصحاب الكتب الستة ، ولم يرو أحد منهم شيئا سوى ابن ماجة فإنه روى عن يعقوب بن حميد بن كاسب عن يحيى بن سليم ، عن خيثم عن يونس ابن خباب عن يعلى بن مرة ، أن رسول الله ﷺ كان إذا ذهب إلى الغائط أبعد .

وقد اعتنى الحافظ أبو نعيم بحديث البعير فى كتابه [دلائل النبوة] وطرقه من وجوه كثيرة ، ثم أورد حديث عبد الله بن قرط اليمانى قال : جئ رسول الله ﷺ بست ذَوْد لجملن يزدلفن إليه بأيتهن يبدأ ، وقد قدمت الحديث فى حجة الوداع . قلت : قد أسلفنا عن جابر بن عبد الله نحو قصة الشجرتين ، وذكرنا آنفا عن غير واحد من الصحابة نحواً من حديث الجمل ، لكن بسياق يشبه أن يكون غير هذا ، فالله أعلم . وسيأتى حديث الصبى الذى كان يُصرع ودعاؤه عليه السلام له وبُرؤه فى الحال من طرق أخرى .

وقد روى الحافظ البيهقى عن أبى عبد الله الحاكم وغيره عن أبى العباس الأصم ، عن أحمد ابن عبد الجبار عن يونس بن بكير ، عن إسماعيل بن عبد الملك عن أبى الزبير عن جابر قال : خرجت مع رسول الله ﷺ فى سفر ، وكان رسول الله ﷺ إذا أراد البراز[1] تباعد حتى لا يراه أحد ، فنزلنا منزلا بفلاة من الأرض ليس فيها علم ولا شجر ، فقال لى : ياجابر خذ الإداوة وانطلق بنا ، فملأت الإداوة ماء وانطلقنا ، فمشينا حتى لا نكاد نُرى ، فإذا شجرتان بينهما أذرع ، فقال رسول الله ﷺ : يا جابر انطلق فقل لهذه الشجرة : يقول لك رسول الله : الحقى بصاحبتك حتى أجلس خلفكما ، ففعلت فرجعت فلحقت بصاحبتها ، فجلس خلفهما حتى قضى حاجته .

(١) البراز بكسر الباء يكنى به عن الغائط ، وبالفتح : الفضاء الواسع والبَرَز : خرج إلى البراز بالفتح [illegible]

ثم رجعنا فركبنا رواحلنا فسرنا كأنما على رءوسنا الطير تظلّنا ، وإذا نحن بامرأة قد عرضت لرسول الله ﷺ فقالت . يا رسول الله ، إن ابنى هـذا يأخذه الشيطان كل يوم ثلاث مرات لا يدعه ، فوقف رسول الله ﷺ فتناوله فجعله بينه وبين مقدمة الرّحل فقال : اخسأ عدوّ الله ، أنا رسول الله ، وأعاد ذلك ثلاث مرات ، ثم ناولها إياه ، فلما رجعنا وكنّا بذلك الماء عرضت لنا تلك المرأة ومعها كبشان تقودهما والصبى تحمله ، فقالت: يا رسول الله اقبل منى هديتى ، فوالذى بعثك بالحق إن عاد إليه بعد ، فقال رسول الله ﷺ : خذوا أحدهما وردّوا الآخر ، قال : ثم سرنا ورسول الله ﷺ بيننا ، فجاء جمل نادّ ، فلما كان بين السماطين خرّ ساجدا ، فقال رسول الله ﷺ : يا أيها الناس من صاحب هذا الجمل ؟ فقال فتية من الأنصار : هُوَ لنا يا رسول الله ، قال : فما شأنه ؟ قالوا : سنونا عليه منذ عشرين سنة ، فلما كبرت سنه وكانت عليه شحيمة أردنا نحره لنقسمه بين غلمتنا ، فقال رسول الله ﷺ : تبيعونيه ؟ قالوا : يا رسول الله هو لك ، قال : فأحسنوا إليه حتى يأتيه أجله ، قالوا : يا رسول الله نحن أحقّ أن نسجد لك من البهائم ، فقال رسول الله ﷺ : لا ينبغى لبشر أن يسجد لبشر ، ولو كان ذلك كان النساء لأزواجهن . وهذا إسناد جيد رجاله ثقات . وقد روى أبو داود وابن ماجة من حديث إسماعيل بن عبد الملك بن أبى الصفراء عن أبى الزبير ، عن جابر ، أن رسول الله كان إذا ذهب المذهب[1] أبعد .

ثم قال البيهقى : وحدثنا أبو عبد الله الحافظ ، أنا أبو بكر بن إسحاق ، أنا الحسين بن على ابن زياد ، ثنا أبو حُمة ، ثنا أبو قرة عن زياد ـ هو ابن سعد ـ عن أبى الزبير ، أنه سمع يونس ابن خباب الكوفى يحدث : أنه سمع أبا عبيدة يحدث عن عبد الله بن مسعود عن النبى ﷺ أنه كان فى سفر إلى مكة ، فذهب إلى الغائط وكان يبعد حتى لا يراه أحد ، قال : فلم يجد شيئا يتوارى به ، فبصر بشجرتين ، فذكر قصة الشجرتين وقصة الجمل بنحو من حديث جابر . قال البيهقى : وحديث جابر أصح ، قال : وهـذه الرواية ينفرد بها زمعة بن صالح عن زياد ـ أظنه ابن سعد ـ عن أبى الزبير . قلت : وقد يكون هذا أيضا محفوظا ، ولا ينافى حديث جابر ويعلى بن مرة ، بل يشهد لهما ويكون هذا الحديث عند أبى الزبير محمد بن مسلم بن تدرُس المكى عن جابر . وعن يونس بن خباب عن أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه ، والله أعلم .

وروى البيهقى من حديث معاوية بن يحيى الصيرفى ـ وهو ضعيف ـ عن الزهرى ، عن خارجة ابن زيد عن أسامة بن زيد حديثا طويلا نحو سياق حديث يعلى بن مرة وجابر بن عبد الله ، وفيه قصة الصبى الذى كان يُصرع ، ومجىء أمه بشاة مشوية فقال : ناولينى الذراع فناولته ، ثم قال: ناولينى الذراع فناولته ، ثم قال: ناولينى الذراع ، فقالت : كم للشاة من ذراع ؟ فقال :

(١) المذهب : الخلاء ـ والمرحاض ـ والمتوضأ وهو مفعل من الذهاب ؛ لأنه يذهب إلى كل .

والذى نفسى بيده لو سكت لناولتنى ما دعوت . ثم ذكر قصة النخلات واجتماعها وانتقال الحجارة معهما حتى صارت الحجارة رجاما خلف النخلات ، وليس فى سياقه قصة البعير ، فلهذا لم يورده بلفظه وإسناده ، وبالله المستعان .

وقد روى الحافظ ابن عساكر - ترجمة غيلان بن سلمة الثقفى بسنده إلى يعلى بن منصور الرازى ، عن شبيب بن شيبة عن بشر بن عاصم عن غيلان بن سلمة قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ فرأينا عجبا ، فذكر قصة الشجرتين واستتاره بهما عند الخلاء ، وقصة الصبى الذى كان يُصرع ، وقوله : بسم الله أنا رسول الله ، اخرج عدوّ الله فعوفى . ثم ذكر قصة البعيرين النادين ، وأنهما سجدا له بنحو ما تقدم فى البعير الواحد ، فلعل هذه قصة أخرى ، والله أعلم .

وقد ذكرنا فيما سلف حديث جابر ، وقصة جمله الذى كان قد أعيى ، وذلك مرجعهم من تبوك وتأخره فى أخريات القوم ، فلحقه النبى ﷺ فدعا له وضربه فسار سيرا لم يسر مثله ، حتى جعل يتقدم أمام الناس . وذكرنا شراءه عليه السلام منه ، وفى ثمنه اختلاف كثير وقع من الرواة لا يضر أصل القصة كما بيناه . وتقدم حديث أنس فى ركوبه عليه السلام على فرس أبى طلحة ، حين سمع الناس صوتا بالمدينة فركب ذلك الفرس ، وكان يبطىء ، وركب الفرسان نحو ذلك الصوت ، فوجدوا رسول الله ﷺ قد رجع بعد ما كشف ذلك الأمر ، فلم يجد له حقيقة ، وكان قد ركبه عُريا لا شىء عليه وهو متقلدٌ سيفا ، فرجع وهو يقول : لن تُراعوا ، لن تُراعُوا ما وجدنا من شىء ، وإن وجدناه لبحرا - أى لسابقا . وكان ذلك الفرس يبطىء قبل تلك الليلة ، فكان بعد ذلك لا يجارى ولا يكشف له غبار ، وذلك كله ببركته عليه الصلاة والسلام .

حديث آخر غريب فى قصة البعير

قال الشيخ أبو محمد عبد الله بن حامد الفقيه فى كتابه [دلائل النبوة] وهو مجلد كبير حافل كثير الفوائد : أخبرنى أبو على الفارسى ، حدثنا أبو سعيد ، عن عبد العزيز بن شهلان القواس ، حدثنا أبو عمرو عثمان بن محمد خالد الراسبى ، حدثنا عبد الرحمن بن على البصرى ، حدثنا سلامة ابن سعيد بن زياد بن أبى هند الرازى ، حدثنى أبى عن أبيه عن جده ، حدثنا غنيم بن أوس - يعنى الرازى - قال : كنا جلوسا مع رسول الله ﷺ إذ أقبل بعير يَعدُو حتى وقف على رسول الله ﷺ فزِعا ، فقال رسول الله ﷺ : أيها البعير اسكن ، فإن تك صادقا فلك صدقك ، وإن تك كاذبا فعليك كذبك ، مع أن الله تعالى قد أمّن عائذنا ، ولا يخاف لائذنا ، قلنا : يا رسول الله ما يقول هذا البعير ؟ قال : هذا بعيرٌ همّ أهله بنحره ، فهرب منهم فاستغاث بنبيكم ، فبينا نحن كذلك إذ أقبل أصحابه يتعادون فلما نظر إليهم البعير عاد إلى هامة رسول الله ﷺ

فقالوا : يا رسول الله هذا بعيرنا هرب منا منذ ثلاثة أيام فلم نلقه إلا بين يديك ، فقال رسول الله ﷺ : يشكو مُرّ الشكاية ، فقالوا : يا رسول الله ما يقول ؟ قال : يقول إنه رُبّي في إبلكم جواراً وكنتم تحملون عليه في الصيف إلى موضع الكلأ ، فإذا كان الشتاء رحلتم إلى موضع الدفء ، فقالوا : قد كان ذلك يا رسول الله ، فقال : ما جزاء العبد الصالح من مواليه ؟ قالوا : يا رسول الله فإنا لا نبيعه ولا ننحره ، قال : فقد استغاث فلم تغيثوه ، وأنا أولى بالرحمة منكم ؛ لأن الله نزع الرحمة من قلوب المنافقين وأسكنها في قلوب المؤمنين ، فاشتراه النبي ﷺ بمائة درهم ، ثم قال : أيها البعير انطلق فأنت حرّ لوجه الله ، فرغا[1] على هامة رسول الله ﷺ فقال رسول الله : آمين ، ثم رغا الثانية فقال : آمين ، ثم رغا الثالثة فقال : آمين ، ثم رغا الرابعة فبكى رسول الله ﷺ فقلنا : يا رسول الله ما يقول هذا البعير ؟ قال : يقول : جزاك الله أيها النبيُّ عن الإسلام والقرآن خيراً ، قلت : آمين ، قال : سكّن الله رُعب أمتك يوم القيامة كما سكّنت رُعبي قلت : آمين ، قال : حقَن الله دِماء أمتك من أعدائها كما حقنت دَمي ، قلت : آمين ، قال : لا جعل الله بأسها بينها ، فبكيتُ وقلت : هذه خصال سألت ربي فأعطانيها ومنعني واحدة ، وأخبرني جبريل عن الله أن فناء أمتك بالسيف فجرى القلم بما هو كائن . قلت : هذا الحديث غريب جداً لم أر أحداً من هؤلاء المصنفين في الدلائل أورده سوى هذا المصنف ، وفيه غرابة ونكارة في إسناده ومتنه أيضاً ، والله أعلم

حديث في سجود الغنم له ﷺ

قال أبو محمد عبد الله بن حامد أيضاً : قال يحيى بن صاعد : حدثنا محمد بن عوف الحمصي ، حدثنا إبراهيم بن العلاء الزبيدي ، حدثنا عباد بن يوسف الكندي - أبو عثمان ، حدثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس ، عن أنس بن مالك قال : دخل النبي ﷺ حائطاً للأنصار ومعه أبو بكر وعمر ورجل من الأنصار ، وفي الحائط غنمٌ فسجدت له ، فقال أبو بكر : يا رسول الله كنا نحن أحقُّ بالسجود لك من هذه الغنم ، فقال : إنه لا ينبغي أن يسجد أحد لأحد ، ولو كان ينبغي لأحد أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها . غريب وفي إسناده من لا يعرف .

قصة الذئب وشهادته بالرسالة

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، ثنا القاسم بن الفضل الحداني ، عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال : عدا الذئب على شاة فأخذها ، فطلبه الراعي فانتزعها منه ، فأقعى الذئبُ على ذنبه فقال : ألا تتقي الله ؟ تنزع مني رزقاً ساقه الله إليّ ؟ فقال : يا عجبي ذئب يكلمني كلامَ الإنس ! فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب من ذلك ؟ محمد ﷺ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق ، قال :

(١) رغا البعير : صوت ، والرغاء : صوت الإبل

فأقبل الراعى يسوق غنمه حتى دخل المدينة ، فزواها إلى زاوية من زواياها ، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره ، فأمر رسول الله ﷺ فنودى: الصلاة جامعة ، ثم خرج فقال للراعى : أخبرهم ، فأخبرهم ، فقال رسول الله ﷺ : صدق ، والذى نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباعُ الإنس ، ويكلم الرجل عَذَبة[1] سَوطه ، وشراك نعله ، ويخبره فَخِذه[2] بما أحدث أهله بعده . وهذا إسناد على شرط الصحيح . وقد صححه البيهقى ، ولم يروه إلا الترمذى من قوله : والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس ـ إلى آخره ، عن سفيان بن وكيع عن أبيه عن القاسم بن الفضل ثم قال : وهذا حديث حسن غريب صحيح لا نعرفه إلا من حديث القاسم ، وهو ثقة مأمون عند أهل الحديث ، وثقه يحيى وابن مهدى .

طريق أخرى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو اليمان ، أنا شعيب ، حدثنى عبد الله بن أبى حسين ، حدثنى شهر أن أبا سعيد الخدرى حدثه عن النبى ﷺ قال : بينا أعرابى فى بعض نواحى المدينة فى غنم له ، عَدا عليه الذئب فأخذ شاة من غنمة ، فأدركه الأعرابى فاستنقذها منه وهَجْهَجه[3] ، فعانده الذئب يمشى ثم أقعى مُستذفراً[4] بذنبه يخاطبه ، فقال : أخذت رزقاً رزقنيه الله ـ قال : واعجباً من ذئب مستذفر بذنبه يخاطبنى ! فقال : والله إنك لتترك أعجب من ذلك ، قال : وما أعجب من ذلك ؟ قال : رسول الله ﷺ فى النخلتين بين الحَرّتين يحدث الناس عن أنباء ما قد سبق وما يكون بعد ذلك ، قال : فنعق الأعرابى بغنمه حتى ألجأها إلى بعض المدينة ، ثم مَشى إلى النبى ﷺ حتى ضرب عليه بابه ، فلما صلّى النبى ﷺ قال : أين الأعرابى صاحب الغنم ؟ فقام الأعرابى ، فقال له النبى ﷺ : حَدّث الناس بما سمعت وبما رأيت ، فحدث الأعرابى الناس بما رأى من الذئب وما سمع منه ، فقال النبى ﷺ عند ذلك : صدَق ، آيات تكون قبل الساعة . والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى يخرج أحدكم من أهله فيخبره نَعلُه أو سَوطه أو عَصاه بما أحدث أهلُه بعده . وهذا على شرط أهل السنن ولم يخرجوه . وقد رواه البيهقى من حديث النفيلى قال : قرأت على معقل بن عبد الله بن شهر ، بن حَوْشب عن أبى سعيد فذكره . ثم رواه الحاكم وأبو سعيد بن عمرو عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير ، عن عبد الحميد

---

(١) العذبة : طرف كل شىء (٢) الفخذ : حى الرجل ، إذا كان من أقرب عشيرته وهو أحد شعوب العرب . وأكبرها : الشعب ، ثم القبيلة ، ثم الفصيلة ، ثم العمارة ، ثم البطن ، ثم الفخذ

(٣) أى : صاح به ورده . والهجهجة : حكاية الصوت عند القتال وهج هجْ ـ بالسكون : زجر للغنم

(٤) الذفر : شدة ذكاء الريح من طيب أو نتن بحسب ما يضاف إليه ويوصف به وقيل : خاص بالصنان وخبث الريح . ولعل المراد : أنه يلوح بذنبه ويخرج ريحا منتنة

ابن مهرام عن شهر بن حوشب عن أبى سعيد فذكره . ورواه الحافظ أبو نعيم من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن تميم عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى سعيد ، فذكره .

حديث أبى هريرة فى ذلك

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أنا معمر عن أشعث بن عبد الملك عن شهر بن حوشب عن أبى هريرة قال : جاء ذئب إلى راعى غنم فأخذ منها شاة ، فطلبه الراعى حتى انتزعها منه ، قال : فصعد الذئب على تل فأقعى واستذفر[1] وقال : عمدت إلى رزق رزقنيه الله عز وجل انتزعته منى ، فقال الرجل : بالله إن رأيت كاليوم ذئبا يتكلم ، فقال الذئب : أعجب من هذا رجل فى النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم ، وكان الرجل يهوديا ، فجاء إلى النبى ﷺ فأسلم وخبّره فصدّقه النبى ﷺ ، ثم قال رسول الله : إنها أمارة من أمارات بين يدى الساعة ، قد أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه بما أحدثه أهله بعده . تفرد به أحمد وهو على شرط السنن ولم يخرجوه ، ولعل شهر بن حوشب قد سمعه من أبى سعيد وأبى هريرة أيضا ، والله أعلم .

حديث أنس فى ذلك

قال أبو نعيم فى دلائل النبوة : ثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ، ثنا محمد بن يحيى بن منده ، ثنا على بن الحسن بن سالم ، ثنا الحسين الرفا عن عبد الملك بن عمير عن أنس ح ، وحدثنا سليمان - هو الطبرانى - : ثنا عبد الله بن محمد بن ناجية ، ثنا هشام بن يونس اللؤلؤى ، ثنا حسين ابن سليمان الرفا ، عن عبد الملك بن عمير ، عن أنس بن مالك قال : كنت مع النبى ﷺ فى غزوة تبوك فشردت علىّ غنمى ، فجاء الذئب فأخذ منها شاة ، فاشتدّ الرُّعاء خلفه ، فقال : طعمة أطعمنيها الله تنزعونها منى ؟ قال . فبُهِتَ القوم ، فقال : ما تعجبون من كلام الذئب ، وقد نزل الوحى على محمد فمن مصدق ومكذب . ثم قال أبو نعيم : تفرد به حسين بن سليمان عن عبد الملك . قلت : الحسين بن سليمان الرفا هذا - يقال له الطلحى ، كوفى أورد له ابن عدى عن عبد الملك ابن عمير أحاديث ، ثم قال : لا يتابع عليها .

حديث ابن عمر فى ذلك

قال البيهقى : أخبرنا أبو سعد المالينى ، أنا أبو أحمد بن عدى ، ثنا عبد الله بن أبى داود السجستانى ، ثنا يعقوب بن يوسف بن أبى عيسى ، ثنا جعفر بن حسن ، أخبرنى أبو حسن ، ثنا عبد الرحمن بن حرملة ، عن سعيد بن المسيب قال : قال ابن عمر : كان راع على عهد

---

(١) فى نسخة : واستثفر - أى استنجد واستنصر

رسول الله ﷺ إذ جاء الذئب فأخذ شاة ، ووثب الراعي حتى انتزعها من فيه ، فقال له الذئب : أما تتقى الله أن تمنعنى طعمة أطعمنيها الله تنزعها منى ؟ فقال له الراعي : العجب من ذئب يتكلم ، فقال الذئب : أفلا أدلك على ما هو أعجب من كلامى ؟ ذلك الرجل فى النخل يخبر الناس بحديث الأولين والآخرين أعجب من كلامى ، فانطلق الراعي حتى جاء رسول الله ﷺ فأخبره وأسلم ، فقال له رسول الله ﷺ : حدث به الناس . قال الحافظ بن عدى : قال لنا أبو بكر بن أبى داود : ولد هذا الراعي يقال لهم : بنو مكلم الذئب ، ولهم أموال ونعم ، وهم من خزاعة ، واسم مكلم الذئب : أهبان . قال : ومحمد بن أشعث الخزاعى من ولده . قال البيهقى : فدل على اشتهار ذلك ، وهذا مما يقوى الحديث .

وقد روى من حديث محمد بن إسماعيل البخارى فى التاريخ : حدثنى أبو طلحة ، حدثنى سفيان ابن حمزة الأسلمى ، سمع عبد الله بن عامر الأسلمى ، عن ربيعة بن أوس ، عن أنس بن عمرو عن أهبان بن أوس قال : كنت فى غنم لى فكلمه الذئب وأسلم ، قال البخارى : إسناده ليس بالقوى . ثم روى البيهقى عن أبى عبد الرحمن السلمى ، سمعت الحسين بن أحمد الرازى ، سمعت أبا سليمان المقرى يقول : خرجت فى بعض البلدان على حمار ، فجعل الحمار يحيد بى عن الطريق ، فضربت رأسه ضربات فرفع رأسه إلى وقال لى : اضرب يا أبا سليمان ، فإنما على دماغك هو ذا يضرب ، قال : قلت له : كلمك كلاما يفهم ! قال : كما تكلمنى وأكلمك .

حديث آخر عن أبى هريرة فى الذئب على وجه آخر

وقد قال سعيد بن مسعود : ثنا حبان بن على ، ثنا عبد الملك بن عمير ، عن أبى الأوس الحارثى عن أبى هريرة قال : جاء الذئب فأقعى بين يدى النبى ﷺ وجعل يبصبص بذنبه ، فقال رسول الله ﷺ : هذا وافد الذئاب ، جاء ليسألكم أن تجعلوا له من أموالكم شيئا ، قالوا : والله لا نفعل ، وأخذ رجل من القوم حجرا فرماه ، فأدبر الذئب وله عواء ، فقال رسول الله ﷺ : الذئب ، وما الذئب ؟ وقد رواه البيهقى عن الحاكم عن أبى عبد الله الأصبهانى ، عن محمد بن مسلمة عن يزيد بن هارون ، عن شعبة عن عبد الملك بن عمير عن رجل به . ورواه الحافظ أبو بكر البزار عن محمد بن المثنى عن غندر عن شعبة عن عبد الملك بن عمير ، عن رجل عن مكحول ، عن أبى هريرة فذكره . وعن يوسف بن موسى عن جرير بن عبد الحميد عن عبد الملك بن عمير ، عن أبى الأوبر ، عن أبى هريرة قال : صلى رسول الله ﷺ يوما صلاة الغداة ثم قال : هذا الذئب وما الذئب ؟ جاءكم يسألكم أن تعطوه أو تشركوه فى أموالكم ، فرماه رجل بحجر فر - أو ولى - وله عواء .

وقال محمد بن إسحاق ، عن الزهرى ، عن حمزة بن أبى أسيد قال : خرج رسول الله ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار بالبقيع ، فإذا الذئب مفترشاً ذراعيه على الطريق ، فقال رسول الله ﷺ : هذا يستفرض فافرضوا له ، قالوا : ترى رأيك يا رسول الله ، قال : من كل سائمة شاة فى كل عام ، قالوا : كثير ، قال : فأشار إلى الذئب أن خالسهم ، فانطلق الذئب ، رواه البيهقى .

وروى الواقدى عن رجل سماه ، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب قال: بينا رسول الله ﷺ فى المدينة إذ أقبل ذئب فعوى بين يديه ، فقال : هذا وافد السباع إليكم ، فإن أحببتم أن تفرضوا له شيئاً لا يعدوه إلى غيره ، وإن أحببتم تركتموه واحترزتم منه فما أخذ فهو رزقه ، فقالوا : يا رسول الله ، ما تطيب أنفسنا له بشىء ، فأومأ إليه بأصابعه الثلاث أن خالسهم ، قال : فولّى وله عُواء . وقال أبو نعيم : ثنا سليمان بن أحمد ، ثنا معاذ بن المثنى ، ثنا محمد بن كثير ، ثنا سفيان ، ثنا الأعمش ، عن شمر بن عطية عن رجل من مزينة ، أن جهينة قال : أتت وفود الذئاب قريب من مائة ذئب حين صلى رسول الله ﷺ فأقعين ، فقال رسول الله ﷺ : هذه وفود الذئاب ، جئنكم يسألنكم لتفرضوا لهن من قوت طعامكم وتأمنوا على ما سواه ، فشكوا إليه الحاجة ، قال : فأدبروهم ، قال : فخرجن ولهن عُواء .

وقد تكلم القاضى عياض على حديث الذئب ، فذكر عن أبى هريرة وأبى سعيد ، وعن أهبان بن أوس ، وأنه كان يقال له : مُكلِّم الذئب ، قال : وقد روى ابن وهب أنه جرى مثل هذا لأبى سفيان بن حرب ، وصفوان بن أمية ، مع ذئب وجداه أخذ ظبياً ، فدخل الظبى الحرم فانصرف الذئب فعجبا من ذلك ، فقال الذئب : أعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة ، يدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار ، فقال أبو سفيان : واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة ليتركنها أهلوها .

قصة الوحش الذى كان فى بيت النبى ﷺ وكان يحترمه عليه السلام ويوقره ويجله

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو نعيم ، ثنا يونس عن مجاهد قال : قالت عائشة رضى الله عنها : كان لآل رسول الله ﷺ وحش ، فإذا خرج رسول الله ﷺ لعب واشتد ، وأقبل وأدبر ، فإذا أحس برسول الله ﷺ قد دخل ربض ، فلم يترمرم[1] ما دام رسول الله ﷺ فى البيت

(١) أى : لم يتكلم ، وترمرم : تحرك للكلام ولم يتكلم .

كراهية أن يُؤذيه ، ورواه أحمد أيضاً ، عن وكيع ، وعن قطن ـ كلاهما عن يونس ـ وهو ابن أبي إسحاق السبيعي . وهذا الإسناد على شرط الصحيح ولم يخرجوه ، وهو حديث مشهور ، والله أعلم .

قصة الأسـد

وقد ذكرنا في ترجمة سَفينة ـ مولى رسول الله ﷺ ـ حديثه حين انكسرت بهم السفينة ، فركب لوحاً منها حتى دخل جزيرة في البحر ، فوجد فيها الأسد ، فقال له : يا أبا الحارث ، إني سَفينة مولى رسول الله ﷺ ، قال : فضرب منكبي وجعل يُحاذيني حتى أقامني على الطريق ، ثم هَمهم ساعة ، فرأيت أنه يُوَدِّعني . وقال عبد الرزاق : ثنا معمر ، عن الحجبي ، عن محمد ابن المنكدر ، أنّ سفينة ـ مولى رسول الله ـ ﷺ أخطأ الجيش بأرض الروم ، أو أُسر في أرض الروم ، فانطلق هارباً يلتمس الجيش ، فإذا هو بالأسد ، فقال : يا أبا الحارث ، إني مولى رسول الله ﷺ ، كان من أمري كيت وكيت ، فأقبل الأسد يُبَصْبِصه حتى قام إلى جنبه ، كلما سمع صوته أهوى إليه ، ثم أقبل يمشي إلى جنبه ، فلم يزل كذلك حتى أبلغه الجيش ، ثم رجع الأسد عنه . رواه البيهقي .

حديث الغـزالة

قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني ـ رحمه الله ـ في كتابه [دلائل النبوة] : حدثنا سليمان بن أحمد ـ إملاء ـ ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، ثنا إبراهيم بن محمد بن ميمون ، ثنا عبد الكريم ابن هلال الجعفي ، عن صالح المري ، عن ثابت البناني ، عن أنس بن مالك قال : مر رسول الله ﷺ على قوم قد اصطادوا ظَبية فشدّوها على عمود فُسطاط ، فقالت : يا رسول الله ، إني أخذت ولي خَشفان[1] ، فاستأذن لي أن أرضعهما وأعود إليهم ، فقال : أين صاحب هذه ؟ فقال القوم : نحن يا رسول الله ، قال : خلّوا عنها حتى تأتي خَشفيها ترضعهما وترجع إليكم . فقالوا : ومَن لنا بذلك يارسول الله ؟ قال : أنا ، فأطلقوها فذهبت فأرضعت ، ثم رَجعت إليهم فأوثقوها ، فمرّ بهم رسول الله ﷺ فقال : أين أصحاب هذه ؟ فقالوا : هو ذا نحن يا رسول الله ، فقال : تبيعونيها ؟ فقالوا : هي لك يا رسول الله ، فقال : خلّوا عنها ، فأطلقوها فذهبت .

وقال أبو نعيم : حدثنا أبو أحمد بن أحمد القطريفي ـ من أصله ـ ، ثنا أحمد بن موسى بن أنس

---

(١) مثنى خشف . والخشف مثلثة ـ ولد الظبي أول ما يولد ، أو أول مشيه .

ابن نصر بن عبيد الله بن محمد بن سيرين بالبصرة ، ثنا زكريا بن يحيى بن خلاد ، ثنا حبان ابن أغلب بن تميم ، ثنا أبى ، عن هشام بن حبان عن الحسن ، عن ضبة بن محصن ، عن أم سلمة زوج النبى ﷺ قالت : بينا رسول الله ﷺ فى حَجْر[1] من الأرض إذا هاتف يهتف : يا رسول الله ، يا رسول الله ، قال : فالتفت فلم أر أحداً ، قال : فمشيت غير بعيد ، فإذا الهاتف : يا رسول الله ، يا رسول الله ، قال : فالتفتّ فلم أر أحداً ، وإذا الهاتف يهتف بى ، فاتبعت الصوت وهجمت على ظبية مشدودة فى وثاق ، وإذا أعرابى مُنْجَدِلٌ فى شملة نائم فى الشمس ، فقالت الظبية : يا رسول الله ، إن هذا الأعرابى صادنى قبل ، ولى خشفان فى هذا الجبل ، فإن رأيت أن تطلقنى حتى أرضعهما ، ثم أعود إلى وثاق ؟ قال : وتفعلين ؟ قالت : عذبنى الله عذاب العشّار[2] إن لم أفعل ، فأطلقها رسول الله ﷺ . فمضت فأرضعت الخشفين وجاءت ، قال : فبينا رسول الله ﷺ يُوثقها إذ انتبه الأعرابى ، فقال : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، إنى أصبتُها قبيلاً . فلك فيها من حاجة ؟ قال : قلت : نعم ، قال : هى لك ، فأطلقها ، فخرجت تعدو فى الصحراء فرحاً وهى تضرب برجليها فى الأرض ، وتقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله .

قال أبو نعيم : وقد رواه آدم بن أبى إياس فقال : حدثنى حى الصدوق ـ نوح بن الهيثم ، عن حبان بن أغلب ، عن أبيه ، عن هشام بن حبان ولم يجاوزه به . قد رواه أبو محمد عبد الله ابن حامد الفقيه فى كتابه دلائل النبوة ، من حديث إبراهيم بن مهدى ، عن ابن أغلب بن تميم عن أبيه ، عن هشام بن حبان ، عن الحسن بن ضبة بن أبى سلمة به . وقال الحافظ أبو بكر البيهقى : أنبأنى أبو عبد الله الحافظ ـ إجازة ـ أنا أبو جعفر محمد بن على بن دحيم الشيبانى : ثنا أحمد ابن حازم بن أبى عروة الغفارى ، ثنا على بن قادم ، ثنا أبو العلاء ـ خالد بن طهمان ، عن عطية ، عن أبى سعيد قال : مرّ النبى ﷺ بظبية مربوطة إلى خباء فقالت : يا رسول الله ، خلّنى حتى أذهب فأرضع خِشفىّ ، ثم أرجع فتربطنى ، فقال رسول الله ﷺ : صيد قوم وربيطة قوم ، قال : فأخذ عليها فحلفت له ، قال : فخلّاها ، فما مكثت إلا قليلا حتى جاءت ، وقد نفضت ما فى ضرعها ، فربطها رسول الله ﷺ ثم أتى خباء أصحابها ، فاستوهبها منهم فوهبوها له فخلاها ، ثم قال رسول الله ﷺ : لو تعلم البهائم من الموت ما تعلمون ، ما أكلتم منها سميناً أبداً .

قال البيهقى : وروى من وجه آخر ضعيف : أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن القاضى ، أنا أبو على حامد بن محمد المروى ، ثنا بشر بن موسى ، ثنا أبو حفص عمر بن على ، ثنا يعلى بن إبراهيم الغزالى ، ثنا الهيثم بن حماد ، عن أبى كثير ، عن يزيد بن أرقم ، قال :

---

(١) الحجر ـ بالفتح : نقا الرمل ، وفى نسخة : فى صحراء .

(٢) العشار : هو من يأخذ عشر الأموال . وفى الحديث : إذا لقيتم عاشراً فاقتلوه .

كنت مع النبي ﷺ فى بعض سكك المدينة ، قال : فمررنا بخباء أعرابى فإذا ظبية مشدودة إلى الخباء فقالت : يا رسول الله ، إن هذا الأعرابى اصطادنى ، وإن لى خشفين فى البرية ، وقد تعقد اللبن فى أخلافى[1] ، فلا هو يذبحنى فأستريح ، ولا هو يدعنى فأرجع إلى خشفى فى البرية . فقال لها رسول الله ﷺ : إن تركتك ترجعين ؟ قالت : نعم ، وإلا عذبنى الله عذاب العشار ، قال فأطلقها رسول الله ﷺ فلم تلبث أن جاءت تلمظ[2] ، فشدها رسول الله ﷺ إلى الخباء ، وأقبل الأعرابى ومعه قربة ، فقال له رسول الله ﷺ : أتبيعنيها ؟ قال : هى لك يا رسول الله ، فأطلقها رسول الله ﷺ قال زيد بن أرقم فأنا والله رأيتها تسبح فى البرية وهى تقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ورواه أبو نعيم : ثنا أبو على محمد بن أحمد بن الحسن بن مطر ، ثنا بشر بن موسى فذكره . قلت : وفى بعضه نكارة ، والله أعلم . وقد ذكرنا فى باب تكثيره عليه السلام اللبن — حديث تلك الشاة التى جاءت وهى فى البرية ، فأمر رسول الله ﷺ الحسن ابن سعيد مولى أبى بكر أن يحلها لحلبها ، وأمره أن يحفظها فذهبت وهو لا يشعر ، فقال رسول الله ﷺ : ذهب بها الذى جاء بها . وهو مروى من طريقين عن صحابيين كما تقدم ، والله أعلم .

حديث الضب على ما فيه من النكارة والغرابة

قال البيهقى : أنا أبو منصور أحمد بن على الدامغانى ، من ساكنى قرية نامين من ناحية بيهق — قراءة عليه من أصل كتابه — ثنا أبو أحمد عبد الله بن عدى الحافظ — فى شعبان سنة اثنتين وثلثمائة — ثنا محمد بن الوليد السلمى ، ثنا محمد بن عبد الأعلى ، ثنا معمر بن سليمان ، ثنا كهمس ، عن داود بن أبى هند ، عن عامر بن عمر ، عن عمر بن الخطاب ، أن رسول الله ﷺ كان فى محفل من أصحابه إذ جاء أعرابى من بنى سليم قد صاد ضبا ، وجعله فى كمه ليذهب به إلى رحله فيشويه ويأكله ، فلما رأى الجماعة قال : ما هذا ؟ قالوا : هذا الذى يذكر أنه نبى ، فجاء فشق الناس فقال : واللات والعزى ما اشتملت النساء على ذى لهجة أبغض إلى منك ، ولا أمقت منك ، ولولا أن يسمينى قومى عجولا لعجلت عليك فقتلتك ، فسررت بقتلك الأسود والأحمر والأبيض وغيرهم . فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، دعنى فأقوم فأقتله قال : يا عمر ، أما علمت أن الحليم كاد أن يكون نبيا ؟ ثم أقبل على الأعرابى وقال : ما حملك على أن قلت ما قلت ، وقلت غير الحق ولم تكرمنى فى مجلسى ؟ فقال : وتكلمنى أيضا ؟ — استخفافا برسول الله ﷺ —

---

(١) الأخلاف : جمع خلف وهو الضرع

(٢) أى : تتبع بقية الطعام ، وتخرج لسانها لتمسح شفتيها .

ـ واللات والعزى ، لا آمنت بك أو يؤمن بك هذا الضب ـ وأخرج الضب من كمه وطرحه بين يدى رسول الله ﷺ ـ فقال رسول الله ﷺ : يا ضَب ، فأجابه الضب بلسان عربى مبين يسمعه القوم جميعا : لبيك وسَعْدَيك يا زين من وافى القيامة ، قال : مَن تعبد يا ضَبّ ؟ قال : الذى فى السماء عرشه ، وفى الأرض سلطانه ، وفى البحر سبيله ، وفى الجنة رحمته ، وفى النار عِقابه ، قال : فمن أنا ياضب ؟ فقال : أنت رسول رب العالمين وخاتم النبيين ، قد أفلح من صدّقك ، وقد خاب من كذّبك ، فقال الأعرابى : والله لا أتبع أثراً بعد عَين ، والله لقد جئتك وما على ظهر الأرض أبغضُ إلىّ منك ، وإنك اليوم أحبّ إلىّ من والدى ومن عينى ومنى ، وإنى لأحبك بداخلى وخارجى ، وسِرّى وعلانيتى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله

فقال رسول الله : الحمد لله الذى هداك بى ، إن هذا الدين يَعلو ولا يُعلَى ولا يُقبل إلا بصلاة ، ولا تقبل الصلاة إلا بقرآن ، قال : فعلمنى ، فعلّمه (قُلْ هُوَ اللهُ أحد) ، قال : زدنى ، فما سمعت فى البَسيط ولا فى الوجيز أحسنَ من هذا ، قال : يا أعرابى إن هـذا كلام الله ، ليس بِشعر ، إنك إن قرأت (قُلْ هُوَ اللهُ أحد) مرة كان لك كأجر من قرأ ثلث القرآن ، وإن قرأتها مَرّتين كان لك كأجر من قرأ ثلثى القرآن ، وإذا قرأتها ثلاث مرات كان لك كأجر من قرأ القرآن كله . قال الأعرابى : نعم الاله إلهنا ، يقبل اليسير ويعطى الجزيل . فقال رسول الله ﷺ : ألك مال ؟ فقال : ما فى بنى سليم قاطبة رجلٌ هو أفقر منى ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : أعطوه ، فأعطوه حتى أبطروه ، قال : فقام عبد الرحمن بن عوف فقال : يا رسول الله ، إن له عندى ناقة عُشَراء ، دون البُختية[1] وفوق الأعرُب ، تَلحق ولا تُلحق ، أهديت إلىّ يوم تبوك ، أتقرب بها إلى الله عز وجل أفأدفعها إلى الأعرابى ؟ فقال رسول الله ﷺ : وصفت ناقتك ، فأصفُ مالك عند الله يوم القيامة ؟ قال: نعم ، قال : « لك ناقة من دُرّة جوفاء ، قوائمها من زَبرجد أخضر ، وعنقها من زبرجد أصفر ، عليها هودج وعلى الهودج السندس والاستبرق ، وتمرّ بك على الصراط كالبرق الخاطف ، يغبطك بها كلُّ من رآك يوم القيامة » فقال عبد الرحمن : قد رضيت .

فخرج الأعرابى فلقيه ألف أعرابى من بنى سليم على ألف دابة ، معهم ألف سَيف وألف رُمح ، فقال لهم : أين تريدون ؟ قالوا : نذهب إلى هـذا الذى سَفّه آلهتنا فنقتله . قال : لا تفعلوا ، أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وحدّثهم الحديث ، فقالوا بأجمعهم : نشهد

---

(١) البختية : الإبل الخرسانية وفى نسخة : دون البختية وفوق الأعلى

أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ثم دخلوا ، فقيل لرسول الله ، فتلقاهم بلا رداء ، ونزلوا عن ركبهم يقبلون حيث ولّوا عنه وهم يقولون : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ثم قالوا : يا رسول الله مُرْنا بأمرك قال : كونوا تحت راية خالد بن الوليد ، فلم يؤمن من العرب ولا من غيرهم ألف غيرهم . قال البيهقي : قد أخرجه شيخنا أبو عبد الله الحافظ فى المعجزات بالإجازة ، عن أبى أحمد بن عدى الحافظ .

قلت : ورواه الحافظ أبو نعيم فى الدلائل ، عن أبى القاسم بن أحمد الطبرانى - إملاء وقراءة - : حدثنا محمد ابن على بن الوليد السلمى البصرى أبو بكر بن كنانة ، فذكر مثله . ورواه أبو بكر الإسماعيلى عن محمد بن على بن الوليد السلمى قال البيهقى : روى فى ذلك عن عائشة وأبى هريرة ، وما ذكرناه هو أمثل الأسانيد فيه وهو أيضا ضعيف ، والحمل فيه على هذا السلمى ، والله أعلم .

حديث الحمار

وقد أنكره غير واحد من الحفاظ الكبار ، فقال أبو محمد بن عبد الله بن حامد : أخبرنا أبو الحسن أحمد بن حمدان السجزى ، حدثنا عمر بن محمد بن بجير ، حدثنا أبو جعفر محمد بن يزيد - إملاء - ، أنا أبو عبد الله محمد بن عقبة بن أبى الصهباء ، حدثنا أبو حذيفة عن عبد الله ابن حبيب الهذلى ، عن أبى عبد الرحمن السلمى عن أبى منظور قال : لما فتح الله على نبيه ﷺ خيبر ، أصابه من سهمه أربعة أزواج بغال ، وأربعة أزواج أخفاف[1] ، وعشر أواق ذهب وفضة ، وحمار أسود ، ومكتل[2] . قال : فكلّم النبى ﷺ الحمار فكلمه الحمار ، فقال له : ما اسمك ، قال : يزيد بن شهاب ، أخرج الله من نسل جدّى ستين حماراً ، كلهم لم يركبهم إلا نبى ، لم يبق من نسل جدى غيرى ، ولا من الأنبياء غيرك ، وقد كنت أتوقعك أن تركبنى ، قد كنتُ قبلك لرجل يهودى ، وكنت أعثر به عمداً ، وكان يجيع بطنى ويضرب ظهرى ، فقال النبى ﷺ : سميتك يعفور ، يا يعفور ، قال : لبيك ، قال : تشتهى الإناث ؟ قال : لا ، فكان النبى ﷺ يركبه لحاجته ، فإذا نزل عنه بعث به إلى باب الرجل ، فيأتى الباب فيقرعه برأسه ، فإذا خرج إليه صاحب الدار أومأ إليه : أن أجب رسول الله ﷺ ، فلما قبض النبى ﷺ جاء إلى بئر كانت لأبى الهيثم بن التيهان فتردّى فيها ، فصارت قبره ، جزعا منه على رسول الله ﷺ .

(١) أى : من الإبل ، والخف : الجمل المسن أو الضخم .
(٢) المكتل الزبيل الذى يحمل فيه التمر أو العنب إلى الجرين .

حديث الحمرة[1] وهو طائر مشهور

قال أبو داود الطيالسي : ثنا المسعودي عن الحسن بن سعد ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فدخل رجل غيطة فأخرج بيضة حُمَّرة ، فجاءت الحمرة ترفّ على رسول الله وأصحابه ، فقال : أيكم فجع هذه ؟ فقال رجل من القوم : أنا أخذت بيضها ، فقال : ردّه ردّه رحمة بها . وروى البيهقي عن الحاكم وغيره ، عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار : ثنا أبو معاوية عن أبي إسحاق الشيباني عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال : كنا مع رسول الله في سفر فمررنا بشجرة فيها فرخا حُمَّرة فأخذناهما ، قال : فجاءت الحمرة إلى رسول الله ﷺ وهي تفرش[2] ، فقال : مَن فجع هذه بفرخيها ؟ قال: فقلنا : نحن ، قال : ردّوهما ، فرددناهما إلى موضعهما فلم ترجع .

حديث آخر في ذلك وفيه غرابة

قال البيهقي : أنا أبو عبد الله الحافظ ومحمد بن الحسين بن داود العلوي قالا : ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأموي ، ثنا محمد بن عبيد بن عتبة الكندي ، ثنا محمد بن الصلت . ثنا حبان ، ثنا أبو سعيد البقال ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ إذا أراد الحاجة أبعد ، قال : فذهب يوماً فقعد تحت سَمُرة ونزع خفّيه ، قال : ولبس أحدهما ، فجاء طير فأخذ الخف الآخر فحلّق به في السماء . فانسلّت منه أَسْوَد[3] سالخ ، فقال رسول الله ﷺ : هذه كرامة أكرمني الله بها ، اللهم إني أعوذ بك من شرّ ما مشى على رجليه ، ومن شر ما يمشي على بطنه .

حديث آخر — قال البخاري : ثنا محمد بن المثنى ، ثنا معاذ عن قتادة قال : حدثنا أنس ابن مالك، أن رجلين من أصحاب النبي ﷺ خرجا من عند النبي ﷺ ، ومعهما مثل المصباحين يضيئان بين أيديهما ، فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله . وقال عبد الرزاق : أنا معمر عن ثابت ، عن أنس ، أن أسيد بن حضير الأنصاري ورجلا آخر من الأنصار — تحدثا عند النبي ﷺ في حاجة لهما ، حتى ذهب من الليل ساعة ، وهي ليلة شديدة الظلمة ، حتى خرجا من عند رسول الله ﷺ ينقلبان ، وبيد كل واحد منهما عصية ، فأضاءت عصا أحدهما لهما حتى

---

(١) الحمرة — بفتح الميم وبتشديدها مفتوحة - ضرب من الطير كالعصافير . (٢) أي ترفرف بجناحيها
(٣) الأسود : العظيم من الحيات ، والسالخ الشديد السواد الذي سلخ جلده ، وهو أقتل ما يكون من الحيات

مشيا فى ضوئها ، حتى إذا افترقت بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه حتى مشى فى ضوئها ، حتى أتى كل واحد منهما فى ضوء عصاه حتى بلغ أهله . وقد علقه البخارى فقال : وقال معمر فذكره وعلقه البخارى أيضاً عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس : أن عباد بن بشر وأسيد ابن حضير خرجا من عند النبى ﷺ ، فذكر مثله . وقد رواه النسائى عن أبى بكر بن نافع عن بشر بن أسيد ، وأسنده البيهقى من طريق يزيد بن هارون - كلاهما عن حماد بن سلمة به .

حديث آخر — قال البيهقى : أنا أبو عبد الله الحافظ ، ثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهانى ، ثنا أحمد بن مهران ، ثنا عبيد الله بن موسى ، أنا كامل بن العلاء ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة قال : كنا نصلى مع رسول الله ﷺ العشاء ، وكان يصلى فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره ، فإذا رفع رأسه أخذهما فوضعهما وضعاً رفيقاً ، فإذا عاد عادا ، فلما صلى جعل واحداً هٰهنا وواحداً هٰهنا ، فجئته فقلت : يا رسول الله ، ألا أذهب بهما إلى أمهما ؟ فبرقت برقة فقال : الحقا بأمكما . فما زال يمشيان فى ضوئها حتى دخلا .

حديث آخر — قال البخارى فى التاريخ : حدثنى أحمد بن الحجاج ، ثنا سفيان بن حمزة ، عن كثير بن يزيد ، عن محمد بن حمزة بن عمرو الأسلمى عن أبيه : قال : كنا مع رسول الله ﷺ فتفرقنا فى ليلة ظلماء دحسة ، فأضاءت أصابعى حتى جمعوا عليها ظهرهم وما هلك منهم ، وإن أصابعى لتنير . ورواه البيهقى من حديث إبراهيم بن المنذر الحزامى عن سفيان بن حمزة . ورواه الطبرانى من حديث إبراهيم بن حمزة الزهري ، عن سفيان بن حمزة به .

حديث آخر — قال البيهقى : حدثنا أبو عبد الله الحافظ ، ثنا أبو محمد بن أحمد بن عبد الله المدنى ، ثنا محمد بن عبد الله الحضرمى ، ثنا أبو كريب ، ثنا زيد بن الحباب ، ثنا عبد الحميد بن أبى عبس الأنصارى - من بنى حارثة ، أخبرنى ميمون بن يزيد بن أبى عبس ، أخبرنى أبى أن أبا عبس ، كان يصلى مع رسول الله ﷺ الصلوات ثم يرجع إلى بنى حارثة ، فخرج فى ليلة مظلمة مطيرة ، فنُوِّر له فى عصاه حتى دخل دار بنى حارثة . قال البيهقى : أبو عبس ممن شهد بدراً . قلت : وروينا عن يزيد بن الأسود وهو من التابعين ، أنه كان يشهد الصلاة بجامع دمشق من جسرين ، فربما أضاءت له إبهامُ قدمه فى الليلة المظلمة . وقد قدمنا فى قصة إسلام الطفيل ابن عمرو الدوسى بمكة قبل الهجرة ، وأنه سأل رسول الله ﷺ آية يدعو قومه بها ، فلما ذهب إليهم وانهبط من الثنية أضاء له نور بين عينيه ، فقال : اللهم لا يقولوا : هو مُثْلة[1] فحوله الله إلى طرف سوطه حتى جعلوا يرونه مثل القنديل .

(١) مثلة - الاسم من قولهم : مثل به : أى شوهه ونكل به .

حديث آخر فيه كرامة لتميم الداري

روى الحافظ البيهقي من حديث عفان بن مسلم ، عن حماد بن سلمة عن الجريري عن معاوية بن حَرمل قال : خرجت نار بالحرّة ، فجاء عمر إلى تميم الداري فقال : قم إلى هـــذه الدار ، قال : يا أمير المؤمنين ومَن أنا ؟ وما أنا ؟ قال : فلم يزل به حتى قام معه ، قال : وتبعتهما ، فانطلقا إلى النار ، فجعل تميم يحوشها بيديه حتى دخلت الشِّعب ودخل تميم خلفها ، قال : فجعل عمر يقولُ : ليس مَنْ رأى كمن لم يرَ ، قالها ثلاثاً .

حديث فيه كرامة لولي من هذه الأمة

وهي معدودة من المعجزات ، لأن كل ما يثبت لولي فهو معجزة لنبيه

قال الحسن بن عروة : ثنا عبد الله بن إدريس عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي سبرة النخعي ، قال : أقبل رجل من اليمن ، فلما كان ببعض الطريق نفق حماره ، فقام فتوضأ ثم صلّى ركعتين ثم قال : اللهم إني جئت من الدفينة[1] مجاهداً في سبيلك وابتغاء مرضاتك ، وأنا أشهد أنك تحيي الموتى وتبعث مَن في القبور ، لاتجعل لأحد عليّ اليوم منّة ، أطلب إليك اليوم أن تبعث حماري ، فقام الحمار ينفض أذنيه . قال البيهقي : هذا إسناد صحيح . ومثل هذا يكون كرامة لصاحب الشريعة . قال البيهقي : وكذلك رواه محمد بن يحيى الذهلي وغيره ، عن محمد بن عبيد عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي وكأنه عند إسماعيل عنهما ، والله أعلم .

طريق أخرى

قال أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب [من عاش بعد الموت] : حدثنا إسحاق بن إسماعيل وأحمد بن بجير وغيرهما قالوا : ثنا محمد بن عبيد عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي ، أنّ قوماً أقبلوا من اليمن متطوعين في سبيل الله ، فنفق حمار رجل منهم ، فأرادوه أن ينطلق معهم فأبى ، فقام فتوضأ وصلّى ثم قال : اللهم إني جئت من الدّفينة مجاهداً في ســـبيلك وابتغاء مرضاتك ، وإني أشهد أنك تحيي الموتى وتبعث من في القبور ، لا تجعل لأحد عليّ منّة ، فإني أطلب إليك أن تبعث لي حماري ، ثم قام إلى الحمار فقام الحمار ينفض أذنيه فأسرجه وألجمه ، ثم ركبه وأجراه فلحق بأصحابه ، فقالوا له : ما شأنك ؟ قال : شأني أنّ الله بعث حماري . قال الشعبي : فأنا رأيت الحمار بيع أو يباع في الكناسة - يعني بالكوفة - قال ابن أبي الدنيا : وأخبرني العباس بن هشام عن أبيه عن جده ، عن مسلم بن عبد الله بن شريك النخعي ، أنّ

(١) الدفينة : ماء لبني سليم على خمس مراحل من مكة إلى البصرة

صاحب الحمار رجل من النخع ، يقال له : نباتة بن يزيد ، خرج في زمن عمر غازيا ، حتى إذا كان يلقى عميرة نفق حماره ، فذكر القصة ، غير أنه قال : فباعه بعد بالكناسة فقيل له : تبيع حمارك وقد أحياه الله لك ؟ قال : فكيف أصنع ؟ وقد قال رجل من رهطه ثلاثة أبيات فحفظت هذا البيت :

ومنا الذى أحيـا الإله حماره   وقد مات منه كل عضو ومفصل

وقد ذكرنا في [باب رضاعه عليه السلام] ما كان من حمارة حليمة السعدية ، وكيف كانت تسبق الركب في رجوعها ، لما ركب معها عليها رسول الله ﷺ وهو رضيع ، وقد كانت أدمت بالركب في مسيرهم إلى مكة . وكذلك ظهرت بركته عليهم في شارفهم - وهى الناقة التى كانوا يحلبونها - وشياههم وسمنهم وكثرة ألبانها ، صلوات الله وسلامه عليه .

قصة أخرى مع قصة العلاء بن الحضرمى

قال أبو بكر بن أبى الدنيا : حدثنى خالد بن خداش بن عجلان المهلبى وإسماعيل بن بشار قالا : ثنا صالح المزى عن ثابت البنانى ، عن أنس بن مالك قال : عُدنا شابا من الأنصار ، فما كان بأسرع من أن مات ، فأغمضناه ومددنا عليه الثوب ، وقال بعضنا لأمه : احتسبيه ، قالت : أوقد مات ؟ قلنا : نعم ، فمدت يديها إلى السماء وقالت : اللهم إنى آمنت بك ، وهاجرت إلى رسولك ، فإذا نزلت بى شدة دعوتك ففرجتها ، فأسألك اللهم لا تحمل علىّ هذه المصيبة ، قال : فكشف الثوب عن وجهه فما برحنا حتى أكلنا وأكل معنا . وقد رواه البيهقى عن أبى سعيد المالينى عن ابن عدى ، عن محمد بن طاهر بن أبى الدميل ، عن عبد الله بن عائشة عن صالح بن بشير المزنى - أحد زهاد البصرة وعبادها - مع لين فى حديثه ، عن أنس فذكر القصة ، وفيه أن أم السائب كانت عجوزاً عمياء . قال البيهقى : وقد روى من وجه آخر مرسل - يعنى فيه انقطاع - عن ابن عدى ، وأنس بن مالك .

ثم ساقه من طريق عيسى بن يونس ، عن عبد الله بن عون عن أنس قال : أدركت فى هذه الأمة ثلاثا لو كانت فى بنى إسرائيل لما تقاسمها الأمم ، قلنا : ما هى يا أبا حمزة ؟ قال : كنا فى الصُّفة عند رسول الله ﷺ فأتته امرأة مهاجرة ومعها ابن لها قد بلغ ، فأضاف المرأة إلى النساء وأضاف ابنها إلينا ، فلم يلبث أن أصابه وباء المدينة فمرض أياما ثم قبض ، فغمضه النبى ﷺ وأمر بجهازه فلما أردنا أن نغسله قال : يا أنس ائت أمه فأعلمها ، فأعلمتها ، قال : فجاءت حتى جلست عند قدميه فأخذت بهما ، ثم قالت : اللهم إنى أسلمت لك طوعا ، وخالفت الأوثان زهداً ، وهاجرت لك رغبة ،

اللهم لا تشمت بى عَبدة الأوثان ، ولا تُحمّلنى من هذه المصيبة مالا طاقة لى بحملها ، قال : فوالله ما انقضى كلامها حتى حرك قدميه وألقى الثوب عن وجهه ، وعاش حتى قبض الله رسوله ﷺ ، وحتى هلكت أمه . قال : ثم جهز عمر بن الخطاب جيشا واستعمل عليهم العلاء بن الحضرمى ، قال أنس : وكنت فى غزاته ، فأتينا مغازينا فوجدنا القوم قد بَدَروا بنا فعفوا آثار الماء ، والحر شديد ، فجهدنا العطش ودوابنا وذلك يوم الجمعة ، فلما مالت الشمس لغروبها صلى بنا ركعتين ثم مد يده إلى السماء ، وما نرى فى السماء شيئاً قال : فوالله ما حط يده حتى بعث الله ريحاً وأنشأ سحاباً ، وأفرغت حتى ملأت الغُدُر والشعَاب ، فشربنا وسقينا ركائبنا واستقينا ، ثم أتينا عدونا وقد جاوزوا خليجاً فى البحر إلى جزيرة ، فوقف على الخليج وقال : يا على ، يا عظيم ، يا حليم ، يا كريم ، ثم قال : أجيزوا بسم الله ، قال : فأجزنا ما يبلُّ الماء حوافرَ دوابنا .

فلم نلبث إلا يسيراً فأصبنا العدو عليه فقتلنا وأسرنا وسبينا . ثم أتينا الخليج ، فقال مثل مقالته ، فأجزنا ما يبلُّ الماء حوافرَ دوابنا ، قال : فلم نلبث إلا يسيراً حتى رُمى فى جنازته ، قال : فحفرنا له وغسلناه ودفناه ، فأتى رجل بعد فراغنا من دفنه فقال : من هـذا ؟ فقلنا : هذا خير البشر ، هذا ابن الحضرمى ، فقال : إن هذه الأرض تلفظ الموتى ، فلو نقلتموه إلى ميـل أو ميلين ، إلى أرض تقبل الموتى ! فقلنا : ما جزاء صاحبنا أن نعرضه للسباع تأكله ، قال : فاجتمعنا على نبشه ، فلما وصلنا إلى اللحد إذا صاحبنا ليس فيـه ، وإذا اللحد مدّ البصر نورٌ يتلألأ ، قال : فأعدنا التراب إلى اللحد ثم ارتحلنا .

قال البيهقى ـ رحمه الله : وقد روى عن أبى هريرة فى قصة العلاء بن الحضرمى فى استسقائه ومشيهم على الماء دون قصّة الموت بنحو من هذا . وذكر البخارى فى التاريخ لهذه القصة إسناداً آخر . وقد أسنده ابن أبى الدنيا عن أبى كريب عن محمد بن فضيل ، عن الصلت بن مطر العجلى ، عن عبد الملك بن سهم ، عن سهم بن منجاب قال : غزونا مع العـلاء بن الحضرمى ، فذكره . وقال فى الدعاء : يا عليم ، يا حليم ، يا على ، يا عظيم ، إنا عبيدك وفى سبيلك نقاتل عدوك ، اسقنا غيثاً نشرب منه ونتوضأ . فإذا تركناه فلا تجعل لأحد فيـه نصيباً غيرنا ، وقال فى البحر : اجعل لنا سبيلا إلى عدوك . وقال فى الموت : اخف جثتى ولا تطلع على عورتى أحداً فلم يقدر عليـه ، والله أعلم .

قصة أخرى — قال البيهقى : أنا الحسين بن بشران ، أنا إسماعيل الصفار ، ثنا الحسن بن على ابن عفان ، ثنا ابن نمير عن الأعمش عن بعض أصحابه قال : انتهينا إلى دجلة وهى مادّة[1]

---

(١) أى : مرتفعة المياه ، والمادة : الزيادة المتصلة ، والمد : السيل ، يقال : مد النهر ومده نهر آخر

والأعاجم خلفها ، فقال رجل من المسلمين : بسم الله ، ثم اقتحم بفرسه فارتفع على الماء ، فقال الناس : بسم الله، ثم اقتحموا فارتفعوا على الماء فنظر إليهم الأعاجم وقالوا : ديوان ديوان ، ثم ذهبوا على وجوههم ، قال : فما فقد الناس إلا قدحاً كان معلقاً بعذبة سرج ، فلما خرجوا أصابوا الغنائم فاقتسموها ، فجعل الرجل يقول : من يبادل صفراء ببيضاء ؟.

قصة أخرى -- قال البيهقى: أنا أبو عبد الرحمن السلمى ، أنا أبو عبد الله بن محمد السمرى ، ثنا أبو العباس السراج ، ثنا الفضل بن سهل وهارون بن عبد الله قالا : ثنا أبو النضر ، ثنا سليمان ابن المغيرة ، أن أبا مسلم الخولانى جاء إلى دجلة وهى ترمى بالخشب من مدها ، فمشى على الماء والتفت إلى أصحابه وقال : هل تفقدون من متاعكم شيئاً فندعو الله عز وجل ؟ قال البيهقى : هذا إسناد صحيح ، قلت : وستأتى قصة مسلم الخولانى - واسمه عبد الله بن ثوب — مع الأسود العنسى ، حين ألقاه فى النار فكانت عليه برداً وسلاماً ، كما كانت على الخليل إبراهيم عليه السلام .

قصة زيد بن خارجة وكلامه بعد الموت

وشهادته بالرسالة لمحمد ﷺ ، وبالخلافة لأبى بكر الصديق ، ثم لعمر ، ثم لعثمان رضى الله عنهم

قال الحافظ أبو بكر البيهقى : أنا أبو صالح بن أبى طاهر العنبرى ، أنا جدى يحيى بن منصور القاضى ، ثنا أبو على بن محمد بن عمرو بن كشمرد ، أنا القعنبى ، أنا سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب ، أن زيد بن خارجة الأنصارى ، ثم من بنى الحارث بن الخزرج ـ توفى زمن عثمان بن عفان فسجى بثوبه ، ثم إنهم سمعوا جلجلة فى صدره ، ثم تكلم ثم قال : أحمد أحمد فى الكتاب الأول . صدق صدق أبو بكر الصديق ، الضعيف فى نفسه القوى فى أمر الله ، فى الكتاب الأول . صدق صدق عمر بن الخطاب ، القوى الأمين فى الكتاب الأول . صدق صدق عثمان بن عفان على منهاجهم . مضت أربع وبقيت ثنتان ؛ أتت بالفتن ، وأكل الشديد الضعيف، وقامت الساعة وسيأتيكم عن جيشكم خبر ؛ بئر أريس[1]، وما بئر أريس. قال يحيى: قال سعيد : ثم هلك رجل من بنى خطمة فسجى بثوبه ، فسمع جلجلة فى صدره ، ثم تكلم فقال : إن أخا بنى الحارث بن الخزرج صدق صدق .

ثم رواه البيهقى عن الحاكم عن أبى بكر بن إسحاق عن موسى بن الحسن عن القعنبى ، فذكره وقال : هذا إسناد صحيح وله شواهد . ثم ساقه من طريق أبى بكر عبد الله بن أبى الدنيا فى كتاب [من عاش بعد الموت] : حدثنا أبو مسلم عبد الرحمن بن يونس ، ثنا عبد الله بن إدريس عن إسماعيل بن أبى خالد قال : جاء يزيد بن النعمان بن بشير ، إلى حلقة القاسم بن عبد الرحمن ،

(١) هى : بئر معروفة قريبا من مسجد قباء عند المدينة

بكتاب أبيه النعمان بن بشير — يعنى إلى أمه — بسم الله الرحمن الرحيم ، من النعمان بن بشير إلى أم عبـد الله بنت أبى هاشم ، سلام عليك فإنى أحمـد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، فإنك كتبت إلىّ لأكتب إليك بشأن زيد بن خارجة ، وإنه كان من شأنه أنه أخذه وجع فى حلقه ـ وهو يومئذ من أصح الناس ـ أو أهل المدينة ـ فتوفى بين صلاة الأولى وصلاة العصر ، فأضجعناه لظهره وغشيناه ببردين وكساء ، فأتانى آت فى مقامى ، وأنا أسبح بعد المغرب فقال : إن زيداً قد تكلم بعد وفاته ، فانصرفت إليه مسرعاً ، وقد حضره قوم من الأنصار ، وهو يقول ـ أو يقال على لسانه ـ : الأوسط أجلد الثلاثة الذى كان لا يبالى فى الله لومة لائم ، كان لا يأمر الناس أن يأكل قويُّهم ضعيفَهم ـ عبد الله أمير المؤمنين صدق صدق كان ذلك فى الكتاب الأول . ثم قال : عثمان أمير المؤمنين ، وهو يعافى الناس من ذنوب كثيرة ، خلت اثنتان وبقى أربع ، ثم اختلف الناس وأكل بعضهم بعضا ؛ فلا نظام وأنتجت الأكما ، ثم ارعوى المؤمنون وقالوا : كتاب الله وقدره ، أيها الناس ، أقبلوا على أميركم واسمعوا وأطيعوا ، فمن تولىّ فلا يعهدن دماً وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، الله أكبر هذه الجنة وهذه النار ، ويقول النبيون والصديقون : سلام عليكم ، يا عبد الله ابن رواحة ، هل أحسست لى خارجة لأبيه وسعداً اللذين قتلا يوم أحد؟ (كَلاَّ إِنَّهَا لَظَى * نَزَّاعَةً لِلشَّوَى * تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى * وَجَمَعَ فَأَوْعَى)[1] ثم خفت صوته ، فسألت الرهط عما سبقنى من كلامه ، فقالوا : سمعناه يقول : أنصتوا أنصتوا ، فنظر بعضنا إلى بعض فإذا الصوت من تحت الثياب ، قال : فكشفنا عن وجهه فقال : هذا أحمد رسول الله ، سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته . ثم قال : أبو بكر الصديق الأمين ، خليفة رسول الله ، كان ضعيفاً فى جسمه ، قويا فى أمر الله ، صدق صدق وكان فى الكتاب الأول . ثم رواه الحافظ البيهقى عن أبى نصر بن قتادة ، عن أبى عمرو بن بجير عن على بن الحسين ، عن المعافى بن سليمان عن زهير بن معاوية عن اسماعيل بن أبى خالد ، فذكره وقال : هذا إسناد صحيح .

وقد روى هشام بن عمار فى كتاب البعث ، عن الوليد بن مسلم ، عن عبد الرحمن بن يزيد ابن جابر قال : حدثنى عمير بن هانىء ، حدثنى النعمان بن بشير قال : توفى رجل منا يقال له : خارجة بن زيد ، فسجّينا عليه ثوبا ، فذكر نحو ما تقدم . قال البيهقى : وروى ذلك عن حبيب ابن سالم عن النعمان بن بشير ، وذكر بئر أريس ، كما ذكرنا فى رواية ابن المسيب . قال البيهقى : والأمر فيها أن النبى ﷺ اتخذ خاتماً فكان فى يده ، ثم كان فى يد أبى بكر من بعده ،

---

(١) الآيات : ١٥ ـ ١٨ من سورة المعارج

ثم كان فى يد عمر ، ثم كان فى يد عثمان حتى وقع منه فى بئر أريس ، بعد مامضى من خلافته ست سنين ، فعند ذلك تغيرت عماله ، وظهرت أسباب الفتن ، كما قيل على لسان زيد بن خارجة . قلت : وهى المرادة من قوله : مضت اثنتان وبقى أربع ـ أو مضت أربع وبقى اثنتان، على اختلاف الرواية ، والله أعلم .

وقد قال البخارى فى التاريخ : زيد بن خارجة الخزرجى الأنصارى شهد بدراً ، توفى زمن عثمان، وهو الذى تكلم بعد الموت قال البيهقى : وقد روى فى التكلم بعد الموت عن جماعة بأسانيد صحيحة، والله أعلم . قال ابن أبى الدنيا : ثنا خلف بن هشام البزار ، ثنا خالد الطحان عن حصين عن عبد الله بن عبيد الأنصارى ، أنّ رجلا من بنى سلمة تكلم فقال : محمد رسول الله ، أبو بكر الصديق ، عثمان اللين الرحيم . قال : ولا أدرى إيش قال فى عمر .

كذا رواه ابن أبى الدنيا فى كتابه ، وقد قال الحافظ البيهقى : أنا أبو سعيد بن أبى عمرو ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، ثنا يحيى بن أبى طالب ، أنا علىّ بن عاصم ، أنا حصين بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عبيد الأنصارى قال : بينما هم يثوّرون[1] القتلى يوم صفين أو يوم الجمل إذ تكلم رجل من الأنصار من القتلى، فقال: محمد رسول الله ، أبو بكر الصديق ، عمر الشهيد ، عثمان الرحيم ثم سكت . وقال هشام بن عمار فى كتاب البعث :

باب فى كلام الأموات وعجائبهم[2]

حدثنا الحكم بن هشام الثقفى ، حدثنا عبد الحكم بن عمير ، عن ربعى بن خراش العبسى قال : مرض أخى الربيع بن خراش فمرّضته ، ثم مات فذهبنا نجهزه ، فلما جئنا رفع الثوب عن وجهه ثم قال : السلام عليكم ، قلنا : وعليك السلام ، قدمتَ ، قال : بلى ولكن لقيت بعدكم ربى ولقينى بروح وريحان ، ورب غير غضبان ، ثم كسانى ثيابا من سندس أخضر ، وإنى سألته أن يأذن لى أن أبشركم فأذن لى ، وإنّ الأمر كما ترون ، فسددوا وقاربوا ، وبشروا ولا تنفّروا. فلما قالها كانت كحصاة وقعت فى ماء . ثم أورد بأسانيد كثيرة فى هذا الباب ، وهى آخر كتابه.

حديث غريب جداً

قال البيهقى : أنا علىّ بن أحمد بن عبدان ، ثنا أحمد بن عبيد الصفار ، ثنا محمد بن يونس الكديمى ، ثنا شاصونة[3] بن عبيد أبو محمد اليمانى ـ وانصرفنا من عدن بقرية يقال لها الحردة[4] ـ

---

(١) أى : يبعثون ويتعرفون عليهم . (٢) هذا العنوان غير مثبت فى بعض النسخ .
(٣) هو : شاصونة بن عبيد ، والشاصونة : البرنية من الأوانى
(٤) بلد باليمن ؛ كان أهله ممن سارع إلى تصديق العنسى الكذاب

حدثنى معرض بن عبد الله بن معرض بن معيقيب اليمانى ، عن أبيه عن جده قال : حججت حجة الوداع فدخلت داراً بمكة ، فرأيت فيها رسول الله ﷺ ووجهه مثل دارة القمر ، وسمعت منه عجباً ؛ جاءه رجل بغلام يوم ولد فقال له رسول الله ﷺ : من أنا ؟ قال: أنت رسول الله ، قال : صدقت ، بارك الله فيك . ثم قال : إن الغلام لم يتكلم بعد ذلك حتى شبّ ، قال أبى : فكنا نسميه مبارك اليمامة ، قال شاصونة : وقد كنت أمرّ على معمر فلا أسمع منه . قلت : هذا الحديث مما تكلم الناس فى محمد بن يونس الكديمى بسببه ، وأنكروه عليه ، واستغربوا شيخه هذا ، وليس هذا مما ينكر عقلا ولا شرعاً ؛ فقد ثبت فى الصحيح فى قصة جُريج العابد ، أنه استنطق ابن تلك البغى ، فقال له : يا أبا يونس ، ابن من أنت ؟ قال : ابن الراعى ، فعلم بنو إسرائيل براءة عرض جُريج مما كان نسب إليه ، وقد تقدم ذلك . على أنه قد روى هذا الحديث من غير طريق الكديمى ، إلا أنه بإسناد غريب أيضاً .

قال البيهقى : أنا أبو سعد عبد الملك بن أبى عثمان الزاهد ، أنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن جميع الغسانى - بثغر صيدا - ثنا العباس بن محبوب بن عثمان بن عبيد أبو الفضل ، ثنا أبى ، ثنا جدى شاصونة بن عبيد ، حدثنى معرض بن عبد الله بن معيقيب عن أبيه عن جده قال : حججت حجة الوداع فدخلت داراً بمكة فرأيت فيها رسول الله ﷺ وَجْهه كدارة القمر ، فسمعت منه عجباً ؛ أتاه رجل من أهل اليمامة بغلام يوم ولد ، وقد لفّه فى خرقة ، فقال له رسول الله ﷺ : ياغلام من أنا؟ قال : أنت رسول الله ، فقال له : بارك الله فيك، ثم إن الغلام لم يتكلم بعدها . قال البيهقى : وقد ذكره شيخنا أبو عبد الله الحافظ ، عن أبى الحسن - على بن العباس الوراق ، عن أبى الفضل أحمد بن خلف بن محمد المقرى القزوينى ، عن أبى الفضل العباس بن محمد ابن شاصونة به . قال الحاكم : وقد أخبرنى الثقة من أصحابنا عن أبى عمر الزاهد قال: لما دخلت اليمن دخلت حردة ، فسألت عن هذا الحديث فوجدت فيها لشاصونة عقبا ، وحملت إلى قبره فزرته قال البيهقى : ولهذا الحديث أصل من حديث الكوفيين بإسناد مرسل يخالفه فى وقت الكلام . ثم أورد من حديث وكيع عن الأعمش عن شمر بن عطية ، عن بعض أشياخه ، أنّ النبى ﷺ أتى بصبىّ قد شبّ لم يتكلم قط ، قال : من أنا ؟ قال : أنت رسول الله . ثم روى عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بكير عن الأعمش ، عن شمر ابن عطية عن بعض أشياخه قال : جاءت امرأة بابن لها قد تحرّك فقالت : يارسول الله ، إن ابنى هذا لم يتكلم منذ وُلد ، فقال رسول الله ﷺ : ادنيه منّى ، فأدنته ، فقال : من أنا ؟ فقال : أنت رسول الله .

قصة الصبي الذي كان يصرع فدعا له عليه السلام فبرأ

قد تقدم ذلك من رواية أسامة بن زيد وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة الثقفي – مع قصة الجمل.. الحديث بطوله وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، ثنا حماد بن سلمة عن فرقد السبخي، عن سعيد بن جبير بن عباس، أنّ امرأة جاءت بولدها إلى رسول الله ﷺ فقالت: يارسول الله إنّ به لمماً(١) وإنه يأخذه عند طعامنا فيفسد علينا طعامنا، قال: فمسح رسول الله ﷺ صدره ودعا له فثع(٢) ثعة فخرج منه مثل الجرو الأسود يسعى. تفرد به أحمد. وفرقد السبخي – رجل صالح ولكنه سيء الحفظ، وقد روى عنه شعبة وغير واحد واحتمل حديثه، ولما رواه ههنا شاهد مما تقدم، والله أعلم.

حديث آخر في ذلك – قال أبو بكر البزار: ثنا محمد بن مرزوق، ثنا مسلم بن إبراهيم، ثنا صَدَقة – يعني ابن موسى، ثنا فَرْقد – يعني السبخي – عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ بمكة فجاءته امرأة من الأنصار فقالت: يارسول الله إن هذا الخبيث قد غلبني، فقال لها: إنْ تصبري على ما أنت عليه تجيئين يوم القيامة ليس عليك ذنوب ولا حساب، قالت: والذي بعثك بالحق لأصبرنّ حتى ألقى الله، قالت: إني أخاف الخبيث أن يجردني، فدعا لها فكانت إذا خشيت أن يأتيها تأتي أستار الكعبة فتتعلق بها وتقول له: اخسأ، فيذهب عنها. قال البزار: لانعلمه يروى بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه، وصَدَقة – ليس به بأس، وفَرقد – حدث عنه جماعة من أهل العلم، منهم شعبة وغيره واحتمل حديثه على سوء حفظه فيه.

طريق أخرى عن ابن عباس – قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن عمران أبي بكر، ثنا عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه السوداء، أتت رسول الله ﷺ فقالت: إني أصرع وأتكشف فادع الله لي، قال: إن شئت صبرتِ ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله لك أن يعافيك، قالت: لا، بل أصبر فادع الله ألا أتكشف ولا يتكشف عني، قال: فدعا لها. وهكذا رواه البخاري عن مسدد عن يحيى – وهو ابن سعيد القطان – وأخرجه مسلم عن القواريري عن يحيى القطان وبشر بن الفضل – كلاهما عن عمران بن مسلم أبي بكر الفقيه البصري، عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس فذكر مثله. ثم قال البخاري: حدثنا محمد، ثنا مخلد عن ابن جريج قال: أخبرني عطاء، أنه رأى أمّ زفر تلك،

---

(١) أي: جنونا. (٢) أي: قاء، والثعثعة: متابعة القيء – أو الدفعة منه.

امرأة طويلة سوداء على ستر الكعبة. وقد ذكر الحافظ ابن الأثير فى الغابة: أن أم زُفر هذه كانت مَشاطة خديجة بنت خويلد قديماً ، وأنها عمّرت حتى أدركها عطاء بن أبى رباح ، فالله أعلم .

حديث آخر — قال البيهقى : أنا على بن أحمد بن عبدان ، أنا أحمد بن عبيد ، ثنا محمد بن يونس ، ثنا قرة بن حبيب الضوى ، ثنا إياس بن أبى تميمة ، عن عطاء ، عن أبى هريرة قال : جاءت الْحُمّى إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، ابعثنى إلى أحبّ قومك إليك ، أو أحب أصحابك إليك — شك قرّة — . فقال : اذهبى إلى الأنصار ، فذهبت إليهم فصرعتهم ، فجاءوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله ، قد أتت الْحُمّى علينا ، فادع الله لنا بالشفاء فدعا لهم ، فكشفت عنهم. قال: فاتبعته امرأة فقالت : يا رسول الله ادع الله لى ، فإنى لمن الأنصار فادع الله لى كما دعوت لهم ، فقال: أيهما أحب إليك ؟ أن أدعو لك فيكشف عنك ، أو تصبرين وتجب لك الجنة ؟ فقالت : لا، والله يا رسول الله بل أصبر ثلاثاً ولا أجعل والله لجنته خطراً . محمد بن يونس الكديمى ضعيف . وقد قال البيهقى : أنا على بن أحمد بن عبدان ، أنا أحمد بن عبيد الصّفار ، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، ثنا أبى ، ثنا هشام بن لاحق — سنة خمس وثمانين ومائة — ثنا عاصم الأحول ، عن أبى عثمان النهدى ، عن سلمان الفارسى قال : استأذنت الْحُمّى على رسول الله ﷺ ، فقال : من أنت ؟ قالت : أنا الْحُمّى ، أبرى اللحم ، وأمصّ الدم . قال : اذهبى إلى أهل قُباء ، فأتتهم ، فجاءوا إلى رسول الله ﷺ وقد اصفرّت وجوههم ، فشكوا إليه الْحُمّى ، فقال لهم : ما شئتم ؟ إن شئتم دعوت الله فيكشف عنكم ، وإن شئتم تركتموها فأسقطت ذنوبكم ، قالوا : بل ندعها يا رسول الله . وهذا الحديث ليس هو فى مسند الإمام أحمد ، ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة .

وقد ذكرنا فى أول الهجرة دعاءه عليه الصلاة والسلام لأهل المدينة أن يذهب حمّاها إلى الجحفة ، فاستجاب الله له ذلك ؛ فإن المدينة كانت من أوبأ أرض الله ، فصححها الله ببركة حُلوله بها ، ودعائه لأهلها ، صلوات الله وسلامه عليه .

حديث آخر فى ذلك — قال الإمام أحمد: ثنا روح، ثنا شعبة ، عن أبى جعفر المدينى، سمعت عمارة ابن خزيمة بن ثابت يحدث عن عثمان بن حنيف : أن رجلا ضريراً أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يعافينى . فقال: إن شئتَ أخرتُ[1] ذلك فهو أفضل لآخرتك، وإن شئت دعوتُ لك، قال : لا ، بل ادعُ الله لى ، قال : فأمره رسول الله ﷺ أن يتوضأ ويُصلّى ركعتين، وأن يدعو بهذا

(١) لفظ أخرت : يحتمل الخطاب والتكلم ، فيجوز فيه النصب والرفع ، بخلاف لفظ دعوت فإنه للمتكلم .

الدعاء : « اللهم إنى أسألك وأتوجّه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة ، يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربى فى حاجتى هذه فتقضى ، وتشفعنى فيه وتشفعه فىّ » . قال : فكان يقول هذا مراراً . ثم قال بعد : أحسب أنّ فيها أن تشفعنى فيه . قال : ففعل الرجل فبرأ . وقد رواه أحمد أيضاً عن عثمان بن عمرو عن شعبة به . وقال : اللهم شفّعه فىّ ، ولم يقل الأخرى ، وكأنها غلط من الراوى ، والله أعلم . وهكذا رواه الترمذى والنسائى ، عن محمود بن غيلان ، وابن ماجة ، عن أحمد بن منصور بن سيار — كلاهما عن عثمان بن عمرو . وقال الترمذى : حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن جعفر الخطمى . ثم رواه أحمد أيضاً عن مؤمل بن حماد بن سلمة بن أبى جعفر الخطمى ، عن عمارة بن خزيمة ، عن عثمان بن حنيف ، فذكر الحديث . وهكذا رواه النسائى عن محمد بن معمر ، عن حبان ، عن حماد بن سلمة به . ثم رواه النسائى عن زكريا بن يحيى ، عن محمد بن المثنى ، عن معاذ بن هشام ، عن أبيه ، عن أبى جعفر ، عن أبى أمامة بن سهل ابن حنيف ، عن عمه عثمان بن حنيف . وهذه الرواية تخالف ما تقدم ، ولعله عند أبى جعفر الخطمى من الوجهين ، والله أعلم .

وقد روى البيهقى والحاكم من حديث يعقوب بن سفيان ، عن أحمد بن شبيب ، عن سعيد الحنطبى ، عن أبيه ، عن روح بن القاسم ، عن أبى جعفر المدينى ، عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف ، عن عمه عثمان بن حنيف قال : سمعت رسول الله ﷺ وجاءه رجل ضرير ، فشكا إليه ذهاب بصره ، فقال : يا رسول الله ، ليس لى قائد وقد شقّ علىّ ، فقال رسول الله ﷺ : ائت الميضأة فتوضأ ثم صلّ ركعتين ثم قل : اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة ، يا محمد إنى أتوجّه بك إلى ربى فيتجلى بصرى ، اللهم فشفّعه فىّ وشفّعنى فى نفسى ، قال عثمان : فوالله ما تفرقنا ، ولا طال الحديث بنا حتى دخل الرجل كأنه لم يكن به ضُرّ قط . قال البيهقى : ورواه أيضاً هشام الدستوائى ، عن أبى جعفر ، عن أبى أمامة بن سهل ، عن عمه عثمان بن حنيف .

حديث آخر : قال أبو بكر بن أبى شيبة : ثنا محمد بن بشر ، ثنا عبد العزيز بن عمر ، حدثنى رجل من بنى سلامان بن سعد ، عن أمه ، عن خاله ، أو أن خاله أو خالها حبيب بن مُرَيط حدثها : أن أباه خرج إلى رسول الله ﷺ وعيناه مُبْيَضّتان لا يبصر بهما شيئاً أصلاً ، فسأله : ما أصابك ؟ فقال : كنت أرعى جملا لى فوقعت رجلى على بطن حيّة فأصبت ببصرى . قال: فنفث رسول الله ﷺ فى عينيه فأبصر ، فرأيته وإنه ليُدخل الخيط فى الإبرة وإنه لابن ثمانين سنة ، وإن عينيه لمبيَضّتان . قال البيهقى : كذا فى كتابه ، وغيره يقول : حبيب بن مدرك ، قال: وقد مضى فى هذا المعنى حديث قتادة بن النعمان أنه أصيبت عينه فسالت حدقته ، فردّها

رسول الله ﷺ إلى موضعها ، فكان لا يدرى أيهما أصيبت . قلت : وقد تقدم ذلك فى غزوة أحد ، وقد ذكرنا فى مقتل أبى رافع مسحه بيده الكريمة على رجل عبد الله بن عتيك — وقد انكسر ساقه — فبرأ من ساعته .

وذكر البيهقى بإسناده : أنه ﷺ مسح يد محمد بن حاطب — وقد احترقت يده بالنار — فبرأ من ساعته ، وأنه عليه الصلاة والسلام نفث فى كف شُرَحبيل الجُعْفى فذهبت من كفه سلعة كانت به . قلت : وتقدم فى غزوة خيبر تفله فى عينى علىّ وهو أرمد فبرأ . وروى الترمذى عن علىّ حديثه فى تعليمه عليه الصلاة والسلام ذلك الدعاء لحفظ القرآن لحفظه . وفى الصحيح أنه قال لأبى هريرة وجماعة : من يبسط رداءه اليوم فإنه لا ينسى شيئاً من مقالتى . قال : فبسطته فلم أنس شيئاً من مقالته تلك ، فقيل : كان ذلك حفظاً من أبى هريرة لكل ما سمعه منه فى ذلك اليوم ، وقيل : وفى غيره ، فالله أعلم . ودعا لسعد بن أبى وقاص فبرأ . وروى البيهقى أنه دعا لعمه أبى طالب فى مَرضة مرضها ، وطلب من رسول الله ﷺ أن يدعو له ربه ، فدعا له فبرأ من ساعته . والأحاديث فى هذا كثيرة جداً يطول استقصاؤها . وقد أورد البيهقى من هذا النوع كثيراً طيباً أشرنا إلى أطراف منه ، وتركنا أحاديث ضعيفة الإسناد ، واكتفينا بما أوردنا عما تركنا ، وبالله المستعان .

حديث آخر : ثبت فى الصحيحين من حديث زكريا بن أبى زائدة ، زاد مسلم والمغيرة — كلاهما عن شَرَاحيل الشعبى ، عن جابر بن عبد الله ، أنه كان يسير على جمل قد أعيا ، فأراد أن يُسَيِّبه[١] ، قال : فلحقنى رسول الله ﷺ فضربه ودعا لى ؛ فسار سيراً لم يسر مثله . وفى رواية : فما زال بين يدى الإبل قدامها حتى كنت أحبس خطامه فلا أقدر عليه ، فقال : كيف ترى جملك ؟ فقلت : قد أصابته بركتك يا رسول الله . ثم ذكر أن رسول الله ﷺ اشتراه منه ، واختلاف الرواة فى مقدار ثمنه على روايات كثيرة ، وأنه استثنى حُملانه إلى المدينة ، ثم لما قدم المدينة جاءه بالجمل فنقده ثمنه وزاده ، ثم أطلق له الجمل أيضاً . . . الحديث بطوله .

حديث آخر : روى البيهقى واللفظ له ، وهو فى صحيح البخارى ، من حديث حسن بن محمد المروزى ، عن جرير بن حازم ، عن محمد بن سيرين ، عن أنس بن مالك ، قال : فزع الناس فركب رسول الله ﷺ فرساً لأبى طلحة بطيئاً ثم خرج يركض وحده ، فركب الناس يركضون خلف رسول الله ﷺ ، فقال : لن تُرَاعُوا[٢] إنه لبحر ، قال : فوالله ما سُبق بعد ذلك اليوم .

---

(١) أى : يتركه ولا يركبه . (٢) أى : لا فزع ولا روع فاسكنوا واهدءوا

حديث آخر — قال البيهقي : أنا أبو بكر القاضي ، أنا حامد بن محمد الهروى ، ثنا على بن عبد العزيز ، ثنا محمد بن عبد الله الرقاشي ، ثنا رافع بن سلمة بن زياد ، حدثني عبد الله بن أبي الجعد عن جُعَيل الأشجعي ، قال : غزوت مع رسول الله ﷺ في بعض غزواته وأنا على فرس لي عجفاء ضعيفة ، قال : فكنت في أخريات الناس ، فلحقني رسول الله ﷺ وقال : سِرْ يا صاحب الفرس ، فقلت : يا رسول الله عجفاء ضعيفة ، قال : فرفع رسول الله ﷺ مخفقة[1] معه فضربها بها وقال : اللهم بارك له ، قال : فلقد رأيتني أمسك برأسها أن تقدم الناس ، ولقد بعتُ من بطنها باثني عشر ألفاً ورواه النسائي عن محمد بن رافع عن محمد بن عبد الله الرقاشي فذكره . وهكذا رواه أبو بكر بن أبي خيثمة ، عن عبيد بن يعيش عن زيد بن الحباب ، عن رافع بن سلمة الأشجعي فذكره . وقال البخاري في التاريخ : وقال رافع بن زياد بن الجعد بن أبي الجعد : حدثني أبي عبيد الله بن أبي الجعد أخي سالم عن جعيل ، فذكره .

حديث آخر — قال البيهقي : أنا أبو الحسين بن الفضل القطان ببغداد ، أنا أبو سهل ابن زياد القطان ، ثنا محمد بن شاذان الجوهري ، حدثنا زكريا بن عدى ، ثنا مروان بن معاوية عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إني تزوجت امرأة ، فقال : هلا نظرت إليها فإن في أعين الأنصار شيئاً ؟ قال : قد نظرت إليها ، قال : على كم تزوجتها ؟ فذكر شيئاً . قال : كأنهم ينحتون الذهب والفضة من عرض هذه الجبال ، ما عندنا اليوم شيء نعطيكه ، ولكن سأبعثك في وجه تصيب فيه ، فبعث بعثاً إلى بني عبس وبعث الرجل فيهم ، فأتاه فقال : يا رسول الله أعيتني ناقتي أن تنبعث ، قال : فناوله رسول الله ﷺ يده كالمعتمد عليه للقيام ، فأتاها فضربها برجله قال أبو هريرة : والذي نفسي بيده ، لقد رأيتها تسبق به القائد . رواه مسلم في الصحيح عن يحيى بن معين عن مروان .

حديث آخر - قال البيهقي : أنا أبو زكريا بن أبي إسحق المزني ، أنا أبو عبد الله محمد ابن يعقوب ، ثنا أبو أحمد محمد بن عبد الوهاب ، أنا أبو جعفر بن عون ، أنا الأعمش عن مجاهد ، أن رجلا اشترى بعيراً فأتى رسول الله ﷺ فقال : إني اشتريت بعيراً فادعُ الله أن يبارك لي فيه ، فقال : اللهم بارك له فيه ، فلم يلبث إلا يسيرا أن نفق[2] . ثم اشترى بعيرا آخر ، فأتى به رسول الله ﷺ فقال : إني اشتريت بعيرا فادعُ الله أن يبارك لي فيه ، فقال : اللهم بارك له فيه ، فلم يلبث حتى نفق . ثم اشترى بعيرا آخر فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله قد اشتريت بعيرين ، فدعوت الله أن يبارك لي فيهما ، فادع الله أن يحملني عليه ، فقال : اللهم احمله

(١) المخفقة : الدرة : أو سوط من خشب (٢) أي : مات

عليه ، فمكث عنده عشرين سنة . قال البيهقى : وهذا مرسل ، ودعاؤه عليه السلام صار إلى أمر الآخرة فى المرتين الأوليين

حديث آخر — قال الحافظ البيهقى : أنا أبو عبد الرحمن السلمى ، أنا إسماعيل بن عبد الله الميكالى ، ثنا على بن سعد العسكرى ، أنا أبو أمية عبد الله بن محمد بن خلاد الواسطى ، ثنا يزيد ابن هرون ، أنا المستلم بن سعيد ، ثنا حبيب بن عبد الرحمن بن حبيب بن إساف ، عن أبيه عن جده حبيب بن إساف قال : أتيت رسول الله ﷺ ، أنا ورجل من قومى فى بعض مغازيه فقلنا : إنا نشتهى أن نشهد معك مشهداً ، قال : أأسلمتم ؟ قلنا : لا ، قال : فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين ، قال : فأسلمنا ، وشهدت مع رسول الله ﷺ فأصابتنى ضربة على عاتقى فجافتنى[1] ، فتعلقت يدى ، فأتيت رسول الله ﷺ فتفل فيها وألزقها فالتأمت وبرأت ، وقتلت الذى ضربنى ، ثم تزوجت ابنة الذى قتلته وضربنى ، فكانت تقول : لا عدمت رجلا وشحك هذا الوشاح ، فأقول : لا عدمت رجلا أعجل أباك إلى النار . وقد روى الإمام أحمد هذا الحديث عن يزيد بن هارون باسناده مثله ، ولم يذكر فتفل فيها فبرأت .

حديث آخر — ثبت فى الصحيحين من حديث أبى النضر ـ هاشم بن القاسم ، عن ورقاء ابن عمر السكرى عن عبد الله بن يزيد عن ابن عباس قال : أتى رسول الله ﷺ الخلاء فوضعت له وَضوءاً ، فلما خرج قال : مَن صنع هذا ؟ قالوا : ابن عباس ، قال : اللهم فقِّه فى الدين . وروى البيهقى عن الحاكم وغيره ، عن الأصم عن عباس الدورق ، عن الحسن بن موسى الأسيب ، عن زهير عن عبد الله بن عثمان بن خيثم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ وضع يده على كتفى ـ أو قال : منكبى ، شك سعيد ـ ثم قال : اللهم فقهه فى الدين وَعلِّمه التأويل . وقد استجاب الله لرسوله ﷺ هذه الدعوة فى ابن عمه .فكان إماماً يُهتدى بهداه ويقتدى بسناه فى علوم الشريعة ، ولا سيما فى علم التأويل ـ وهو التفسير ، فإنه انتهت إليه علوم الصحابة قبله ، وما كان عقله من كلام ابن عمه رسول الله ﷺ .

وقد قال الأعمش عن أبى الضحى عن مسروق قال : قال عبد الله بن مسعود : لو أن ابن عباس أدرك أسناننا ما عاشره أحدٌ منا ، وكان يقول لهم : نِعم تُرجُمان[2] القرآن ابن عباس . هذا وقد تأخرت وفاة ابن عباس عن وفاة عبد الله بن مسعود ببضع وثلاثين سنة ، فما ظنك بما حصله بعده فى هذه المدة ؟ . وقد روينا عن بعض أصحابه أنه قال : خطب الناس ابنُ عباس فى عَشية عرفة ، ففسر لهم سورة البقرة ، أو قال : سورة ، ففسرها تفسيراً لو سمعه الروم والترك والديلم لأسلموا ، رضى الله عنه وأرضاه .

---

(١) أى : بلغت جوفى (٢) الترجمان ـ كزعفران ـ المفسر للسان ، والذى يترجم الكلام وينقله من لغة إلى أخرى ، وضم الجيم لغة ، وضم التاء والجيم معا لغة كذلك

حديث آخر — ثبت فى الصحيح أنه عليه السلام دعا لأنس بن مالك بكثرة المال والولد ، فكان كذلك ، حتى رَوى الترمذى عن محمود بن غيلان عن أبى داود الطيالسى ، عن أبى خلدة قال : قلت لأبى العالية : سمع أنس من النبى ﷺ ؟ فقال : خدمه عشر سنين ودَعا له ، وكان له بُستان يحمل فى السنة الفاكهةَ مرتين ، وكان فيه رَيحان يجيء منه ريح المسك . وقد روينا فى الصحيح : أنه ولد له لصلبه قريب من مائة أو ما يَنيف عليها ، وفى رواية : أنه ﷺ قال : اللهم أطل عُمره ، فعمرّ مائة ، وقد دعا ﷺ لأم سليم ولأبى طلحة فى غابر ليلتهما ، فولدت له غلاماً سماه رسول الله ﷺ عبد الله ، فجاء من صُلبه تسعة ، كلهم قد حفظ القرآن . ثبت ذلك فى الصحيح . وثبت فى صحيح مسلم من حديث عكرمة بن عمار ، عن أبى كثير العَنبرى عن أبى هريرة ، أنه سأل رسول الله ﷺ أن يدعوَ لأمه فيهديَها الله ، فدعا لها ، فذهب أبو هريرة فوجد أمه تغتسل خلف الباب ، فلما فَرغت قالت : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، فجعل أبو هريرة يبكى من الفرح ، ثم ذهب فأعلم بذلك رسول الله ، وسأل منه أن يدعو لهما أن يُحبّبهما الله إلى عباده المؤمنين ، فدعا لهما ، فحصل ذلك . قال أبو هريرة : فليس مؤمن ولا مؤمنة إلا وهو يُحبنا ، وقد صَدق أبو هريرة فى ذلك رضى الله عنه وأرضاه .

ومن تمام هذه الدعوة : أن الله شهر ذكره فى أيام الجمع ، حيث يذكره الناس بين يدى خطبة الجمعة ، وهذ من التقييض[1] القدرى والتقدير المعنوى وثبت فى الصحيح أنه عليه السلام ، دعا لسعد بن أبى وقاص وهو مريض فعوفى ، ودعا له أن يكون مُجاب الدعوة ، فقال : اللهم أجب دَعوته ، وسدد رَميته ، فكان كذلك ، فنعم أمير السرايا والجيوش كان . وقد دعا على أبى سَعدة ـ أسامة بن قتادة ، حين شهد فيه بالزّور ـ بطول العمر وكثرة الفقر والتعرض للفتن ، فكان إذا سئل ذلك الرجل يقول : شيخ كبير مفتون[2] أصابتنى دَعوة سعد . وثبت فى صحيح البخارى وغيره ، أنه ﷺ دعا للسائب بن يزيد ومسح بيده على رأسه فطال عمره ، حتى بلغ أربعا وتسعين سنة وهو تام القامة معتدل ، ولم يشب منه موضع أصابت يد رسول الله ﷺ ومُتّع بحواسه وقواه

وقال أحمد : ثنا جرير بن عمير . ثنا عروة بن ثابت ، ثنا علىّ بن أحمد ، حدثنى أبو زيد الأنصارى قال : قال لى رسول الله ﷺ : ادن منى ، فمسح بيده على رأسى ثم قال : اللهم جمّله وأدم جماله ، قال : فبلغ بضعا ومائة — يعنى سنة — وما فى لحيته بياض إلا نبذة يسيرة ، ولقد كان مُنبَسط الوجه لم ينقبض وجهه حتى مات . قال السهيلى : إسناد صحيح موصول . ولقد أورد البيهقى لهذا نظائر كثيرة فى هذا المعنى ، تشفى القلوب ، وتحصل المطلوب . وقد قال الإمام أحمد :

(١) أى التقدير والتهيىء ، يقال : قيض الله لفلان كذا ـ أى هيأه وسببه له من حيث لا يحتسب

(٢) أى أصابته الفتنة وهى المحنة فذهب ماله أو عقله

حدثنا عارم ، ثنا معتمر ، وقال يحيى بن معين : ثنا عبد الأعلى ، ثنا معتمر ـ هو ابن سليمان ـ قال: سمعت أبى يحدث عن أبى العلاء قال : كنت عند قتادة بن ملحان فى موضعه الذى مات فيه، قال : فمر رجل فى مؤخر الدار ، قال : فرأيته فى وجه قتادة ، وقال : كان رسول الله ﷺ قد مسح وجهه ، قال : وكنت قبلُ ما رأيته ـ إلا ورأيت كأن على وجهه الدهان .

وثبت فى الصحيحين: أنه عليه السلام دعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة، حين رأى عليه ذلك الدرع من الزعفران لأجل العرس ، فاستجاب الله لرسوله ﷺ ففتح له فى المتجر والمغانم حتى حصل له مال جزيل ، بحيث إنه لما مات صُولحت امرأة من نسائه الأربع عن ربع الثمن على ثمانين ألفا . وثبت فى الحديث عن طريق شبيب بن غرقد ، أنه سمع الحى يخبرون عن عروة بن أبى الجعد المازنى ، أن رسول الله ﷺ أعطاه ديناراً ليشترى له به شاة ، فاشترى به شاتين وباع إحداهما بدينار ، وأتاه بشاة ودينار ، فقال له : بارك الله لك فى صفقة يمينك ، وفى رواية : فدعا له بالبركة فى البيع ، فكان لو اشترى التراب لربح فيه .

وقال البخارى : ثنا عبد الله بن يوسف ، أنا ابن وهب ، ثنا سعيد بن أبى أيوب ، عن أبى عقيل ، أنه كان يخرج به جده عبد الله بن هشام إلى السوق ، فيشترى الطعام ، فيلقاه ابن الزبير وابن عمر فيقولان : أشركنا فى بيعك ؛ فإن رسول الله ﷺ قد دعا لك بالبركة فيشركهم ، فربما أصاب الراحلة كما هى فيبعث بها إلى المنزل . وقال البيهقى : أنا أبو سعيد الماليني ، أنا ابن عدى ، ثنا على بن محمد بن سليمان الحليمى ، ثنا محمد بن يزيد المستملى ، ثنا سبابة بن عبد الله ، ثنا أيوب بن سيار عن محمد بن المنكدر ، عن جابر عن أبى بكر عن بلال قال : أذنت فى غداة باردة ، فخرج النبى ﷺ فلم يرَ فى المسجد واحداً ، فقال : أين الناس ؟ فقلت : منعهم البرد ، فقال : اللهم أذهب عنهم البرد ، فرأيتهم يتروحون . ثم قال البيهقى : تفرد به أيوب بن سيار ، ونظيره قد مضى فى الحديث المشهور عن حذيفة فى قصة الخندق .

حديث آخر — قال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أنا عبد العزيز بن عبد الله ، عن محمد بن عبد الله الأصبهانى — إملاء — أنا أبو إسماعيل الترمذى ، عن محمد بن إسماعيل ، ثنا عبد العزيز بن عبد الله الأويسى ، ثنا على بن أبى على اللهبى ، عن أبى ذئب عن نافع عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ خرج وعمر بن الخطاب معه ، فعرضت امرأة ، فقالت : يارسول الله ، إنى امرأة مُحرِمة ، ومعى زوج لى فى بيتى مثل المرأة ، فقال لها رسول الله ﷺ : ادعى لى زوجك فدعته وكان خرّازاً[1] فقال له : ما تقول فى امرأتك ياعبد الله ؟ فقال الرجل : والذى أكرمك

(١) الخراز : الذى يخرز النعال ونحوها

ما جَفّ رأسى منها ، فقالت امرأته : جاء مرة واحدة فى الشهر ، فقال لها رسول الله ﷺ : أتبغضينه ؟ قالت : نعم ، فقال رسول الله ﷺ : أدْنِيا رُءُوسكما ، فوضع جبهتها على جبهة زوجها ثم قال : اللهم أَلِّف بينهما وَحَبِّب أحدهما إلى صاحبه . ثم مَرّ رسول الله ﷺ بسوق النَّمط[1] ومعه عمر بن الخطاب ، فطلعت المرأة تحمل أدماً على رأسها ، فلما رأت رسول الله ﷺ طرحته وأقبلت فَقَبَّلت رجليه ، فقال : كيف أنت وزوجك ؟ فقالت : والذى أكرمك ما طارفٌ ولا تالِدٌ أحَبّ إلىّ منه ، فقال رسول الله ﷺ : أشهد أنى رسول الله ، فقال عمر : وأنا أشهد أنك رسول الله . قال أبو عبد الله : تفرد به على بن علىّ اللهبى ، وهو كثير الرواية للمناكير . قال البيهقى : وقد روى يوسف بن محمد بن المنكدر ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله - يعنى هذه القصة - إلا أنه لم يذكر عمر بن الخطاب .

حديث آخر : قال أبو القاسم البغوى : ثنا كامل بن طلحة ، ثنا حماد بن سلمة ، ثنا على بن زيد بن جدعان ، عن أبى الطفيل ، أنّ رجلا وُلِدَ له غلام ، فأتى به رسول الله ﷺ ، فدعا له بالبركة ، وأخذ بجبهته فنبتت شعرة فى جبهته كأنها هُلْبة فرس[2] ، فشب الغلام . فلما كان زمن الخوارج أجابهم فسقطت الشعرة عن جبهته ، فأخذه أبوه فحَبَسه وقَيَّده مخافة أن يلحق بهم . قال : فدخلنا عليه فوعظناه وقلنا له : ألم تر إلى بركة رسول الله ﷺ وقعت ؟ فلم نَزَلْ به حتى رجَع عن رأيهم ، قال : فردّ الله تلك الشعرة إلى جبهته إذ تاب وقد رواه الحافظ أبو بكر البيهقى ، عن الحاكم وغيره ، عن الأصم ، عن أبى أسامة الكلبى ، عن سريج بن مسلم ، عن أبى يحيى - إسماعيل بن إبراهيم التيمى : حدثنى سيف بن وهب ، عن أبى الطفيل ، أنّ رجلا من بنى ليث يقال له : فراس بن عمرو ، أصابه صُداع شديد ، فذهب به أبوه إلى رسول الله ﷺ ، فأجلسه بين يديه ، وأخذ بجلْدَة بين عينيه ، فجَذَبها حتى تَبَعّصَت[3] ، فنبتت فى موضع أصابع رسول الله ﷺ شعرة ، وذهب عنه الصُّداع فلم يصدع ، وذكر بقية القصة فى الشعرة كنحو ما تقدم .

حديث آخر : قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا هاشم بن القاسم الحرانى ، ثنا يعلى بن الأشدق ، سمعت عبد الله بن حراد العقيلى ، حدثنى النابغة - يعنى الجعدى - قال : أتيت رسول الله ﷺ فأنشدته من قولى :

بلغنا السماء عِفّة وتكرماً   وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

---

(١) النمط : ضرب من البسط . (٢) الهلب : ما غلظ من الشعر ، أو شعر الذنب .
(٣) أى اضطربت وتلوت .

قال : أين المظهر يا أبا ليلى ؟ قال : قلت : أى الجنة ، قال : أجل إن شاء الله ، قال : أنشدنى ، فأنشدته من قولى :

ولا خيرَ فى حِلْمٍ إذا لم تكن له ... بوادر تحمى صَفْوَه أن يُكدّرا
ولا خيرَ فى جَهل إذا لم يكن له ... حليم إذا ما أورد الأمرَ أصْدرا

قال : أحسنت ، لا يَفْضُض الله فاك هكذا رواه البزار إسناداً ومتناً .

وقد رواه الحافظ البيهقى من طريق أخرى فقال : أخبرنا أبو عثمان سعيد بن محمد بن محمد بن عبدان ، أنا أبو بكر بن محمد بن المؤمل ، ثنا جعفر بن محمد بن سوار ، ثنا إسماعيل بن عبد الله ابن خالد السكرى الرَّقى ، حدثنى يعلى بن الأشدق قال : سمعت النابغة ـ نابغة بنى جعدة ـ يقول : أنشدت رسول الله ﷺ هذا الشعر ، فأعجبه :

بلغنا السماء مجـــدنا وتُراثُنا ... وإنا لنَرْجُو فوق ذلك مظهرا

فقال : أين المظهر يا أبا ليلى ؟ قلت الجنة قال : كذلك إن شاء الله :

ولا خيرَ فى حِلْمٍ إذا لم تكن له ... بوادر تحمى صَفْوَه أن يُكدّرا
ولا خيرَ فى جَهل إذا لم يكن له ... حليم إذا ما أورد الأمرَ أصْدرا

فقال النبى ﷺ : أجَدْت لا يَفْضُض الله فاك . قال يعلى : فلقد رأيته ولقد أتى عليه نيف ومائة سنة وما ذهب له سِنّ . قال البيهقى : وروى عن مجاهد بن سليم ، عن عبد الله بن حراد سمعت نابغة بنى جعدة يقول : سمعنى رسول الله ﷺ وأنا أنشد من قولى :

بلغنــا السماء عِفّــة وتكرماً ... وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

ثم ذكر الباقى بمعناه ، قال : فلقد رأيت سنه كأنها البَرَد والمَنهل ، ما سقط له سِنّ ولا انفلت .

حديث آخر : قال الحافظ البيهقى : أنا أبو بكر القاضى وأبو سعيد بن يوسف ـ أبى عمرو ـ قالا : ثنا الأصم ، ثنا عباس الدورى ، ثنا على بن بحر القطان ، ثنا هاشم بن يوسف ، ثنا معمر ، ثنا ثابت وسليمان التيمى ، عن أنس ، أنّ رسول الله ﷺ نظر قِبَل العراق والشام واليمن ـ لا أدرى بأيتهن بدأ ـ ثم قال : اللهم أقبل بقلوبهم إلى طاعتك ، وحُطّ من أوزارهم . ثم رواه عن الحاكم ، عن الأصم ، عن محمد بن إسحاق الصنعانى ، عن على بن بحر بن سرى ، فذكره بمعناه . وقال أبو داود الطيالسى : ثنا عمران القطان ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن زيد بن ثابت قال : نظر رسول الله ﷺ قِبَل اليمن فقال : اللهم أقبل بقلوبهم ، ثم نظر قِبَل الشام فقال : اللهم أقبل بقلوبهم ، ثم نظر قِبَل العراق فقال : اللهم أقبل بقلوبهم ، وبارك لنا فى صاعِنا ومُدِّنا . وهكذا وقع الأمر ، أسلم أهل اليمن قبل أهل الشام ، ثم كان

الخير والبركة قبل العراق ، ووعد أهل الشام بالدوام على الهداية والقيام بنصرة الدين إلى آخر الأمر . وروى أحمد فى مسنده : لاتقوم الساعة حتى يتحوّل خيار أهل العراق إلى الشام، ويتحول شرار أهل الشام إلى العراق .

فصــل

وروى مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة عن زيد بن الحباب عن عكرمة بن عمار : حدثنى إياس ابن سلمة بن الأكوع ، أنّ أباه حدثه ، أنّ رجلا أكل عند رسول الله ﷺ بشماله ، فقال له : كُل بيمينك ، قال : لا أستطيع، قال: لا استطعتَ، ما يمنعه إلا الكِبْر،قال: فما رفعها إلى فيه. وقد رواه أبو داود الطيالسى عن عكرمة عن إياس عن أبيه قال : أبصر رسول الله ﷺ بِشر بن راعى العير وهو يأكل بشماله، فقال: كُل بيمينك قال : لا أستطيع ، قال : لا استطعت ، قال : فما وصلت يده إلى فيه بعد . وثبت فى صحيح مسلم من حديث شعبة عن أبى حمزة عن ابن عباس قال : كنت ألعب مع الغلمان ، فجاء رسول الله ﷺ فاختبأتُ منه ، فجاءنى فحطانى حَظوة[1] أو حَظوتين وأرسلنى إلى معاوية فى حاجة ، فأتيته وهو يأكل ، فقلت : أتيته وهو يأكل ، فأرسلنى الثانية فأتيته وهو يأكل ، فقلت : أتيته وهو يأكل ، فقال : لاأشبع الله بطنه . وقد روى البيهقى عن الحاكم عن على بن حماد عن هشام بن على عن موسى بن إسماعيل :حدثنى أبو عوانة عن أبى حمزة : سمعت ابن عباس قال : كنت ألعب مع الغلمان فإذا رسول الله قد جاء فقلت : ما جاء إلا إلىّ ، فذهبت فاختبأت على باب ، فجاء فحطانى حطوة وقال : اذهب فادع لى معاوية — وكان يكتب الوحى - قال : فذهبت فدعوته له فقيل : إنه يأكل ، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : إنه يأكل ، فقال : اذهب فادعه لى ، فأتيته الثانية ، فقيل إنه يأكل ، فأتيت رسول الله فأخبرته فقال فى الثانية : لا أشبع الله بطنه ، قال : فما شبع بعدها .

قلت : وقد كان معاوية رضى الله عنه لا يشبع بعدها ، ووافقته هذه الدعوة فى أيام إمارته ، فيقال : إنه كان يأكل فى اليوم سبع مرات طعاماً بلحم ، وكان يقول : والله لا أشبع وإنما أعيى. وقدمنا فى غزوة تبوك، أنه مرّ بين أيديهم -وهم يصلون- غلام،فدعا عليه فأقعد فلم يقم بعدها. وجاء من طرق أوردها البيهقى : أن رجلا حاكى النبى ﷺ فى كلام واختلج بوجهه ، فقال رسول الله ﷺ : كن كذلك ، فلم يزل يختلج ويرتعش مُدّة عمره حتى مات . وقد ورد فى

(١) الحظوة بضم الحاء وفتحها : سهم صغير يلعب به الصبيان ، والقضيب النابت فى أصل الشجرة لم يشتد بعد ، وفى نسخة : فحطانى حطأة أو حطأتين .

بعض الروايات أنه الحكم بن أبى العاص ، أبو مروان بن الحكم ، فالله أعلم .

وقال مالك: عن يزيد بن أسلم عن جابر بن عبد الله قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة بنى أنمار ، فذكر الحديث فى الرجل الذى عليه ثوبان قد خَلِقَا ، وله ثوبان فى العَيبة ، فأمره رسول الله ﷺ فلبسهما ثم ولّى ، فقال رسول الله : ماله ؟ ضرب الله عنقه ، فقال الرجل : فى سبيل الله ، فقال رسول الله ﷺ : فى سبيل الله ، فقتل الرجل فى سبيل الله . وقد ورد من هذا النوع كثير . وقد ثبت فى الأحاديث الصحيحة بطرق متعددة عن جماعة من الصحابة تفيد القطع كما سنوردها قريباً فى باب فضائله ﷺ أنه قال : اللهم من سَبَبْته أو جَلَدته أو لعنته وليس لذلك أهلا ـ فاجعل ذلك قُرْبة له تقرّبه بها عندك يوم القيامة وقد قدمنا فى أول البعثة حديث ابن مسعود فى دعائه ﷺ على أولئك النفر السبعة ، والذين أحدهم أبو جهل بن هشام وأصحابه ، حين طرحوا على ظهره عليه السلام سَلا الجَزُور ، وألقته عنه ابنته فاطمة ، فلما انصرف قال : اللهم عليك بقريش ، اللهم عليك بأبى جهل بن هشام ، وشيبة بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، ثم سمّى بقية السبعة . قال ابن مسعود : فوالذى بعثه بالحق ، لقد رأيتهم صَرْعى فى القَليب قَليب بدر الحديث ، وهو متفق عليه .

حديث آخر — قال الإمام أحمد : حدثنى هشام ، ثنا سليمان — يعنى ابن المغيرة — عن ثابت عن أنس بن مالك قال : كان منا رجل من بنى النجار قد قرأ البقرة وآل عمران ، وكان يكتب لرسول الله ﷺ ، فانطلق هارباً حتى لَحق بأهل الكتاب ، قال : فرفعوه وقالوا : هذا كان يكتب لمحمد ، وأعجبوا به ، فما لبث أن قصم الله عُنقه فيهم ، فحفروا له فواروه ، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها ، ثم عادوا فحفروا له وواروه ، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها ، فتركوه منبوذاً . ورواه مسلم عن محمد بن راضى عن أبى النضر ـ هاشم بن القاسم به .

طريق أخرى عن أنس — قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هرون : ثنا حميد عن أنس ، أن رجلا كان يكتب للنبى ﷺ وكان قد قرأ البقرة وآل عمران ، وكان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران عَزّ فينا — يعنى عظم — فكان رسول الله ﷺ يملى عليه : غفوراً رحيما ، فيكتب : عليما حكيما ، فيقول له النبى ﷺ : اكتب كذا وكذا فيقول : أكتب كيف شئت . ويملى عليه : عليما حكيما ، فيكتب : سميعا بصيراً ، فيقول : أكتب كيف شئت ، قال : فارتد ذلك الرجل عن الإسلام فلحق بالمشركين ، وقال : أنا أعلمكم بمحمد ، وإنى كنت لا أكتب إلا ما شئت ، فمات ذلك الرجل ، فقال النبى ﷺ : إن الأرض لا تقبله

قال أنس : فحدثنى أبو طلحة أنه أتى الأرض التى مات فيها ذلك الرجل فوجده منبوذا ، فقال أبو طلحة : ما شأن هذا الرجل ؟ قالوا : قد دفناه مراراً فلم تقبله الأرض . وهذا على شرط الشيخين ولم يخرجوه .

طريق أخرى عن أنس — وقال البخارى : ثنا أبو معمر ، ثنا عبد الرزاق ، ثنا عبد العزيز عن أنس بن مالك قال : كان رجل نصرانى فأسلم ، وقرأ البقرة وآل عمران ، وكان يكتب للنبى ﷺ فعاد نصرانياً ، وكان يقول : لا يدرى محمد إلا ما كتبت له ، فأماته الله فدفنوه ، فأصبح وقد لفظته الأرض ، فقالوا : هذا فعل محمد وأصحابه ـ لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه ـ فحفروا له فأعمقوا له فى الأرض ما استطاعوا ، فأصبحوا وقد لفظته الأرض ، فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه .

باب المسائل التى سئل عنها رسول الله ﷺ فأجاب عنها بما يطابق الحق الموافق لما تشهد به الكتب المتقدمة الموروثة عن الأنبياء قبله

قد ذكرنا فى أول البعثة ما تعنتت به قريش ، وبعثت إلى يهود المدينة يسألونهم عن أشياء يسألون عنها رسول الله ﷺ ، فقالوا : سَلُوه عن الرُّوح ، وعن أقوام ذهبوا فى الدَّهر فلا يُدْرى ما صنعوا ، وعن رَجل طَوَّاف فى الأرض بلغ المشارق والمغارب . فلما رجعوا سألوا عن ذلك رسول الله ﷺ ، فأنزل الله عز وجل قوله تعالى : (وَيسْأَلُونَكَ عن الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلا)[1] وأنزل سورة الكهف يشرح فيها خبر الفتية الذين فارقوا دين قومهم وآمنوا بالله العزيز الحميد ، وأفردوه بالعبادة ، واعتزلوا قومهم ، ونزلوا غاراً ـ وهو الكهف ، فناموا فيه ، ثم أيقظهم الله بعد ثلثمائة سنة وتسع سنين ، وكان من أمرهم ما قص الله علينا فى كتابه العزيز . ثم قص خبر الرجلين المؤمن والكافر ، وما كان من أمرهما . ثم ذكر خبر موسى والخضر وما جرى لهما من الحكم والمواعظ ، ثم قال : (وَيَسْأَلونَكَ عَنْ ذِى القَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيكُمْ مِنْهُ ذِكْراً)[2] ، ثم ذكر وشرح ، ثم خبره وما وصل إليه من المشارق والمغارب ، وما عمل من المصالح فى العالم . وهذا الإخبار هو الواقع فى الواقع ، وإنما يوافقه من الكتب التى بأيدى أهل الكتاب ـ ما كان منها حقاً ، وأمّا ما كان محرّفاً مُبدّلا فذاك مردود ، فإن الله بعث محمداً بالحق وأنزل عليه الكتاب ليبين للناس ما اختلفوا فيه من الأخبار والأحكام ، قال الله تعالى

(١) الآية : ٨٥ من سورة الإسراء . (٢) الآية : ٨٣ من سورة الكهف

بعد ذكر التوراة والانجيل : (وأنزلنا إليكَ الكتابَ بالحقِّ مُصدِّقاً لِما بين يديه مِن الكتابِ ومُهيْمِناً عليه)(١) .

وذكرنا فى أول الهجرة قصة إسلام عبد الله بن سلام ، وأنه قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس(٢) إليه فكنت فيمن انجفل ، فلما رأيت وجهه قلت : إن وجهه ليس بوجه كذاب ، فكان أول ما سمعته يقول : « أيها الناس ، افشوا السلام ، وصلوا الأرحام ، وأطعموا الطعام ، وصلّوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » . وثبت فى صحيح البخارى وغيره من حديث إسماعيل بن عطية وغيره عن حميد ، عن أنس ، قصة سؤاله رسول الله ﷺ : ثلاث لا يعلمهن إلا نبىّ : ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ وما ينزع الولد إلى أبيه وإلى أمه ؟ فقال رسول الله ﷺ : أخبرنى بهنّ جبريل آنفاً ، ثم قال : أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المَشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كَبِد الحوت ، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة ـ نزع الولد إلى أبيه ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد إلى أمه . وقد رواه البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن أبى معشر عن سعيد المقبرى ، فذكر مساءلة عبد الله بن سلام . إلا أنه قال : فسأله عن السواد الذى فى القمر ـ بدل أشراط الساعة ، فذكر الحديث إلى أن قال : وأما السواد الذى فى القمر ـ فإنهما كانا شمسين فقال الله عز وجل : (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ والنهارَ آيتينِ فَمَحَوْنا آيةَ اللَّيلِ)(٣) فالسواد الذى رأيت هو المحو ، فقال عبد الله بن سلام : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

حديث آخر فى معناه ـ قال الحافظ البيهقى : أنا أبو زكريا يحيى بن إبراهيم المزكى ، أنا أبو الحسن ـ أحمد بن محمد بن عبدوس ـ ثنا عثمان بن سعيد ، أنا الربيع بن نافع ، أبو توبة ، ثنا معاوية بن سلام عن زيد ابن سلام ، أنه سمع أبا سلام يقول : أخبرنى أبو أسماء الرحبى ، أن ثوبان حدثه قال : كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاءه حَبْر من أحبار اليهود ، فقال : السلام عليك يا محمد ، فدفعته دَفعة كاد يُصرَع منها ، قال : لم تدفعنى ؟ قال : قلت : ألا تقول : يا رسول الله ؟ قال : إنما سميته باسمه الذى سماه به أهله ، فقال رسول الله ﷺ : إن اسمى الذى سمانى به أهلى محمد ، فقال اليهودى : جئت أسألك ، فقال رسول الله ﷺ : ينفعك شىء إن حدثتك ؟ قال : أسمع بأذنى ، فنكت بعود معه ، فقال له : سل ، فقال له اليهودى :

(١) من الآية : ٤٨ من سورة المائدة (٢) أى : ذهبوا إليه مسرعين

(٣) الآية : ١٢ من سورة الإسراء

أين الناس يوم تُبَدّل الأرضُ غير الأرض والسموات ؟ فقال رسول الله ﷺ : فى الظلمة دون الجِسْر(١). قال : فمن أول الناس إجازة ؟ فقال : فقراء المهاجرين قال اليهودى : فما تُحفتهم(٢) حين يدخلون الجنة ؟ قال : زيادة كبد الحوت قال : وما غذاؤهم على إثره ؟ قال : ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها . قال : فما شرابهم عليه ؟ قال : من عين فيها تسمى سَلْسَبيلا . قال : صدقت . قال : وجئت أسألك عن شىء لا يعلمه أحد من الأرض إلا نبىّ أو رجل أو رجلان . قال : ينفعك إن حدثتك ؟ قال : أسمع بأذنى . قال : جئت أسألك عن الولد . قال : ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا فعلا منىُّ الرجل منىّ المرأة كان ذكرا بإذن الله ، وإذا علا منىُّ المرأة منىّ الرجل كان أنثى بإذن الله. فقال اليهودى: صدقت وإنك لنبى ، ثم انصرف . فقال النبى ﷺ : إنه سألنى عنه وما أعلم شيئاً منه حتى أتانى الله به . وهكذا رواه مسلم عن الحسن بن على الحلوانى ، عن أبى توبة - الربيع بن نافع به . وهذا الرجل يحتمل أن يكون هو عبد الله بن سلام ، ويحتمل أن يكون غيره ، والله أعلم .

حديث آخر : قال أبو داود الطيالسى : حدثنا عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر بن حَوشب ، حدثنى ابن عباس قال : حضرت عصابة من اليهود يوماً عند رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله حدّثنا عن خلال نسألك عنها لا يَعْلَمُها إلا نبىّ . قال : سَلونى عما شئتم ، ولكن اجعلوا لى ذِمّة الله وما أخذ يعقوبُ على بنيه ، إنْ أنا حدّثتكم بشىء تعرفونه صِدْقاً - لتتابعُنّى على الإسلام . قالوا : لك ذلك . قال : سلوا عما شئتم . قالوا : أخبرنا عن أربع خلال ثم نسألك . أخبرنا عن الطعام الذى حرّم إسرائيلُ على نفسه من قبل أن تُنَزّل التوراة ، وأخبرنا عن ماء الرجل : كيف يكون الذّكر منه حتى يكون ذكراً ، وكيف تكون الأنثى حتى تكون الأنثى ؟ وأخبرنا عن هذا النبىّ فى النوم ، ومن وَلِيّك من الملائكة ؟ قال : فعليكم عَهْدَ الله لئن أنا حدّثتكم لتتابعُنّى ، فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق . قال : أنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى : هل تعلمون أنّ إسرائيل - يعقوب - مرض مرضاً شديداً طال سَقمه فيه ، فنذر لله نذراً لئن شفاه الله من سَقمه ليُحَرّمَن أحب الشراب إليه وأحب الطعام إليه ؟ وكان أحبُّ الشراب إليه ألبانَ الإبل ، وأحبُّ الطعام إليه لُحْمان الإبل ؟ قالوا : اللهم نعم . فقال رسول الله ﷺ : اللهم اشهد عليهم قال : فأنشدكم الله الذى لا إلهَ إلا هو ، الذى أنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض ، وأن ماء المرأة رقيق أصفر ؟ فأيهما عَلاَ كان له الولد والشّبه

---

(١) قيل : هو الصراط . (٢) التحفة : ما أتحفت به الإنسان من البر واللطف . والطرفة من الفاكهة وغيرها من الرياحين

بإذن الله ، وإن عــلا ماء الرجل ماء المرأة كان ذكراً بإذن الله ، وإن علا ماء المرأة ماء الرجل كان أنثى بإذن الله ؟ قالوا : اللهم نعم ، قال رسول الله : اللهم اشهد عليهم . قال : وأنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو ، الذى أنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون أن هــذا النبى تنام عيناه ولا ينام قلبه ؟ قالوا : اللهم نعم ، قال : اللهم اشهد عليهم . قالوا : أنت الآن حدثنا عن وليــك من الملائكة ، فعندها نجامعك أو نفارقك ، قال : ولِيّى جبريل عليه السلام ، ولم يَبعث الله نبياً قط إلا وهو وليّه ، فقالوا : فعندها نفارقك ، لو كان وليّك غيرَه من الملائكة لبايعناك وصدقناك . قال : فما يمنعكم أن تصدقوه ؟ قالوا : إنه عدونا من الملائكة ، فأنزل الله عز وجل (قُلْ مَنْ كانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فإنه نَزّله عَلى قَلْبِكَ بِإِذنِ الله)[1] الآية ، ونزلت : (فَبَاءُوا بِغَضَبٍ على غَضَب)[2] الآية .

حديث آخر : قال الإمام أحمد ، ثنا يزيد ، ثنا شعبة عن عمرو بن مرة ، سمعت عبد الله ابن سَلِمة يحدث عن صفوان بن عسال المرادى ، قال : قال يهودى لصاحبه : اذهب بنا إلى هــذا النبى حتى نسأله عن هــذه الآية ، (وَلَقَدْ آتينا مُوسَى تِسْعَ آياتٍ بَيِّنات)[3] فقال : لا تقل له شيئاً ، فإنه لو سمعك لصارت له أربع أعين ، فسألاه : فقال النبى ﷺ لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ولا تزنوا ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ولا تسحروا ، ولا تأكلوا الربا ، ولا تمشوا ببرىء إلى ذى سلطان ليقتله ، ولا تقذفوا محصنة ، أو قال : لا تفروا من الزحف ـ شعبة الشاك ـ وأنتم يا معشر يهود ، عليكم خاصةً أن لا تعدُوا فى السبت ، قال : فقبّلا يديه ورجليه وقالا : نشهد أنك نبىّ ، قال : فما يمنعكما أن تتّبعانى ؟ قالا : إن داود عليه السلام دعا أن لا يزال من ذُرّيته نَبىّ ، وإنا نخشى إن أسلمنا أن تقتلنا يهود وقد رواه الترمذى والنسائى وابن ماجة وابن جرير والحاكم والبيهقى من طرق عن شعبة به ، وقال الترمذى : حسن صحيح . قلت : وفى رجاله من تُـكلّم فيـه ، وكأنه اشتبه على الراوى التسع الآيات بالعشر الكلمات ، وذلك أنّ الوصايا التى أوحاها الله إلى موسى ، وكلّمه بها ليلة الطور بعــد ما خرجوا من ديار مصر ، وشَعب بنى إسرائيل حول الطُّور حضور ، وهارون ومن معه من العلماء وُقوف على الطُّور أيضاً ، وحينئذ كلم الله موسى تــكليما آمراً له بهذه العشر كلمات ، وقد فسرت فى هــذا الحديث . وأما التسع الآيات فتلك دلائل وخوارق وعادات أيّد بها موسى عليــه السلام ، وأظهرها الله على يديه بديار مصر ، وهى : العصا واليد ، والطوفان والجراد ، والقمل ، والضفادع ،

(١) من الآية : ٩٧ من سورة البقرة (٢) من الآية : ٩٠ من سورة البقرة

(٣) من الآية : ١٠١ من سورة الإسراء

والدم ، والجدب ، ونقص الثمرات ، وقد بسطت القول على ذلك فى التفسير بما فيه الكفاية ، والله أعلم .

فصل

وقد ذكرنا فى التفسير عند قوله تعالى فى سورة البقرة: (قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللهِ خَالِصَةً مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا المَوتَ إِنْ كُنتُم صادقين * وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أبداً بما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِم واللهُ عليمٌ بالظالمين)[1] ومثلها فى سورة الجمعة وهى قوله : (قُلْ يا أَيُّها الذين هَادُوا إِنْ زَعَمْتُم أَنَّكُم أولياءُ للهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الموتَ إِن كُنتُم صَادِقين * ولاَ يَتَمَنَّونَه أبداً بما قَدَّمَتْ أيْدِيهم واللهُ عَلِيمٌ بالظالمين)[2] وذكرنا أقوال المفسرين فى ذلك ، وأن الصواب أنه دعاهم إلى المُباهلة ، وأن يدعو بالموت على المُبطل منهم أو المسلمين فنكلوا عن ذلك لعلمهم بظلم أنفسهم ، وأن الدعوة تنقلب عليهم ، ويعود وبالها إليهم . وهكذا دعا النصارى من أهل نجران حين حاجّوه فى عيسى بن مريم ، فأمره الله أن يدعوهم إلى المباهلة فى قوله : (فمن حَاجَّكَ فيه مِنْ بَعْدِ ما جاءك مِنَ العِلمِ فقُل تَعالَوا نَدْعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفُسَنا وأنفُسَكم ثم نَبْتَهِل فَنجعَلْ لَعْنَةَ اللهِ على الكاذبين)[3] وهكذا دعا على المشركين على وجه المباهلة فى قوله: (قُلْ مَن كانَ فِي الضَّلالةِ فَلْيَمْدُدْ له الرحمَنُ مَدًّا)[4] وقد بسطنا القول فى ذلك عند هذه الآيات فى كتابنا التفسير بما فيه كفاية، ولله الحمد والمنة .

حديث آخر يتضمن اعتراف اليهود بأنه رسول الله ويتضمن تحاكمهم إليه ورجوعهم إلى ما يحكم به ولكن بقصد منهم مذموم

وذلك أنهم ائتمروا بينهم ، أنه إن حكم بما يوافق هواهم اتبعوه ، وإلا فاحذروا ذلك ، وقد ذمهم الله فى كتابه العزيز على هذا القصد قال عبد الله بن المبارك : ثنا معمر ، عن الزهرى قال : كنت جالساً عند سعيد بن المسيب ، وعند سعيد رجل وهو يوقره ، وإذا هو رجل من مُزينة ، كان أبوه شهد الحديبية وكان من أصحاب أبى هريرة ، قال : قال أبو هريرة : كنت جالساً عند رسول الله ﷺ ، إذ جاء نفر من اليهود ـ وقد زنا رجل منهم وامرأة ـ فقال بعضهم لبعض : اذهبوا بنا إلى هذا النبى ، فإنه نبى بعث بالتخفيف ، فإن أفتانا حَدًّا دون الرجم فعلناه ، واحتججنا عند الله حين نلقاه بتصديق نبى من أنبيائه ، قال مرة عن الزهرى : وإن أمرنا بالرجم

(١) الآيتان : ٩٤ ـــ ٩٥ (٢) الآيتان : ٦ ـــ ٧ (٣) الآية : ٦١ من سورة آل عمران
(٤) من الآية : ٧٥ من سورة مريم

عصيناه ، فقد عصينا الله فيم كتب علينا من الرجم فى التوراة ، فأتوا رسول الله ﷺ وهو جالس فى المسجد فى أصحابه ، فقالوا : يا أبا القاسم : ما ترى فى رجل منّا زنا بعد ما أحصن ؟ فقام رسول الله ﷺ ولم يرجع إليهم شيئاً ، وقام معه رجال من المسلمين ، حتى أتوا بيت مدارس اليهود فوجدوهم يتدارسون التوراة ، فقال لهم رسول الله ﷺ : يا معشر اليهود ، أنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى ، ما تجدون فى التوراة من العُقوبة على مَن زنا إذا أحصن ؟ قالوا : نجبيه ، والتجبية ، أن يحملوا اثنين على حمار فيولوا ظهر أحدهما ظَهر الآخر ، قال : وسكت حَبرهم - وهو فتى شاب ، فلما رآه رسول الله ﷺ صامتاً أَلظّ (١) به النشدة ، فقال حبرهم : أمنا إذ نشدتَهم فإنا نجد فى التوراة الرَّجم على من أحصن .

قال النبى ﷺ : فما أول ما ترخصتم أمرَ الله عز وجل ؟ فقال : زنا رجل منا ذو قرابة بملك من ملوكنا ، فأخّر عنه الرجم ، فزنا بعده آخر فى أسرة من الناس فأراد ذلك الملك أن يرجُمه فقام قومُه دونه ، فقالوا : لا والله لا نرجمه حتى يَرجُم فلانا ابنَ عمه ، فاصطلحوا بينهم على هذه العقوبة ، فقال رسول الله ﷺ : فإنى أحكم بما حكم فى التوراة ، فأمر رسول الله ﷺ بهما فرجما .

قال الزهرى : وبلغنا أن هذه الآية نزلت فيهم (إنّا أنزلنا التورَاةَ فيها هُدًى ونورٌ يَحكم بها النبيُّونَ الذين أسلموا للذين هادُوا) (٢) وله شاهد فى الصحيح عن ابن عمر ، قلت : وقد ذكرنا ما ورد فى هذا السياق من الأحاديث عند قوله تعالى : (يا أيها الرَّسولُ لا يَحزُنكَ الذين يُسارعُون فى الكُفرِ منَ الّذين قالوا آمنّا بأفواهِهِمْ ولم تُؤمِن قلوبُهم ومنَ الذين هَادُوا سَمّاعُون للكَذِب سَمّاعون لِقَوْمٍ آخرين لم يأتوكَ يُحرِّفُون الكَلِمَ عَنْ مَواضِعِه يقُولُون إنْ أوتيتُم هذَا فخُذُوهُ) (٣) يعنى الجَلد والتحميم (٤) الذى اصطلحوا عليه وابتدعوه من عند أنفسهم ، يعنى : إن حكم لكم محمد بهذا فخذوه ، (وإن لم تُؤتَوه فاحذَرُوا) ، يعنى : وإن لم يحكم لكم بذلك فاحذروا قبوله ، قال الله تعالى : (وَمَن يُرِد الله فِتنَته فلَن تَملِك له مِنَ اللهِ شيئاً أولئكَ الذين لم يُرِدْ اللهُ أنْ يُطَهِّرَ قلوبَهمُ لهُم فى الدُّنيا خزْيٌ ولهُم فى الآخرةِ عذابٌ عَظيمٌ) إلى أن قال (وكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وعِندَهُم التورَاةُ فيها حُكْمُ اللهِ ثم يتولَّوْن مِنْ بَعْدِ ذَلكَ وما أولئكَ بالمؤمنين) فذمهم الله تعالى على سوء ظنهم وقصدهم بالنسبة إلى اعتقادهم فى كتابهم ، وأن فيه حكم الله بالرجم ، وهم مع ذلك يعلمون صحته ، ثم يَعدِلون عنه إلى ما ابتدعوه من التحميم والتجبية .

---

(١) أى ألح فى سؤاله وألزمه إياه ، والإلظاظ : الإلحاح (٢) من الآية : ٤٤ من سورة المائدة
(٣) الآية : ٤١ من السورة نفسها (٤) هو تسويد الوجوه بالحمم - بضم الحاء وفتح الميم - وهو الفحم

وقد روى هـذا الحديث محمد بن إسحاق عن الزهرى قال : سمعت رجلا من مُزَينة يحدث سعيد بن المسيب ، أن أبا هريرة حدثهم فذكره . وعنده فقال رسول الله ﷺ لابن صوريا : أنشدك بالله وأذكرك أيامه عند بنى إسرائيل . هل تعلم أن الله حكم فيمن زنا بعد إحصانه بالرجم فى التوراة ؟ فقال : اللهم نعم ، أما والله يا أبا القاسم إنهم يعرفون أنك نبىٌّ مُرسل ، ولكنهم يحسدونك . فخرج رسول الله ﷺ فأمر بهما فرُجما عند باب مسجده فى بنى تميم عند مالك بن النجار ، قال : ثم كفر بعد ذلك ابن صوريا ، فأنزل الله : (يا أيُّها الرسولُ لا يَحزُنْكَ الذين يُسارِعُونَ فى الكُفرِ) الآيات وقد ورد ذكر عبد الله بن صوريا الأعور فى حديث ابن عمير وغيره بروايات صحيحة قد بيناها فى التفسير .

حديث آخر ـ قال حماد بن سلمة : ثنا ثابت عن أنس ، أن غلاماً يهودياً كان يخدم النبى ﷺ فمرض فأتاه رسول الله ﷺ يعوده ، فوجد أباه عند رأسه يقرأ التوراة ، فقال له رسول الله ﷺ : يا يهودى ، أنشدك بالله الذى أنزل التوراة على موسى ، هل تجدون فى التوراة نَعتى وصفتى ومخرجى ؟ فقال : لا ، فقال الفتى : بلى ، والله يا رسول الله ، إنا نجد فى التوراة نعتك وصفتك ومخرجك ، وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، فقال النبى لأصحابه : أقيموا هذا من عند رأسه ، ولُوا أخاكم . ورواه البيهقى من هذا الوجه بهذا اللفظ .

حديث آخر ـ قال أبو بكر بن أبى شيبة ، ثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة عن عطاء ابن السائب عن أبى عبيدة بن عبد الله عن أبيه قال : إن الله ابتعث نبيه ﷺ لإدخال رجل الجنة ، فدخل النبى ﷺ كنيسة ، وإذا يهودىٌّ يقرأ التوراة ، فلما أتى على صفته أمسك ، قال : وفى ناحيتها رجل مريض ، فقال النبى ﷺ : ما لكم أمسكتم ؟ فقال المريض : إنهم أتوا على صفة نبىٍّ فأمسكوا ، ثم جاء المريض يَحبُو حتى أخذ التوراة وقال : ارفع يدك ، فقرأ حتى أتى على صفته ، فقال : هذه صفتك وصفة أمتك ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، ثم مات ، فقال النبى ﷺ : لُوا أخاكم .

حديث آخر ـ إن النبى ﷺ ، وقف على مدارس اليهود فقال : يا معشر يهود أسلموا ، فوالذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنى رسول الله إليكم ، فقالوا : قد بلغت يا أبا القاسم ، فقال : ذلك أريد .

فصل

فالذى يقطع به من كتاب الله وسنة رسوله ، ومن حيث المعنى ، أن رسول الله ﷺ قد بشرت به الأنبياء قبله ، وأتباع الأنبياء يعلمون ذلك ، ولكن أكثرهم يكتمون ذلك ويخفونه ، قال الله تعالى : (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ ، يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)[١] وقال تعالى : (وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ)[٢] وقال تعالى : (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)[٣] وقال تعالى : (وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ)[٤] وقال تعالى : (هَذَا بَلاَغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ)[٥] وقال تعالى : (لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ)[٦] وقال تعالى : (وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ)[٧] وقال تعالى : (لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ)[٨] فذكر تعالى بعثته إلى الأميين وأهل الكتاب ، وسائر الخلق من عربهم وعجمهم ، فكل من بلغه القرآن فهو نذير له ، قال ﷺ : « والذى نفسى بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة ، يهودىٌّ ولا نصرانىٌّ ولا يؤمن بى إلاّ دخل النار » ، رواه مسلم . وفى الصحيحين : أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى ، « نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وأحلّت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى ، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً ، وأعطيت الشفاعة[٩] ، وكان النبى يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس

---

(١) الآيتان : ١٥٧ - ١٥٨ من سورة الأعراف
(٢) من الآية : ١١٤ من سورة الأنعام
(٣) من الآية : ٤٦ من سورة البقرة
(٤) الآية : ١٠١ من سورة الأنعام
(٥) من الآية : ٥٢ آخر سورة إبراهيم
(٦) من الآية : ١٩ من سورة الأنعام
(٧) من الآية : ١٧ من سورة هود
(٨) من الآية : ٧٠ من سورة يس
(٩) فى رواية : السماحة

عامة وفيهما : بعثت إلى الأسود والأحمر . قيل : إلى العرب والعجم ، وقيل : إلى الإنس والجن ، والصحيح أعم من ذلك .

والمقصود أن البشارات به ﷺ موجودة فى الكتب الموروثة عن الأنبياء قبله ، حتى تناهت النبوة إلى آخر أنبياء بنى إسرائيل - وهو عيسى بن مريم ، وقد قام بهذه البشارة فى بنى إسرائيل وقص الله خبره فى ذلك فقال تعالى : (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ)(١) فإخبار محمد صلوات الله وسلامه عليه ، بأن ذكره موجود فى الكتب المتقدمة ، فيما جاء به من القرآن ، وفيما ورد عنه من الأحاديث الصحيحة كما تقدم ، وهو مع ذلك من أعقل الخلق باتفاق الموافق والمفارق - يدل على صدقه فى ذلك قطعاً ؛ لأنه لو لم يكن واثقاً بما أخبر به من ذلك، لكان ذلك من أشد المنفرات عنه ، ولا يقدم على ذلك عاقل . والغرض أنه من أعقل الخلق حتى عند من يخالفه ، بل هو أعقلهم فى نفس الأمر .

ثم إنه قد انتشرت دعوته فى المشارق والمغارب ، وعمت دولة أمته فى أقطار الآفاق عموماً ، لم يحصل لأمة من الأمم قبلها ، فلو لم يكن محمد ﷺ نبياً ، لكان ضرره أعظم من كل أحد ، ولو كان كذلك لحذر عنه الأنبياء أشد التحذير ، ولنفّروا أممهم منه أشدّ التنفير ، فإنهم جميعهم قد حذّروا من دعاة الضلالة فى كتبهم ، ونهوا أممهم عن اتباعهم والاقتداء بهم ، ونصّوا على المسيح الدّجال، الأعور الكذاب ، حتى قد أنذر نوح - وهو أول الرسل - قومه ، ومعلوم أنه لم ينص نبى من الأنبياء على التحذير من محمد ، ولا التنفير عنه ، ولا الإخبار عنه بشىء - خلاف مدحه ، والثناء عليه ، والبشارة بوجوده ، والأمر باتباعه ، والنهى عن مخالفته ، والخروج من طاعته ، قال الله تعالى : (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ . قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي؟ قَالُوا أَقْرَرْنَا، قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)(٢) قال ابن عباس رضى الله عنهما : ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق ، لئن بعث محمد وهو حىّ ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق ، لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمننّ به وليتبعنّه ، رواه البخارى وقد وجدت البشارات به ﷺ فى الكتب المتقدمة وهى أشهر من أن تذكر ، وأكثر من أن تحصر . وقد قدمنا قبل مولده عليه السلام طرفاً

---

(١) الآية : ٦ من سورة الصف (٢) الآيتان : ٨١ - ٨٢ من سورة آل عمران

صالحاً من ذلك ، وقررنا فى كتاب التفسير عند الآيات المقتضية لذلك ـ آثاراً ـ كثيرة ، ونحن نورد ههنا شيئاً مما وجد فى كتبهم التى يعترفون بصحتها ، ويتدينون بتلاوتها ، مما جمعه العلماء قديماً وحديثا ؛ ممن آمن منهم ، واطلع على ذلك من كتبهم التى بأيديهم .

ففى السفر الأول من التوراة التى بأيديهم فى قصة إبراهيم الخليل عليه السلام ، ما مضمونه وتعريبه : إن الله أوحى إلى إبراهيم عليه السلام ، بعد ما سلّمه من نار النمروذ : أن قم فاسلك الأرض مشارقها ومغاربها لولدك ، فلما قصّ ذلك على سارة طمعت أن يكون ذلك لولدها منه ، وحرصت على إبعاد هاجر وولدها، حتى ذهب بهما الخليل إلى برّية الحجاز وجبال فاران ، وظن إبراهيم عليه السلام أن هذه البشارة تكون لولده إسحاق ، حتى أوحى الله إليه ما مضمونه : أما ولدك إسحاق فإنه يرزق ذرية عظيمة ، وأما ولدك إسماعيل فإنى باركته وعظمته ، وكثرت ذريته ، وجعلت من ذريته مَاذ ماذ[1] ـ يعنى محمداً ﷺ ، وجعلت فى ذريته اثناعشر إماما، وتكون له أمة عظيمة . وكذلك بشرت هاجر حين وضعها الخليل عند البيت، فعطشت وحزنت على ولدها. وجاء الملك فأنبع زمزم ، وأمرها بالاحتفاظ بهذا الولد ؛ فإنه سيولد له منه عظيم ، له ذرية عدد نجوم السماء . ومعلوم أنه لم يولد من ذرية إسماعيل ، بل من ذرية آدم ـ أعظم قدراً ولا أوسع جاها ، ولا أعلى منزله ، ولا أجل منصبا ، من محمد ﷺ ، وهو الذى استولت دولة أمته على المشارق والمغارب ، وحكموا على سائر الأمم .

وهكذا فى قصة إسماعيل من السفر الأول : أن ولد إسماعيل تكون يده على كل الأمم ، وكل الأمم تحت يده ، وبجميع مساكن إخوته يسكن ، وهذا لم يكن لأحد يصدق على الطائفة إلا لمحمد ﷺ .

وأيضا فى السفر الرابع فى قصة موسى ، أن الله أوحى إلى موسى عليه السلام : أن قل لبنى إسرائيل : سأقيم لهم نبيا من أقاربهم مثلك ياموسى ، وأجعل وحيى بفيه وإياه تسمعون .

وفى السفر الخامس ـ وهو سفر الميعاد ـ أن موسى عليه السلام خطب بنى إسرائيل فى آخر عمره ـ وذلك فى السنة التاسعة والثلاثين من سِنِى التِّيه ـ وذكرهم بأيام الله وأياديه عليهم وإحسانه إليهم ، وقال لهم فيما قال : واعلموا أن الله سيبعث لكم نبيا من أقاربكم مثل ما أرسلنى إليكم ، يأمركم بالمعروف ، وينهاكم عن المنكر ، ويحل لكم الطيبات ، ويحرم عليكم الخبائث ، فمن عصاه فله الخزى فى الدنيا ، والعذاب فى الآخرة .

---

(١) فى القاموس ، الماذ : الحسن الخلق الفكه النفس الطيب الكلام .

وأيضاً فى آخر السفر الخامس ـ وهو آخر التوراة التى بأيديهم ـ جاء الله من طور سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبال فاران ، وظهر من ربوات قدسه ، عن يمينه نور ، وعن شماله نار ، عليه تجتمع الشعوب ؛ أى جاء أمر الله وشرعه من طور سيناء ـ وهو الجبل الذى كلم الله موسى عليه السلام عنده ، وأشرق من ساعير ، وهى جبال بيت المقدس - المحلة التى كان بها عيسى بن مريم عليه السلام ، واستعلن ـ أى ظهر وعلا أمره ـ من جبال فاران ، وهى جبال الحجاز بلا خلاف ، ولم يكن ذلك إلا على لسان محمد ﷺ . فذكر تعالى هذه الأماكن الثلاثة على الترتيب الوقوعى ؛ ذكر محلة موسى ، ثم عيسى ، ثم بلد محمد ﷺ . ولما أقسم تعالى بهذه الأماكن الثلاثة ذكر الفاضل أولا ، ثم الأفضل منه ، ثم الأفضل منه ، على قاعدة القسم فقال تعالى : (والتِّين والزَّيْتُون) والمراد بها محلة بيت المقدس، حيث كان عيسى عليه السلام، (وطُورِ سِينِينَ) وهو الجبل الذى كلم الله عليه موسى، (وهذا البلد الأمين) وهو البلد الذى ابتعث منه محمداً ﷺ قاله غير واحد من المفسرين فى تفسير هذه الآيات الكريمات .

وفى زبور داود عليه السلام صفة هذه الأمة بالجهاد والعبادة ، وفيه مثل ضربه لمحمد ﷺ ، بأنه ختام القبة المبنية ، كما ورد به الحديث فى الصحيحين : « مَثَلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى داراً فأكملها إلا موضع لبنة ، فجعل الناس يطيفون بها ويقولون : هلاّ وضعت هذه اللبنة ؟ » ومصداق ذلك أيضاً فى قوله تعالى : (ولَكِنْ رَسولَ اللهِ وخاتَمَ النَّبِيِّينَ[1]) . وفى الزبور صفة محمد ﷺ بأنه ستنبسط نبوته ودعوته ، وتنفذ كلمته من البحر إلى البحر ، وتأتيه الملوك من سائر الأقطار طائعين بالقرابين والهدايا ، وأنه يُخلِّص المضطر ، ويكشف الضر عن الأمم ، وينقذ الضعيف الذى لا ناصر له ، ويصلى عليه فى كل وقت ، ويبارك الله عليه فى كل يوم ، ويدوم ذكره إلى الأبد . وهذا إنما ينطبق على محمد ﷺ .

وفى صحف شعيا فى كلام طويل فيه معاتبة لبنى إسرائيل ، وفيه : فإنى أبعث إليكم وإلى الأمم نبياً أمياً ، ليس بفظ ولا غليظ القلب ولا سخاب فى الأسواق ، أسدده لكل جميل ، وأهب له كل خلق كريم ، ثم أجعل السكينة لباسه ، والبر شعاره ، والتقوى فى ضميره ، والحكمة معقوله ، والوفاء طبيعته ، والعدل سيرته ، والحق شريعته ، والهدى ملته ، والإسلام دينه ، والقرآن كتابه . أحمد اسمه ، أهدى به من الضلالة ، وأرفع به بعد الخمالة ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأؤلف به بين القلوب المختلفة ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس ، قرابينهم دماؤهم ، أناجيلهم

---

(١) من الآية : ٤٠ من سورة الأحزاب .

فى صدورهم ، رُهباناً بالليل ، ليوثاً بالنهار (ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ [1]) .

وفى الفصل الخامس – أو العاشر – من كلام شعيا : يدوس الأمم كدوس البيادر ، وينزل البلاء بمشركى العرب ، وينهزمون قدامه . وفى الفصل السادس والعشرين منه : ليفرح أرض البادية العطشى ، ويعطى أحمد محاسن لبنان ، ويرون جلال الله بمهجته .

وفى صحف إلياس عليه السلام : أنه خرج مع جماعة من أصحابه سائحا ، فلما رأى العرب بأرض الحجاز قال لمن معه : انظروا إلى هؤلاء ، فإنهم هم الذين يملكون حصونكم العظيمة ، فقالوا : يانبى الله ! فما الذى يكون معبودهم ؟ فقال : يعظمون رب العزة فوق كل رابية عالية .

ومن صحف حزقيل : إن عبدى خيرتى ، أنزل عليه وَحيى ، يظهر فى الأمم عدلى ، اخترته واصطفيته لنفسى ، وأرسلته إلى الأمم بأحكام صادقة .

ومن كتاب النبوات : أن نبيا من الأنبياء مرّ بالمدينة فأضافه بنو قريظة والنضير ، فلما رآهم بكى ، فقالوا له : ما الذى يبكيك يانبى الله ؟ فقال : نبى يبعثه الله من الحرة ، يخرب دياركم ويسبى حريمكم ، قال : فأراد اليهود قتله فهرب منهم .

ومن كلام حزقيل عليه السلام، يقول الله: من قبل أن صورتك فى الأحشاء قدستك، وجعلتك نبيا ، وأرسلتك إلى سائر الأمم .

وفى صحف شعيا أيضا ، مثل مضروب لمكة شرفها الله : افرحى ياعاقر بهذا الولد الذى يهبه لك ربك ، فإن ببركته تتسع لك الأماكن ، وتثبت أوتادك فى الأرض ، وتعلو أبواب مساكنك، ويأتيك ملوك الأرض عن يمينك وشمالك بالهدايا والتقادم. وولدك هذا يرث جميع الأمم، ويملك سائر المدن والأقاليم ، ولا تخافى ولا تحزنى فما بقى يلحقك ضيم من عدو أبداً . وجميع أيام ترملك تنسيها ، وهذا كله إنما حصل على يدى محمد ﷺ . وإنما المراد بهذه العاقر : مكة ، ثم صارت كما ذكر فى هذا الكلام لا محالة. ومن أراد من أهل الكتاب أن يصرف هذا ، ويتأوله على بيت المقدس – فهذا لايناسبه من كل وجه، والله أعلم . وفى صحف أرميا : كوكب ظهر من الجنوب ، أشعته صواعق ، سهامه خوارق ، دكت له الجبال . وهذا المراد به محمد ﷺ .

وفى الإنجيل يقول عيسى عليه السلام : إنى مرتق إلى جنات العلى ، ومرسل إليكم الفارقليط روح الحق يعلمكم كل شىء ، ولم يقل شيئا من تلقاء نفسه . والمراد بالفارقليط: محمد صلوات الله وسلامه عليه . وهذا كما تقدم عن عيسى أنه قال : (وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ) .

(١) من الآية : ٤ من سورة الجمعة .

وهذا باب متسع ، ولو تقصينا جميع ما ذكره الناس لطال هذا الفصل جداً ، وقد أشرنا إلى نبذ من ذلك يهتدى بها من نوّر الله بصيرته وهداه إلى صراطه المستقيم . وأكثر هذه النصوص يعلمها كثير من علمائهم وأحبارهم ، وهم مع ذلك يتكاتمونها ويخفونها .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقى : أنا أبو عبد الله الحافظ ومحمد بن موسى بن الطفيل قالا : ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، ثنا محمد بن عبيد الله بن أبى داود المنادى ، ثنا يونس بن محمد المؤدب ، ثنا صالح بن عمر ، ثنا عاصم بن كليب عن أبيه عن الفلتان بن عاصم قال: كنا جلوساً عند النبى ﷺ إذ شخص ببصره إلى رجل فدعاه ، فأقبل رجل من اليهود مجتمع[1] ، عليه قميص وسراويل ونعلان ، فجعل يقول : يا رسول الله ، فجعل رسول الله ﷺ يقول : أتشهد أنى رسول الله ؟ فجعل لا يقول شيئاً إلا قال : يا رسول الله ، فيقول : أتشهد أنى رسول الله ؟ فيأبى ، فقال رسول الله ﷺ : أتقرأ التوراة ؟ قال : نعم ، قال : والإنجيل ؟ قال : نعم ، والفرقان ورب محمد لو شئتُ لقرأته ، قال : فأنشدك بالذى أنزل التوراة والإنجيل وأنشأ خلقه بها ، أتجدنى فيهما ؟ قال : نجد مثل نعتك ، يخرج من مخرجك ، كنا نرجو أن يكون فينا ، فلما خرجتَ رأينا أنك هو ، فلما نظرْنا إذا أنت لستَ به . قال: من أين؟ قال : نجد من أمتك سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ، وإنما أنتم قليل . قال : فهلل رسول الله ﷺ وكبر ، وهلّل وكبّر ثم قال : والذى نفس محمد بيده إنى لأنا هو ، وإن من أمتى لأكثر من سبعين ألفاً وسبعين وسبعين .

حديث فى جوابه ﷺ لمن سأل عما سأل ، قبل أن يسأله عن شىء منه

قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، ثنا حماد بن سلمة ، أنا الزبير بن عبد السلام ، عن أيوب بن عبد الله بن مكرز ـ ولم يسمعه منه ـ قال : حدثنى جلساؤه وقد رأيته ، عن وابصة الأسدى ، وقال عفان : ثنا غير مرة ولم يقل : حدثنى جلساؤه ، قال : أتيت رسول الله ﷺ وأنا أريد أن لا أدع شيئاً من البرّ والإثم إلا سألته عنه ، وحوله عصابة من المسلمين يستفتونه ، فجعلت أتخطاهم ، فقالوا : إليك وابصة عن رسول الله ، فقلت: دعونى فأدنو منه ؛ فإنه أحب الناس إلى أن أدنو منه ، قال : دعوا وابصة ، ادن يا وابصة ، مرتين أو ثلاثاً ، قال : فدنوت منه حتى قعدت بين يديه ، فقال : يا وابصة، أخبرك أم تسألنى ؟ فقلت : لا ، بل أخبرنى ، فقال : جئت تسأل عن البرّ والإثم ، فقلت : نعم ، فجمع أنامله فجعل ينكت بهن فى صدرى ويقول يا وابصة ، استفت قلبك واستفت نفسك ـ ثلاث مرات ـ البر ما اطمأنت إليه النفس ، والإثم ما حاك فى النفس وتردد فى الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك .

(١) الرجل المجتمع : هو الذى بلغ أشده ، ولا يقال ذلك للنساء

باب ما أخبر به ﷺ من الكائنات المستقبلة فى حياته وبعده فوقعت طبق ما أخبر به سواء بسواء

وهذا باب عظيم لا يمكن استقصاء جميع ما فيه لكثرتها ، ولكن نحن نشير إلى طرف منها وبالله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم .

وذلك منتزع من القرآن ومن الأحاديث ؛ أما القرآن فقال تعالى فى سورة المزمل - وهى من أوائل ما نزل بمكة - (عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى ،وآخَرُون يَضْرِبُونَ فى الأرضِ يَبْتَغُون مِنْ فَضْلِ اللهِ ، وآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فى سَبِيلِ اللهِ)[1] ومعلوم أن الجهاد لم يشرع إلا بالمدينة بعد الهجرة . وقال تعالى فى سورة اقترب - وهى مكية - (أم يَقولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِر * سَيُهزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ)[2] ووقع هذا يوم بدر ، وقد تلاها رسول الله ﷺ وهو خارج من العريش ، ورماهم بقبضة من الحصباء فكان النصر والظفر ، وهذا مصداق ذلك . وقال تعالى : (تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ * ما أغنَى عنهُ مالُه وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى ناراً ذاتَ لَهَبٍ * وامرأتهُ حَمَّالة الحَطَبِ * فى جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَد)[3] فأخبر أن عمه عبد العزى بن عبد المطلب- الملقب بأبى لهب - سيدخل النار هو وامرأته ، فقدر الله عز وجل أنهما ماتا على شركهما لم يسلما ، حتى ولا ظاهراً ، وهذا من دلائل النبوة الباهرة . وقال تعالى : (قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الإنسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً)[4] وقال تعالى فى سورة البقرة : (وإنْ كُنْتُم فِى رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلنَا على عَبْدِنا فأتوا بسُورَة مِنْ مِثْلِهِ وادْعُوا شُهَدَاءكم مِنْ دُونِ اللهِ إنْ كُنتم صَادِقِين * فإنْ لم تفعَلوا وَلَن تفعَلُوا)[5] الآية ، فأخبر أن جميع الخليقة لو اجتمعوا وتعاضدوا وتناصروا وتعاونوا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن فى فصاحته وبلاغته ، وحلاوته وإحكام أحكامه ، وبيان حلاله وحرامه ، وغير ذلك من وجوه إعجازه - لما استطاعوا ذلك ، ولما قدروا عليه ، ولا على عشر سور مثله ، بل ولا سورة . وأخبر أنهم لن يفعلوا ذلك أبداً ، ولن لنفى التأبيد فى المستقبل ، ومثل هذا التحدى ، وهذا القطع ، وهذا الإخبار الجازم لا يصدر إلا عن واثق بما يخبر به ، عالم بما يقوله ، قاطع أن أحداً لا يمكنه أن يعارضه ، ولا يأتى بمثل ما جاء به عن ربه عز وجل .

وقال تعالى : (وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الأَرْضِ كَمَا

---

(١) من الآية : ٢٠ آخر سورة المزمل (٢) الآيتان : ١٤ - ١٥ من سورة القمر

(٣) سورة المسد (٤) الآية : ٨٨ من سورة الإسراء (٥) الآيتان : ٢٣ - ٢٤

استَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِم أمناً)[١] الآية ، وهكذا وقع سواء بسواء ؛ مكّن الله هذا الدين وأظهره ، وأعلاه ونشره فى سائر الآفاق ، وأنفذه وأمضاه . وقد فسر كثير من السلف هذه الآية بخلافة الصديق ، ولا شك فى دخوله فيها ، ولكن لا تختص به ، بل تعمه كما تعم غيره ، كما ثبت فى الصحيح : « إذا هلك قيصرَ فلا قيصرَ بعده ، وإذا هلك كسْرَى فلا كِسْرى بعده ، والذى نفسى بيده لتنفقنَّ كنوزَهما فى سبيل الله » ، وقد كان ذلك فى زمن الخلفاء الثلاثة : أبى بكر وعمر ، وعثمان ـ رضى الله عنهم وأرضاهم ، وقال تعالى : (هُوَ الذى أرْسَلَ رَسُولَه بالهُدَى ودِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَه على الدين كُلِّه ولو كَرِه المُشْرِكُون)[٢] وهكذا وقع وعمّ هذا الدين ، وغلب وعلا على سائر الأديان ، فى مشارق الأرض ومغاربها ، وعلت كلمته فى زمن الصحابة ومن بعدهم ، وذلّت لهم سائر البلاد ، ودان لهم جميع أهلها ، على اختلاف أصنافهم ، وصار الناس إما مؤمن داخلٌ فى الدين ، وإما مهادن باذل الطاعة والمال ، وإما محارب خائف وَجِلٌ من سطوة الإسلام وأهله .

وقد ثبت فى الحديث : إن الله زَوَى لى مشارق الأرض ومغاربها ، وسيبلغ مُلك أمتى ما زوى لى منها .

وقال تعالى : (قُل لِلمُخَلَّفِينَ مِنَ الأعرابِ سَتُدْعَوْن إلى قَوْمٍ أولى بأسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهم أوْ يُسْلِمُون)[٣] الآية ، وسواء كان هؤلاء هوازن ، أو أصحاب مسيلمة ، أو الروم ـ فقد وقع ذلك ، وقال تعالى : (وَعَدَكُم اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تأخذُونَها فَعَجَّلَ لَكُم هَذِه وَكَفَّ أيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُم ولِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُم صِرَاطاً مُسْتَقِيماً * وأخرى لم تَقْدِرُوا عليها قد أحاطَ اللهُ بها وكانَ اللهُ عَلى كُلِّ شىءٍ قديراً)[٤] وسواء كانت هذه الأخرى خيبر أو مكة فقد فتحت وأخذت كما وقع به الوعد سواء بسواء ، وقال تعالى : (لقدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَه الرُّؤْيا بالحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرامَ إنْ شاء اللهُ آمنِينَ مُحَلِّقِين رُءوسَكُم ومُقَصِّرِينَ لا تخافُونَ فَعَلِمَ مَالمْ تَعْلَمُوا فجعَلَ مِن دُونِ ذلكَ فتحاً قريبا)[٥] فكان هذا الوعد فى سنة الحُدَيبية عام ست ؛ ووقع إنجازه فى سنة سبع عام عمرة القضاء كما تقدم . وذكرنا هناك الحديث بطوله ، وفيه : أن عمرَ قال : يا رسول الله ! ألم تكن تخبرنا أنا سنأتى البيت ونطوف به ؟ قال : بلى ، أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا ؟ قال : لا ، قال : فإنك تأتيه وتطوف به . وقال تعالى : (وإذ يَعِدُكم اللهُ إحْدَى الطائفتين أنها لكم وتودُّون أنَّ غيرَ ذاتِ الشوكة تكونُ لكم)[٦] وهذا الوعد كان فى وقعة

---

(١) من الآية : ٥٥ من سورة النور (٢) الآية : ٩ من سورة الصف (٣) من الآية : ١٦ من سورة الفتح
(٤) الآيتان : ٢٠ ـ ٢١ من السورة نفسها (٥) الآية : ٢٧ من السورة نفسها (٦) من الآية : ٧ من سورة الأنفال

بدر لما خرج رسول الله ﷺ من المدينة ليأخذ عير قريش ، فبلغ قريشا خروجه إلى عيرهم ، فنفروا فى قريب من ألف مقاتل، فلما تحقق رسول الله ﷺ وأصحابه قدومهم- وعده الله إحدى الطائفتين أن سيظفره بها ؛ إما العير وإما النفير ، فود كثير من الصحابة ـ ممن كان معه ـ أن يكون الوعد للعير ، لما فيه من الأموال وقلة الرجال ، وكرهوا لقاء النفير لما فيه من العَدَد والعُدَد فخار الله لهم وأنجز لهم وعده فى النفير ، فأوقع بهم بأسه الذى لا يرد ، فقتل من سراتهم سبعون وأسر سبعون ، وفادوا أنفسهم بأموال جزيلة ، فجمع لهم بين خيرى الدنيا والآخرة ، ولهذا قال تعالى: (ويُرِيدُ اللهُ أن يُحِقّ الحقّ بكلماتِهِ وَيَقْطعَ دابِرَ الكافرين) وقد تقدم بيان هذا فى غزوة بدر .

وقال تعالى : (يا أيُّها النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِى أيْديكم مِنَ الأسرى إنْ يَعْلمِ اللهُ فى قُلوبِكُم خَيراً يُؤتِكُم خَيراً مِمّا أُخِذَ مِنكُم وَيَغفِرْ لكُم واللهُ غفورٌ رَحيم(١)) وهكذا وقع ، فإن الله عوض من أسلم منهم بخير الدنيا والآخرة . ومن ذلك ما ذكره البخارى ، أن العباس جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أعطنى ، فإنى فاديت نفسى ، وفاديت عقيلا ، فقال له :خذ ، فأخذ فى ثوب مقداراً لم يمكنه أن يقله ، ثم وضع منه مرة بعد مرة حتى أمكنه أن يحمله على كاهله ، وانطلق به كما ذكرناه فى موضعه مبسوطاً . وهذا من تصديق هذه الآية الكريمة . وقال تعالى : (وإنْ خِفْتم عَيْلَةً فَسَوفَ يُغنيكُم اللهُ مِنْ فَضْلِهِ إنْ شاء(٢)) الآية ، وهكذا وقع ، عوضهم الله عما كان يفدو إليهم مع حجاج المشركين ، بما شرعه لهم من قتال أهل الكتاب ، وضرب الجزية عليهم ، وسلب أموال مَنْ قتل منهم على كفره ؛ كما وقع بكفار أهل الشام من الروم ، ومجوس الفرس بالعراق وغيرها من البلدان التى انتشر الإسلام على أرجائها ، وحكم على مدائنها وفيفائها ، قال تعالى : (هُوَ الّذِى أرْسَلَ رَسُولَه بالهُدَى ودِينِ الحقِّ لِيُظْهِرَه على الدِّينِ كُلّه وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُون(٣)) وقال تعالى : (سَيَحْلِفُونَ باللهِ لَكُم إذَا انْقَلَبْتُمْ إليْهِم لِتُعْرِضُوا عَنْهُم فأعْرِضُوا عَنْهُم إنّهم رِجْسٌ(٤)) الآية ، وهكذا وقع ؛ لما رجع ﷺ من غزوة تبوك كان قد تخلف عنه طائفة من المنافقين ، فجعلوا يحلفون بالله لقد كانوا معذورين فى تخلفهم . وهم فى ذلك كاذبون ، فأمر الله رسوله أن يجرى أحوالهم على ظاهرها . ولا يفضحهم عند الناس ، وقد أطلعه الله على أعيان جماعة منهم أربعة عشر رجلا كما قدمناه لك فى غزوة تبوك ، فكان حُذيفة بن اليمان ممن يعرفهم بتعريفه إياه ﷺ .وقال تعالى : (وإنْ

(١) الآية : ٧٠ من سورة الأنفال . (٢) الآية : ٢٨ من سورة التوبة .
(٣) الآية : ٢٣ من سورة التوبة . (٤) من الآية : ٩٥ من سورة التوبة

القول فيما أوتى موسى عليه السلام من الآيات البينات

وأعظمهن تسع آيات كما قال تعالى :(ولقد آتينا مُوسَى تِسْعَ آياتٍ بَيِّنات)[1] وقد شرحناها فى التفسير ، وحكينا قول السلف فيها ، واختلافهم فيها ، وأن الجمهور على أنها هى: العصا فى انقلابها حية تسعى . واليد إذا أدخل يده فى جَيب درعه أخرجها تضىء كقطعة قمر يتلألأ إضاءة . ودعاؤه على قوم فرعون حين كذبوه فأرسل عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، آيات مفصلات ، كما بسطنا ذلك فى التفسير . وكذلك أخذهم الله بالسِّنين ، وهى نقص الحبوب . وبالجدب وهو نقص الثمار . وبالموت الذريع وهو نقص الأنفس ، وهو الطوفان فى قول . ومنها فلق البحر لإنجاء بنى إسرائيل وإغراق آل فرعون . ومنها تضليل بنى إسرائيل فى التيه ، وإنزال المنّ والسّلوى عليهم واستسقاؤه لهم ، فجعل الله ماءهم يخرج من حَجر يُحمل معهم على دابة ، له أربعة وجوه ، إذا ضربه موسى بعصاه يخرج من كل وجه ثلاثة أعين لكل سبط عين ، ثم يضربه فينقلع ، إلى غير ذلك من الآيات الباهرات ؛ كما بسطنا ذلك فى التفسير ، وفى قصة موسى عليه السلام من كتابنا هذا فى قصص الأنبياء منه ، ولله الحمد والمنة . وقيل : كل من عبد العجل أماتهم ثم أحياهم الله تعالى . وقصة البقرة .

أما العصا فقال شيخنا العلامة ابن الزملكانى : وأما حياة عصا موسى ، فقد سبّح الحصا فى كفّ رسول الله ﷺ وهو جماد ، والحديث فى ذلك صحيح ، وهذا الحديث مشهور عن الزهرى عن رجل عن أبى ذرّ ، وقد قدمنا ذلك مبسوطا فى دلائل النبوة بما أغنى عن إعادته ، وقيل : إنهن سبّحن فى كفّ أبى بكر ثم عمر ثم عثمان ، كما سبّحن فى كف رسول الله ﷺ ، فقال: هذه خلافة النبوة . وقد روى الحافظ بسنده إلى بكر بن حبيش عن رجل سمّاه قال : كان بيد أبى مُسلم الخَولانى سبحة يسبّح بها ، قال : فنام والسبحة فى يده ، قال فاستدارت السبحة فالتفتَ على ذراعه وهى تقول : سبحانك يا منبت النبات ، ويا دائم النبات ، فقال : هلّم يا أم مسلم وانظرى إلى أعجب الأعاجيب ، قال : فجاءت أم مسلم والسبحة تدور وتسبّح، فلما جلست سكتت . وأصح من هذا كله وأصرح ــ حديث البخارى عن ابن مسعود قال : كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يُؤكل . قال شيخنا : وكذلك قد سلّمت عليه الأحجار ، قلت : وهذا قد رواه مسلم عن جابر ابن سَمُرة قال : قال رسول الله ﷺ إنى لأعرف حَجراً كان يُسَلِّم علىّ بمكة قبل أن أبعث ، إنى لأعرفه الآن . قال بعضهم : هو الحجر الأسود ، وقال الترمذى : حدثنا عباد بن يعقوب الكوفى ، حدثنا الوليد بن أبى ثور عن السدى عن عباد بن يزيد، عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فى بعض نواحيها ، فما استقبله جبل ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله ، ثم قال : غريب .

---

(١) من الآية: ١٠١ من سورة الإسراء

في الآفاقِ وفي أنفُسِهم حتى يَتَبَيَّنَ لهمْ أنه الحقُّ أوَ لم يَكْفِ بربِّك أنه عَلَى كُلِّ شيء شهيد)(١)

وكذلك وقع ؛ أظهر الله من آياته ودلائله في أنفس البشر ، وفي الآفاق بما أوقعه من الناس بأعداء النبوة ، ومخالفي الشرع ، ممن كذب به من أهل الكتابين ، والمجوس والمشركين - ما دلّ ذوي البصائر والنهى على أن محمداً رسول الله حقاً ، وأن ما جاء به من الوحي عن الله صدق ، وقد أوقع له في صدور أعدائه وقلوبهم رُعباً ومهابة وخوفاً ، كما ثبت عنه في الصحيحين أنه قال : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وهذا من التأييد والنصر الذي آتاه الله عز وجل ، وكان عدوه يخافه وبينه وبينه مسيرة شهر . وقيل : كان إذا عزم على غزو قوم أرعبوا قبل مجيئه إليهم ، وووروده عليهم بشهر ، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين .

فصل

وأما الأحاديث الدالة على إخباره بما وقع كما أخبر ، فمن ذلك ما أسلفناه في قصة الصحيفة التي تعاقدت فيها بطون قريش وتمالئوا على بني هاشم وبني المطلب أن لا يؤووهم ، ولا يناكحوهم ، ولا يبايعوهم ، حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ ، فدخلت بنو هاشم وبنو المطلب ؛ بمسلمهم وكافرهم - شعب أبي طالب أنفين لذلك ممتنعين منه أبداً ، ما بقوا دائماً ، ما تناسلوا وتعاقبوا . وفي ذلك عمل أبو طالب قصيدته اللامية التي يقول فيها :

كذبتم وبيتِ الله نَبزى(٢) محمداً ولمّا نقاتل دونه ونناضل
ونُسلمه حتى نصرَّع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل
وما ترك قوم لا أبالك سيدا يحوط الذمار غير ذَرب مواكل
وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ثِمال اليتامى عصمة للأرامل
يَلوذ به الهلاّك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل

وكانت قريش قد علقت صحيفة الزعامة في سقف الكعبة ، فسلط الله عليها الأرضة فأكلت ما فيها من أسماء الله ، لئلا يجتمع بما فيها من الظلم والفجور . وقيل : إنها أكلت ما فيها إلا أسماء الله عز وجل ، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ عمّه أبا طالب ، فجاء أبو طالب إلى قريش فقال : إن ابن أخي قد أخبرني بخبر عن صحيفتكم ؛ فإن الله قد سلط عليها الأرضة فأكلتها - إلا ما فيها من أسماء الله ، أو كما قال . فأحضروها ، فإن كان كما قال - وإلا أسلمته إليكم ، فأنزلوها ففتحوها فإذا الأمر كما أخبر به رسول الله ﷺ ، فعند ذلك نقضوا حكمها ودخلت بنو هاشم وبنو المطلب مكة ، ورجعوا إلى ما كانوا عليه قبل ذلك، كما أسلفنا ذكره ، ولله الحمد .

---

(١) الآية : ٥٣ من آخر سورة فصلت

(٢) بزا الرجل : قهره وبطش به.

ومن ذلك حديث خَباب بن الأرَتّ ، حين جاء هو وأمثاله من المستضعفين مستنصرون النبي ﷺ ، وهو يتوسّد رداءه فى ظل الكعبة ، فيدعو لهم لما هم فيه من العذاب والإهانة ، فجلس مُحمرًّا وجهه وقال : إن من كان قبلكم كان أحدهم يُشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه ، والله ليتمّنّ الله هذا الأمر ولكنكم تستعجلون .

ومن ذلك : الحديث الذى رواه البخارى ، ثنا محمد بن العلاء ، ثنا حماد بن أسامة عن يزيد ابن عبد الله بن أبى بردة ، عن أبيه عن جدّه أبى بردة ، عن أبى موسى ، أراه عن النبى ﷺ قال : رأيت فى المنام أنى أهاجر من مكة إلى أرض فيها نخل ، فذهب وَهَلى[1] إلى أنها اليمامة أو هَجر ، فإذا هى المدينة يثرب . ورأيت فى رؤياى هذه أنى هززت سيفا فانقطع صَدْره ، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد . ثم هززته أخرى فعاد أحسن ما كان ، فإذا هو ما جاء به من الفتح واجتماع المؤمنين . ورأيت فيها بقراً والله خير[2] ، فإذا هم المؤمنون يوم أحد ، وإذا الخير ما جاء الله به من الخير وثواب الصدق الذى أتانا بعد يوم بدر .

ومن ذلك : قصة سعد بن معاذ مع أمية بن خلف حين قدم عليه مكة . قال البخارى : ثنا أحمد بن إسحاق ، ثنا عبيد الله بن موسى ، ثنا إسرائيل عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود قال : انطلق سَعد بن مُعاذ مُعتمراً فنزل على أُمَيّة بن خلف أبى صَفوان ، وكان أمية إذا انطلق إلى الشام فمرّ بالمدينة نزل على سعد ، فقال أمية لسعد : انتظر حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فطفت ، فبينا سعد يطوف إذا أبو جهل ، فقال : من هذا الذى يطوف بالكعبة ؟ فقال سعد : أنا سعد ، فقال أبو جهل : تطوف بالكعبة آمناً وقد آويتم محمداً وأصحابه ؟ فقال : نعم ، فتلاحيا بينهما ، فقال أميةُ لسعد : لا ترفع صوتك على أبى الحكم فإنه سيد أهل الوادى ، ثم قال سعد : والله لئن منعتنى أن أطوفَ بالبيت لأقطعنّ متجرك بالشام ، قال : فجعل أمية يقول لسعد : لا ترفع صوتك ، وجعل يُمسكه ، فغضب سعدٌ فقال : دَعنا عنك ، فإنى سمعت محمداً ﷺ يزعم أنه قاتلك ، قال إياى ؟ قال : نعم ، قال : والله ما يكذب محمد إذا حدّث ، فرجع إلى امرأته فقال : أما تعلمين ما قال لى أخى اليثربى ؟ قالت : وما قال لك ؟ قال : زعم أنه سمع محمداً يزعم أنه قاتلى . قالت : فوالله ما يكذب محمد ، قال : فلما خرجوا إلى بَدْر وجاء الصّريخُ ، قالت له امرأته : أما ذكرت ما قال لك أخوك اليثربى ؟ قال : فأراد أن لا يخرج ، فقال له أبو جهل : إنك من أشراف الوادى ، فسِر يوما أو يومين ، فسار معهم فقتله الله . وهذا الحديث من أفراد البخارى ، وقد تقدم بأبسط من هذا السياق .

---

(١) أى : وهمى واعتقادى (٢) أى : رأى بقرا تنحر ، وقائلا يقول : الله خير

ومن ذلك : قصة أبي بن خلف الذى كان يعاف حصانا له ، فإذا مر برسول الله ﷺ يقول : إني سأقتلك عليه ، فيقول له رسول الله ﷺ : بل أنا أقتلك إن شاء الله ، فقتله يوم أحد كما قدمنا بسطه . ومن ذلك إخباره عن مصارع القتلى يوم بدر كما تقدم الحديث فى الصحيح : أنه جعل يشير قبل الوقعة إلى محلها ويقول : هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله ، وهذا مصرع فلان ، قال : فوالذى بعثه بالحق ما حاد أحد منهم عن مكانه الذى أشار إليه رسول الله ﷺ .

ومن ذلك: قوله لذلك الرجل الذى كان لا يترك للمشركين شاذة ولا فاذة إلا اتبعها ففراها بسيفه، وذلك يوم أحد ، وقيل : خيبر ـ وهو الصحيح ، وقيل : فى يوم حنين ، فقال الناس : ما أغنى أحد اليوم ما أغنى فلان ، يقال : إنه قزمان ، فقال : إنه من أهل النار ، فقال بعض الناس : أنا صاحبه ، فاتبعه فجرح فاستعجل الموت فوضع ذباب سيفه فى صدره ثم تحامل عليه حتى أنفذه ، فرجع ذلك الرجل فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، فقال : وما ذاك ؟ فقال: إن الرجل الذى ذكرت آنفا كان من أمره كيت وكيت ، فذكر الحديث كما تقدم .

ومن ذلك: إخباره عن فتح مدائن كسرى وقصور الشام وغيرها من البلاد يوم حفر الخندق ، لما ضرب بيده الكريمة تلك الصخرة فبرقت من ضربه ، ثم أخرى ، ثم أخرى كما قدمناه .

ومن ذلك: إخباره ﷺ عن ذلك الذراع أنه مسموم، فكان كما أخبر به ، اعترف اليهود بذلك ، ومات من أكل معه ـ بشر بن البراء بن معرور . ومن ذلك : ما ذكره عبد الرزاق عن معمر أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم : اللهم نج أصحاب السفينة ، ثم مكث ساعة ، ثم قال : قد استمرت . والحديث بتمامه فى دلائل النبوة للبيهقى ، وكانت تلك السفينة قد أشرفت على الغرق وفيها الأشعريون الذين قدموا عليه وهو بخيبر .

ومن ذلك: إخباره عن قبر أبى رغال ، حين مر عليه وهو ذاهب إلى الطائف، وأن معه غصناً من ذهب ، فحفروه فوجدوه كما أخبر ـ صلوات الله وسلامه عليه . رواه أبو داود من حديث أبى إسحاق عن إسماعيل بن أمية عن بجير بن أبى بجير ، عن عبد الله بن عمرو به .

ومن ذلك: قوله عليه السلام للأنصار ، لما خطبهم تلك الخطبة مسلياً لهم عما كان وقع فى نفوس بعضهم من الإيثار عليهم فى القسمة ، لما تألف قلوب من تألف من سادات العرب ورءوس قريش، وغيرهم ، فقال : أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وتذهبون برسول الله تحوزونه إلى رحالكم ؟ وقال : إنكم ستجدون بعدى أثرة ، فاصبروا حتى تلقونى على الحوض . وقال : إن الناس يكثرون وتقل الأنصار . وقال لهم فى الخطبة قبل هذه على الصفا : بل المحيا محياكم . والممات مماتكم ، وقد وقع جميع ذلك كما أخبر به سواء بسواء .

(.) الأثرة : حب الذات والأنانية

وقال البخاري : ثنا يحيى بن بكير ، ثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب قال: وأخبرني سعيد ابن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذي نفس محمد بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله . ورواه مسلم عن حرملة عن أبي وهب عن يونس به . وقال البخاري : ثنا قبيصة ، ثنا سفيان عن عبدالملك ابن عمير عن جابر بن سمرة رفعه : إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، وقال : لتنفقن كنوزهما في سبيل الله . وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم من حديث جرير ، وزاد البخاري وابن عوانة - ثلاثتهم ، عن عبد الملك بن عمير به . وقد وقع مصداق ذلك بعده في أيام الخلفاء الثلاثة: أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، استوثقت هذه الممالك فتحاً على أيدي المسلمين، وأنفقت أموال قيصر ملك الروم ، وكسرى ملك الفرس ، في سبيل الله ، على ماسنذكره بعد إن شاء الله . وفي هذا الحديث بشارة عظيمة للمسلمين ، وهي : أن ملك فارس قد انقطع فلا عودة له ، وملك الروم للشام قد زال عنها ، فلا يملكوها بعد ذلك ، ولله الحمد والمنة . وفيه دلالة على صحة خلافة أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، والشهادة لهم بالعدل ، حيث أنفقت الأموال المغنومة في زمانهم في سبيل الله على الوجه المرضي الممدوح .

وقال البخاري : ثنا محمد بن الحكم ، ثنا النضر ، ثنا إسرائيل ، ثنا سعد الطائي ، أنا محل ابن خليفة عن عدي بن حاتم ، قال : بينا أنا عند النبي ﷺ إذا أتاه رجل فشكى إليه الفاقة ، ثم أتاه آخر فشكى إليه قطع السبيل ، فقال : ياعدي هل رأيت الحيرة ؟ قلت : لم أرها ، وقد أنبئت عنها ، قال : فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة ماتخاف أحداً إلا الله عز وجل ، قلت فيما بيني وبين نفسي : فأين دعار[1] طيء الذين قد سعروا[2] البلاد ؟ . [ثم قال] :ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى ، قلت : كسرى بن هرمز ؟ قال: كسرى بن هرمز . ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه ، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له ، فليقولن له : ألم أبعث إليك رسولا فيبلغك ؟ فيقول : بلى ، فيقول : ألم أعطك مالا وولداً وأفضل عليك ؟ فيقول : بلى ، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم ، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم ، قال عدي : سمعت رسول الله ﷺ يقول : اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فإن لم تجد فبكلمة طيبة ، قال عدي : فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة فلا تخاف إلا الله عز وجل ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز . ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال

(١) دعار : جمع داعر وهو الشاطر المفسد ، والمراد : قطاع الطريق .

(٢) سعروا البلاد : أوقدوا فيها نار البغضاء والشحناء ، وأوقدوا بين أهلها الشقاق والشجار .

النبي أبو القاسم ﷺ يخرج ملء كفه . ثم رواه البخاري عن عبيد الله بن محمد — هو أبو بكر ابن أبي شيبة — عن أبي عاصم النبيل، عن سعدان بن بشر عن أبي مجاهد — سعد الطائي — عن مُحِل عنه به . وقد تفرد به البخاري من هذين الوجهين ، ورواه النسائي من حديث شعبة عن محل عنه : اتقوا النار ولو بشق تمرة .

وقد رواه البخاري من حديث شعبة ، ومسلم من حديث زهير — كلاهما عن أبي إسحق عن عبد الله بن مغفل عن عدي مرفوعاً : اتقوا النار ولو بشق تمرة . وكذلك أخرجاه في الصحيحين من حديث الأعمش عن خيثمة عن عبد الرحمن عن عديّ ، وفيهما من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن خَيثمة عن عديّ به . وهذه كلها شواهد لأصل هذا الحديث الذي أوردناه ، وقد تقدم في غزوة الخندق الإخبار بفتح مدائن كِسرى وقُصوره وقصور الشام وغير ذلك من البلاد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبيد ، ثنا إسماعيل عن قيس عن خَبّاب قال : أتينا رسول الله ﷺ وهو في ظل الكعبة متوسداً بُردةً له ، فقلنا : يارسول الله ، ادع الله لنا واستنصره ، قال : فاحمرّ لونه أو تغيّر ، فقال : لقد كان مَنْ قبلكم تُحفر له الحفيرة ويجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيُشَقّ — ما يصرفه عن دينه ، ويُمشط بأمشاط الحديد ما دُون عظم أو لحم أو عصَب — ما يصرفه عن دينه ، وليُتمّنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب ما بين صنعاء إلى حضرموت — مايخشى إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون . وهكذا رواه البخاري عن مسدد ، ومحمد بن المثنى عن يحيى بن سعيد ، عن إسماعيل بن أبي خالد به .

ثم قال البخاري في كتاب علامات النبوة : حدثنا سعيد بن شرحبيل ، ثنا ليث عن يزيد ابن أبي حبيب عن أبي الحسين عن عقبة عن النبي ﷺ أنه خرج يوماً فصلّى على أهل أُحُد صلاته على الميت ، ثم انصرف إلى المنبر فقال : أنا فَرَطكم[1] ، وأنا شهيد عليكم ، إني والله لأنظر إلى حوضي الآن ، وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض ، وإني والله ما أخاف بعدي أن تشركوا ، ولكني أخاف أن تنافسوا فيها . وقد رواه البخاري أيضاً من حديث حيَوة بن شريح ، ومسلم من حديث يحيى بن أيوب — كلاهما عن يزيد بن أبي حبيب كرواية الليث عنه .

ففي هذا الحديث مما نحن بصدده أشياء ، منها : أنه أخبر الحاضرين أنه فَرَطهم ، أي المتقدم عليهم في الموت ، وهكذا وقع ، فإن هذا كان في مرض موته عليه السلام . ثم أخبر أنه شهيد عليهم وإن تقدم وفاته عليهم . وأخبر أنه أعطى مفاتيح خزائن الأرض ، أي فتحت له البلاد كما جاء في

---

(١) أي : متقدمكم وسابقكم ورائدكم ، يقال : فرط القوم — أي تقدمهم إلى الورد لإرشادهم ولإصلاح الحوض والدلاء ونحوها .

حديث أبي هريرة المتقدم . قال أبو هريرة : فذهب رسول الله ﷺ وأنتم تفتحونها كَفراً كفراً أى بلداً بلداً . وأخبر أن أصحابه لا يشركون بعده ، وهكذا وقع ولله الحمد والمنة ، ولكن خاف عليهم أن يتنافسوا في الدنيا ، وقد وقع هذا في زمان علي ومعاوية رضي الله عنهما ثم من بعدهما ، وهلم جرا إلى وقتنا هذا . ثم قال البخاري : ثنا علي بن عبد الله ، أنا أزهر بن سعد، أنا ابن عون، أنبأني موسى بن أنس بن مالك عن أنس ، أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس ، فقال رجل : يارسول الله أنا أعلم لك علمه. فأتاه فوجده جالساً في بيته مُنَكِّساً رأسه، فقال: ما شأنك؟ فقال: شرٌّ كان يرفع صوته[1] فوق صوت النبي ﷺ ، فقد حبط عمله وهو من أهل النار، فأتى الرجل فأخبره أنه قال كذا وكذا ، قال موسى: فرجع المرة الآخرة ببشارة عظيمة، فقال: اذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار ، ولكن من أهل الجنة . تفرد به البخاري . وقد قتل ثابت بن قيس بن شماس شهيداً يوم اليمامة كما سيأتي تفصيله . وهكذا ثبت في الحديث الصحيح البشارة لعبد الله بن سلام أنه يموت على الإسلام ، ويكون من أهل الجنة ، وقد مات رضي الله عنه على أكمل أحواله وأجملها ، وكان الناس يشهدون له بالجنة في حياته لإخبار الصادق عنه بأنه يموت على الإسلام ، وكذلك وقع . وقد ثبت في الصحيح الإخبار عن العشرة بأنهم من أهل الجنة ، بل ثبت أيضاً الإخبار عنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة ، وكانوا ألفاً وأربعمائة ، وقيل : وخمسمائة ، ولم ينقل أن أحداً من هؤلاء رضي الله عنه عاش إلا حميداً ، ولا مات إلا على السداد والاستقامة والتوفيق ، ولله الحمد والمنة . وهذا من أعلام النبوات ، ودلالات الرسالة .

فصل في الإخبار بغيوب ماضية ومستقبلة

روى البيهقي من حديث إسرائيل ، عن سماك عن جابر بن سمرة قال : جاء رجل فقال : يارسول الله إن فلاناً مات ، فقال : لم يمت ، فعاد الثانية فقال : إن فلاناً مات ، فقال : لم يمت ، فعاد الثالثة فقال : إن فلاناً نحر نفسه بِمِشْقَص[2] عنده ، فلم يُصلِّ عليه . ثم قال البيهقي: تابعه زهير عن سماك ، ومن ذلك الوجه رواه مسلم مختصراً في الصلاة . وقال أحمد : حدثنا أسود بن عامر ، ثنا هريم بن سفيان عن سنان بن بشر عن قيس بن أبي حازم ، عن قيس بن أبي شهم قال : مرت بي جارية بالمدينة فأخذت بكشحها[3] ، قال : وأصبح الرسول ﷺ يبايع الناس ، قال : فأتيته فلم يبايعني ، فقال : صاحب الجُبيذة[4] ؟ قال : قلت : والله لا أعود ، قال : فبايعني . ورواه النسائي

(١) المراد : كنت أرفع صوتي . (٢) المشقص: نصل عريض أو سهم فيه ذلك، يرمى به الوحش . (٣) الكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف . (٤) الجبذ : الجذب .

عن محمد بن عبد الرحمن الحربي عن أسود بن عامر به ثم رواه أحمد عن سريج عن يزيد بن عطاء عن سنان بن بشر، عن قيس عن أبي هاشم فذكره .

وفي صحيح البخاري ، عن أبي نعيم عن سفيان عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر قال : كنا نتقي الكلام والانبساط إلى نسائنا في عهد رسول الله ﷺ خشية أن ينزل فينا شيء ، فلما توفي تكلمنا وانبسطنا . وقال ابن وهب : أخبرني عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال عن أبي حازم عن سهل بن سعد أنه قال : والله لقد كان أحدنا يكف عن الشيء مع امرأته وهو إياها في ثوب واحد تخوفاً أن ينزل فيه شيء من القرآن . وقال أبو داود : ثنا محمد بن العلاء ثنا ابن إدريس ، ثنا عاصم بن كليب، عن أبيه عن رجل من الأنصار قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فرأيت رسول الله ﷺ وهو على القبر يُوصي الحافر: أوسع من قِبل رجليه ، أوسع من قبل رأسه ، فلما رجع استقبله داعي امرأة ، فجاء وجيء بالطعام فوضع يده فيه ووضع القوم أيديهم فأكلوا ، فنظر آباؤنا رسول الله ﷺ يلوك لقمة في فيه ، ثم قال : أجد لحم شاة أخذت بغير إذن أهلها، قال: فأرسلت المرأة: يارسول الله إني أرسلت إلى البقيع[1] [من] يشتري لي شاة فلم توجد ، فأرسلت إلى جار لي قد اشترى شاة : أن أرسل بها إليّ بثمنها فلم يوجد ، فأرسلتُ إلى امرأته فأرسلت إليّ بها ، فقال رسول الله ﷺ : أطعميه الأسارى .

فصل في ترتيب الإخبار بالغيوب المستقبلة بعده عليه الصلاة والسلام

ثبت في صحيح البخاري ومسلم، من حديث الأعمش عن أبي وائل ، عن حذيفة بن اليمان قال : قام رسول الله ﷺ فينا مقاماً ماترك فيه شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره ، عَلِمه مَنْ عَلِمه ، وجَهِلهُ مَن جهله ، وقد كنت أرى الشيء قد كنت نسيته فأعرفه كما يعرف الرجل الرجل إذا غاب عنه فرآه فعرفه . وقال البخاري : ثنا يحيى بن موسى ، حدثنا الوليد ، حدثني ابن جابر ، حدثني بشر بن عبيد الله الحضرمي، حدثني أبو إدريس الخولاني أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشرّ مخافة أن يدركني ، فقلت : يارسول الله إنا كنا في جاهلية وشرّ ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شرّ ؟ قال : نعم ، قلت : وهل بعد ذلك الشرّ من خير ؟ قال : نعم ، وفيه دَخَن[2] . قلت : وما دَخَنه ؟ فقال : قوم يَهدُون بغير هَديي تعرف منهم وتُنكِر . قلت : فهل بعد ذلك الخير

---

(١) البقيع : الموضع فيه أروم الشجر من ضروب شق ، واسم لموضع بالمدينة .

(٢) الدخن : هو الدخان ، يريد : أنه ليس خالصاً ولا صافيا .

من شر ؟ قال : نعم ، دُعاة على أبواب جهنم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها . قلت : يا رسول الله صفهم لنا ، قال : هم من جِلدتنا[1] ويتكلمون بألسنتنا . قلت : فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك . وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم عن محمد بن المثنى ، عن الوليد عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن جابر به.

قال البخاري : ثنا محمد بن المثنى ، ثنا يحيى بن سعيد ، عن إسماعيل عن قيس عن حذيفة قال : تعلّم أصحابي الخير ، وتعلّمتُ الشر . تفرد به البخاري ، وفي صحيح مسلم من حديث شعبة عن عدي بن ثابت عن عبد الله بن يزيد عن حذيفة قال : لقد حدثني رسول الله ﷺ بما يكون حتى تقوم الساعة ، غيرَ أني لم أسأله ما يُخرج أهل المدينة منها . وفي صحيح مسلم من حديث علي بن أحمر عن أبي يزيد - عمرو بن أخطب - قال : أخبرنا رسول الله ﷺ بما كان وبما هو كائن إلى يوم القيامة ، فأعلمنا أحفظنا . وفي الحديث الآخر : حتى دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار . وقد تقدم حديث خبّاب بن الأرتّ : والله ليتمنّ الله هذا الأمر ولكنكم تستعجلون . وكذا حديث عدي بن حاتم في ذلك ، وقال الله تعالى : (ليُظْهِرَه على الدِّين كلِّه[2])، وقال تعالى (وَعَدَ اللهُ الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض[3]) الآية . وفي صحيح مسلم من حديث أبي نضرة عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مُستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون . فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، فإنّ أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء . وفي حديث آخر : ما تركت بعدي فتنةً هي أضرُّ على الرجال من النساء . وفي الصحيحين من حديث الزهري عن عروة بن المسور ، عن عمرو بن عوف ، فذكر قصة بعث أبي عبيدة إلى البحرين قال : وفيه قال رسول الله ﷺ : أبشروا وأمّلوا ما يَسُرّكم ، فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى أن تُبسط عليكم الدنيا كما بُسطت على مَن كان قبلكم فتتنافسوها كما تنافسوها ، فتهلككم كما أهلكتهم .

وفي الصحيحين من حديث سفيان الثوري ، عن محمد بن المُنكدِر عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : هل لكم من أنماط[4] ؟ قال: قلت : يا رسول الله وأنى يكون لنا أنماط ؟ فقال:

---

(١) جلدة الشيء : ظاهره ، يريد : أنهم من العرب .

(٢) من الآية : ٣٣ من سورة التوبة ، ٢٨ من سورة الفتح ، ٩ من سورة الصف .

(٣) من الآية : ٥٥ من سورة النور (٤) جمع نمط ، وهو : بساط له هدب رقيق .

أما إنه ستكون لكم أنماط ، قال : فأنا فأقول لامرأتى : نحّى عنى أنماطك ، فتقول : ألم يقل رسول الله : إنها ستكون لكم أنماط ؟ فأتركها . وفى الصحيحين والمسانيد والسنن وغيرها من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير ، عن سفيان بن أبى زهير قال : قال رسول الله ﷺ تفتح اليمن فيأتى قوم يبسون فيحملون بأهليهم ومن أطاعهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون . كذلك رواه عن هشام بن عروة جماعة كثيرون ، وقد أسنده الحافظ ابن عساكر من حديث مالك وسفيان بن عيينة وابن جريج وأبو معاوية ومالك بن سعد بن الحسن وأبو ضمرة أنس بن عياض، وعبد العزيز بن أبى حازم ، وسلمة بن دينار، وجرير ابن عبد الحميد . ورواه أحمد ، عن يونس عن حماد بن زيد عن هشام بن عروة ، وعبد الرزاق عن ابن جريج عن هشام ، ومن حديث مالك عن هشام به بنحوه . ثم روى أحمد عن سليمان ابن داود الهاشمى عن إسماعيل بن جعفر : أخبرنى يزيد بن خصيفة ، أن بشر بن سعيد أخبره أنه سمع فى مجلس المكيين يذكرون أن سفيان أخبرهم، فذكر قصة وفيها: أن رسول الله ﷺ قال له : ويوشك الشام أن يفتح ، فيأتيه رجال من هذا البلد — يعنى المدينة — فيعجبهم ربعهم[1] ورخاؤه، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ثم يفتح العراق فيأتى قوم يبسون فيحملون بأهليهم ومن أطاعهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وأخرجه ابن خزيمة من طريق إسماعيل ، ورواه الحافظ ابن عساكر من حديث أبى ذر عن النبى ﷺ بنحوه . وكذلك حديث ابن حوالة ، ويشهد لذلك : منعت الشام مدّها ودينارها ، ومنعت العراق درهمها وقفيزها ، ومنعت مصر إردبها ودينارها ، وعدتم من حيث بدأتم ، وهو فى الصحيح . وكذا حديث : المواقيت لأهل الشام واليمن ، وهو فى الصحيحين، وعند مسلم : ميقات أهل العراق ، ويشهد لذلك أيضاً حديث : إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله عز وجل .

وفى صحيح البخارى، من حديث أبى إدريس الخولانى ، عن عوف بن مالك أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك : اعدد ستاً بين يدى الساعة ، فذكر موته عليه السلام ، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان[2] وهو الوباء ، ثم كثرة المال ، ثم فتنة ، ثم هدنة بين المسلمين والروم ، وسيأتى الحديث فيما بعد . وفى صحيح مسلم من حديث عبد الرحمن بن شماسة عن أبى ذر قال : قال رسول الله ﷺ : إنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيراً ؛ فإن لهم ذمة ورحما ، فإذا رأيت رجلين يختصمان فى موضع لبنة فاخرج منها

(١) الربع : الموضع يرتبعون فيه فى الربيع (٢) الموتان ـ بضم الميم وفتحها ـ الموت يقع فى المال والماشية

قال : فمر بربيعة وعبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة يختصمان فى موضع لبنة تخرج منها — يعنى ديار مصر على يدى عمرو بن العاص فى سنة عشرين كما سيأتى . وروى ابن وهب عن مالك، والليث عن الزهرى ، عن ابن لكعب بن مالك ، أن رسول الله ﷺ قال : إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً ؟ فإن لهم ذمة ورحماً رواه البيهقى من حديث إسحق بن راشد عن الزهرى ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه وحكى أحمد بن حنبل عن سفيان بن عيينة أنه سئل عن قوله : ذمة ورحماً ، فقال : من الناس من قال : إن أم إسماعيل — هاجر — كانت قبطية ، ومن الناس من قال : أم إبراهيم ، قلت : الصحيح الذى لا شك فيه أنهما قبطيتان كما قدمنا ذلك ، ومعنى قوله : ذمة ، يعنى بذلك هدية المقوقس إليه وقبوله ذلك منه ، وذلك نوع ذمام ومهادنة ، والله تعالى أعلم .

وتقدم ما رواه البخارى من حديث محل بن خليفة عن عدى بن حاتم، فى فتح كنوز كسرى وانتشار الأمن ، وفيضان المال حتى لا يتقبله أحد . وفى الحديث: أن عدياً شهد الفتح ورأى الظعينة ترتحل من الحيرة إلى مكة لا تخاف إلا الله ، قال : ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال أبو القاسم ﷺ ، من كثرة المال حتى لا يقبله أحد . قال البيهقى : وقد كان ذلك فى زمن عمر بن عبد العزيز ، قلت : ويحتمل أن يكون ذلك متأخراً إلى زمن المهدى كما جاء فى صفته ، أو إلى زمن نزول عيسى بن مريم عليه السلام بعد قتله الدجال ، فإنه قد ورد فى الصحيح : أنه يقتل الخنزير ، ويكسر الصليب ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، والله تعالى أعلم .

وفى صحيح مسلم من حديث ابن أبى ذئب ، عن مهاجر بن مسمار ، عن عامر بن سعد ، عن جابر بن سمرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يزال هذا الدين قائماً ما كان اثنا عشر خليفة كلهم من قريش ، ثم يخرج كذابون بين يدى الساعة ، وليفتحن عصابة من المسلمين كنز القصر الأبيض — قصر كسرى ، وأنا فرطكم على الحوض . . الحديث بمعناه . وتقدم حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبى هريرة مرفوعاً : إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، والذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله عز وجل . أخرجاه ، وقال البيهقى : المراد زوال ملك قيصر عن الشام ، ولا يبقى فيها ملكه على الروم ، لقوله عليه السلام — لما عظم كتابه : ثبت الله ملكه . وأما ملك فارس فزال بالكلية ؛ لقوله : مزق الله ملكه .

وقد روى أبو داود عن محمد بن عبيد، عن حماد عن يونس عن الحسن ، أن عمر بن الخطاب — ورويناه فى طريق أخرى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه — لما جىء بفروة كسرى وسيفه ومنطقته وتاجه وسواريه ، ألبس ذلك كله لسراقة بن مالك بن جعشم ، وقال : قل الحمد لله الذى ألبس ثياب كسرى لرجل أعرابى من البادية ، قال الشافعى : إنما ألبسه ذلك لأن النبى ﷺ قال لسراقة

ـ ونظر إلى ذراعيه ـ : كأنى بك وقد لبست سوارى[1] كسرى ، والله أعلم . وقال سفيان ابن عيينة : عن إسماعيل بن أبى خالد، عن قيس بن أبى حازم عن عدى بن حاتم قال : قال رسول الله ﷺ مُثّلت لى الحيرة كأنياب الكلاب ، وإنكم ستفتحونها ، فقام رجل فقال : يارسول الله هب لى ابنته نفيلة ، قال : هى لك ، فأعطوه إياها ، فجاء أبوها فقال : أتبيعها ؟ قال : نعم ، قال : فبكم ؟ احكم ما شئت ، قال : ألف درهم ، قال : قد أخذتها ، فقالوا له : لو قلت ثلاثين ألفاً لأخذها ، فقال : وهل عدد أكثر من ألف ؟

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، ثنا معاوية عن ضمرة بن حبيب، أن ابن زغب الأيادى حدثه قال : نزل علىّ عبد الله بن حَوَالة الأزدى فقال لى : بعثنا رسول الله ﷺ حول المدينة على أقدامنا لنغنم ، فرجعنا ولم نغنم شيئاً ، وعرف الجهد فى وجوهنا ، فقام فينا فقال : اللهم لا تكلهم إلىّ فأضعف ، ولا تكلهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها ، ولا تكلهم إلى الناس فيستأثروا عليهم ، ثم قال : لتفتحنّ لكم الشام والروم وفارس ، أو الروم وفارس ، وحتى يكون لأحدكم من الإبل كذا وكذا ، ومن البقر كذا وكذا ، ومن الغنم كذا وكذا ، وحتى يُعطَى أحدكم مائة دينار فيسخطها . ثم وضع يده على رأسى ـ أو على هامتى ـ فقال: يا ابن حَوالة ، إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة ، فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام ، والساعة يومئذ أقرب إلى الناس من يَدى هذه من رأسك ورواه أبو داود من حديث معاوية بن صالح .

وقال أحمد : حدثنا حَيوة بن شريح ، ويزيد بن عبد ربه قالا : ثنا بقية ، حدثنى بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن أبى قُتيلة عن ابن حَوالة أنه قال : قال رسول الله ﷺ : سيصير الأمر إلى أن تكون جنود مُجندة ؛ جند بالشام ، وجند باليمن ، وجند بالعراق ، فقال ابن حَوالة : خِرْ لى يا رسول الله إن أدركت ذلك ، فقال : عليك بالشام فإنه خيرة الله من أرضه، يجتبى إليه خيرته من عباده ، فإن أبيتم فعليكم بيمنكم واسقوا من غدره ، فإن الله تكفل لى بالشام وأهله . وهكذا رواه أبو داود عن حيوة بن شريح به . وقد رواه أحمد أيضاً عن عصام بن خالد وعلى بن عباس ـ كلاهما عن جرير بن عثمان عن سليمان بن سمير عن عبد الله بن حَوالة ، فذكر نحوه . ورواه الوليد ابن مسلم الدمشقى عن سعيد بن عبد العزيز عن مكحول ، وربيعة بن يزيد عن أبى إدريس عن عبد الله ابن حَوالة به . وقال البيهقى : أنا أبو الحسين بن الفضل القطان ، أنا عبد الله بن جعفر ، ثنا يعقوب ابن سفيان ، ثنا عبد الله بن يوسف ، ثنا يحيى بن حمزة ، حدثنى أبو علقمة ـ نصر بن علقمة ـ يروى الحديث

---

(١) السوار : حلية توضع فى معصم اليد

إلى جبير بن نفير ، قال : قال عبد الله بن حوالة : كنا عند رسول الله ﷺ فشكونا إليه العُرى والفقر ، وقلة الشيء ، فقال : أبشروا فوالله لأنا بكثرة الشيء أخوَفُني عليكم من قلته ، والله لا يزال هذا الأمر فيكم حتى يَفتح الله عليكم أرضَ الشام — أو قال : أرض فارس ، وأرض الروم وأرض حمير . وحتى تكونوا أجناداً ثلاثة ؛ جنداً بالشام ، وجنداً بالعراق ، وجنداً باليمن . وحتى يعطى الرجل المائة دينار فيسخطها قال ابن حَوالة : قلت : يارسول الله ، ومن يستطيع الشام وبه الروم ذوات القرون[1] ؟ فقال : والله ليفتحها الله عليكم ، وليستخلفنكم فيها حتى تظل العصابة منهم ، البيض قمصهم ، المحلقة أقفاؤهم ، قياماً على الرجل الأسود منكم المحلوق ما يأمرهم من شيء فعلوه ... وذكر الحديث قال أبو علقمة : سمعت عبد الرحمن بن مهدى يقول : فعرف أصحاب رسول الله نعت هذا الحديث فى جَزء بن سهيل السلمى ، وكان على الأعاجم فى ذلك الزمان ، فكانوا إذا راحوا إلى المسجد نظروا إليه وإليهم قياماً حوله ، فيعجبون لنعت رسول الله ﷺ فيه وفيهم .

وقال أحمد : حدثنا حجاج ، ثنا الليث بن سعد ، حدثنى يزيد بن أبى حبيب عن ربيعة بن لقيط التجيبى ، عن عبد الله بن حوالة الأزدى ، أن رسول الله ﷺ قال : من نجا من ثلاث فقد نجا ، قالوا : ماذا يا رسول الله : قال : موتى ، ومن قتل خليفة مصطبر بالحق يعطيه ، والدجال .

وقال أحمد : ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، ثنا الجريرى عن عبد الله بن شقيق عن عبد الله بن حَوالة قال : أتيت على رسول الله ﷺ وهو جالس فى ظل دومة ، وهو عنده كاتب له يملى عليه ، فقال : ألا نكتبك يا ابن حوالة ؟ قلت : فيم يارسول الله؟ فأعرض عنى وأكب على كاتبه يملى عليه ، ثم قال : ألا نكتبك يا ابن حَوالة ؟ قلت : لا أدرى ماخار الله لى ورسوله ، فأعرض عنى وأكب على كاتبه يملى عليه ، ثم قال : ألا نكتبك يا ابن حوالة ؟ قلت : لا أدرى ماخار الله لى ورسوله ؟ فأعرض عنى وأكب على كاتبه يُملى عليه ، قال : فنظرت فإذا فى الكتاب عمر ، فقلت : لا يكتب عُمر إلا فى خير ، ثم قال : أنكتبك يا ابن حوالة ؟ قلت : نعم ، فقال : يا ابن حوالة ، كيف تفعل فى فِتنة تخرج فى أطراف الأرض كأنها صَيَاصِى[2] بقر ؟ قلت : لا أدرى ما خار الله لى ورسوله ، قال : فكيف تفعل فى أخرى تخرج بعدها كأن الأولى منها انتفاجة[3] أرنب ؟ قلت : لا أدرى ما خار الله لى ورسوله ، قال : ابتغوا هذا ، قال : ورجل مُقَفى[4] حينئذ ، قال :

---

(١) أى : الذين توارثوا الملك قرونا كثيرة . والقرن ١٠٠ سنة على الصحيح

(٢) أى : قرون بقر ، والمفرد : صيصة ، وشبهت بها الفتنة لشدتها .

(٣) نفج الأرنب : ثار . (٤) أى : مذبوح من قفاه .

فانطلقت فسعيت وأخذت بمنكبه فأقبلت بوجهه إلى رسول الله ﷺ ، فقلت : هذا ؟ قال : نعم ، قال : فإذا هو عثمان بن عفان رضى الله عنه .

وثبت فى صحيح مسلم من حديث يحيى بن آدم عن زهير بن معاوية، عن سهل عن أبيه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : مَنعت العراق درهمها وقفيزها ، ومنعت الشام مُدّها ودينارها ، ومنعت مصر إردبها ودينارها ، وعدتم من حيث بدأتم ، وعدتم من حيث بدأتم ، وعدتم من حيث بدأتم ، شهد على ذلك لحم أبى هريرة ودمه . وقال يحيى بن آدم وغيره من أهل العلم : هذا من دلائل النبوة حيث أخبر عما ضربه عُمر على أرض العراق من الدراهم والقفزان ،وعما ضرب من الخراج بالشام ومصر قبل وجود ذلك ، صلوات الله وسلامه عليه . وقد اختلف الناس فى معنى قوله عليه السلام : مَنعت العراق . الخ ، فقيل : معناه أنهم يسلمون فيسقط عنهم الخراج، ورجّحه البيهقى ، وقيل : معناه أنهم يرجعون عن الطاعة ولا يؤدون الخراج المضروب عليهم ، ولهذا قال : وعُدتم من حيث بدأتم ؛ أى رَجعتم إلى ما كنتم عليه قبل ذلك ، كما ثبت فى صحيح مسلم : إن الإسلام بَدأ غريباً وسيعود غريباً فطوبَى للغرباء . ويؤيد هذا القول ما رواه الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل عن الجريرى عن أبى نصرة قال : كنا عند جابر بن عبد الله فقال : يوشك أهل العراق أن لايجىء إليهم قَفيز ولا درهم ، قلنا : من أين ذلك ؟ قال : من قبل العجم، يمنعون ذلك . ثم قال : يوشك أهل الشام أن لايجىء إليهم دينار ولا مُدّ ، قلنا : من أين ذاك ؟ قال : من قبل الرّوم ، يمنعون ذلك . قال : ثم سكت هنيهة ، ثم قال : قال رسول الله ﷺ : يكون فى آخر أمتى خليفة يَحثى[1] المال حَثياً ، لا يعدّه عداً ، قال الجريرى : فقلت لأبى نصرة وأبى العلاء : أتريانه عمر بن عبد العزيز ؟ فقالا : لا. وقد رواه مسلم من حديث إسماعيل بن إبراهيم بن علية وعبد الوهاب الثقفى ـ كلاهما عن سعيد بن إياس الجريرى ، عن أبى نضرة المنذر بن مالك بن قطعة العبدى عن جابر كما تقدم . والعجب أن الحافظ أبا بكر البيهقى احتج به على مارجّحه من أحد القولين المتقدمين ، وفيما سلكه نظر ، والظاهر خلافه . .

وثبت فى الصحيحين من غير وجه ، أن رسول الله ﷺ وقّت لأهل المدينة ذا الحليفة ولأهل الشام الجحفة ، ولأهل اليمنَ يلملم . وفى صحيح مسلم عن جابر : ولأهل العراق ذات عرق، فهذا من دلائل النبوة ، حيث أخبر عما وقع من حج أهل الشام واليمن والعراق ـ صلوات الله وسلامه عليه . وفى الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار ، عن جابر ، عن أبى

---

(١) أى: يرميه ويدفعه جملة ، والحثى : مارفعت به يدك.

سعيد قال : قال رسول الله ﷺ ليأتين على الناس زمان يغزو فيه فئام[1] من الناس ، فيقال لهم : هل فيكم من صحب رسول الله ﷺ ؟ فيقال : نعم ، فيفتح الله لهم . ثم يأتى على الناس زمان فيغزو فئام من الناس ، فيقال لهم : هل فيكم من صحب أصحاب رسول الله ﷺ ؟ فيقال : نعم ، فيفتح لهم . ثم يأتى على الناس زمان يغزو فيه فئام من الناس ، فيقال : هل فيكم من صحب من صاحبهم ؟ فيقال : نعم ، فيفتح الله لهم . وثبت فى الصحيحين من حديث ثور بن زيد عن أبى الغيث ، عن أبى هريرة قال : كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ فأنزلت عليه سورة الجمعة (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم)[2] فقال رجل : من هؤلاء يا رسول الله ؟ فوضع يده على سلمان الفارسى وقال : لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء ، وهكذا وقع كما أخبر به عليه السلام.

وروى الحافظ البيهقى من حديث محمد بن عبد الرحمن بن عوف ، عن عبد الله بن بشر قال : قال رسول الله ﷺ : والذى نفسى بيده لتفتحن عليكم فارس والروم ، حتى يكثر الطعام فلا يذكر عليه اسم الله عز وجل . وروى الإمام أحمد والبيهقى وابن عدى وغير واحد ، من حديث أوس بن عبد الله بن بريدة ، عن أخيه سهل ، عن أبيه عبد الله بن بريدة بن الخصيب مرفوعاً : ستبعث بعوث ، فكن فى بعث خراسان ، ثم اسكن مدينة مرو ، فإنه بناها ذو القرنين ، ودعا لها بالبركة ، وقال : لا يصيب أهلها سوء . وهذا الحديث يعد من غرائب المسند ، ومنهم من يجعله موضوعاً ، فالله أعلم . وقد تقدم حديث أبى هريرة ، من جميع طرقه فى قتال الترك ، وقد وقع ذلك كما أخبر به سواء بسواء ، وسيقع أيضاً . وفى صحيح البخارى من حديث شعبة عن فرات القزاز ، عن أبى حازم ، عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال : كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما هلك نبى خلفه نبى ، وإنه لا نبى بعدى ، وإنه سيكون خلفاء فيكثرون ، قالوا : فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال : فوا ببيعته الأول فالأول ، وأعطوهم حقهم ؛ فإن الله سائلهم عما استرعاهم . وفى صحيح مسلم من حديث أبى رافع عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : ما كان نبى إلا كان له حواريون[3] يهدون بهديه ، ويستنون بسنته ، ثم يكون من بعدهم خلوف[4] يقولون مالا يفعلون ، ويعملون ما ينكرون . وروى الحافظ البيهقى من حديث عبد الله بن الحرث ، بن محمد بن حاطب الجمحى ، عن إسماعيل بن أبى صالح عن أبيه ، عن أبى هريرة

---

(١) الفئام : الجماعة من الناس ، ولا واحد له (٢) من الآية : ٣ من السورة المذكورة

(٣) أى : نصراء ، جمع حوارى وهو ناصر الأنبياء . ويغلب الحواريون على أصحاب عيسى عليه السلام قيل سموا بذلك لأنهم كانوا يلبسون ثيابا بيضاء ، من حور الثوب : بيضه ، وقيل : لأن صناعتهم كانت تحوير الثياب . (٤) أى أتباع سوء ، جمع خلف وهو : من لا خير فيه .

قال : قال رسول الله ﷺ : يكون بعد الأنبياء خُلفاء يعملون بكتاب الله ، ويعملون فى عبادة الله . ثم يكون من بعد الخلفاء ملوك يأخذون بالثأر ، ويقتلون الرجال ، ويصطفون الأموال ، فمغير بيده ، ومغير بلسانه ، وليس وراء ذلك من الإيمان شىء .

وقال أبو داود الطيالسى : ثنا جرير بن حازم عن ليث عن عبد الرحمن بن سابط عن أبى ثعلبة الخشنى ، عن أبى عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل ، عن النبى ﷺ قال : إن الله بدأ هذا الأمر نُبوّة ورحمة ، وكائنا خلافة ورحمة ، وكائنا ملكا عَضُوضا[1] ، وكائنا عزةَ وجبرية وفساداً فى الأمة ، يستحلون الفروج والخمور والحرير ، وينصرون على ذلك ، ويرزقون أبداً حتى يلقوا الله عز وجل ، وهذا كله واقع . وفى الحديث الذى رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى – وحسنه – والنسائى من حديث سعيد بن جهمان ، عن سَفينة مولى رسول الله ، أن رسول الله ﷺ قال : الخلافة بعدى ثلاثون سنة ، ثم تكون مُلكا ، وفى رواية : ثم يُؤتى الله مُلكه من يشاء ، وهكذا وقع سواء ؛ فإن أبا بكر رضى الله عنه كانت خلافته سنتين وأربعة أشهر إلا عشر ليال . وكانت خلافة عمر عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام . وخلافة عثمان اثنتا عشرة سنة إلا اثنا عشر يوماً . وكانت خلافة على بن أبى طالب خمس سنين إلا شهرين . قلت : وتكميل الثلاثين بخلافة الحسن بن على نحواً من ستة أشهر ، حتى نزل عنها لمعاوية عام أربعين من الهجرة ، كما سيأتى بيانه وتفصيله . وقال يعقوب بن سفيان : حدثنى محمد بن فضيل ، ثنا مؤمل ، ثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن عبد الرحمن بن أبى بكرة ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : خلافة نُبوّة ثلاثون عاماً ، ثم يؤتى الله ملكه من يشاء ، فقال معاوية : رضينا بالملك .

وهذا الحديث فيه رد صريح على الروافض المنكرين لخلافة الثلاثة ، وعلى النواصب[2] من بنى أمية ومن تبعهم من أهل الشام ، فى إنكار خلافة على بن أبى طالب ، فان قيل : فما وجه الجمع بين حديث سفينة هذا – وبين حديث جابر بن سمرة المتقدم فى صحيح مسلم : لا يزال هذا الدين قائما ما كان فى الناس اثنا عشر خليفة كلهم من قريش ؟ فالجواب : أن من الناس من قال : إن الدين لم يزل قائما حتى ولى اثنا عشر خليفة ، ثم وقع تخبيط بعدهم فى زمان بنى أمية ، وقال آخرون : بل هذا الحديث فيه بشارة بوجود اثنى عشر خليفة عادلا من قريش ، وإن لم يوجدوا على الولاء ، وإنما اتفق وقوع الخلافة المتتابعة بعد النبوة فى ثلاثين سنة . ثم كان بعد ذلك خلفاء راشدون ، فيهم عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموى رضى الله عنه ، وقد نص على خلافته وعدله وكونه من الخلفاء الراشدين – غير واحد من الأئمة ، حتى قال أحمد بن حنبل

---

(١) أى : يعض عليه ، وفيه عسف وظلم

(٢) النواصب : المتدينون ببغض على رضى الله عنه ، سموا بذلك لأنهم نصبوا له – أى عادوه .

رضي الله عنه : ليس قول أحد من التابعين حجة ، إلا قول عمر بن عبد العزيز . ومنهم من ذكر من هؤلاء : المهدى بأمر الله العباسى ، والمهدى المبشر بوجوده فى آخر الزمان منهم أيضاً بالنص على كونه من أهل البيت ، واسمه : محمد بن عبد الله ، وليس بالمنتظر فى سرداب سامرّا ؛ فإن ذاك ليس بموجود بالكلية ، وإنما ينتظره الجهلة من الروافض . وقد تقدم فى الصحيحين من حديث الزهرى عن عروة عن عائشة، أن رسول الله ﷺ قال: لقد هممت أن أدعو أباك وأخاك وأكتب كتابا لئلا يقول قائل ، أو يتمنى متمنٍ . ثم قال رسول الله ﷺ : يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر ، وهكذا وقع ؛ فإن الله ولاه وبايعه المؤمنون قاطبة كما تقدم .

وفى صحيح البخارى : أنّ امرأة قالت : يارسول الله أرأيتَ إن جئتُ فلم أجدك ؟ – كأنها تعرض بالموت – فقال : إن لم تجدينى فأتِ أبا بكر . وثبت فى الصحيحين من حديث ابن عمر وأبى هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : بينا أنا نائم رأيتنى على قَليبٍ[1] ، فنزعتُ منها ماشاء الله ، ثم أخذها ابن أبى قحافة فنزع منها ذَنوبا[2] أو ذَنُوبين . وفى نَزْعه ضعف والله يغفر له . ثم أخذها ابن الخطاب فاستحالت غَرْباً[3] ، فلم أر عبقريا من الناس يَفرى فَرِيَّه[4] ، حتى ضرب الناسُ بعَطن[5] .

قال الشافعى رحمه الله : رؤيا الأنبياء وحى ، وقوله : وفى نزعه ضعف – قصر مدته ، وعجلة موته ، واشتغاله بحرب أهل الردة عن الفتح الذى ناله عمر بن الخطاب فى طول مدته . قلت : وهذا فيه البشارة بولايتهما على الناس ، فوقع كما أخبر سواء ، ولهذا جاء فى الحديث الآخر الذى رواه أحمد والترمذى وابن ماجة وابن حبان ، من حديث رِبعى بن خراش عن حذيفة بن اليمان ، عن النبى ﷺ أنه قال : اقتدوا باللَّذَيْن من بعدى ، أبى بكر ، وعمر رضى الله عنهما . وقال الترمذى : حسن ، وأخرجه من حديث ابن مسعود عن النبى ﷺ ، وتقدم من طريق الزهرى عن رجل عن أبى ذر حديث تسبيح الحصى فى يد رسول الله ، ثم يد أبى بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، وقوله عليه السلام : هذه خلافة النبوة .

---

(١) القليب : البئر قبل أن تبنى بالحجارة ونحوها . وقيل : هى البئر العادية القديمة

(٢) الذنوب : الدلو الملأى ماء ، ولا يقال لها ذنوب وهى فارغة .

(٣) الغرب : الدلو العظيمة .

(٤) أى : يأتى بالعجب فى عمله مثله ، والفرى – الأمر العظيم .

(٥) العطن : مبرك الابل : يضرب مثلا لاتساع الناس فى زمن عمر وما فتح عليهم من الأمصار ، فإن الإبل إذا رويت بركت حول الماء لتعود مرة أخرى للشرب .

وفى الصحيح عن أبى موسى قال : دخل رسول الله ﷺ حائطاً[1] فدلى رجليه فى السقف[2] فقلت : لأكونن اليوم بواب رسول الله ﷺ ، فجلست خلف الباب ، فجاء رجل فقال : افتح ، فقلت : مَن أنت ؟ قال : أبو بكر ، فأخبرت رسول الله ﷺ ، فقال : افتح له وبشّره بالجنة . ثم جاء عمر فقال كذلك ، ثم جاء عثمان فقال ائذن له وبشّره بالجنة على بلوى تصيبه ، فدخل وهو يقول : الله المستعان . وثبت فى صحيح البخارى من حديث سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس قال : صعد رسول الله ﷺ أحُداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ، فرجف بهم الجبل فضربه رسول الله ﷺ برجله وقال : اثبت ، فإنما عليك نبىّ وصديق وشهيدان . وقال عبد الرزاق : أنا معمر عن أبى حازم عن سهل بن سعد ، أنّ حِراء ارتجّ وعليه النبى ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان ، فقال النبى ﷺ : اثبت ماعليك إلا نبىّ وصديق وشهيدان. قال معمر: قد سمعت قتادة عن النبى ﷺ مثله : وقد روى مسلم عن قتيبة عن الدراوردى عن سهيل عن أبيه عن أبى هريرة ، أن رسول الله ﷺ كان على حِراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلىّ وطلحة والزبير ، فتحركت الصخرة ، فقال النبى ﷺ : اهدأ فما عليك إلا نبىّ أو صديق أو شهيد . وهذا من دلائل النبوة ، فإن هؤلاء كلهم أصابوا الشهادة ، واختص رسول الله ﷺ بأعلى مراتب الرسالة والنبوة ، واختص أبو بكر بأعلى مقامات الصديقية. وقد ثبت فى الصحيح: الشهادة للعشرة بالجنة ، بل لجميع من شهد بيعة الرضوان عام الحديبية ، وكانوا ألفاً وأربعمائة ، وقيل : وثلثمائة ، وقيل : وخمسمائة ، وكلهم استمر على السداد والاستقامة حتى مات رضى الله عنهم أجمعين . وثبت فى صحيح البخارى البشارة لعكاشة بأنه من أهل الجنة فقتل شهيداً يوم اليمامة .

وفى الصحيحين من حديث يونس عن الزهرى ، عن سعيد عن أبى هريرة ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : يدخل الجنة من أُمّتى سبعون ألفاً بغير حساب ، تُضىء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر ، فقام عُكاشة بن محصن الأسدى يجر نَمِرة عليه ، فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال النبى ﷺ : اللهم اجعله منهم ، ثم قال رجل من الأنصار فقال : يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال : سبقك بها عُكاشة . وهذا الحديث قد روى من طرق متعددة تفيد القطع ، وسنورده فى باب صفة الجنة وسنذكر فى قتال أهل الردة ، أنّ طلحة الأسدى قتل عُكاشة بن محصن شهيداً رضى الله عنه ، ثم رجع طلحة الأسدى عما كان يدّعيه من النبوة وتاب إلى الله ، وقدم على أبى بكر الصديق واعتمر وحسن إسلامه . وثبت فى الصحيحين من حديث أبى هريرة ، أنّ رسول الله ﷺ قال : بينا أنا نائم رأيت كأنه وُضع فى يدى سِوَاران

(١) أى : بستانا . (٢) السقف : حافة البئر .

فقطعتهما ، فأوحى إلىّ فى المنام : أن انفُخْهما ، فنفختهما فطارا ، فأولتهما كذابين يخرجان : صاحب صنعاء ، وصاحب اليمامة . وقد تقدم فى الوفود ، أنه قال لمسيلمة حين قدم مع قومه وجعل يقول : إنْ جعل لى محمدٌ الأمر من بعده اتبعته ، فوقف عليه رسول الله ﷺ وقال له : والله لو سألتنى هذا العَسِيب ما أعطيتُكه ، ولئن أدبرت(١) ليعقرنك الله ، وإنى لأراك الذى أُريتُ فيه ما أُريت . وهكذا وقع ، عَقَره الله وأهانه وكسره وغلبه يوم اليمامة ، كما قتل الأسود العَنْسى بصَنعاء ، على ما سنورده إن شاء الله تعالى .

وروى البيهقى من حديث مبارك بن فضالة عن الحسن عن أنس قال : لقى رسول الله ﷺ مُسَيلمة فقال له مُسَيلمة : أتشهد أنى رسول الله ؟ فقال النبى ﷺ : آمنت بالله وبرسله ، ثم قال رسول الله ﷺ : إن هذا رجل أُخِّرَ لهلَكةِ قومه . وقد ثبت فى الحديث الآخر : أن مُسَيلمة كتب بعد ذلك إلى النبى ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم ، من مُسَيلمة رسول الله ، إلى محمد رسول الله ، سلام عليك ، أما بعد : فإنى قد أُشركتُ فى الأمر بعدك ، فلك المَدَرُ ولى الوبَرُ(٢) . ولكن قريشا قوم يعتدون ، فكتب إليه رسول الله ﷺ : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى مُسَيلمة الكذاب ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعدُ فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . وقد جعل الله العاقبة لمحمد وأصحابه ، لأنهم هم المتقون وهم العادلون المؤمنون ، لا مَن عداهم » وقد وردت الأحاديث المروية من طرق عنه ﷺ فى الإخبار عن الرِّدة التى وقعت فى زمن الصديق ، فقاتلهم الصديق بالجنود المحمدية ، حتى رجعوا إلى دين الله أفواجاً ، وعَذُب ماء الأيمان كما كان ، بعد ما صار أُجاجاً ، وقد قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُم عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِى اللهُ بِقَوم يُحِبُّهم ويُحِبُّونَه أذِلّةٍ على المُؤمنين أعِزّةٍ على الكافِرين)(٣) الآية ، قال المفسرون : هم أبو بكر وأصحابه رضى الله عنهم .

وثبت فى الصحيحين من حديث عامر الشعبى عن مسروق عن عائشة فى قصة مُسَارّة النبى ﷺ ابنته فاطمة ، وإخباره إياها بأنّ جبريل كان يُعارضه بالقرآن فى كلّ عام مرّة ، وأنه عارضنى العام مرتين ، وما أرى ذلك إلا لاقتراب أجلى ، فبكت ، ثم سارّها فأخبرها

(١) أى : أعرضت عن طاعتى ومعنى يعقرنك : ينزل بك الأذى والخزى

(٢) يريد بالمدر : المدن أو الحضر ؛ لأن مبانيها بالمدر ـ وهو الطين اليابس والحجارة . وبالوبر البادية ؛ لأن الأخبية فيها بالوبر

(٣) من الآية : ٥٤ من سورة المائدة

بأنها سيدة نساء أهل الجنة ، وأنها أول أهله لحوقاً به ، وكان كما أخبر . قال البيهقي : واختلفوا في مُكث فاطمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقيل : شهران ، وقيل : ثلاثة ، وقيل : ستة ، وقيل : ثمانية ، قال : وأصح الروايات رواية الزهري عن عروة عن عائشة قالت : مكثت فاطمةُ بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر . أخرجاه في الصحيحين .

ومن كتاب [دلائل النبوة] في باب إخباره عليه الصلاة والسلام عن الغيوب المستقبلة

فمن ذلك : ما ثبت في الصحيحين من حديث إبراهيم بن سعد عن أبيه عن أبي سلمة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : إنه قد كان في الأمم محدَّثون[1] ، فإن يكن في أمتي فعمر بن الخطاب . وقال يعقوب بن سفيان : ثنا عبيد الله بن موسى ، أنا أبو إسرائيل كوفي عن الوليد بن العيزار عن عمرو بن ميمون عن علي رضي الله عنه قال : ما كنا ننكر ونحن متوافرون أصحاب محمد ﷺ ، أن السكينة تنطق على لسان عمر ، قال البيهقي : تابعه ذر بن حبيش والشعبي عن علي . وقال يعقوب بن سفيان : ثنا مسلم بن إبراهيم ، ثنا شعبة عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال : كنا نتحدث أن عمر بن الخطاب ينطق على لسان ملك . وقد ذكرنا في سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أشياء كثيرة ، من مكاشفاته ، وما كان يخبر به من المغيبات، كقصة سارية بن زنيم ، وما شاكلها ولله الحمد والمنة . ومن ذلك ما رواه البخاري من حديث فراس عن الشعبي عن مسروق ، عن عائشة رضي الله عنها ، أن نساء النبي ﷺ اجتمعن عنده فقلن يوما : يا رسول الله ، أينا أسرع بك لحوقا ؟ فقال : أطولكن يداً ، وكانت سودةُ أطولنا ذراعا ، فكانت أسرعنا به لحوقا هكذا وقع في الصحيح عند البخاري أنها سودة ، وقد رواه يونس بن بكير عن زكريا بن أبي زائدة عن الشعبي ، فذكر الحديث مرسلا وقال : فلما توفيت زينبُ علمنَ أنها كانت أطولهنّ يدا في الخير والصدقة . والذي رواه مسلم عن محمود ابن غيلان عن الفضل بن موسى عن طلحة بن يحيى بن طلحة ، عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، فذكرت الحديث ، وفيه : فكانت زينبُ أطولنا يداً ، لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدّق ، وهذا هو المشهور عند علماء التاريخ: أن زينب بنتَ جحش كانت أول أزواج النبي ﷺ وفاة . قال الواقدي : توفيت سنة عشرين ، وصلّى عليها عمر بن الخطاب ، قلت : وأما سودة فإنها تُوفيت في آخر إمارة عمر بن الخطاب أيضا ، قاله ابن أبي خيثمة .

---

(١) المحدث ــ بفتح الدال المشددة ــ الرجل الصادق الظن ، ورجل حدث ــ بضم الدال وكسرها ــ حسن الحديث

ومن ذلك ما رواه مسلم من حديث أسيد بن جابر، عن عمر بن الخطاب فى قصة أويس القرنى. وإخباره عليه السلام عنه بأنه خير التابعين ، وأنه كان به برص فدعا الله فأذهبه عنه ، إلا . وضعا قدر الدرهم من جسده وأنه بارٌّ بأمه، وأمره لعمر بن الخطاب أن يستغفر له ، وقد وجد هذا الرجل فى زمان عمر بن الخطاب على الصفة والنعت الذى ذكره فى الحديث سواء . وقد ذكرت طرق هذا الحديث وألفاظه والكلام عليه مطولا فى الذى جمعته من مسند عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ولله الحمد والمنة .

ومن ذلك ما رواه أبو داود : حدثنا عثمان بن أبى شيبة ، ثنا وكيع ، ثنا الوليد بن عبد الله ابن جميع ، حدثنى جرير بن عبد الله وعبد الرحمن بن خلاد الأنصارى ، عن أم ورقة بنت نوفل ، أن رسول الله ﷺ لما غزا بدراً قالت : يا رسول الله ائذن لى فى الغزو معك ، أمرض مرضاكم ، لعل الله يرزقنى الشهادة ، فقال لها : قرى فى بيتك فإن الله يرزقك الشهادة ، فكانت تسمى الشهيدة . وكانت قد قرأت القرآن ، فاستأذنت النبى ﷺ أن تتخذ فى بيتها مؤذناً يؤذن لها ، وكانت دبرت غلاما لها وجارية ، فقاما إليها بالليل فغماها فى قطيفة لها حتى ماتت وذهبا ، فأصبح عمر فقام فى الناس وقال : من عنده من هذين علم أو من رآهما فليجىء بهما ، فجىء بهما ، فأمر بهما فصلبا ، وكانا أول مصلوبين بالمدينة . وقد رواه البيهقى من حديث أبى نعيم : ثنا الوليد ابن جميع ، حدثتنى جدتى عن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث ، وكان رسول الله ﷺ يزورها ويسميها الشهيدة ، فذكر الحديث ، وفى آخره فقال عمر : صدق رسول الله ﷺ كان يقول : انطلقوا بنا نزور الشهيدة .

ومن ذلك : ما رواه البخارى من حديث أبى إدريس الخولانى ، عن عوف بن مالك فى حديثه عنه فى الآيات الست بعد موته ، وفيه : ثم موتان[1] بأحدكم كقعاص[2] الغنم ، وهذا قد وقع فى أيام عمر ، وهو طاعون عمواس سنة ثمانى عشرة[3] ، ومات بسببه جماعات من سادات الصحابة ، منهم: معاذ بن جبل ، وأبو عبيدة ، ويزيد بن أبى سفيان، وشرحبيل بن حسنة ، وأبو جندل - سهل بن عمرو وأبوه ، والفضل بن العباس بن عبد المطلب - رضى الله عنهم أجمعين . وقد قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، ثنا النهاس بن قهم ، ثنا شداد أبو عمار ، عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ : ست من أشراط الساعة : موتى ، وفتح بيت المقدس ، وموت يأخذ فى الناس كقعاص الغنم ، وفتنة يدخل حربها[4] بيت كل مسلم ، وأن يعطى الرجل ألف

---

(١) الموتان: الموت الكثير الوقوع. ولاسيما الماشية (٢) القعاص : داء فى الغنم لايلبثها أن تموت
(٣) كان طاعون عمواس أول طاعون فى الإسلام بالشام (٤) الحريم : كل ما حرم فلم يمس

دينار فيسخطها ، وأن يغزو الروم فيسيرون إليه بثمانين بندا[1] تحت كل بند اثنا عشر ألفاً .
وقد قال الحافظ البيهقي : أنا أبو زكريا بن أبي إسحاق ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، ثنا بحر بن نصر ، ثنا ابن وهب ، أخبرني ابن لهيعة عن عبد الله بن حبان ، أنه سمع سليمان بن موسى يذكر أن الطاعون وقع بالناس يوم جسر عموسة ، فقام عمرو بن العاص فقال : يا أيها الناس ، إنما هذا الوجع رجس فتنحوا عنه ، فقام شرحبيل بن حسنة فقال : يا أيها الناس ، إني قد سمعت قول صاحبكم ، وإني والله لقد أسلمت وصليت ، وإن عمراً لأضل من بعير أهله ، وإنما هو بلاء أنزله الله عز وجل ، فاصبروا ، فقام معاذ بن جبل فقال : يا أيها الناس ، إني قد سمعت قول صاحبيكم هذين ، وإن هذا الطاعون رحمة بكم ودعوة نبيكم ﷺ ، وإني قد سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنكم ستقدمون الشام فتنزلون أرضاً يقال لها : أرض عموسة ، فيخرج بكم فيها خرجان[2] له ذباب كذباب الدمل ، يستشهد الله به أنفسكم وذراريكم ، ويزكي به أموالكم ، اللهم إن كنت تعلم أني قد سمعت هذا من رسول الله ﷺ فارزق معاذاً وآل معاذ منه الحظ الأوفى ولا تعافه منه . قال : فطعن في السبابة فجعل ينظر إليها ويقول : اللهم بارك فيها ، فإنك إذا باركت في الصغير كان كبيراً ، ثم طعن ابنه فدخل عليه فقال : (الحقُّ من ربك فلا تكونَنَّ من الممترين)[3] فقال : (ستجدُني إنْ شاء اللهُ من الصابرين)[4] .

وثبت في الصحيحين من حديث الأعمش وجامع بن أبي راشد عن شقيق بن سلمة عن حذيفة قال : كنا جلوساً عند عمر فقال : أيكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ في الفتنة ؟ قلت : أنا ، قال هات ، إنك لجريء فقلت : ذكر فتنة الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره ، تكفرها الصيام والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقال عمر : ليس هذا أعني ، إنما أعني التي تموج موجَ البحر ، فقلت : يا أمير المؤمنين إنَّ بينك وبينها باباً مغلقاً ، قال : ويحك ، أيفتح الباب أم يكسر ؟ قلت : بل يكسر ، قال : إذا لا يغلق أبداً ، قلت : أجل ، فقلنا لحذيفة : أفكان عمر يعلم من الباب ؟ قال : نعم ، وإني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط ، قال : فهبنا أن نسأل حذيفة من الباب ؟ فقلنا لمسروق فسأله ، فقال : من الباب ؟ قال : عمر . وهكذا وقع من بعد مقتل عمر ؛ وقعت الفتن في الناس ، وتأكد ظهورها بمقتل عثمان بن عفان رضي الله عنهما .
وقد قال يعلى بن عبيد عن الأعمش عن سفيان عن عروة بن قيس قال : خطبنا خالد بن الوليد فقال :

---

(١) البند : العلم الكبير ، وهو فارسي معرب

(٢) خرجان : جمع خراج بضم الخاء ، وهو ما يخرج في البدن من القروح

(٣) الآية : ١٤٧ من سورة البقرة (٤) من الآية : ١٠٢ من سورة الصافات

إن أمير المؤمنين عمر بعثني إلى الشام ، فحين ألقى بوانيه[1] وصار بثنية وعسلا أراد أن يؤثر بها غيري ويبعثني إلى الهند ، فقال رجل من تحته : اصبر أيها الأمير ، فإن الفتن قد ظهرت ، فقال خالد : أما وابن الخطاب حيّ فلا، وإنما ذاك بعده .

وقد روى الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن سالم عن أبيه قال : أبصر رسول الله ﷺ على عمر ثوباً فقال : أجديد ثوبك أم غسيل ؟ قال : بل غسيل ، قال : البس جديداً ، وعش حميداً ، ومت شهيداً ، وأظنه قال : ويرزقك الله قرة عين في الدنيا والآخرة . وهكذا رواه النسائي وابن ماجة من حديث عبد الرزاق به . ثم قال النسائي : هذا حديث منكر ، أنكره يحيى القطان على عبد الرزاق ، وقد روى عن الزهرى من وجه آخر مرسلا . قال حمزة ابن محمد الكناني الحافظ : لا أعلم أحداً رواه عن الزهرى غير معمر ، وما أحسبه بالصحيح ، والله أعلم . قلت : رجال إسناده واتصاله على شرط الصحيحين، وقد قبل الشيخان ، تفرد معمر عن الزهرى في غير ما حديث . ثم قد روى البزار هذا الحديث من طريق جابر الجعفي - وهو ضعيف - عن عبد الرحمن بن سابط ، عن جابر بن عبد الله مرفوعاً مثله سواء . وقد وقع ما أخبر به في هذا الحديث ؛ فإنه رضي الله عنه قتل شهيداً وهو قائم يصلي الفجر في محرابه من المسجد النبوى ، على صاحبه أفضل الصلاة والسلام . وقد تقدم حديث أبي ذر في تسبيح الحصا في يد أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ، وقوله عليه السلام : هذه خلافة النبوة . وقال نعيم بن حماد : ثنا عبد الله ابن المبارك ، أنا حشرج بن نباتة عن سعيد بن جمهان عن سفينة قال : لما بنى رسول الله ﷺ مسجد المدينة جاء أبو بكر بحجر فوضعه ، ثم جاء عمر بحجر فوضعه ، ثم جاء عثمان بحجر فوضعه ، فقال رسول الله ﷺ : هؤلاء يكونون خلفاء بعدى . وقد تقدم في حديث عبد الله بن حوالة قوله ﷺ : ثلاث من نجا منهن فقد نجا : موتى ، وقتل خليفة مضطهد ، والدجال . وفي حديثه الآخر : الأمر باتباع عثمان عند وقوع الفتنة

وثبت في الصحيحين من حديث سليمان بن بلال ، عن شريك بن أبي نمير ، عن سعيد بن المسيب عن أبي موسى قال : توضأت في بيتي ، ثم خرجت فقلت : لأكونن اليوم مع رسول الله ﷺ ، فجئت المسجد فسألت عنه فقالوا : خرج وتوجه ههنا ، فخرجت في أثره حتى جئت بئر أريس - وما بها من جريد - فمكثت عند بابها ، حتى علمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قضى حاجته وجلس ، فجئته فسلمت عليه ، فإذا هو قد جلس على قف[2] بئر أريس فتوسطه ، ثم دلّى

---

(١) أى : خيره وما فيه من السعة والنعمة . والبوانى في الأصل : أضلاع الصدر . وقيل : الاكتاف والقوائم ، والواحد : بانية . والبثنية : الحنطة الجيدة نسبة إلى بلد معروفة بالشام ، وقيل : هى الأرض السهلة اللينة ، يريد أن الأرض أصبحت خصبة تجيء أموالها من غير تعب (٢) أى : حافة

رجليه فى البئر وكشف عن ساقيه ، فرجعت إلى الباب وقلت : لأكونن بواب رسول الله ﷺ ، فلم أنشب أن دُق الباب فقلت : من هذا ؟ قال : أبو بكر ، قلت : على رِسلك ، وذهبت إلى النبى ﷺ فقلت : يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن ، فقال : ائذن له وبشّره بالجنة ، قال : فخرجت مسرعاً حتى قلت لأبى بكر : ادخل ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة، قال : فدخل حتى جلس إلى جنب النبى ﷺ فى القُفّ على يمينه ودلّى رجليه وكشف عن ساقيه كما صنع النبى ﷺ .

قال : ثم رجعت وقد كنت تركت أخى يتوضأ وقد كان قال لى: أنا على إثرك، فقلت : إن يُرد الله بفلان خيرا يأت به ، قال : فسمعت تحريك الباب فقلت : من هذا ؟ قال : عمر ، قلت : على رِسلك ، قال : وجئت النبى ﷺ ، فسلمت عليه وأخبرته ، فقال : ائذن له وبشره بالجنة ، قال : فجئت وأذنت له وقلت له : رسول الله ﷺ يبشرك بالجنة ، قال : فدخل حتى جلس مع رسول الله ﷺ على يساره ، وكشف عن ساقيه ودلّى رجليه فى البئر كما صنع النبى ﷺ وأبو بكر .

قال : ثم رجعت فقلت : إن يرد الله بفلان خيرا يأت به ـ يريد أخاه ، فإذا تحريك الباب ، فقلت : من هـذا ؟ قال : عثمان بن عفان ، قلت : على رِسلك ، وذهبت إلى رسول الله فقلت : هذا عثمان يستأذن ، فقال : ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه ، قال : فجئت فقلت : رسول الله ﷺ يأذن لك ويبشرك بالجنة على بلوى أو بلاء يصيبك ، فدخل وهو يقول : الله المستعان ، فلم يجد فى القُفّ مجلساً فجلس وجاههم من شِق البئر ، وكشف عن ساقيه ودلاّهما فى البئر ، كما صنع رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ، قال سعيد بن المسيب : فأوّلتها قبورهم ، اجتمعت وانفرد عثمان .

وقد روى البيهقى من حديث عبد الأعلى بن أبى المساور، عن إبراهيم بن محمد بن حاطب عن عبد الرحمن بن بجير، عن زيد بن أرقم قال: بعثنى رسول الله ﷺ فقال : انطلق حتى تأتى أبا بكر فتجده فى داره جالساً محتبيا فقل : إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام ويقول : أبشر بالجنة . ثم انطلق حتى تأتى الثنية فتلقى عمر راكباً على حمار تلوح صَلعته ، فقل : إن رسول الله يقرأ عليك السلام ويقول : أبشر بالجنة ثم انصرف حتى تأتى عثمان فتجده فى السوق يبيع ويبتاع ، فقل : إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام. ويقول : أبشر بالجنة بعد بلاء شديد . فذكر الحديث فى ذهابه إليهم ، فوجد كلا منهم كما ذكر رسول الله ﷺ ، وكلاً منهم يقول : أين رسول الله ؟ فيقول : فى مكان كذا وكذا ، فيذهب إليه . وأن عثمان لما رجع قال : يا رسول الله ! ، وأى بلاء يصيبنى ؟ والذى بعثك بالحق ماتغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكرى بيمينى منذ بايعتك، فأى بلاء يصيبنى؟فقال: هو ذاك . ثم قال البيهقى : عبد الأعلى ضعيف ، فإن كان حفظ هذا الحديث فيحتمل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم زيد بن أرقم ، فجاء وأبو موسى الأشعرى جالس على الباب كما تقدم .

وهذا البلاء الذى أصابه ، هو ما اتفق وقوعه على يدى مَن أنكر عليه من رعاع أهل الأمصار بلا علم ، فوقع ما سنذكره فى دولته إن شاء الله ، مِنْ حصرهم إياه فى دار، حتى آل الحال بعد ذلك كله إلى اضطهاده وقتله ، وإلقائه على الطريق أياماً ، لا يُصَلّى عليه ولا يُلتفت إليه ، حتى غُسّل بعد ذلك وصلى عليه ودفن بحُش كَوْكَب ـ بستان فى طريق البقيع ـ رضى الله عنه وأرضاه وجعل جنات الفردوس متقلبه ومثواه .

كما قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى عن إسماعيل بن قيس عن أبى سَهلة ـ مولى عثمان ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : ادعوا لى بعض أصحابى ، قلت : أبو بكر ؟ قال : لا ، قلت : عمر ؟ قال : لا ، قلت : ابن عمك على ؟ قال : لا ، قلت : عثمان ؟ قال : نعم . فلما جاء عثمان قال : تنحّى ، فجعل يساره ولون عثمان يتغير ، قال أبو سَهلة : فلما كان يوم الدار وحضر فيها ، قلنا : يا أمير المؤمنين ، ألا تقاتل ؟ قال: لا، إن رسول الله ﷺ عهد إلىّ عهداً وإنى صابر نفسى عليه .

تفرد به أحمد ، ثم قد رواه أحمد عن وكيع عن إسماعيل عن قيس عن عائشة فذكر مثله ، وأخرجه ابن ماجة من حديث وكيع . وقال نعيم بن حماد فى كتابه [الفتن والملاحم]: حدثنا عتاب ابن بشير[1] عن خَصيف عن مجاهد عن عائشة رضى الله عنها قالت : دخلت على رسول الله ﷺ وعثمان بين يديه يناجيه ، فلم أدرك من مقالته شيئاً إلا قول عثمان : ظلماً وعدواناً يا رسول الله ؟ فما دريت ماهو حتى قتل عثمان ، فعلمت أنّ رسول الله ﷺ : إنما عَنَى قتله . قالت عائشة : وما أحببت أن يصل إلى عثمان شىء إلا وصل إلى مثله غيره إن شاء الله . علم أنى لم أحب قتله ، ولو أحببت قتله لقتلت ، وذلك لما رمى هَوْدَجها من النّبل حتى صار مثل القنفذ . وقال أبو داود الطيالسى : ثنا إسماعيل بن جعفر عن عمرو بن أبى عمرو ـ مولى المطلب ، عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تقوم الساعة حتى تقتلوا إمامكم وتجتلدوا بأسيافكم، ويرث دنياكم شراركم».

وقال البيهقى : أنا أبو الحسين بن بشران ، أنا على بن محمد المصرى ، ثنا محمد ابن إسماعيل السلمى ، ثنا عبد الله بن صالح ، حدثنى الليث ، حدثنى خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبى هلال عن ربيعة بن سيف ، أنه حدثه : أنه جلس يوماً مع شُفَىّ الأصبحى فقال : سمعت عبدالله ابن عمر يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : سيكون فيكم اثنا عشر خليفة ؛ أبو بكر الصديق، لا يلبث خلفى إلا قليلا . وصاحب رَحى العرب يعيش حميداً ويموت شهيداً ، فقال رجل : ومن هو يارسول الله ؟ قال : عمر بن الخطاب . ثم التفت إلى عثمان فقال : وأنت يسألك الناس أن تخلع قيمصاً كساكه الله ، والذى بعثنى بالحق لئن خلعته لاتدخل الجنة حتى يلج الجمل فى سَمّ الخياط .

ثم روى البيهقى من حديث موسى بن عقبة : حدثنى جدى أبو أمى ـ أبو حبيبة ، أنه دخل الدار

(١) هو عتاب بن بشير الأموى مولاهم أبو سهل الجزرى .

وعثمان محصور فيها ، وأنه سمع أبا هريرة يستأذن عثمان فى الكلام فأذن له ، فقام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنكم ستلقون بعدى فتنة واختلافاً ، فقال له قائل من الناس : فمن لنا يا رسول الله ؟ أو ما تأمرنا ؟ فقال : عليكم بالأمين وأصحابه ، وهو يشير إلى عثمان بذلك . وقد رواه الإمام أحمد عن عفان عن وهيب عن موسى بن عقبة به . وقد تقدم فى حديث عبد الله بن حوالة شاهدان له بالصحة ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن منصور عن ربعى عن البراء بن ناجية عن عبد الله — هو ابن مسعود — عن النبى ﷺ قال : تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين — أو ست وثلاثين — أو سبع وثلاثين ، فإن هلكوا فسبيل من قد هلك ، وإن يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عاماً ، قال : قلت : أممّا مضى ؟ أو ممّا بقى ؟ . ورواه أبو داود عن محمد بن سليمان الأنبارى عن عبد الرحمن[1] بن مهدى به . ثم رواه الإمام أحمد عن إسحاق ، وحجاج عن سفيان عن منصور عن ربعى عن البراء بن ناجية الكاهلى ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : إن رحى الإسلام ستزول لخمس وثلاثين ، أو سبع وثلاثين ، فإن تهلك فسبيل من هلك وإن يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عاما ، قال : قال عمر : يارسول الله أبما مضى ؟ أو بما بقى ؟ قال : بل بما بقى . وهكذا رواه يعقوب بن سفيان عن عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن منصور به ، فقال له عمر فذكره . قال البيهقى : وقد تابع إسرائيل الأعمش وسفيان الثورى عن منصور ، قال : وبلغنى أن فى هذا إشارة إلى الفتنة التى كان منها قتل عثمان سنة خمس وثلاثين ، ثم إلى الفتن التى كانت فى أيام على ، وأراد بالسبعين ملك بنى أمية ؛ فإنه بقى بين ما استقر لهم الملك إلى أن ظهرت الدعاة بخراسان وضعف أمر بنى أمية ، ودخل الوهن فيه نحواً من سبعين سنة . قلت : ثم انطوت هذه الحروب أيام صفين ، وقاتل علىٌّ الخوارج فى أثناء ذلك ، كما تقدم الحديث المتفق على صحته ، فى الإخبار بذلك ، وفى صفتهم وصفة الرجل المخدج فيهم .

حديث آخر — قال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى ، حدثنى يحيى بن سليم عن عبد الله ابن عثمان عن مجاهد عن إبراهيم بن الأشتر عن أبيه ، عن أم ذر قالت : لما حضرت أبا ذر الوفاة بكيت ، فقال : ما يبكيك ؟ فقلت : ومالى لا أبكى وأنت تموت بفلاة من الأرض ولا يد لى بدفنك وليس عندى ثوب يسعك فأكفنك فيه ! قال : فلا تبكى وأبشرى ، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين ، وليس من أولئك النفر

---

(١) فى نسخة : عن محمد بن مهدى .

أحد إلا وقد مات فى قرية أو جماعة ، وإنى أنا الذى أموت بالفَلاة، والله ما كَذب ولا كُذبت.
تفرد به أحمد رحمه الله . وقد رواه البيهقى من حديث على بن المدينى، عن يحيى بن سليم الطائفى به مطولا . والحديث مشهور فى موته رضى الله عنه بالرَّبَذَة سنة ثنتين وثلاثين ، فى خلافة عثمان بن عفان . وكان فى النفر الذين قدموا عليه [وهو] فى السياق ـ عبد الله بن مسعود ، وهو الذى صلى عليه ، ثم قدم المدينة فأقام بها عشر ليال ومات رضى الله عنه .

حديث آخر ـ قال البيهقى : أنا الحاكم ، أنا الأصم ، ثنا محمد بن إسحاق الصنعانى ، ثنا عمر ابن سعيد الدمشقى ، ثنا سعيد بن عبد العزيز عن إسماعيل بن عبيد الله عن أبى عبد الله الأشعرى عن أبى الدرداء قال : قلت : يارسول الله بلغنى أنك تقول : ليرتدّن أقوام بعد إيمانهم ، قال أجل ، ولستَ منهم . قال : فتوفى أبو الدرداء قبل أن يقتل عثمان . وقال يعقوب بن سفيان : ثنا صفوان ، ثنا الوليد بن مسلم ، ثنا عبد الله ـ أو عبد الغفار ـ بن إسماعيل بن عبد الله عن أبيه ، أنه حدثه عن شيخ من السلف قال : سمعتَ أبا الدرداء يقول : قال رسول الله ﷺ : إنى فَرَطُكم على الحوض ، أنتظر من يَرِد علىَّ منكم ، فلا ألفين أنازع أحدكم فأقول : إنه من أمتى ، فيقال : هل تدرى ما أحدثوا بعدك ؟ قال أبو الدرداء : فتخوفت أن أكون منهم ، فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له ، فقال: إنك لست منهم . قال: فتوفى أبو الدرداء قبل أن يقتل عثمان ، وقبل أن تقع الفتن . قال البيهقى : تابعه يزيد بن أبى مريم عن أبى عبيد الله ـ مسلم بن يشكر ، عن أبى الدرداء. إلى قوله: لست منهم. قلت : قال سعيد بن عبد العزيز: توفى أبو الدرداء لسنتين بقيتا من من خلافة عثمان . وقال الواقدى وأبو عبيد وغير واحد : توفى سنة ثنتين وثلاثين ، رضى الله عنه

ذكره إخباره ﷺ عن الفتن الواقعة فى آخر أيام عثمان بن عفان وفى خلافة على بن أبى طالب رضى الله عنهما .

ثبت فى الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن الزهرى عن عروة ، عن أسامة بن زيد ، أن رسول الله ﷺ أشرف على أُطُم[1] من آطام المدينة فقال : هل ترون ما أرى ؟ إنى لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كوقع القطر وروى الإمام أحمد ومسلم من حديث الزهرى ، عن أبى إدريس الخولانى : سمعت حذيفة بن اليمان يقول : والله إنى لأعلم الناس بكل فتنة هى كائنةٌ فيما بينى وبين الساعة ، وماذاك أن يكون رسول الله ﷺ حدثنى من ذلك شيئاً أسَرَّه إلىَّ لم يكن

(١) الأطم : القصر ، وكل حصن مبنى بحجارة ، وكل بيت مربع مسطح .

حَدّث به غيرى ، ولكن رسول الله ﷺ قال : - وهو يحدث مجلساً أنا فيه - سئل عن الفتن ، فقال وهو يعد الفتن : فيهن ثلاث لا يَكَدْنَ يَذَرْنَ شيئاً ، ومنهن فِتَن كرياح الصيف ؛ منها صغار ومنها كبار . قال حذيفة : فذهب أولئك الرهط كلهم غيرى ، وهذا لفظ أحمد . قال البيهقى : مات حذيفة بعد الفتنة الأولى بقتل عثمان ، وقبل الفتنتين الآخرتين فى أيام علىّ . قلت : قال العجلى وغير واحد من علماء التاريخ : كانت وفاة حُذيفة بعد مقتل عثمان بأربعين يوماً ، وهو الذى قال : لو كان قتل عثمان هُدًى لاحتلبت به الأمة لبناً ، ولكنه كان ضلالةً فاحتلبت به الأمة دما . وقال : لو أن أحداً ارتقص لِمَا صنعتم بعثمان لكان جديراً أن يرقص . وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان بن عيينه عن الزهرى ، عن عروة ، عن زينب بنت أبى سلمة عن حبيبة بنت أم حبيبة بنت أبى سفيان ، عن أمها أم حبيبة ، عن زينب بنت جحش زوج النبى ﷺ قال سفيان : أربع نسوة قالت : استيقظ النبى ﷺ من نومه وهو محمر الوجه وهو يقول : لا إله إلا الله ، ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب ، فتح اليومَ من رَدْمِ يأجوج ومأجوج مِثلُ هذه - وحلق بأصبعه الإبهام والتى تليها - قلت : يارسول الله : أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم ، إذا كثر الخَبَث[1] . هكذا رواه الإمام أحمد عن سفيان بن عيينة به . وكذلك رواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة وسعد بن عمرو والأشعثى وزهير بن حرب وابن أبى عمر - كلهم عن سفيان بن عيينة به سواء . ورواه الترمذى عن سعيد بن عبد الرحمن المخزومى وغير واحد - كلهم عن سفيان بن عيينة ، وقال الترمذى : حسن صحيح . وقال الترمذى : قال الحميدى عن سفيان : حفظت من الزهرى فى هذا الأسناد أربع نسوة ، قلت : وقد أخرجه البخارى عن مالك بن إسماعيل ، ومسلم عن عمرو الناقد عن الزهرى عن عروة عن زينب عن أم حبيبة عن زينب بنت جحش ، فلم يذكروا حبيبة فى الإسناد . وكذلك رواه عن الزهرى شعيب وصالح بن كيسان وعقيل ، ومحمد بن أبى عتيق ويونس بن يزيد ، فلم يذكروا عنه فى الإسناد حبيبة ، والله أعلم . فعلى ما رواه أحمد ومن تابعه عن سفيان بن عيينة - يكون قد اجتمع فى هذا الاسناد تابعيان ، وهما : الزهرى وعروة بن الزبير ، وأربع صحابيات وبنتان وزوجتان ، وهذا عزيز جداً :

ثم قال البخارى بعد رواية الحديث المتقدم : عن أبى اليمان عن شعيب عن الزهرى فذكره إلى آخره ، ثم قال : وعن الزهرى حدثتنى هند بنت الحارث ، أن أم سلمه قالت : استيقظ رسول الله ﷺ فقال : سبحان الله ماذا أنزل من الخزائن ؟ ! وماذا أنزل من الفتن ؟ ! وقد أسنده البخارى فى مواضع أخر من طرق عن الزهرى به . ورواه الترمذى من حديث معمر

---

(١) قيل : هو الفجور ، وقيل : الزنا ، وقيل : المراد المعاصى مطلقا

عن الزهري وقال : حسن صحيح . وقال أبو داود الطيالسي : ثنا الصلت بن دينار ، ثنا عقبة بن صهبان وأبو رجاء العطاردي قالا : سمعنا الزبير وهو يتلو هذه الآية (واتقوا فتنةً لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصّة)[1] قال : لقد تلوت هذه الآية زمناً وما أراني من أهلها ، فأصبحنا من أهلها. وهذا الإسناد ضعيف ، ولكن روى من وجه آخر ، فقال الإمام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ، ثنا جرير قال : سمعت أنساً قال : قال الزبير بن العوام : نزلت هذه الآية ونحن متوافرون مع النبي ﷺ ، (واتقوا فتنةً لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصّة) فجعلنا نقول : ما هذه الفتنة ؟ وما نشعر أنها تقع حيث وقعت . ورواه النسائي عن إسحق بن إبراهيم عن مهدي عن جرير بن حازم به ، وقد قتل الزبير بوادي السباع مَرْجِعَه من قتال يوم الجمل ، على ما سنورده في موضعه إن شاء الله تعالى . وقال أبو داود السجستاني في سننه : ثنا مسدد ، ثنا أبو الأحوص - سلام بن سليم - عن منصور عن هلال بن يساف عن سعيد بن زيد ، قال : كنا عند النبي ﷺ فذكر فتنة وعظم أمرها ، فقلنا : يا رسول الله لئن أدركتنا هذه لتهلكنا ، فقال : كلا إنّ بحسْبكم القتل . قال سعيد : فرأيت إخواني قُتِلوا ، تفرد به أبو داود .

وقال أبو داود السجستاني : حدثنا الحسن بن علي ، ثنا يزيد ، أنا هشام عن محمد قال : قال حذيفة : ما أحد من الناس تدركه الفتنة إلا أنا أخافها عليه ، إلا محمد بن مسلمة ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا تضرّك الفتنة ، وهذا منقطع . وقال أبو داود الطيالسي : ثنا شعبة عن أشعث بن أبي أشعث ، سمعت أبا بردة يحدث عن ثعلبة بن أبي ضبيعة ، سمعت حذيفة يقول : إني لأعرف رجلا لا تضره الفتنة ، فأتينا المدينة ، فإذا فُسطاط مضروب ، وإذا محمد بن مسلمة الأنصاري ، فسألته فقال : لا أستقرّ بمصر من أمصارهم حتى تنجلي هذه الفتنة عن جماعة المسلمين . قال البيهقي : ورواه أبو داود — يعني السجستاني — عن عمرو بن مرزوق عن شعبة به . وقال أبو داود : ثنا مسدد ، ثنا أبو عوانة عن أشعث بن سليم عن أبي بردة عن ضبيعة بن حصين الثعلبي عن حذيفة بمعناه . قال البخاري في التاريخ : هذا عندي أولى . وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، ثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي بردة قال : مررت بالرّبذة فإذا فُسطاط ، فقلت : لمن هذا ؟ فقيل : لمحمد بن مسلمة ، فاستأذنت عليه فدخلت عليه فقلت : رحمك الله إنك من هذا الأمر بمكان ، فلو خرجتَ إلى الناس فأمَرت ونَهيْت ! فقال : إن رسول الله ﷺ قال : إنها ستكون فتنة وفرقة واختلاف ، فإذا كان ذلك فأت بسَيْفك أُحُداً فاضرب به عَرضه ، وكسّر نبْلك ، واقطع وَتَرك ، واجلس في بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو يعافيك الله ! فقد كان

---

(١) من الآية : ٢٥ من سورة الأنفال .

ما قال رسول الله ﷺ ، وفعلتُ ما أمرني به ، ثم استنزل سيفاً كان معلقاً بعمود الفُسطاط واخترطه ، فإذا سيف من خشب فقال : قد فعلت ما أمرني به واتخذت هذا أرهب به الناس ، تفرد به أحمد .

وقال البيهقي : أنا الحاكم ، ثنا علي بن عيسى المدني ، أنا أحمد بن نجدة القرشي ، ثنا يحيى ابن عبد الحميد ، أنا إبراهيم بن سعد ، ثنا سالم بن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه ، عن محمود بن لبيد عن محمد بن مسلمة ، أنه قال : يا رسول الله كيف أصنع إذا اختلف المُضلّون ؟ قال : اخرج بسيفك إلى الحرة فتضربها به ، ثم تدخل بيتك حتى تأتيك منية قاضية أو يد خاطئة . وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، ثنا زياد بن مسلم أبو عمر ، ثنا أبو الأشعث الصنعاني قال : بعثنا يزيد بن معاوية إلى ابن الزبير ، فلما قدمت المدينة دخلت على فلان — نسي زياد اسمه — فقال : إن الناس قد صنعوا ما صنعوا فما ترى ؟ قال : أوصاني خليلي أبو القاسم : إن أدركتَ شيئاً من هذه الفتن فاعمد إلى أُحُد فاكسر به حَدّ سيفك ثم اقعد في بيتك ، فإن دخل عليك أحد البيت فقم إلى المخدع ، فإن دخل عليك المخدع فاجثُ على رُكبتيك وقل : بُؤْ بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين . فقد كسرتُ سيفي وقعدت في بيتي . هكذا وقع إيراد هذا الحديث في مسند محمد بن مسلمة عند الإمام أحمد . ولكن وقع إبهام اسمه ، وليس هو لمحمد بن مسلمة بل صحابي آخر ؛ فإن محمد بن مسلمة — رضي الله عنه — لا خلاف عند أهل التاريخ أنه تُوفي فيما بين الأربعين إلى الخمسين ؛ فقيل : سنة ثنتين . وقيل : ثلاث ، وقيل : سبع وأربعين ، ولم يدرك أيام يزيد بن معاوية وعبد الله بن الزبير بلا خلاف ، فتعين أنه صحابي آخر — خبره كخبر محمد بن مسلمة .

وقال نعيم بن حماد في الفتن والملاحم : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث عن حماد بن سلمة ، ثنا أبو عمرو السلمي عن بنت أهبان الغفاري ، أن علياً أتى أهبان فقال : ما يمنعك أن تتبعنا ؟ فقال : أوصاني خليلي وابن عمك ﷺ : أن ستكون فرقة وفتنة واختلاف ، فإذا كان ذلك فاكسِرْ سيفك واقعد في بيتك واتخذ سيفاً من خشب . وقد رواه أحمد عن عفان وأسود بن عامر ومؤمل — ثلاثتهم عن حماد بن سلمة به . وزاد مؤمل في روايته بعد قوله : واتخذ سيفا من خشب — واقعد في بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو مَنِيّة قاضية . ورواه الإمام أحمد أيضا والترمذي وابن ماجة ، من حديث عبد الله بن عبيد الديلي ، عن عديسة بنت أهبان بن صيفي عن أبيها به ، وقال الترمذي : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن عبيد ، كذا قال ، وقد تقدم من غير طريقه . وقال البخاري : ثنا عبد العزيز الأويسي ، ثنا إبراهيم بن سعد ، عن صالح ابن كيسان عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن ، أن أبا هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ستكون فتن ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ،

والماشي فيها خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه[1]، ومن وجد ملجأ أو معاذا فليعذ به. وعن ابن شهاب: حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، عن عبد الرحمن بن مطيع بن الأسود عن نوفل ابن معاوية - مثل حديث أبي هريرة هذا، وقد روى مسلم حديث أبي هريرة من طريق إبراهيم بن سعد كما رواه البخاري وكذلك حديث نوفل بن معاوية بإسناد البخاري ولفظه، ثم قال البخاري: ثنا محمد بن كثير، أخبرني سفيان عن الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: ستكون أثرة وأمور تنكرونها، فقالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم، ورواه مسلم من حديث الأعمش به.

وقال الإمام أحمد: حدثنا روح، ثنا عثمان الشحام، ثنا مسلم بن أبي بكرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: إنها ستكون فتنة، ألا ثم تكون فتنة، ألا فالماشي فيها خير من الساعي إليها، والقاعد فيها خير من القائم فيها، ألا والمضطجع فيها خير من القاعد، ألا فإذا نزلت فمن كان له غنم فليلحق بغنمه، ألا ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه، ألا ومن كانت له إبل فليلحق بإبله. فقال رجل من القوم: يا نبي الله جعلني الله فداك أرأيت من ليست له غنم ولا أرض ولا إبل كيف يصنع؟ قال: ليأخذ سيفه ثم ليعمد به إلى صخرة، ثم ليدق على حده بحجر، ثم لينج إن استطاع النجاء، اللهم هل بلغت - قالها ثلاثا، إذ قال رجل: يا رسول الله جعلني الله فداك، أرأيت إن أخذ بيدي مكرها حتى ينطلق بي إلى أحد الصفين أو إحدى الفئتين؟ - شك عثمان - فيحذفني رجل بسيفه فيقتلني، ماذا يكون من شأني؟ قال: يبوء بإثمك وإثمه ويكون من أصحاب النار. وهكذا رواه مسلم من حديث عثمان الشحام بنحوه، وهذا إخبار عن إقبال الفتن، وقد وردت أحاديث كثيرة في معنى هذا. وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن إسماعيل، ثنا قيس قال: لما أقبلت عائشة - يعني في مسيرها إلى وقعة الجمل - وبلغت مياه بني عامر ليلا، نبحت الكلاب فقالت: أي ماء هذا؟ قالوا ماء الحوأب[2]، فقالت: ما أظنني إلا راجعة، فقال بعض من كان معها: بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله ذات بينهم، قالت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا ذات يوم: كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب! . ورواه أبو نعيم بن حماد في الملاحم، عن يزيد ابن هارون عن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم به. ثم رواه أحمد عن غندر عن شعبة عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، أن عائشة لما أتت على الحوأب فسمعت نباح الكلاب قالت: ما أظنني إلا راجعة، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا: أيتكن تنبح

---

(١) أي: من تعرض لها تغلبه وتصرعه - من الإشراف للشيء، وهو: التطلع إليه والتعرض له

(٢) هو: ماء بين مكة والبصرة، مرت به السيدة عائشة عند مسيرها إلى البصرة في واقعة الجمل

عليها كلاب الحوأب ، فقال لها الزبير : ترجعين ! عسى الله أن يصلح بك بين الناس . وهذا إسناد على شرط الصحيحين ولم يخرجوه .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : ثنا محمد بن عثمان بن كرامة ، ثنا عبيد الله بن موسى عن عصام بن قدامة البجلي عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأدبب [1] تسير حتى تنبحها كلاب الحوأب ، يقتل عن يمينها وعن يسارها خلق كثير ثم قال : لا نعلمه يروى عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد . وقال الطبراني : ثنا إبراهيم بن نائلة الأصبهاني ، ثنا إسماعيل بن عمرو البجلي ، ثنا نوح بن دراج عن الأجلح بن عبد الله عن زيد ابن علي عن أبيه عن ابن الحسين عن ابن عباس قال : لما بلغ أصحاب علي ، حين ساروا إلى البصرة ، أن أهل البصرة قد اجتمعوا لطلحة والزبير شق عليهم ، ووقع في قلوبهم ؛ فقال علي : والذي لا إله غيره ليظهرنه على أهل البصرة ، وليقتلن طلحة والزبير ، وليخرجن إليكم من الكوفة ستة آلاف وخمسمائة وخمسون رجلا ، أو خمسة آلاف وخمسمائة ، خمسون رجلا ـ شك الأجلح ، قال ابن عباس : فوقع ذلك في نفسي ، فلما أتى الكوفة خرجت فقلت : لأنظرن ، فإن كان كما يقول فهو أمر سمعه ، وإلا فهو خديعة الحرب ، فلقيت رجلا من الجيش فسألته ، فو الله ما عتم [2] أن قال ما قال علي ، قال ابن عباس : وهو ما كان رسول الله ﷺ يخبره . وقال البيهقي : أنا عبد الله الحافظ ، ثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الحفيد ، ثنا أحمد بن نصر ، ثنا أبو نعيم الفضل ؛ ثنا عبد الجبار بن الورد عن عمار الذهبي عن سالم بن أبي الجعد عن أم سلمة قالت : ذكر النبي ﷺ خروج بعض أمهات المؤمنين ، فضحكت عائشة ، فقال لها : انظري يا حميراء أن لا تكوني أنت ، ثم التفت إلى علي وقال : يا علي إن وليت من أمرها شيئا فارفق بها * وهذا حديث غريب جداً ، وأغرب منه ما رواه البيهقي أيضاً ، عن الحاكم عن الأصم عن محمد بن إسحاق الصنعاني ، عن أبي نعيم عن عبد الجبار بن العباس الشامي عن عطاء بن السائب عن عمر بن الهجيع عن أبي بكرة قال : قيل له ما يمنعك أن لا تكون قاتلت على نصرتك يوم الجمل ؟ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول . يخرج قوم هلكى لا يفلحون ، قائدهم امرأة ، قائدهم في الجنة ؛ وهذا منكر جداً . والمحفوظ ما رواه البخاري من حديث الحسن البصري عن أبي بكرة قال : نفعني الله بكلمة سمعتها من رسول الله ﷺ – وبلغه أن فارس ملكوا عليهم امرأة كسرى – فقال : لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، ثنا شعبة عن الحكم ؛ سمعت أبا وائل قال : لما بعث علي عماراً والحسن إلى الكوفة يستنفرهم ، خطب عمار فقال : إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا

---

(١) الأدبب : الكثير الوبر ، وقيل : الكثير وبر الوجه . وأصله الأدب ـ بتضعيف الباء ـ ولكن أظهر التضعيف ليوازن به كلمة الحواب .

(٢) أي : مالبث وما أبطأ .

والآخرة ، لـكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها ورواه البخارى عن بندار عن غندر ، وهذا كله وقع فى أيام الجمل ، وقد ندمت عائشة رضى الله عنها على ما كان من خروجها ، على ما سنورده فى موضعه . وكذلك الزبير بن العوام أيضا تذكر وهو واقف فى المعركة أن قتاله فى هـذا الموطن ليس بصواب ، فرجع عن ذلك . قال عبد الرزاق : أنا معمر عن قتادة قال : لما وَلّى الزبير يوم الجمل بلغ عليا ، فقال : لو كان ابن صفية يعلم أنه على حق ما ولّى ، وذلك أن النبى ﷺ لقيهما فى سقيفة بنى ساعدة فقال : أتحبه يا زبير ؟ فقال : وما يمنعنى ؟ قال : فـكيف بك إذا قاتلته وأنت ظالم له ؟ قال : فيرون أنه إنما ولّى لذلك ، وهذا مرسل من هذا الوجه . وقد أسنده الحافظ البيهقى من وجه آخر فقال : أنا أبو بكر ـ أحمد بن الحسن القاضى ـ ثنا أبو عمرو بن مَطر ، أنا أبو العباس عبد الله ابن محمد بن سوار الهاشمى الـكوفى ، ثنا منجاب بن الحرث ، ثنا عبـد الله بن الأجلح ، ثنا أبى عن يزيد الفقير عن أبيه قال : وسمعت فَضل بن فُضالة يحدث أبى عن أبى حرب بن أبى الأسود الدؤلى عن أبيه ـ دخل حديث أحدهما فى حديث صاحبه ـ قال : لما دنا علىّ وأصحابه من طلحة والزبير ، ودنت الصفوف بعضها من بعض ـ خرج علىّ وهو عَلى بغلة رسول الله ﷺ ، فنادى : ادعُوا لى الزُّبيز بن العوام ، فأتى علىّ ، فدعى له الزبير فأقبل حتى اختلفت أعناق دَوابِّهما ، فقال علىّ : يا زبير ناشدتك بالله أتذكر يوم مرَّ بك رسول الله ﷺ مكان كذا وكذا فقال : يا زُبير تحبُّ عليا ؟ فقلت : ألا أحبّ ابن خالى وابن عمى وعَلى دينى ؟ فقال : يا على أتحبّه ؟ فقلت : يا رسول الله ألا أحب ابن عمتى وعلى دينى ؟ فقال يا زبير ، أما والله لتقاتلنه وأنت ظالم له . فقال الزبير : بلى ، والله لقد نسيته منذ سمعته من رسول الله ﷺ ثم ذكرته الآن ، والله لا أقاتلك ، فرجع الزبير على دابته يشق الصفوف ، فعرَض له ابنه عَبدُ الله بن الزبير فقال : مالك ؟ فقال : ذكّرنى علىّ حديثا سمعته من رسول الله ﷺ ، سمعته وهو يقول : لتقاتلنه وأنت ظالم له ، فلا أقاتلنّه ، فقال : وللقتال جئت ؟ إنما جئت تصلح بين الناس ويصلح الله هذا الأمر . قال : قد حَلفتُ أن لا أقاتله ، قال : فأعتق غلامك خَـيْر ، وقف حتى تصلح بين الناس ، فأعتق غلامه ووقف ، فلما اختلف أمر الناس ذهب على فرسه .

قال البيهقى : وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أنا الإمام أبو الوليد ، ثنا الحسن بن سفيان ، ثنا قطن بن بشير ، ثنا جعفر بن سليمان ، ثنا عبد الله بن محمد الرقاشى ، ثنا جدى ـ وهو عبد الملك ابن مسلم ـ عن أبى وَجرة المازنى ، قال : سمعت عليا والزبير ، وعلى يقول له : ناشدتك الله يا زُبير ، أما سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنك تقاتلنى وأنت لى ظالم ؟ قال بلى ولـكنى نسيت . وهذا غريب كالسياق الذى قبله . وقد روى البيهقى من طريق الهذيل بن بلال ـ وفيـه ضعف ـ عن عبد الرحمن بن مسعود العبدى ، عن على قال : قال رسول الله ﷺ : مَنْ سرّه أن ينظر

إلى رجل يسبقه بعضُ أعضائه إلى الجنة ، فلينظر إلى زَيد بن صُوحان ، قلت : قُتل زيد هذا في وقعة الجمل من ناحية عَليّ . وثبت في الصحيحين من حديث همام بن منبه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان دَعواهما واحدة . ورواه البخاري أيضا عن أبي اليمان عن شعيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة مثله . ورواه البخاري أيضا عن أبي اليمان عن شعيب عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة . وهاتان الفئتان هما: أصحاب الجمل ، وأصحاب صفّين ؛ فإنهما جميعا يدعوان إلى الإسلام ، وإنما يتنازعون في شيء من أمور الملك ، ومراعاة المصالح العائد نفعها على الأمة والرعايا ، وكان ترك القتال أولى من فعله ، كما هو مذهب جمهور الصحابة كما سنذكره .

وقال يعقوب بن سفيان : ثنا أبو اليمان ، ثنا صفوان بن عمرو قال : كان أهل الشام ستين ألفا ، فقتل منهم عشرون ألفا ، وكان أهل العراق مائة وعشرين ألفا ، فقتل منهم أربعون ألفا ، ولكن كان عليّ وأصحابه أدنى الطائفتين إلى الحقّ من أصحاب معاوية ، وأصحاب معاوية كانوا باغين عليهم ، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث شعبة عن أبي سلمة عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال : حَدّثني مَن هو خَير مني - يعني أبا قتادة - أن رسول الله ﷺ قال لعمار : تقتلك الفئة الباغية . ورواه أيضا من حديث ابن عَليـة عن ابن عون عن الحسن عن أمه عن أم سلمة قالت : قال رسول الله ﷺ : يقتل عَمّاراً الفئة الباغية ، وفي رواية : وقاتله في النار . وقد تقدم الحديث بطرقه عند بناء المسجد النبوي في أول الهجرة النبوية ، وما يزيده بعض الرافضة في هذا الحديث من قولهم بعد : لا أنالها اللهُ شفاعتي يوم القيامة - فليس له أصل يُعتمد عليـه ؛ بل هو من اختلاق الروافض قبحهم الله . وقد روى البيهقي من حديث أبي عبيدة بن محمد بن عمار ابن ياسر عن مَولاةٍ لعمّار قالت : اشتكى عمار شكوى أرق منها ، فغُشي عليـه فأفاق ونحن نبكي حوله ، فقال : ما تبـكونَ ؟ أتخشون أن أموت على فراشي ؟ أخبرني حبيبي ﷺ أنه تقتلني الفئة الباغية ، وأن آخر زادي من الدنيا مَذقة [1] لبن .

وقال الإمام أحمد : حدثني وكيع ، ثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي البختري قال : قال عمار يوم صفين : ائتوني بشربة لبن ، فإن رسول الله ﷺ قال: آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن ، فشربها ثم تقدم فقتل . وحدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن حبيب عن أبي البختري ، أن عَمّار بن ياسر أتي بشربة لبن فضحك وقال : إن رسول الله ﷺ قال لي: آخر شراب أشربه لبن حين أموت . وروى البيهقي من حديث عمار الذهبي عن سالم بن أبي الجعد

(١) أي شربة من اللبن الممزوج بالماء .

عن ابن مسعود، سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا اختلف الناس كان ابن سُمَيَّةُ مع الحق .
ومعلوم أن عماراً كان فى جيش علىّ يوم صفين ، وقتله أصحاب معاوية من أهل الشام ، وكان الذى
تولّى قتله رجل يقال له : أبو الغادية ؛ رجل من أفناد[1] الناس ، وقيل : إنه صحابى . وقد ذكره
أبو عمر بن عبد البر وغيره فى أسماء الصحابة ـ وهو أبو الغادية مسلم ، وقيل : يسار بن أزيهر
الجهنى من قضاعة ، وقيل : مزنى ، وقيل : هما اثنان . سكن الشام ثم صار إلى واسط ، روى له
أحمد حديثا ، وله عند غيره آخر . قالوا : وهو قاتل عمار بن ياسر ، وكان يذكر صفة قتله لعمار
لا يتحاشى من ذلك ، وسنذكر ترجمته عند قتله لعمار أيام معاوية فى وقعة صفين ، وأخطأ من قال :
كان بدريا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هرون ، ثنا العوام ، حدثنى ابن مسعود عن حنظلة بن
خويلد العنزى قال : بينا أنا عند معاوية إذ جاءه رجلان يختصمان فى رأس عمار ، يقول كل واحد
منهما : أنا قتلته ، فقال عبد الله بن عمرو : ليَطب به أحدكما لصاحبه نفساً ، فإنى سمعت النبى ﷺ
يقول : تقتله الفئة الباغية ، فقال معاوية : ألا تغنى عنا مجنونك يا عمرو ، فما بالك معنا ، قال : إن أبى
شكانى إلى رسول الله ﷺ فقال : أطع أباك ما دام حيا ولا تعصه ، فأنا معكم ولست أقاتل .
وقال الإمام أحمد : ثنا أبو معاوية ، ثنا الأعمش عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن الحرث
ابن نوفل قال : إنى لأسير مع معاوية منصرفه من صفين ، بينه وبين عمرو بن العاص ، فقال
عبدالله بن عمرو : يا أبت ، أما سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار : ويحك يا ابن سُمَيَّة تقتلك الفئة
الباغية ؟ قال : فقال عمرو لمعاوية : ألا تسمع ما يقول هذا ؟ فقال معاوية : لا يزال يأتينا بهنة ،
أو نحن قتلناه ؟ إنما قتله من جاءوا به . ثم رواه أحمد عن أبى نعيم عن الثورى عن الأعمش عن
عبد الرحمن بن أبى زياد ، فذكر مثله . فقول معاوية : إنما قتله من قدمه إلى سيوفنا ـ تأويل
بعيد جداً ، إذ لو كان كذلك لكان أمير الجيش هو القاتل للذين يقتلون فى سبيل الله ، حيث
قدّمهم إلى سيوف الأعداء . وقال عبد الرزاق أنا ابن عيينة ، أخبرنى عمرو بن دينار عن ابن أبى
مليكة عن المسور بن مخرمة ، قال عمر لعبد الرحمن ابن عوف : أما علمت أنا كنا نقرأ
(وَجَاهِدُوا فى اللهِ حقّ جهاده)[2] فى آخر الزمان ، كما جاهدتم فى أوله ؟ فقال عبد الرحمن
ابن عوف : ومتى ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : إذا كان بنو أمية الأمراء وبنو المغيرة الوزراء ،
ذكره البيهقى ههنا ، وكأنه يستشهد به على ما عقد له الباب بعده من ذكر الحكمين وما كان من
أمرهما ، فقال :

---

(١) أى : من أعجزهم وأكفرهم بالنعمة (٢) من الآية : ٧٨ آخر سورة الحج

باب ماجاء فى إخباره عن الحكمين اللذين بعثا فى زمن على رضى الله عنه

أخبرنا على بن أحمد بن عبدان ، أنا أحمد بن عبيد الصفار ، ثنا إسماعيل بن الفضل ، ثنا قتيبة بن سعيد عن جرير عن زكريا بن يحيى عن عبد الله بن يزيد وحبيب بن بشار ، عن سويد ابن غفلة قال : إنى لأمشى مع علىّ بشط الفرات فقال : قال رسول الله ﷺ : إن بنى إسرائيل اختلفوا ، فلم يزل اختلافهم بينهم حتى بعثوا حكمين فَضَلاّ وأضلاّ من اتبعهما ، وإن هذه الأمة ستختلف فلا يزال اختلافهم بينهم حتى يبعثوا حَكَمين ضَلاّ وأضلا من اتبعهما هكذا أورده ولم يبين شيئاً من أمره ، وهو حديث منكر جداً وآفته من زكريا بن يحيى هذا — وهو الكندى الحيرى الأعمى — قال يحيى بن معين : ليس بشىء ، والحكمان كانا من خيار الصحابة وهما: عمرو بن العاص السهمى — من جهة أهل الشام ، والثانى: أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعرى — من جهة أهل العراق ، وإنما نصبا ليصلحا بين الناس ويتفقا على أمر فيه رفق بالمسلمين، وَحقن لدمائهم ، وكذلك وقع ، ولم يضِلّ بسببهما إلا فرقة الخوارج حيث أنكروا على الأميرين التّحكيم ، وخرجوا عليهما وكفّروهما ، حتى قاتلهم علىّ بن أبى طالب . وناظرهم ابن عباس ، فرجع منهم شِرذمة إلى الحق ، واستمر بقيتهم حتى قتل أكثرهم بالنّهروان وغيره ، من المواقف المرذولة عليهم ، كما سنذكره .

ذكر إخباره ﷺ عن الخوارج وقتالهم

وعلامتهم بالرجل الأُخدَج ذى الثدية فوجد ذلك فى خلافة على بن أبى طالب

قال البخارى : ثنا أبو اليمان ، ثنا شعيب عن الزهرى ، قال :أخبرنى أبو سلمة بن عبدالرحمن أن أبا سعيد الخدرى قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يَقْسِم قِسْما[1] ، أتاه ذو الخُوَيصرة وهو رجل من بنى تميم — فقال : يا رسول الله اعدل ، فقال: وَيْلك ، ومَنْ يعدل إذا لم أعدل ؟ قد خِبتُ وخسرتُ إن لم أكن أعدل ، فقال عمر : يا رسول الله ائذَنْ لى فيه فأضربَ عنقه ، فقال : دَعه فإن له أصحاباً يحقر أحدُكم صلاتَه مع صلاتهم ، وصيامَه مع صيامهم ، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقِيَهم ، يَمرُقون من الدّين كما يمرُق السهم من الرَّمِيّة[2] ينظر إلى نَصله[3]

---

(١) هو : غنائم هوازن كما تدل عليه الروايات .

(٢) الرمية : الصيد يرمى . يقال : بئس الرمية الأرنب . ومعنى يمرقون ـ يخرجون، ومرق السهم من الرمية : خرج من الجانب الآخر . والخوارج مارقة : لخروجهم عن الدين .

(٣) النصل : حديدة السهم .

فلا يوجد فيه شىء ، ثم ينظر إلى رِصَافه[1] فلا يوجد فيه شىء ، ثم ينظر إلى نَضِيِّه - وهو قِدحه[2] - فلا يوجد فيه شىء ، ثم ينظر إلى قُذَذه[3] فلا يوجد فيه شىء ، قد سَبَق الفرثَ والدم[4] ، آيتهم رجل أسود ، إحدى عَضُدَيه مثل ثدى المرأة أو مثل البَضعة تَدَرْدَر[5] ، ويخرجون على حين فُرقة من الناس . قال أبو سعيد : فأشهد أنى سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ ، وأشهد أن علىّ بن أبى طالب قاتلهم وأنا معه فأمر بذلك الرجل ، فالتُمس فأُتِى به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الذى نعته . وهكذا رواه مسلم من حديث أبى سعيد . ورواه البخارى أيضاً من حديث الأوزاعى عن الزهرى عن أبى سلمة والضحاك عن أبى سعيد. وأخرجه البخارى أيضاً من حديث سفيان بن سعيد الثورى عن أبيه ، ومسلم عن هناد عن أبى الأحوص - سلام بن سليم ، عن سعيد بن مسروق عن عبد الرحمن بن يعمر عن أبى سعيد الخدرى به .

وقد روى مسلم فى صحيحه من حديث داود بن أبى هند والقاسم بن الفضل ، وقتادة - عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : تَمرُق مارقةٌ عند فرقة المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق . ورواه أيضا من حديث أبى إسحاق الثورى عن حبيب بن أبى ثابت ، عن الضحاك المشرقى عن أبى سعيد مرفوعا . وروى مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن ابن مسهر عن الشيبانى عن بشير بن عمرو قال : سألت سهل بن حنيف ، هل سمعت رسول الله ﷺ يذكر هؤلاء الخوارج ؟ فقال : سمعته يقول :- وأشار بيده نحو المشرق ، وفى رواية نحو العراق - يخرج قوم يقرءون القرآن بألسنتهم لا يجاوز تراقيَهم ، يمرُقون من الدّين كما يمرُق السهم من الرمِيّة محلقة رءوسهم وروى مسلم من حديث حميد بن هلال عن عبد الله بن الصامت عن أبى ذر نحوه ، وقال : سيماهم التحليق ، شر الخلق والخليقة . وكذلك رواه محمد بن كثير المصيصى عن الأوزاعى ، عن قتادة عن أنس بن مالك مرفوعا ، وقال : سيماهم التحليق ، شر الخلق والخليقة.

وفى الصحيحين من حديث الأعمش ، عن خيثمة عن سويد بن غفلة عن على : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يخرج قوم فى آخر الزمان حِدثان[6] الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من قول خير البرية ، لا يجاوز إيمانُهم حناجرهم ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فإن فى قتلهم أجراً لمن قتلهم إلى يوم القيامه . وقد روى مسلم عن حماد عن أيوب عن محمد بن عبيدة عن على فى خبر

---

(١) الرصاف : جمع رصفة - وهى عقبة تشد وتلوى على مدخل سنخ النصل أى أصله.

(٢) القدح هو : عود السهم قبل أن يراش . (٣) القذذ : ريش السهم ، والمفرد قذة .

(٤) أى سبق السهم الفرث والدم ولم يعلق به شىء .

(٥) أى تضطرب وتهتز ، والبضعة : قطعة اللحم .

(٦) حدثان الأمر : أوله وابتداؤه كحداثيه .

مؤذن الليل - وهو ذو الثدّية[1] وأسنده من وجه آخر عن ابن عون عن ابن سيرين عن عبيدة عن علي ، وفيه : أنه حلّف علياً على ذلك ، لحلف له أنه سمع ذلك من رسول الله ﷺ . ورواه مسلم عن عبد بن حميد عن عبد الرزاق عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن زيد بن وهب عن عليّ بالقصة مطولة وفيه قصة ذي الثُدَية . ورواه من حديث عبيد الله بن أبي رافع عن علي . ورواه أبو داود الطيالسي عن حماد بن زيد عن حميد بن مرة عن أبي العرضى ، والسحيمى عن عليّ في قصة ذي الثُدَية . ورواه الثوري عن محمد بن قيس عن أبي موسى — رجل من قومه — عن عليّ بالقصة .

وقال يعقوب بن سفيان : ثنا الحميدي ، ثنا سفيان حدثني العلاء بن أبي العباس ، أنه سمع أبا الطُّفيل يحدث عن بكر بن قرقاش عن سعيد بن أبي وقاص قال : ذكر رسول الله ﷺ ذا الثُدَية فقال : شيطان الرَّدهة كراعي الخيل يحذره رجل من بَجيلة يقال له : الأشهب ، أو ابن الأشهب علامة في قوم ظلمة ، قال سفيان : فأخبرني عمار الذهبي ، أنه جاء به رجل منهم يقال له: الأشهب، أو ابن الأشهب . قال يعقوب بن سفيان : وحدثنا عبيد الله بن معاذ عن أبيه ، عن شعبة عن أبي إسحاق عن حامد الهمداني ، سمعت سعد بن مالك يقول : قتل عليٌّ بن أبي طالب شيطانَ الردهة - يعني المُخدَج ، يريد - والله أعلم - قتله أصحاب علي . وقال علي بن عياش عن حبيب عن سلمة قال : لقد علمت عائشة أن جيش المروة وأهل النهروان ملعونون على لسان محمد ﷺ ، قال ابن عباس : جيش المَروة[2] قتلة عثمان . رواه البيهقي ، ثم قال البيهقي : أنا الحاكم ، أنا الأصم ، ثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إسماعيل بن رجاء عن أبيه عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله ، فقال أبو بكر : أنا هو يا رسول الله ؟ قال : لا ، فقال عمر : أنا هو يا رسول الله؟ قال : لا، ولكن خاصفُ النعل - يعني علياً . وقال يعقوب بن سفيان عن عبيد الله بن معاذ عن أبيه عن عمران ابن جرير عن لاحق قال : كان الذين خرجوا على عليّ بالنهروان أربعة آلاف في الحديد ، فركبهم المسلمون فقتلوهم ولم يقتلوا من المسلمين إلا تسعة رهط ، وإن شئت فاذهب إلى أبي بَرْزَة فإنه يشهد بذلك . قلت : الأخبار بقتال الخوارج متواترة عن رسول الله ﷺ ؛ لأن ذلك من طرق تفيد القطع عند أئمة هذا الشأن ، ووقوع ذلك في زمان عليّ معلوم ضرورة لأهل العلم

---

(١) هو لقب حرقوص بن زهير كبير الخوارج ، ولقب عمر بن ود - قتيل سيدنا علي بن أبي طالب . وفي اللسان : أن ذو الثدية : لقب رجل اسمه ثرملة . والثدية : تصغير ثدي ، وقيل له ذلك ، لأن يده كانت قصيرة مقدار الثدي ، أو لأنها كانت كقطعة من ثدي .

(٢) المروة : موضع بالبادية .

قاطبة . وأما كيفية خروجهم وسببه ومناظرة ابن عباس لهم فى ذلك ، ورجوع كثير منهم إليه — فسيأتى بيان ذلك فى موضعه إن شاء الله تعالى .

إخباره ﷺ بمقتل على بن أبى طالب رضى الله عنه فكان كما أخبر سواء بسواء

قال الإمام أحمد : ثنا على بن بحر ، ثنا عيسى بن يونس ، ثنا محمد بن إسحاق ، حدثنى زيد بن محمد بن خيثم المحاربى ، عن محمد بن كعب بن خيثم ، عن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله ﷺ لعلى – حين ولى غزوة العُشيرة : يا أبا تراب لما يرى عليه من التراب — ألا أحدثك بأشقى الناس رجلين ؟ قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : أُحَيمر ثمود الذى عَقر الناقة ، والذى يضرب يا علىّ على هذه — يعنى قرنه ، حتى يبل هذه — يعنى لحيته . وروى البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن الحسن بن مكرم عن أبى النضر ، عن محمد بن راشد عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن فَضالة بن أبى فضالة الأنصارى — وكان أبوه من أهل بدر — قال : خرجت مع أبى عائداً لعلىّ بن أبى طالب فى مرض أصابه فقتل منه ، قال : فقال أبى : مايقيمك بمنزلك هذا ؟ فلو أصابك أجلك لم يكن إلا أعراب جهينة تحملك إلى المدينة ، فإن أصابك أجلك وَلِيك أصحابك وصلّوا عليك ، فقال على : إن رسول الله ﷺ عهد إلىّ أن لا أموت حتى تخضب هذه — يعنى لحيته ، من دم هذه ، — يعنى هامته ، فقتل وقتل أبو فَضالة مع على يوم صِفين وقال أبو داود الطيالسى : ثنا شَريك عن عثمان بن المغيرة عن زيد بن وهب قال : جاء رأس الخوارج إلى عَلىّ فقال له : اتق الله فإنك ميت ، فقال : لا ، والذى فَلق الحَبة وبرأ النَّسمة ، ولكن مقتول من ضَربة على هذه تخضب هذه — وأشار بيده إلى لحيته — عهد معهود ، وقضاء مقضىّ ، وقد خاب من افترى ، وقد روى البيهقى بإسناد صحيح ، عن زيد بن أسلم عن أبى سنان الدركى ، عن علىّ فى إخبار النبى ﷺ بقتله . وروى من حديث هَيثم عن إسماعيل بن سالم عن أبى إدريس الأزدى عن علىّ قال : إنّ مما عهد إلىّ رسول الله ﷺ : أنّ الأمة ستغدُر بك بَعدى ، ثم ساقه من طريق قَطر بن خليفة وعبد العزيز بن سياه ، عن حبيب بن أبى ثابت عن ثعلبة بن يزيد الحمانى قال : سمعت علياً يقول : إنه لَعهدُ النبى الأمى إلىّ ؛ إن الأمة ستغدر بك بعدى . قال البخارى : ثعلبة هذا فيه نظر ، ولا يتابع على حديثه هذا .

وروى البيهقى عن الحاكم عن الأصم ، عن محمد بن إسحاق الصنعانى عن أبى الاجوب الأحوص بن خباب ، عن عمار بن زريق عن الأعمش ، عن حبيب بن أبى ثابت عن ثعلبة بن يزيد

قال : قال عليّ : والذى فلق الحبة وبرأ النسمة لتخضبن هذه من هذه - للحيته من رأسه ، فما يحبس أشقاها ، فقال عبد الله بن سبيع : والله يا أمير المؤمنين لو أنّ رجلا فعل ذلك لأبرنا[1] عشيرته ، فقال : أنشدك بالله أن لا تقتل بى غير قاتلى ، قالوا : يا أمير المؤمنين ألا تستخلف ؟ قال : ولكن أترككم كما ترككم رسول الله ﷺ ، قالوا : فما تقول لربك إذا تركتنا هملاً ؟ قال : أقول : اللهم استخلفتنى فيهم ما بدا لك ، ثم قبضتنى وتركتك فيهم ، فإن شئت أصلحتهم ، وإن شئت أفسدتهم . وهكذا روى البيهقى هذا ، وهو موقوف . وفيه غرابة من حيث اللفظ ومن حيث المعنى . ثم المشهور عن عليّ أنه لما طعنه عبد الرحمن بن ملجم الخارجى وهو خارج لصلاة الصبح عند السُّدّة[2] ، بقى عليّ يومين من طعنته ، وحُبِس ابن مُلجَم ، وأوصى عليّ إلى ابنه الحسن بن على كما سيأتى بيانه . وأمره أن يركب فى الجنود وقال له : لا يجرّ عليّ كما تجر الجارية ، فلما مات قتل عبد الرحمن بن ملجم قوداً ، وقيل : حداً ، والله أعلم ، ثم ركب الحسن ابن على فى الجنود وسار إلى معاوية كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى .

ذكر إخباره ﷺ بذلك ، وسيادة ولده الحسن بن على فى تركه الأمر من بعده وإعطاء ذلك الأمر معاوية وتقليده إياه ما كان يتولاه ويقوم بأعبائه

قال البخارى فى دلائل النبوة : حدثنا عبد الله بن محمد ، ثنا يحيى بن آدم ، ثنا حسين الجعفى عن أبى موسى عن الحسن عن أبى بكرة قال : أخرج النبى ﷺ ذات يوم الحسن بن على فصعد به على المنبر فقال : إن ابنى هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين . وقال فى كتاب الصلح : حدثنا عبد الله بن محمد ، ثنا سفيان عن أبى موسى قال : سمعت الحسن يقول : استقبل والله الحسنُ بن عليّ معاوية بن أبى سفيان بكتائب أمثال الجبال ، فقال عمرو بن العاص : إنى لأرى كتائب لا تُوَلّى حتى تقتُلَ أقرانها ، فقال له معاوية : وكان والله خير الرجلين : أى عمرو - إن قتل هؤلاء هؤلاء ، وهؤلاء هؤلاء ، مَنْ لى بأمور الناس ؟ مَنْ لى بنسائهم ؟ من لى بضيعتهم ؟ فبعث إليه رجلين من قريش من بنى عبد شمس : عبدَ الرحمن بن سَمُرة وعبدَ الله بن عامر ابن كُرَيز ، فقال : اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له واطلبا إليه ، فأتياه فدخلا عليه فتكلما وقالا له وطلبا إليه فقال لهما الحسن بن على : إنّا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال ، وإن هذه الأمة قد عاثت فى دمائها ، قالا : فإنه يعرض عليك كذا وكذا ، ويطلب إليك ويسألك ، قال : فمن لى بهذا ؟ قالا : نحن لك به ، فما سألهما شيئاً إلا قالا : نحن لك به فصالحه ، فقال الحسن[3]

---

(١) أى : أهلكنا . (٢) السدة : باب الدار (٣) الحسن هو : أبو سعيد البصرى رضى الله عنه

ولقد سمعت أبا بكرة يقول : رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسنُ بن عليّ إلى جنبه ، وهو يُقبل على الناس مرة وعليه أخرى ، ويقول : إن ابنى هذا سيّد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين . وقال البخارى : قال لى علىُّ بنُ عبد الله : إنما ثبت لنا سماع الحسن من أبى بكرة بهذا الحديث .

وقد رواه البخارى أيضاً فى فضل الحسن ، وفى [كتاب الفتن] عن علىّ بن المدينى عن سفيان ابن عيينة ، عن أبى موسى - وهو إسرائيل بن موسى بن أبى إسحق - ورواه أبو داود والترمذى من حديث أشعث ، وأبو داود أيضا والنسائى من حديث على بن زيد بن جدعان - كلهم عن الحسن البصرى عن أبى بكرة به ، وقال الترمذى : صحيح ، وله طرق عن الحسن مرسلا ، وعن الحسن وعن أم سلمة به ، وهكذا وقع الأمر كما أخبر به النبى ﷺ سواء ؛ فإن الحسن بن علىّ لما صار إليه الأمر بعد أبيه وركب فى جيوش أهل العراق ، وسار إليه معاوية ، فتصافا بصفين على ما ذكره الحسن البصرى ، فمال الحسن بن على إلى الصلح ، وخطب الناس وخلعَ نفسه من الأمر وسلّمه إلى معاوية ، وذلك سنة أربعين ، فبايعه الأمراء من الجيشين ، واستقل بأعباء الأمة ، فسمى ذلك العام عام الجماعة ؛ لاجتماع الكلمة فيه على رجل واحد ، وسنورد ذلك مفصلا فى موضعه إن شاء الله تعالى . وقد شهد الصادق المصدوق للفرقتين بالإسلام ، فمن كفرهم أو واحداً منهم لمجرد ما وقع - فقد أخطأ وخالف النص النبوى المحمدى الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى . وقد تكمل بهذه السنة المدة التى أشار إليها رسول الله ﷺ أنها مُدة الخلافة المتتابعة بعده ، كما تقدم فى حديث سفينة مولاه أنه قال : الخلافة بعدى ثلاثون سنة ، ثم تكون مُلكا ، وفى رواية عَضوضاً ، وفى رواية عن معاوية أنه قال : رضينا بها مُلكا . وقد قال نعيم بن حماد فى كتابه [الفتن والملاحم] : سمعت محمد بن فضيل عن السرى بن إسماعيل عن عامر الشعبى ، عن سفيان بن عيينة قال : سمعت الحسن بن على يقول : سمعت علياً يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا تذهب الأيام والليالى حتى يجتمع أمرُ هذه الأمة على رَجل واسع القدم ، ضخم البلعم ، يأكل ولا يشبع وهو عرى ، وهكذا وقع فى هذه الرواية . وفى رواية بهذا الإسناد : لا تذهب الأيام والليالى حتى تجتمع هذه الأمة على معاوية .

وروى البيهقى من حديث إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر - وهو ضعيف - عن عبد الملك ابن عمار قال : قال معاوية : والله ما حملنى على الخلافة إلا قول رسول الله ﷺ لى : يا معاوية إن ملكت فأحسن . ثم قال البيهقى : وله شواهد ، من ذلك حديث عمرو بن يحيى عن سعيد ابن العاص عن جده سعيد ، أن معاوية أخذ الإداوة فتبع رسول الله ﷺ فنظر إليه فقال :

يا معاوية إن وليت أمراً فاتق الله واعدل ، قال معاوية : فما زلت أظن أني مُبتلَى بعمل لقول رسول الله ﷺ . ومنها حديث الثورى عن ثور بن يزيد عن راشد بن سعد الدارى عن معاوية قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم ، أو كدت أن تفسدهم ، ثم يقول أبو الدرداء: كلمة سمعها معاوية من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنفعه الله بها ، رواه أبو داود . وروى البيهقى من طريق هشيم عن العوام بن حوشب عن سليمان بن أبى سليمان عن أبيه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الخلافة بالمدينة والملك بالشام .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى ، ثنا يحيى بن حمزة عن زيد بن واقد ، حدثنى بشر بن عبيد الله ، حدثنى أبو إدريس الخولانى عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بينا أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب رفع واحتمل من تحت رأسى ، فظننت أنه مذهوب به ، فأتبعته بصرى ، فعمد به إلى الشام ، ألا وإن الإيمان – حين تقع الفتن – بالشام ههنا . رواه البيهقى من طريق يعقوب بن سفيان عن عبد الله بن يوسف عن يحيى بن حمزة السلمى به . قال البيهقى : وهذا إسناد صحيح ، وروى من وجه آخر ، ثم ساقه من طريق عقبة ابن علقمة عن سعيد بن عبد العزيز الدمشقى عن عطية بن قيس عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : إنى رأيت أن عمود الكتاب انتُزِع من تحت وسادتى ، فنظرت فإذا نور ساطع عمد به إلى الشام ، ألاَ إن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام . ثم أورده البيهقى من طريق الوليد بن مسلم عن سعيد بن عبد العزيز عن يونس بن ميسرة عن عبد الله بن عمرو قال : قال لى رسول الله ﷺ فذكر نحوه ، إلا أنه قال : فأتبعته بصرى حتى ظننت أنه مذهوب به ، قال : وإنى أوّلت أن الفتن إذا وقعت ، أن الإيمان بالشام . قال الوليد : حدثنى عفير بن معدان ، أنه سمع سليمان بن عامر يحدث عن أبى أمامة عن رسول الله ﷺ مثل ذلك . وقال يعقوب ابن سفيان : حدثنى نصر بن محمد بن سليمان الحمصى ، ثنا أبى أبو ضمرة – محمد بن سليمان السلمى – حدثنى عبد الله بن أبى قيس ، سمعت عمر بن الخطاب يقول : قال رسول الله ﷺ : رأيت عموداً من نورُ خرج من تحت رأسى ساطعاً حتى استقر بالشام .

وقال عبد الرزاق : أنا معمر عن الزهرى عن عبد الله بن صفوان قال : قال رجل يوم صفين : اللهم العن أهل الشام ، فقال له علىّ : لا تسب أهل الشام جماً غفيراً ، فإن بها الأبدال ، فإن بها الأبدال ، فإن بها الأبدال . وقد روى من وجه آخر عن علىّ . قال الإمام أحمد : ثنا أبو المغيرة ، ثنا صفوان ، حدثنى شريح – يعنى ابن عبيد الحضرمى – قال : ذكر أهل الشام عند

عليّ بن أبى طالب وهو بالعراق ، فقالوا : العنهم يا أمير المؤمنين ، قال : لا ، إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: الأبدال يكونون بالشام ؛ وهم أربعون رجلا ، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً ، يُستسقى بهم الغيث ويُنتصر بهم على الأعداء ، ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب . تفرد به أحمد ، وفيه انقطاع ، فقد نص أبو حاتم الرازى على أن شريح بن عبيد هذا لم يسمع من أبى أمامة، ولا من أبى مالك الأشعرى . وأنه رواية عنهما مرسلة ، فما ظنك بروايته عن على بن أبى طالب وهو أقدم وفاة منهما .

إخباره عليه السلام عن غزاة البحر إلى قبرص التى كانت فى أيام أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه

قال مالك: عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ كان يدخل على أمّ حرام بنت مِلْحان فتطعمه ، وكانت تحت عبادة بن الصامت ، فدخل عليها يوماً فأطعمته ثم جلست تُفلّى رأسه ، فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك ، قالت : فقلت : ما يضحكك يارسول الله ؟ قال : ناس من أمتى عُرضوا علىّ غُزاة فى سبيل الله يركبون ثَبَج[1] هذا البحر ، ملوكا على الأسرة ، أو مثل الملوك على الأسرة شك إسحق ، فقلت :يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم ، فدعا لها ، ثم وضع رأسه فنام ثم استيقظ وهو يضحك ، قالت : قلت ما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : ناس من أمتى عرضوا علىّ غزاة فى سبيل الله ، كما قال فى الأولى ، قالت : قلت : يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال : أنت من الأولين ، قال : فركبت أم حرام بنت مِلْحان البحر فى زمان مُعاوية فصرُعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت . رواه البخارى عن عبد الله بن يوسف ومسلم عن يحيى بن يحيى - كلاهما عن مالك به. وأخرجاه فى الصحيحين من حديث الليث وحماد بن زيد - كلاهما عن يحيى بن سعيد . وعن محمد ابن يحيى بن حبان عن أنس بن مالك عن خالته أم حرام بنت ملحان ، فذكر الحديث إلى أن قال: فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت غازية أول ما ركبوا مع معاوية - أو أول ما ركب المسلمون البحر مع معاوية بن أبى سفيان ، فلما انصرفوا من غزاتهم قافلين نزلوا الشام ، فقرّبت إليها دابة لتركبها فصرعتها فماتت . ورواه البخارى من حديث أبى إسحق القزارى عن زائدة عن أبى حَوالة عبد الله بن عبد الرحمن عن أنس به . وأخرجه أبو داود من حديث معمر عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أخت أم سليم . وقال البخارى :

---

(١) الثبج : وسط الشيء ومعظمه .

باب ما قيل فى قتال الروم

حدثنا إسحق بن يزيد الدمشقى ، ثنا يحيى بن حمزة ، حدثنى ثور بن يزيد عن خالد بن معدان، أن عمير بن الأسود العنسى ، حدثه أنه أتى عبادة بن الصامت وهو نازل إلى ساحل حمص وهو فى بناء له ، ومعه أم حرام ، قال عمير : فحدثتنا أم حرام أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : أول جيش من أمتى يغزون البحر قد أوجبوا ، قالت أم حرام : فقلت : يارسول الله أنا فيهم ؟ قال: أنت فيهم ، قالت : ثم قال النبى ﷺ : أول جيش من أمتى يغزون مدينة قيصر مغفور لهم ، قلت : أنا فيهم يا رسول الله ؟ قال : لا . تفرد به البخارى دون أصحاب الكتب الستة . وقد رواه البيهقى فى الدلائل عن الحاكم عن أبى عمرو بن أبى جعفر عن الحسن بن سفيان عن هشام بن عمار الخطيب عن يحيى بن حمزة القاضى به، وهو يشبه معنى الحديث الأول . وفيه من دلائل النبوة ثلاث : إحداها الإخبار عن الغزوة الأولى فى البحر ، وقد كانت فى سنة سبع وعشرين مع معاوية ابن أبى سفيان ، حين غزا قبرص وهو نائب الشام عن عثمان بن عفان ، وكانت معهم أم حرام بنت ملحان هذه صحبة زوجها عبادة بن الصامت ـ أحد النقباء ليلة العقبة ، فتوفيت مرجعهم من الغزو ، قيل بالشام كما تقدم فى الرواية عند البخارى ، وقال ابن زيد : توفيت بقبرص سنة سبع وعشرين . والغزوة الثانية : غزوة قسطنطينية مع أول جيش غزاها ، وكان أميرها يزيد ابن معاوية بن أبى سفيان ، وذلك فى سنة ثنتين وخمسين ، وكان معهم أبو أيوب ـ خالد بن زيد الأنصارى ، فمات هناك رضى الله عنه وأرضاه ، ولم تكن هذه المرأة معهم ، لأنها كانت قد توفيت قبل ذلك فى الغزوة الأولى . فهذا الحديث فيه ثلاث آيات من دلائل النبوة ، الإخبار عن الغزوتين ، والإخبار عن المرأة بأنها من الأولين وليست من الآخرين ، وكذلك وقع صلوات الله وسلامه عليه .

الإخبار عن غزوة الهند

قال الإمام أحمد : حدثنا هشيم عن سيار بن حسين بن عبيدة عن أبى هريرة قال : وعدنا رسول الله ﷺ غزوة الهند ، فإن استشهدت كنت من خير الشهداء ، وإن رجعت فأنا أبو هريرة المحرر . رواه النسائى من حديث هشيم وزيد بن أنيسة ، عن يسار عن جبر ـ ويقال : جبير ، عن أبى هريرة قال : وعدنا رسول الله ﷺ غزوة الهند فذكره . وقال أحمد : حدثنا يحيى بن إسحق ، ثنا البراء عن الحسن عن أبى هريرة قال : حدثنى خليلى الصادق المصدوق ـ رسول الله ﷺ أنه قال : يكون فى هذه الأمة بعث إلى السند والهند ، فإن أنا أدركته

فاستشهدت فذاك ، وإن أنا فذكر كلة رجعت ـ فأنا أبو هريرة المحدث ، قد أعتقني من النار تفرد به أحمد ، وقد غزا المسلمون الهند في أيام معاوية سنة أربع وأربعين ، وكانت هنا لك أمور سيأتي بسطها في موضعها ، وقد غزا الملك الكبير الجليل محمود بن سُبُكتكين ـ صاحب غَزْنة ، في حدود أربعمائة ـ بلاد الهند فدخل فيها وقتل وأسر وسبى وغنم ودخل السومنيات[1] وكسر النِّد الأعظم الذي يعبدونه ، واستلب سيوفه وقلائده ، ثم رجع سالماً مؤيداً منصوراً .

فصل في الإخبار عن قتال الترك ، كما سنبينه إن شاء الله وبه الثقة

قال البخاري : ثنا أبو اليمان ، أنا شعيب ، ثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشَّعَر ، وحتى تقاتلوا الترك صغارَ الأعين حُمْر الوجوه ، ذُلْف[2] الأُنوف ، كأن وجوههم المَجانّ المُطْرَقة[3] ، وتجدون من خير الناس أشدّهم كراهية لهذا الأمر حتى يَقع فيه ، والناس معادن ، خيارُهم في الجاهلية خيارُهم في الإسلام ، وليأتين على أحدكم زمانٌ ، لأنْ يراني أحبُّ إليه من أن يكونَ له مثلُ أهله وماله . تفرد به من هذا الوجه . ثم قال البخاري : ثنا يحيى ، ثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام ، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : لا تقومُ الساعة حتى تقاتلوا خُوزًا وكِرمان مِنَ الأعاجم ، حُمرَ الوجوه ، فُطْسَ الأنوف ، صِغار الأعين ، كأن وُجوههم المَجانُّ المُطْرقة ، نعالهم الشعر . تابعه غيره عن عبد الرزاق . وقد ذكر عن الإمام أحمد أنه قال : أخطأ عبد الرزاق في قوله : خوزاً ـ بالخاء ، وإنما هو بالجيم جوزاً وكرمان ، وهما بلدان معروفان بالشرق ، فالله أعلم . وقال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة ، فبلغ به النبي ﷺ : لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً كأن وجوههم المَجانّ المُطْرقة ، نعالهم الشعر . وقد رواه الجماعة إلا النسائي ـ من حديث سفيان بن عيينة به .

وقال البخاري : ثنا علي بن عبد الله ، ثنا سفيان قال : قال إسماعيل : أخبرني قيس قال : أتينا أبو هريرة رضي الله عنه فقال : صحبت رسول الله ﷺ ثلاث سنين ، لم أكن في سِنِيَّ أحرصَ على أن أعِيَ الحديث مِنيّ فيهن ، سمعته يقول ـ وقال هكذا بيده ـ بين يدي الساعة تقاتلون قوماً نِعالهم الشَّعر ـ وهو هذا البارِز ، وقال سفيان مرة : وهم أهل البارز . وقد رواه

---

(١) السمنية : قوم بالهند دهريون يقولون بالتناسخ .

(٢) الذلف ـ محركة ـ صغر الأنف واستواء الأرنبة .

(٣) أي : التي أطرقت ـ أي ألبست بالعقب شيئاً فوق شيء حتى غلظت كأنها ترس على ترس . وكالنعل المطرقة المخصوفة ، يريد أنهم عراض الوجوه غلاظها .

مسلم عن أبي كريب عن أبي أسامة ووكيع ـ كلاهما عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : لا تقوم القيامة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر كأن وجوههم المجان المطرقة ، حمر الوجوه ، صغار الأعين . قلت : وأما قول سفيان بن عيينة : إنهم هم أهل البارز ـ فالمشهور في الرواية تقديم الراء على الزاي ، ولعله تصحيف اشتبه على القائل البازر ، وهو السوق بلغتهم ، فالله أعلم وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، ثنا جرير بن حازم سمعت الحسن قال : ثنا عمرو بن ثعلب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول إن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر ـ أو ينتعلون الشعر ، وإن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قوماً عراضُ الوجوه كأن وجوههم المجانّ المطرّقة . ورواه البخاري عن سليمان بن حرب وأبي النعمان عن جرير بن حازم به . والمقصود أن قتال الترك وقع في آخر أيام الصحابة ، قاتلوا القآن الأعظم ، فكسروه كسرة عظيمة، على ما سنورده في موضعه إذا انتهينا إليه بحول الله وقوته وحسن توفيقه .

خبر آخر عن عبد الله بن سلام

قال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن يوسف الأزرق ، ثنا ابن عون عن محمد ـ هو ابن سيرين ـ عن بشر بن عباد قال : كنت في المسجد فجاء رجل في وجهه أثر خشوع ، فدخل فصلى ركعتين فأوجز فيهما ، فقال القوم : هذا رجل من أهل الجنة ، فلما خرج اتبعته حتى دخل منزله فدخلت معه فحدثته ، فلما استأنس قلت له : إن القوم لما دخلت المسجد قالوا كذا وكذا ، قال : سبحان الله ، والله ما ينبغي لأحد أن يقول ما لا يعلم ، وسأحدثك : إني رأيت رؤيا على عهد رسول الله ﷺ فقصصتها عليه ، رأيت كأني في روضة خضراء ـ قال ابن عون : فذكر من خضرتها وسعتها ـ وسطها عمود حديد ، أسفله في الأرض وأعلاه في السماء ، في أعلاه عُروة ، فقيل لي : اصعد عليه ، فقلت : لا أستطيع ، فجاء بنصيف ـ قال ابن عون : وهو الوصيف[1] ـ فرفع ثيابي من خلفي فقال : اصعد عليه ، فصعدت حتى أخذت بالعُروة ، فقال : استمسك بالعروة ، فاستيقظت وإنها لفي يدي ، قال : فأتيت النبي ﷺ ، فقصصتها عليه فقال : أما الروضة فروضة الإسلام ، وأما العمود فعمود الإسلام ، وأما العروة فهي العُروة الوثقى ، أنت على الإسلام تموت قال : وهو عبد الله بن سلام .

ورواه البخاري من حديث عون . ثم قد رواه الإمام أحمد من حديث حماد بن سلمة عن عاصم ابن بهدلة عن المسيب بن رافع عن حرشة بن الحر ، عن عبد الله بن سلام ، فذكره مطولا ،

(١) الوصيف : الخادم والخادمة ـ والجمع وصفاء

وفيه قال : حتى انتهيت إلى جبل زلق فأخذ بيدى ودحانى [1] ، فإذا أنا على ذروته ، فلم أتقار ولم أتماسك ، وإذا عمود حديد فى يدى ذروته حلقة ذهب ، فأخذ بيدى ودحانى حتى أخذت بالعروة ، وذكر تمام الحديث . وأخرجه مسلم فى صحيحه من حديث الأعمش عن سليمان بن مسهر عن حرشة بن الحر عن عبد الله بن سلام فذكره وقال : حتى أتى بى جبلا فقال لى : اصعد ، فجعلت إذا أردت أن أصعد خررت على رأسى ، حتى فعلت ذلك مراراً ، وأن رسول الله قال له حين ذكر رؤياه : وأما الجبل فهو منزل الشهداء ، ولن تناله . قال البيهقى : وهذه معجزة ثانية ، حيث أخبر أنه لا ينال الشهادة . وهكذا وقع . فإنه مات سنة ثلاث وأربعين فيما ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام وغيره .

الإخبار عن بيت ميمونة بنت الحارث بسرف

قال البخارى فى التاريخ : أنا موسى بن إسماعيل ، ثنا عبد الواحد بن زياد ، ثنا عبد الله بن عبد الله بن الأصم ، ثنا يزيد بن الأصم قال : ثقلت ميمونة بمكة وليس عندها من بنى أختها أحد ، فقالت : أخرجونى من مكة فإنى لا أموت بها ، إن رسول الله ﷺ أخبرنى أنى لا أموت بمكة ، فحملوها حتى أتوا بها إلى سرف [2] ، الشجرة التى بنى بها رسول الله ﷺ تحتها فى موضع القبة ، فماتت رضى الله عنها ، قلت : وكان موتها سنة إحدى وخمسين على الصحيح .

ما روى فى إخباره عن مقتل حجر بن عدى وأصحابه

قال يعقوب بن سفيان : ثنا ابن بكير ، ثنا ابن لهيعة ، حدثنى الحارث عن يزيد عن عبد الله ابن رزين الغافقى قال : سمعت علىّ بن أبى طالب يقول : يا أهل العراق ، سيقتل منكم سبعة نفر بعذراء [3] ، مثلهم كمثل أصحاب الأخدود . فقتل حُجر بن عَدِىّ وأصحابه ، وقال يعقوب ابن سفيان : قال أبو نعيم : ذكر زياد بن سمية على بن أبى طالب على المنبر فقبض حُجْر على الحصباء ثم أرسلها وحصّب من حوله زياداً ، فكتب إلى معاوية يقول : إن حُجراً حصّبنى وأنا على المنبر ، فكتب إليه معاوية : أن يَحْمِل حُجراً . فلما قرب من دمشق بعث من يتلقاهم ، فالتقى معهم بعذراء فقتلهم . قال البيهقى : لا يقول علىّ مثل هذا إلا أنه يكون سمعه من رسول الله ﷺ .
وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا حرملة ثنا ابن وهب ، أخبرنى ابن لهيعة عن أبى الأسود قال : دخل معاوية على عائشة فقالت : ما حملك على قتل أهل عذراء حُجراً وأصحابه ؟ فقال : يا أم المؤمنين ، إنى رأيت قتلهم إصلاحا للأمة ، وأن بقاءهم فساداً ، فقالت : سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) أى : دفعنى وساقنى

(٢) سرف ـ بكسر الراء ـ موضع قرب التنعيم يبعد عن مكة بضع أميال تزوج فيه الرسول بميمونة

(٣) عذراء : موضع على اثنى عشر ميلا من دمشق

يقول : سيقتل بعذراء ناس يغضب الله لهم وأهل السماء . وقال يعقوب بن سفيان : ثنا عمرو ابن عاصم ، ثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد ، عن سعيد بن المسيب عن مروان بن الحكم قال : دخلت مع معاوية على أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، فقالت : يا معاوية قتلت حُجرًا وأصحابه ، وفعلت الذى فعلت ، أما خشيت أن أخبأ لك رجلا فيقتلك ؟ قال : لا إنى فى بيت أمان ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : الإيمان قيد الفتك[1] ، لا يفتك مؤمن يا أم المؤمنين ، كيف أنا فيما سوى ذلك من حاجاتك ؟ قالت : صالح ، قال: فدعيني وحُجراً حتى نلتقى عند ربنا عز وجل .

حديث آخر — قال يعقوب بن سفيان : ثنا عبيد الله بن معاذ ، ثنا أبى ، ثنا شعبة عن أبى سلمة عن أبى نضرة عن أبى هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال لعشرة من أصحابه : آخركم موتاً فى النار ، فيهم سَمُرة بن جُندُب ، قال أبو نَضرة : فكان سَمُرة آخرهم موتاً . قال البيهقي : رواته ثقات إلا أن أبا نَضْرة العبدى لم يثبت له من أبى هريرة سماع والله أعلم . ثم روى من طريق إسماعيل بن حكيم ، عن يونس بن عبيد عن الحسن عن أنس بن حكيم قال : كنت أمر بالمدينة فألقى أبا هريرة فلا يبدأ بشيء حتى يسألنى عن سَمُرة ، فلو أخبرته بحياته وصحته فرح وقال : إنا كنا عشرة فى بيت ، وإن رسول الله قام علينا ونظر فى وجوهنا وأخذ بعضادتى الباب وقال : آخركم موتاً فى النار ، فقد مات منا ثمانية ولم يبق غيرى وغيره ، فليس شيء أحب إلىّ من أن أكون قد ذقت الموت . وله شاهد من وجه آخر . وقال يعقوب بن سفيان : ثنا حجاج ابن منهال ، ثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن أوس بن خالد قال : كنت إذا قدمت على أبى محذورة سألنى عن سَمُرة ، وإذا قدمت على سَمُرة سألنى عن أبى محذورة ، فقلت لأبى محذورة : مالك إذا قدمت عليك تسألنى عن سَمُرة ، وإذا قدمت على سمرة سألنى عنك ؟ فقال : إنى كنت أنا وسمرة وأبو هريرة فى بيت ، فجاء النبى ﷺ فقال : آخركم موتاً فى النار . قال : فمات أبو هريرة ، ثم مات أبو محذورة ، ثم مات سمرة .

وقال عبد الرزاق : أنا معمر : سمعت ابن طاوس وغيره يقولون : قال النبى ﷺ لأبى هريرة وسَمُرة بن جندب ولرجل آخر : آخركم موتاً فى النار ، فمات الرجل قبلهما ، وبقى أبو هريرة وسَمُرة ، فكان الرجل إذا أراد أن يغيظ أبا هريرة يقول : مات سَمُرة ، فإذا سمعه غُشى عليه وصعق ، ثم مات أبو هريرة قبل سَمُرة ، وقتل سَمُرة بشراً كثيرا . وقد ضعف البيهقى عامة هذه الروايات لانقطاع بعضها وإرساله ، ثم قال : وقد قال بعض أهل العلم : إن سَمُرة مات فى الحريق ، ثم قال : ويحتمل أن يورد النار بذنوبه ثم ينجو منها بإيمانه فيخرج منها

(١) الفتك : أن يأتى الرجل صاحبه وهو غافل فيقتله أو يجرحه . والفاتك الجرىء ، والشجاع وفتك به : انتهز منه غرة فقتله وجرحه

بشفاعة الشافعين ، والله أعلم . ثم أورد من طريق هلال بن العلاء الرقى ، أن عبد الله بن معاوية حدثهم عن رجل قد سماه : أن سمرة استجمر[1] فغفل عن نفسه وغفل أهله عنه حتى أخذته النار ، قلت : وذكر غيره أن سمرة بن جندب رضى الله عنه أصابه كزاز[2] شديد ، وكان يوقد له على قدر مملوءة ماءاً حاراً فيجلس فوقها ليتدفأ ببخارها ، فسقط يوماً فيها فمات رضى الله عنه ، وكان موته سنة تسع وخمسين بعد أبى هريرة بسنة . وقد كان ينوب عن زياد بن سمية فى البصرة إذا سار إلى الكوفة ، وفى الكوفة إذا سار إلى البصرة ، فكان يقيم فى كل منهما ستة أشهر من السنة ، وكان شديداً على الخوارج ، مكثراً للقتل فيهم ، ويقول : هم شر قتلى تحت أديم السماء ، وقد كان الحسن البصرى ومحمد بن سيرين وغيرهما من علماء البصرة - يثنون عليه، رضى الله عنه .

خبر رافع بن خديج

روى البيهقى من حديث مسلم بن إبراهيم ، عن عمرو بن مرزوق الواضحى ، ثنا يحيى بن عبد الحميد بن رافع عن جدته ، أن رافع بن خديج رُمى - قال عمر : لا أدرى أيهما قال - يوم أحد ، أو يوم حنين بسهم فى ثندوته[3] فأتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله انزع لى السهم ، فقال له : يا رافع إن شئت نزعتُ السهم والقُبضة[4] جميعاً ، وإن شئت نزعت السهم وتركت القُبضة ، وشهدت لك يوم القيامة أنك شهيد ، فقال : يا رسول الله ، انزع السهم واترك القُبضة واشهد لى يوم القيامة أنى شهيد ، قال : فعاش حتى كانت خلافة معاوية انتقض الجرح فمات بعد العصر . هكذا وقع فى هذه الرواية ، أنه مات فى إمارة معاوية . والذى ذكره الواقدى وغير واحد ، أنه مات سنة ثلاث ، وقيل : أربع وسبعين ، ومعاوية رضى الله عنه كانت وفاته فى سنة ستين بلا خلاف، والله أعلم .

ذكر إخباره عليه السلام لما وقع من الفتن بعد موته من أغيلمة بنى هاشم وغير ذلك

قال البخارى : حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنى سفيان عن الأعمش ، عن زيد بن وهب عن ابن مسعود عن النبى ﷺ قال : ستكون أثرة[5] وأمور تنكرونها ، قالوا : يا رسول الله فما تأمرنا ؟ قال : تؤدون الحق الذى عليكم ، وتسألون الله الذى لكم . وقال البخارى :

---

(١) أى : استنجى بالجمار (٢) الكزاز : بحة وصوت فى الصدر كصوت المنخنق

(٣) قال فى القاموس : الثندوة - ويفتح أوله - لحم الصدر أو أصله (٤) القبضة : ما قبضت عليه من شىء

(٥) الأثرة - محركة - وبضم الهمزة وكسرها وسكون الثاء : الأنانية وحب الذات ، من قولهم : استأثر بالشىء : أى اختاره لنفسه واستبد به

ثنا محمد بن عبد الرحيم ، أنا أبو معمر إسماعيل بن إبراهيم ، ثنا أبو أسامة ، ثنا شعبة عن أبي التياح عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : يهلك الناس هذا الحي من قريش ، قالوا : فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال : لو أن الناس اعتزلوهم . ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي أسامة . وقال البخاري : قال محمود : ثنا أبو داود ، أخبرنا شعبة عن أبي التَّياح قال : سمعت أبا زرعة ، وحدثنا أحمد بن محمد المكي ، ثنا عمرو بن يحيى بن سعيد الأموي عن جدّه قال : كنت مع مروان وأبي هريرة فسمعت أبا هريرة يقول : سمعتُ الصادق المصدوق يقول : هلاكُ أمتي على يدَي غِلْمةٍ من قريش ، فقال مَروان : غِلمة؟ قال أبو هريرة : إن شئتُ أن أسمّيهم: فلان وبني فلان . تفرد به البخاري . وقال أحمد : ثنا روح ، ثنا أبو أمية عمرو بن يحيى بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص ، أخبرني جدّي سعيد بن عمرو بن سعيد ، عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : هَلَكة أمتي على يدَيْ غلمة ، قال مروان : وهم معنا في الحَلْقة قبل أن يَلي شيئاً ، فلعنة الله عليهم غلمة ، قال : أما والله لو أشاء أن أقول بني فلان وبني فلان لفعلت ، قال: فكنت أخرجُ مع أبي وجدي إلى بني مروان - بعد ما ملكوا - فإذا هم يبايعون الصِّبيان ، ومنهم من يُبايع له وهو في خِرْقة ، قال لنا : عسى أصحابكم هؤلاء أن يكونوا الذي سمعتُ أبا هريرة يذكر أن هذه الملوك يُشبه بعضها بعضا .

وقال أحمد : حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن سماك ، حدثني عبد الله بن ظالم قال : سمعت أبا هريرة قال : سمعت حِبي أبا القاسم ﷺ يقول : إن فسادَ أمتي على يدَي غلمة سُفهاء من قريش . ثم رواه أحمد عن زيد بن الحباب عن سفيان - وهو الثوري ، عن سماك عن مالك بن ظالم ، عن أبي هريرة فذكره . ثم روى غندر وروح بن عبادة عن سفيان عن سماك بن حرب عن مالك ابن ظالم قال : سمعت أبا هريرة ، زاد روح : يحدث مروان بن الحكم ، قال: سمعت رسول الله ﷺ الصادق المصدوق يقول : هَلاكُ أمتي على يد غلمة أمراء سُفهاء من قريش . وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا حيوة ، حدثني بشير بن أبي عمرو الخولاني : أن الوليد بن قيس التجيبي ، حدثه أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول : سمعت رسولَ الله ﷺ يقول : يكون خَلْف من بعد الستين سنة (أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا)[1] ثم يكون خَلْف يقرءون القرآن لا يعدو تراقيَهم[2] ، ويقرأ القرآن ثلاثة : مؤمن ، ومنافق ، وفاجر . وقال بشير : فقلت للوليد : ما هؤلاء الثلاثة ؟ قال: المنافق كافر به ، والفاجر يتأكل به ، والمؤمن يؤمن به . تفرد به أحمد ، وإسناده جيد قوي على شرط السنن .

(١) من الآية : ٥٩ من سورة مريم (٢) التراقي : جمع ترقوة . وهي العظم بين ثغرة النحر والعاتق يريد أن قراءتهم لا يرفعها الله ولا يقبلها فكأنها لم تجاوز حلوقهم

وقد روى البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن الحسن بن على بن عفان ، عن أبى أسامة عن مجالد عن الشعبى قال : لما رجع علىّ من صِفّين قال : أيها الناس ، لا تكرهوا إمارة معاوية ؛ فإنه لو فقد تموه لقد رأيتم الرءوس تنزو[1] من كواهلها كالحنظل . ثم روى عن الحاكم وغيره عن الأصم عن العباس بن الوليد بن زيد عن أبيه ، عن جابر عن عمير بن هانىء ، أنه حدثه أنه قال : كان أبو هريرة يمشى فى سوق المدينة وهو يقول : اللهم لا تُدركنى سَنة السِّتين ، وَيحكم تمسَّكوا بِصُدْغَىْ معاوية ، اللهم لا تدركنى إمارة الصّبيان . قال البيهقى : وعلىّ وأبو هريرة إنما يقولان هذا الشىء سمعناه من رسول الله ﷺ .

وقال يعقوب بن سفيان : أنا عبد الرحمن بن عمرو الحزامى ، ثنا محمد بن سليمان عن أبى تميم البعلبكى عن هشام بن الغار عن ابن مكحول ، عن أبى ثعلبة الخشنى عن أبى عبيدة بن الجراح قال : قال رسول الله ﷺ : لا يزال هذا الأمر مُعتدلا قائما بالقِسط حتى يثلمه رُجل من بنى أمية . وروى البيهقى من طريق عوف الأعرابى عن أبى خلدة ، عن أبى العالية عن أبى ذرّ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن أول من يُبَدّل سنتى رَجُل من بنى أمية ، وهذا منقطع بين أبى العالية وأبى ذرّ ، وقد رجحه البيهقى بحديث أبى عُبيدة المتقدم . قال : ويشبه أن يكون هذا الرجل هو : يزيد بن معاوية بن معاوية ، والله أعلم قلت : الناس فى يزيد بن معاوية أقسام ؛ فمنهم مَن يحبّه ويتولاه ـ وهم طائفة من أهل الشام من النواصب ، وأما الروافض فيشنّعون عليه وَيفترون عليه أشياء كثيرة ليست فيه ، ويتّهمه كثير منهم بالزندقة ، ولم يكن كذلك . وطائفة أخرى لا يُحبّونه ولا يَسبُّونه ، لما يعلمون من أنه لم يكن زنديقاً كما تقوله الرافضة ؛ ولما وقع فى زمانه من الحوادث الفظيعة ، والأمور المستنكرة البشعة الشنيعة . فمن أنكرها قتلُ الحسين ابن على بكربلاء ، ولكن لم يكن ذلك عن علم منه ، ولعله لم يرض به ولم يَسؤه ، وذلك من الأمور المنكرة جداً . ووقعة الحرة كانت من الأمور القبيحة بالمدينة النبوية على ما سنورده إذا انتهينا إليه فى التاريخ إن شاء الله تعالى .

الإخبار بمقتل الحسين بن على رضى الله عنهما

وقد روى فى الحديث بمقتل الحسين فقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد بن حسان ، ثنا عمارة ـ يعنى ابن زاذان ـ عن ثابت عن أنس قال : استأذن مَلَك المطر أن يأتى النبى ﷺ ، فأذن له ، فقال لأمّ سلمة : احْفَظى علينا الباب لا يدخل علينا أحد ، فجاء الحسين بن علىّ ، فوثب

---

(١) أى : تسقط وتثبت .

حتى دخل، فجعل يصعدُ على منكب النبي ﷺ ، فقال له الملك : أتحبّه ؟ فقال النبي ﷺ : نعم قال : فإن أمّتك تقتله ، وإن شئتَ أريتك المكان الذى يقتل فيه ، قال : فضرب بيده فأراه تُرابًا أحمر ، فأخذت أم سلمة ذلك التراب فصرّته فى طرف ثوبها ، قال : فكنّا نسمعُ : يقتل بكَرْبلاء ؛ ورواه البيهقى من حديث بشر بن موسى عن عبد الصمد عن عمارة ، فذكره . ثم قال: وكذلك رواه سفيان بن فرّوخ عن عمارة وعمارة بن زاذان هذا هو الصيدلانى- أبو سلمة البصرى اختلفوا فيه ، وقد قال فيه أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به ، ليس بالمتين ، وضعفه أحمد مرّة ووثقه أخرى .وحديثه هذا قد روى عن غيره من وجه آخر ؛ فرواه الحافظ البيهقى من طريق عمارة بن عرفة عن محمد بن إبراهيم ، عن أبى سلمة عن عائشة رضى الله عنها نحو هذا . وقد قال البيهقى : أنا الحاكم فى آخرين ، قالوا : أنا الأصم أنا عباس الدورى ، ثنا محمد بن خالد بن مخلد ، ثنا موسى بن يعقوب عن هاشم بن هاشم ، عن عتبة بن أبى وقاص عن عبد الله بن وهب بن زمعة، أخبرتنى أم سلمة : أنّ رسول الله ﷺ اضطجع ذات يوم فاستيقظ وهو خاثر، ثم اضطجع فرقد ،ثم استيقظ وهو خاثر دون ما رأيت منه فى المرة الأولى، ثم اضطجع واستيقظ وفى يده تُربة حمراء وهو يُقلّبها ، فقلت : ما هذه التربة يا رسول الله ؟ فقال : أخبرنى جبريل أن هذا مقتل بأرض العراق للحُسين . قلت له : يا جبريل أرنى تُربة الأرض التى يُقتل بها ، فهذه تُربتها . ثم قال البيهقى : تابعه أبو موسى الجهنى ، عن صالح بن يزيد النخعى عن أم سلمة ، وأبان عن شهر بن حوشب عن أم سلمة .

وقال أبو الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده : ثنا إبراهيم بن يوسف الصيرفى ، ثنا الحسين بن عيسى ، ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان الحسين جالسًا فى حِجْر النبى ﷺ فقال جبريل : أتحبُّه ؟ فقال : وكيف لا أحبّه وهو ثمرة فؤادى ؟ فقال : أما إن أمتك ستقتله ، ألا أريك مِن موضع قبره ؟ فقبض قبضة فإذا تُربة حمراء . ثم قال البزار : لا نعلمه يروى إلا بهذا الإسناد . والحسين بن عيسى قد حدّث عن الحكم بن أبان بأحاديث لا نعلمها عند غيره قلت : هو الحسين بن عيسى بن مسلم الحنفى ـ أبو عبد الرحمن الكوفى ، أخو سليم القارى . قال البخارى : مجهول ـ يعنى مجهول الحال ـ وإلا فقد روى عنه سبعة نفر . وقال أبو زرعة : منكر الحديث ، وقال أبو حاتم : ليس بالقوى ، روى عن الحكم بن أبان أحاديث منكرة ، وذكره ابن حبان فى الثقات . وقال ابن عدى : قليل الحديث ، وعامة حديثه غرائب ، وفى بعض أحاديثه المنكرات . وروى البيهقى عن الحكم وغيره ، عن أبى الأحوص عن محمد بن الهيثم القاضى : ثنا محمد بن مصعب، ثنا الأوزاعى عن أبى عمار- شداد بن عبد الله ، عن أم الفضل بنت

الحارث ، أنها دخلت على رسول الله ﷺ فقالت : يارسول الله إنى رأيت حُلماً منكراً الليلة ، قال : وما هو ؟ قالت : رأيت كأنّ قطعة من جسدك قُطعت ووُضِعت فى حِجرى ، قال : رأيتِ خيراً ، تلك فاطمة إن شاء الله تلد غلاماً فيكون فى حِجرك ، فولدت فاطمةُ الحسينَ ، فكان فى حِجرى كما قال رسول الله ﷺ ، فوضعته فى حِجره ، ثم حانت منىّ التفاتة فإذا عينا رسول الله ﷺ تهريقان الدّموع ، قالت ، قلت : يانبى الله بأبى أنت وأمى ، مَالكَ؟ قال : أتانى جبريل عليه السلام فأخبرنى أنّ أمتى ستقتل ابنى هذا ، فقلت : هذا ؟ قال : نعم ، وأتانى بتُربةٍ من تُربته حمراء .

وقد روى الإمام أحمد عن عفان عن وهيب عن أيوب عن صالح ـ أبى الخليل ، عن عبد الله ابن الحارث عن أم الفضل قالت : أتيت رسول الله ﷺ فقلت: إنىّ رأيت فى منامى أن فى بيتى أو حِجرى عُضواً من أعضائك ، قال : تلد فاطمة إن شاء الله غُلاماً فتكفُلينه ، فولدت له فاطمة حُسيناً ، فدفعته إليها فأرضعته بلبن قُثم[1] ، فأتيت به رسول الله ﷺ يوماً أزوره ، فأخذه فوضعه على صَدره فبَالَ فأصاب البولُ إزاره ، فزخخت[2] بيدى على كتفيه ، فقال : أوجعت ابنى أصلحك الله ـ أو قال : رحمك الله ، فقلت : اعطنى إزارك أغسله ، فقال: إنما يُغسل بَولُ الجارية ويُصَبّ على بَول الغلام . ورواه أحمد أيضاً عن يحيى بن بكير عن إسرائيل عن سماك عن قابوس بن مخارق عن أم الفضل فذكر مثله سواء . وليس فيه الإخبار بقتله ، فالله أعلم . وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان ، ثنا حماد ، أنا عمار بن أبى عمارة عن ابن عباس قال :رأيت النبى ﷺ فيما يَرى النائم بنصف النهار وهو قائِل ، أشعَث أغبَر ، بيده قارورة فيها دَم ، فقلت : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، ما هذا ؟ قال : دَمُ الحسين وأصحابه ، لم أزل ألتقطه مُنذُ اليوم ، قال : فأحصَينا ذلك اليوَم فوجدوه قُتل فى ذلك اليوم رضى الله عنه . قال قتادة : قتل الحسين يومَ الجمعة ، يَومَ عاشوراء سنة إحدَى وستين ، وله أربع وخمسون سنة وستّة أشهر ونصف شهر . وهكذا قال الليث وأبو بكر بن عياش الواقدى والخليفة بن خياط ، وأبو معشر وغير واحد : إنّه قُتل يوم عاشوراء عام إحدى وستين ، وزعم بعضهم أنه قُتل يوم السبت ، والأول أصح .

وقد ذكروا فى مقتله أشياء كثيرة قيل : إنها وقعت من كسوف الشمس يومئذ ـ وهو ضعيف ، وتغيير آفاق السماء ، ولم يَنقلب حَجرٌ إلا وُجِد تحته دم ، ومنهم من خصص ذلك بحجارة بيت المقدس ، وأنّ الوَرْس[3] استحال رماداً ، وأن اللحم صار مثل العلقم وكان فيه النار ، إلى غير ذلك مما فى بعضها نكارة ، وفى بعضها احتمال ، والله أعلم .

(١) قثم : هو ابن العباس بن عبد المطلب (٢) أى : دفعت وضربت

(٣) الورس : نبت أصفر كالسمسم يزرع باليمن يتخذ منه طلاء للوجه، وله فوائد طبية .

وقد مات رسول الله ﷺ وهو سيد ولد آدم فى الدنيا والآخرة ، ولم يقع شىء من هذه الأشياء ، وكذلك الصديق بعده ؛ مات ولم يكن شىء من هذا . وكذا عمر بن الخطاب قتل شهيداً وهو قائم يصلى فى المحراب صلاة الفجر ، وحُصر عثمان فى داره وقُتل بعد ذلك شهيداً ، وقُتل على بن أبى طالب شهيداً بعد صلاة الفجر ، ولم يكن شىء من هذه الأشياء ، والله أعلم . وقد روى حماد بن سلمة عن عمار بن أبى عمارة عن أم سلمة ، أنها سمعت الجنّ تنوحُ على الحسين بن علىّ ، وهذا صحيح . وقال شهر بن حَوشب : كنا عند أم سلمة فجاءها الخبر بقتل الحسين فخرّت مَغْشِيا عليها . وكان سبب قتل الحسين : أنه كتب إليه أهل العراق يطلبون منه أن يقدم إليهم ليبايعوه بالخلافة ، وكثر تواتُر الكتب عليه من العامة ، ومن ابن عمه مُسلم بن عقيل ، فلما ظهر على ذلك عبيد الله بن زياد نائب العراق ليزيد بن معاوية بعث إلى مسلم بن عقيل فضرب عنقه ورماه من القصر إلى العامة ، فتفرق مَلَؤهم وتبددت كلمتهم . هذا وقد تجهز الحسين من الحجاز إلى العراق ، ولم يشعر بما وقع ، فتحمل بأهله ومن أطاعه وكانوا قريبا من ثلثمائة ، وقد نهاه عن ذلك جماعة من الصحابة ، منهم أبو سعيد ، وجابر ، وابن عباس ، وابن عمر — فلم يطعهم .

وما أحسن ما نهاه ابن عمر عن ذلك ، واستدل له على أنه لا يقع ما يريده فلم يقبل ؛ فروى الحافظ البيهقى من حديث يحيى بن سالم الأسدى ، ورواه أبو داود الطيالسى فى مسنده عنه قال : سمعت الشعبى يقول : كان ابن عمر قدم المدينة فأخبر أن الحسين بن على قد توجه إلى العراق ، فلحقه على مَسيرة ليلتين أو ثلاث من المدينة ، وقال له : أين تريد ؟ قال : العراق ومعه طوامير[1] وكتب ، فقال : لا تأتهم ، فقال : هذه كتبهم وبيعتهم ، فقال : إن الله خَيَّر نبيه صلى الله عليه وسلم بين الدنيا والآخرة ، فاختار الآخرة ولم يُرد الدنيا ، وإنكم بضعةٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله لا يليها أحدٌ منكم أبداً ، وما صَرفها عنكم إلى الذى هو خير منكم ، فارجعوا ، فأبى وقال : هذه كتبهم وبيعتهم ، قال : فاعتنقه ابن عمر وقال : أستودعُك اللهَ مِنْ قتيل ، وقد وقع ما فهمه عبد الله بن عمر من ذلك سواء ، من أنه لم يل أحدٌ من أهل البيت الخلافة على سبيل الاستقلال ويتم له الأمر وقد قال ذلك عثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب : إنه لا يلى أحد من أهل البيت أبداً . ورواه عنهما أبو صالح الخليل بن أحمد بن عيسى بن الشيخ فى كتابه [الفتن والملاحم] .

قلت : وأما الخلفاء الفاطميون الذين كانوا بالديار المصرية ؛ فإن أكثر العلماء على أنهم أدعياء وعلى بن أبى طالب ليس من أهل البيت ، ومع هذا لم يتم له الأمر كما كان للخلفاء الثلاثة قبله ، ولا اتسعت يده فى البلاد كلها ، ثم تنكدت عليه الأمور . وأما ابنه الحسن رضى الله عنه فإنه

(١) الطوامير : الصحف ـ جمع طومار وهو الصحيفة .

لما جاء فى جيوشه وتصافى هو وأهل الشام ، ورأى أن المصلحة فى ترك الخلافة - تركها الله عز وجل ، وصيانة لدماء المسلمين ، أثابه الله ورضى عنه . وأما الحسين رضى الله عنه فإن ابن عمر لما أشار عليه بترك الذهاب إلى العراق وخالفه ، اعتنقه مودعاً وقال : استودعك الله من قتيل ، وقد وقع ما تفرّسه ابن عمر ، فانه لما استقل ذاهباً بعث إليه عبيد الله بن زياد بكتيبة فيها أربعة آلاف ، يتقدمهم عمرو بن سعد بن أبى وقاص ، وذلك بعد ما استعفاه فلم يعفه ، فالتقوا بمكان يقال له كربلاء بالطف[1] ، فالتجأ الحسين بن على وأصحابه إلى مقصبة هنالك ، وجعلوها منهم بظهر ، وواجهوا أولئك ، وطلب منهم الحسين إحدى ثلاث : إما أن يدعوه يرجع من حيث جاء ، وإما أن يذهب إلى ثغر من الثغور فيقاتل فيه ، أو يتركوه حتى يذهب إلى يزيد بن معاوية فيضع يده فى يده ، فيحكم فيه بما شاء . فأبوا عليه واحدة منهن ، وقالوا : لا بد من قدومك على عبيد الله بن زياد فيرى فيك رأيه ، فأبى أن يقدم عليه أبداً ، وقاتلهم دون ذلك ، فقتلوه رحمه الله ، وذهبوا برأسه إلى عبيد الله بن زياد فوضعوه بين يديه ، فجعل ينكت بقضيب فى يده على ثناياه ، وعنده أنس بن مالك جالس ، فقال له : يا هذا ، ارفع قضيبك ، قد طال ما رأيت رسول الله يقبل هذه الثنايا .

ثم أمر عبيد الله بن زياد أن يسار بأهله ومن كان معه إلى الشام - إلى يزيد بن معاوية ، ويقال : إنه بعث معهم بالرأس حتى وضع بين يدى يزيد فأنشد حينئذ قول بعضهم :

نفلق هاماً من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلما

ثم أمر بتجهيزهم إلى المدينة النبوية ، فلما دخلوها تلقتهم امرأة من بنات عبد المطلب ناشرة شعرها ، واضعة كفها على رأسها تبكى وهى تقول :

ماذا تقولون إن قال النبى لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتى وبأهلى بعد مفتقدى منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائى إذ نصحت لكم أن تخلفونى بشر فى ذوى رحمى

وسنورد هذا مفصلا فى موضعه إذا انتهينا إليه إن شاء الله ، وبه الثقة وعليه التكلان . وقد رثاه الناس بمراث كثيرة ، ومن أحسن ذلك ما أورده الحاكم أبو عبد الله النيسابورى ، وكان فيه تشيع :

جاءوا برأسك يا ابن بنت محمد متزملا بدمائه تزميلا
فكأنما بك يا ابن بنت محمد قتلوا جهاراً عامدين رسولا
قتلوك عطشاناً ولم يترقبوا فى قتلك التنزيل والتأويلا
ويكبرون بأن قتلت وإنما قتلوا بك التكبير والتهليلا

(١) الطف : موضع قرب الكوفة ، وما أشرف من أرض العرب على ريف العراق

ذكر الأخبار عن وقعة الحرة التى كانت فى زمن يزيد أيضاً

قال يعقوب بن سفيان : حدثنى إبراهيم بن المنذر ، حدثنى ابن فليح عن أبيه عن أيوب بن عبد الرحمن ، عن أيوب بن بشير المعافرى ، أن رسول الله ﷺ خرج فى سَفَرٍ من أسفاره ، فلما مرّ بحرّة زهرة وقف فاسترجع ، فساء ذلك من معه وظنّوا أن ذلك من أمر سفرهم ، فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ما الذى رأيت ؟ فقال رسول الله ﷺ : أمَا إن ذلك ليس مِن سفركم هذا ، قالوا : فما هو يارسول الله ؟ قال : يقتل بهذه الحرّة خيار أمتى بعد أصحابى . هذا مرسل ، وقد قال يعقوب بن سفيان: قال وهب بن جرير : قالت جُوَيرية : حدثنى ثَور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس قال : جاء تأويل هذه الآية على رأس ستين سنة (وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الفِتْنَةَ لآتَوْهَا)(١) قال : لأعطوها ، يعنى إدخال بنى حارثة أهل الشام على أهل المدينة . وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس ، وتفسير الصحابى فى حكم المرفوع عند كثير من العلماء .

وقال نعيم بن حماد فى كتاب [الفتن والملاحم]: حدثنا أبو عبدالصمد العَمّى ، ثنا أبو عمران الجونى ، عن عبد الله بن الصامت عن أبى ذر قال : قال لى رسول الله ﷺ : يا أبا ذَر أرأيت إن الناس قُتلوا حتى تغرق حجارة الزيت من الدّماء ، كيف أنت صانع ؟ قال: قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : تدخل بيتك ، قال : قلت : فإن أُتى علىّ ؟ قال : يأتى من أنت منه ، قال: قلت : وأحمل السلاح ؟ قال : إذا تشرك معهم ، قال: قلت: فكيف أصنع يا رسول الله ؟ قال: إن خفت أن يَبهرك شُعاع السيف فألق طائفة من رِدائك على وَجهك يَبوء بإثمك وإثمه . ورواه الإمام أحمد فى مسنده عن مرحوم - هو ابن عبد العزيز - عن أبى عمران الجونى ، فذكره مطولا .

قلت : وكان سبب وقعة الحرة أن وفداً من أهل المدينة قدموا على يزيد بن معاوية بدمشق فأكرمهم وأحسن جائزتهم ، وأطلق لأميرهم - وهو عبد الله بن حنظلة بن أبى عامر - قريباً من مائة ألف درهم ، فلما رجعوا ذكروا لأهليهم عن يزيد ما كان يقع منه من القبائح ؛ فى شُرْبه الخمر ، وما يتبع ذلك من الفواحش التى من أكبرها ترك الصلاة عن وَقتها بسبب السكر ، فاجتمعوا على خلعه ، فخلعوه عند المنبر النبوى ، فلما بلغه ذلك بعث إليهم سَرية ، يقدمها رجل يقال له : مُسلم بن عقبة ، وإنما يسميه السلف : مُسرف بن عقبة ، فلما ورد المدينة استباحها ثلاثة أيام ؛ فقتل فى غضون هذه الأيام بشراً كثيراً حتى كاد لا يفلت أحد من أهلها . وزعم بعض علماء السلف أنه قتل فى غضون ذلك ألف بِكر(٢) ، فالله أعلم . وقال عبد الله بن وهب عن الإمام مالك :

---

(١) من الآية : ١٤ من سورة الأحزاب

(٢) البِكر - بكسر الباء - العذراء ، والمرأة التى ولدت بطنا واحدا

قتل يوم الحَرّة سبعمائة رجل من حملة القرآن ، حسبت أنه قال : وكان فيهم ثلاثة من أصحاب رسول الله ﷺ ، وذلك فى خلافة يزيد . وقال يعقوب بن سفيان : سمعت سعيد بن كثير بن عُفَير الأنصارى يقول : قتل يوم الحرّة : عبد الله بن يزيد المازنى ومَعقل بن سليمان الأشجعى ، ومعاذ بن الحارث القارى ، وقتل عبد الله بن حنظلة بن أبى عامر .

قال يعقوب : وحدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث قال : كانت وقعة الحَرة يوم الأربعاء لثلاث بقين من الحجة سنة ثلاث وستين ، ثم انبعث مُسْرِف بن عقبة إلى مكة قاصداً عبد الله بن الزبير ليقتله بها ؛ لأنه فرّ من بيعة يزيد ، فمات يزيد بن معاوية فى غضون ذلك ، واستفحل أمر عبد الله بن الزبير فى الخلافة بالحجاز ، ثم أخذ العراق ومصر . وبويع بعد يزيد لابنه معاوية بن يزيد ، وكان رجلا صالحًا ، فلم تطل مدّته ؛ مكث أربعين يوماً ، وقيل عشرين يوماً ، ثم مات رحمه الله . فوثب مروان بن الحكم على الشام فأخذها ، فبقى تسعة أشهر ثم مات . وقام بعده ابنه عبد الملك ، فنازعه فيها عمرو بن سعيد بن الأشدق ، وكان نائبا على المدينة من زمن معاوية وأيام يزيد ومروان ، فلما هلك مروان زعم أنه أوصى له بالأمر من بعد ابنه عبد الملك ، فضاق به ذرعاً ، ولم يزل به حتى أخذه بعد ما استفحل أمره بدمشق ، فقتله فى سنة تسع وستين ، ويقال : فى سنة سبعين . واستمرت أيام عبد الملك حتى ظفر بابن الزبير سنة ثلاث وسبعين ، قتله الحجاج بن يوسف الثقفى عن أمره بمكة ، بعد محاصرة طويلة اقتضت أن نَصب المَنجنيق على الكعبة من أجل أن ابن الزبير لجأ إلى الحرم ، فلم يزل به حتى قتله ثم عهد فى الأمر إلى بنيه الأربعة بعده : الوليد ، ثم سليمان ، ثم يزيد ، ثم هشام بن عبد الملك . وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أسود ويحيى بن أبى بكير ، ثنا كامل أبو العلا : سمعت أبا صالح ـ وهو مولى ضباعة المؤذن واسمه مينا ـ قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : تعوّذوا بالله من رأس السبعين ، وإمارة الصِّبيان ، وقال : لا تذهب الدنيا حتى يظهر اللُّكَع ابن لُكَع ، وقال الأسود : يعنى اللئيم ابن اللئيم . وقد روى الترمذى من حديث أبى كامل عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : عُمْر أمتى من ستين سنة إلى سبعين سنة ، ثم قال : حسن غريب .

وقد روى الإمام أحمد عن عفان ، وعبد الصمد عن حماد بن سلمة عن على بن يزيد : حدثنى مَن سمع أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لينعقَنّ ـ وقال عبد الصمد فى روايته ليزعقَن ـ جبّار من جبابرة بنى أمية على منبرى هذا ، زاد عبد الصمد : حتى يسيل رُعافه ، قال : فحدثنى من رأى عَمْرو بن سعيد بن سعيد بن العاص يرعف على منبر النبى ﷺ حتى سال رُعافه ، قلت : على بن يزيد بن جدعان ـ فى روايته غرابة ونكارة وفيه تشيع ، وعمرو بن سعيد هذا ، يقال له : الأشدق ، كان من سادات المسلمين وأشرافهم فى الدنيا لا فى الدين .

وروى عن جماعة من الصحابة منهم فى صحيح مسلم ، عن عثمان فى فضل الطهور ، وكان نائبا على المدينة لمعاوية ولابنه يزيد بعده ، ثم استفحل أمره حتى كان يصاول عبد الملك بن مروان ، ثم خدعه عبد الملك حتى ظفر به فقتله فى سنة تسع وستين ، أو سنة سبعين ، فالله أعلم .
وقد روى عنه من المكارم أشياء كثيرة ،من أحسنها أنه لما حضرته الوفاة قال لبنيه ـ وكانوا ثلاثة : عمرو هذا ، وأمية ، وموسى ، فقال لهم : من يتحمل ما علّى؟ فبدر ابنه عمرو هذا وقال: أنا يا أبت ، وما عليك ؟ قال : ثلاثون ألف دينار ، قال : نعم . قال: وأخواتك لا تزوجهن إلا بالأكفاء ولو أكلن خبز الشعير ، قال : نعم . قال : وأصحابى من بعدى ، إن فقدوا وجهى فلا يفقدوا معروفى ، قال : نعم . قال : أما لئن قلت ذلك ، فلقد كنت أعرفه من تحاليق وجهك وأنت فى مهدك .

وقد ذكر البيهقى من طريق عبد الله بن صالح ـ كاتب الليث ـ عن حرملة بن عمران عن أبيه عن يزيد بن أبى حبيب ، أنه سمعه يحدث عن محمد بن يزيد بن أبى زياد الثقفى ، قال : اصطحب قيس ابن خرشة وكعب ، حتى إذا بلغا صفين[1] ، وقف كعب الأحبار فذكر كلامه فيما يقع هناك من سفك دماء المسلمين ، وأنه يجد ذلك فى التوراة ، وذكر عن قيس بن خرشة أنه بايع رسول الله ﷺ على أن يقول الحق ، وقال : يا قيس بن خرشة عسى إن غذبك الدهر حتى يكبك بعدى من لا تستطيع أن تقول بالحق معهم ، فقال : والله لا أبايعك على شىء إلا وفيت لك به ، فقال له رسول الله ﷺ : إذا لا يضرك بشر ، فبلغ قيس إلى أيام عبيد الله ابن زياد بن أبى سفيان ، فنقم عليه عبيد الله فى شىء فأحضره فقال : أنت الذى زعم أنه لا يضرك بشر ؟ قال : نعم ، قال : لتعلمن اليوم أنك قد كذبت ، ائتونى بصاحب العذاب ، قال : فمال قيس عند ذلك فمات .

معجزة أخرى — روى البيهقى من طريق الدراوردى عن ثور بن يزيد عن موسى بن ميسرة : أن بعض بنى عبد الله سايره فى بعض طريق مكة ، قال: حدثنى العباس بن عبد المطلب ، أنه بعث ابنه عبد الله إلى رسول الله ﷺ فى حاجة ، فوجد عنده رجلا ، فرجع ولم يكلمه من أجل مكان رجل ، فلقى العباس رسول الله ﷺ فأخبره بذلك ، فقال : ورآه ؟ قال : نعم ، قال : أتدرى من ذلك الرجل ؟ ذاك جبريل ، ولن يموت حتى يذهب بصره ويؤتى علما ، وقد مات ابن عباس سنة ثمان وستين بعد ما عمى رضى الله عنه . وروى البيهقى من حديث المعتمر بن سليمان ، حدثتنا سيابة بنت يزيد عن خمارة عن أنيسة بنت زيد بن أرقم عن أبيها ، أن رسول الله ﷺ دخل على زيد يعوده فى مرض كان به ، قال : ليس عليك من مرضك بأس ، ولكن كيف بك إذا عمرت بعدى فعميت ؟ قال : إذاً أحتسب وأصبر ، قال : إذاً تدخل الجنة بغير حساب ، قال : فعمى بعد ما مات رسول الله ، ثم ردّ الله عليه بصره ، ثم مات .

(١) صفين : موضع قرب الرقة بشاطىء الفرات ، كانت به الوقعة بين على ومعاوية غرة صفر سنه ٣٧ هـ

فصـــل

وثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة ، وعند مسلم ، عن جابر بن سمرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : إن بين يدَى الساعة ثلاثين كذّابا دجّالا ، كلّهم يزعم أنه نبى . وقال البيهقى عن الماليني عن أبى عدىّ عن أبى يعلى الموصلى : حدثنا ابن أبى شيبة ، ثنا محمد بن الحسن الأسدى ، ثنا شريك عن أبى إسحاق. عن عبد الله بن الزبير قال : قال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذّابا ؛ منهم مُسَيلمة ، والعَنسى ، والمختار . وشرُّ قبائل العرب بنُو أمية ، وبنو حَنيفة وثَقيف قال ابن عدى : محمد بن الحسن له إفراءات ، وقد حدّث عنه الثقاة ، ولم أر بتحديثه بأساً . وقال البيهقى : لحديثه فى المختار شواهد صحيحة . ثم أورد من طريق أبى داود الطيالسى : حدثنا الأسود بن شيبان عن أبى نوفل ، عن أبى عقرب عن أسماء بنت أبى بكر ، أنها قالت للحجاج بن يوسف : أما إنّ رسول الله ﷺ حدثنا أن فى ثقيف كذابا ومُبيراً[1] ، فأما الكذاب فقد رأيناه ، وأما المبير فلا إخالك إلا إياه قال : ورواه مسلم من حديث الأسود ابن شيبان ، وله طرق عن أسماء وألفاظ سيأتى إيرادها فى موضعه . وقال البيهقى : أنا الحاكم وأبو سعيد عن الأصم عن عباس الدراوردى ، عن عبيد الله بن الزبير الحميدى ، ثنا سفيان بن عيينة عن أبى المحيا عن أمه قالت : لما قتل الحجاجُ عبد الله بن الزبير ، دخل الحجاج على أسماء بنت أبى بكر فقال : يا أمّه ، إن أمير المؤمنين أوصانى بك ، فهل لك من حاجة ؟ فقالت : لست لك بأمّ ولكنى أمّ المصلوب على رأس الثّنية ، وما لى من حاجة ، ولكن انتظر حتى أحدثك ما سمعت من رسول الله ﷺ ، يقول : يخرج من ثقيف كذاب ومبير ، فأما الكذاب فقد رأيناه ، وأما المبير فأنتَ ، فقال الحجاج : مُبير المنافقين .

وقال أبو داود الطيالسى · حدثنا شريك عن أبى علوان ـ عبد الله بن عصمة ـ عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن فى ثقيف كذابا ومُبيراً ، وقد تواتر خبر المختار بن أبى عبيد الكذاب الذى كان نائبا على العراق وكان يزعُم أنه نبى ، وأن جبريل كان يأتيه بالوحى ، وقد قيل لابن عمر وكان زوج أخت المختار صفيه : إن المختار يزعم أن الوحى يأتيه ، قال : صدق ، قال الله تعالى : (وإنّ الشّياطين لَيُوحُون إلى أوْليائهم)[2] وقال أبو داود الطيالسى : ثنا قرة بن خالد عن عبد الملك ابن عمير عن رفاعة بن شداد ، قال : كنت ألصق شىء بالمختار الكذاب ، قال : فدخلت عليه ذات يوم فقال : دخلتَ وقد قام جبريل قبلُ من هذا الكرسى ، قال فأهويت إلى قائم السّيف لأضرب به ، حتى ذكرت حديثاً حدثنيه عمرو بن الحَمِق الخزاعى ، أن رسول ﷺ قال : إذا أمن الرجلُ الرجلَ على دَمه ثم قتله ، رفع له لواء الغدر يوم القيامة ، فكففت عنه . وقد رواه أسباط بن نصر وزائدة والثورى ،

(١) المبير : الرجل الفاسد والهالك لا خير فيه والمسرف فى إهلاك الناس (٢) الآية : ١٢١ من سورة الأنعام

عن إسماعيل السّدى عن رفاعة بن شداد القبانى فذكر نحوه . وقال يعقوب بن سفيان : ثنا أبو بكر الحميدى ، ثنا سفيان بن عيينة عن مجالد عن الشعبي ، قال : فاخرت أهل البصرة فغلبتُهم بأهل الكوفة ، والأحنف ساكت لا يتكلم ، فلما رآنى غلبتُهم أرسل غلاماً له فجاء بكتاب فقال : هاك اقرأ : فقرأته فإذا فيه : من المختار لله يذكر أنه نبيٌ ، يقول الأحنف : أنّى فينا مثل هذا ؟ وأما الحجاج بن يوسف فقد تقدم الحديث أنّه الغلام المبير الثقفى ، وسنذكر ترجمته إذا انتهينا إلى أيامه ، فإنه كان نائباً على العراق لعبد الملك بن مروان ، ثم لابنه الوليد بن عبد الملك ، وكان من جبابرة الملوك ، على ما كان فيه من الكرم والفصاحة على ماسنذكره .

وقد قال البيهقى : ثنا الحاكم عن أبى نصر الفقيه ، ثنا عثمان بن سعيد الدارمى ، أنّ معاوية ابن صالح حدّثه عن شريح بن عبيد ، عن أبى جذبة قال : جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فأخبره أن أهل العراق قد حَصَبُوا أميرهم ، فخرج غضبان فصلى لنا الصلاة فسها فيها ، حتى جعل الناس يقولون : سبحان الله ، سبحان الله ، فلما سلَّم أقبلَ على الناس فقال : من ههنا من أهل الشام ؟ فقام رجل ثم قام آخر ، ثم قمت أنا ثالثاً أو رابعاً ، فقال : يا أهل الشام استعدوا لأهل العراق ، فإن الشيطان قد باضَ فيهم وفرّخ ، اللهم إنهم قد لبّسوا[1] علىّ فألبس عليهم بالغلام الثقفى يحكم فيهم بحكم أهل الجاهلية ، لا يَقبل من مُحسِنهم ، ولا يتجاوز عن مسيئهم . قال عبد الله : وحدثنى ابن لهيعة بمثله ، قال : وَوُلد الحجاج يومئذ . ورواه الدارمى أيضاً عن أبى اليمان عن جرير ابن عثمان عن عبد الرحمن[2] بن ميسرة ، عن أبى عَذبة الحمصى عن عمر فذكر مثله . قال أبو اليمان : قد علم عمر أن الحجاج خارج لا محالة ، فلما أغضبوه استعجل لهم العقوبة ، قلت : فإن كان هذا نقله عُمَرَ عن رسول الله ﷺ لقد تقدم له شاهد عن غيره ، وإن كان عن تحديث ، فكرامة الولىّ مُعجزة لنبيه .

وقال عبد الرزاق : أنا جعفر — يعنى ابن سليمان — عن مالك بن دينار عن الحسن قال : قال علىّ لأهل الكوفة : اللهم كما ائتمنتُهم فخانونى ، ونصحتُ لهم فغشونى ، فسلّط عليهم فتى ثقيف الذيال[3] الميّال ، يأكل خضرتها ، ويلبس فروتها ، ويحكم فيهم بحكم الجاهلية ، قال : فتوفى الحسن وما خلق الله الحجاج يومئذ . وهذا منقطع . وقد رواه البيهقى أيضاً من حديث معتمر بن سليمان عن أبيه عن أيوب عن مالك بن أوس بن الحدثان ، عن على بن أبى طالب أنه قال : الشاب الذّيال أمير المصرين ، يلبس فروتها ، ويأكل خُضرتها ، ويقتل أشراف أهلها ، يشتدّ منه العرق[4]

---

(١) أى : خلطوا ودلسوا . (٢) فى نسخة : عبد الملك .

(٣) الذيال : المتبختر فى مشيته والميال : الذى يميل فى سيره اختيالا . (٤) فى نسخة : العزق

ويكثر منه الأرق ، ويُسَلطه الله على شيعته وله من حديث يزيد بن هرون : أنا العوام بن حوشب ، حدثنى حبيب بن أبى ثابت قال : قال علىّ : لامُتّ حتى تدرك فتى ثقيف ، فقيل : يا أمير المؤمنين وما فتى ثقيف؟ قال : ليقالنّ له يوم القيامة : اكفنا زاويةً من زوايا جهنم ، رجل يملك عشرين سنة أو بضعاً وعشرين سنة ، لا يَدَع لله معصية لا ارتكبها ، حتى لو لم يَبق إلا معصية واحدة وكان بينه وبينها باب مُغلق ـ لكسره حتى يرتكبها ، يَفتن بمن أطاعه مَن عصاه . وهذا معضل ، وفى صحته عن على نظر ، والله أعلم . وقال البيهقى عن الحاكم عن الحسين بن الحسن ابن أيوب ، عن أبى حاتم الرازى عن عبد الله بن يوسف الثنيني ، ثنا هشام بن يحيى الغسانى قال : قال عمر بن عبد العزيز : لو جاءت كُلُّ أمة بخبيثها ، وجئناهم بالحجاج لغلبناهم . وقال أبو بكر ابن عياش عن عاصم عن أبى ، عن أبى النجود : مابقيت لله حُرمة إلا وقد ارتكبها الحجاج . وقال عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس ، أن أباه لما تحقق موت الحجاج تلا قوله تعالى (فَقُطِع دَابِرُ القومِ الذين ظلَموا والحمدُ لله ربِّ العالمين)[1] قلت : وقد توفى الحجاج سنة خمس وتسعين .

ذكر الإشارة النبوية إلى دولة عمر بن عبد العزيز ـ تاج بنى أمية

قد تقدم حديث أبى إدريس الخولانى عن حذيفة قال : سألت رسول الله ﷺ هل بعد هذا الخير من شر؟ قال : نعم ، قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال نعم وفيه دخَن[2]، قلت: وما دخَنه ؟ قال : قوم يَستَنُّون بغير سنتى ، ويَهدون بغير هَدْيى ، تعرف منهم وتنكر . الحديث ، فحمل البيهقى وغيره هذا الخير الثانى على أيام عمر بن عبد العزيز . وروى عن الحاكم عن الأصم عن العباس بن الوليد بن مَرْثد عن أبيه قال: سئل الأوزاعى عن تفسير حديث حذيفة ، حين سأل رسول الله ﷺ عن الشر الذى يكون بعد ذلك الخير ، فقال الأوزاعى : هى الردة التى كانت بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وفى مسألة حذيفة ـ فهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : نعم، وفيه دخن ، قال الأوزاعى : فالخير الجماعة ، وفى وُلاتهم من يعرف سيرته ، وفيهم من ينكر سيرته ، قال : فلم يأذن رسول الله ﷺ فى قتالهم ما صَلّوا الصلاة . وروى أبو داود الطيالسى عن داود الواسطى ـ وكان ثقة ـ عن حبيب بن سالم عن نعمان بن سالم ، عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ: إنكم فى النبوة ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها لكم إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة . قال: فقدم عمر بن عبد العزيز ومعه يزيد بن النعمان . فكتبت إليه

---

(١) الآية : ٤٥ من سورة الأنعام . (٢) الدخن ـ محركة ـ الحقد وسوء الخلق .

أذكره الحديث وكتبته إليه أقول : إنى أرجو أن تكون أمير المؤمنين بعد الخيرية ، قال : فأخذ يزيد الكتاب فأدخله على عمر فسرّ به وأعجبه .

وقال نعيم بن حماد : حدثنا روح بن عبادة عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة قال : قال عمر ابن عبد العزيز : رأيت رسول الله ﷺ وعنده عمر وعثمان وعلىّ ، فقال لى : اذنُ فدنوت حتى قمت بين يديه ، فرفع بصره إلىّ وقال : أما إنك ستلى أمرَ هذه الأمة وستعدل عليهم . وسيأتى فى الحديث الآخر ـ إن شاء الله ـ أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يُجَدِّد لها دينها ، وقد قال كثير من الأئمة : إنه عمر بن عبد العزيز ؛ فإنه تولى سنة إحدى ومائة . وقال البيهقى : أنا الحاكم ، أنا أبو حامد أحمد بن على المقرى ، ثنا أبو عيسى ، ثنا أحمد بن إبراهيم ، ثنا عفان بن مسلم ، ثنا عثمان بن عبد الحميد بن لاحق عن جُوَيرية بن أسماء عن نافع عن ابن عمر قال : بلغنا أنّ عمر بن الخطاب قال : إنّ من ولدى رجلا بوجهه شَيْن ، يَلى فيملأ الأرض عَدلا ، قال نافع من قبله : ولا أحسبه إلا عمر بن عبد العزيز . وقد رواه نعيم بن حماد عن عثمان بن عبد الحميد به ، ولهذا طرق عن ابن عمر أنه كان يقول : ليت شعرى ، مَن هذا الذى من وَلد عمر ابن الخطاب فى وجهه عَلامَة يملأ الأرض عدلا ؟ . وقد روى ذلك عن عبد الرحمن بن حَرملة عن سعيد بن المسيب نحواً من هذا ، وقد كان هذا الأمر مشهوراً قبل ولايته وميلاده بالكلية ، أنه يلى رجلٌ من بنى أمية يقال له : أشجُّ بنى مروان ، وكانت أمه أروى بنت عاصم بن عمر ابن الخطاب ، وكان أبوه عبد العزيز بن مروان نائباً لأخيه عبد الملك على مصر ، وكان يُكرم عبد الله بن عمر ، ويبعث إليه بالتحف والهدايا والجوائز فيقبلها ، وبعث إليه مرّة بألف دينار فأخذها . وقد دخل عمر بن عبد العزيز يوماً إلى اصطَبل أبيه وهو صغير ، فرمحه فرس فشجّه فى جبينه ، فجعل أبوه يَسْلت عنه الدم ويقول : أمالئن كنت أشجّ بنى مروان ، إنك إذاً لسعيد . وكان الناس يقولون : الأشجُّ والناقصُ أعدلا بنى مروان ؛ فالأشج هو : عمر بن عبد العزيز ، والناقص هو : يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، الذى يقول فيه الشاعر :

رأيت اليزيد بن الوليد مباركاً ... شديداً بأعباء الخلافة كاهله

قلت : وقد ولى عمر بن عبد العزيز بعد سليمان بن عبد الملك سنتين ونصفاً ، فملأ الأرض عَدلا ، وفاض المال حتى كان الرجل يُهِمّه لمن يعطى صدقته ؟ وقد حمل البيهقى الحديث المتقدم عن عدى بن حاتم ، على أيام عمر بن عبد العزيز . وعندى فى ذلك نظر ، والله أعلم . وقد روى البيهقى من حديث إسماعيل بن أبى أويس : حدثنى أبو معن الأنصارى ، ثنا أسيد قال : بينما عمر بن عبد العزيز يمشى إلى مكة بفلاة من الأرض إذ رأى حيّة ميتة فقال : علىّ بمحفار ، فقالوا : نكفيك أصلحك الله ، قال : لا ، ثم أخذه ثم لفّه فى خِرقة ودفنه ، فإذا هاتف يهتف : رحمة الله

عليك يا سُرّق ، فقال له عمر بن عبد العزيز : من أنت يرحمك الله ؟ قال : أما رجل من الجنّ وهـذا سُرّق ، ولم يبق ممن بايع رسول الله ﷺ غيرى وغيره ، وأشهد لسمعتُ رسول الله ﷺ يقول : تموت يا سُرّق بفلاةٍ من الأرض ويدفنُك خيرُ أمتى[1] . وقد روى هذا من وجه آخر ، وفيه: أنهم كانوا تسعة بايعوا رسول الله ﷺ ، وفيه: أن عمر بن عبد العزيز حلّفه ، فلما حلف بكى عمر بن عبد العزيز ، وقد رجحه البيهقى وحسنه ، فالله أعلم .

حديث آخر — فى صحته نظر — فى ذكر وهب بن منبّه بالمدح ، وذكر غيلان بالذم :

روى البيهقى من حديث هشام بن عمار وغيره عن الوليد بن أسلم[2] عن مروان بن سالم البرقانى عن الأحوص بن حكيم ، عن خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ : يكون فى أمتى رجل يقال له : وَهْب ، يهب الله له الحكمة ، ورجل يقال له : غَيْلان ، هو أضر على أمتى من إبليس وهذا لا يصح ؛ لأن مروان بن سالم هذا متروك . وبه إلى الوليد : حدثنا ابن لهيعة عن موسى بن وردان عن أبى هريرة قال : قال النبى ﷺ : ينعق الشيطان بالشام نَعْقة يكذب ثلثاهم بالقدر . قال البيهقى : وفى هـذا وأمثاله إشارة إلى غيلان وما ظهر بالشام بسببه، من التكذيب بالقَدَر حتى قُتل .

الإشارة إلى محمد بن كعب القرظى وعلمه بتفسير القرآن وحفظه

قال حرملة عن ابن وهب : أخبرنى أبو صخر عن عبد الله بن مغيث ، عن أبى بُردة الظفرى عن أبيه عن جده قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يخرج فى أحد الكاهنَين[3] رجل قد درَس القرآن دراسة لا يدرسها أحد يكون من بعده . وروى البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن إسماعيل القاضى ، ثنا أبو ثابت ، ثنا ابن وهب ، حدثنى عبد الجبار بن عمر عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن قال : قال رسول الله ﷺ : يكون فى أحد الكاهنين رجل يدرس القرآن دراسة لا يدرسها أحد غيره ، قال : فكانوا يرون : أنه محمد بن كعب القُرظى ، قال أبو ثابت : الكاهنان : قريظة والنضير . وقد روى من وجه آخر مرسل : يخرج من الكاهنين رجل أعلَم الناس بكتاب الله ، وقد قال عون بن عبد الله : ما رأيت أحداً أعلم بتأويل القرآن من محمد بن كعب .

(١) جاء فى القاموس : أن سرق هو ابن أسد الجهنى صحابى ، وكان اسمه الحباب ، فابتاع من بدوى راحلتين ثم أجلسه على باب دار ليخرج إليه بثمنهما فخرج من الباب الآخر ، وهرب بهما ، فأخبر به النبى فقال : التمسوه ، فلما أتى به قال له : أنت سرق ، وكان يقول : لا أحب أن أدعى بغير ما سمانى به رسول الله

(٢) فى نسخة : ابن مسلم

(٣) الكاهنان : حيان ، ويقال لقريظة والنضير : الكاهنان ، وهما قبيلا اليهود بالمدينة .

ذكر الإخبار بانخرام قرنه ﷺ بعد مائة سنة من ليلة إخباره وكان كما أخبر

ثبت في الصحيحين من حديث الزهري عن سالم وأبي بكر بن سليمان بن أبي خيثمة عن عبد الله بن عمر قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة العشاء ليلة في آخر عمره ، فلما سلم قام فقال : أرأيتكم ليلتكم هذه ؟ فإن رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد ، قال عمر : فوَهِل[1] الناس من مقالة رسول الله ﷺ ، إلى ما يُحدثون من هذه الأحاديث من مائة سنة ، وإنما يريد بذلك أنها تخرم ذلك القرن ، وفي رواية : إنما أراد رسول الله ﷺ انخرام قرنه[2]. وفي صحيح مسلم من حديث ابن جريج: أخبرني أبو الزبير ، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل موته بشهر : يسألون عن الساعة ، وإنما علمها عند الله ، فأقسم بالله ما على ظهر الأرض من نفس مَنْفوسة[3] اليوم ، يأتي عليها مائة سنة . وهذا الحديث وأمثاله ، مما يحتج به من ذهب من الأئمة إلى أن الخضر ليس بموجود الآن ، كما قدمنا ذلك في ترجمته في قصص الأنبياء عليهم السلام . وهو نص على أن جميع الأحياء في الأرض يموتون إلى تمام مائة سنة من إخباره عليه السلام ، وكذا وقع سواء ، فما نعلم تأخَّر أحد من أصحابه إلى ما يجاوز هذه المدة ، وكذلك جميع الناس . ثم قد طرد بعض العلماء هذا الحكم في كل مائة سنة ، وليس في الحديث تعرض لهذا ، والله أعلم .

حديث آخر — قال محمد بن عمر الواقدي : حدثني شريح بن يزيد عن إبراهيم بن محمد بن زياد الألماني ، عن أبيه عن عبد الله بن بسر ، قال : وضع رسول الله ﷺ يده على رأسي وقال : هذا الغلام يعيش قَرناً ، قال : فعاش مائة سنة . وقد رواه البخاري في التاريخ عن أبي حَيوة شريح بن يزيد به فذكره ، قال : وزاد غيره : وكان في وجهه ثُؤلول[4] ، فقال : ولا يموت حتى يذهب الثؤلول من وجهه ، فلم يمت حتى ذهب الثؤلول من وجهه . وهذا إسناد على شرط السنن ، ولم يخرجوه . ورواه البيهقي عن الحاكم عن محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى ، عن الفضل ابن محمد الشعراني : ثنا حيوة بن شريح عن إبراهيم بن محمد بن زياد الألماني عن أبيه عن عبد الله ابن بسر ، أن رسول الله ﷺ قال له : يعيش هذا الغلام قرناً ، فعاش مائة سنة . قال الواقدي وغير واحد : توفي عبد الله بن بسر بحمص سنة ثمان وثمانين عن أربع وتسعين ، وهو آخر من بقي من الصحابة بالشام .

---

(١) أي : فزعوا واضطربوا (٢) أي : أن كل آدمي حي حينئذ لا يزيد عمره على مائة سنة

(٣) أي مخلوقة ومولودة (٤) الثؤلول : نفخة تظهر في الجلد كالحمصة فما دونها ، والجمع : ثآليل

ذكر الأخبار عن الوليد بما فيه له من الوعيد الشديد

(وإن صح فهو الوليد بن يزيد ـ لا الوليد بن عبد الملك بانى الجامع السعيد)

قال يعقوب بن سفيان : حدثنى محمد بن خالد بن العباس السكسكى ، حدثنى الوليد بن مسلم ، حدثنى أبو عمر الأوزاعى عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب قال : ولد لأخى أم سلمة[1] غلام فسموه الوليد ، فقال رسول الله ﷺ : قد جعلتم تسمون بأسماء فراعنتكم ، إنه سيكون فى هذه الأمة رجل يقال له الوليد ، هو أضرُّ على أمتى من فرعون على قومه . قال أبو عمر الأوزاعى : فكان الناس يَرَون أنه الوليد بن عبد الملك ، ثم رأينا أنه لوليد بن يزيد ؛ لفتنة الناس به ، حتى خرجوا عليه فقتلوه ، وانفتحت على الأمة الفتنة والهَرَج . وقد رواه البيهقى عن الحاكم ، وغيره عن الأصم عن سعيد بن عثمان التنوخى ، عن بشر بن بكر عن الأوزاعى عن الزهرى عن سعيد ، فذكره ولم يذكر قول الأوزاعى ، ثم قال : وهذا مرسل حسن . وقد رواه نعيم بن حماد عن الوليد بن مسلم به ، وعنده قال الزهرى : إن استخلف الوليد بن يَزيد ، فهو هُو ، وإلا فهو الوليد بن عبد الملك . وقال نعيم بن حماد : ثنا هشيم عن أبى حمزة عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : سيكون رجل اسمه الوليد ، يسُد به ركنٌ من أركان جهنم وزاوية من زواياها وهذا مرسل أيضاً .

حديث آخر — قال سليمان بن بلال عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : إذا بلغ بنو أبى العاص أربعين رجلا ، اتخذوا دين الله دَغَلا[2] ، وعباد الله خَوَلا[3] ، ومال الله دُولا[4] . رواه البيهقى من حديثه ، وقال نعيم بن حماد : ثنا بقية ابن الوليد وعبد القدوس عن أبى بكر بن أبى مريم عن راشد بن سعد عن أبى ذر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا بلغت بنو أمية أربعين ، اتخذوا عبادَ الله خَوَلاً ، ومال الله نُحلا[5] ، وكتاب الله دَغلا . وهذا منقطع بين راشد بن سعد وبين أبى ذر . وقال إسحاق بن راهويه : أنا جرير عن الأعمش عن عطيه عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : إذا بلغ بنو أبى العاص ثلاثين رجلا اتخذوا دين الله دَغَلا ، ومال الله دُولا ، وعباد الله خَوَلا . ورواه أحمد عن عثمان ابن أبى شيبة عن جرير به .

---

(١) فى نسخة : « أم سليم »

(٢) الدغل : الفساد ، والمراد : أدغلوا فى تفسيره وأدخلوا فيه ما يفسده ويخالف المراد منه

(٣) الخول : العبيد والإماء وغيرهم من الحاشية (٤) أى يتداولونه بينهم فيكون لقوم دون قوم

(٥) أى : يعطى من غير استحقاق . والنحل : العطية والهبة ابتداء من غير عوض ولا استحقاق

وقال البيهقي : أنا علي بن أحمد بن عبدان ، أنا أحمد بن عبيد الصفار ، ثنا بسام – وهو محمد ابن غالب – ، ثنا كامل بن طلحة ، ثنا ابن لهيعة عن أبي قبيل ، أنّ ابن وهب أخبره ، أنه كان عند معاوية بن أبي سفيان فدخل عليه مَروان فكلّمه في حاجته فقال : اقض حاجتي يا أمير المؤمنين فوالله إنّ مؤنتي لعظيمة ، وإنّي لأبو عشرة ، وعمّ عشرة ، وأخو عشرة . فلما أدْبَر مروان – وابن عباس جالس مع معاوية على السرير – قال معاوية : أنشُدك بالله يا ابن عباس ، أما تعلم أنّ رسول الله ﷺ قال : إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله بينهم دُوَلا ، وعبادَ الله خَوَلاً ، وكتاب الله دَغَلا ؟ فإذا بلغوا سبعة وتسعين وأربعمائة ، كان هلاكهم أسرع من لَوك ثمرة ؟ فقال ابن عباس : اللهم نعم قال : وذكر مَروان حاجة له فردّ مروان عبد الملك إلى معاوية فكلمه فيها ، فلما أدبر عبد الملك قال معاوية : أنشُدك بالله يا ابن عباس ، أما تعلم أن رسول الله ﷺ ذكر هذا فقال : أبو الجبابرة الأربعة ؟ فقال ابن عباس : اللهم نعم . وهذا الحديث فيه غرابة ونكارة شديدة ، وابن لهيعة ضعيف وقد قال أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي : ثنا مسلم ابن إبراهيم ، ثنا سعد بن زيد ، أخو حماد بن زيد ، عن علي بن الحكم البناني عن أبي الحسن عن عمرو بن مرة ، وكانت له صُحبة ، قال : جاء الحكم بن أبي العاص يستأذن النبي ﷺ ، فعرف كلامه فقال : ائذنوا له ، حيّة ، أو ولد حية . عليه لعنة الله ، وعلى من يخرج من صُلبه إلا المؤمنين ، وقليل ما هم . يُترفون في الدنيا ويُوضَعون في الآخرة ، ذوو مكر وخديعة ، يُعطون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق . قال الدارمي : أبو الحسن هذا حمصي . وقال نعيم بن حماد في الفتن والملاحم : ثنا عبد الله بن مروان المرواني عن أبي بكر بن أبي مريم عن راشد بن سعد ، أنّ مروان بن الحكم لما ولد دُفِع إلى النبي ﷺ ليدعوَ له ، فأبى أن يفعل ، ثم قال : ابن الزرقاء ، هلاك أمتي على يَديه ويَدَي ذريته . وهذا حديث مرسل .

ذكر الأخبار عن خلفاء بني أمية جملة من جملة ، والإشارة إلى مدة دولتهم

قال يعقوب بن سفيان : ثنا أحمد بن محمد أبو محمد الزرقي ، ثنا الزنجي – يعني مسلم بن خالد – عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : رأيت في المنام بني الحكم – أو بني أبي العاص – يَنزُون على منبري كما تنزُو القِردة ، قال : فما رُئي رسول الله مستجمعاً ضاحكا حتى توفي وقال الثوري : عن علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب قال : رأى رسول الله ﷺ بني أمية على منابرهم فساءه ذلك فأوحي إليه : إنّما هي دنيا أُعطوها ، فقرّت به

عينه ، وهي قوله : (وما جَعَلْنَا الرُّؤيا التي أريناكَ إلاّ فِتْنَةً للناس[1]) يعني بلاء للناس . على ابن زيد بن جدعان ضعيف ، والحديث مرسل أيضاً . وقال أبو داود الطيالسي : ثنا القاسم بن الفضل ـ هو الحداني ـ ثنا يوسف بن مازن الراسبي قال : قام رجل إلى الحسن بن علي بعد ما بايع معاوية ، فقال يامُسَوِّد وجوه المؤمنين ، فقال الحسن : لا تؤنِّبني رحمك الله ، فإنّ رسول الله ﷺ رأى بني أمية يخطبون على منبره رَجُلاً رجلاً ، فساءه ذلك فنزلت (إنَّا أعطيناكَ الكَوْثَر) ـ يعني نهراً في الجنة ـ ونزلت : (إنَّا أنزلناهُ في ليلةِ القَدْرِ * وما أدْرَاكَ ما ليلةُ القَدْرِ * ليلةُ القَدْرِ خَيْرٌ مِنْ ألفِ شَهْر) يملكه بنو أمية . قال القاسم : فحسبنا ذلك فإذا هو ألف شهر لا يزيد يوماً ولا ينقص يوماً .

وقد رواه الترمذي وابن جرير الطبري ، والحاكم في مُسْتدركه ، والبَيهقي في دلائل النبوة ـ كلهم من حديث القاسم بن الفضل الحذاء ، وقد وثقه يحيى بن سعد القطان ، وابن مهدي ـ عن يوسف ابن سعد ، ويقال : يوسف بن مازن الراسبي . وفي رواية ابن جرير عيسى بن مازن ، قال الترمذي: وهو رجل مجهول . وهذا الحديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، فقوله : إن يوسف هذا مجهول ـ مشكل ، والظاهر أنه أراد أنه مجهول الحال ؛ فإنه قد روى عنه جماعة ؛ منهم حماد بن سلمة ، وخالد الحذاء ويونس بن عبيد . وقال يحيى بن معين : هو مشهور ، وفي رواية عنه قال : هو ثقة ، فارتفعت الجهالة عنه مطلقاً ، قلت : ولكن في شهوده قصة الحسن ومعاوية ـ نظر ، وقد يكون أرسلها عمن لا يعتمد عليه ، والله أعلم وقد سألت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي ـ رحمه الله ـ عن هذا الحديث فقال: هو حديث منكر ، وأما قول القاسم بن الفضل رحمة الله : إنه حَسب دولة بني أمية فوجدها ألف شهر ، لاتزيد يوماً ولا تنقصه ـ فهو غريب جداً ، وفيه نظر ، وذلك لأنه لا يمكن إدخال دولة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكانت ثنتا عشرة سنة ـ في هذه المدة ، لا من حيث الصورة ولا من حيث المعنى؛ وذلك أنها ممدوحة لأنه أحد الخلفاء الراشدين والأئمة المهديِّين الذين قضَوا بالحق وبه كانوا يعدلون. وهذا الحديث إنما سيق لذمِّ دولتهم وفي دلالة الحديث على الذّم نظر ، وذلك أنه دلّ على أن ليلة القدر خير من ألف شهر التي هي دولتهم ، وليلة القدر ليلة خَيِّرة ، عظيمة المقدار والبركة ، كما وصفها الله تعالى به ، فلا يلزم من تفضيلها على دولتهم ذمّ دولتهم ، فليتأمل هذا فإنه دقيق يدل على أن الحديث في صحته نظر ، لأنه إنما سيق لذم أيامهم ، والله تعالى أعلم. وأما إذا أراد أن ابتداء دولتهم منذ ولي معاوية حين تسلّمها من الحسن بن علي ، فقد كان ذلك سنة أربعين ، أو إحدى وأربعين ، وكان يقال له عام الجماعة ؛ لأن الناس كلهم اجتمعوا على إمام

---

(١) من الآية : ٦٠ من سورة الإسراء .

واحد . وقد تقدم الحديث فى صحيح البخارى ، عن أبى بكرة ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول للحسن بن على : إن ابنى هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين . فكان هذا فى هذا العام ، ولله الحمد والمنة . واستمر الأمر فى أيدى بنى أمية من هذه السنة إلى سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، حتى انتقل إلى بنى العباس كما سنذكره ، ومجموع ذلك : ثنتان وتسعون سنة ، وهذا لا يطابق ألف شهر ؛ لأن معدل ألف شهر - ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر .

فإن قال : أنا أخرج منها ولاية ابن الزبير وكانت تسع سنين ، فحينئذ يبقى ثلاث وثمانون سنة - فالجواب : أنه وإن خرجت ولاية ابن الزبير ، فإنه لا يكون مابقى مطابقاً لألف شهر تحديداً ، بحيث لا ينقص يوماً ولا يزيده ، كما قاله ، بل يكون ذلك تقريباً ، هذا وجه .

الثانى : أن ولاية ابن الزبير كانت بالحجاز والأهواز والعراق فى بعض أيامه ، وفى مصر فى قول ، ولم تنسلب يد بنى أمية من الشام أصلا ، ولا زالت دولتهم بالكلية فى ذلك الحين .

الثالث : أن هذا يقتضى دخول دولة عمر بن عبد العزيز فى حساب بنى أمية ، ومقتضى ماذكره أن تكون دولته مذمومة ، وهذا لا يقوله أحد من أئمة الإسلام ، وإنهم مصرحون بأنه أحد الخلفاء الراشدين ، حتى قرنوا أيامه تابعة لأيام الأربعة ، وحتى اختلفوا فى أيهما أفضل ؟ هو أو معاوية بن أبى سفيان أحد الصحابة ؟ وقد قال أحمد بن حنبل : لا أرى قول أحد من التابعين حجة - إلا قول عمر بن عبد العزيز . فإذا علم هذا ؛ فإن أخرج أيامه من حسابه انخرم حسابه ، وإن أدخلها فيه مذمومة خالف الأئمة ، وهذا مالا محيد عنه . وكل هذا مما يدل على نكارة هذا الحديث والله أعلم .

وقال نعيم بن حماد : حدثنا سفيان ، عن العلاء بن أبى العباس ، سمع أبا الطفيل ، سمع عليا يقول : لا يزال هذا الأمر فى بنى أمية ما لم يختلفوا بينهم . حدثنا ابن وهب عن حرملة بن عمران عن سعد ابن سالم عن أبى سالم الجيشانى سمع علياً يقول : الأمر لهم حتى يقتلوا قتيلهم ، ويتنافسوا بينهم ، فإذا كان ذلك بعث الله عليهم أقواماً من المشرق يقتلونهم بَددًا[1] ويحصرونهم عدداً ، والله لا يملكون سَنَةً إلا ملكنا سنتين ، ولا يملكون سنتين إلا ملكنا أربعا . وقال نعيم ابن حماد : حدثنا الوليد بن مسلم ، عن حصين بن الوليد ، عن الزهرى بن الوليد ، سمعت أم الدرداء ، سمعت أبا الدرداء يقول : إذا قتل الخليفة الشاب من بنى أمية بين الشام والعراق مظلوما ، لم تزل طاعة تستخف بها ، ودم مسفوك بغير حق - يعنى الوليد بن يزيد - ومثل هذه الأشياء إنما تقال عن توقيف .

---

(١) بفتح الباء أى : متفرقين وبكسرها : جمع بدة وهى الفرقة والقطعة من الشىء المبدد .

ذكر الأخبار عن دولة بني العباس

وكان ظهورهم من خراسان بالرايات السود ، في سنة ثنتين وثلاثين ومائة

قال يعقوب بن سفيان : حدثني محمد بن خالد بن العباس ، ثنا الوليد بن مسلم ، حدثني أبو عبدالله عن الوليد بن هشام المعيطي ، عن أبان بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط قال : قدم عبد الله ابن عباس على معاوية وأنا حاضر ، فأجازه فأحسن جائزته ، ثم قال : يا أبا العباس هل لكم دولة ؟ فقال : اعفني يا أمير المؤمنين ، فقال : لتخبرني ، قال : نعم ، فأخبره ، قال : فمن أنصاركم ؟ قال : أهل خُراسان ، ولبني أمية من بني هاشم بَطحات[1] . رواه البيهقي . وقال ابن عدي : سمعت ابن حماد ، أنا محمد بن عبده بن حرب ، ثنا سويد بن سعيد ، أنا حجاج بن تميم ، عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال : مررت بالنبي ﷺ وإذ معه جبريل ، وأنا أظنه دِحْيَة الكَلْبي ، فقال جبريلُ للنبي ﷺ : إنه لَوسِخ الثياب وسيلبس وَلَدُه من بعده السَّواد ، وذكر تمام الحديث في ذهاب بصره ، ثم عوده إليه قبل موته . قال البيهقي : تفرد به حَجاجُ بن تميم وليس بالقوي . وقال البيهقي : أنا الحاكم ، ثنا أبو بكر بن إسحق وأبو بكر بن بالوية في آخرين قالوا : حدثنا عبد الله بن أحمد ابن حنبل ، ثنا يحيى بن معين ، ثنا عبيد الله ابن أبي قرة ، ثنا الليث بن سعيد عن أبي فضيل عن أبي ميسرة مولى العباس قال : سمعت العباس قال: كنت عند النبي ﷺ ذات ليلة فقال : انظر هل ترى في السماء من شيء ؟ قلت : نعم ، قال : ما ترى ؟ قلت: الثُّرَيّا ، قال : أما إنه سيملك هذه الأمة بعددها من صُلبك . قال البخاري : عبيد بن أبي قرة بغدادي سمع الليث ، لا يُتابع على حديثه في قصة العباس :

وروى البيهقي من حديث محمد بن عبد الرحمن العامري ـ وهو ضعيف ـ عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال للعباس : فيكم النبوة وفيكم الملك . وقال أبو بكر بن خيثمة : ثنا يحيى بن معين ، ثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن أبي معبد قال : قال ابن عباس : كما فتح الله بأولنا فأرجو أن يختمه بنا . هذا إسناد جيد ، وهو موقوف على ابن عباس من كلامه . وقال يعقوب بن سفيان : حدثني إبراهيم بن أيوب ، ثنا الوليد ، ثنا عبد الملك بن حميد عن أبي عتبة عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير قال : سمعت ابن عباس ونحن نقول : اثنا عشر أميراً واثنا عشر ، ثم هي الساعة . فقال ابن عباس : ما أحمقكم ؟! إنّ منا أهل البيت بعد ذلك : المنصور والسفاح ، والمهدي ، يرفعها إلى عيسى بن مريم . وهذا أيضاً موقوف . وقد رواه البيهقي من طريق الأعمش عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعاً : منا السفاح ، والمنصور ، والمهدي . وهذا إسناد ضعيف والضحاك لم يسمع من ابن عباس شيئاً على الصحيح ، فهو منقطع، والله أعلم

(١) البطيحة والأبطح والبطحاء : كل مكان متسع

وقد قال عبد الرزاق عن الثورى عن خالد الحذاء عن أبى قلابة بن أبى أسماء عن ثوبان ، قال : قال رسول الله ﷺ : يقتل عند كنزكم[1] هـذه ثلاثة كلهم ولد خليفة ، لا يصير إلى واحد منهم ، ثم تُقبل الرايات السود من خراسان فيقتلونهم مَقتلة لم يروا مثلها ، ثم يجيء خليفة الله المهدى ، فإذا سمعتم فأتوه فبايعوه ولو حَبْوًا على الثلج ؛ فإنه خليفة الله المهدى . أخرجه ابن ماجة عن أحمد بن يوسف السلمى ، ومحمد بن يحيى الذهلى ـ كلاهما عن عبد الرزاق به . ورواه البيهقى من طرق عن عبد الرزاق ، ثم قال : تفرد به عبد الرزاق . قال البيهقى : ورواه عبد الوهاب ابن عطاء عن خالد الحذاء عن أبى قلابة عن أسماء موقوفا . ثم قال البيهقى : أنا على بن أحمد ابن عبدان ، أنا أحمد بن عبيد الصفار ، ثنا محمد بن غالب ، ثنا كثير بن يحيى ، ثنا شريك عن على بن زيد عن أبى قلابة عن أبى أسماء عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : إذا أقبلت الرايات السُّود من عقب خراسان فأتوها ولو حَبواً على الثلج ، فإن فيها خليفة الله المَهدى .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا الفضل بن سهل ، ثنا عبد الله بن داهر الرازى ، ثنا أبى عن ابن أبى ليلى عن الحكم عن إبراهيم عن عبد الله بن مسعود ، أن رسول الله ﷺ ذكر فتيةً من بنى هاشم ، فاغرَورَقت عيناه ، وذكر الرايات ، قال : فمن أدركها فليأتها ولو حَبوا على الثلج . ثم قال : وهذا الحديث لا نعلم أحدا رواه عن الحكم إلا ابن أبى ليلى ، ولا نعلمه يُروى إلا من حديث داهر بن يحيى ، وهو من أهل الرأى صالح الحديث . وإنما يعرف من حديث يزيد بن أبى زياد عن إبراهيم . وقال الحافظ أبو يعلى : ثنا أبو هشام بن يزيد بن رفاعة ، ثنا أبو بكر بن عياش ، ثنا يزيد بن أبى زياد عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ قال : قال رسول الله ﷺ : تجيء رايات سُود من قبل المشرق ، تخوض الخيلُ الدم إلى أن يُظهروا العدل ويطلبون العدل فلا يُعطونه ، فيظهرون فيطلب منهم العدل فلا يعطونه . وهذا إسناد حسن . وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن غيلان ، وقتيبة بن سعيد ، قالا : ثنا رشد ابن سعد ، قال يحيى بن غيلان فى حديثه قال : حدثنى يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن قبيصة ـ هو ابن ذؤيب الخزاعى ـ عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ ، أنه قال : يخرج من خراسان رايات سُود لا يردّها شيء حتى تنصب بإيلياء . وقد رواه الترمذى عن قتيبة به وقال : غريب . ورواه البيهقى والحاكم من حديث عبد الله بن مسعود عن رشد بن سعد ، وقال البيهقى : تفرد به رشد بن سعد ، وقد روى قريب من هذا عن كعب الأحبار ولعله أشبه ، والله أعلم .

ثم روى من طريق يعقوب بن سفيان : حدثنا محمد عن أبى المغيرة ـ عبد القدوس ،

---

(١) الكير : الزق من الجلد الذى ينفخ فيه الحداد ـ واسم جبل ـ وموضع بالبادية

عن إسماعيل بن عياش عمن حدثه عن كعب الأحبار قال : تظهر رايات سود لبنى العباس حتى ينزلوا بالشام ، ويقتل الله على أيديهم كل جبار وكل عدو لهم . وقال الإمام أحمد : حدثنا عثمان ابن أبى شيبة ، ثنا جرير عن الأعمش عن عطية العوفى عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : يخرج عند انقطاع من الزمان ، وظهور من الفتن ، رجل يقال له السفاح ، فيكون إعطاؤه المال حثوا[1] . ورواه البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الصمد عن أبى عوانة عن الأعمش به ، وقال فيه : يخرج رجل من أهل بيتى يقال له السفاح ، فذكره . وهذا الأسناد على شرط أهل السنن ولم يخرجوه . فهذه الأخبار فى خروج الرايات السود من خراسان ، وفى ولاية السفاح ـ وهو أبو العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ـ وقد وقعت ولايته فى حدود سنة ثلاثين ومائة ، ثم ظهر بأعوانه ومعهم الرايات السود ، وشعارهم السواد ، كما دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح ، وعلى رأسه المغفر وفوقه عمامة سوداء ، ثم بعث عمه عبد الله لقتال بنى أمية ، فكسرهم فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وهرب من المعركة آخر خلفائهم ، وهو مروان بن محمد بن مروان ـ ويلقب بمروان الحمار ، ويقال له مروان الجعدى ؛ لاشتغاله على الجعد بن درهم[2] فيما قيل . ودخل عمه دمشق واستحوذ على ما كان لبنى أمية من الملك والأملاك والأموال ، وجرت خطوب كثيرة سنوردها مفصلة فى موضعها إن شاء الله تعالى .

وقد ورد عن جماعة من السلف فى ذكر الرايات السود التى تخرج من خراسان بما يطول ذكره . وقد استقصى ذلك نعيم بن حماد فى كتابه ، وفى بعض الروايات ما يدل على أنه لم يقع أمرها بعد ، وأن ذلك يكون فى آخر الزمان ، كما سنورده فى موضعه إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة وعليه التكلان.

وقد روى عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى ، قال : قال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى تكون الدنيا للكع[3] بن لكع قال أبو معمر : هو أبو مسلم الخراسانى ـ يعنى الذى أقام دولة بنى العباس ـ والمقصود أنه تحولت الدولة من بنى أمية إلى بنى العباس فى هذه السنة ، وكان أول قائم منهم : أبو العباس السفاح ، ثم أخوه أبو جعفر عبد الله المنصور بانى مدينة السلام ، ثم من بعده ابنه المهدى محمد بن عبد الله ، ثم من بعده ابنه الهادى ، ثم ابنه الآخر هارون الرشيد ، ثم انتشرت الخلافة فى ذريته على ما سنفصله إذا وصلنا إلى تلك الأيام . وقد نطقت هذه الأحاديث التى أوردناها آنفا بالسفاح والمنصور والمهدى ، ولا شك أن المهدى الذى هو ابن المنصور ثالث

---

(١) أى : يسيرا . تقول : حثوت له ، أعطيته يسيرا

(٢) قيل : إنه تعلم من الجعد بن درهم مذهبه فى القول بخلق القرآن والقدر وغير ذلك

(٣) اللكع : اللئيم والأحمق ومن لا يتجه لمنطق ولا لغيره

خلفاء بنى العباس . وليس هو المهدى الذى وردت الأحاديث المستفيضة بذكره ، وأنه يكون فى آخر الزمان ، يملأ الأرض عدلا وقسطا كما مُلئت جوراً وظلماً ، وقد أفردنا للأحاديث الواردة فيه جزءاً على حدة ، كما أفرد له أبو داود كتاباً فى سننه ، وقد تقدم فى بعض هذه الأحاديث آنفاً أنه يسلّم الخلافة إلى عيسى بن مريم إذا نزل إلى الأرض ، والله أعلم .

وأما السفاح فقد تقدم أنه يكون فى آخر الزمان ، فيبعد أن يكون هو الذى بويع أول خلفاء بنى العباس ، فقد يكون خليفة آخر ، وهذا الظاهر ؛ فإنه قد روى نعيم بن حماد عن ابن وهب عن ابن لهيعة ، عن يزيد بن عمرو المعافرى ، عن قدوم الحميرى ، سمع نفيع بن عامر يقول : يعيش السفاح أربعين سنة ، واسمه فى التوراة طائر السماء . قلت : وقد تكون صفة المهدى الذى يظهر فى آخر الزمان ، لكثرة ما يسفح - أى يريق من الدماء ؛ لإقامة العدل، ونشر القسط . وتكون الرايات السود المذكورة فى هذه الأحاديث - إن صحت - هى التى تكون مع المهدى ، ويكون أول ظهور بيعته بمكة ، ثم يكون أنصاره من خراسان ، كما وقع قديما للسّفاح ، والله تعالى أعلم . هذا كله تفريع على صحة هذه الأحاديث ، وإلا فلا يخلو سند منها عن كلام ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

ذكر الأخبار عن الأئمة الاثنى عشر الذين كلهم من قريش

وليسوا بالاثنى عشر الذين يدّعون إمامتهم الرافضة ؛ فإن هؤلاء الذين يزعمون لم يل أمور الناس منهم إلا علىّ بن أبى طالب وابنه الحسن ، وآخرهم - فى زعمهم - المهدى المنتظر فى زعمهم بسرداب سامرا ، وليس له وجود ولا عين ولا أثر . بل هؤلاء من الأئمة الاثنى عشر المخبر عنهم فى الحديث ؛ الأئمة الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى - رضى الله عنهم ، ومنهم عمر ابن عبد العزيز بلا خلاف بين الأئمة ، على كلا القولين لأهل السنة فى تفسير الاثنى عشر ؛ كما سنذكره بعد إيراد الحديث .

ثبت فى صحيح البخارى من حديث شعبة ، ومسلم من حديث سفيان بن عيينة - كلاهما عن عبد الملك بن عمير ، عن جابر بن سمرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يكون اثنا عشر خليفة، ثم قال كلمة لم أسمعها ، فقلت لأبى: ما قال ؟ قال قال : كلهم من قريش . وقال أبو نعيم بن حماد فى كتاب [الفتن والملاحم] : حدثنا عيسى بن يونس ، حدثنا مجالد عن الشعبى ، عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : يكون بعدى من الخلفاء عدةُ أصحاب موسى . وقد روى مثل هذا عن عبد الله بن عمر ، وحذيفة وابن عباس وكعب الأحبار من قولهم . وقال أبو داود : حدثنا عمرو بن عثمان ، حدثنا مروان بن معاوية عن إسماعيل بن أبى خالد

عن أبيه عن جابر بن سمرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يزال هذا الأمر قائما حتى يكون عليهم اثنا عشر خليفة أو أميراً ، كلهم تجتمع عليهم الأمة ، وسمعت كلاماً من النبي ﷺ لم أفهمه ، فقلت لأبي : ما يقول ؟ قال : يقول : كلهم من قريش . وقال أبو داود أيضاً : حدثنا ابن نفيل ، حدثنا زهير بن معاوية ، حدثنا زياد بن خيثمة ، حدثنا الأسود بن سعيد الهمدانى عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : لا تزال هذه الأمة مستقيما أمرها ، ظاهرةً على عدوها ، حتى يمضي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش ، قال : فلما رجع إلى منزله أتته قريش فقالوا : ثم يكون ماذا ؟ قال : ثم يكون الهَرْج . قال البيهقى : ففى الرواية الأولى بيان العدد ، وفى الثانية بيان المراد بالعدد ، وفى الثالثة بيان وقوع الهرج ـ وهو القتل بعدهم . وقد وجد هذا العدد بالصفة المذكورة إلى وقت الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، ثم وقع الهرج والفتنة العظيمة كما أخبر فى هذه الرواية . ثم ظهر ملك العباسية ، كما أشار إليه فى الباب قبله . وإنما يزيدون على العدد المذكور فى الخبر ، إذا تركت الصفة المذكورة فيه ، أو عد منهم من كان بعد الهرج المذكور فيه ، وقد قال النبى ﷺ : لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى من الناس اثنان . ثم ساقه من حديث عاصم بن محمد عن أبيه عن ابن عمر عن النبى ﷺ فذكره .

وفى صحيح البخارى من طريق الزهرى ، عن محمد بن جبير بن مطعم عن معاوية بن أبى سفيان قال : قال رسول الله ﷺ : إن الأمر فى قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين . قال البيهقى : أى أقاموا معالمه ، وإن قصروا هم فى أعمال أنفسهم ثم ساق أحاديث بقية ما ذكره فى هذا ،والله أعلم . فهذا الذى سلكه البيهقى ، وقد وافقه عليه جماعة ـ من أن المراد بالخلفاء الاثنى عشر المذكورين فى هذا الحديث هم المتتابعون إلى زمن الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق الذى قدمنا الحديث فيه بالذم والوعيد ـ فإنه مشكل فيه نظر .

وبيان ذلك : أن الخلفاء إلى زمن الوليد بن اليزيد هذا ـ أكثر من اثنى عشر على كل تقدير نفرضه ، وبرهانه أن الخلفاء الأربعة ، أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ، خلافتهم محققة بنص حديث سفينة : « الخلافة بعدى ثلاثون سنة » . ثم بعدهم الحسن بن على كما وقع ، لأن عليا أوصى إليه ، بايعه أهل العراق ، وركب وركبوا معه لقتال أهل الشام حتى اصطلح هو ومعاوية ، كما دل عليه حديث أبى بكرة فى صحيح البخارى . ثم معاوية . ثم ابنه يزيد بن معاوية . ثم ابنه معاوية ابن يزيد . ثم مروان بن الحكم . ثم ابنه عبد الملك بن مروان . ثم ابنه الوليد بن عبد الملك . ثم سليمان بن عبد الملك . ثم عمر بن عبد العزيز . ثم يزيد بن عبد الملك . ثم هشام بن عبد الملك . فهؤلاء خمسة عشر . ثم الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، فإن اعتبرنا ولاية ابن الزبير قبل

عبد الملك ـ صاروا ستة عشر ، وعلى كل تقدير فهم اثنا عشر قبل عمر بن عبد العزيز ، فهذا الذى سلكه على هذا التقدير يدخل فى الاثنى عشر يزيد بن معاوية ، ويخرج منهم عمر بن عبد العزيز ، الذى أطبق الأئمة على شكره وعلى مدحه ، وعدُّوه من الخلفاء الراشدين ، وأجمع الناس قاطبة على عدله ، وأن أيامه كانت من أعدل الأيام حتى الرافضة يعترفون بذلك . فإن قال : أنا لا أعتد فى هذا إلا من اجتمعت الأمة عليه ـ لزمه على هذا القول أن لا يعد علىّ بن أبى طالب ولا ابنه ؛ لأن الناس لم يجتمعوا عليهما ، وذلك أن أهل الشام بكمالهم لم يبايعوهما ، وعد حينئذ معاوية وابنه يزيد وابن ابنه معاوية بن يزيد ولم يعتد بأيام مروان ولا ابن الزبير لأن الأمة لم تجتمع على واحد منهما ، فعلى هذا القول فى مسلكه هذا عاد للخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان ثم معاوية ثم عبد الملك ثم الوليد ثم سليمان ثم عمر بن عبد العزيز ثم يزيد ثم هشام ، فهؤلاء عشرة . ثم من بعدهم الوليد بن يزيد ابن عبد الملك الفاسق ، ولكن هذا لا يمكن أن يسلك ؛ لأنه يلزم منه إخراج على وابنه الحسن من هؤلاء الاثنى عشر ، وهو خلاف ما نص عليه أئمة السنة بل والشيعة ، ثم هو خلاف ما دل عليه نصا حديث سفينة عن رسول الله ﷺ أنه قال : الخلافة بعدى ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكا عضوضا .

وقد ذكر سفينة تفصيل هذه الثلاثين سنة ، فجمعها من خلافة الأربعة ، وقد بينا دخول خلافة الحسن وكانت نحوا من ستة أشهر فيها أيضا . ثم صار الملك إلى معاوية لما سلم الأمر إليه الحسن ابن على . وهذا الحديث فيه المنع من تسمية معاوية خليفة ، وبيان أن الخلافة قد انقطعت بعد الثلاثين سنة ـ لا مطلقا ، بل انقطع تتابعها ولا ينفى وجود خلفاء راشدين بعد ذلك ، كما دل عليه حديث جابر بن سمرة .

وقال نعيم بن حماد : حدثنا راشد بن سعد عن ابن لهيعة عن خالد بن أبى عمران عن حذيفة ابن اليمان قال : يكون بعد عثمان اثنا عشر ملكا من بنى أمية ، قيل له : خلفاء ؟ قال : لا ـ بل ملوك . وقد روى البيهقى من حديث حاتم بن صفرة عن أبى بحر قال : كان أبو الجلد جاراً لى ، فسمعته يقول يحلف عليه : إن هذه الأمة لن تهلك حتى يكون فيها اثنا عشر خليفة ، كلهم يعمل بالهدى ودين الحق ، منهم رجلان من أهل البيت : أحدهما يعيش أربعين سنة ، والآخر ثلاثين سنة . ثم شرع البيهقى فى رد ما قاله أبو الجلد بما لا يحصل به الرد ، وهذا عجيب منه ، وقد وافق أبا الجلد طائفة من العلماء ، ولعل قوله أرجح لما ذكرنا وقد كان ينظر فى شىء من الكتب المتقدمة . وفى التوراة التى بأيدى أهل الكتاب ما معناه : إن الله تعالى بشر إبراهيم بإسماعيل ، وإنه ينميه ويكثره ويجعل من ذريته اثنى عشر عظيما . قال شيخنا العلامة أبو العباس بن تيمية : وهؤلاء المبشر بهم فى حديث جابر ابن سمرة ، وقرر أنهم يكونون مفرقين فى الأمة ولا تقوم الساعة حتى يوجدوا . وغلط كثير ممن تشرف بالإسلام من اليهود فظنوا أنهم الذين تدعو إليهم فرقة الرافضة فاتبعوهم . وقد قال نعيم بن حماد

حدثنا ضمرة عن ابن شوذب عن أبى المنهال، عن أبى زياد عن كعب قال : إن الله وهب لإسماعيل من صلبه اثنى عشرة قيماً ، أفضلهم أبو بكر وعمر وعثمان . وقال نعيم : حدثنا ضمرة عن ابن شوذب عن يحيى بن عمرو الشيبانى قال : ليس من الخلفاء من لم يملك المسجدين : المسجد الحرام والمسجد الأقصى .

ذكر الأخبار عن أمور وقعت فى دولة بنى العباس إلى زماننا هذا

فمن ذلك : حدثنا أبو جعفر عبد الله ، ومحمد بن على بن عبد الله بن عباس ، الخليفة بعد أخيه الخليفة السفاح — وهو المنصور البانى لمدينة بغداد ، فى سنة خمس وأربعين ومائة . قال نعيم بن حماد فى كتابه : عن أبى المغيرة عن أرطاة بن المنذر ، عمن حدثه عن ابن عباس ، أنه أتاه رجل وعنده حذيفة فقال : يا ابن عباس أنبئنى عن قوله : (حمعسق) فأطرق ساعة وأعرض عنه ، ثم كررها فلم يجبه بشىء ، فقال له حذيفة : أنا أنبئك ، وقد عرفت لم كررها ؟ إنما نزلت فى رجل من أهل بيته يقال له عبد الإله — أو عبد الله ، ينزل على نهر من أنهار المشرق ، يبنى عليه مدينتين يشق النهر بينهما شقا ، يجتمع فيهما كل جبار عنيد . وقال أبو القاسم الطبرانى : حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجد الحوطى ، حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا عبد الله بن السمط ، حدثنا صالح بن على الهاشمى ، عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ قال : لأن يربى أحدكم بعد أربع وخمسين ومائة جرو كلب ، خير من أن يربى ولداً لصلبه . قال شيخنا الذهبى : هذا الحديث موضوع ، واتهم به عبد الله بن السمط هذا . وقال نعيم بن حماد الخزاعى شيخ البخارى ، فى كتابه [الفتن والملاحم] : حدثنا أبو عمرو البصرى عن أبى بيان المعافرى ، عن بديع عن كعب قال : إذا كانت سنة ستين ومائة انتقص فيها حلم ذوى الاحلام ، ورأى ذوى الرأى .

حديث آخر فيه اشارة إلى مالك بن أنس الإمام رحمه الله

روى الترمذى من حديث ابن عيينة عن ابن جريج ، عن أبى الزبير عن أبى صالح عن أبى هريرة رواية : يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم ، فلا يجدون أحداً أعلم من عالم المدينة . ثم قال : هذا حديث حسن — وهو حديث ابن عيينة . وقد روى عنه أنه قال : هو مالك بن أنس ، وكذا قال عبد الرزاق ، قلت : وقد توفى مالك رحمه الله سنة تسع وسبعين ومائة .

حديث آخر فيه إشارة إلى محمد بن إدريس الشافعي

قال أبو داود الطيالسي : حدثنا جعفر بن سليمان عن النضر بن معبد الكندي- أو العبدي ، عن الجارود عن أبي الأحوص ، عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : لا تسبوا قريشاً فإن عالمها يملأ الأرض علماً ، اللهم إنك أذقت أولها وبالا ، فأذق آخرها نوالا . وقد رواه الحاكم من طريق أبي هريرة ، قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني : وهو الشافعي ، قلت : وقد توفى الشافعي رحمه الله في سنة أربع ومائتين ، وقد أفردنا ترجمته في مجلد ، وذكرنا معه تراجم أصحابه من بعده .

حديث آخر - روى رواد بن الجراح ، عن سفيان الثوري ، عن منصور عن ربعي ، عن حذيفة مرفوعاً : خيركم بعد المائتين خفيف الحاذ[1] قالوا : وما خفيف الحاذ يارسول الله؟ قال : من لا أهل له ولا مال ولا ولد .

حديث آخر - قال ابن ماجة : حدثنا الحسن بن علي الخلال ، حدثنا عون بن عمارة ، حدثني عبد الله بن المثنى ، ثنا ثمامة بن عبد الله بن أنس بن مالك ، عن أبيه عن جده أنس بن مالك عن أبي قتادة قال : قال رسول الله ﷺ : الآيات بعد المائتين . وحدثنا نصر بن علي الجهضمي ، حدثنا نوح بن قيس ، حدثنا عبد الله بن معقل عن يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك ، عن رسول الله ﷺ قال : أمتي على خمس طبقات ؛ فأربعون سنة أهل بر وتقوى ، ثم الذين يلونهم إلى عشرين ومائة سنة أهل تراحم وتواصل ، ثم الذين يلونهم إلى ستين ومائة - أهل تدابر وتقاطع ، ثم الهرج الهرج ، النجاء النجاء . وحدثنا نصر بن علي ، حدثنا حازم أبو محمد العنزي ، حدثنا المسور ابن الحسن عن أبي معن عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : أمتي على خمس طبقات كل طبقة أربعون عاما . فأما طبقتي وطبقة أصحابي فأهل علم وإيمان ، وأما الطبقة الثانية - ما بين الأربعين إلى الثمانين - فأهل بر وتقوى ، ثم ذكره نحوه . هذا لفظه ، وهو حديث غريب من هذين الوجهين ، ولا يخلو عن نكارة ، والله أعلم .

وقد قال الإمام أحمد : ثنا وكيع بن الأعمش ، حدثنا هلال بن يساف عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء قوم يتسمنون[2] يحبون السمن يعطون الشهادة قبل أن يسألوها . ورواه الترمذي من طريق الأعمش ، وقد رواه البخاري ومسلم من حديث شعبة عن أبي حمزة عن زهدم بن مضرب سمعت عمران بن

---

(١) الحاذ : الظهر ، وخفيف الحاذ : قليل المال والعيال .

(٢) أي يحبون التوسع في المآكل والمشارب وهي أسباب السمن . وقيل معناه : جمعهم المال ليلحقوا بذوي الشرف .

حصين قال: قال رسول الله ﷺ : خير أمتي قرني ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم- قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة - ثم إنَّ بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يُؤتمنون ، ويُنذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السِّمن. لفظ البخاري: وقال البخاري: حدثنا محمد ابن كثير ، أنا سفيان عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء قوم يسبق شهادة أحدهم يمينُه ويمينه شهادته ، قال إبراهيم : وكانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار . وقد رواه بقية الجماعة إلا أبا داود من طرق متعددة عن منصور به .

حديث آخر - قال نعيم بن حماد : حدثنا أبو عمرو البصري عن ابن لهيعة عن عبد الوهاب ابن حسين عن محمد بن ثابت البناني عن أبيه ، عن الحرث الهمداني عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال : السابع من ولد العباس يدعو الناس إلى الكفر فلا يجيبونه ، فيقول له أهل بيته : تريد أن تخرجنا من معايشنا ؟ فيقول : إني أسير فيكم بسيرة أبي بكر وعمر ، فيأبون عليه فيقتله عدوٌّ له من أهل بيته من بني هاشم ، فإذا وثب عليه اختلفوا فيما بينهم ، فذكر اختلافا طويلا إلى خروج السّفياني . وهذا الحديث ينطبق على عبد الله المأمون الذي دعا الناس إلى القول بخلق القرآن ووقى الله شرها ، كما سنورد ذلك في موضعه ، والسفياني - رجل يكون آخر الزمان منسوب إلى أبي سفيان يكون من سلالته ، وسيأتي في آخر [كتاب الملاحم] .

حديث آخر - قال الإمام أحمد : حدثنا هاشم ، ثنا ليث عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن ابن جبير عن أبيه ، سمعت أبا ثعلبة الخشني صاحب رسول الله ﷺ أنه سمعه يقول وهو بالفسطاط في خلافة معاوية - وكان معاوية أغزى الناس القسطنطينية فقال: والله لا يعجز هذه الأمة من نصف يوم ، إذا رأيت الشام مائدة رجل واحد وأهل بيته ، فعند ذلك فتح القسطنطينية . هكذا رواه أحمد موقوفا على أبي ثعلبة ، وقد أخرجه أبو داود في سننه من حديث ابن وهب عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه عن أبي ثعلبة قال : قال رسول الله ﷺ : لن يعجز الله هذه الأمة من نصف يوم . تفرد به أبو داود ، ثم قال أبو داود : ثنا عمرو بن عثمان ، ثنا أبو المغيرة حدثني صفوان عن سريح بن عبيد عن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ أنه قال: إني لأرجو أن لا يعجز أمتي عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم؟ قيل لسعد : وكم نصف يوم؟ قال خمسمائة سنة . تفرد به أبو داود وإسناده جيد . وهذا من دلائل النبوة ؛ فإن هذا يقتضي وقوع تأخير الأمة نصف يوم وهو خمسمائة سنة كما فسره الصحابي، وهو مأخوذ من قوله تعالى : (وإنَّ يوماً عند ربِّك كألفِ سَنَةٍ ممَّا تعدُّون)[1]

(١) من الآية : ٤٧ من سورة الحج .

ثم هذا الإخبار بوقوع هذه المدة لا ينفى وقوع ما زاد عليها . فأما ما يذكره كثير من الناس من أنه عليه السلام لا يؤلف فى قبره ــ بمعنى لا يمضى عليه ألف سنة من يوم ما مات إلى حين تقام الساعة ــ فإنه حديث لا أصل له فى شىء من كتب الإسلام ، والله أعلم .

حديث آخر — فيه الإخبار عن ظهور النار التى كانت بأرض الحجاز حتى أضاءت لها أعناق الإبل ببصرى ، وقد وقع هذا فى سنة أربع وخمسين وستمائة .

قال البخارى فى صحيحه : ثنا أبو اليمان ، ثنا شعيب عن الزهرى قال : قال سعيد بن المسيب : أخبرنى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضىء لها أعناق الإبل بِبُصرى »(١) تفرد به البخارى. وقد ذكر أهل التاريخ وغيرهم من الناس ، وتواتر وقوع هذا فى سنة أربع وخمسين وستمائة . قال الشيخ الإمام الحافظ شيخ الحديث وإمام المؤرخين فى زمانه شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل ، الملقب بأبى شامة فى تاريخه : إنها ظهرت يوم الجمعة فى خامس جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة ، وأنها استمرت شهراً وأزيد منه . وذكر كتبا متواترة عن أهل المدينة ، فى كيفية ظهورها شرق المدينة من ناحية وادى الشّظى ، تلقاء أُحُد ، وأنها ملأت تلك الأودية ، وأنه يخرج منها شرر يأكل الحجاز ، وذكر أن المدينة زلزلت بسببها ، وأنهم سمعوا أصواتا مزعجة قبل ظهورها بخمسة أيام ، أول ذلك مستهل الشهر يوم الاثنين ، فلم تزل ليلا ونهارا حتى ظهرت يوم الجمعة ، فانبجست تلك الأرض عند وادى الشظى عن نار عظيمة جدا صارت مثل طوله أربعة فراسخ فى عرض أربعة أميال ، وعمقه قامة ونصف ، يسيل الصخر حتى يبقى مثل الآنُك(٢) ، ثم يصير كالفحم الأسود ، وذكر أن ضوءها يمتد إلى تيماء بحيث كتب الناس على ضوئها فى الليل ، وكأن فى بيت كل منهم مصباحاً ، ورأى الناس سَناها من مكة شرفها الله .

قلت : وأما بُصرى فأخبرنى قاضى القضاء صدر الدين على بن أبى قاسم التيمى الحنفى قال : أخبرنى والدى ــ وهو الشيخ صفى الدين أحد مدرسى بُصرى ــ أنه أخبره غير واحد من الأعراب صبيحة تلك الليلة ، مَن كان بحاضرة بلد بُصرى ، أنهم رأوا صفحات أعناق إبلهم فى ضوء هذه النار التى ظهرت من أرض الحجاز . وقد ذكر الشيخ شهاب الدين ، أن أهل المدينة ــ لجأوا فى هذه الأيام إلى المسجد النبوى ، وتابوا إلى الله من ذنوب كانوا عليها ، واستغفروا عند قبر النبى ﷺ مما سلف منهم وأعتقوا الغلمان ، وتصدقوا على فقرائهم ومحاويجهم ، وقد قال قائلهم فى ذلك :

---

(١) بصرى : قرية ببغداد ، وبلد بالشام (٢) الآنك : الرصاص الأبيض أو الأسود منه. ولم يجىء على « أفعل » فواحد غير هذه الكلمة وكلة أشد

يا كاشفَ الضّرِ صفحا عن جرائمنا ... فقد أحاطت بنا يا رب بأساء
نشكو إليك خُطوباً لا نطيق لها ... حملا ونحن بها حقـا أحقاء
زلازل تخشع الصمّ الصلاد لها ... وكيف تقوى على الزلزال صمّاء
أقام سبعا يرجّ الأرض فانصدعت ... عن منظر منه عين الشمس عشواء
بحر من النار تجرى فوقه سُفن ... من الهضاب لهـا فى الأرض إرساء
يُرى لها شرر كالقصر طائشة ... كأنها ديمـة تنصبّ هطلاء
تنشق منها قلوب الصخر إن زفرت ... رُعبا وترعد مثل الشهب أضواء
منها تكاثف فى الجو الدّخان إلى ... أن عادت الشمس منه وهى دهماء
قد أثرت سَعفة فى البـدر لفحتها ... فليلة التمّ بعـد النور ليلاء
فيالها آية من معجزات رسو ... ل الله يعقلها القـوم، الألباء

ومما قيل فى هذه النار، مع غرق بغداد فى هذه السنة :

سبحان من أصبحت مشيئته ... جارية فى الورى بمقـدار
أغرق بغـداد بالميـاه كما ... أحرق أرض الحجاز بالنار

حديث آخر — قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر ، ثنا أفلح بن سعيد الأنصارى - شيخ من أهل قبا من الأنصار ، حدثنى عبد الله بن رافع - مولى أم سلمة ، قال : سمعت أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن طالت بكم مدة أوشك أن ترَوا قوما يغدون فى سُخط الله وَيرُوحون فى لعنته ، فى أيديهم مثل أذناب البقر . ورواه مسلم عن محمد بن عبد الله ابن نمير عن زيد بن الخباب عن أفلح بن سعيد به . وروى مسلم أيضا عن زهير بن حرب عن جرير عن سهيل عن أبيه عن أبى هريرة قال : قال ﷺ : صنفان من أهل النار لم أرهما بعد ، قوم معهم سِياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات ، رءوسهن كأسنمة البُخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها ، وإنّ ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا وهذان الصنفان وهما : الجلاّدون الذين يُسمّون بالرّجالة[1] ، والجاندارية ، كثيرون فى زماننا هذا ومن قبله وقبـل قبله بدهر ، والنساء الكاسيات العاريات - أى عليهن لبُس لا يوارى سوآتهن ، بل هو زيادة فى العورة ، وإبداء للزينة ، مائلات فى مشيهن مميلات غيرهن إليهن ، وقد عم البلاء بهن فى زماننا هذا ، ومن قبله أيضا ، وهذا من أكبر دلالات النبوة ، إذ وقع الأمر فى الخارج طبق ما أخبر به عليه السلام ، وقد تقدم حديث جابر : أما إنها ستكون لكم أنماط[2] ، وذكر تمام الحديث فى وقوع ذلك واحتجاج امرأته عليه بهذا .

(١) الرجالة : جمع راجل وهو الذى يحارب ماشيا على رجليه (٢) النمط الجماعة من الناس أمرهم واحد

حديث آخر — روى الإمام أحمد عن عبد الصمد بن عبد الوارث . عن داود بن أبي هند ، وأخرجه البيهقي من حديثه عن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي ، عن طلحة بن عمرو البصري ، أنه قدم المدينة على رسول الله ﷺ فبينما هو يصلي إذ أتاه رجل فقال : يا رسول الله أحرق بطوننا التمر وتخرقت عنا الخنف[1] . قال : فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : لقد رأيتني وصاحبي وما لنا طعام غير البرير[2] ، حتى أتينا إخواننا من الأنصار فآسونا من طعامهم وكان طعامهم التمر ، والذي لا إله إلا هو لو قدرت لكم على الخبز والتمر لأطعمتكموه ، وسيأتي عليكم زمان - أو من أدركه منكم - يلبسون مثل أستار الكعبة ، ويغدى ويراح عليكم بالجفان ، قالوا : يا رسول الله أنحن يومئذ خير أم اليوم ؟ قال : بل أنتم اليوم خير ، أنتم اليوم إخوان ، وأنتم يومئذ يضرب بعضكم رقاب بعض . وقد روى سفيان الثوري عن يحيى بن سعيد عن أبي موسى يحنس قال : قال رسول الله ﷺ : إذا مشت أمتي المطيطاء[3] وخدمتهم فارس والروم ، سلط الله بعضهم على بعض . وقد أسنده البيهقي من طريق موسى بن عبيدة ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر عن النبي ﷺ .

حديث آخر — قال أبو داود : حدثنا سليمان بن داود المهري ، ثنا ابن وهب ، ثنا سعيد ابن أبي أيوب عن شراحيل بن زيد المعافري عن أبي علقمة ، عن أبي هريرة فيما أعلم ، عن رسول الله ﷺ : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها » . قال أبو داود : عبد الرحمن بن شريح الاسكندراني لم يجزه شراحيل . تفرد به أبو داود ، وقد ذكر كل طائفة من العلماء في رأس كل مائة سنة - عالما من علمائهم ينزلون هذا الحديث عليه . وقال طائفة من العلماء : هل الصحيح أن الحديث يشمل كل فرد فرد من آحاد العلماء من هذه الأعصار ممن يقوم بفرض الكفاية في أداء العلم عمن أدرك من السلف إلى من يدركه من الخلف ؟ ؛ كما جاء في الحديث من طرق مرسلة وغير مرسلة : يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين . وهذا موجود ولله الحمد والمنة إلى زماننا هذا ، ونحن في القرن الثامن ، والله المسئول أن يختم لنا بخير ، وأن يجعلنا من عباده الصالحين ، ومن ورثة جنة النعيم آمين آمين يا رب العالمين . وسيأتي الحديث المخرج من الصحيح : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك » . وفي صحيح البخاري : وهم بالشام ، وقد قال كثير من علماء السلف : أنهم أهل الحديث ، وهذا أيضا من دلائل النبوة ؛ فإن أهل الحديث بالشام أكثر من سائر أقاليم الإسلام ، ولله الحمد ، ولا سيما بمدينة دمشق - حماها

---

(١) الخنف : جمع خنيف ، وهي الخرقة التي يرقع بها ذيل القميص من خلف

(٢) البرير : ثمر الأراك (٣) المطيطاء - بالمد والقصر : مشية التبختر ومد اليدين في المشي

الله وصانها ـ كما ورد فى الحديث الذى سنذكره : أنها تـكون معقل المسلمين عند وقوع الفتن .

وفى صحيح مسلم ، عن النواس بن سمعان : أن رسول الله ﷺ أخبر عن عيسى بن مريم ، أنه ينزل من السماء على المنارة البيضاء شرقى دمشق ، ولعل أصل لفظ الحديث على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق . وقد بلغنى أنه كذلك فى بعض الأجزاء ولم أقف عليه إلى الآن والله الميسر ، وقد جددت هذه المنارة البيضاء الشرقية بجامع دمشق ، بعد ما أحرقها النصارى من أيامنا هذه بعد سنة أربعين وسبعمائة ، فأقاموها من أموال النصارى مقاصة على ما فعلوا من العدوان ، وفى هذا حكمة عظيمة وهو : أن ينزل على هذه المبنية من أموالهم ـ عيسى بن مريم نبى الله ، فيكذبهم فيما افتروه عليه من الكذب عليه وعلى الله ، ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ـ أى يتركها ، ولا يقبل من أحد منهم ولا من غيرهم إلا الإسلام ؛ يعنى أو يقتله ، وقد أخبر بهذا عنه رسول الله ﷺ وقرره عليه ، وسوغه له ـ صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين ، وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان .

« باب » البينة على ذكر معجزات لرسول الله ﷺ

مماثلة لمعجزات جماعة من الأنبياء قبله ، وأعلى منها ، خارجة عما اختص به

من المعجزات العظيمة التى لم يكن لأحد قبله منهم عليهم السلام

فمن ذلك : القرآن العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ؛ فإنه معجزة مستمرة على الآباد ، ولا يخفى برهانها ، ولا يتفحص مثلها ، وقد تحدى به الثقلين من الجن والإنس على أن يأتوا بمثله ، أو بعشر سور ، أو بسورة من مثله ـ فعجزوا عن ذلك ؛ كما تقدم تقرير ذلك فى أول كتاب المعجزات . وقد سبق الحديث المتفق على إخراجه فى الصحيحين من حديث الليث بن سعد عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبيه ، عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : ما من نبى إلا وقد أوتى من الآيات ما آمن على مثله البشر ، وإنما كان الذى أوتيت وحيا أوحاه الله إلى ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة . والمعنى : أن كل نبى أوتى من خوارق المعجزات ما يقتضى إيمان من رأى ذلك من أولى البصائر والنهى ، لا من أهل العناد والشقاء ، وإنما كان الذى أوتيته ـ أى جله وأعظمه وأبهره ـ القرآن الذى أوحاه الله إلى ، فإنه لا يبيد ولا يذهب ، كما ذهبت معجزات الأنبياء وانقضت بانقضاء أيامهم ؛ فلا تشاهد ، بل يخبر عنها بالتواتر والآحاد . بخلاف القرآن العظيم الذى أوحاه الله إليه ؛ فإنه معجزة متواترة عنه ، مستمرة دائمة البقاء بعده ، مسموعة لكل من ألقى السمع وهو شهيد .

وقد تقدم فى الخصائص ذكر ما اختص به رسول الله ﷺ عن بقية إخوانه من الأنبياء عليهم السلام ، كما ثبت فى الصحيحين عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى ؛ نصرت بالرعب مسيرة شهر . وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً ، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل . وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى . وأعطيت الشفاعة . وكان النبى يبعث إلى قومه ، وبعثت إلى الناس عامة . وقد تكلمنا على ذلك وما شاكله فيما سلف بما أغنى عن إعادته ولله الحمد . وقد ذكر غير واحد من العلماء : أن كل معجزة لنبى من الأنبياء فهى معجزة لخاتمهم محمد ﷺ ، وذلك أن كلا منهم بشر بمبعثه ، وأمر بمتابعته ، كما قال تعالى : (وإذ أخذ اللهُ ميثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتيتُكم مِنْ كتابٍ وحِكمةٍ ثُم جاءكم رسولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُم لتُؤمِنُنَّ به ولَتَنْصُرُنَّه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصْرِى ، قالوا أقْرَرْنَا ، قال فاشهدوا وأنا مَعَكُم مِن الشَّاهِدين * فَمَنْ تولَّى بَعْدَ ذَلِكَ فأولئك هُمُ الفاسِقُونَ)[1] وقد ذكر البخارى وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : ما بعث الله نبيا من الأنبياء إلا أخذ عليه العهد والميثاق ، لئن بُعث محمد وهو حىٌّ ليؤمنَنَّ به وليتبعنَّه ولينصرنه . وذكر غير واحد من العلماء أن كرامات الأولياء معجزات للأنبياء ، لأن الولى إنما نال ذلك ببركة متابعته لنبيه ، وثواب إيمانه .

والمقصود : أنه كان الباعث لى على عقد هذا الباب ، أنى وقفت على مولد اختصره من سيرة الإمام محمد بن إسحاق بن يسار وغيرها ـ شيخنا الإمام العلامة شيخ الإسلام كمال الدين أبو المعالى محمد بن على الأنصارى السماكى ، نسبة إلى أبى دجانة الأنصارى ـ سماك بن حرب بن حرشة الأوسى . رضى الله عنه ، شيخ الشافعية فى زمانه بلا مدافعة ، المعروف بابن الزملكانى عليه رحمة الله . وقد ذكر فى أواخره شيئا من فضائل رسول الله ﷺ ، وعقد فصلا فى هذا الباب ، فأورد فيه أشياء حسنة ، ونبه على فوائد جمة ، وفوائد مهمة . وترك أشياء أخرى حسنة ، ذكرها غيره من الأئمة المتقدمين ، ولم أره استوعب الكلام إلى آخره ؛ فإما أنه قد سقط من خطه ، أو أنه لم يكمل تصنيفه ، فسألنى بعض أهله من أصحابنا ممن تتأكد إجابته ، وتكرر ذلك منه ؛ فى تكميله وتبويبه وترتيبه ، وتهذيبه ، والزيادة عليه والإضافة إليه . فاستخرت الله حينا من الدهر ، ثم نشطت لذلك ابتغاء الثواب والأجر ، وقد كنت سمعت من شيخنا الإمام العلامة الحافظ أبى الحجاج المزى ـ تغمده الله برحمته ـ أن أول من تكلم فى هذا المقام ، الإمام أبو عبد الله محمد ابن إدريس الشافعى رضى الله عنه . وقد روى الحافظ أبو بكر البيهقى ـ رحمه الله ـ فى كتابه [دلائل النبوة] عن شيخه الحاكم أبى عبد الله ، أخبرنى أبو أحمد بن أبى الحسن ، أنا عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى عن أبيه ، قال عمر بن سوار : قال الشافعى : مثل ما أعطى الله نبيا ما أعطى محمداً ﷺ

(1) الآيتان : ٨١ ، ٨٢ من سورة آل عمران

فقلت : أعطى عيسى إحياء للموتى ، فقال : أعطى محمداً ﷺ الجذع الذى كان يخطب إلى جنبه حين بُنى له المنبر، حَنّ الجذع حتى سمع صوته ، فهذا أكبر من ذلك ، هذا لفظه رضى الله عنه.

والمراد من إيراد ما نذكره فى هذا الباب : البينة على ما أعطى الله أنبياءه عليهم السلام من الآيات البينات ، والخوارق القاطعات ، والحجج الواضحات . وأن الله جمع لعبده ورسوله ـ سيد الأنبياء وخاتمهم ـ من جميع أنواع المحاسن والآيات ، مع ما اختصه الله به مما لم يؤت أحداً قبله ، كما ذكرنا فى خصائصه وشمائله ﷺ . ووقفت على فصل مليح فى هذا المعنى ، فى كتاب [دلائل النبوة] للحافظ أبى نعيم ، أحمد بن عبد الله الأصبهانى ـ وهو كتاب حافل فى ثلاث مجلدات ، عقد فيه فصلا فى هذا المعنى . وكذا ذكر ذلك الفقيه أبو محمد عبد الله بن حامد ، فى كتابه [دلائل النبوة] ، وهو كتاب كبير جليل حافل ، مشتمل على فوائد نفيسة. وكذا الصرصرى الشاعر يورد فى بعض قصائده أشياء من ذلك كما سيأتى . وها أنا أذكر بعون الله مجامع ما ذكرنا من هذه الأماكن المتفرقة بأوجز عبارة ، وأقصر إشارة ، وبالله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم .

القول فيما أوتى نوح عليه السلام

قال الله تعالى: (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ * وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ[1]) ، وقد ذكرت القصة مبسوطة فى أول هذا الكتاب ، وكيف دعا على قومه فنجاه الله ومن اتبعه من المؤمنين فلم يهلك منهم أحد ، وأغرق مَنْ خالفه من الكافرين فلم يسلم منهم أحد حتى ولا ولده . قال شيخنا العلامة أبو المعالى محمد بن على الأنصارى الزملكانى ، ومن خطه نقلت : وبيان أنّ كل معجزة لنبىّ فلنبينا أمثالها ، إذا تمّ يستدعى كلاما طويلا ، وتفصيلا لا يسعه مجلدات عديدة . ولكن نُنَبّه بالبعض على البعض، فلنذكر جلائل معجزات الأنبياء عليهم السلام؛ فمنها نجاة نوح فى السفينة بالمؤمنين ، ولا شك أنّ حمل الماء للناس من غير سفينة أعظم من السلوك عليه فى السفينة، وقد مشى كثير من الأولياء على متن الماء ، وفى قصة العلاء بن زياد ، صاحب رسول الله ﷺ ـ ما يدل على ذلك . روى منجاب قال : غزونا مع العلاء بن الحضرمى دارين[2] ، فدعا بثلاث

---

(١) الآيات : ١٠ ـ ١٥ من سورة القمر . (٢) فى القاموس، دارين : موضع بالبحرين مشهور بالمسك الدارى .

دعوات فاستجيبت له ، فنزلنا منزلا فطلب الماء فلم يجده ، فقام وصلى ركعتين وقال : اللهم إنا عبيدك وفي سبيلك ، نقاتل عدوك ، اللهم اسقنا غيثاً نتوضأ به ونشرب ، ولا يكون لأحد فيه نصيب غيرنا . فسرنا قليلا فإذا نحن بماء حين أقلعت السماء عنه ، فتوضأنا منه وتزودنا ، وملأت إداوتي وتركتها مكانها، حتى أنظر هل استجيب له أم لا ؟ فسرنا قليلا ثم قلت لأصحابي : نسيت إداوتي ، فرجعت إلى ذلك المكان فكأنه لم يصبه ماء قط . ثم سرنا حتى أتينا دارين والبحر بيننا وبينهم ، فقال : يا على يا حكيم ، إنا عبيدك ، وفي سبيلك نقاتل عدوك ، اللهم فاجعل لنا إليهم سبيلا ، فدخلنا البحر فلم يبلغ الماء لبودنا ، ومشينا على متن الماء ولم يبتل لنا شيء ، وذكر بقية القصة.

فهذا أبلغ من ركوب السفينة ؛ فإن حمل الماء للسفينة معتاد ، وأبلغ من فلق البحر لموسى ، فإن هناك انحسر الماء حتى مشوا على الأرض ، فالمعجز انحسار الماء ، وها هنا صار الماء جسداً يمشون عليه كالأرض ، وإنما هذا منسوب إلى النبي ﷺ وبركته . انتهى ما ذكره بحروفه فيما يتعلق بنوح عليه السلام .

وهذه القصة التي ساقها شيخنا ذكرها الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه الدلائل ، من طريق أبي بكر بن أبي الدنيا عن أبي كريب عن محمد بن فضيل ، عن الصلت بن مطر العجلي ، عن عبدالملك ابن أخت سهم، عن سهم بن منجاب قال : غزونا مع العلاء الحضرمي فذكره. وقد ذكرها البخاري في التاريخ الكبير من وجه آخر . ورواها البيهقي من طريق أبي هريرة رضي الله عنه: أنه كان مع العلاء وشاهد ذلك . وساقها البيهقي من طريق عيسى بن يونس عن عبد الله عن عون عن أنس بن مالك قال : أدركت في هذه الأمة ثلاثاً ، لو كانت في بني إسرائيل لما تقاسمها الأمم ، قلنا : ماهن يا أبا حمزة ؟ : قال : كنا في الصُّفَّة[1] عند رسول الله ﷺ فأتته امرأة مهاجرة ومعها ابن لها قد بلغ ، فأضاف المرأة إلى النساء ، وأضاف ابنها إلينا ، فلم يلبث أن أصابه وَباء المدينة فمرض أياما ثم قُبض ، فغمضه النبي ﷺ وأمر بجهازه ، فلما أردنا أن نغسله قال : يا أنس ائت أمه فأعلمها، فأعلمتها، قال : فجاءت حتى جلست عند قدميه ، فأخذت بهما ثم قالت : اللهم إني أسلمت لك طوعا ، وخلعت الأوثان، فلا تحملني من هذه المصيبة مالا طاقة لي بحمله ، قال : فوالله ما انقضى كلامها حتى حرك قدميه وألقى الثوب عن وجهه ، وعاش حتى قبض الله رسوله ﷺ وحتى هلكت أمه .

قال أنس : ثم جهز عمر بن الخطاب جيشاً واستعمل عليهم العلاء بن الحضرمي ، قال أنس : وكنت في غزاته ، فأتينا مغازينا فوجدنا القوم قد بدروا بنا فعفوا آثار الماء ، والحر شديد ،

---

(١) الصفة : موضع مظلل من المسجد النبوي ، وأهلها كانوا يبيتون ويقيمون بها وكانوا أضياف الإسلام .

فجهدنا العطش ودوابنا ، وذلك يوم الجمعة . فلما مالت الشمس لغروبها صلى بنا ركعتين ، ثم مدّ يده إلى السماء وما نرى فى السماء شيئاً ، قال : فوالله ما حطّ يده حتى بعث الله ريحاً وأنشأ سحاباً وأفرغت حتى ملأت الغُدُر والشعاب ، فشربنا وسقينا ركابنا واستقينا . قال : ثم أتينا عدونا وقد جاوز خليجاً فى البحر إلى جزيرة ، فوقف على الخليج وقال : ياعلى ياعظيم ، ياحليم يا كريم ، ثم قال: أجيزوا بسم الله ، قال : فأجزنا ما يبل الماء حوافر دوابنا ، فلم نلبث إلا يسيراً فأصبنا العدو عليه، فقتلنا وأسرنا وسبينا . ثم أتينا الخليج ، فقال مثل مقالته ، فأجزنا ما يبل الماء حوافر دوابنا . ثم ذكر موت العلاء ودفنهم إياه فى أرض لاتقبل الموتى . ثم إنهم حفروا عليه لينقلوه منها إلى غيرها فلم يجدوه ثمّ ، وإذا اللحد يتلألأ نوراً ، فأعادوا التراب عليه ثم ارتحلوا فهذا السياق أتم ، وفيه قصة المرأة التى أحيى الله لها ولدها بدعائها . وسننبه على ذلك فيما يتعلق بمعجزات المسيح عيسى بن مريم ، مع ما يشابهها إن شاء الله تعالى . كما سنشير إلى قصة العلاء هذه مع ما سنورده معها ههنا، فيما يتعلق بمعجزات موسى عليه السلام ، فى قصة فَلْق البحر لبنى إسرائيل ، وقد أرشد إلى ذلك شيخنا فى عيون كلامه .

قصة أخرى تشبه قصة العلاء بن الحضرمى

روى البيهقى فى الدلائل – وقد تقدم ذلك أيضا – من طريق سليمان بن مروان الأعمش عن بعض أصحابه ، قال : انتهينا إلى دِجلة وهى مادة والأعاجم خلفها ، فقال رجل من المسلمين : بسم الله ، ثم اقتحم بفرسه فارتفع على الماء ، فقال الناس : بسم الله ، ثم اقتحموا فارتفعوا على الماء . فنظر إليهم الأعاجم وقالوا: ديوان ، ديوان ـ أى مجانين[1] . ثم ذهبوا على وجوههم، قال: فما فقد الناس إلا قدحا كان معلقا بعذبة سرج . فلما خرجوا أصابوا الغنائم واقتسموا ، فجعل الرجل يقول : من يبادل صفراء ببيضاء ؟ وقد ذكرنا فى السيرة العمرية وأيامها ، وفى التفسير أيضا : أن أول من اقتحم دجلة يومئذ ـ أبو عبيدة النفيعىَ ـ أمير الجيوش فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وأنه نظر إلى دِجلة فتلا قوله تعالى : (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ كِتابًا مُؤَجَّلا)[2] ثم سمى الله تعالى واقتحم بفرسه الماء واقتحم الجيش وراءه . ولما نظر إليهم الأعاجم يفعلون ذلك جعلوا يقولون : ديوان ديوان – أى مجانين مجانين ، ثم ولّوا مدبرين ، فقتلهم المسلمون وغنموا منهم مغانم كثيرة .

---

(١) هذا معناه بلغة الفرس . (٢) من الآية : ١٤٥ من سورة آل عمران .

قصة أخرى شبيهة بذلك

وروى البيهقى من طريق أبى النضر عن سليمان بن المغيرة، أن أبا مسلم الخولانى جاء إلى دجلة وهى ترمى الخشب من مَدِّها، فمشى على الماء والتفت إلى أصحابه وقال : هل تفقدون من متاعكم شيئا فندعو الله تعالى ؟ ثم قال : هذا إسناد صحيح . قلت : وقد ذكر الحافظ الكبير، أبو القاسم بن عساكر، فى ترجمة أبى عبد الله بن أيوب الخولانى- هذه القصة بأبسط من هذه، من طريق بقية بن الوليد : حدثنى محمد بن زياد عن مسلم الخولانى، أنه كان إذا غزا أرض الروم فمروا بنَهَر قال : أجيزوا بسم الله، قال : ويمر بين أيديهم فيمرون على الماء فما يبلغ من الدوابّ إلا إلى الرُّكب، أو فى بعض ذلك، أو قريبا من ذلك . قال : وإذا جازوا قال للناس : هل ذهب لكم شىء ؟ من ذهب له شىء فأنا ضامن، قال : فألقى مِخْلاة عمداً، فلما جاوزوا قال الرجل: مخلاتى وقعت فى النهر، قال له : اتبعنى، فإذا المخلاة قد تعلقت ببعض أعواد النهر، فقال : خذها وقد رواه أبو داود من طريق الأعرابى عنه، عن عمرو بن عثمان عن بقية به . ثم قال أبو داود : حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد، أن أبا مسلم الخولانى أتى على دجلة وهى ترمى بالخشب من مَدّها فوقف عليها ثم حمد الله وأثنى عليه، وذكر مسير بنى إسرائيل فى البحر، ثم لهَزَ[1] دابته فخاضت الماء وتبعه الناس حتى قطعوا، ثم قال : هل فقدتم شيئا من متاعكم فأدعوا الله أن يرده علىّ ؟

وقد رواه ابن عساكر من طريق أخرى، عن عبد الكريم بن رشيد، عن حميد بن هلال العدوى : حدثنى ابن عمى أخى أبى قال : خرجت مع أبى مسلم فى جيش فأتينا على نهر عجاج منكر فقلنا لأهل القرية : أين المخاضة ؟ فقالوا : ما كانت هاهنا مخاضة، ولكن المخاضة أسفل منكم على ليلتين، فقال أبو مسلم : اللهم أجزت بنى إسرائيل البحر، وإنا عبيدك وفى سبيلك، فأجزنا هذا النهر اليوم، ثم قال : اعبُروا بسم الله، قال ابن عمى : وأنا على فرس، فقلت : لأدفعنه أول الناس خلف فرسه، قال: فوالله ما بلغ الماء بطون الخيل حتى عبر الناس كلهم، ثم وقف وقال : يا معشر المسلمين ! هل ذهب لأحد منكم شىء فأدعوا الله تعالى يرده ؟ . فهذه الكرامات لهؤلاء الأولياء، هى معجزات لرسول الله ﷺ كما تقدم تقريره ؛ لأنهم إنما نالوها ببركة متابعته، ويمن سفارته إذ فيها حجة فى الدين أكيدة للمسلمين، وهى مشابهة نوح عليه السلام فى مسيره فوق الماء بالسفينة التى أمره الله تعالى بعملها، ومعجزة موسى عليه السلام فى فلق البحر . وهذه فيها ما هو أعجب

---

(١) اللهز : الضرب والدفع فى اللهازم، والرقبة . وقيل : هو الضرب بجمع اليد على الصدر وكذلك فى الحنك . مثل اللكز ـ والوكز .

من ذلك ؛ من جهة مسيرهم على متن الماء من غير حائل ، ومن جهة أنه ماء جار والسير عليه أعجب من السير على الماء القار الذى يجاز ، وإن كان ماء الطوفان أطمّ وأعظم . فهذه خارق ؛ والخارق لا فرق بين قليله وكثيره ؛ فإن من سلك على وجه الماء الخضم الجارى العجاج فلم تبتل منه نعال خيولهم ، أو لم يصل إلى بطونها ، فلا فرق فى الخارق بين أن يكون قامة أو ألف قامة ، أو أن يكون نهراً عجاجا كالبرق الخاطف والسيل الجارى ـ أعظم وأغرب . وكذلك بالنسبة إلى فلق البحر ، وهو جانب بحر القلزم ، حتى صار كل فرق كالطّود العظيم ـ أى الجبل الكبير فانحاز الماء يميناً وشمالا ـ حتى بدت أرض البحر، وأرسل الله عليها الريح حتى أيبسها ، ومشت الخيول عليها بلا انزعاج ، حتى جاوزوا عن آخرهم، وأقبل فرعون بجنوده (فَغَشِيَهُم مِنَ اليَمِّ ما غَشِيَهم * وأَضلَّ فِرعَوْنُ قَومَه وما هَدَى[1]) وذلك أنهم لما توسطوه وهموا بالخروج منه ، أمر الله البحر فارتطم عليهم فغرقوا عن آخرهم ، فلم يفلت منهم أحد ، كما لم يفقد من بنى إسرائيل واحد ، ففى ذلك آية عظيمة بل آيات معدودات ، كما بسطنا ذلك فى التفسير ، ولله الحمد والمنة .

والمقصود : أن ما ذكرناه من قصة العلاء بن الحضرمى ، وأبى عبد الله الثقفى ، وأبى مسلم الخولانى ؛ من مسيرهم على تيار الماء الجارى ، فلم يفقد منهم أحد ، ولم يفقدوا شيئاً من أمتعتهم ، هذا وهم أولياء ؛ منهم صحابى وتابعيان ـ فما الظن لو كان الاحتياج إلى ذلك بحضرة رسول الله ﷺ ، سيد الأنبياء وخاتمهم ، وأعلاهم منزلة ليلة الإسراء ، وإمامهم ليلتئذ ببيت المقدس الذى هو محل ولا يتهم ، ودار بدايتهم ، وخطيبهم يوم القيامة ، وأعلاهم منزلة فى الجنة ، وأول شافع فى فى الحشر ، وفى الخروج من النار ، وفى دخول الجنة ، وفى رفع الدرجات بها ، كما بسطنا أقسام الشفاعة وأنواعها ، فى آخر الكتاب فى أهوال يوم القيامة ، وبالله المستعان .

وسنذكر فى المعجزات الموسوية ما ورد من المعجزات المحمدية ، مما هو أظهر وأبهر منها ، ونحن الآن فيما يتعلق بمعجزات نوح عليه السلام ، ولم يذكر شيخنا سوى ما تقدم . وأما الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى ، فإنه قال فى آخر كتابه فى دلائل النبوة ، وهو فى مجلدات ثلاث : الفصل الثالث والثلاثون فى ذكر موازنة الأنبياء فى فضائلهم بفضائل نبينا ، ومقابلة ما أوتوا من الآيات بما أوتى ، إذ أوتى ما أوتوا وشبهه ونظيره ، فكان أول الرسل نوح عليه السلام ، وآيته التى أوتى ـ شفاء غيظه ، وإجابة دعوته ، فى تعجيل نقمة الله لمكذبيه ، حتى هلك من على بسيط الأرض من صامت و ناطق ، إلا من آمن به ودخل معه فى سفينته . ولعمرى إنها آية جليلة ، وافقت سابق قدر الله وما قد علمه فى هلاكهم . وكذلك نبينا ﷺ

---

(١) الآيتان : ٧٨ – ٧٩ من سورة طه .

لما كذبه قومه وبالغوا فى أذيته ، والاستهانة بمنزلته من الله عز وجل ، حتى ألقى السفيه عقبة ابن أبى معيط سلا[1] الجزور على ظهره وهو ساجد ، فقال: اللهم عليك بالملأ من قريش. ثم ساق الحديث عن ابن مسعود كما تقدم ، كما ذكرنا له فى صحيح البخارى وغيره فى وضع الملأ من قريش على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد عند الكعبة سلا تلك الجزور ، واستضحاكهم من ذلك ، حتى إن بعضهم يميل على بعض من شدة الضحك ، ولم يزل على ظهره حتى جاءت ابنته فاطمة عليها السلام فطرحته عن ظهره ، ثم أقبلت عليهم تسبهم ، فلما سلم رسول الله ﷺ من صلاته رفع يديه فقال: اللهم عليك بالملأ من قريش ، ثم سمى فقال: اللهم عليك بأبى جهل، وعتبة، وشيبة والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبى معيط، وعمارة بن الوليد. قال عبد الله بن مسعود: فوالذى بعثه بالحق لقد رأيتهم صرعى يوم بدر ، ثم سحبوا إلى القليب[2] قليب بدر .

وكذلك لما أقبلت قريش يوم بدر فى عددها وعديدها ، فحين عاينهم رسول الله ﷺ قال رافعا يديه : اللهم هذه قريش جاءتك بفخرها وخيلائها ، تجادل وتكذب رسولك ، اللهم أصبهم الغداة . فقتل من سراتهم سبعون وأسر من أشرافهم سبعون ، ولو شاء الله لاستأصلهم عن آخرهم ، ولكن من حلم وشرف نبيه أبقى منهم من سبق فى قدره أن سيؤمن به وبرسول الله ﷺ . وقد دعا على عتبة بن أبى لهب أن يسلط عليه كلبه بالشام ؛ فقتله الأسد عند وادى الزرقاء قبل مدينة بصرى . وكم له من مثلها ونظيرها ، كسبع يوسف فقحطوا حتى أكلوا العكبر[3] . وهو الدم بالوبر ، وأكلوا العظام وكل شيء ، ثم توصلوا إلى تراحمه وشفقته ورأفته ، فدعا لهم ، ففرج الله عنهم وسقوا الغيث ببركة دعائه . وقال الإمام الفقيه أبو محمد عبد الله بن حامد فى كتاب دلائل النبوة — وهو كتاب حافل — : ذكر ما أوتى نوح عليه السلام من الفضائل ، وبيان ما أوتى محمد ﷺ مما يضاهى فضائله ويزيد عليها إن قوم نوح لما بلغوا من أذيته والاستخفاف به ، وترك الإيمان بما جاءهم به من عند الله ، دعا عليهم فقال : (رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً)[4] فاستجاب الله دعوته ، وغرق قومه ، حتى لم يسلم شيء من الحيوانات والدواب إلا من ركب السفينة ، وكان ذلك فضيلة أوتيها ؛ إذ أجيبت دعوته ، وشفى صدره بإهلاك قومه .

قلنا : وقد أوتى محمد ﷺ مثله حين ناله من قريش ما ناله من التكذيب والاستخفاف ،

---

(١) السلى : الجلدة التى فيها الولد من الناس والمواشى ، والجمع : أسلاء

(٢) القليب : البئر العادية القديمة التى لا يعلم لها رب ولا حافر

(٣) العكبر — بالكسر — شيء تجيء به النحل على أفخاذها وأعضادها فتجعله فى الشهد مكان العسل

(٤) من الآية : ٢٦ من سورة نوح

فأنزل الله إليه ملك الجبال وأمره بطاعته فيما يأمره به من إهلاك قومه ، فاختار الصبر على أذيتهم والابتهال فى الدعاء لهم بالهداية . قلت : وهذا أحسن ، وقد تقدم الحديث بذلك عن عائشة عن رسول الله ﷺ ، فى قصة ذهابه إلى الطائف ، فدعاهم فآذوه فرجع وهو مهموم ، فلما كان عند قَرن الثعالب ناداه ملك الجبال فقال : يا محمد ! إنّ ربك قد سمع قول قومك وما رَدّوا به عليك ، وقد أرسلنى إليك لأفعل ما تأمرنى به ، فإن شئت أطبقت عليهم الأخشبَين — يعنى جبلَى مكة اللذين يكتنفانها جنوبا وشمالا ، أبو قبيس والأحمر[1] فقال : بل استأنى بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من لا يشرك بالله شيئا . وقد ذكر الحافظ أبو نعيم فى مقابلة قوله تعالى : (فَدعَا ربَّه أنى مَغلوبٌ فانتَصِر * ففتحنا أبوابَ السماء بماء مُنهمِر * وفجّرنا الأرضَ عُيونًا فالتقَى الماء على أمرٍ قَدْ قُدِر) ـ أحاديث الاستسقاء عن أنس وغيره ، كما تقدم ذكرنا لذلك فى دلائل النبوة قريبا ، أنه ﷺ سأله ذاك الأعرابى أن يدعو الله لهم ، لما بهم من الجدب والجوع ـ فرفع يديه فقال : اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا ، فما نزل عن المنبر حتى رُؤى المطر يتحادَر على لحيته الكريمة ، ﷺ ، فاستحضر من استحضر من الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ قول عمه أبى طالب فيه :

وأبيضُ يُستسقى الغَمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاّك من آل هاشم فهم عنده فى نعمة وفواضل

وكذلك استسقى فى غير ما موضع للجدب والعطش ، فيجاب كما يريد على قدر الحاجة المائية ، ولا أزيد ولا أنقص . وهكذا وقع أبلغ فى المعجزة . وأيضا فإن هذا ماء رحمة ونعمة ، وماء الطوفان ماء غضب ونقمة . وأيضا فإن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يستسقى بالعباس عمّ النبى ﷺ فيسقون . وكذلك ما زال المسلمون فى غالب الأزمان والبلدان ، يستسقون فيجابون فيسقون ، وغيرهم لا يجابون غالبا ولا يسقون ، ولله الحمد .

قال أبو نعيم : ولبث نوح فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاما ، فبلغ جميع من آمن به رجالا ونساء ، الذين ركبوا معه سفينته ـ دون مائة نفس ، وآمن بنبينا ـ فى مدة عشرين سنة ـ الناس شرقا وغربا ، ودانت له جبابرة الأرض وملوكها ، وخافت زوال ملكهم ؛ ككسرى وقيصر ، وأسلم النجاشى والأقيال رغبة فى دين الله . والتزم من لم يؤمن به من عظماء الأرض ـ الجزية ، والإتاوة[2] عن صَغار ؛ أهل نجران ، وهَجر ، وأيلة وأُكَيدر دُومة ، فذلوا له منقادين ، لما أيده الله به من الرعب الذى يسير بين يديه شهراً . وفتح الفتوح ، ودخل الناس فى دين الله

---

(١) هذا ما جاء فى اللسان والقاموس (٢) كل ما أيد وتقوى به من معقل أو حصن أو كنف . الخ

أفواجا ، كما قال الله تعالى : (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا)[1] قلت : مات رسول الله ﷺ وقد فتح الله له المدينة ، وخيبر ، ومكة ، وأكثر اليمن وحضرموت ، وتوفى عن مائة ألف صحابى أو يزيدون . وقد كتب فى آخر حياته الكريمة إلى سائر ملوك الأرض يدعوهم إلى الله تعالى ، فمنهم من أجاب، ومنهم من صانع ودارى عن نفسه ، ومنهم من تكبّر فخاب وخسر ، كما فعل كسرى بن هُرْمُز حين عتا وبغى وتكبر ، فمزق ملكه ، وتفرق جنده شَذَرَ مَذَر[2] ، ثم فتح خلفاؤه من بعده: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على التالى على الأثر - مشارق الأرض ومغاربها ، من البحر الغربى إلى البحر الشرقى ، كما قال رسول الله ﷺ : زُويت[3] لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها . وقال ﷺ : « إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، والذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله » .

وكذا وقع سواء بسواء ، فقد استولت الممالك الإسلامية على ملك قيصر وحواصله ، إلا القسطنطينية ، وجميع ممالك كسرى وبلاد المشرق ، وإلى أقصى بلاد المغرب ، إلى أن قتل عثمان رضى الله عنه فى سنة ستة وثلاثين . فكما عمت جميع أهل الأرض النقمة بدعوة نوح عليه السلام ، لما رآهم عليه من التمادى فى الضلال والكفر والفجور ، فدعا عليهم غضبا لله ولدينه ورسالته ، فاستجاب الله له ، وغضب لغضبه ، وانتقم منهم بسببه - كذلك عمت جميع أهل الأرض النعمة ببركة رسالة محمد ﷺ ودعوته ، فآمن من آمن من الناس ، وقامت الحجة على من كفر منهم ، كما قال تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)[4] وكما قال ﷺ : « إنما أنا رحمة مهداة » . وقال هشام بن عمار فى كتاب البعث : حدثنى عيسى بن عبد الله النعمانى ، حدثنا المسعودى عن سعيد بن أبى سعيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) قال : من آمن بالله ورسله تمت له الرحمة فى الدنيا والآخرة ، ومن لم يؤمن بالله ورسله عُدّ فيمن يستحق تعجيل ما كان يصيب الأمم قبل ذلك من العذاب والفتن والقذف والخسف . وقال تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ)[5] قال ابن عباس : النعمة محمد ، والذين بدّلوا نعمة الله كفراً كفار قريش - يعنى وكذلك كل من كذب به من سائر الناس - كما قال : (وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ)[6] .

---

(١) الآيتان ١-٢ من أول سورة النصر (٢) أى: تفرقوا فى كل وجه وناحية (٣) أى طويت وجمعت
(٤) الآية: ١٠٧ من سورة الأنبياء (٥) الآية :٢٨ من سورة إبراهيم
(٦) من الآية : ١٧ من سورة هود

قال أبو نعيم : فإن قيل : فقد سمى الله نوحا عليه السلام باسم من أسمائه الحسنى ، فقال : (إنَّه كان عَبْداً شكوراً)[١] قلنا : وقد سمى الله محمداً ﷺ باسمين من أسمائه فقال : (بالمؤمنين رءوفٌ رحيم)[٢] قال : وقد خاطب الله الأنبياء بأسمائهم ؛ يا نوح ، يا إبراهيم ، يا موسى ، يا داود ، يا يحيى ، يا عيسى ، يا مريم ، وقال مخاطبا لمحمد ﷺ : يا أيها الرسول ، يا أيها النبي ، يا أيها المزمّل ، يا أيها المدّثر ، وذلك قائم مقام الكنية بصفة الشرف . ولما نسب المشركون أنبياءهم إلى السفه والجنون ، كلٌّ أجاب عن نفسه ، قال نوح : (يا قوم ليْسَ بى سفَاهةٌ ولكنى رَسُولٌ مِنْ رَبِّ العالمين)[٣] وكذا قال هود عليه السلام ، ولما قال فرعون : (وإنى لأظنُّكَ يا مُوسى مَسْحوراً) ، قال موسى : (لقد عَلِمتَ ما أنزَلَ هؤلاء إلا ربُّ السَّموَاتِ والأرض بَصَائرَ وإنِّى لأَظُنُّكَ يا فِرْعَونُ مَثْبُورا)[٤] ، وأما محمد ﷺ فإن الله تعالى هو الذى يتولى جوابهم عنه بنفسه الكريمة ، كما قال : (وقَالُوا يا أيُّها الذى نُزِّلَ عليه الذِّكرُ إنّكَ لمجنون * لَوْمَا تأتينا بالملائكةِ إنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِين) . قال الله تعالى : (ما نُنَزِّل الملائكةَ إلاّ بالحقّ وما كانُوا إذاً منظرين)[٥] وقال تعالى : (وَقَالُوا أساطيرُ الأولين اكتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَى عليه بكرة وأصيلا * قُلْ أنزلَه الذى يَعْلَمُ السِّرَّ فى السموَاتِ والأرض إنّه كان غَفوراً رحيما)[٦] (أم يَقُولُون شَاعِرٌ نتربَّصُ به رَيْبَ المَنُونِ * قُلْ تربَّصُوا فإنِّى مَعَكُم من المتربِّصين)[٧] وقال تعالى : (وما هُوَ بقولِ شَاعِرٍ قليلاً ما تُؤمِنون * ولا بقول كاهِنٍ قَليلاً ما تذكَّرون * تَنْزِيلٌ من رَبِّ العالَمِين)[٨] . (وإنْ يَكادُ الذين كَفَرَوا لَيُزْلِقُونَك بأبصارِهم لمَّا سَمِعُوا الذِّكرَ وَيقُولُون إنَّهُ لمجنون) قال الله تعالى : (وما هُوَ إلاّ ذِكْرٌ للعالمين)[٩] وقال تعالى : (نَ والقَلَمِ وما يَسْطُرون * ما أنتَ بنعمةِ رَبِّك بمَجْنُون * وإنَّ لكَ لأجراً غَيْرَ مَمْنُون * وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عظيم)[١٠] وقال تعالى : (ولَقَد نعلَمُ أنهم يقُولُونَ إنما يُعلِّمه بَشَرٌ لِسانُ الذى يُلحِدُون إليهِ أعْجَمِىٌّ وهذا لِسانٌ عَرَبِىٌّ مُبين)[١١] .

القول فيما أوتى هود عليه السلام

قال أبو نعيم ما معناه : إن الله تعالى أهلك قومه بالريح العقيم ، وقد كانت ريحَ غضب ،

---

(١) من الآية : ٣ من سورة الإسراء . (٢) من الآية : ١٢٨ من آخر سورة التوبة

(٣) من الآية : ٦٧ من سورة الأعراف ، وهذا رد هود على قومه : اما رد نوح ففى الآية ٦١ وهى قوله (يا قوم ليس لى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين)

(٤) من الآية : ١٠٢ من آخر سورة الإسراء (٥) الآيات ٦ - ٨ من سورة الحجر

(٦) الآيتان : ٥ ، ٦ من سورة الفرقان (٧) الآيتان : ٣٠ - ٣١ من سورة الطور

(٨) الآيات : ٤١ - ٤٣ من سورة الحاقة (٩) الآيتان : ٥١ - ٥٢ من آخر سورة القلم

(١٠) أربع آيات من أول سورة القلم (١١) الآية : ١٠٣ من سورة النحل

ونصر الله تعالى محمداً ﷺ بالصبا يوم الأحزاب . كما قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمةَ الله عليكم إذ جاءتكم جنودٌ فأرسلنا عليهم ريحًا وجنوداً لم تروها وكانَ اللهُ بما تعملون بصيراً)[١] ثم قال : حدثنا إبراهيم بن إسحاق ، حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة . وحدثنا عثمان بن محمد العثماني ، أنا زكريا بن يحيى السّاجي ، قالا : حدثنا أبو سعيد الأشج ، وحدثنا حفص بن عتاب ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما كان يوم الأحزاب انطلقت الجنوب إلى الشمال فقالت : انطلق بنا ننصر محمداً رسول الله ﷺ ، فقالت الشمال للجنوب: إنّ الحرّة لا تسرى بالليل ، فأرسل الله عليهم الصّبا[٢]، فذلك قوله: (فأرسلنا عليهم ريحًا وجنوداً لم تروها) ، ويشهد له الحديث المتقدم عن رسول الله ﷺ أنه قال : نصرت بالصّبا وأهلكت عاد بالدّبور .

القول فيما أوتى صالح عليه السلام

قال أبو نعيم : فإن قيل : فقد أخرج الله لصالح ناقة من الصّخرة جعلها الله له آية وحجة على قومه وجعل لها شرب يوم ، ولهم شرب يوم معلوم . قلنا : وقد أعطى الله محمداً ﷺ مثل ذلك ، بل أبلغ، لأن ناقة صالح لم تكلمه ولم تشهد له بالنبوة والرسالة، ومحمد ﷺ شهد له البعير بالرسالة ، وشكى إليه ما يلقى من أهله ، من أنهم يجيعونه ويريدون ذبحه ، ثم ساق الحديث بذلك كما قدمنا فى دلائل النبوة بطرقه وألفاظه وغرره بما أغنى عن إعادته ها هنا . وهو فى الصحاح والحسان والمسانيد . وقد ذكرنا مع ذلك حديث الغزالة ، وحديث الضّب وشهادتهما له ﷺ بالرسالة ، كما تقدم التنبيه على ذلك والكلام فيه . وثبت الحديث فى الصحيح بتسليم الحجر عليه قبل أن يُبعث ، وكذلك سلام الأشجار والأحجار والمدر عليه قبل أن يبعث ﷺ .

القول فيما أوتى إبراهيم الخليل عليه السلام

قال شيخنا العلامة أبو المعالى بن الزملكانى رحمه الله : وأما خمود النار لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ، فقد خمدت لنبينا ﷺ نار فارس لمولده ﷺ ، وبينه وبين بعثته أربعون سنة . وخمدت نار إبراهيم لمباشرته لها ، وخمدت نار فارس لنبينا ﷺ وبينه وبينها مسافة أشهر كثيرة . وهذا الذى أشار إليه من خمود نار فارس ليلة مولده الكريم ، قد ذكرناه بأسانيده وطرقه فى أول السيرة ، عند ذكر المولد المطهر الكريم ، بما فيه كفاية ومقنع . ثم قال شيخنا : مع أنه

---

(١) الآية : ٩ من سورة الأحزاب (٢) الصبا: ريح تهب من مطلع الثريا ـ موضع طلوع الشمس إذا استوى الليل والنهار ـ إلى بنات نعش. والدبور : الريح التى تقابل الصبا .

قد ألقى بعض هذه الأمة فى النار فلم تؤثر فيه ببركة نبينا ﷺ ؛ منهم أبو مسلم الخولانىّ قال : بينما الأسود بن قيس العنسى باليمن ، فأرسل أبى مسلم الخولانى فقال : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم ، قال : أتشهد أنى رسول الله ؟ قال : ما أسمع ، فأعاد إليه ، قال : ما أسمع ، فأمر بنار عظيمة فأجّجت فطرح فيها أبو مسلم فلم تضره ، فقيل له : لئن تركت هذا فى بلادك أفسدها عليك، فأمر بالرحيل، فقدم المدينة وقد قبض رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر ، فقام إلى سارية من سوارى المسجد يصلى ،فبصر به عمر فقال: من أين الرجل ؟ قال : من اليمين ، قال : ما فعل الله بصاحبنا الذى حرق بالنار فلم تضره ؟ قال : ذاك عبد الله بن أيوب ، قال : نشدتك بالله أنت هو ؟ قال : اللهم نعم ، قال : فقبل ما بين عينيه ثم جاء به حتى أجلسه بينه وبين أبى بكر الصديق وقال : الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أرانى فى أمة محمد ﷺ من فُعل به كما فُعل بإبراهيم خليل الرحمن عليه السلام .

وهذا السياق الذى أورده شيخنا بهذه الصفة ، وقد رواه الحافظ الكبير ، أبو القاسم بن عساكر رحمه الله فى ترجمة أبى مسلم- عبد الله بن أيوب فى تاريخه من غير وجه، عن عبد الوهاب ابن محمد عن إسماعيل بن عياش الحطيمى: حدثنى شراحيل بن مسلم الخولانى ، أن الأسود بن قيس ابن ذى الحمار العَنْسى تنبأ باليمن ، فأرسل إلى أبى مسلم الخولانىّ فأتى به ،فلما جاء به قال-:أتشهد أنى رسول الله ؟ قال ما أسمع ، قال : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال: نعم، قال: أتشهد أنى رسول الله؟ قال : ما أسمع ، قال أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم ، قال : أتشهد أنى رسول الله ؟ قال : ما أسمع ، قال : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم ، قال : فردّد عليه ذلك مراراً ، ثم أمر بنار عظيمة فأجّجت فأُلقى فيها فلم تضرّه ، فقيل للأسود : انفه عنك وإلا أفسد عليك مَن اتبعك ، فأمره فارتحل ، فأتى المدينة وقد قبض رسول الله ﷺ ، واستخلف أبو بكر ، فأناخ أبو مسلم راحلته بباب المسجد ، ثم دخل المسجد وقام يصلّى إلى سارية ، فبَصُر به عمر بن الخطاب فأتاه فقال: ممّن الرجل ؟ فقال : من أهل اليمن ، قال : ما فعل الرجل الذى حرّقه الكذاب بالنار ؟ قال : ذاك عبد الله بن أيوب ، قال : فأنشدك بالله أنت هو ؟ قال : اللهم نعم ، قال : فاعتنقه ثم ذهب به حتى أجلسه بينه وبين أبى بكر الصديق ، فقال : الحمد الله الذى لم يمتنى حتى أرانى من أمة محمد ﷺ مَن فُعل به كما فُعِلَ بإبراهيم خليل الرحمن . قال إسماعيل بن عياش : فأنا أدركت رجالا من الأمداد الذين يمدون إلينا من اليمن من خولان ، ربما تمازحوا فيقول الخولانيون للعنسيين : صاحبكم الكذاب حرّق صاحبنا بالنار ولم تضره .

وروى الحافظ ابن عساكر أيضا من غير وجه، عن إبراهيم بن دُحَيم : حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا الوليد ، أخبرنى سعيد بن بشير عن أبى بشر — جعفر بن أبى وحشية أنّ رجلا أسلم فأراده قومه على الكفر ، فألقوه فى نار فلم يحترق منه إلا أنملة لم يكن فيما مضى يصيبها الوضوء ،

فقدم على أبى بكر فقال : استغفر لى ، قال : أنت أحق، قال أبو بكر : أنت ألقيت فى النار فلم تحترق ، فاستغفر له ثم خرج إلى الشام ، وكانوا يسمونه بإبراهيم عليه السلام . وهذا الرجل هو أبو مسلم الخولانى . وهذه الرواية بهذه الزيادة تحقق أنه إنما نال ذلك ببركة متابعته الشريعة المحمدية المطهرة المقدسة ، كما جاء فى حديث الشفاعة : وحرم الله على النار أن تأكل مواضع السجود وقد نزل أبو مسلم بداريا من غربى دمشق ، وكان لا يسبقه أحد إلى المسجد الجامع بدمشق وقت الصبح ، وكان يغازى ببلاد الروم ، وله أحوال وكرامات كثيرة جداً ، وقبره مشهور بداريا ، والظاهر أنه مقامه الذى كان يكون فيه ، فإن الحافظ ابن عساكر رجح أنه مات ببلاد الروم ، فى خلافة معاوية ، وقيل : فى أيام ابنه يزيد ، بعد الستين والله أعلم . وقد وقع لأحمد بن أبى الحوارى من غير وجه ، أنه جاء إلى أستاذه أبى سليمان ، يعلمه بأن التنور قد سجروه وأهله ينتظرون ما يأمرهم به ، فوجده يكلم الناس وهم حوله ، فأخبره بذلك فاشتغل عنه بالناس ، ثم أعلمه فلم يلتفت إليه ، ثم أعلمه مع أولئك الذين حوله ، فقال : اذهب فاجلس فيه ، فذهب أحمد بن أبى الحوارى إلى التنور فجلس فيه وهو يتضرم ناراً فكان عليه برداً وسلاما ، وما زال فيه حتى استيقظ أبو سليمان من كلامه ، فقال لمن حوله : قوموا بنا إلى أحمد بن أبى الحوارى ، فإنى أظنه قد ذهب إلى التنور فجلس فيه امتثالا لما أمرته ، فذهبوا فوجدوه جالسا فيه ، فأخذ بيده الشيخ أبو سليمان وأخرجه منه ، رحمة الله عليهما ورضى الله عنهما .

وقال شيخنا أبو المعالى : وأما إلقاؤه ـ يعنى إبراهيم عليه السلام ـ من المنجنيق ، فقد وقع فى حديث البراء بن مالك ، فى وقعة مسيلمة الكذاب ، وأن أصحاب مسيلمة انتهوا إلى حائط[1] حفير فتحصنوا به وأغلقوا الباب ، فقال البراء بن مالك : ضعونى على برش[2] واحملونى على رءوس الرماح ثم ألقونى من أعلاها داخل الباب ، ففعلوا ذلك وألقوه عليهم فوقع وقام وقاتل المشركين ، وقتل مسيلمة . قلت : وقد ذكر ذلك مستقصى فى أيام الصديق حين بعث خالد بن الوليد لقتال مسيلمة وبنى حنيفة ، وكانوا فى قريب من مائة ألف أو يزيدون ، وكان المسلمون بضعة عشر ألفا فلما التقوا جعل كثير من الأعراب يفرون ، فقال المهاجرون والأنصار : خلصنا يا خالد ، فميزهم عنهم ، وكان المهاجرون والأنصار قريبا من ألفين وخمسمائة ، فصمموا الحملة وجعلوا يتدابرون ويقولون : يا أصحاب سورة البقرة ، بطل السحر اليوم ، فهزموهم بإذن الله وألجأوهم إلى حديقة هناك ، وتسمى حديقة الموت ، فتحصنوا بها ، فحصروهم فيها ، ففعل البراء بن مالك ، أخو أنس ابن مالك ـ وكان الأكبر ـ ما ذكر من رفعه على الأسنة فوق الرماح حتى تمكن من أعلى سورها

---

(١) المراد بالحائط هنا : البستان . (٢) فى نسخة : فرش والفرش : المفروش من متاع البيت .

ثم ألقى نفسه عليهم ونهض سريعا إليهم ، ولم يزل يقاتلهم وحده ويقاتلونه حتى تمكن من فتح الحديقة، ودخل المسلمون يكبرون وانتهوا إلى قصر مسيلمة وهو واقف خارجه عند جدار كأنه جمل أزرق ـ أى من سمرته ، فابتدره وحشى بن حرب الأسود ـ قاتل حمزة ـ بحربته ، وأبو دُجانة سِماك بن خَرَشة الأنصارى ـ وهو الذى ينسب إليه شيخنا هذا أبو المعالى بن الزملكانى ـ فسبقه وحشى ، فأرسل الحربة عليه من بعد فأنفذها منه ، وجاء إليه أبو دجانة فعلاه بسيفه فقتله ، لكن صرخت جارية من فوق القصر : واأميراه ، قتله العبد الأسود . ويقال : إن عمر مسيلمة يوم قتل ـ مائة وأربعين سنة ، لعنه الله ، فمن طال عمره وساء عمله قبحه الله . وهذا ما ذكره شيخنا فيما يتعلق بإبراهيم الخليل عليه السلام .

وأما الحافظ أبو نعيم فإنه قال : فإن قيل : فإن إبراهيم اختص بالخلة مع النبوة ، قيل : فقد اتخذ الله محمداً خليلا وحبيبا ، والحبيب ألطف من الخليل . ثم ساق من حديث شعبة عن أبى إسحاق عن أبى الأحوص، عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لو كنت متخذاً خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن صاحبكم خليل الله . وقد رواه مسلم من طريق شعبة والثورى عن أبى إسحاق ، ومن طريق عبد الله بن مرة ، وعبد الله بن أبى الهديل ـ كلهم عن أبى الأحوص ، عوف بن مالك الجشمى قال : سمعت عبد الله بن مسعود يحدث عن رسول الله ﷺ قال : لو كنت متخذاً خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكنه أخى وصاحبى ، وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا . هذا لفظ مسلم ورواه أيضا منفرداً به ، عن جندب بن عبد الله البجلى كما سأذكره . وأصل الحديث فى الصحيحين عن أبى سعيد ، وفى إفراد البخارى عن ابن عباس وابن الزبير كما سقت ذلك فى فضائل الصديق رضى الله عنه . وقد أوردناه هنالك من رواية أنس والبراء وجابر وكعب بن مالك، وأبى الحسين بن العلى، وأبى هريرة وأبى واقد الليثى ، وعائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنهم أجمعين . ثم إنما رواه أبو نعيم من حديث عبيد الله بن زحر، عن على بن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة عن كعب بن مالك ، أنه قال: عهدى بنبيكم ﷺ فسمعته يقول: لم يكن نبى إلا له خليل من أمته ، وإن خليلى أبو بكر ، وإن الله اتخذ صاحبكم خليلا . وهذا الإسناد ضعيف . ومن حديث محمد بن عجلان عن أبيه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: لكل نبى خليل ، وخليلى أبو بكر بن أبى قحافة ، وخليل صاحبكم الرحمن. وهو غريب من هذا الوجه ومن حديث عبد الوهاب بن الضحاك عن إسماعيل بن عياش عن صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن كثير بن مرة عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله اتخذنى خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا ، ومنزلى ومنزل إبراهيم

فى الجنة تجاهين ، والعباس بيننا مؤمن بين خليلين . غريب وفى إسناده نظر . انتهى ما أورده أبو نعيم رحمه الله .

وقال مسلم بن الحجاج فى صحيحه : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة وإسحاق بن إبراهيم ، قالا : حدثنا زكريا بن عدى ، حدثنا عبيد الله بن عمرو ، حدثنا زيد بن أبى أنيسة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث ، حدثنى جندب بن عبد الله قال : سمعت النبى ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: « إنى أبرأ إلى الله عز وجل أن يكون لى بينكم خليلا ، فإن الله قد اتخذنى خليلا كما اتخذ الله إبراهيم خليلا ، ولو كنت متخذاً من أمتى خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا . ألا وإن من كان قبلكم يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، إنى أنهاكم عن ذلك » . وأما اتخاذه حسينا خليلا ، فلم يتعرض لإسناده أبو نعيم ، وقد قال هشام بن عمار فى كتابه المبعث : حدثنا يحيى بن حمزة الحضرمى وعثمان بن علان القرشى ، قالا : حدثنا عروة ابن رويم اللخمى ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله أدركَ بى الأجل المرقوم وأخذنى لقربه ، واحتضرنى احتضاراً ، فنحن الآخرون ، ونحن السابقون يوم القيامة ، وأنا قائل قولا غير فخر : إبراهيم خليل الله ، وموسى صفى الله ، وأنا حبيب الله ، وأنا سيد ولد آدم يوم القيامة وإن بيدى لواء الحمد ، وأجارنى الله عليكم من ثلاث : أن لا يهلككم بسنة ، وأن يستبيحكم عدوكم ، وأن لا تجمعوا على ضلالة » . وأما الفقيه أبو محمد عبد الله بن حامد فتكلم على مقام الخلة بكلام طويل إلى أن قال : ويقال : الخليل الذى يعبد ربه على الرغبة والرهبة ، من قوله : (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ[1]) من كثرة ما يقول : أواه ، والحبيب : الذى يعبد ربه على الرؤية والمحبة . ويقال : الخليل الذى يكون معه انتظار العطاء ، والحبيب الذى يكون معه انتظار اللقاء . ويقال : الخليل الذى يصل بالواسطة من قوله : (وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ[2])، والحبيب الذى يصل إليه من غير واسطة ، من قوله: (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى[3]). وقال الخليل : (وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ[4]). وقال الله للحبيب محمد ﷺ : (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ[5]) وقال الخليل : (وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ[6]) وقال الله للنبى : (يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ[7]). وقال الخليل حين ألقى فى النار : حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، وقال الله لمحمد : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ

(١) الآية : ١١٤ من سورة التوبة . (٢) من الآية : ٧٥ من سورة الأنعام .
(٣) الآية : ٩ من سورة النجم . (٤) الآية : ٨٢ من سورة الشعراء . (٥) الآية : ٢ من سورة الفتح . (٦) الآية : ٨٧ من سورة الشعراء . (٧) الآية : ٨ من سورة التحريم .

حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ من المُؤْمِنين[1]) وقال الخليل: (إنّى ذاهبٌ إلى ربّى سَيَهْدِين[2]) وقال الله لمحمد: (وَوَجَدَكَ ضالاً فهدى[3]) وقال الخليل: (واجْعَلْ لِى لِسانَ صِدْقٍ فى الآخِرِين[4]) وقال الله لمحمد: (وَرَفَعْنا لكَ ذِكْرَك[5]). وقال الخليل: (واجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أن نَعْبُدَ الأصنام[6]) وقال الله للحبيب: (إنّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عنكم الرِّجْسَ أهلَ البَيْتِ ويُطَهِّرَكم تطْهيراً[7]). وقال الخليل: (واجْعَلْنى مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النعيم[8])وقال الله لمحمد: (إنّا أعطَيْناكَ الكَوْثَر). وذكر أشياء أخر، وسيأتى الحديث فى صحيح مسلم عن أبى ابن كعب أن رسول الله ﷺ قال: « إنى سأقوم مقاماً يوم القيامة يرغب إلى الخلق كلهم حتى أبوهم إبراهيم الخليل » ؛ فدل على أنه أفضل إذ هو يحتاج إليه فى ذلك المقام، ودل على أن إبراهيم أفضل الخلق بعده، ولو كان أحد أفضل من إبراهيم بعده لذكره.

ثم قال أبو نعيم: فإن قيل: إن إبراهيم عليه السلام حجب عن نمروذ بحجب ثلاثة، قيل: فقد كان كذلك. وحجب محمد ﷺ عمن أراده بخمسة حجب، قال الله تعالى فى أمره: (وجَعَلْنا مِنْ بَيْنَ أيْدِيهم سَدّاً ومن خَلْفِهم سَدّاً فأغْشَيْناهم فهم لا يُبْصِرون[9]) فهذه ثلاث. ثم قال: (وإذا قَرَأْتَ القُرآن جَعَلْنا بَيْنَكَ وبَيْنَ الّذِين لا يُؤْمِنُون بالآخِرَة حِجاباً مَسْتُوراً[10]) ثم قال: (فهِىَ إلى الأذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُون[11]) فهذه خمس حجب. وقد ذكر مثله سواء الفقيه أبو محمد بن حامد، وما أدرى أيهما أخذ من الآخر والله أعلم. وهذا الذى قاله غريب، والحجب التى ذكرها لإبراهيم عليه السلام لا أدرى ما هى؟ كيف وقد ألقاه فى النار التى نجاه الله منها.

وأما ماذكره من الحجب التى استدل عليها بهذه الآيات، فقد قيل: إنها جميعها معنوية لا حسية؛ بمعنى أنهم مصرفون عن الحق، لا يصل إليهم، ولا يخلص إلى قلوبهم، كما قال تعالى: (وقالُوا قُلُوبُنا فى أكِنَّةٍ مِمّا تَدْعُونا إليْهِ وفى آذانِنا وَقْرٌ ومِنْ بَيْنِنا وَبَيْنِكَ حِجَاب[12]) وقد حررنا ذلك فى التفسير. وقد ذكرنا فى السيرة وفى التفسير؛ أن أم جميل امرأة أبى لهب، لما نزلت السورة فى ذمها وذم زوجها، ودخولهما النار، وخسارهما، جاءت بفهر - وهو الحجر الكبير-[13] لترجم النبى ﷺ، فانتهت إلى أبى بكر وهو جالس عند النبى ﷺ فلم تر رسول الله ﷺ، وقالت لأبى بكر: أين صاحبك؟ فقال: وماله؟ قالت: إنه هجانى، فقال: ماهجاك، فقالت:

---

(١) الآية: ٦٤ من سورة الأنفال.
(٢) الآية: ٩٩ من سورة الصافات.
(٣) الآية: ٧ من سورة الضحى.
(٤) الآية: ٨٤ من سورة الشعراء.
(٥) الآية: ٤ من سورة الشرح.
(٦) الآية: ٣٥ من سورة إبراهيم.
(٧) الآية: ٣٤ من سورة الأحزاب
(٨) الآية: ٨٥ من سورة الشعراء
(٩) الآية: ٩ من سورة يس.
(١٠) الآية: ٤٥ من سورة الإسراء.
(١١) الآية: ٨ من سورة يس.
(١٢) الآية: ٥ من سوره فصلت
(١٣) قيل: هو الحجر ملء الكف، وهذا أشبه.

والله لئن رأيته لأضربنه بهذا الفهر ، ثم رجعت وهى تقول : مذمما أتينا ودينه قلينا . وكذلك حجب ومنع أبا جهل حين هم أن يطأ برجله رأس النبى ﷺ وهو ساجد ، فرأى جدثا من نار وهولاً عظيما وأجنحة الملائكة دونه ، فرجع القهقرى وهو يتقى بيديه ، فقالت له قريش : مالك ؟ ويحك ! فأخبرهم بما رأى ، وقال النبى ﷺ : لو أقدم لاختطفته الملائكة عضواً عضواً .

وكذلك لما خرج رسول الله ﷺ ليلة الهجرة وقد أرصدوا على مدرجته وطريقه ، وأرسلوا إلى بيته رجالا يحرسونه لئلا يخرج ، ومتى عاينوه قتلوه ، فأمّر عليا فنام على فراشه ، ثم خرج عليهم وهم جلوس ، فجعل يذُرُّ على رأس كل إنسان منهم ترابا ويقول: شاهت[1] الوجوه ، فلم يروه حتى صار هو وأبو بكر الصديق إلى غار ثور ، كما بسطنا ذلك فى السيرة . وكذلك ذكرنا أن العنكبوت سد على باب الغار ليعمى الله عليهم مكانه ، وفى الصحيح أن أبا بكر قال: يارسول الله ، لو نظر أحدهم إلى موضع قدميه لأبصرنا ، فقال : يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ وقد قال بعض الشعراء فى ذلك :

نسج داود ما حمى صاحب الغا ر وكان الفخار للعنكبوت

وكذلك حجب ومنع من سُراقة بن مالك بن جعشم حين اتبعهم ؛ بسقوط قوائم فرسه فى الأرض حتى أخذ منه أمانا كما تقدم بسطه فى الهجرة . وذكر ابن حامد فى كتابه ، فى مقابلة إضجاع إبراهيم عليه السلام ولده للذبح مستسلما لأمر الله تعالى ، ببذل رسول الله ﷺ نفسه للقتل يوم أحد وغيره، حتى نال منه العدو ما نالوا ؛ من هشم رأسه ، وكسر ثنيته اليمنى السفلى ، كما تقدم بسط ذلك فى السيرة . ثم قال : قالوا : كان إبراهيم عليه السلام ألقاه قومه فى النار فجعلها الله برداً وسلاما ، قلنا : وقد أوتى رسول الله ﷺ مثله ، وذلك أنه لما نزل بخيبر سمّته الخيبرية ، فصير ذلك السم فى جوفه برداً وسلاماً إلى منتهى أجله ، والسم عرق إذ لا يستقر فى الجوف كما تحرق النار . قلت : وقد تقدم الحديث بذلك فى فتح خيبر ، ويؤيد ما قاله: أن بشر بن البراء بن معرور مات سريعاً من تلك الشاة المسمومة ، وأخبر ذراعها رسول الله ﷺ بما أودع فيه من السم ، وكان قد نهش منه نهشة ، وكان السم فيه أكثر ، لأنهم كانوا يفهمون أنه ﷺ يحب الذراع ، فلم يضره السم الذى حصل فى باطنه بإذن الله عز وجل ، حتى انقضى أجله ﷺ ، فذكر أنه وجد[2] حينئذ من ألم ذلك السم الذى كان فى تلك الأكلة ﷺ . وقد ذكرنا فى ترجمة خالد بن الوليد المخزومى ـ فاتح بلاد الشام ـ أنه أتى بسم فحساه بحضرة الأعداء ليرهبهم بذلك ، فلم ير بأساً ، رضى الله عنه .

---

(١) أى : قبحت ، وشوهه الله ـ قبح وجهه . (٢) أى : حزن وغضب .

ثم قال أبو نعيم : فإن قيل : فإن إبراهيم خَصَم نمروذ ببرهان نبوته فبهته ، قال الله تعالى : (فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ)[1] قيل : محمد ﷺ أتاه الكذاب بالبعث - أبيّ بن خلف - بعظم بال ففركه وقال : (مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وهي رَمِيم ؟) فأنزل الله تعالى البرهان الساطع (قُلْ يُحيِيهَا الَّذِي أنشأها أول مَرَّةٍ وهُوَ بكلِّ خَلْقٍ عَلِيم)[2] فانصرف مبهوتا ببرهان نبوته . قلت . هذا أقطع للحجة ، وهو استدلاله للمعاد بالبداءة ، فالذي خلق الخلق بعد أن لم يكونوا شيئا مذكوراً ، قادر على إعادتهم كما قال : (أوَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السمواتِ والأرضَ بِقَادِرٍ عَلَى أنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ، بَلَى وهو الخلاق العليم)[3] أى يعيدهم كما بدأهم ، كما قال فى الآية الأخرى : (بِقادِرٍ عَلَى أنْ يُحْيِي المَوتى)[4] وقال : (وهُوَ الذي يَبْدأ الخَلْقَ ثم يُعيدُه وهو أهْوَنُ عليه)[5] هذا . وأمر المعاد نظرىّ لا فطرىّ ضرورىّ فى قول الأكثرين ، فأما الذى حاجّ إبراهيم فى ربّه فإنه معاند مكابر ؛ فإن وجود الصانع مذكور فى الفِطَر ، وكل واحد مفطور على ذلك ، إلا من تغيرت فطرته ، فيصير نظريا عنده . وبعض المتكلمين يجعل وجود الصانع من باب النظر لا الضروريات ، وعلى كل تقدير فدعواه أنه هو الذى يُحيي الموتى ، لا يقبله عقل ولا سمع ، وكل واحد يكذبه بعقله فى ذلك ، ولهذا ألزمه إبراهيم بالإتيان بالشمس من المغرب إن كان كما ادعى (فبُهِتَ الذى كفرَ والله لا يَهْدِى القومَ الظالمين) وكان ينبغى أن يذكر مع هذا . أن الله تعالى سلّط محمداً على هذا المعاند لما بارَزَ النبى ﷺ يوم أحد ، فقتله بيده الكريمة ، طعنه بحربة فأصاب ترقوته فتردّى عن فرسه مراراً ، فقالوا له : ويحكَ ! مالك ؟ فقال : والله إن بى لما لو كان بأهل ذى المجاز لماتوا أجمعين ، ألم يقل : بل أنا أقتله ؟ والله لو بَصَق على لقتلنى - وكان هذا - لعنه الله - قد أعد فرسا وحربة ليقتل بها رسول الله ﷺ ، فقال : بل أنا أقتله إن شاء الله - فكان كذلك يوم أحد .

ثم قال أبو نعيم : فإن قيل : فإن إبراهيم عليه السلام كسر أصنام قومه غضبا لله ، قيل : فإن محمداً ﷺ كسّر ثلثمائة وستين صنما ، قد ألزمها الشيطان بالرصاص والنحاس ، فكان كلما دنا منها بمخصرته تهوى من غير أن يمسّها ، ويقول : (جَاءَ الحقُّ وَزَهَقَ الباطِلُ إنّ الباطِلَ كان زَهُوقاً)[6] فتساقط لوجوهها ، ثم أمر بهن فأُخرجن إلى الميل ، وهذا أظهر وأجلى من الذى قبله ، وقد ذكرنا هذا فى أول دخول النبى ﷺ مكة عام الفتح بأسانيده وطرقه عن الصحاح وغيرها ، بما فيه كفاية . وقد ذكر غير واحد من علماء السير ، أن الأصنام تساقطت أيضاً لمولده الكريم ،

---

(١) من الآية : ٢٥٨ من سورة البقرة
(٢) الآيتان : ٧٨ - ٧٩ من سورة يس
(٣) من الآية : ٨١ من سورة يس
(٤) من الآية : ٣٣ من سورة الأحقاف
(٥) من الآية : ٢٧ من سورة الروم
(٦) الآية : ٥١ من سورة الإسراء

وهذا أبلغ وأقوى فى المعجزة من مباشرة كسرها ، وقد تقدم أن نار فارس التى كانوا يعبدونها خمدت أيضا ليلتئذ ، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ، وأنه سقط من شرفات قصر كسرى أربع عشر شُرفة ، مُؤذنة بزوالَ دولتهم ، بعد هلاك أربعة عشر من ملوكهم فى أقصر مدة ، وكان لهم فى الملك قريب من ثلاثة آلاف سنة . وأما إحياء الطيور الأربعة لإبراهيم عليه السلام ، فلم يذكره أبو نعيم ولا ابن حامد ، وسيأتى فى إحياء الموتى على يد عيسى عليه السلام ـ ما وقع من المعجزات المحمدية من هذا النمط . ما هو مثل ذلك كما سيأتى التنبيه عليه إذا انتهينا إليه ، من إحياء أموات بدعوات أمته ، وحَنين الجذع ، وتسليم الحَجر والشَّجر والمَدر عليه ، وتكليم الذراع له وغير ذلك .

وأما قوله تعالى : (وكذلك نُرى إبراهيمَ مَلَكوتَ السَّموات والأرض وليكونَ من الموقنين)[1] والآيات بعدها ، فقد قال الله تعالى : (سُبْحانَ الذى أسرَى بِعَبْده لَيلاً مِنَ المَسْجِد الحَرام إلى المَسْجِد الأقصى الذى بارَكْنا حَوْلَهُ ، لِنُرِيَهُ مِنْ آياتنا إنه هُوَ السَّميعُ البَصِير)[2] وقد ذكر ذلك ابن حامد فيما وقفت عليه بعد ، وقد ذكرنا فى أحاديث الإسراء من كتابنا هذا ، ومن التفسير ـ ما شاهده رسول الله ﷺ ليلة أسرى به من الآيات فيما بين مكة إلى بيت المقدس ، وفيما بين ذلك إلى سماء الدنيا ، ثم عايَن من الآيات فى السموات السبع وما فوقَ ذلك ، وسِدْرَة المنتهى ، وَجَنَّة المأوى ، والنار التى هى بئس المصير والمَثْوىَ . وقال عليه أفضل الصلاة والسلام فى حديث المنام — وقد رواه أحمد والترمذى وصححه ، وغيرهما — فتَجَلَّى لى كلُّ شىء وعرفت . وذكر ابن حامد فى مقابلة ابتلاء الله يعقوب عليه السلام ؛ بفقده ولده يوسف عليه السلام وصَبْره واستعانته ربه عز وجل ـ موتَ إبراهيم بن رسول الله ﷺ ، وصبره عليه ، وقوله : تدمع العين ويَحزن القلب ، ولا نقول إلا ما يُرضى ربنا ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون . قلت : وقد مات بناته الثلاثة : رُقَيَة ، وأم كلثوم ، وزينب . وقتل عمّه الحمزة ، أسد الله وأسد رسوله يوم أحد ـ فصبر واحتسب . وذكر فى مقابلة حُسن يوسف عليه السلام ما ذُكر من جمال رسول الله ﷺ ، ومهابته وحلاوته شكلا ونَفْعًا وَهَديا ، وَدلاً ، ويُمنا ، كما تقدم فى شمائله من الأحاديث الدالة على ذلك ؛ كما قالت الربيع بنت مسعود : لو رأيته لرأيت الشمس طالعة . وذكر فى مقابلة ما ابتلى به يوسف عليه السلام من الفرقة والغربة ، هجرةَ رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة ، ومفارقته وطنه وأهله وأصحابه الذين كانوا بها .

---

(١) الآية : ٧٥ من سورة الأنعام (٢) أول سورة الإسراء

كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وإِذاً لاَ يَلْبَثُونَ خِلاَفَكَ إِلاَّ قَلِيلاً[1]) وهكذا وقع ، لما اشتوروا عليه ، ليثبتوه ، أو يقتلوه ، أو يخرجوه من بين أظهرهم ، ثم وقع الرأى على القتل ، فعند ذلك أمر الله رسوله بالخروج من بين أظهرهم ، فخرج هو وصديقه أبو بكر ، فمكثا فى غار ثور ثلاثاً ، ثم ارتحلا بعدها كما قدمنا . وهذا هو المراد بقوله : (إلاّ تَنْصُرُوه فَقَدْ نَصَرَه اللهُ إذْ أخْرَجَه الذّين كَفرُوا ثَانِىَ اثْنَيْنِ إذْ هُمَا فى الغارِ إذْ يَقُولُ لِصاحِبِه لَا تَحْزَنْ إنّ اللهَ مَعَنا فأنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عليه وأيّدَه بِجُنُودٍ لم تَرَوْها وَجَعَلَ كَلِمةَ الذّينَ كفَرُوا السُّفْلى وكلمةُ اللهِ هِىَ العُلْيَا وَاللهُ عزيزٌ حَكِيم[2])وهو المرادمن قوله: (وإذْ يَمْكُرُ بِكَ الذِّينَ كَفرُوا لِيُثْبِتُوكَ أوْ يَقْتُلوكَ أوْ يُخْرِجُوك ويَمْكُرون وَيَمْكُرُ اللهُ واللهُ خَيْرُ الماكِرِين[3]) ولهذا قال : (وإذاً لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إلاّ قليلاً) وقد وقع كما أخبر ، فإن الملأ الذين اشتوروا على ذلك لم يلبثوا بمكة بعد هجرته صلى الله عليه وسلم ، إلا ريثما استقر ركابه الشريف بالمدينة . وتابعه المهاجرون والأنصار . ثم كانت وقعة بدر فقتلت تلك النفوس ، وكسرت تلك الرءوس ، وقد كان ﷺ يعلم ذلك قبل كونه من إخبار الله له بذلك ، ولهذا قال سعد بن معاذ لأمية بن خلف : أما إنى سمعت محمداً ﷺ يذكر أنه قاتلك ، فقال : أنت سمعته ؟ قال : نعم ، قال : فإنه والله لا يكذب . وسيأتى الحديث فى بابه . وقد قدمنا أنه عليه السلام جعل يشير لأصحابه قبل الوقعة إلى مصارع القتلى ، فما تعدى أحد منهم موضعه الذى أشار إليه ـ صلوات الله وسلامه عليه .

وقال تعالى : (الٓمٓ * غُلِبتِ الرُّومُ * فى أدْنَى الأرْضِ وهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُون * فى بِضْعِ سِنِينَ لِلّهِ الأمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ويومَئِذٍ يَفْرَحُ المُؤْمِنُون * بِنَصْرِ اللهِ يَنصُرُ مَن يشاءُ وهو العَزِيزُ الرحيم * وَعْدَ اللهِ لا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ ولَكِنّ أكثرَ الناسِ لاَ يَعْلَمون[4]) وهذا الوعد وقع كما أخبر به ؛ وذلك أنه لما غلبت فارس الروم فرح المشركون ، واغتم بذلك المؤمنون ؛ لأن النصارى أقرب إلىّ الإسلام من المجوس ، فأخبر الله رسوله ﷺ بأن الروم ستغلب الفرس بعد هذه المدة ببضع سنين . وكان من أمر مراهنة الصديق رءوسَ المشركين على أن ذلك سيقع فى هذه المدة ، ما هو مشهور كما قررنا فى كتابنا التفسير ، فوقع الأمر كما أخبر به القرآن ، غلبت الرومُ فارسَ بعد غلبهم غلباً عظيماً جداً ، وقصتهم فى ذلك يطول بسطها ، وقد شرحناها فى التفسير بما فيه الكفاية ، ولله الحمد والمنة . وقال تعالى : (سَنُرِيهم آياتِنا

---

(١) الآية : ٨٦ من سورة الإسراء . (٢) الآية : ٤٠ من سورة التوبة .
(٣) الآية : ٣٠ من سورة الأنفال . (٤) الآيات : ١ ـ ٦ من سورة الروم .

ورواه أبو نعيم فى الدلائل من حديث السدى عن أبى عمارة الحيوانى عن علىّ قال : خرجت مع رسول الله ﷺ فجعل لا يمر بحجر ولا شجر ولا مدر ولا شىء - إلا قال : السلام عليك يا رسول الله ، قال : وأقبلت الشجرة عليه بدعائه ، وذكر اجتماع تينك الشجرتين لقضاء حاجته من ورائهما ثم رجوعهما إلى منابتهما . وكلا الحديثين فى الصحيح ، ولكن لا يلزم من ذلك حلول حياة فيهما ؛ إذ يكونان ساقهما سائق ، ولكن فى قوله : انقادا علىّ بإذن الله ، ما يدل على حصول شعور منهما لمخاطبته ، ولا سيما مع امتثالها ما أمرها به ، قال : وأمر عذقا(١) من نخلة أن ينزل فنزل يبقر فى الأرض حتى وقف بين يديه فقال : أتشهد أنى رسول الله ؟ فشهد بذلك ثلاثا ثم عاد إلى مكانه . وهذا أليق وأظهر فى المطابقة من الذى قبله ، ولكن هذا السياق فيه غرابة . والذى رواه الإمام أحمد وصححه الترمذى ، ورواه البيهقى والبخارى فى التاريخ من رواية أبى ظبيان حصين بن المنذر عن ابن عباس ، قال: جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ فقال : بم أعرف أنك رسول الله ؟ قال : أرأيت إن دعوتُ هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أنى رسول الله ؟ قال : نعم ، قال : فدعا العذق فجعل العذق ينزل من النخلة حتى سقط فى الأرض فجعل ينقر حتى أتى رسول الله ﷺ ثم قال له : ارجع فرجع إلى مكانه ، فقال : أشهد أنك رسول الله ، وآمن به . هذا لفظ البيهقى ، وهو ظاهر فى أن الذى شهد بالرسالة هو الأعرابى ، وكان رجلا من بنى عامر . ولكن فى رواية البيهقى من طريق الأعمش عن سالم بن أبى الجعد عن ابن عباس قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : ما هذا الذى يقول أصحابك ؟ قال : وحَوْلَ رسول الله ﷺ أعذاق وشجَر ، فقال : هل لك أن أريك آية ؟ قال : نعم ، فدعا غُصنا منها فأقبل يخُدّ الأرض حتى وقف بين يديه وجعل يسجد ويرفع رأسه ، ثم أمره فرجع . قال : فرجع العامرى وهو يقول : - قال عامر بن صعصعة - والله لا أكذبه بشىء يقوله أبداً . وتقدم فيما رواه الحاكم فى مستدركه منفرداً به عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ دعا رجلا إلى الإسلام فقال : هل من شاهد على ما تقول ؟ قال : هذه الشجرة ، فدعاها رسول الله ﷺ وهى على شاطىء الوادى فأقبلت تخد الأرض خداً ، فقامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت أنه كما قال ، ثم إنها رجعت إلى منبتها ورجع الأعرابى إلى قومه وقال : إن يتبعونى أتيتك بهم وإلا رجعت إليك وكنتُ معك .

قال : وأما حنين الجذع الذى كان يخطب إليه النبى ﷺ ، فعُمل له المنبر ، فلما رقى عليه وخطب حنّ الجذع إليه حنين العشار ، والناس يسمعون بمشهد الخلق يوم الجمعة ولم يزل يئن ويحن حتى نزل إليه النبى ﷺ فاعتنقه وسكنه ، وخيّره بين أن يرجع غُصناً طريا ، أو يغرس فى الجنة

---

(١) العذق بكسر العين : الكباسة ـ وبفتحها : النخلة بحملها . أما الغصن فهو : ما تشعب من ساق الشجر .

يأكل منه أولياء الله ، فاختار الغَرْس فى الجنة وسكن عند ذلك ـ فهو حديث مشهور معروف ، قد رواه من الصحابة عدد كثير متواتر ، وكان بحضور الخلائق . وهذا الذى ذكره من تواتر حنين الجذع كما قال ؛ فإنه قد روى هذا الحديث جماعة من الصحابة ، وعنهم أعداد من التابعين ، ثم من بعدهم آخرون عنهم لا يمكن تواطؤهم على الكذب فهو مقطوع به فى الجملة . وأما تخيير الجذع كما ذكره شيخنا فليس بمتواتر ، بل ولا يصح إسناده ، وقد أوردته فى الدلائل عن أبىّ ابن كعب ، وذكر فى مسند أحمد ، وسنن ابن ماجة ، وعن أنس من خمس طرق إليه ، صحح الترمذى إحداها ، وروى ابن ماجة أخرى ، وأحمد ثالثة ، والبزار رابعة ، وأبو نعيم خامسة . وعن جابر بن عبد الله فى صحيح البخارى من طريقين عنه ، والبزّار من ثالثة ورابعة ، وأحمد من خامسة وسادسة ، وهذه على شرط مسلم . وعن سهل بن سعد فى مصنف ابن أبى شيبة على شرط الصحيحين ، وعن ابن عباس فى مسند أحمد وسنن ابن ماجة بإسناد على شرط مسلم ، وعن ابن عمر فى صحيح البخارى . ورواه أحمد من وجه آخر عن ابن عمر ، وعن أبى سعيد فى مسند عبد بن حميد بإسناد على شرط مسلم . وقد رواه يعلى الموصلى من وجه آخر عنه ، وعن عائشة رواه الحافظ أبو نعيم من طريق على بن أحمد الخوارزمى عن قبيصة بن حبان بن علىّ عن صالح ابن حبان عن عبد الله بن بريدة عن عائشة ، فذكر الحديث بطوله ، وفيه أنه خيّره بين الدنيا والآخرة فاختار الجذع الآخرة وغار حتى ذهب فلم يُعرف . وهذا غريب إسناداً ومتنا . وعن أم سلمة رواه أبو نعيم بإسناد جيد ، وقدمت الأحاديث ببسط أسانيدها وتحرير ألفاظها وغررها بما فيه كفاية عن إعادته ها هنا ، ومن تدبرها حصل له القطع بذلك ولله الحمد والمنة .

قال القاضى عياض بن موسى السبتى المالكى فى كتابه الشفا : وهو حديث مشهور متواتر خرجه أهل الصحيح ، ورواه من الصحابة بضعة عشر ، منهم أبىّ ، وأنس ، وبريدة ، وسهل بن سعد ، وابن عباس ، وابن عمر ، والمطلب بن أبى وداعة ، وأبو سعيد ، وأم سلمة ـ رضى الله عنهم أجمعين . قال شيخنا : فهذه جمادات ونباتات وقد حنّت وتكلمت ، وفى ذلك ما يقابل انقلاب العصا حية . قلت : وسنشير إلى هذا عند ذكر معجزات عيسى عليه السلام فى إحيائه الموتى بإذن الله تعالى فى ذلك كما رواه البيهقى عن الحاكم عن أبى أحمد بن أبى الحسن ، عن عبد الرحمن بن أبى حاتم عن أبيه عن عمرو بن سوار قال : قال لى الشافعى : ما أعطى الله نبيًّا ما أعطى محمداً ﷺ ، فقلت : أعطى عيسى إحياء الموتى ، فقال : أعطى محمد الجذع الذى كان يخطب إلى جنبه حتى هُيِّئ له المنبر ، فلما هُيِّئ له حَنَّ الجذع حتى سمع صوته ، فهذا أكبر من ذلك . وهذا إسناد

صحيح إلى الشافعي رحمه الله ، وهو مما كنت أسمع شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي ـ رحمه الله ـ يذكره عن الشافعي رحمه الله وأكرم مثواه . وإنما قال : فهذا أكبر من ذلك ؛ لأن الجذع ليس محلا للحياة ومع هذا حصل له شعور ووجد لما تحوّل عنه إلى المنبر ، فأنّ وحنّ حنين العشار حتى نزل إليه رسول الله ﷺ فاحتضنه وسكنه حتى سكن . قال الحسن البصري : فهذا الجذع حنّ إليه ، فإنهم أحق أن يحنوا إليه . وأما عود الحياة إلى جسد كانت فيه بإذن الله ـ فعظيم ، وهذا أعجب وأعظم من إيجاد حياة وشعور في محل ليس مألوفا لذلك لم تكن فيه قبل بالكلية ، فسبحان الله رب العالمين .

﴿ تنبيه ﴾ وقد كان لرسول الله ﷺ لواء يحمل معه في الحرب يخفق في قلوب أعدائه مسيرة شهر بين يديه ، وكانت له عَنَزة[1] تحمل بين يديه فإذا أراد الصلاة إلى غير جدار ولا حائل ركزت بين يديه ، وكان له قضيب يتوكأ عليه إذا مشى ، وهو الذي عبر عنه سَطِيح[2] في قوله لابن أخيه عبد المسيح بن نفيلة : ياعبد المسيح ، إذا كثرت التلاوة ، وظهر صاحب الهراوة وغاضت بحيرة ساوه ، فليست الشام لسطيح شاماً ، ولهذا كان ذكر هذه الأشياء عند إحياء عصا موسى وجعلها حية ـ أليق ، إذ هي مساوية لذلك ، وهذه متعددة في محال متفرقه ـ بخلاف عصا موسى فإنها وإن تعدد جعلها حية ، فهي ذات واحدة والله أعلم . ثم نبه على ذلك عند ذكر إحياء الموتى على يد عيسى ، لأن هذه أعجب وأكبر وأظهر وأعلم . قال شيخنا : وأما أن الله كلم موسى تكليما ، فقد تقدم حصول الكلام للنبي ﷺ ليلة الإسراء مع الرؤية وهو أبلغ . هذا أورده فيما يتعلق بمعجزات موسى عليه السلام ليلة الإسراء فيشهد له : فنوديت يا محمد قد كلفت فريضتين وخففت عن عبادي ، وسياق بقية القصة يرشد إلى ذلك ، وقد حكى بعض العلماء الإجماع على ذلك ، لكن رأيت في كلام القاضي عياض نقل الخلاف فيه ، والله أعلم .

وأما الرؤية ففيها خلاف مشهور بين الخلف والسلف ، ونصرها من الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة المشهور بإمام الأئمة ، واختار ذلك القاضي عياض والشيخ محيي الدين النووي . وجاء عن ابن عباس تصديق الرؤية ، وجاء عنه تقييدها ، وكلاهما في صحيح مسلم . وفي الصحيحين عن عائشة إنكار ذلك . وقد ذكرنا في الإسراء عن ابن مسعود وأبي هريرة وأبي ذر وعائشة رضي الله عنهم ، أن المرئي في المرتين المذكورتين في أول سورة النجم ـ إنما هو جبريل عليه السلام . وفي صحيح مسلم عن أبي ذر قال : قلت : يارسول الله هل رأيت ربك ؟ فقال : « نور أنى

---

(١) العنزة : رميح بين العصا والرمح ، فيه زج . (٢) هو الكاهن المشهور ، وكان كاهن بني ذئب وقد أخبر بمبعث النبي ، قيل : إنه عاش ثلثمائة سنة ، ومات في أيام أنوشروان .

أراه » ، وفى رواية : رأيت نوراً . وقد تقدم بسط ذلك فى الإسراء فى السيرة ، وفى التفسير فى أول سورة بنى إسرائيل . وهذا الذى ذكره شيخنا فيما يتعلق بالمعجزات الموسوية ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ، وأيضاً فإن الله تعالى كلم موسى وهو بطور سينا ، وسأل الرؤية فمنعها ، وكلم محمداً ﷺ ليلة الإسراء وهو بالملأ الأعلى حين رُفع لمستوى سمع فيه صريف الأقلام ، وحصلت له الرؤية فى قول طائفة كبيرة من علماء السلف والخلف والله أعلم . ثم رأيت ابن حامد قد طرق هذا فى كتابه وأجاد وأفاد ، وقال ابن حامد : قال الله تعالى لموسى : (وأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّى[1]) وقال لمحمد : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ[2]) .

وأما اليد التى جعلها الله برهاناً وحجة لموسى على فرعون وقومه ، كما قال تعالى بعد ذكر صيرورة العصا حية : (وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ[3]) (فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ[4]) وقال فى سورة طه : (آيَةً أُخْرَى * لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى[5]) . فقد أعطى الله محمداً انشقاق القمر بإشارته إليه فرقتين ، فرقة من وراء جبل حراء ، وأخرى أمامه ، كما تقدم بيان ذلك بالأحاديث المتواترة مع قوله تعالى : (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ[6]) ولا شك أن هذا أجل وأعظم وأبهر فى المعجزات وأعم وأظهر وأبلغ من ذلك . وقد قال كعب بن مالك فى حديثه الطويل فى قصة توبته ، وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه فلقة قمر ، وذلك فى صحيح البخارى . وقال ابن حامد : قالوا : فإن موسى أعطى اليد البيضاء ، قلنا لهم : فقد أعطى محمد ﷺ ماهو أفضل من ذلك ، نوراً كان يضىء عن يمينه حيث ماجلس ، وعن يساره حيث ما جلس وقام ، يراه الناس كلُّهم ، وقد بقى فى ذلك النور إلى قيام الساعة ، ألا ترى أنه يرى النور الساطع من قبره ﷺ من مسيرة يوم وليلة ؟ هذا لفظه . وهذا الذى ذكره من هذا النور غريب جداً ، وقد ذكرنا فى السيرة عند إسلام الطفيل بن عمرو الدَّوسى ، أنه طلب من النبى ﷺ آية تكون له عوناً على إسلام قومه من بيته هناك ، فسطع نور بين عينيه كالمصباح ، فقال: اللهم فى غير هذا الموضع ، فإنهم يظنونه مُثلة ، فتحول النور إلى طرف سوطه ، فجعلوا ينظرون إليه كالمصباح فهداهم الله على يديه ببركة رسول الله ﷺ وبدعائه لهم فى قوله : اللهم اهد دَوسا ،

---

(١) من الآية : ٣٩ من سورة طه . (٢) الآية : ٣١ من سورة آل عمران .
(٣) الآية : ١٢ من سورة النمل . (٤) الآية : ٣٢ من سورة القصص .
(٥) الآيتان: ٢٢ - ٢٣ (٦) أول سورة القمر .

وآت بهم ، وكان يقال للطفيل : ذو النور لذلك . وذكر أيضاً حديث أسيد بن حضير وعباد بن بشر فى خروجهما من عند النبى ﷺ فى ليلة مظلمة ، فأضاء لهما طرف عصا أحدهما ، فلما افترقا أضاء لكل واحد منهما طرف عصاه ، وذلك فى صحيح البخارى وغيره .

وقال أبو زرعة الرازى فى كتاب [دلائل النبوة] : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت بن أنس بن مالك ، أن عباد بن بشر وأسيد بن حضير ، خرجا من عند النبى ﷺ فى ليلة ظلماء حندس ، فأضاءت عصا أحدهما مثل السراج وجعلا يمشيان بضوئها ، فلما تفرقا إلى منزلهما أضاءت عصا ذا وعصا ذا . ثم روى عن إبراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة بن مصعب بن الزبير بن العوام ، وعن يعقوب بن حميد المدنى ـ كلاهما عن سفيان بن حمزه بن يزيد الاسلمى ، عن كثير بن زيد عن محمد بن حمزة بن عمرو الأسلمى ، عن أبيه قال : سرنا فى سفر مع رسول الله ﷺ فى ليلة ظلماء دُحْمُسة ، فأضاءت أصابعى حتى جمعوا عليها ظَهرهم وما هلك منهم ، وإن أصابعى لتستنير . وروى هشام بن عمار فى البعث : حدثنا عبد الأعلى بن محمد البكرى ، حدثنا جعفر بن سليمان البصرى ، حدثنا أبو التياح الضبعى قال : كان مُطَرِّف بن عبد الله يبدر فيدخل كل جمعة ، فربما نوّر له فى سوطه ، فأدلج ذات ليلة وهو على فرسه حتى إذا كان عند المقابر هَدِم[1] به ، قال : فرأيت صاحب كل قبر جالساً على قبره ، فقال : هذا مُطَرِّف يأتى الجمعة ، فقلت لهم : وتعلمون عندكم يوم الجمعة ؟ قالوا : نعم ، ونعلم ما يقول فيه الطير ، فقلت : وما يقول فيه الطير ؟ قالوا : يقول : رب سلّم سلّم قول صالح .

وأما دعاؤه عليه السلام بالطوفان ، وهو الموت الذريع فى قول ، وما بعده من الآيات والقحط والجدب ؛ فإنما كان ذلك لعلهم يرجعون إلى متابعته ويقلعون عن مخالفته ، فما زادهم إلا طغياناً كبيراً ، قال الله تعالى : (وما نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالعذابِ لَعَلَّهُم يَرْجِعُونَ * وقالوا يا أَيُّها السَّاحِرُ ادْعُ لنا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ[2]) (وقالوا مَهْمَا تأْتِنَا به مِنْ آيةٍ لِتَسْحَرَنَا بها فما نَحْنُ لكَ بِمُؤْمِنِين * فأَرْسَلْنَا عَلَيهِم الطُّوفَانَ والجَرَادَ والقُمَّلَ والضَّفَادِعَ والدَّمَ آياتٍ مُفَصَّلاتٍ فاستَكْبَرُوا وكانُوا قوماً مُجْرِمين * وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيهِم الرِّجْزُ قالوا يا مُوسَى ادْعُ لنا رَبَّكَ بما عَهِدَ عِنْدَكَ لئن كَشَفْتَ عنا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لكَ وَلَنُرْسِلَنَّ معك بَنِي إِسْرَائيلَ * فلما كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجزَ إِلَى أَجَلٍ هُم بالِغُوهُ إِذا هُمْ يَنْكُثُون * فانتَقَمْنَا مِنْهُم فأَغْرَقْنَاهُمْ فِى اليَمِّ بِأَنَّهُم كَذَّبُوا بِآياتِنَا وكانوا عَنْها غافِلين[3])

---

(١) أى : هدر وزمجر غضباً وحنقاً . (٢) الآيتان : ٤٨ ـ ٤٩ من سورة الزخرف .

(٣) الآيات : ١٣٢ ـ ١٣٦ من سورة الأعراف .

وقد دعا رسول الله ﷺ على قريش حين تمادَوا على مخالفته بسبع كسبع يوسف فقحطوا حتى أكلوا كلّ شيء ، وكان أحدهم يرى بينه وبين السماء مثل الدخان من الجوع . وقد فسر ابن مسعود قوله تعالى : (فارتقِبْ يومَ تأتِى السّماءُ بدُخانٍ مُبين)[1] ـ بذلك ، كما رواه البخارى عنه فى غير ما موضع من صحيحه ، ثم توسلوا إليه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بقرابتهم منه مع أنه بعث بالرحمة والرأفة ، فدعا لهم فأقلع عنهم ورفع عنهم العذاب ، وأحيوا بعد ما كانوا أشرفوا على الهلكة .

وأما فَلْق البحر لموسى عليه السلام حين أمره الله تعالى ـ حين تراءى الجمعان ـ أن يضرب البحر بعصاه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ؛ فإنه معجزة عظيمة باهرة ، وحجة قاطعة قاهرة ، وقد بسطنا ذلك فى التفسير وفى قصص الأنبياء من كتابنا هذا . وفى إشارته ﷺ بيده الكريمة إلى قمر السماء فانشق القمر فلقتين وَفْق ما سأله قريش ، وهم معه جلوس فى ليلة البدر ـ أعظم آية ، وأبين دلالة وأوضح حجة وأبهر برهان على نبوته وجاهه عند الله تعالى ، ولم ينقل معجزة عن نبىّ من الأنبياء من الآيات الحسيات ـ أعظم من هذا ، كما قررنا ذلك بأدلته من الكتاب والسنة ، فى التفسير فى أول البعثة . وهذا أعظم من حبس الشمس قليلا ليُوشع بن نُون حتى تمكن من الفتح ليلة السبت ، كما سيأتى فى تقرير ذلك مع ما يناسب ذكره عنده ، وقد تقدم من سيرة العَلاء بن الحَضرمى ، وأبى عبيد الثقفى وأبى مسلم الخَولانى ، وسير الجيوش التى كانت معهم على تيار الماء ، ومنها دجلة وهى جارية عجاجة تقذف الخشب من شدة جريها ، وتقدم تقرير أن هذا أعجب من فَلق البحر لموسى من عدة وجوه والله أعلم . وقال ابن حامد : فإن قالوا : فإن موسى عليه السلام ضرب بعصاه البحر فانفلق فكان ذلك آية لموسى عليه السلام ، قلنا : فقد أوتى رسول الله ﷺ مثلها ، قال على رضى الله عنه : لما خرجنا إلى خَيبر فإذا نحن بواد شَجَب[2] وقدرناه فإذا هو أربع عشرة قامة[3] ، فقالوا : يا رسول الله العدو من ورائنا والوادى من أمامنا ، كما قال أصحاب موسى : (إنّا لَمُدْرَكُون)[4] فنزل رسول الله ﷺ فعبرت الخيل لا تبدى حوافرها والإبل لا تبدى أخفافها ، فكان ذلك فتحا ، وهذا الذى ذكره بلا إسناد ولا أعرفه فى شىء من الكتب المعتمدة بإسناد صحيح ـ بل ولا ضعيف ، فالله أعلم .

وأما تظليله بالغمام فى التيه ، فقد تقدم ذكر حديث الغمامة التى رآها بَحيرا تظله من بين أصحابه ، وهو ابن اثنتى عشرة سنة ، صحبة عمه أبى طالب وهو قادم إلى الشام فى تجارة ، وهذا أبهر من جهة أنه كان وهو قبل أن يوحى إليه ، وكانت الغمامة تظله وحده من بين أصحابه ،

(١) الآيات : ١٠ من سورة الدخان (٢) أى : طويل، والشجب : الهم والحزن والعنت
(٣) القامة: البكرة يستقى عليها بأداتها وقامة الإنسان: طوله (٤) من الآية: ٦١ من سورة الشعراء

فهذا أشد فى الاعتناء ، وأظهر من غمام بنى إسرائيل وغيرهم . وأيضاً فإن المقصود من تظليل الغمام إنما كان لاحتياجهم إليه من شدة الحر ، وقد ذكرنا فى الدلائل حين سئل النبى ﷺ أن يدعو لهم ليسقوا ، لما هم عليه من الجوع والجهد والقحط ، فرفع يديه وقال : اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا. قال أنس : ولا والله ما نرى فى السماء من سحاب ولا قزعة[1] ، وما بيننا وبين سلع[2] من بيت ولا دار ، فأنشأت من ورائه سحابة مثل الترس ، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت ، قال أنس : فلا والله ما رأينا الشمس سبتنا ، ولما سألوه أن يستصحى[3] لهم رفع يده وقال : اللهم حوالينا ولا علينا ، فما جعل يشير بيديه إلى ناحية إلا انحاز السحاب اليها حتى صارت المدينة مثل الإكليل يمطر ما حولها ولا تمطر فهذا تظليل عام محتاج اليه ، آكد من الحاجة إلى ذلك ، وهو أنفع منه والتصرف فيه ، وهو يشير أبلغ فى المعجز وأظهر فى الاعتناء ، والله أعلم .

وأما إنزال المن والسلوى عليهم ؛ فقد كثر رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام والشراب فى غير ما موطن كما تقدم بيانه فى دلائل النبوة ، من إطعام الجم الغفير من الشىء اليسير ، كما أطعم يوم الخندق من شويهة جابر بن عبد الله وصاعه الشعير ، أزيد من ألف نفس جائعة ـ صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين . وأطعم من حفنة قوماً من الناس وكانت تمد من السماء ، إلى غير ذلك من هذا القبيل مما يطول ذكره . وقد ذكر أبو نعيم وابن حامد أيضاً ها هنا : أن المراد بالمن والسلوى ـ إنما هو رزق رزقوه من غير كد منهم ولا تعب ؛ ثم أورد فى مقابلته حديث تحليل المغنم ولا يحل لأحد قبلنا ، وحديث جابر فى سيره إلى عبيدة وجوعهم حتى أكلوا الخبط فحسر البحر لهم عن دابة تسمى العنبر ، فأكلوا منها ثلاثين من يوم وليلة حتى سمنوا وتكسرت عكن بطونهم ، والحديث فى الصحيح كما تقدم ، وسيأتى عند ذكر المائدة فى معجزات المسيح بن مريم .

قصة أبى موسى الخولانى

روى أنه خرج هو وجماعة من أصحابه إلى الحج ، وأمرهم أن لا يحملوا زاداً ولا مزاداً ، فكانوا إذا نزلوا منزلا صلى ركعتين فيؤتون بطعام وشراب وعلف يكفيهم ويكفى دوابهم غداء وعشاء مدة ذهابهم وإيابهم ، وأما قوله تعالى : (وإذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل أناس مشربهم)[4] الآية ـ فقد ذكرنا بسط ذلك فى قصة موسى عليه السلام وفى التفسير . وقد ذكرنا الأحاديث الوارد فى وضع النبى ﷺ يده فى ذلك الإناء الصغير الذى لم يسع بسطها فيه ، فجعل الماء ينبع من بين أصابعه أمثال

---

(١) القزعة : القطعة الرقيقة من السحاب ، والجمع : قزع ـ بفتحتين (٢) سلع : جبل بالمدينة
(٣) أى : يطلب الصحو وذهاب الغيم والمطر من الآية : ٦٠ من سورة البقرة

العيون . وكذلك كثر الماء فى غير ما موطن ، كزادتى تلك المرأة ، ويوم الحديبية ، وغير ذلك ، وقد استسقى الله لأصحابه فى المدينة وغيرها فأجيب طبق السؤال وفق الحاجة لا أزيد ولا أنقص ، وهذا أبلغ فى المعجز . ونبع الماء من بين أصابعه من نفس يده ـ على قول طائفة من العلماء ـ أعظم من نبع الماء من الحجر ؛ فإنه محل لذلك .

قال أبو نعيم الحافظ : فإن قيل : إن موسى كان يضرب بعصاه الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عينا فى التيه ، قد علم كل أناس مشربهم . قيل : كان لمحمد ﷺ مثله أو أعجب ، فإن نبع الماء من الحجر مشهور فى العلوم والمعارف ، وأعجب من ذلك نبع الماء من بين اللحم والدم والعظم ، فكان يفرج بين أصابعه فى مخضب[1] فينبع من بين أصابعه الماء فيشربون ويسقون ماء جاريا عذبا ، يروى العدد الكثير من الناس والخيل والإبل . ثم روى من طريق المطلب بن عبدالله ابن أبى حنطب : حدثنى عبد الرحمن بن أبى عمرة الأنصارى ، حدثنى أبى قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة غزاها ، فبات الناس فى مخمصة فدعا بركوة[2] فوضعت بين يديه ، ثم دعا بماء فصبه فيها ، ثم مج فيها وتكلم ما شاء الله أن يتكلم ، ثم أدخل إصبعه فيها ، فأقسم بالله لقد رأيت أصابع رسول الله ﷺ تنفجر منها ينابيع الماء ، ثم أمر الناس فسقوا وشربوا وملأوا قربهم وأدواتهم . وأما قصة إحياء الذين قتلوا بسبب عبادة العجل وقصة البقرة، فسيأتى مايشابهها من إحياء حيوانات وأناس ، عند ذكر إحياء الموتى على يد عيسى بن مريم والله أعلم . وقد ذكر أبو نعيم هاهنا أشياء أخر تركناها اختصاراً واقتصاداً . وقال هشام بن عمارة فى كتابه المبعث .

باب ما أعطى رسول الله ﷺ، وما أعطى الأنبياء قبله

حدثنا محمد بن شعيب ، وحدثنا روح بن مدرك ، أخبرنى عمر بن حسان التميمى ، أن موسى عليه السلام أعطى آية من كنوز العرش ؛ رب لاتولج الشيطان فى قلبى وأعذنى منه ومن كل سوء ؛ فإن لك اليد والسلطان والملك والملكوت ، دهر الداهرين وأبد الآبدين آمين آمين : قال : وأعطى محمد ﷺ آيتان من كنوز العرش ـ آخر سورة البقرة : (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ) إلى آخرها .

قصة حبس الشمس ـ على يوشع بن نون بن إفرائم بن يوسف
ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن عليهم السلام

وقد كان نبى بنى إسرائيل بعد موسى عليه السلام ، وهو الذى خرج ببنى إسرائيل من

(١) المخضب : الإناء الذى تغسل فيه الثياب . (٢) الركوة : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء

التيه ودخل بهم بيت المقدس بعد حصار ومقاتلة ، وكان الفتح قد ينجز بعد العصر يوم الجمعة ، وكادت الشمس تغرب ويدخل عليهم السبت فلا يتمكنون معه من القتال، فنظر إلى الشمس فقال إنك مأمورة وأنا مأمور ، ثم قال : اللهم احبسها على ، فحبسها الله عليه حتى فتح البلد ثم غربت. وقد قدمنا في قصة من قصص الأنبياء ـ الحديث الوارد في صحيح مسلم ، من طريق عبد الرزاق عن معمر بن همام عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : غزا نبي من الأنبياء ، فدنا من القرية حين صلى العصر أو قريباً من ذلك ، فقال للشمس : أنت مأمورة ، وأنا مأمور ، اللهم امسكها على شيئا ، فحبست عليه حتى فتح الله عليه .. الحديث بطوله . وهذا النبي هو يوشع بن نون ، بدليل ما رواه الإمام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا أبو بكر بن هشام عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع عليه السلام ليالي سار إلى بيت المقدس . تفرد به أحمد وإسناده على شرط البخاري . إذا علم هذا فانشقاق القمر فلقتين حتى صارت فلقة من وراء الجبل ـ أعني حراء ـ وأخرى من دونه ، أعظم في المعجزة من حبس الشمس قليلا . وقد قدمنا في الدلائل حديث رد الشمس بعد غروبها ، وذكرنا ما قيل فيه من المقالات ، فالله أعلم .

قال شيخنا العلامة أبو المعالي بن الزملكاني : وأما حبس الشمس ليوشع في قتال الجبارين ، فقد انشق القمر لنبينا ﷺ ، وانشاق القمر فلقتين أبلغ من حبس الشمس عن مسيرها ، وصحت الأحاديث وتواترت بانشقاق القمر ، وأنه كان فرقة خلف الجبل وفرقة أمامه ، وأن قريشاً قالوا : هذا سحر أبصارنا ، فوردت المسافرون وأخبروا أنهم رأوه مفترقا ، قال الله تعالى : (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وانْشَقَّ القمر * وإنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضوا ويَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرّ) قال : وقد حبست الشمس لرسول الله ﷺ مرتين : إحداهما ما رواه الطحاوي وقال : رواته ثقات ، وسماهم وعدهم واحداً واحداً ، وهو أن النبي ﷺ كان يوحى إليه ورأسه في حجر علي رضي الله عنه فلم يرفع رأسه حتى غربت الشمس ، ولم يكن علي صلى العصر . فقال رسول الله ﷺ : اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك ، فاردد عليه الشمس ، فرد الله عليه الشمس حتى رؤيت، فقام علي فصلى العصر ، ثم غربت . والثانية صبيحة الإسراء؛ فإنه ﷺ أخبر قريشا عن مسراه من مكة إلى بيت المقدس، فسألوه عن أشياء من بيت المقدس فجلاه الله له حتى نظر إليه ووصفه لهم ، وسألوه عن عير كانت لهم في الطريق فقال : إنها تصل إليكم مع شروق الشمس ، فتأخرت فحبس الله الشمس عن الطلوع حتى كانت العصر . روى ذلك ابن بكير في زياداته على السنن . أما حديث رد الشمس بسبب علي رضي الله عنه ، فقد تقدم ذكرنا له من طريق أسماء بنت عميس،

وهو أشهرها ، وابن سعيد وأبي هريرة وعليّ نفسه ، وهو مستنكر من جميع الوجوه . وقد مال إلى تقويته أحمد بن صالح المصري الحافظ ، وأبو جعفر الطحاوي ، والقاضي عياض . وكذا صححه جماعة من العلماء الرافضة كابن المطهر وذويه . ورده وحكم بضعفه آخرون من كبار حفاظ الحديث ونقادهم ، كعلي بن المديني ، وإبراهيم بن يعقوب الجوزجاني ، وحكاه عن شيخه محمد ويعلى بن عبيد الطنافسيين ، وكأبي بكر محمد بن حاتم البخاري المعروف بابن زنجويه أحد الحفاظ ، والحافظ الكبير أبي القاسم بن عساكر ، وذكره الشيخ جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي في كتاب الموضوعات وكذلك صرح بوضعه شيخاي الحافظان الكبيران : أبو الحجاج المزي ، وأبو عبد الله الذهبي .

وأما ما ذكره يونس بن بكير في زياداته على السيرة ، من تأخر طلوع الشمس عن إبان طلوعها فلم ير لغيره من العلماء . على أن هذا ليس من الأمور المشاهدة ، وأكثر ما في الباب أن الراوي روى تأخير وقوعها ولم نشاهد حبسها عن وقته . وأغرب من هذا ما ذكره ابن المطهر في كتابه المنهاج ، أنها ردت لعلي مرتين ، فذكر الحديث المتقدم كما ذكر ، ثم قال : وأما الثانية فلما أراد أن يعبر الفرات ببابل ، اشتغل كثير من أصحابه بسبب دوابهم ، وصلى لنفسه في طائفة من أصحابه العصر ، وفاتت كثيراً منهم ، فتكلموا في ذلك ، فسأل الله رد الشمس فردت . قال : وذكر أبو نعيم بعد موسى إدريس عليه السلام ، وهو عند كثير من المفسرين من أنبياء بني إسرائيل وعند محمد بن إسحاق بن يسار وآخرين من علماء النسب قبل نوح عليه السلام ، في عمود نسبه إلى آدم عليه السلام ، كما تقدم التنبيه على ذلك ، فقال :

القول فيما أعطى إدريس عليه السلام

من الرفعة التي نوه الله بذكرها فقال : ﴿ ورفعناه مكاناً علياً ﴾[1]

قال : والقول فيه أن نبينا محمداً ﷺ أعطى أفضل وأكمل من ذلك ؛ لأن الله تعالى رفع ذكره في الدنيا والآخرة فقال : (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ[2]) فليس خطيب ولا شفيع ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فقرن الله اسمه باسمه ، في مشارق الأرض ومغاربها ، وذلك مفتاحاً للصلاة المفروضة ، ثم أورد حديث ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد ، عن رسول الله ﷺ في قوله : (ورفعنا لك ذكرك) قال : قال جبريل : قال الله : إذا ذكرتُ ذُكِرتَ . ورواه ابن جرير وابن أبي عاصم من طريق دراج ، ثم قال : حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد الغطريفي ، حدثنا موسى بن سهل الجوني ، حدثنا أحمد بن القاسم بن بهرام الهيتي ، حدثنا نصر بن حماد عن عثمان بن عطاء عن الزهري

(١) من الآية : ٥٧ من سورة مريم (٢) الآية : ٤ من سورة الشرح

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : لما فرغت مما أمرني الله تعالى به من أمر السموات والأرض قلت : يا رب إنه لم يكن نبيٌّ قبلي إلا قد كرّمته ؛ جعلت إبراهيم خليلا ، وموسى كليما ، وسخّرت لداود الجبال ، ولسليمان الريح والشياطين ، وأحييت لعيسى الموتى ، فما جعلت لي ؟ قال : أو ليس قد أعطيتُك أفضل من ذلك كله ؟ أن لا أذكر إلا ذُكِرتَ معي ، وجعلت صدور أمتك أناجيل يقرءون القرآن ظاهراً ولم أعطها أمة ، وأنزلت عليك كلمة من كنوز عرشي : لا حول ولا قوة إلا بالله . وهذا إسناد فيه غرابة ، ولكن أورد له شاهداً من طريق أبي القاسم ابن بنت منيع البغوي، عن سليمان بن داود المهراني ، عن حماد بن زيد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مرفوعا بنحوه .

وقد رواه أبو زرعة الرازي في كتاب [دلائل النبوة] بسياق آخر ، وفيه انقطاع ، فقال : حدثنا هشام بن عمار الدمشقي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا شعيب بن زريق ، أنه سمع عطاء الخراساني يحدث عن أبي هريرة وأنس بن مالك عن النبي ﷺ من حديث ليلة أسرى به . قال : لما أراني الله من آياته ، وجدت ريحا طيبة فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذه الجنة ، قلت: يا ربي ائتني بأهلي ، قال الله تعالى : لك ما وعدتك ، كل مؤمن ومؤمنة لم يتخذ من دوني أنداداً . ومن أقرضني قربته ، ومن توكل عليَّ كفيته ، ومن سألني أعطيته ولا ينقص نفقته ولا ينقص ما يتمنى ، لك ما وعدتك ، فنعم دار المتقين أنت ، قلت : رضيت . فلما انتهينا إلى سدرة المنتهى خررت ساجداً فرفعت رأسي فقلت : يا رب اتخذت إبراهيم خليلا ، وكلمت موسى تكليما ، وآتيت داود زبوراً ، وآتيت سليمان ملكا عظيما ، قال : فإني قد رفعت لك ذكرك ، ولا تجوز لأمتك خطبة حتى يشهدوا أنك رسولي ، وجعلت قلوب أمتك أناجيل ، وآتيتك خواتيم سورة البقرة من تحت عرشي . ثم روى من طريق الربيع بن أنس ، عن أبي العالية عن أبي هريرة حديث الإسراء بطوله ، كما سقناه من طريق ابن جرير في التفسير .

وقال أبو زرعة في سياقه : ثم لقي أرواح الأنبياء عليهم السلام فأثنوا على ربهم عز وجل ، فقال إبراهيم : الحمد لله الذي اتخذني خليلا ، وأعطاني ملكا عظيما ، وجعلني أمة قانتا لله محياي ومماتي ، وأنقذني من النار ، وجعلها عليَّ برداً وسلاما . ثم إن موسى أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذي كلمني تكليما ، واصطفاني برسالته وبكلامه ، وقربني نجيا ، وأنزل عليَّ التوراة ، وجعل هلاك فرعون على يدي . ثم إن داود أثنى على ربه فقال : الحمد الله الذي جعلني مَلكا وأنزل عليَّ الزبور ، وألان لي الحديد ، وسخّر لي الجبال يُسبّحن معه والطير ، وآتاني الحكمة وفصل الخطاب . ثم إن سليمان أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذي سخّر لي الرياح والجن والإنس ، وسخر لي الشياطين يعملون لي ما شئت من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ،

وعلمنى منطق الطير ، وأسال لى عَيْنَ القطر ، وأعطانى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى . ثم إن عيسى أثنى على الله عز وجل فقال : الحمد لله الذى علمنى التوراة والإنجيل ، وجعلنى أبرىء الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله ، وطهرنى ورفعنى من الذين كفروا ، وأعاذنى من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان علينا سبيل . ثم إن محمداً ﷺ أثنى على ربه فقال : كلكم أثنى على ربه ، وأنا مثن على ربى ، الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين ، وكافة للناس بشيراً ونذيراً ، وأنزل على الفرقان فيه تبيان كل شىء ، وجعل أمتى خير أمة أخرجت للناس ، وجعل أمتى وسطا ، وجعل أمتى هم الأولون وهم الآخرون ، وشرح لى صدرى ، ووضع عنى وزرى ، ورفع لى ذكرى ، وجعلنى فاتحا وخاتما . فقال إبراهيم : بهذا فضلكم محمد ﷺ .

ثم أورد إبراهيم الحديث المتقدم، فيما رواه الحاكم والبيهقى من طريق عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب مرفوعا فى قول آدم : يارب أسألك بحق محمد إلا غفرت لى ، فقال الله : وما أدراك ولم أخلقه بعد ؟ فقال : لأنى رأيت مكتوبا مع اسمك على ساق العرش : لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعرفت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك ، فقال الله : صدقت يا آدم ولولا محمد ما خلقتك . وقال بعض الأئمة : رفع الله ذكره ، وقرنه باسمه فى الأولين والآخرين ، وكذلك يرفع قدره ويقيمه مقاماً محموداً يوم القيامة ، يغبطه به الأولون والآخرون ، ويرغب إليه الخلق كلهم حتى إبراهيم الخليل ؛ كما ورد فى صحيح مسلم فيما سلف وسيأتى أيضاً .

فأما التنويه بذكره فى الأمم الخالية ، والقرون السابقة ؛ ففى صحيح البخارى عن ابن عباس قال : ما بعث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق ، لئن بعث محمد وهو حى ليؤمنن به وليتبعنه ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ على أمته العهد والميثاق ؛ لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به وليتبعنه . وقد بشرت بوجوده الأنبياء ، حتى كان آخر من بَشّر به عيسى بن مريم خاتم أنبياء بنى إسرائيل . وكذلك بشرت به الأحبار والرهبان والكهان ، كما قدمنا ذلك مبسوطا . ولما كانت ليلة الإسراء رُفع من سماء إلى سماء حتى سلّم على إدريس عليه السلام ، وهو فى السماء الرابعة . ثم جاوزه إلى الخامسة . ثم إلى السادسة فسلم على موسى بها . ثم جاوزه إلى السابعة فسلم على إبراهيم الخليل عند البيت المعمور . ثم جاوز ذلك المقام ، فرفع لمستوى سمع فيه صَريف الأقلام ، وجاء سدرة المنتهى ورأى الجنة والنار وغير ذلك من الآيات الكبرى . وصلى بالأنبياء ، وشيعه من كل مقربيها ، وسلم عليه رضوان خازن الجنان ، ومالك خازن النار ، فهذا هو الشرف ، وهذه هى الرفعة ، وهذا هو التكريم والتنويه ، والإشهار والتقديم والعلو والعظمة ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر أنبياء الله أجمعين .

وأما رفع ذكره فى الآخرين ؛ فإن دينه باق ناسخ لكل دين ، ولا ينسخ هو أبد الآبدين ودهر الداهرين إلى يوم الدين . ولا تزال طائفة من أمته ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة . والنداء فى كل يوم خمس مرات على كل مكان مرتفع من الأرض : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، وهكذا كل خطيب يخطب لا بد أن يذكره فى خطبته ، وما أحسن قول حسان :

أغرّ عليه للنبوة خاتم ... من الله مشهودٌ يلوح ويُشهَدُ
وضم الإله اسم النبى إلى اسمه ... إذ قال فى الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليُجِلّه ... فذو العرش محمودٌ وهذا محمد

وقال الصرصرى رحمه الله :

ألم تر أنا لا يصح أذاننا ... ولا فرضنا إن لم نكررْه فيهما

القول فيما أوتى داود عليه السلام

قال الله تعالى : (واذكُر عَبدَنا داوُدَ ذا الأَيْدِ إنّهُ أوّاب * إنا سخّرنا الجبالَ مَعَهُ يُسَبِّحن بالعَشيِّ والإشراق * والطَّيرَ محشورةً كُلٌّ له أوّاب)(١) وقال تعالى : (ولقَد آتينا داوُد منّا فَضْلاً يا جِبالُ أوّبى مَعَه والطّيرَ وألنّا له الحديد * أن اعمَلْ سابِغاتٍ وَقَدِّر فى السَّرْدِ واعملوا صالحاً إنى بما تعملون بَصير)(٢) وقد ذكرنا قصته عليه السلام فى التفسير ، وطيب صوته عليه السلام ، وأن الله تعالى كان قد سخر له الطير تسبح معه ، وكانت الجبال أيضاً تجيبه وتسبح معه ، وكان سريع القراءة ، يأمر بدوابه فتسرح فيقرأ الزبور بمقدار مايفرغ من شأنها ثم يركب ، وكان لا يأكل إلا من كسب يده ، صلوات الله وسلامه عليه . وقد كان نبينا ﷺ حسن الصوت ، طيبه بتلاوة القرآن ، قال جبير بن مطعم : قرأ رسول الله ﷺ فى المغرب بالتين والزيتون ، فما سمعت صوتاً أطيب من صوته ﷺ ، وكان يقرأ ترتيلا كما أمره الله عز وجل بذلك .

وأما تسبيح الطير مع داود ، فتسبيح الجبال الصُّم أعجب من ذلك ، وقد تقدم فى الحديث : أن الحصا سبّح فى كف رسول الله ﷺ . قال ابن حامد : وهذا حديث معروف مشهور . وكانت الأحجار والأشجار والمدر تسلم عليه ﷺ . وفى صحيح البخارى عن ابن مسعود قال : لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل — يعنى بين يدى النبى ﷺ — وكلّمه ذراع الشاة المسمومة ، وأعلمه بما فيه من السم ، وشهدت بنبوته الحيوانات الإنسية والوحشية ، والجمادات أيضاً ،

(١) الآيات : ١٧ — ١٩ من سورة ص (٢) الآيتان : ١٠ — ١١ من سورة سبأ

كما تقدم بسط ذلك كله . ولا شك أن صدور التسبيح من الحصا الصغار الصُّم التى لا تجاويف فيها ـ أعجب من صدور ذلك من الجبال ؛ لما فيها من التجاويف والكهوف ، فإنها وما شاكلها تردّد صدى الأصوات العالية غالبا ، كما قال عبد الله بن الزبير : كان إذا خطب — وهو أمير المدينة بالحرم الشريف — تجاوبه الجبال ، أبو قبيس وزَرود ، ولكن من غير تسبيح ، فإن ذلك من معجزات داود عليه السلام . ومع هذا كان تسبيح الحصا فى كف رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر وعثمان ـ أعجب .

وأما أكل داود من كسب يده ، فقد كان رسول الله ﷺ يأكل من كسبه أيضاً. كما كان يرعى غنما لأهل مكة على قراريط . وقال : «وما من نبىّ إلا وقد رعى الغنم» : وخرج إلى الشام فى تجارة لخديجة مُضاربة ، وقال الله تعالى : (وَقَالُوا ما لِهَذَا الرسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى الأسْوَاقِ لَوْلاَ أُنْزِلَ إِلَيه مَلَكٌ فيكُونَ مَعَهُ نذيراً * أو يُلْقَى إِلَيه كَنْزٌ أو تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يأْكُلُ منها ، وقال الظالمون إنْ تَتَّبِعُون إلا رَجُلاً مَسْحُورا * انْظُر كيف ضَرَبُوا لكَ الأمثالَ فَضَلُّوا فلا يَسْتَطِيعُون سَبيلاً)[1] إلى قوله : (ومَا أرْسَلْنا قَبلكَ مِن المُرْسَلين إلاّ إنَّهم ليأكُلُونَ الطَّعامَ ويَمْشُون فى الأَسْوَاقِ)[2] أى للتكسب والتجارة طلبا للربح الحلال. ثم لما شرع الله الجهاد بالمدينة ، كان يأكل مما أباح الله له من المغانم التى لم تُبح قبله ، ومما أفاء الله عليه من أموال الكفار التى أبيحت له دون غيره ، كما جاء فى المسند والترمذى عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : بعثت بالسيف بين يدى الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، وجُعل رزقى تحت ظل رمحى ، وجعل الذلة والصغار على مَن خالف أمرى ، ومن تشبه بقوم فهو منهم .

وأما إلانة الحديد بغير نار كما يلين العجين فى يده ، فكان يصنع هذه الدروع الداوودية ، وهى الزَّرديّات السابغات ، وأمره الله تعالى بنفسه بعملها ، وقدّر فى السَّرْد ؛ أى ألا يدق المسمار فيملق ، ولا يعظله فيقصم ، كما جاء فى البخارى ، وقال تعالى : (وَعَلَّمناهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُم لِتُحْصِنَكُم من بأسِكُم فَهَل أنتم شَاكِرون)[3] وقد قال بعض الشعراء فى معجزات النبوة :

نسيج داود ما حمى صاحب الغا ر وكان الفخار للعنكبوت

والمقصود المعجز فى إلانة الحديد . وقد تقدم فى السيرة عند ذكر حَفر الخندق عام الأحزاب ، فى سنة أربع ، وقيل : خمس ـ أنهم عرضت لهم كُدية ـ وهى الصخرة فى الأرض ـ فلم يقدروا على كسرها ولا شىء منها ، فقام إليها رسول الله ﷺ ـ وقد ربط حجراً على بطنه من شدة الجوع ـ فضربها ثلاث ضربات ، لمعت الأولى حتى أضاءت له منها قصور الشام ، وبالثانية قصور

(١) الآيات : ٧ ـ ٩ من سورة الفرقان (٢) من الآية : ٢٠ من السورة نفسها
(٣) من الآية : ٨٠ من سورة الأنبياء

فارس ، وثالثة . ثم انسالت الصخرة كأنها كثيبٌ من الرمل ، ولا شك أن انسيال الصخرة التى لا تنفعل ولا بالنار ـ أعجب من لين الحديد الذى إن أحمى لان ، كما قال بعضهم :

فلو أن ما عالجت لين فؤادها بنفسى للان الجلدُ والجندل الصخر[١]

فلو أن شيئاً أشد قوة من الصخر لذكره هذا الشاعر المبالغ ، قال الله تعالى : (ثُمَّ قَسَتْ قُلوبُكُم مِن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالحِجَارةِ أو أشَدُّ قَسْوَةً)[٢] الآية . وأما قوله تعالى : (قُلْ كُونُوا حِجارةً أو حَديداً * أو خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فى صُدُورِكُم)[٣] الآية ـ فذلك لمعنى آخر فى التفسير . وحاصله أن الحديد أشد امتناعا فى الساعة الراهنة من الحجر ما لم يعالج ، فإذا عولج انفعل الحديد ولا ينفعل الحجر ، والله أعلم .

وقال أبو نعيم : فإن قيل : فقد لين الله لداود عليه السلام الحديد حتى سرد منه الدروع السوابغ ، قيل : لينت لمحمد ﷺ الحجارة وصُمُّ الصخور ، فعادت له غاراً استتر به من المشركين ، يوم أحد ، مال إلى الجبل ليخفى شخصه عنهم فلين الجبل حتى أدخل رأسه فيه ، وهذا أعجب ؛ لأن الحديد تلينه النار ، ولم نر النار تلين الحجر ، قال : وذلك بعد ظاهرٌ باقٍ يراه الناس . قال : وكذلك فى بعض شعاب مكة حجر من جبل أصم استروح[٤] فى صلاته إليه فلان الحجر حتى أثر فيه بذراعيه وساعديه ، وذلك مشهور يقصده الحجاج ويزورونه . وعادت الصخرة ليلة أسرى به كهيئة العجين ، فربط بها دابته ـ البراق ـ وموضعه يلمسه الناس إلى يومنا هذا . وهذا الذى أشار إليه من يوم أحد ، وبعض شعاب مكة ـ غريب جداً ، ولعله قد أسنده هو فيما سلف ، وليس ذلك بمعروف فى السيرة المشهورة . وأما ربط الدابة فى الحجر فصحيح ، والذى ربطها جبريل كما هو فى صحيح مسلم رحمه الله وأما قوله وأوتيت الحكمة وفصل الخطاب ، فقد كانت الحكمة التى أوتيها محمد ﷺ والشرعة التى شرعت له ـ أكمل من كل حكمة وشرعة كانت لمن قبله من الأنبياء ـ صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ، فإن الله جمع له محاسن من كان قبله ، وفضله وأكمله ، وآتاه ما لم يؤت أحداً قبله ، وقد قال ﷺ : أوتيت جوامع الكلم ، واختصرت لى الحكمة اختصاراً . ولا شك أن العرب أفصح الأمم ، وكان النبى ﷺ أفصحهم نطقا ، وأجمعهم لكل خُلق جميل مطلقا .

القول فيما أوتى سليمان بن داود عليه السلام

قال الله تعالى : (فَسَخَّرْنا له الرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * والشَّياطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وغَوَّاصٍ * وآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فى الأَصْفَادِ * هَذَا عَطَاؤُنَا فامْنُنْ أو أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ *

(١) فى الأصل : فلو أن ما عالجت لين فؤادها بنفسى للان الجندل ... والجندل الصخر . فأصلحناه كما ترى ليستقيم الوزن (٢) من الآية : ٧٤ من سورة البقرة
(٣) الآيتان : ٥٠ ـ ٥١ من سورة الإسراء (٤) أى : استنام

وإنّ لَهُ عِندَنا لَزُلْفَى وحُسْنَ مَآب)[١] وقال تعالى : (ولِسُليمانَ الرِّيحَ عاصِفَةً تجْرِى بأمْرِهِ إلى الأرْض التى بَارَكْنا فِيها وكُنّا بِكُلِّ شىءٍ عَالمين * ومِنَ الشَّياطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ ويَعْمَلُون عَمَلاً دُونَ ذلِكَ وكُنّا لَهُمْ حَافِظِين)[٢] وقال تعالى : (ولِسُليمانَ الرِّيح غُدُوُّها شَهْرٌ ورَوَاحُهَا شَهْرٌ وأسَلْنَا لَهُ عَيْنَ القِطْرِ ومِنَ الجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بإذْنِ رَبِّهِ ومَنْ يَزِغْ مِنهُم عَنْ أمْرِنا نُذِقْهُ مِنْ عَذابِ السَّعِير * يَعْمَلونَ له مَا يَشاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وتَماثِيلَ وجِفَانٍ كالجَوَابِ وقُدُورٍ رَاسياتٍ اعمَلُوا آل دَاوُدَ شُكراً وقَليلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُور)[٣]
وقد بسطنا ذلك فى قصته ، وفى التفسير أيضا ، وفى الحديث الذى رواه الإمام أحمد وصححه الترمذى وابن حبان والحاكم فى مستدركه، عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ : أن سليمان عليه السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس سأل الله خلالا ثلاثا : سأل الله حكما يوافق حكمه، ومُلْكاً لا ينبغى لأحد من بعده ، وأنه لا يأتى هذا المسجد أحد إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه .

أما تسخير الريح لسليمان، فقد قال الله تعالى فى شأن الأحزاب: (يا أيها الذين آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُم إذْ جاءتكُم جُنُودٌ فأرْسَلْنا عَلَيْهِم رِيحًا وجُنودًا لم تَرَوْهَا وكانَ اللهُ بما تَعمَلون بَصِيراً)[٤] وقد تقدم فى الحديث الذى رواه مسلم من طريق شعبة عن الحاكم عن مجاهد عن ابن عباس ، أن رسول الله ﷺ قال : نصرت بالصَّبَا وأهلكت عاد بالدَّبور . ورواه مسلم من طريق الأعمش عن مسعود بن مالك عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس عن النبى ﷺ مثله .
وثبت فى الصحيحين : نصرت بالرعب مسيرة شهر ومعنى ذلك أنه ﷺ كان إذا قصد قتال قوم من الكفار ألقى الله الرعب فى قلوبهم قبل وصوله إليهم بشهر ، ولو كان مسيره شهراً ، فهذا فى مقابلة : غُدوُّها شهر ورواحُها شهر ، بل هذا أبلغ فى التمكّن والنصر والتأييد والظفر .
وسخرت الرياح تسوق السحاب لإنزال المطر الذى امتن الله به حين استسقى رسول الله ﷺ فى غير ما موطن كما تقدم . وقال أبو نعيم : فإن قيل : فإن سليمان سخرت له الريح فسارت به فى بلاد الله، وكان غدوها شهراً ورواحها شهراً. قيل: ما أعطى محمد ﷺ أعظم وأكبر؛ لأنه سار فى ليلة واحدة من مكة إلى بيت المقدس مسيرة شهر ، وعرج به فى ملكوت السموات مسيرة خمسين ألف سنة ــ فى أقل من ثلث ليلة ، فدخل السموات سماء سماء ، ورأى عجائبها ، ووقف على الجنة والنار ، وعرض عليه أعمال أمته ، وصلّى بالأنبياء وبملائكة السموات، واخترق الحجب ، وهذا كله فى ليلة قائما ـ أكبر وأعجب

---

(١) الآيات : ٣٦ ــ ٤٠ من سورة ص (٢) الآيتان : ٨١ ــ ٨٢ من سورة الأنبياء
(٣) الآيتان : ٨٢ ــ ٨٣ من سورة سبأ (٤) الآية : ٩ من السورة

وأما تسخير الشياطين بين يديه تعمل له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ، فقد أنزل الله الملائكة المقربين لنصرة عبده ورسوله محمد ﷺ في غير ما موطن ؛ يوم أحد ، وبدر ، ويوم الأحزاب ، ويوم حنين ، كما تقدم ذكرنا ذلك مفصلا في مواضعه . وذلك أعظم وأبهر ، وأجل وأعلا من تسخير الشياطين . وقد ذكر ذلك ابن حامد في كتابه . وفي الصحيحين من حديث روح عن شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : إن عفريتا من الجن تفلّت[1] عليّ البارحة ـ أو كلمة نحوها ـ ليقطع عليّ الصلاة فأمكنني الله منه ، فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى يصبحوا وينظروا إليه ، فذكرت دعوة أخي سليمان : (ربِّ اغفرْ لي وَهَبْ لي مُلْكاً لا يَنْبغي لأحدٍ مِنْ بَعْدي)[2] قال روح : فرده الله خاسئا[3] . لفظ البخاري . ولمسلم عن أبي الدرداء نحوه ، قال : ثم أردت أخذه ، والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح يلعب به ولدان أهل المدينة . وقد روى الإمام أحمد بسند جيد عن أبي سعيد ، أن رسول الله ﷺ قام يصلي صلاة الصبح وهو خلفه ، فقرأ فالتبست عليه القراءة ، فلما فرغ من صلاته قال : لو رأيتموني وإبليس فأهويت بيدي ، فما زلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين أصبعي هاتين ، الإبهام والتي تليها . ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطا بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان أهل المدينة . وقد ثبت في الصحاح والحسان والمسانيد ، أن رسول الله ﷺ قال : إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلّقت أبواب النار وصُفّدت الشياطين ، وفي رواية : مردة الجن . فهذا من بركة ما شرعه الله له من صيام شهر رمضان وقيامه . وسيأتي عند إبراء الأكمة والأبرص من معجزات المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، دعاءُ رسول الله ﷺ لغير ما واحد ممن أسلم من الجن فشفي ، وفارقهم خوفا منه ومهابة له ، وامتثالا لأمره ـ صلوات الله وسلامه عليهم . وقد بعث الله نفرا من الجن يستمعون القرآن فآمنوا به وصدقوه، ورجعوا إلى قومهم فدعوهم إلى دين محمد ﷺ وحذّروهم مخالفته ، لأنه كان مبعوثا إلى الإنس والجن ، فآمنت طوائف من الجن كثيرة كما ذكرنا ، ووفدت إليه منهم وفود كثيرة وقرأ عليهم سورة الرحمن ، وخبرهم بما لمن آمن منهم من الجنان ، وما لمن كفر من النيران . وشرع لهم ما يأكلون وما يطعمون دوابهم ، فدل على أنه بيّن لهم ما هو أهم من ذلك وأكبر .

---

(١) أي : تعرض لي في صلاتي فجأة (٢) من الآية : ٣٥ من سورة ص
(٣) أي : ذليلا مطرودا متحيزا

وقد ذكر أبو نعيم هاهنا حديث الغول التي كانت تسرق التمر من جماعة من أصحابه ﷺ ، ويريدون إحضارها إليه فتمتنع كل الامتناع، خوفاً من المثول بين يديه ، ثم افتدت منهم بتعليمهم قرآءة آية الكرسي التي لا يقرب قارئها الشيطان ، وقد سقنا ذلك بطرقه وألفاظه عند تفسير آية الكرسي من كتابنا التفسير ولله الحمد . والغول هو : الجن المتبدّى بالليل في صورة مرعبة .

وذكر أبو نعيم هاهنا حماية جبريل له عليه السلام غير مرة من أبي جهل كما ذكرنا في السيرة ، وذكر مقاتلة جبريل وميكائيل عن يمينه وشماله يوم أحد .

وأما ما جمع الله تعالى لسليمان من النبوة والملك كما كان أبوه من قبله ؛ فقد خير الله عبده محمداً ﷺ بين أن يكون ملكا نبيا أو عبداً رسولا، فاستشار جبريل في ذلك، فأشار إليه وعليه أن يتواضع ،فاختار أن يكون عبداً رسولا. وقد روى ذلك من حديث عائشة وابن عباس ، ولا شك أن منصب الرسالة أعلى . وقد عرضت على نبينا ﷺ كنوز الأرض فأباها ، قال :ولو شئت لأجرى الله معي جبال الأرض ذهباً ، ولكن أجوع يوما وأشبع يوما . وقد ذكرنا ذلك كله بأدلته وأسانيده في التفسير ، وفي السيرة أيضاً ، ولله الحمد والمنة . وقد أورد الحافظ أبو نعيم هاهنا طرفا منها من حديث عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سعيد وأبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : بينا أنا نائم جيء بمفاتيح خزائن الأرض فجعلت في يدي . ومن حديث الحسين ابن واقد عن الزبير عن جابر مرفوعا ، أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا على فرس أبلق جاءني به جبريل عليه قطيفة من سندس . ومن حديث القاسم عن أبي لبابة مرفوعا : عرض على ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت : لا يارب، ولكن أشبع يوما وأجوع يوما ، فإذا جعت تضرعت إليك وإذا شبعت حمدتك وشكرتك .

قال أبو نعيم : فإن قيل : سليمان عليه السلام كان يفهم كلام الطير والنملة كما قال تعالى : (وقالَ يَاأَيُّها النَّاسُ عُلِّمنا مَنْطِقَ الطَّيرِ[1]) الآية ، وقال : (حتى إذا أتَوْا على وَادِي النَّمْلِ قالَتْ نَمْلَةٌ يا أَيُّها النَّملُ ادخُلوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُم سُليمانُ وَجُنُودُه وهم لا يَشعُرُون* فتَبَسَّم ضاحكا مِنْ قَولِها[2]) الآية - قيل : قد أعطى محمد ﷺ مثل ذلك وأكثر منه ، فقد تقدم ذكرنا لكلام البهائم والسباع ، وحنين الجذع ، ورغاء البعير ، وكلام الشجر وتسبيح الحصا والحجر ، ودعائه إياه واستجابته لأمره ، وإقرار الذئب بنبوته ، وتسبيح الطير لطاعته ، وكلام الظبية وشكواها إليه ، وكلام الضب وإقراره بنبوته ، وما في معناه . كل ذلك قد تقدم في الفصول بما يغني عن إعادته . انتهى كلامه قلت : وكذلك أخبره ذراع الشاة بما فيه من السم ، وكان

---

(١) الآية : ١٦ من سورة النمل . (٢) الآيتان : ١٨ - ١٩ من السورة نفسها .

ذلك بإقرار مَن وضعه فيه من اليهود ، وقال إن هذه السحابة لتبتهل بنصرك يا عمرو بن سالم - يعني الخزاعي - حين أنشده تلك القصيدة يستعديه فيها على بني بكر الذين نقضوا صلح الحديبية ، وكان ذلك سبب فتح مكة كما تقدم، وقال ﷺ : إني لأعرف حجراً كان يسلم على بمكة قبل أن أبعث ؛ إني لأعرفه الآن .

فهذا إن كان كلاما مما يليق به ، ففهم عنه الرسول ذلك - فهو من هذا القبيل وأبلغ ؛ لأنه جماد بالنسبة إلى الطير والنمل ؛ لأنهما من الحيوانات ذوات الأرواح . وإن كان سلاما نطقيا - وهو الأظهر - فهو أعجب من هذا الوجه أيضا ؛ كما قال علي : رجت مع رسول الله ﷺ في بعض شعاب مكة ، فما مرّ بحجر ولا شجر ولا مدَر إلا قال : السلام عليك يارسول الله ، فهذا النطق سمعه رسول الله ﷺ وعليّ رضي الله عنه .

ثم قال أبو نعيم : حدثنا أحمد بن محمد بن الحارث العنبري ، حدثنا أحمد بن يوسف بن سفيان حدثنا إبراهيم بن سويد النخعي حدثنا عبد الله بن أذينة الطائي عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان ابن جبل قال: أتى النبي ﷺ وهو بخيبر - حمار أسود، فوقف بين يديه فقال : من أنت ؟ فقال : أنا عمرو بن فهران ، كنا سبعة أخوة وكلنا ركبنا الأنبياء وأنا أصغرهم ، وكنت لك فملكني رجل من اليهود ، وكنت إذا ذكرك عثرت به فيوجعني ضربا ، فقال النبي ﷺ : فأنت يعفور . وهذا الحديث فيه نكارة شديدة ولايحتاج إلى ذكره مع ما تقدم من الأحاديث الصحيحة التي فيها غنية عنه . وقد روى على غير هذه الصفة ، وقد نص على نكارته ابن أبي حاتم عن أبيه ، والله أعلم .

القول فيما أوتي عيسى بن مريم عليه السلام

ويسمى المسيح ، فقيل : لمسحه الأرض ، وقيل : لمسح قدمه ، وقيل : لخروجه من بطن أمه ممسوحا بالدّهان ، وقيل : لمسح جبريل بالبركة ، وقيل : لمسح الله الذنوب عنه ، وقيل: لأنه كان لا يمسح أحداً إلا برأ . حكاها كلها الحافظ أبو نعيم رحمه الله . ومن خصائصه : أنه عليه السلام مخلوق بالكلمة من أنثى بلا ذكر كما خلقت حواء من ذكر بلا أنثى ، وكما خلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى وإنما خلقه الله تعالى من تراب ثم قال له : كن فيكون. وكذلك يكون عيسى بالكلمة وبنفخ جبريل مريم فخلق منها عيسى . ومن خصائصه وأمه : أن إبليس - لعنه الله - حين ولد ذهب يطعن فطعن في الحجاب ، كما جاء في الصحيح . ومن خصائصه : أنه حي لم يمت ، وهو الآن بجسده في السماء الدنيا ، وسينزل قبل يوم القيامة على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق ، فيملأ الأرض قسطا وعدلا ، كما ملئت جوراً وظلما ، ويحكم بهذه الشريعة

المحمدية ، ثم يموت ويدفن بالحجرة النبوية ، كما رواه الترمذى ، وقد بسطنا ذلك فى قصته .

وقال شيخنا العلامة ابن الزملكانى ـ رحمه الله : وأما معجزات عيسى عليه السلام ؛ فمنها إحياء الموتى ، وللنبى ﷺ من ذلك كثير ، وإحياء الجماد أبلغ من إحياء الميت . وقد كلم النبى ﷺ الذراع المسمومة . وهذا الإحياء أبلغ من إحياء الإنسان الميت من وجوه : أحدها ، أنه إحياء جزء من الحيوان دون بقيته ، وهذا معجز لو كان متصلا بالبدن . الثانى ، أنه أحياه وحده منفصلا عن بقية أجزاء ذلك الحيوان مع موت البقية . الثالث ، أنه أعاد عليه الحياة مع الإدراك والعقل ، ولم يكن هذا الحيوان يعقل فى حياته الذى هو جزؤه مما يتكلم[1] ، وفى هذا ما هو أبلغ من حياة الطيور التى أحياها الله لإبراهيم ﷺ . قلت : وفى حلول الحياة والإدراك والعقل فى الحجر الذى كان يخاطب النبى ﷺ بالسلام عليه ـ كما روى فى صحيح مسلم ـ من المعجز ما هو أبلغ من إحياء الحيوان فى الجملة ، لأنه كان محلا للحياة فى وقت ، بخلاف هذا حيث لا حياة له بالكلية قبل ذلك . وكذلك تسليم الأحجار والمدر عليه ، وكذلك الأشجار والأغصان وشهادتها بالرسالة ، وحنين الجذع . وقد جمع ابن أبى الدنيا كتابا فيمن عاش بعد الموت ، وذكر منها كثيرا .
وقد ثبت عن أنس رضى الله عنه أنه قال : دخلنا على رجل من الأنصار وهو مريض يعقل فلم نبرح حتى قبض ، فبسطنا عليه ثوبه وسجيناه ، وله أم عجوز كبيرة عند رأسه ، فالتفت إليها بعضنا وقال : ياهذه احتسبى مصيبتك عند الله ، فقالت : وما ذاك ؟ أمات ابنى ؟ قلنا : نعم ، قالت : أحق ما تقولون ؟ قلنا : نعم ، فمدت يدها إلى الله تعالى فقالت : اللهم إنك تعلم أنى أسلمت وهاجرت إلى رسولك رجاء أن تعيننى عند كل شدة ورخاء ، فلا تحملنى هذه المصيبة اليوم . قال : فكشف الرجل عن وجهه وقعد ، وما برحنا حتى أكلنا معه . وهذه القصة قد تقدم التنبيه عليها فى دلائل النبوة . وقد ذكر معجزة الطوفان مع قصة العلاء بن الحضرمى . وهذا السياق الذى أورده شيخنا ذكر بعضه بالمعنى . وقد رواه أبو بكر بن أبى الدنيا ، والحافظ أبو بكر البيهقى من غير وجه ، عن صالح بن بشير المرى ـ أحد زهاد البصرة وعبادها ـ وفى حديثه لين عن ثابت عن أنس فذكره . وفى رواية البيهقى : أن أمه كانت عجوزا عمياء ، ثم ساقه البيهقى من طريق عيسى بن يونس عن عبد الله بن عون عن أنس كما تقدم ، وسياقه أتم . وفيه أن ذلك كان بحضرة رسول الله ﷺ . وهذا إسناد رجاله ثقات ، ولكن فيه انقطاع بين عبد الله ابن عون وأنس ، والله أعلم .

---

(١) قيل : لعل الصواب : « ولم يكن هذا الحيوان الذى هو جزؤه يعقل فى حياته ولا مما يتكلم »

قصة أخرى

قال الحسن بن عرفة : حدثنا عبد الله بن إدريس عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي سبرة النخعي قال : أقبل رجل من اليمن ، فلما كان في بعض الطريق نفق حماره ، فقام وتوضأ ثم صلى ركعتين ثم قال : اللهم إني جئت من المدينة مجاهداً في سبيلك وابتغاء مرضاتك ، وأنا أشهد أنك تحيي الموتى وتبعث من في القبور ، لاتجعل لأحد على اليوم منة ، أطلب اليك اليوم أن تبعث حماري ، فقام الحمار ينفض أذنيه . قال البيهقي :هذا إسناد صحيح ، ومثل هذا يكون كرامة لصاحب الشريعة . قال البيهقي : وكذلك رواه محمد بن يحيى الذهلي عن محمد بن عبيد عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي، وكأنه عند إسماعيل من الوجهين . الله أعلم . قلت : كذلك رواه ابن أبي الدنيا من طريق إسماعيل عن الشعبي فذكره . قال الشعبي : فأنا رأيت الحمار بيع أو يباع في الكناسة ـ يعني بالكوفة ـ وقد أوردها ابن أبي الدنيا من وجه آخر ، وأن ذلك كان في زمن عمر بن الخطاب ، وقد قال بعض قومه في ذلك :

ومنا الذي أحيي الإله حماره   وقد مات منه كل عضو ومفصل

وأما قصة زيد بن خارجة وكلامه بعد الموت وشهادته للنبي ﷺ ولأبي بكر وعمر وعثمان بالصدق ـ فمشهورة مروية من وجوه كثيرة صحيحة .

قال البخاري في التاريخ الكبير : زيد بن خارجة الخزرجي الأنصاري ، شهد بدراً ، وتوفى في زمن عثمان ، وهو الذي تكلم بعد الموت . وروى الحاكم في مستدركه والبيهقي في دلائله ، وصححه ـ كما تقدم ـ من طريق العتبي عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد ابن المسيب : أن زيد بن خارجة الأنصاري ، ثم من بني الحارث بن الخزرج ـ توفى زمن عثمان بن عفان فسجى بثوبه ، ثم إنهم سمعوا جلجلة في صدره ، ثم تكلم فقال : أحمد في الكتاب الأول صدق صدق . أبو بكر الضعيف في نفسه ، القوي في أمر الله ، في الكتاب الأول صدق صدق . عمر بن الخطاب القوي في الكتاب الأول ، صدق صدق . عثمان بن عفان على منهاجهم . مضت أربع وبقيت ثنتان ، أتت الفتن وأكل الشديد الضعيف ، وقامت الساعة ، وسيأتيكم عن جيشكم خبر قال يحيى بن سعيد : قال سعيد بن المسيب : ثم هلك رجل من بني خطمة فسجى بثوبه فسمع جلجلة في صدره ، ثم تكلم فقال: إن أخا بني حارث بن الخزرج صدق صدق . ورواه ابن أبي الدنيا والبيهقي أيضاً من وجه آخر بأبسط من هذا وأطول ، وصححه البيهقي . قال: وقد روى في التكلم بعد الموت عن جماعة بأسانيد صحيحة ، والله أعلم . قلت : قد ذكرت في قصة

سخلة جابر يوم الخندق، وأكل الألف منها، ومن قليل شعير- ما تقدم. وقد أورد الحافظ محمد بن المنذر -المعروف بشكر ، في كتابه الغرائب والعجائب بسنده ، كما سبق أن رسول الله ﷺ جمع عظامها ثم دعا الله تعالى فعادت كما كانت فتركها في منزله ، والله أعلم .

قال شيخنا : ومن معجزات عيسى -الإبراء من الجنون ، وقد أبرأ النبي ﷺ - يعني من ذلك - هذا آخر ما وجدته فيما حكيناه عنه . فأما إبراء عيسى من الجنون ، فما أعرف فيه نقلا خاصاً ، وإنما كان يبرىء الأكمه والأبرص ، والظاهر : ومن جميع العاهات والأمراض المزمنة .

وأما إبراء النبي ﷺ من الجنون ؛ فقد روى الإمام أحمد والحافظ البيهقي من غير وجه ، عن يعلى بن مرة : أن امرأة أتت بابن لها صغير ، به لَمَم[1] ما رأيت لَمَماً أشد منه، فقالت:يارسول الله ابني هذا كما ترى أصابه بلاء ، وأصابنا منه بلاء ، يوجد منه في اليوم مايؤذي ، ثم قالت : مرة ، فقال رسول الله ﷺ : ناولينيه ، فجعلته بينه وبين واسطة الرحل ، ثم فغر فاه ونفث فيه ثلاثاً وقال : بسم الله ،أنا عبد الله ، اخسأ عدوّ الله ، ثم ناولها إياه فذكرت أنه برىء من ساعته وما رابهم شيء بعد ذلك . وقال أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا حماد بن سلمة عن فرقد السبخي ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، أن امرأة جاءت بولدها إلى رسول الله ﷺ فقالت : يارسول الله إن به لمماً ، وإنه يأخذه عند طعامنا فيفسد علينا طعامنا ، قال : فمسح رسول الله ﷺ صدره ودعا له فَثَعَّ ثَعَّة[2] فخرج منه مثل الجرو الأسود فشفي . غريب من هذا الوجه ، وفرقد فيه كلام - وإن كان من زهاد البصرة ، لكن ما تقدم له شاهد وإن كانت القصة واحدة، والله أعلم. وروى البزار من طريق فرقد أيضاً، عن سعد بن عباس - : كان النبي ﷺ بمكة فجاءته امرأة من الأنصار فقالت : يا رسول الله إن هذا الخبيث قد غلبني ، فقال لها : تصبري على ما أنت عليه وتجيئي يوم القيامة ليس عليك ذنوب ولا حساب ؟ فقالت : والذي بعثك بالحق لأصبرن حتى ألقى الله ، ثم قالت : إني أخاف الخبيث أن يجردني ، فدعا لها . وكانت إذا أحست أن يأتيها تأتي أستار الكعبة فتتعلق بها وتقول له : إخسأ ، فيذهب عنها . وهذا دليل على أن فرقد قد حفظ ، فإن هذا له شاهد في صحيح البخاري، ومسلم من حديث عطاء بن أبي رباح قال : قال لي ابن عباس : ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ قلت : بلى ، قال: هذه السوداء . . . رسول الله ﷺ فقالت : إني أصرع وأنكشف فادع الله لي ، قال : إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت دعوت الله أن

---

(١) اللمم - محركة - الجنون ، والملموم : المجنون والعين اللامة : المصيبة بسوء ، وأصابته من الجن لمة - أي مس وشر .

(٢) أي : قاء قاءة ، والثعة : المرة الواحدة ، وانثع القيء من فيه - انصب .

يعافيك ، قالت : لا — بل أصبر، فادع الله أن لا أنكشف ، قال: فدعا لها فكانت لاتنكشف .
ثم قال البخاري: حدثنا محمد حدثنا مخلد عن ابن جريج ، قال : أخبرني عطاء أنه رأى أم زفر — امرأة طويلة سوداء — على ستر الكعبة وذكر الحافظ ابن الأثير في كتاب [أسد الغابة في أسماء الصحابة] أن أم زفر هذه كانت ماشطة لخديجة بنت خويلد ، وأنها عمرت حتى رآها عطاء بن أبي رباح رحمهما الله تعالى .

وأما إبراء عيسى الأكمه — وهو الذي يولد أعمى ، وقيل: هو الذي لا يبصر في النهار ويبصر في الليل ، وقيل : غير ذلك كما بسطنا ذلك في التفسير ، والأبرص الذي به بهق — فقد رد رسول الله ﷺ يوم أحد عين قتادة بن النعمان إلى موضعها بعد ما سالت على خده ، فأخذها في كفه الكريم وأعادها إلى مقرها فاستمرت بحالها وبصرها ، وكانت أحسن عينيه رضي الله عنه ، كما ذكر محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة وغيره ، وكذلك بسطناه ثمّ ، ولله الحمد المنة وقد دخل بعض ولده — وهو عاصم بن عمر بن قتادة — على عمر بن عبد العزيز فسأل عنه فأنشأ يقول:

أنا ابن الذى سالت على الخد عينه ... فردت بكف المصطفى أحسن الرد

فعادت كما كانت لأول أمرها ... فياحسن ما عين وياحسن ماخَدّ

فقال عمر بن عبد العزيز :

تلك المكارم لاقَعبان[1] من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

ثم أجازه فأحسن جائزته . وقد روى الدارقطني ، أن عينيه أصيبتا معاً حتى سالتا على خديه ، فردهما رسول الله ﷺ إلى مكانهما . والمشهور الأول كما ذكر ابن إسحاق .

قصة الأعمى الذى رد الله عليه بصره بدعاء رسول الله ﷺ

قال الإمام أحمد : حدثنا روح وعثمان بن عمر قالا : حدثنا شعبة عن أبي جعفر المديني ، سمعت عمارة بن خزيمة بن ثابت يحدث عن عثمان بن حنيف ، أن رجلا ضريراً أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله! ادع الله لي أن يعافيني ، فقال: إن شئت أخرت ذلك فهو أفضل لآخرتك ، وإن شئت دعوت ، قال : بل ادع الله لي ، قال ؟ فأمره رسول الله ﷺ أن يتوضأ ويصلي ركعتين وأن يدعو بهذا الدعاء : «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، إني أتوجه به في حاجتي هذه فتقضى» وقال في رواية عثمان بن عمر : فشفعه فيّ ، قال : ففعل الرجل فبرأ ورواه الترمذي وقال : حسن صحيح غريب لانعرفه إلا من حديث أبي جعفر الخطمي . وقد رواه البيهقي عن الحاكم بسنده إلى أبي جعفر الخطمي ، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن

(١) قعبان : مثنى قعب ، وهو القدح الضخم، أو الذي يروى الإنسان

عمه عثمان بن حنيف فذكر نحوه ، قال عثمان : فوالله ما تفرقنا ولا طال الحديث بنا حتى دخل الرجل كأن لم يكن به ضرٌ قط .

قصة أخرى ـ قال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا عبد العزيز بن عمر ، حدثني رجل من بني سلامان بن سعد عن أمه عن خاله ، أو أن خاله أو خالها حبيب بن قريط حدثهما : أن أباه خرج إلى رسول الله ﷺ وعيناه مبيضتان لا يبصر بهما شيئا ، فقال له : ما أصابك ؟ قال : كنت(١) حملا لي فوقعت رجلي على بيض حية فأصيب بصري، فنفث رسول الله ﷺ في عينيه فأبصر ، فرأيته وإنه ليدخل الخيط في الإبرة ، وإنه لابن ثمانين سنة ، وإن عينيه لمبيضتان . قال البيهقي : وغيره يقول حبيب بن مدرك وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ نفث في عيني عليّ يوم خيبر وهو أرمد فبرأ من ساعته ، ثم لم يرمد بعدها أبدا ، ومسح رجل جابر بن عتيك وقد انكسرت رجله ليلة قتل أبا رافع ـ تاجر أهل الحجاز الخيبري ـ فبرأ من ساعته أيضا . وروى البيهقي أنه ﷺ مسح يد محمد بن حاطب وكانت قد احترقت بالنار فبرأ من ساعته . ومسح رجل سلمة بن الأكوع وقد أصيبت يوم خيبر فبرأت من ساعتها . ودعا لسعد ابن أبي وقاص أن يشفى من مرضه ذلك فشفي . وروى البيهقي أن عمه أبا طالب مرض فسأل منه ﷺ أن يدعو له ربه ، فدعا له فشفي من مرضه ذلك ، وكم له من مثلها وعلى مسلكها ؛ من إبراء آلام ، وإزالة أسقام ، مما يطول شرحه وبسطه .

وقد وقع في كرامات الأولياء ـ إبراء الأعمى بعد الدعاء عليه بالعمى أيضا ، كما رواه الحافظ ابن عساكر من طريق أبي سعيد بن الأعرابي عن أبي داود : حدثنا عمر بن عثمان ، حدثنا بقية عن محمد بن زياد عن أبي مسلم ، أن امرأة خببت عليه امرأته ، فدعا عليها فذهب بصرها فأتته فقالت : يا أبا مسلم ، إني كنت فعلت وفعلت ، وإني لا أعود لمثلها ، فقال : اللهم إن كانت صادقة فاردد عليها بصرها ، فأبصرت . ورواه أيضا من طريق أبي بكر بن أبي الدنيا : حدثنا عبد الرحمن بن واقد ، حدثنا ضمرة ، حدثنا عاصم ، حدثنا عثمان بن عطاء قال : كان أبو مسلم الخولاني إذا دخل منزله(٢) فإذا بلغ وسط الدار كبر وكبرت امرأته ، فإذا دخل البيت كبر وكبرت امرأته ، فيدخل فينزع رداءه وحذاءه وتأتيه بطعام يأكل ، فجاء ذات ليلة فكبر فلم تجبه ، ثم جاء إلى باب البيت فكبر وسلم فلم تجبه ، وإذا البيت ليس فيه سراج ، وإذا هي جالسة بيدها عود تنكت في الأرض به ، فقال لها : مالك ؟ فقالت : الناس بخير ، وأنت لو أتيت معاوية فيأمر لنا بخادم ويعطيك شيئا نعيش به ، فقال : اللهم من أفسد على أهلي فأعم بصره ، قال : وكانت أتتها امرأة فقالت لامرأة أبي مسلم : لو كلمت زوجك ليكلم معاوية فيخدمكم ويعطيكم ؟ قال :

(١) بياض بالأصل ، ولعل نظم الكلام : كنت أرفع أو أحمل حملا
(٢) كذا بالأصل ، ولعل هنا عبارة محذوفة ، أي : سمى الله ـ أو حمده ـ أو كبر

فبينما هذه المرأة فى منزلها والسراج مزهر . إذ أنكرت بصرها ، فقالت : سراجكم طفىء ؟ قالوا : لا ، قالت : إن الله أذهب بصرى ، فأقبلت كما هى إلى أبى مسلم فلم تزل تناشده وتتلطف إليه ، فدعا الله فرد بصرها ، ورجعت امرأته على حالها التى كانت عليها .

وأما قصة المائدة[1] التى قال الله تعالى : (إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَاعِيسَى بْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ * قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ[2]) فقد ذكرنا فى التفسير بسط ذلك واختلاف المفسرين فيها ، هل نزلت أم لا ؟ على قولين . والمشهور عن الجمهور أنها نزلت ، واختلفوا فيما كان عليها من الطعام على أقوال ، وذكر أهل التاريخ أن موسى بن نصير ـ الذى فتح البلاد المغربية أيام بنى أمية ـ وجد المائدة ، ولكن قيل : إنها مائدة سليمان بن داود مرصعة بالجواهر ، وهى من ذهب ، فأرسل بها إلى الوليد بن عبد الملك ، فكانت عنده حتى مات ، فتسلمها أخوه سليمان . وقيل : إنها مائدة عيسى . لكن يبعد هذا أن النصارى لا يعرفون المائدة ـ كما قاله غير واحد من العلماء والله أعلم ، والمقصود أن المائدة سواء كانت قد نزلت أم لم تنزل[3] [فهى آية واضحة امتن الله بها على عبده عيسى عليه السلام] . وقد كانت موائد رسول الله ﷺ تمد من السماء ، وكانوا يسمعون تسبيح الطعام وهو يؤكل بين يديه ، وكم قد أشبع من طعام يسير ألوفا ومئات وعشرات ﷺ ما تعاقبت الأوقات ، وما دامت الأرض والسموات .

وهذا أبو مسلم الخولانى .

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر فى ترجمته من تاريخه أمراً عجيباً وشأناً غريباً ، حيث روى من طريق إسحاق بن يحيى الملطى عن الأوزاعى قال : أتى أبا مسلم الخولانى نفر من قومه فقالوا : يا أبا مسلم أما تشتاق إلى الحج ؟ قال : بلى ، لو أصبت لى أصحابا ، فقالوا : نحن أصحابك ، قال : لستم لى بأصحاب ، إنما أصحابى قوم لا يريدون الزاد ولا المزاد . فقالوا : سبحان الله ، وكيف يسافر أقوام بلا زاد ولا مزاد ؟ قال لهم : ألا ترون إلى الطير تغدو وتروح بلا زاد ولا مزاد والله يرزقها ؟ وهى لا تبيع ولا تشترى ، ولا تحرث ولا تزرع والله يرزقها ؟ قال : فقالوا : فإنا نسافر معك ، قال : فهبوا على بركة الله تعالى ، قال : فغدوا من غوطة[4] دمشق ليس معهم زاد ولا مزاد

(١) المائدة هى : الخوان عليه طعام . قيل نزلت بها الملائكة من السماء ، وكان عليها سبعة حيتان وسبعة أرغفة فأكلوا منها جميعا (٢) الآيات : ١١٢ ـ ١١٥ من سورة المائدة .

(٣) ما بين هذين القوسين زدته من عندى ليستقيم المعنى (٤) الغوطة : اسم للبساتين والمياه التى حول دمشق .

فلما انتهوا إلى المنزل قالوا : يا أبا مسلم، طعام لنا وعلف لدوابنا ، قال : فقال لهم: نعم ، فسجا[1] غير بعيد فيمم مسجد أحجار[2] فصلى فيه ركعتين ، ثم جثى على ركبتيه فقال : إلهى قد تعلم ما أخرجنى من منزلى ، وإنما خرجت آمراً لك ، وقد رأيت البخيل من ولد آدم تنزل به العصابة من الناس فيوسعهم قرى ، وإنا أضيافك وزوارك ، فأطعمنا ، و سقنا ، واعلف دوابنا ، قال : فأتى بسفرة مدت بين أيديهم ، وجيء بجفنة من ثريد ، وجيء بقلتين من ماء ، وجيء بالعلف لايدرون من يأتى به ، فلم تزل تلك حالهم منذ خرجوا من عند أهاليهم حتى رجعوا ، لا يتكلفون زاداً ولا مزاداً . فهذه حال ولى من هذه الأمة ، نزل عليه وعلى أصحابه مائدة كل يوم مرتين مع مايضاف إليها من الماء والعلوفة لدواب أصحابه ، وهذا اعتناء عظيم . وإنما نال ذلك ببركة متابعته لهذا النبى الكريم ـ عليه أفضل الصلاة والتسليم .

وأما قوله عن عيسى بن مريم عليه السلام . إنه قال لبنى إسرائيل (وأُنَبِّئُكُم بما تأكُلُون وَما تَدَّخِرُون فى بُيُوتِكُم[3]) الآية ، فهذا شيء يسير على الأنبياء ، بل وعلى كثير من الأولياء وقد قال يوسف الصديق لذينك الفتيين المحبوسين معه : (لا يأتيكما طعامٌ تُرزَقانه إلا نَبأتُكما بِتأويله قبل أن يَأتِيَكما ذَلِكُما مِمّا عَلَّمَنِي رَبِّى[4]) الآية . وقد أخبر رسول الله ﷺ بالأخبار الماضية طبق ما وقع ، وعن الأخبار الحاضرة سواء بسواء ؛ كما أخبر عن أكل الأرضة لتلك الصحيفة الظالمة التى كانت بطون قريش قديماً كتبتها على مقاطعة بنى هاشم وبنى المطلب حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ ، وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها فى سقف الكعبة ، فأرسل الله الأرضة فأكلتها إلا مواضع اسم الله تعالى . وفى رواية : فأكلت اسم الله منها تنزيها لها أن تكون مع الذى فيها من الظلم والعدوان ، فأخبر رسول الله ﷺ عمه أبا طالب وهم بالشعب ، فخرج إليهم أبو طالب وقال لهم عما أخبرهم به ، فقالوا : إن كان كما قال وإلا فسلموه إلينا ، فقالوا : نعم ، فأنزلوا الصحيفة فوجدوها كما أخبر عنها رسول الله ﷺ سواء بسواء ، فأقلعت بطون قريش عما كانوا عليه لبنى هاشم وبنى المطلب ، وهدى الله بذلك خلقاً كثيراً . وكم له مثلها كما تقدم بسطه وبيانه فى مواضع من السيرة وغيرها ، ولله الحمد والمنة .

وفى يوم بدر لما طلب من العباس عمه فداء ، ادعى أنه لا مال له ، فقال له : فأين المال الذى دفنته أنت وأم الفضل تحت أسكفة الباب ، وقلت لها : إن قتلت فهو للصبية ؟ فقال : والله يا رسول الله إن هذا شيء لم يطلع عليه غيرى وغير أم الفضل إلا الله عز وجل .

وأخبر بموت النجاشى يوم مات وهو بالحبشة ، وصلى عليه . وأخبر عن قتل الأمراء يوم

(١) أى سكن وهدأ (٢) أحجار : بطون من بنى تميم .

(٣) من الآية : ٤٩ من سورة آل عمران . (٤) من الآية : ٣٧ من سورة يوسف .

مؤتة واحداً بعد واحد وهو على المنبر وعيناه تذرفان ، وأخبر عن الكتاب الذى أرسل به حاطب بن بلتعة مع شاكر - مولى بنى عبد المطلب، وأرسل فى طلبها عليا والزبير والمقداد ، فوجدوها قد جعلته فى عقاصها ، وفى رواية فى حُجزتها ، وقد تقدم ذلك فى غزوة الفتح . وقال لأميرى كسرى اللذين بعث بهما نائب اليمن لكسرى ليستعلما أمر رسول الله ﷺ : إن ربى قد قتل الليلة ربكما ، فأرخا تلك الليلة ، فإذا كسرى قد سلط الله عليه ولده فقتله ، فأسلما وأسلم نائب اليمن ، وكان سبب ملك اليمن لرسول الله ﷺ .

وأما إخباره ﷺ عن الغيوب المستقبلة فكثيرة جداً كما تقدم بسط ذلك ، وسيأتى فى أنباء التواريخ ليقع ذلك طبق ما كان سواء . وذكر ابن حامد فى مقابلة جهاد عيسى عليه الصلاة والسلام - جهاد رسول الله ﷺ . وفى مقابلة زهد عيسى عليه الصلاة والسلام - زهادة رسول الله ﷺ عن كنوز الأرض حين عرضت عليه فأباها ، وقال : أجوع يوما وأشبع يوما ، وأنه كان له ثلاث عشرة زوجة يمضى عليهن الشهر والشهران لا توقد عندهن نار ولا مصباح ، إنما هو الأسودان: التمر والماء ، وربما ربط على بطنه الحجر من الجوع ، وما شبعوا من خبز بر ثلاث ليال تباعا . وكان فراشه من أدم وحشوه ليف ، وربما اعتقل الشاة فيحلبها ، ورقع ثوبه ، وخصف نعله بيده الكريمة ، صلوات الله وسلامه عليه . ومات ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودى على طعام اشتراه لأهله . هذا : وكم آثر بآلاف مؤلفة ، وبالإبل والشاء والغنائم والهدايا ، على نفسه وأهله للفقراء والمحاويج والأرامل والأيتام والأسرى والمساكين . وذكر أبو نعيم فى مقابلة تبشير الملائكة لمريم الصديقة بوضع عيسى - ما بشرت به آمنة أم رسول الله ﷺ حين حملت به فى منامها ، وما قيل لها : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة فسميه محمداً ، وقد بسطنا ذلك فى المولد كما تقدم . وقد أورد الحافظ أبو نعيم ها هنا حديثا غريبا مطولا بالمولد ، أحببنا أن نسوقه ليكون الختام نظير الافتتاح ، وبالله المستعان ، وعليه التكلان ، ولله الحمد . فقال :

حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا حفص بن عمرو بن الصباح ، حدثنا يحيى بن عبد الله البابلى ، أنا أبو بكر بن أبى مريم ، عن سعيد بن عمرو الأنصارى عن أبيه قال : قال ابن عباس : فكان من دلالات حمل محمد ﷺ ، أن كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة: قد حُمل برسول الله ﷺ ورب الكعبة ، وهو أمان الدنيا وسراج أهلها ، ولم يبق كاهن فى قريش، ولا قبيلة من قبائل العرب - إلا حجبت عن صاحبتها ، وانتزع علم الكهنة منها ، ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوسا ، والملك مُخرَساً(1) لا ينطق يومه لذلك . وفرت وحوش المشرق إلى

(1) أى : منعقد اللسان عن الكلام

وحوش المغرب بالبشارات . وكذلك أهل البحار بشر بعضهم بعضا ، وفى كل شهر من شهوره نداء فى الأرض ونداء فى السموات : أبشروا فقد آن لأبى القاسم أن يخرج إلى الأرض ميمونا مباركا . قال : وبقى فى بطن أمه تسعة أشهر ، وهلك أبوه عبد الله وهو فى بطن أمه ، فقالت الملائكة : إلهنا وسيدنا ، بقى نبيك هذا يتيما ، فقال الله تعالى للملائكة : أنا له ولى وحافظ ونصير ، فتبركوا بمولده ميمونا مباركا . وفتح الله لمولده أبواب السماء وجنانه ، وكانت آمنة تحدث عن نفسها وتقول: أتى لى آت حين مر لى من حمله ستة أشهر، فوكزنى برجله فى المنام وقال : يا آمنة إنك حملت بخير العالمين طرا ، فإذا ولدتيه فسميه محمداً أو النبى ، شأنك .

قال : وكانت تحدث عن نفسها وتقول : لقد أخذنى ما يأخذ النساء ولم يعلم بى أحد من القوم ، ذكر ولا أنثى ، وإنى لوحيدة فى المنزل وعبد المطلب فى طوافه ، قالت : فسمعت وجبة[1] شديدة ، وأمراً عظيما ، فهالنى ذلك ، وذلك يوم الاثنين ، ورأيت كأن جناح طير أبيض قد مسح على فؤادى فذهب كل رعب وكل فزع ووجل كنت أجد ، ثم التفت فإذا أنا بشربة بيضاء ظننتها لبنا ، وكنت عطشانة ، فتناولتها فشربتها فأصابنى نور عال . ثم رأيت نسوة كالنخل الطوال ، كأنهن من بنات عبد المطلب يحدقن بى ، فبينا أنا أعجب وأقول : واغوثاه ، من أين علمن بى ؟ واشتد بى الأمر وأنا أسمع الوجبة فى كل ساعة أعظم وأهول ، وإذا أنا بديباج أبيض قد مد بين السماء والأرض ، وإذا قائل يقول : خذوه عن أعين الناس ، قالت : فرأيت رجالا وقفوا فى الهواء ، بأيديهم أباريق فضة وأنا يرشح منى عرق كالجمان[2] ، أطيب ريحا من المسك الأذفر[3] ، وأنا أقول : يا ليت عبد المطلب قد دخل على . قالت : ورأيت قطعة من الطير قد أقبلت من حيث لا أشعر حتى غطت حجرتى ، مناقيرها من الزمرد ، وأجنحتها من اليواقيت ، فكشف الله لى عن بصيرتى ، فأبصرت من ساعتى مشارق الأرض ومغاربها . ورأيت ثلاث علامات مضروبات ؛ علم بالمشرق ، وعلم بالمغرب ، وعلم على ظهر الكعبة ، فأخذنى المخاض واشتد بى الطلق جدا ، فكنت كأنى مستندة إلى أركان النساء ، وكثرن على حتى كأنى مع البيت وأنا لا أرى شيئا ، فولدت محمداً . فلما خرج من بطنى درت فنظرت إليه فاذا هو ساجد وقد رفع أصبعيه كالمتضرع المبتهل .

ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء تنزل حتى غشيته ، فغيب عن عينى ، فسمعت مناديا ينادى ويقول : طوفوا بمحمد ﷺ شرق الأرض وغربها ، وأدخلوه البحار كلها ، ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ، ويعلموا أنه سمى الماحى ، لا يبقى شىء من الشرك إلا محى به . قالت : ثم تجلوا عنه فى أسرع وقت فإذا أنا به مدرج فى ثوب صوف أبيض ، أشد بياضا من اللبن ،

(١) الوجبة : صوت الشىء الذى يسقط. (٢) الجمان : اللؤلؤ (٣) الأذفر : الجيد الرائحة

وتحته حريرة خضراء ، وقد قبض محمد ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرطب الأبيض ، وإذا قائل يقول : قبض محمد مفاتيح النصر ، ومفاتيح الريح ، ومفاتيح النبوة . هكذا أورده وسكت عليه ، وهو غريب جداً .

وقال الشيخ جمال الدين أبو زكريا ، يحيى بن يوسف بن منصور بن عمر الأنصارى الصرصرى(١) ، الماهر الحافظ للأحاديث واللغة ، ذو المحبة الصادقة لرسول الله ﷺ ، فلذلك يشبه فى عصره بحسان ابن ثابت رضى الله عنه . وفى ديوانه المكتوب عنه فى مديح رسول الله ﷺ ، وقد كان ضرير البصر ، بصير البصيرة ، وكانت وفاته ببغداد فى سنة ست وخمسين وستمائة ، قتله التتار فى حلبة(٢) بغداد كما سيأتى ذلك فى موضعه ، فى كتابنا هذا إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة وعليه التكلان ، قال فى قصيدته من حرف الحاء المهملة من ديوانه :

محمد المبعوث للناس رحمة	يشيد ما أوهى الضلال ويصلح
لئن سبحت صم الجبال مجيبة	لداود أو لان الحديد المصفح
فإن الصخور الصم لانت بكفه	وإن الحصا فى كفه ليسبح
وإن كان موسى أنبع الما من العصا	فمن كفه قد أصبح الماء يطفح
وإن كانت الريح الرخاء مطيعة	سليمان لا تألو تروح وتسرح
فإن الصبا كانت لنصر نبينا	برعب على شهر به الخصم يكلح
وإن أوتى الملك العظيم وسخرت	له الجن تشقى مارضيه وتلدح(٣)
فإن مفاتيح الكنوز بأسرها	أتته فرد الزاهد المترجح
وإن كان إبراهيم أعطى خلة	وموسى بتكليم على الطور يمنح
فهذا حبيب بل خليل مكلم	وخصص بالرؤيا وبالحق أشرح
وخصص بالحوض العظيم وباللوا	ويشفع للعاصين والنار تلفح
وبالمقعد الأعلى المقرب عنده	عطاء ببشراه أقر وأفرح
وبالرتبة العليا الأسيلة دونها	مراتب أرباب المواهب تلمح
وفى جنة الفردوس أول داخل	له سائر الأبواب بالخير تفتح

وهذا آخر ما يسر الله جمعه من الإخبار بالمغيبات التى وقعت إلى زماننا مما يدخل فى دلائل النبوة والله الهادى . وإذا فرغنا إن شاء الله من إيراد الحادثات من بعد موته عليه السلام إلى زماننا ، نتبع ذلك بذكر الفتن والملاحم الواقعة فى آخر الزمان ، ثم نسوق بعد ذلك أشراط الساعة ، ثم نذكر البعث والنشور ، ثم ما يقع يوم القيامة من الأهوال وما فيه من العظمة ، ونذكر الحوض والميزان والصراط ، ثم نذكر صفة النار ، ثم صفة الجنة .

(١) نسبة إلى صرصر ، قريتان ببغداد ؛ عليا ، وسفلى . (٢) الحلبة : محلة ببغداد ؛ منها عبد المنعم بن محمد الحلبى

(٣) لدحه : ضربه بيده ببطن كفه ، أو ضربا لينا على الظهر .

كتاب تاريخ الإسلام الأول من الحوادث الواقعة فى الزمان

ووفيات المشاهير والأعيان

سنة إحدى عشرة من الهجرة

تقدم ما كان فى ربيع الأول منها من وفاة رسول الله ﷺ فى يوم الاثنين وذلك لثانى عشر منه على المشهور ، وقد بسطنا الكلام فى ذلك بما فيه كفاية ، وبالله التوفيق .

خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه

وما كان فى أيامه من الحوادث والأمور

قد تقدم أن رسول الله ﷺ توفى يوم الاثنين وذلك ضحى ، فاشتغل الناس ببيعة أبى بكر الصديق فى سقيفة بنى ساعدة ، ثم فى المسجد البيعة العامة فى بقية يوم الاثنين وصبيحة الثلاثاء كما تقدم ذلك بطوله . ثم أخذوا فى غسل رسول الله ﷺ وتكفينه والصلاة عليه ﷺ تسليما بقية يوم الثلاثاء ودفنوه ليلة الأربعاء كما تقدم ذلك مبرهنا فى موضعه . وقال محمد بن إسحاق ابن يسار : حدثنى الزهرى حدثنى أنس بن مالك قال : لما بويع أبو بكر فى السقيفة وكان الغد ، جلس أبو بكر ، فقام عمر فتكلم قبل أبى بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أيها الناس إنى قد قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت وما وجدتها فى كتاب الله ، ولا كانت عهدا عهده إلىّ رسول الله ﷺ ، ولكنى قد كنت أرى أن رسول الله ﷺ سيدبّر أمرنا ، يقول : يكون آخرنا ، وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذى به هدى رسولَ الله ﷺ ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له ، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم ؛ صاحب رسول الله ﷺ ، وثانى اثنين إذ هما فى الغار ، فقوموا فبايعوه . فبايع الناس أبا بكر بيعته العامة بعد بيعة السقيفة ؛ ثم تكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه بالذى هو أهله ثم قال : أما بعد أيها الناس ، فإنى قد وُلّيت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينونى وإن أسأت فقومونى . الصدق أمانة والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوىّ عندى حتى أرجع عليه حقه إن شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله . لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلا خذلهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة فى قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء ، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله . وهذا إسناد صحيح .

وقد اتفق الصحابة رضى الله عنهم على بيعة الصديق فى ذلك الوقت ، حتى علىّ بن أبى طالب والزبير بن العوام رضى الله عنهما . والدليل على ذلك ما رواه البيهقى حيث قال : أنبأنا أبو الحسين على بن محمد بن على الحافظ الاسفرايينى ، ثنا أبو على الحسين بن على الحافظ ، ثنا أبو بكر بن

خزيمة وإبراهيم بن أبي طالب قالا : ثنا بندار بن يسار ، ثنا أبو هشام المخزومي ، ثنا وهيب ، ثنا داود بن أبي هند ، ثنا أبو نضرة ، عن أبي سعيد الخدري قال : قبض رسول الله ﷺ واجتمع الناس في دار سعد بن عبادة ، وفيهم أبو بكر وعمر ، قال : فقام خطيب الأنصار فقال : أتعلمون أنا أنصار رسول الله ﷺ فنحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره ، قال : فقام عمر بن الخطاب فقال : صدق قائلكم ولو قلتم غير هذا لم نبايعكم ، فأخذ بيد أبي بكر وقال : هذا صاحبكم فبايعوه ، فبايعه عمر ، وبايعه المهاجرون والأنصار . وقال : فصعد أبو بكر المنبر فنظر في وجوه القوم فلم ير الزبير ، قال : فدعا الزبير فجاء ، قال : قلت : ابن عمة رسول الله ﷺ أردت أن تشق عصا المسلمين ، قال : لا تثريب يا خليفة رسول الله ، فقام فبايعه ، ثم نظر في وجوه القوم فلم ير عليا ، فدعا بعلي ابن أبي طالب ، قال : قلت : ابن عم رسول الله ﷺ وختنه على ابنته ، أردت أن تشق عصا المسلمين ، قال : لا تثريب ياخليفة رسول الله فبايعه ، هذا أو معناه. قال الحافظ أبو علي النيسابوري : سمعت ابن خزيمة يقول : جاءني مسلم بن الحجاج فسألني عن هذا الحديث فكتبته له في رقعة وقرأته عليه ، فقال : هذا حديث يساوي بَدنة ، فقلت : يسوى بدنة ، بل هذا يسوى بَدرة . وقد رواه الامام أحمد عن الثقة عن وهيب مختصرا ، وأخرجه الحاكم في مستدركه من طريق عفان ابن مسلم عن وهيب مطولا كنحو ما تقدم . وروينا من طريق المحاملي عن القاسم بن سعيد بن المسيب عن علي بن عاصم ، عن الجريري ، عن أبي نضرة عن أبي سعيد فذكره ، مثله في مبايعة علي والزبير رضي الله عنهما يومئذ .

وقال موسى بن عقبة في مغازيه ، عن سعد بن إبراهيم : حدثني أبي أن أباه عبد الرحمن ابن عوف كان مع عمر ، وأن محمد بن مسلمة كسر سيف الزبير ، ثم خطب أبو بكر واعتذر إلى الناس وقال : والله ما كنت حريصا على الإمارة يوما ولا ليلة ، ولا سألتها الله في سر ولا علانية ، فقبل المهاجرون مقالته ، وقال علي والزبير : ما منعنا إلا لأننا أخرنا عن المشورة ، وإنا نرى أبا بكر أحق الناس بها ؛ إنه لصاحب الغار ، وإنا لنعرف شرفه وخيره ، ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حي ، وهذا اللائق بعلي رضي الله عنه ، والذي يدل عليه الآثار ؛ من شهوده معه الصلوات ، وخروجه معه إلى ذي القصّة بعد موت رسول الله ﷺ ، كما سنورده ، وبذله له النصيحة والمشورة بين يديه . وأما ما يأتي من مبايعته إياه بعد موت فاطمة ، وقد ماتت بعد أبيها عليه السلام بستة أشهر ـ فذلك محمول على أنها بيعة ثانية ، أزالت ما كان قد وقع من وحشة بسبب الكلام في الميراث ومنعه إياهم ذلك بالنص عن رسول الله ﷺ في قوله : « لا نورث ما تركنا فهو صدقة » ، كما تقدم إيراد أسانيده وألفاظه ولله الحمد . وقد كتبنا هذه الطرق مستقصاة في الكتاب الذي أفردناه في سيرة الصديق رضي الله عنه ، وما أسنده من الأحاديث عن رسول الله ﷺ ،

وما روى عنه من الأحكام مبوبة على أبواب العلم ، ولله الحمد والمنة . وقال سيف بن عمر التميمى عن أبى ضمرة عن أبيه عن عاصم بن عدى ، قال : نادى منادى أبى بكر من الغد من متوفى رسول الله ﷺ : ليتمّم بعث أسامة ، ألا لا يبقين بالمدينة أحد من جيش أسامة إلا خرج إلى عسكره بالجُرف . وقام أبو بكر فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : أيها الناس إنما أنا مثلكم وإنى لا أدرى لعلكم تكلفونى ما كان رسول الله ﷺ يطيق ؛ إن الله اصطفى محمداً على العالمين ، وعصمه من الآفات ، وإنما أنا متّبع ولست بمبتدع ، فإن استقمت فتابعونى ، وإن زغت فقوّمونى ، وإن رسول الله ﷺ قبض وليس أحد من هذه الأمة يطالبه بمظلمة ضربة سوط فما دونها ، ألاّ وإنّ لى شيطانا يعترينى؛ فإذا أتانى فاجتنبونى لا أؤثر فى أشعاركم وأبشاركم[1] ، وإنكم تغدون وتروحون فى أجل قد غيّب عنكم علمه ، فإن استطعتم أن لا يمضى إلا وأنتم فى عمل صالح فافعلوا ، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله . فسابقوا فى مهل آجالكم من قبل أن تسلمكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال ؛ فإن قوما نسوا آجالهم وجعلوا أعمالهم لغيرهم ، فإياكم أن تكونوا أمثالهم . الجد الجد ، والنجاة النجاة ، الوَحَا الوَحَا[2] فإن وراءكم طالبا حثيثا ، وأجلا أمره سريع . احذروا الموت ، واعتبروا بالآباء والأبناء والإخوان ، ولا تطيعوا الأحياء إلا بما تغبطون به الأموات .

قال : وقام أيضا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه ، فأريدوا الله بأعمالكم ، فإنما أخلصتم لحين فقركم وحاجتكم . اعتبروا عباد الله بمن مات منكم ، وتفكروا فيمن كان قبلكم ، أين كانوا أمس ؟ وأين هم اليوم ؟ أين الجبارون الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة فى مواطن الحروب ؟ قد تضعضع بهم الدهر ، وصاروا رَميما[3] ، وقد توالت عليهم القالات ، الخبيثات للخبيثين ، والخبيثون للخبيثات ، وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها ؟ قد بعدوا ونسى ذكرهم ، وصاروا كلا شىء . ألا إن الله عز وجل قد أبقى عليهم التبعات ، وقطع عنهم الشهوات ، ومضوا والأعمال أعمالهم ، والدنيا دنيا غيرهم ، وبعثنا خلفا بعدهم ؛ فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا ، وإن انحدرنا كنا مثلهم . أين الوُضَّاء الحسنة وجوههم ، المعجبون بشبابهم ؟ صاروا ترابا ، وصار ما فرّطوا فيه حسرة عليهم . أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط ، وجعلوا فيها الأعاجيب ؟ قد تركوها لمن خلفهم ، فتلك مساكنهم خاوية وهم فى ظلمات القبور ، (هل تُحِسُّ منهم مِنْ أحدٍ أو تَسْمَعُ لَهُمْ رِكزا) ؟[4] . أين من تعرفون من آبائكم وإخوانكم ؟ قد انتهت بهم آجالهم ، فوردوا على ما قدموا فحلوا عليه وأقاموا للشقوة أو السعادة بعد الموت ، ألا إن الله لا شريك له، ليس بينه وبين أحد من خلقه سبب يعطيه به خيرا ، ولا يصرف به عنه سوءا إلا بطاعته واتباع أمره . واعلموا أنكم عبيد مدينون ، وأن ما عنده لا يدرك إلا بطاعته . أما آن لأحدكم أن تحسر عنه النار ولا تبعد عنه الجنة ؟ .

(١) البشر والبشرة : ظاهر جلد الإنسان
(٢) أى : السرعة السرعة ، والبدار البدار
(٣) الرميم : ما بلى من العظام
(٤) آخر سورة مريم

فصــــل فى تنفيذ جيش أسامة بن يزيد

الذين كانوا قد أمرهم رسول الله ﷺ بالمسير إلى تخوم البلقاء من الشام ؛ حيث قتل زيد ابن حارثة ، وجعفر ، وابن رواحة، فيغيروا على تلك الأراضى، فخرجوا إلى الجرف فخيموا بها ، وكان بينهم عمر بن الخطاب ، ويقال : وأبو بكر الصديق ، فاستثناه رسول الله منهم للصلاة ، فلما ثقل رسول الله ﷺ أقاموا هنالك ، فلما مات عظم الخطب واشتد الحال ونجم النفاق بالمدينة ، وارتد من ارتد من أحياء العرب حول المدينة ، وامتنع آخرون من أداء الزكاة إلى الصديق ، ولم يبق للجمعة مقام فى بلد سوى مكة والمدينة . وكانت جوّاثا من البحرين أول قرية أقامت الجمعة بعد رجوع الناس إلى الحق ، كما فى صحيح البخارى عن ابن عباس كما سيأتى . وقد كانت ثقيف بالطائف ثبتوا على الإسلام ، لم يفروا ولا ارتدوا . والمقصود أنه لما وقعت هذه الأمور ، أشار كثير من الناس على الصديق أن لا ينفذ جيش أسامه لاحتياجه إليه فيما هو أهم ؛ لأن ما جُهِّز بسببه فى حال السلامة . وكان من جملة من أشار بذلك عمر بن الخطاب ، فامتنع الصديق من ذلك وأبى أشد الإباء ، إلا أن ينفذ جيش أسامة ، وقال : والله لا أحلّ عقدة عقدها رسول الله ﷺ ولو أن الطير تخطفنا ، والسباع من حول المدينة. ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين لأجهزن جيش أسامة، وآمر الحرس يكونون حول المدينة، فكان خروجه فى ذلك الوقت من أكبر المصالح والحالة تلك ، فساروا لا يمرون بحى من أحياء العرب إلا أرعبوا منهم ، وقالوا : ما خرج هؤلاء من قوم إلا وبهم منعة شديدة . فقاموا أربعين يوماً، ويقال سبعين يوما ، ثم أتوا سالمين غانمين ، ثم رجعوا فجهزهم حينئذ مع الأحياء الذين أخرجهم لقتال المرتدة ، وما نعى الزكاة على ما سيأتى تفصيله .

قال سيف بن عمر : عن هشام بن عروة عن أبيه قال : لما بويع أبو بكر وجميع الأنصار فى الأمر الذى افترقوا فيه ، قال : ليتم بعث أسامة، وقد ارتدت العرب إما عامة وإما خاصة ، فى كل قبيلة . ونجم النفاق واشرأبت اليهودية والنصرانية ، والمسلمون كالغنم المطيرة فى الليلة الشاتية ؛ لفقد نبيهم ﷺ ، وقلتهم وكثرة عدوهم ؛ فقال له الناس : إن هؤلاء جل المسلمين والعرب على ما ترى قد انتقضت بك ، وليس ينبغى لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين ، فقال : والذى نفس أبى بكر بيده، لو ظننت أن السباع تخطفنى لأنفذت بعث أسامة ، كما أمر به رسول الله ﷺ . ولو لم يبق فى القرى غيرى لأنفذته . وقد روى هذا عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ، ومن حديث القاسم وعمرة عن عائشة قالت: لما قبض رسول الله ﷺ ارتدت العرب قاطبة ، وأشربت

النفاق . والله لقد نزل بي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها ، وصار أصحاب محمد ﷺ كأنهم معزى مَطيرة في حَش[1] في ليلة مطيرة بأرض مسبعة ، فوالله ما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بخطلها وعنانها وفصلها ، ثم ذكرت عمر فقالت : من رأى عمر علم أنه خلق غنى للإسلام ، كان والله أحوذيا[2] نسيج وحده ، قد أعد للأمور أقرانها .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : أنا عبد الله الحافظ ، أنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، ثنا محمد ثنا محمد بن علي الميموني ، ثنا الفريابي ، ثنا عباد بن كثير ، عن أبي الأعرج عن أبي هريرة قال : والله الذي لا إله إلا هو ، لولا أن أبا بكر استُخلِف ما عُبِد الله ، ثم قال الثانية ، ثم قال الثالثة . فقيل له : مَه يا أبا هريرة ؟ فقال : إن رسول الله ﷺ وجه أسامة بن زيد في سبعمائة إلى الشام ، فلما نزل بذي خشب قبض رسول الله ﷺ ، وارتدت العرب حول المدينة ، فاجتمع إليه أصحاب رسول الله فقالوا : يا أبا بكر، رد هؤلاء ، توجه هؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة؟ فقال : والذي لا إله غيره لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ﷺ ما رددت جيشاً وجهه رسول الله ، ولا حللت لواء عقده رسول الله . فوجه أسامة ، فجعل لا يمر بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا : لولا أن لهؤلاء قوة ماخرج مثل هؤلاء من عندهم ، ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم فلقوا الروم فهزموهم وقتلوهم ، ورجعوا سالمين ، فثبتوا على الإسلام ـ عباد بن كثير هذا أظنه البرمكي ـ لرواية الفريابي عنه، وهو متقارب الحديث . فأما البصري الثقفي فمتروك الحديث والله أعلم وروى سيف بن عمر عن أبي ضمرة وأبي عمرو وغيرهما، عن الحسن البصري: أن أبا بكر لما صمم على تجهيز جيش أسامة ، قال بعض الأنصار لعمر : قل له فليؤمّر علينا غير أسامة ، فذكر له عمر ذلك ، فيقال : إنه أخذ بلحيته وقال : ثكلتك أمك يا ابن الخطاب ، أؤمّر غير أمير رسول الله ﷺ ؟ ثم نهض بنفسه إلى الجرف فاستعرض جيش أسامة وأمرهم بالمسير ، وسار معهم ماشياً ، وأسامة راكباً ، وعبد الرحمن بن عوف يقود براحلة الصديق ، فقال أسامة : ياخليفة رسول الله، إما أن تركب وإما أن أنزل، فقال: والله لستَ بنازل ولستُ براكب، ثم استطلق الصديق من أسامة عمر بن الخطاب ـ وكان مكتتباً في جيشه ـ فأطلقه له ، فلهذا كان عمر لا يلقاه بعد ذلك إلا قال : السلام عليك أيها الأمير .

مقتل الأسود العنسي المتنبي الكذاب ، لعنه الله وأخزاه

قال أبو جعفر بن جرير : حدثني عمرو بن شيبة النميري : ثنا علي بن محمد ـ يعني المدائني ـ عن أبي معشر ويزيد بن عياض عن جعد به ، وغسان بن عبد الحميد وجويرية بن أسماء ، عن

(١) الحش ـ بفتح الحاء وضمها : البستان ، وهو أيضا المخرج ؛ لأنهم كانوا يقضون حوائجهم في البساتين . (٢) الأحوذي : الخفيف الحاذق، المشمر للأمور القاهر لها .

مشيختهم قالوا : أمضى أبو بكر جيش أسامة بن زيد فى آخر ربيع الأول ، وأتى مقتل الأسود فى آخر ربيع الأول بعد مخرج أسامة ، فكان ذلك أول فتح فتح أبو بكر وهو بالمدينة .

صفة خروجه وتمليكه ومقتله

قد أسلفنا فيما تقدم أن اليمن كانت لحمير ، وكانت ملوكهم يسمون التبابعة ، وتكلمنا فى أيام الجاهلية على طرف صالح من هذا ، ثم إن ملك الحبشة بعث أميرين من قواده ، وهما : أبرهة الأشرم ، وأرياط تملكا له اليمن من حمير ، وصار ملكها للحبشة . ثم اختلف هذان الأميران فقتل أرياط واستقل أبرهة بالنيابة ، وبنى كنيسة سماها القليس ، لارتفاعها ، وأراد أن يصرف حج العرب إليها دون الكعبة . فجاء بعض قريش فأحدث فى هذه الكنيسة فلما بلغه ذلك حلف ليخربن بيت مكة ، فسار إليه ومعه الجنود والفيل محمود ، فكان من أمرهم ما قص الله فى كتابه. وقد تقدم بسط ذلك فى موضعه . فرجع أبرهة بعض من بقى من جيشه فى أسوأ حال وشر خيبة، ومازال تسقط أعضاؤه أنملة أنملة ، فلما وصل إلى صنعاء انصدع صدره فمات ، فقام بالملك بعده ولده يكسوم بن أبرهة، ثم أخوه مسروق بن أبرهة ، فيقال : إنه استمر ملك اليمن بأيدى الحبشة سبعين سنة ، ثم ثار سيف بن ذى يزن الحميرى ، فذهب إلى قيصر ملك الروم يستنصره عليهم ، فأبى ذلك عليه ـ لما بينه وبينهم من الاجتماع فى دين النصرانية ـ فسار إلى كسرى ملك الفرس فاستغاث به ، وله معه مواقف ومقامات فى الكلام تقدم بسط بعضها . ثم اتفق الحال على أن بعث معه ممن بالسجون ـ طائفة تقدمهم رجل منهم يقال له : وهرز ، فاستنقذ ملك اليمن من الحبشة ، وكسر مسروق بن أبرهة وقتله ، ودخلوا إلى صنعاء وقرروا سيف بن ذى يزن فى الملك على عادة آبائه . وجاءت العرب تهنئه من كل جانب ، غير أن لكسرى نوابا على البلاد ، فاستمر الحال على ذلك حتى بعث رسول الله ﷺ ، فأقام بمكة ما أقام ، ثم هاجر إلى المدينة .

فلما كتب كتبه إلى الآفاق يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ـ كتب فى جملة ذلك ، إلى كسرى ملك الفرس :

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم الفرس ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فأسلم تسلم . . . إلى آخره . فلما جاءه الكتاب قال : ماهذا ؟ قالوا:هذا كتاب جاء من عند رجل بجزيرة العرب يزعم أنه نبى ، فلما فتح الكتاب فوجده قد بدأ باسمه قبل اسم كسرى ـ غضب كسرى غضبا شديدا ، وأخذ الكتاب فمزقه قبل أن يقرأه . وكتب إلى عامله على اليمن ـ وكان اسمه باذام ـ أما بعد ، فإذا جاءك كتابى هذا فابعث من قبلك أميرين

إلى هذا الرجل الذى بجزيرة العرب ، الذى يزعم أنه نبىّ ، فابعثه إلىّ فى جامعة[1] ، فلما جاء الكتاب إلى باذام ، بعث من عنده أميرين عاقلين ، وقال : اذهبا إلى هذا الرجل ، فانظرا ما هو ؟ فإن كان كاذبا فخذاه فى جامعة حتى تذهبا به إلى كسرى ، وإن كان غير ذلك فارجعا إلىّ فأخبرانى ما هو ، حتى أنظر فى أمره . فقدما على رسول الله ﷺ إلى المدينة ، فوجداه على أسدّ الأحوال وأرشدها ، ورأيا منه أمورا عجيبة ، يطول ذكرها . ومكثا عنده شهرا حتى بلغا ما جاءا له ، ثم تقاضياه الجواب بعد ذلك ، فقال لهما : ارجعا إلى صاحبكما فأخبراه أنّ ربىّ قد قتل الليلة ربّه ، فأرّخا ذلك عندهما ثم رجعا سريعا إلى اليمن فأخبرا باذام بما قال لهما، فقال : احصوا تلك الليلة ، فإن ظهر الأمر كما قال فهو نبىّ ، فجاءت الكتب من عند ملكهم أنه قد قتل كسرى فى ليلة كذا وكذا ، لتلك الليلة ، وكان قد قتله بنوه، ولهذا قال بعض الشعراء :

وكسرى إذ تقاسمه بنوه بأسياف كما اقتسم اللحام
تمخضت المنون له بيوم أنى ولكل حاملة تمام

وقام بالملك بعده ولده يزدجرد ، وكتب إلى باذام : أن خذ لى البيعة من قبلك ، واعمد إلى ذلك الرجل فلا تهنه وأكرمه ، فدخل الإسلام فى قلب باذام وذريته من أبناء فارس ممن باليمن ، وبعث إلى رسول الله ﷺ بإسلامه ، فبعث إليه رسول الله ﷺ بنيابة اليمن بكمالها ، فلم يعزله عنها حتى مات . فلما مات استناب ابنه شهر بن باذام على صنعاء وبعض مخاليف[2] ، وبعث طائفة من أصحابه نوابا على مخاليف أخر ؛ فبعث أولا فى سنة عشر – عليا وخالدا ، ثم أرسل معاذاً وأبا موسى الأشعرى، وفرّق عمالة اليمن بين جماعة من الصحابة ؛ فمنهم: شهر بن باذام ، وعامر بن شهر الهمدانى – على همدان ، وأبو موسى على مأرب ، وخالد بن سعيد بن العاص على ما بين نجران ورمع وزبيد ، ويعلى بن أبى أمية على الجند ، والطاهر بن أبى هالة على عك والأشعريين ، وعمرو بن حرام على نجران ، وعلى بلاد حضرموت زياد بن لبيد ، وعلى السكاسك عكاشة ابن ثور بن أصغر الغوثى، وعلى السكون معاوية بن كندة. وبعث معاذ بن جبل معلما لأهل البلدين – اليمن وحضرموت – يتنقل من بلد إلى بلد ، ذكره سيف بن عمر . وذلك كله فى سنة عشر ، آخر حياة رسول الله ﷺ فبينما هم على ذلك إذ نجم هذا اللعين – الأسود العنسى .

---

(١) الجامعة : الغل، وهو الحديدة التى تجمع يد الأسير إلى عنقه .
(٢) مخاليف : جمع مخلاف، وهو الكورة – أى المدينة .

خروج الأسود العنسى

واسمه عَبهلة بن كعب بن غوث ـ من بلد يقال لها : كهف حنان ـ فى سبعمائة مقاتل ، وكتب إلى عمال النبى ﷺ : أيها المتمرّدون علينا ، أمسكوا علينا ما أخذتم من أرضنا ، ووفّروا ما جمعتم ، فنحن أولى به ، وأنتم على ما أنتم عليه . ثم ركب فتوجّه إلى نجران فأخذها بعد عشر ليال من مخرجه ، ثم قصد إلى صنعاء ، فخرج إليه شهر بن باذام فتقاتلا فغلبه الأسود وقتله ، وكسر جيشه من الأبناء ، واحتل بلدة صنعاء لخمس وعشرين ليلة من مخرجه ، ففرّ معاذ ابن جبل من هنالك ، واجتاز بأبى موسى الأشعرى ، فذهبا إلى حضرموت وانحاز عمال رسول الله ﷺ إلى الطاهر . ورجع عمرو بن حرام ، وخالد بن سعيد بن العاص إلى المدينة . واستوثقت اليمن بكمالها للأسود العنسى ، وجعل أمره يستطير استطارة الشرارة . وكان جيشه يوم لقى شهراً ـ سبعمائة فارس ، وأمراؤه : قيس بن عبد يغوث ، ومعاويه بن قيس ، ويزيد بن محرم بن حصن الحارثى ، ويزيد بن الأفكل الأزدى . وثبت ملكه ، واستغلظ أمره ، وارتد خلق من أهل اليمن ، وعامله المسلمون الذين هناك بالتقية[1] ، وكان خليفته على مذحج ـ عمرو بن معدى كرب ـ وأسند أمر الجند إلى قيس بن عبد يغوث ، وأسند أمر الأبناء إلى فيروز الديلمى وداذويه . وتزوج بامرأة شهر بن باذام ـ وهى ابنة عم فيروز الديلمى ، واسمها زاذ ، وكانت امرأة حسناء جميلة ، وهى مع ذلك مؤمنة بالله ورسوله محمد ﷺ ، ومن الصالحات .

قال سيف بن عمر التميمى : وبعث رسول الله ﷺ كتابه ـ حين بلغه خبر الأسود العنسى ـ مع رجل يقال له : وَبَر بن يُحَنّس الديلمى ؛ يأمر المسلمين الذين هناك بمقاتلة الأسود العنسى ومصاولته ، وقام معاذ بن جبل بهذا الكتاب أتم القيام ، وكان قد تزوج امرأة من السكون يقال لها : رَملة ، فحزبت عليه السكون لصهره فيهم ، وقاموا معه فى ذلك ، وبلغوا هذا الكتاب إلى عمال النبى ﷺ ، ومن قدروا عليه من الناس ، واتفق اجتماعهم بقيس بن عبد يغوث أمير الجند ـ وكان قد غضب على الأسود ، واستخف به ، وهم بقتله . وكذلك كان أمر فيروز الديلمى ، قد ضعف عنده أيضا ، وكذا داذويه . فلما أعلم وَبَر بن يُحَنّس قيس بن عبد يغوث ـ وهو قيس ابن مكشوح ، كان كأنما نزلوا عليه من السماء ، ووافقهم على الفتك بالأسود ، وتوافق المسلمون على ذلك ، وتعاقدوا عليه . فلما أيقن ذلك فى الباطن أطلع شيطان الأسود الأسود على شىء من ذلك ، فدعا قيس بن مكشوح ، فقال له : يا قيس : ما يقول هذا ؟ قال : وما يقول ؟ قال يقول : عمدت إلى قيس فأكرمته ، حتى إذا دخل منك كل مدخل ، وصار فى العز مثلك ـ مال ميل

---

(١) أى : بالحذر واليقظة

عدوك ، وحاول ملكك ، وأضمر على الغدر ، إنه يقول : يا أسود يا أسود ، يا سوأة يا سوأة ، اقطف قُنّته وخذ من قيس أعلاه وإلا سلبك أو قطف قُنّتك . فقال له قيس ـ وحلف له : كذب وذى الخمار لأنت أعظم فى نفسى وأجل عندى من أن أحدث بك نفسى ، فقال له الأسود : ما إخالك تكذب الملك ، فقد صدق الملك وعرف الآن أنك تائب لما اطلع عليه منك .

ثم خرج قيس من بين يديه ، فجاء إلى أصحابه : جُشَيش[1] وفيروز ودَاذَويه، وأخبرهم بما قاله تورد عليه ، فقالوا : إنا كانا على حذر ، فما الرأى ؟ فبينما هم يشتورون إذ جاءهم رسوله فأحضرهم بين يديه ، فقال ألم أشرفكم على قومكم ؟ قالوا : بلى ، قال : فماذا يبلغنى عنكم ؟ فقالوا : أقلنا مرتنا هذه ، فقال : لا يبلغنى عنكم فأقيلكم ، قال : فخرجنا من عنده ولم نكد ، وهو فى ارتياب من أمرنا ، ونحن على خطر . فبينما نحن فى ذلك إذ جاءتنا كتب من عامر بن شهر ـ أمير همدان ، وذى ظُلَيم ، وذى الكلاع ، وغيرهم من أمراء اليمن ، يبذلون لنا الطاعة والنصر ، على مخالفة الأسود ، وذلك حين جاءهم كتاب رسول الله ﷺ يحثهم على مُصاولة الأسود العنسى ، فكتبنا إليهم أن لا يحدثوا شيئا حتى نبرم الأمر ، قال قيس : فدخلت على امرأته زاذ ، فقلت : يا ابنة عمى ، قد عرفت بلاء هذا الرجل عند قومك ؛ قتل زوجك ، وطأطأ[2] فى قومك القتل ، وفضح النساء ، فهل عندك ممالأة عليه ؟ قالت : على أى أمر ؟ قلت : إخراجه ، قالت : أو قتله ، قلت : أو قتله ، قالت : نعم والله ما خلق الله شخصا هو أبغض إلىّ منه ، فما يقوم لله على حق ولا ينتهى له عن حرمة ، فإذا عزمتم فأخبرونى أعلمكم بمأتى هذا الأمر . قال : فأخرج فإذا فيروز وداذَوَيه ينتظرانى ، يريدون أن يناهضوه ، فما استقر اجتماعه بهما حتى بعث إليه الأسود فدخل فى عشرة من قومه ، فقال : ألم أخبرك بالحق وتخبرنى بالكذابة ؟ إنه يقول : يا سوأة يا سوأة ؛ إن لم تقطع من قيس يده يقطع قُنّتك العليا ، حتى ظن قيس أنه قاتله ، فقال : إنه ليس من الحق أن أقتلك وأنت رسول الله ، فقتلى أحب إلى من موتات أموتها كل يوم ، فرق له وأمره بالانصراف، فخرج إلى أصحابه فقال : اعملوا عملكم ، فبينما هم وقوف بالباب يشورون إذ خرج عليهم وقد جمع له مائة ما بين بقرة وبعير ، فقام وخط خطا فأقيمت من ورائه ، وقام من دونها ، فنحرها ، غير محبسة ولا معقلة ، ما تقتحم الخط منها شىء ، ثم خلاها فجالت إلى أن زهقت أرواحها ، قال قيس : فما رأيت أمرا كان أفظع منه ، ولا يوما أوحش منه .

ثم قال الأسود : أحقٌ ما بلغنى عنك يا ؟ لقد هممت أن أنحرك فأحفك بهذه البهيمة ، وأبدى له الحَرْبة ، فقال له فيروز : اخترتنا لصهرك ، ، سلتنا على الأبناء ، فلو لم تكن لبيا ما بعنا نصيبنا منك بشىء ، فكيف وقد اجتمع لنا بك أمر الآخرة والدنيا ؟ فلا تقبل علينا أمثال ما يبلغك ؛ فإنا بحيث تحب . فرضى عنه وأمره بقسم لحوم تلك الأنعام ، ففرقها فيروز فى أهل صنعاء ، ثم أسرع اللحاق به ، فإذا رجل يحرضه على فيروز ويسعى إليه فيه ، واستمع له فيروز ، فإذا الأسود

---

(١) قيل : جشلس ، وجشيش تحريف (٢) طأطأ القتل فى قومه : أسرع فيهم القتل

يقول : أنا قاتلهُ غدا وأصحابه ، فاغدُ علىّ به ، ثم التفت فإذا بفيروز ، فقال : مَه ، فأخبره فيروز بما صنع من قسم ذلك اللحم ، فدخل الأسود داره ، ورجع فيروز إلى أصحابه فأعلمهم بما سمع وبما قال وقيل له ، فاجتمع رأيهم على أن عاودوا المرأة فى أمره ، فدخل أحدهم - وهو فيروز - إليها فقالت : إنه ليس من الدار بيت إلا والحرس محيطون به ، غير هذا البيت ؛ فإن ظهره إلى مكان كذا وكذا من الطريق ، فإذا أمسيتم فانقبوا عليه فإنكم من دون الحرس ، وليس من دون قتله شىء ، وإنى سأضع فى البيت سراجا وسلاحا .

فلما خرج من عندها تلقاه الأسود فقال له : ما أدخلك على أهلى ؟ ووجأ رأسه ، وكان الأسود شديدا . فصاحت المرأة فأدهشته عنه ، ولولا ذلك لقتله ، وقالت : ابن عمى جاءنى زائراً ، فقال : اسكتى لا أبالك ، قد وهبته لك ، فخرج على أصحابه فقال : النجاء النجاء ، وأخبرهم الخبر ، فحاروا ماذا يصنعون ؟ فبعثت المرأة إليهم تقول لهم : لا تنثنوا عما كنتم عازمين عليه ، فدخل عليها فيروز الديلمى فاستثبت منها الخبر ، ودخلوا إلى ذلك البيت فنقبوا من داخله بطائن ليهون عليهم النقب من خارج ، ثم جلس عندها جهرة كالزائر ، فدخل الأسود فقال : وما هذا ؟ فقالت : إنه أخى من الرضاعة ، وهو ابن عمى ، فنهره وأخرجه فرجع إلى أصحابه .

فلما كان الليل نقبوا ذلك البيت فدخلوا ، فوجدوا فيه سراجا تحت جفنة ، فتقدم إليه فيروز الديلمى والأسود نائم على فراش من حرير ، قد غرق رأسه فى جسده ، وهو سكران يغط ، والمرأة جالسة عنده ، فلما قام فيروز على الباب أجلسه شيطانه وتكلم على لسانه - وهو مع ذلك يغط - فقال : مالى ومالك يا فيروز ؟ فخشى إن رجع أن يهلك وتهلك المرأة ، فعاجله وخالطه وهو مثل الجمل ، فأخذ برأسه فدق عنقه ووضع ركبتيه فى ظهره حتى قتله . ثم قام ليخرج إلى أصحابه ليخبرهم ، فأخذت المرأة بذيله وقالت : أين تذهب عن حرمتك ؟ فظنت أنه لم يقتله ، فقال : أخرج لأعلمهم بقتله ، فدخلوا عليه ليحتزوا رأسه ، فحركه شيطانه فاضطرب ، فلم يضبطوا أمره حتى جلس اثنان على صدره ، وأخذت المرأة بشعره ، وجعل يبربر[1] بلسانه ، فاحتز الآخر رقبته ، فخار كأشد خوار ثور سمع قط ، فابتدر الحرس إلى المقصورة ، فقالوا : ما هذا ؟ ما هذا ؟ ما هذا ؟ فقالت المرأة : النبى يوحى إليه ، فرجعوا ، وجلس قيس وداذويه وفيروز يأتمرون كيف يعلمون أشياعهم ؟ فاتفقوا على أنه إذا كان الصباح ينادون بشعارهم الذى بينهم وبين المسلمين . فلما كان الصباح قام أحدهم - وهو قيس - على سور الحصن فنادى بشعارهم ، فاجتمع المسلمون والكافرون حول الحصن ، فنادى قيس - ويقال وبر بن يُحَنَّس - الأذان أشهد أن محمداً رسول الله ، وأن عبهلة كذاب ، وألقى إليهم رأسه ، فانهزم أصحابه وتبعهم الناس يأخذونهم ويرصدونهم فى كل طريق يأسرونهم ،

(١) أى : يضيح ، والبربرة : الصياح

وظهر الإسلام وأهله ، وتراجع نواب رسول الله ﷺ إلى أعمالهم ، وتنازع أولئك الثلاثة في الإمارة ، ثم اتفقوا على معاذ بن جبل يصلي بالناس . وكتبوا بالخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أطلعه الله على الخبر من ليلته ، كما قال سيف بن عمر التميمي ، عن أبي القاسم الشنوي عن العلاء بن زياد ، عن ابن عمر قال : أتى الخبر إلى النبي صلى الله عليه وسلم من السماء الليلة التي قتل فيها العنسي ليبشرنا ، فقال : قُتِل العنسي البارحة ، قتله رجلٌ مُبارك من أهل بيت مباركين ، قيل: ومن؟ قال: فيروز، فاز فيروز. وقد قيل: إن مدة ملكه منذ ظهر إلى أن قتل ثلاثة أشهر ، ويقال : أربعة أشهر ، فالله أعلم .

وقال سيف بن عمر ، عن المستنير عن عروة عن الضحاك عن فيروز : قال قتلنا الأسود ، وعاد أمرنا في صنعاء كما كان ، إلا أنا أرسلنا إلى معاذ بن جبل فتراضينا عليه ، فكان يُصلّي بنا في صنعاء ، فوالله ما صلى بنا إلا ثلاثة أيام حتى أتانا الخبر بوفاة رسول الله ﷺ ، فانتقضت الأمور ، وأنكرنا كثيراً مما كنا نعرف ، واضطربت الأرض .

وقد قدمنا أن خبر العنسي جاء إلى الصديق في أواخر ربيع الأول، بعد ما جهز جيش أسامة ، وقيل : بل جاءت البشارة إلى المدينة صبيحة توفي رسول الله ﷺ ، والأول أشهر ، والله أعلم ، والمقصود أنه لم يجئهم فيما يتعلق بمصالحهم واجتماع كلمتهم وتأليف ما بينهم والتمسك بدين الإسلام ، إلا الصديق رضي الله عنه ، وسيأتي إرساله إليهم من يمهد الأمور التي اضطربت في بلادهم ، ويقوي أيدي المسلمين ، ويثبت أركان دعائم الإسلام فيهم ، رضي الله عنهم .

فصل في تصدي الصديق لقتال أهل الردة ومانعي الزكاة

قد تقدم أن رسول الله ﷺ لما توفي ارتدت أحياء كثيرة من الأعراب ، ونجم النفاق بالمدينة وانحاز إلى مُسيلمة الكذاب بنو حنيفة وخلق كثير باليمامة . والتفت على طليحة الأسدي بنو أسد وطيء ، وبشر كثير أيضا . وادعى النبوة أيضا كما ادعاها مسيلمة الكذاب ، وعظم الخطب واشتدت الحال ، ونفذ الصديق جيش أسامة ، فقل الجند عند الصديق ، فطمعت كثير من الأعراب في المدينة وراموا أن يهجموا عليها ، فجعل الصديق على أنقاب[1] المدينة حراسا يبيتون بالجيوش حولها ، فمن أمراء الحرس : علي بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبد الله ، وسعد ابن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن مسعود . وجعلت وفود العرب تقدم المدينة ؛ يقرون بالصلاة ويمتنعون من أداء الزكاة ، ومنهم من امتنع من دفعها إلى الصديق . وذكر أن منهم من احتج بقوله تعالى: (خُذْ مِنْ أَمْوالِهِم صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وتُزَكِّيهِم بها وصَلِّ عَلَيْهِمْ إنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لهم)[2] قالوا: فلسنا ندفع زكاتنا إلا إلى من صلاته سَكَنٌ لنا، وأنشد بعضهم:

(١) أي: الطرق الموصلة إليها ، جمع نقب ـ وهو الثقب (٢) من الآية : ١٠٣ من سورة التوبة

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا فوا عجبا ما بال ملك أبي بكر

وقد تكلم الصحابة مع الصديق فى أن يتركهم وماهم عليه من منع الزكاة ، ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان فى قلوبهم ، ثم هم بعد ذلك يزكون ، فامتنع الصديق من ذلك وأباه . وقد روى الجماعة فى كتبهم ـ سوى ابن ماجة ـ عن أبى هريرة ، أن عمر بن الخطاب قال لأبى بكر : علام تقاتل الناس ؟ وقد قال رسول الله ﷺ : « أمرتُ أن أقاتلَ الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها ؟ » فقال أبو بكر : والله لو منعونى عَناقاً[1] ـ وفى رواية : عقالا[2] ـ كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلنهم على منعها ، إن الزكاة حق المال ، والله لأقاتلنّ من فرق بين الصلاة والزكاة . قال عمر : فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبى بكر للقتال ، فعرفت أنه الحق . قلت : وقد قال الله تعالى (فَإِن تَابُوا وأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ[3])، وثبت فى الصحيحين : بنى الأسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان .

وقد روى الحافظ ابن عساكر من طريقين ، عن شبابة بن سوار: ثنا عيسى بن يزيد المدينى ، حدثنى صالح بن كيسان ، قال : لما كانت الردة قام أبو بكر فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: الحمد لله الذى هدى فكفى ، وأعطى فأغنى ، إن الله بعث محمدا ﷺ . والعلم شريد ، والإسلام غريب طريد ، قد رثّ حبله ، وخَلَقَ عهده ، وضل أهله منه ، ومَقَت الله أهل الكتاب فلا يعطيهم خيراً لخير عندهم ، ولا يصرف عنهم شراً لشر عندهم ، قد غيروا كتابهم ، وألحقوا فيه ماليس منه ، والعرب الآمنون يحسبون أنهم فى مَنَعَة من الله لا يعبدونه ولا يدعونه ، فأجهدهم عيشاً ، وأضلهم دينا ، فى ظَلَف[4] من الأرض مع مافيه من السحاب ، فختمهم الله بمحمد ، وجعلهم الأمة الوسطى ، نصرهم بمن اتبعهم ، ونصرهم على غيرهم ، حتى قبض الله نبيه ﷺ فركب منهم الشيطان مركبه الذى أنزله عليه ، وأخذ بأيديهم ، وبغى هلكتهم (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَو قُتِلَ انْقَلَبْتُم عَلَى أَعْقَابِكُم وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِينَ[5]) إن من حولكم من العرب منعوا شاتهم

---

(١) العناق : الأنثى من أولاد المعز ، والجمع : أعنق وعنوق . وفى المثل: العنوق بعد النوق ـ يضرب فى الضيق بعد السعة

(٢) العقال: زكاة عام من الإبل والغنم، والعقال أيضا الحبل الذى يعقل به البعير الذى كان يؤخذ فى الصدقة.

(٣) من الآية : ٥ من سورة التوبة . (٤) الظلف : شدة المعيشة .

(٥) الآية : ١٤٤ من سورة آل عمران .

وبعيرهم ، ولم يكونوا في دينهم - وإن رجعوا إليه - أزهدَ منهم يومهم هذا ، ولم تكونوا في دينكم أقوى منكم يومَكم هذا ، على ما قد تقدم من بركة نبيكم ﷺ ، وقد وكلكم إلى المولى الكافي ، الذي وجَده ضالا فهداه ، وعائلا فأغناه (وكُنْتُم على شفا حُفْرَةٍ من النّارِ فأنقذَكُمْ مِنْها[1]) الآية ، والله لا أدع أن أقاتل على أمر الله حتى ينجز الله وعده ، ويوفى لنا عهده ، ويقتل من قتل منا شهيداً من أهل الجنة ، ويبقى من بقى منها خليفته وذريته فى أرضه ، قضاء الله الحق وقوله الذى لا خلف له (وَعَدَ اللهُ الذين آمنُوا مِنْكُمْ وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فى الأرض[2]) الآية ، ثم نزل . وقال الحسن وقتادة وغيرهما فى قوله تعالى : (يَا أيُّها الذينَ آمنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَنْ دِينِه فسَوْفَ يأتِى اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ ويُحِبُّونَه[3]) الآية ، قالوا : المراد بذلك أبو بكر وأصحابه ، فى قتالهم المرتدين ، ومانعى الزكاة .

وقال محمد بن إسحاق : ارتدت العرب عند وفاة رسول الله ﷺ ما خلا أهل المسجدين؛ مكة والمدينة . وارتدت أسد وغطفان وعليهم طُليحة بن خويلد الأسدى الكاهن . وارتدت كِندة ومن يليها ، وعليهم الأشعث بن قيس الكندى . وارتدت مَذْحِج ومن يليها ، وعليهم الأسود بن كعب العنسى الكاهن . وارتدت ربيعة مع المعرور بن النعمان بن المنذر . وكانت حنيفة مقيمة على أمرها مع مسيلمة بن حبيب الكذاب . وارتدت سليم مع الفجاءة ، واسمه أنس بن عبد ياليل . وارتدت بنو تميم مع سَجَاح الكاهنة . وقال القاسم بن محمد : اجتمعت أسد وغطفان وطيىء على طليحة الأسدى ، وبعثوا وفوداً إلى المدينة ، فنزلوا على وجوه الناس فأنزلوهم إلى العباس ، فحملوا بهم إلى أبى بكر ، على أن يقيموا الصلاة ولا يؤتوا الزكاة ، فعزم الله لأبى بكر على الحق وقال : لو منعونى عقالا لجاهدتهم ، فردهم فرجعوا إلى عشائرهم ، فأخبروهم بقلة أهل المدينة ، وطمعوهم فيها ، فجعل أبو بكر الحرس على أنقاب المدينة ، وألزم أهل المدينة بحضور المسجد ، وقال : إن الأرض كافرة ، وقد رأى وفدهم منكم قلة ، وإنكم لا تدرون أليلا يأتون أم نهاراً ؟ وأدناهم منكم على بريد ، وقد كان القوم يؤملون أن نقبل منهم ونوادعهم وقد أبينا عليهم ، فاستعدوا وأعدوا . فما لبثوا إلا ثلاثاً حتى طرقوا المدينة غارة مع الليل ، وخلفهم بعضهم بذى حُسَى ليكونوا ردْءاً لهم ، وأرسل الحرس إلى أبى بكر يخبرونه بالغارة ، فبعث إليهم : أن الزموا مكانكم وخرج أبو بكر فى أهل المسجد على النَّوَاضِح[4] إليهم ، فانفشَّ العدو واتبعهم المسلمون على إبلهم ، حتى بلغوا حِسَى ، فخرج عليهم الردء فالتقوا مع الجمع فكان الفتح ، وقد قال :

---

(١) من الآية : ١٠٣ من سورة آل عمران . (٢) من الآية : ٥٥ من سورة النور .
(٣) من الآية : ٥٤ من سورة المائدة . (٤) الناضح : البعير الذى يستقى عليه والأنثى : ناضحة.

أطعنا رسول الله ما كان وسطنا فيا لَعبادِ الله ما لأبى بَكْرِ !
أيُورِثُها بَكرا إذا مات بَعْدَه وتلك لعَمرُ الله قاصِمةُ الظَّهر
فهلاّ رددتم وَفْـدنا بزمانه ؟ وهلاّ خشيتم حِسّ راغية البَكْر ؟
وإن التى سألوكمو فمنعتمو لكالتمر أو أحْلى إلىّ من التمر

وفى جمادى الآخرة ركب الصديق فى أهل المدينة وأمراء الأنقاب ، إلى من حول المدينة من الأعراب الذين أغاروا عليها ، فلما تواجه هو وأعداؤه من بنى عَبس ، وبنى مرة ، وذبيان ، ومن ناصَب معهم من بنى كنانة ، وأمدّهم طُليحة بابنه حِبال . فلما تواجه القوم كانوا قد صنعوا مكيدة وهى أنهم عمدوا إلى أنحاء[1] فنفخوها ، ثم أرسلوها من رءوس الجبال ، فلما رأتها إبل أصحاب الصديق نفرت وذهبت كل مذهب ، فلم يملكوا من أمرها شيئا إلى الليل ، حتى رجعت إلى المدينة ، فقال فى ذلك الخُطَيل بن أوس :

فدًى لبنى ذبيان رَحْلى وناقتى عَشية يُحْذَى بالرماح أبو بكر
ولكن يُدَهْدَى بالرجال فَهِبْنَه إلى قدَرٍ ما إن تقيم ولا تَسْرى
ولله أجنـاد تُذَاقُ مَذاقَةً لتُحْسب فيما عُدّ من عجب الدّهر
أطعنا رسول الله مَا كان بيننا فيالعباد الله مَا لأبى بكر

فلما وقع ما وقع ظن القوم بالمسلمين الوَهن ، وبعثوا إلى عشائرهم من نواحى أُخَر ، فاجتمعوا ، وبات أبو بكر رضى الله عنه قائما ليلَه يعبىء الناس . ثم خرج على تَعبِئة من آخر الليل ، وعلى ميمنته النعمان بن مُقرّن ، وعلى الميسرة أخوه عبد الله بن مُقرّن ، وعلى الساقة أخوهما سُوَيد بن مقرّن . فما طلع الفجر إلا وهُم والعدوّ فى صعيد واحد ، فما سمعوا للمسلمين حِسًّا ولا همْسا ، حتى وضعوا فيهم السيوف ، فما طلعت الشمس حتى ولوهم الأدبار ، وغلبوهم على عامة ظهرهم ، وقتل حِبال . واتبعهم أبو بكر حتى نزل بذى القَصّة[2] ، وكان أول الفتح ، وذلّ بها المشركون ، وعزّ بها المسلمون ، ووثب بنو ذبيان وعبس على من فيهم من المسلمين فقتلوهم ، وفعل مَنْ وراءهم كفعلهم ، فحلف أبو بكر ليقتلن من كل قبيلة بمن قتلوا من المسلمين وزيادة ، ففى ذلك يقول زياد بن حَنظلة التميمى :

غَداةَ سَعى أبو بكر إليهم كما يَسعَى لموتته جُلال[3]
أراح على نواهقهـا عليًّا ومَجّ لهنّ مُهجَتَه حِبالُ

---

(١) أنحاء : جمع نحى وهو الزق (٢) ذو القصة : اسم جبل أو موضع قرب المدينة فيه ماء يسمى القصة
(٣) الجلال : البعير العظيم

وقال أيضا :

أقمنا لهم عُرض الشمال فكُبكِبوا ... ككبكبة الغزّى أناخوا على الوفْر

فما صَبروا للحرب عنـد قيامها ... صبيحة يَسمو بالرجال أبو بكر

طَرَقْنا بنى عَبْس بأدنى نباجها ... وذبيان نَهْنهْنا بقاصمة الظّهر

فكانت هذه الوقعة من أكبر العون على نصر الإسلام وأهله ؛ وذلك أنه عز المسلمون في كل قبيلة ، وذل الكفار فى كل قبيلة ، ورجع أبو بكر إلى المدينة مؤيدا منصورا ، سالما غانما ، وطرقت المدينة فى الليل صدقات عدى بن حاتم ، وصفوان ، والزبرقان ؛ إحداها فى أول الليل ، والثانية فى أوسطه ، والثالثة فى آخره وقدم بكل واحدة منهن بشير من أمراء الأنقاب ، فكان الذى بشر بصفوان ـ سعدُ ابن أبى وقاص ، والذى بشر بالزبرقان ـ عبدُ الرحمن بن عوف ، والذى بشر بعدى بن حاتم ـ عبد الله بن مسعود ، ويقال : أبو قتادة الأنصارى رضى الله عنه . وذلك على رأس ستين ليلة من متوفى رسول الله ﷺ .

ثم قدم أسامة بن زيد بعد ذلك بليال ، فاستخلفه أبو بكر على المدينة ، وأمرهم أن يريحوا ظهرهم . ثم ركب أبو بكر فى الذين كانوا معه ـ فى الوقعة المتقدمة ـ إلى ذى القصّة ، فقال له المسلمون : لو رجعت إلى المدينة وأرسلت رجلا ، فقال : والله لا أفعل ، ولأواسينكم بنفسى ، فخرج فى تعبئته ، إلى ذى حُسى وذى القَصة ، والنعمان وعبد الله وسويد بنو مقرن على ما كانوا عليه ، حتى نزل على أهل الرَّبذة بالأبرق وهناك جماعة من بنى عبس وذبيان ، وطائفة من بنى كنانة ، فاقتتلوا فهزم الله الحارث وعوفا ، وأخذ الحطيئة أسيراً ، فطارت عبس وبنو بكر ، وأقام أبو بكر على الأبرق أياما وقد غلب بنى ذبيان على البلاد ، وقال : حرام على بنى ذبيان ان يتملكوا هذه البلاد ، إذ غنّمناها الله وحَمى الأبرق لخيول المسلمين ، وأرعى سائر بلاد الرَّبذة الناس على بنى ثعلبة . ولما فرت عبس وذبيان صاروا إلى مؤازرة طُليحة وهو نازل على بُزاخة[1] ، وقد قال فى يوم الأبرق زياد بن حنظلة :

ويومٌ بالأبارق قد شهدنا ... على ذُبيان يَلْتهبُ التهابا

أتيناهُم بداهية نَسوف[2] ... مع الصِّديق إذ ترك العِتابا

ذكر خروجه إلى ذى القصة

حين عقد ألوية الأمراء الأحد عشر على ما سيأتى

وذلك بعد ما جُمّ جيش أسامة واستراحوا ، ركب الصديق أيضا فى الجيوش الإسلامية

---

(١) بزاخة : ماء لطيء بأرض نجد (٢) داهية نسوف : أى شاقة

شاهرا سيفه مسلولا ، من المدينة إلى ذى القصّة ـ وهى من المدينة على مرحلة ، وعلى بن أبى طالب يقود راحلة الصديق رضى الله عنهما ، كما سيأتى فسأله الصحابة ؛ منهم علىّ وغيره ، وألحوا عليه أن يرجع إلى المدينة ، وأن يبعث لقتال الأعراب غيره ممن يؤمّره من الشجعان الأبطال ، فأجابهم إلى ذلك ، وعقد لهم الألوية لأحد عشر أميرا ، علىّ ما سنفصله قريبا إن شاء الله . وقد روى الدارقطنى من حديث عبد الوهاب بن موسى الزهرى ، عن مالك عن ابن شهاب عن سعيد ابن المسيب عن ابن عمر قال : لما برز أبو بكر إلى القصّة واستوى على راحلته ، أخذ علىّ بن أبى طالب بزمامها وقال : إلى أين يا خليفة رسول الله ؟ أقول لك ما قال رسول الله ﷺ يوم أحد : لمّ سيفك ولا تفجعنا بنفسك ، وارجع إلى المدينة ، فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبدا ، فرجع . هـذا حديث غريب من طريق مالك . وقد رواه زكريا الساجى من حديث عبد الوهاب بن موسى بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى أيضا، عن أبى الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : خرج أبى شاهرا سيفه، راكبا على راحلته إلى وادى القصّة ، فجاء على بن أبى طالب فأخذ بزمام راحلته فقال : إلى أين يا خليفة رسول الله ؟ أقول لك ما قال رسول الله يوم أحد: لمّ سيفك ولا تفجعنا بنفسك، فوالله لئن أصبنا بك لا يكون للإسلام بعدك نظام أبداً ، فرجع وأمضى الجيش .

وقال سيف بن عمر، عن سهل بن يوسف عن القاسم بن محمد : لما استراح أسامة وجنده ، وقد جاءت صدقات كثيرة تفضلُ عنهم ، قطع أبو بكر البعُوث ، وعقد الألوية ، فعقد أحد عشر لواء ، عقد لخالد بن الوليد وأمره بطُلَيحة ابن خُويلد ، فإذا فرغ سار إلى مالك بن نويرة بالبُطاح إن أقام له ؛ ولعكرمة بن أبى جهل ، وأمره بمسيلمة وبعث شرحبيل بن حسنة فى أثره إلى مسيلمة الكذاب، ثم إلى بنى قضاعة . وللمهاجرين أبى أمية ، وأمره بجنود العَنسى ومعونة الأبناء على قيس بن المكشوح . قلت : وذلك لأنه كان قد نزع يده من الطاعة ، على ما سيأتى . قال : ولخالد بن سعيد ابن العاص إلى مشارف الشام . ولعمرو بن العاص إلى جماع قُضاعة ووديعة والحارث . ولحذيفة ابن محصَن الغطفانى[1] وأمره بأهل دَبا ، ولعَرْفجة بن هرثمة وأمره بمهرة وغير ذلك . ولطُريفة ابن حاجز وأمره ببنى سليم ومن معهم من هوازن ؛ ولسُوَيد بن مقرّن ، وأمره بتهامة اليمن . وللعلاء ابن الحضرمى وأمره بالبحرين رضى الله عنهم .

وقد كتب لكلُ أمير كتاب عهده على حدته ، ففصل كلّ أمير بجنده من ذى القصّة ، ورجع الصديق إلى المدينة ، وقد كتب معهم الصديق كتابا إلى الرّبَذة وهذه نسخته .

---

(١) فى نسخة : الغلفانى

بسم الله الرحمن الرحيم . من أبى بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى من بلغه كتابى هذا ، من عامة وخاصة ، أقام على إسلامه أو رجع عنه سلام على من اتبع الهدى ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى ، فإنى أحمد الله إليكم الذى لا إله إلا هو ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، نقرُّ بما جاء به ، ونُكَفِّر من أبى ذلك ونجاهده . أما بعد ؛ فإن الله أرسل محمداً بالحق من عنده ، إلى خلقه بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجا منيراً ، لِيُنذِر من كان حيا ويحقَّ القولُ على الكافرين ، فهدى الله بالحق من أجاب إليه ، وضرب رسول الله ﷺ بإذنه من أدبر عنه ، حتى صار إلى الاسلام طوعاً وكرهاً . ثم توفّى الله رسوله ، وقد نفذ لأمر الله ، ونصح لأمته ، وقضى الذى عليه ، وكان الله قد بين له ذلك ، ولأهل الاسلام فى الكتاب الذى أنزل فقال : (إِنَّكَ مَيِّتٌ وإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ[1]) وقال : (وما جَعَلْنا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أفإِن مِتَّ فَهُم الخالدون[2]) وقال المؤمنين : (وما مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُل أفإِن ماتَ أو قُتِل انقلَبْتُم على أعقابِكُمْ ، ومَنْ يَنْقَلِبْ على عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيئاً وسيَجْزِى اللهُ الشاكِرين[3]) فمن كان إنما يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان إنما يعبد الله وحده لا شريك له فإن الله له بالمرصاد حى لا يموت ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، حافظ لأمره ، منتقم من عدوه يجزيه . وإنى أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبكم ، وما جاءكم به من نبيكم ﷺ ، وأن تهتدوا بهداه وأن تعتصموا بدين الله ، فإنّ كل من لم يهده الله ضال ، وكل من لم يعافه مبتلى ، وكل من لم يمنه الله مخذول ، ومن هداه غير الله كان ضالا ، قال الله تعالى : (مَنْ يَهْدِ اللهُ فهو الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَن تجِد له وليًّا مُرْشدا[4]) لم يقبل له فى الدنيا عمل حتى يقر به ، ولم يقبل له فى الآخرة صرف ولا عدل ، وقد بلغنى رجوع من رجع منكم عن دينه ، بعد أن أقر بالاسلام ، وعمل به ، اغتراراً بالله وجهلا بأمره ، وإجابة للشيطان ، قال الله تعالى : (وإذ قُلْنا لِلْمَلائِكة اسْجُدُوا لِآدمَ فَسَجَدُوا إلاَّ إِبْلِيسَ كانَ مِنَ الجِنِّ ففَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ، أفتتَّخِذُونه وذُرِيَّتَهُ أولياء مِنْ دُونى وهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ، بِئْسَ لِلظالمين بَدَلاً[5]) وقال : (إنَّ الشَّيطانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إنَّما يَدْعُوا حِزْبَه ليَكُونوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِير[6]) وإنى بعثت إليكم فلانا فى جيش من المهاجرين والأنصار ، والتابعين بإحسان ، وأمرته أن لا يقبل من أحد إلا الإيمان بالله ، ولا يقتله حتى يدعوه إلى الله عز وجل ، فإن أجاب وأقر وعمل صالحا قبل منه ، وأعانه

---

(١) الآية : ٣٠ من سورة الزمر . (٢) الآية : ٣٤ من سورة الأنبياء .
(٣) الآية : ١٤٤ من سورة آل عمران . (٤) من الآية : ١٧ من سورة الكهف .
(٥) الآية : ٥٠ من سورة الكهف . (٦) من الآية : ٦ من سورة فاطر .

عليه، وإن أبى حاربه عليه حتى يفىء إلى أمر الله ، ثم لا يبقى على أحد منهم قدر عليه. وأن يحرقهم بالنار، وأن يقتلهم كل قتلة ، وأن يسبى النساء والذرارىّ ولا يقبل من أحد غير الإسلام ، فمن اتبعه فهو خير له ، ومن تركه فلن يعجز الله وقد أمرت رسولى أن يقرأ كتابى فى كل مجمع لكم . والداعية الأذان. فإذا أذن المسلمون فأذنوا وكفوا عنهم، وإن لم يؤذنوا فسلوهم ما عليهم ، فإن أبوا عاجلوهم ، وإن أقروا قبل منهم وحملهم على ما ينبغى لهم . رواه سيف بن عمر عن عبد الله بن سعيد، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك.

فصل فى مسيرة الأمراء من ذى القصة على ما عوهدوا عليه

وكان سيد الأمراء ورأس الشجعان الصناديد - أبو سليمان خالد بن الوليد. روى الإمام أحمد من طريق وحشى بن حرب ، أن أبا بكر الصديق لما عقد لخالد بن الوليد على قتال أهل الردة ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : نعم عبد الله وأخو العشيرة - خالد بن الوليد ، سيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين . ولما توجه خالد من ذى القصة وفارقه الصديق ، واعده أنه سيلقاه من ناحية خيبر بمن معه من الأمراء - وأظهروا ذلك ليرعبوا الأعراب - وأمره أن يذهب أولاً إلى طليحة الأسدى ، ثم يذهب بعده إلى بنى تميم ، وكان طليحة بن خويلد فى قومه بنى أسد، وفى غطفان ، وانضم إليهم بنو عبس وذبيان ، وبعث إلى بنى جديلة والغوث وطىء يستدعيهم إليه ، فبعثوا أقواما منهم بين أيديهم ، ليلحقوهم على آثارهم على أثرهم سريعا . وكان الصديق قد بعث عدىّ بن حاتم قبل خالد بن الوليد ، وقال له : أدرك قومك لا يلحقوا بطليحة فيكون دمارهم ، فذهب عدىّ إلى قومه بنى طىء فأمرهم أن يبايعوا الصديق ، وأن يراجعوا أمر الله ، فقالوا : لا نبايع أبا الفضل[1] أبداً - يعنون أبا بكر رضى الله عنه - فقال : والله ليأتينكم جيش فلا يزالون يقاتلونكم حتى تعلموا أنه أبو الفحل الأكبر ، ولم يزل عدىّ يفتل لهم فى الذروة والغارب[2] حتى لانوا . وجاء خالد فى الجنود وعلى مقدمة الأنصار الذين معه - ثابت بن قيس بن شماس ، وبعث بين يديه ثابت بن أقرم ، وعُكاشة بن مِحْصن طليعة ، فتلقاهما طليحة وأخوه سلمة فيمن معهما ، فلما وجدا ثابتا وعكاشة تبارزوا فقتل عكاشة حبال بن طليحة ، وقيل : بل كان قتل حبالا قبل ذلك وأخذ ما معه ، وحمل عليه طليحة فقتله . وقتل هو وأخوه سلمة - ثابت بن أقرم وجاء خالد بمن معه فوجدوهما صريعين ، فشق ذلك على المسلمين ، وقد قال طليحة فى ذلك :

---

(١) فى الطبرى : أبا الفصيل . (٢) هذا مثل فى المخادعة : أى يدور من وراء خداعه .

عَشية غادرت ابن أقوم ثاويا   وعُكاشة العمى تحت مجال
أقمت له صَدر الحمالة إنها   معوّدة قبل الكماة نزال
فيوم تراها فى الجلال مَصُونة   ويوم تراها فى ظلال عوالى
وإن يك أولاد أصبن ونسوة   فلم يذهبوا فرغا بقتل حِبَال

ومال خالد إلى بنى طىء ، فخرج إليه عدى بن حاتم فقال : أنظرنى ثلاثة أيام ؛ فإنهم قد استنظرونى حتى يبعثوا إلى من تعجل منهم إلى طليحة حتى يرجعوا إليهم ، فإنهم يخشـون إن تابعوك أن يقتل طليحة من سار إليه منهم ، وهذا أحب إليك من أن يعجلهم إلى النار . فلما كان بعد ثلاث جاءه عدى فى خمسمائة مقاتل ممن راجع الحق ، فانضافوا إلى جيش خالد ، وقصد خالد بنى جَديلة فقال له : يا خالد ؛ أجلنى أياماً حتى آتيهم ، فلعل الله أن ينقذهم كما أنقذ طيئا ، فأتاهم عدّى فلم يزل بهم حتى تابعوه ، فجاء خالداً بإسلامهم ، ولحق بالمسلمين منهم ألف راكب ، فكان عدّى خير مولود وأعظمه بركة على قومه ، رضى الله عنهم .

قالوا : ثم سار خالد حتى نزل بأجأ وسَلمى ، وعَبَّى جيشه هناك ، والتقى مع طليحة الأسدى بمكان ، يقال له : بُزَاخة ، ووقفت أحياء كثيرة من الأعراب ينظرون على من تكون الدائرة ، وجاء طُليحة فيمن معه من قومه ومن التف معهم وانضاف إليهم ، وقد حضر معه عيينة بن حصن فى سبعمائة من قومه بنى فزارة ، واصطف الناس ، وجلس طليحة ملتفاً فى كساء له يتنبأ لهم وينظر ما يوحى إليه فيما يزعم ، وجعل عيينة يقاتل ما يقاتل ، حتى إذا ضجر من القتال يجىء إلى طليحة وهو ملتف فى كسائه فيقول : أجاءك جبريل ؟ فيقول : لا ، فيرجع فيقاتل ، ثم يرجع فيقول له مثل ذلك ، ويرد عليه مثل ذلك. فلما كان فى الثالثة قال له: هل جاءك جبريل ؟ قال: نعم قال: فما قال لك ؟ قال : قال لى: إن لك رَحًا كرحاه .. وحديثا لا تنساه . قال : يقول عيينة : أظن أن قد عَلِم الله أنه سيكون لك حديث لا تنساه . ثم قال : يابنى فزارة انصرفوا ، وانهزم وانهزم الناس عن طليحة . فلما جاءه المسلمون ركب على فرس كان قد أعدها له ، وأركب امرأته النّوار على بعير له ، ثم انهزم بها إلى الشام وتفرق جمعهُ ..وقد قتل الله طائفة ممن كان معه ، فلما أوقع الله بطليحة وفزارة ما أوقع ، قالت بنو عامر وسليم وهوازن : ندخل فيما خرجنا منه ، ونؤمن بالله ورسوله ، ونسلم لحكمه فى أموالنا وأنفسنا .

قلت : وقد كان طليحة الأسدى ارتد فى حياة النبى ﷺ ، فلما مات رسول الله ﷺ قام بمؤازرته عيينة بن حصن من بدر ، وارتدّ عن الإسلام ، وقال لقومه : والله لنبىٌّ من بنى أسد أحب إلىّ من نبىٍّ من بنى هاشم ، وقد مات محمد وهذا طليحة فاتبعوه ، فوافق قومه بنو فزارة على

ذلك . فلما كسرهما خالد هرب طليحة بامرأته إلى الشام ، فنزل على بنى كلب ، وأسر خالد عيينة بن حصن ، وبعث به إلى المدينة مجموعةً يداه إلى عُنقه ، فدخل المدينة وهو كذلك ، فجعل الولدان والغلمان يطعنونه بأيديهم ، ويقولون : أى عدو الله ! ارتددت عن الإسلام ؟ فيقول : والله ما كنت آمنت قط . فلما وقف بين يدى الصديق استتابه وحقن دمه ، ثم حسن إسلامه بعد ذلك . وكذلك منّ على قُرّة بن هُبيرة ، وكان أحد الأمراء مع طليحة ، فأسره مع عيينة . وأما طليحة فإنه راجع الإسلام بعد ذلك أيضا ، فذهب إلى مكة معتمراً أيام الصديق ، واستحَيَى أن يواجهه مدة حياته ، وقد رجع فشهد القتال مع خالد ، وكتب الصديق إلى خالد : أن استشره فى الحرب ولا تؤمره ــ يعنى معاملته له بنقيض ما كان قصده من الرياسة فى الباطن ــ وهذا من فقه الصديق رضى الله عنه وأرضاه وقد قال خالد بن الوليد لبعض أصحاب طليحة ممن أسلم وحسن إسلامه : أخبرنا عما كان يقول لكم طليحة من الوحى ، فقال : إنه كان يقول : والحمام واليمام ــ والصُّرَدِ الصّوام ، قد صُمْن قبلكم بأعوام ، ليبلغن مُلكنا العراق والشام . إلى غير ذلك من الخرافات والهذيانات السمجة .

وقد كتب أبو بكر الصديق إلى خالد بن الوليد ، حين جاءه أنه كسر طليحة ومن كان فى صفه وقام بنصره فكتب إليه : ليزدك ما أنعم الله به خيراً ، واتق الله فى أمرك ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون . جد فى أمرك ولا تلن ، ولا تظفر بأحد من المشركين قتل من المسلمين إلا نكلت به ، ومن أخذت ممن حادّ الله أو ضادّه ممن يرى أن فى ذلك صلاحا ــ فاقتله . فأقام خالد ببُزاخة شهراً ، يُصعد فيها ويُصوّب ويرجع إليها فى طلب الذين وصاه بسببهم الصديق ، فجعل يتردد فى طلب هؤلاء شهراً ، يأخذ بثأر من قتلوا من المسلمين الذين كانوا بين أظهرهم حين ارتدوا ، فمنهم من حرقه بالنار ، ومنهم من رضخه بالحجارة ، ومنهم من رمى به من شواهق الجبال ، كل هذا ليعتبر بهم من يسمع بخبرهم من مرتدة العرب ، رضى الله عنه . وقال الثورى عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال : لما قدم وفد بزاخة ــ أسد وغطفان ــ على أبى بكر يسألونه الصلح ، خيرهم أبو بكر بين حرب مجلية أو حطة مخزية ، فقالوا : ياخليفة رسول الله ، أما الحرب المجلية فقد عرفناها ، فما الخطة المخزية ؟ قال : تؤخذ منكم الحلقة والكراع ، وتتركون أقواما يتبعون أذناب الإبل حتى يرى الله خليفة نبيه والمؤمنين أمراً يعذرونكم به ، وتؤدون ما أصبتم منا ، ولا نؤدى ما أصبنا منكم ، وتشهدون أن قتلانا فى الجنة وأن قتلاكم فى النار . وتدُون قتلانا ولا نَدِى قتلاكم ، فقال عمر : أما قولك : تدون قتلانا ، فإن قتلانا قتلوا على أمر الله لاديات لهم ، فامتنع عمر ، وقال عمر فى الثانى : نعم ما رأيت . ورواه البخارى من حديث الثورى بسنده مختصراً .

وقعة أخرى

كان قد اجتمع طائفة كثيرة من الفلال يوم بزاخة من أصحاب طليحة ، من بنى غطفان فاجتمعوا إلى امرأة يقال لها : أم زِمْل ـ سلمى بنت ملك بن حذيفة ـ وكانت من سيدات العرب، كأمها أم قِرْفة ، وكان يضرب بأمها المثل فى الشرف لكثرة أولادها وعزة قبيلتها وبيتها . فلما اجتمعوا إليها ذَمَّرتهم(١) لقتال خالد ، فهاجوا لذلك ، وناشب(٢) إليهم آخرون من بنى سليم وطيء وهوازن وأسد ، فصاروا جيشاً كثيفاً وتفحّل أمر هذه المرأة . فلما سمع بهم خالد بن الوليد سار إليهم ، واقتتلوا قتالا شديداً وهى راكبة على جمل أمها ، الذى كان يقال له : من يمس جملها فله مائة من الإبل وذلك لعزها ، فهزمهم خالد وعقر جملها وقتلها ، وبعث بالفتح إلى الصديق رضى الله عنه .

قصة الفجاءة

واسمه إياس بن عبد الله بن عبد ياليل، بن عميرة بن خُفاف ـ من بنى سليم ، قاله ابن إسحاق. وقد كان الصديق حرق الفُجاءة بالبقيع فى المدينة ، وكان سببه: أنه قدم عليه فزعم أنه أسلم ، وسأل منه أن يجهز معه جيشاً يقاتل به أهل الردة ، فجهز معه جيشا ، فلما سار جعل لا يمر بمسلم ولا مرتد إلا قتله وأخذ ماله ، فلما سمع الصديق بعث وراءه جيشا فرده ، فلما أمكنه بعث به إلى البقيع ، فجمعت يداه إلى قفاه وألقى فى النار فحرقه وهو مقموط(٣) .

قصة سجاح و بنى تميم

كانت بنو تميم قد اختلفت آراءهم أيام الردة ؛ فمنهم من ارتد ومنع الزكاة ، ومنهم من بعث بأموال الصدقات إلى الصديق ، ومنهم من توقف لينظر فى أمره . فبينما هم كذلك إذ أقبلت سجاح بنت الحارث بن سويد بن عُقفان التغلبية من الجزيرة ـ وهى من نصارى العرب ، وقد ادعت النبوة ومعها جنود من قومها ومن التف بهم ، وقد عزموا على غزو أبى بكر الصديق فلما مرت ببلاد بنى تميم دعتهم إلى أمرها ، فاستجاب لها عامتهم ، وكان ممن استجاب لها : مالك ابن نويرة التميمى ، وعطارد بن حاجب ، وجماعة من سادات أمراء بنى تميم ، وتخلف آخرون منهم عنها ، ثم اصطلحوا على أن لا حرب بينهم ، إلا أن مالك بن نويرة لما وادعها ثناها(٤) عن

---

(١) أى : دفعتهم وحضتهم . (٢) أى : انضم . (٣) قمط الأسير: جمع بين يديه ورجليه وشدها بقماط ـ وهو الحبل الذى يشد به . (٤) فى الطبرى : فثأها ـ أى كفها .

غزوها ، وحرضها على بنى يربوع ، ثم اتفق الجميع على قتال الناس ، وقالوا : بمن نبدأ ؟ فقالت لهم فيما تسجعه : أعِدّوا الركاب ، واستعِدّوا للنهاب ، ثم أغيروا على الرِّباب ، فليس دونهم حجاب . ثم إنهم تعاهدوا على نصرها ، فقال قائل منهم[1] .

أتتنا أختُ تغلب فى رجال ... جلائبَ مِن سَراةِ بنى أبينا
وأرسَت دعوةً فينا سَفاهًا ... وكانت من عمائرِ آخرينا
فما كُنّا لنَرْزيهم زِبالاً ... وما كانت لِتُسْلِم إذ أتينا
ألا سَفِهت حُلومكُمُ وضلّت ... عَشيةَ تحشُدون لها ثُبينا

وقال عطارد بن حاجب فى ذلك :

أمسَت نبيّتُنا أنثى نطيف بها ... وأصبحَت أنبياء الناس ذُكْرانا

ثم إن سجاح قصدت بجنودها اليمامة ، لتأخذها من مُسيلمة بن حبيب الكذاب ، فهابه قومها ، وقالوا : إنه قد استفحل أمره وعظم ، فقالت لهم فيما تقوله : عليكم باليمامة ، ودفّوا دفيف الحمامة ، فإنها غزوة صرّامة ، لاتلحقكم بعدها مَلامة . قال : فعمدوا لحرب مسيلمة ، فلما سمع بمسيرها إليه خافها على بلاده ؛ وذلك أنه مشغول بمقاتلة ثُمامة بن أثال ، وقد ساعده عكرمة بن أبى جهل بجنود المسلمين ، وهم نازلون ببعض بلاده ينتظرون قدوم خالد كما سيأتى ، فبعث إليها يستأمنها ويضمن لها أن يعطيها نصف الأرض الذى كان لقريش لو عَدَلت ، فقد ردّه الله عليك فحباكِ به ، وراسلها ليجتمع بها فى طائفة من قومه . فركب إليها فى أربعين من قومه ، وجاء إليها فاجتمعا فى خيمة ، فلما خلا بها وعرض عليها ما عرض من نصف الأرض ، وقبلت ذلك ـ قال مسيلمة : سمع الله لمن سمع ،وأطمعه بالخير إذ طمع ، ولا يزال أمره فى كل ما يسر نفسه مجتمع ، رآكم ربكم فحياكم ، ومن وحشة خلاكم ، ويوم دينه أنجاكم ، فأحياكم علينا من صلوات معشر أبرار ، لا أشقياء ولا فجار ، يقومون الليل ويصومون النهار ، لربكم الكبار ، رب الغيوم والأمطار . وقال أيضا : لما رأيت وجوههم حَسُنت ، وأبشارهم[2] صفت ، وأيديهم طَفُلَت[3] ، قلت لهم : لا النساء تأتون ، ولا الخمر تشربون ، ولكنكم معشر أبرار ، تصومون يوما وتكلفون يوما ، فسبحان الله ! إذا جاءت الحياة كيف تحيَوْن ، وإلى ملك السماء كيف ترقون ، فلو أنها حبة خردلة لقام عليها شهيد يعلم ما فى الصدور ، ولأكثر الناس فيها الثبور .

---

(١) القائل : هو أصم التيمى كما فى الطبرى . (٢) فى نسخة : وأبصارهم .
(٣) طفلت : صارت طفلة ـ أى ناعمة .

وقد كان مسيلمة ـ لعنه الله ـ شرع لمن اتبعه أن الأعزب يتزوج فإذا ولد له ذكر فيحرم عليه النساء حينئذ ، إلا أن يموت ذلك الولد الذكر ، فتحل له النساء حتى يولد له ذكر . هذا مما اقترحه لعنه الله ، من تلقاء نفسه . ويقال : إنه لما خلا بسجاح سألها ماذا يوحى إليها ؟ فقالت : وهل تكون النساء يبتدئن ؟ بل أنت ماذا أوحى إليك ؟ فقال : ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحبلى ؟ أخرج منها نسمة تسعى ، من بين صفاق[1] وحشى[2] . قالت : وماذا أيضا؟ فقال: إن الله خلق للنساء أفراجا ، وجعل الرجال لهن أزواجا ، فنولج فيهن قعسا[3] إيلاجا ، ثم نخرجها إذا نشاء إخراجا ، فينتجن لنا سخالا إنتاجا . فقالت : أشهد أنك نبي ، فقال لها : هل لك أن أتزوجك فآكل بقومي وقومك العرب ؟ قالت : نعم ، فقال :

ألا قومى إلى النيك ... فقد هُيِّى لك المضجع
فإن شئت ففى البيت ... وإن شئت ففى المخدع
وإن شئت سلقناك ... وإن شئت على أربع
وإن شئت بثلثيه ... وإن شئت به أجمع

فقالت : بل به أجمع ، فقال : بذلك أوحى إلى ، وأقامت عنده ثلاثة أيام ، ثم رجعت إلى قومها فقالوا : ما أصدقك ؟ فقالت : لم يصدقنى شيئا ، فقالوا : إنه قبيح على مثلك أن تتزوج بغير صداق ، فبعثت إليه تسأله صداقا ، فقال : أرسلى إلى مؤذنك ، فبعثته إليه ـ وهو شبث بن ربعى ـ فقال : ناد فى قومك : إن مسيلمة بن حبيب رسول الله قد وضع عنكم صلاتين مما أتاكم به محمد ـ يعنى صلاة الفجر وصلاة العشاء الآخرة ـ فكان هذا صداقها ـ عليه لعنهما الله . ثم انثنت سجاح راجعة إلى بلادها وذلك حين بلغها دنو خالد من أرض اليمامة ، فكرت راجعة إلى الجزيرة بعد ما قبضت من مسيلمة نصف خراج أرضه ، فأقامت فى قومها بنى تغلب ، إلى زمان معاوية فأجلاهم منها عام الجماعة ، كما سيأتى بيانه فى موضعه .

فصل فى خبر مالك بن نويرة اليربوعى التميمى

كان قد صانع سجاح حين قدمت من أرض الجزيرة ، فلما اتصلت بمسيلمة لعنهما الله ، ثم ترحلت إلى بلادها ـ فلما كان ذلك ـ ندم مالك بن نويرة على ما كان من أمره ، وتلوم فى شأنه ، وهو نازل بمكان يقال له : البطاح ، فقصدها خالد بجنوده وتأخرت عنه الأنصار ، وقالوا : إنا قد قضينا ما أمرنا به الصديق ، فقال لهم خالد : إن هذا أمر لابد من فعله ، وفرصة لابد من انتهازها ، وإنه لم يأتنى فيها كتاب ، وأنا الأمير وإلى ترد الأخبار ، ولست بالذى أجبركم على المسير ،

(١) الصفاق : الجلد الأسفل الذى تحت الجلد الذى عليه الشعر . (٢) بعدها فى الأغانى : من بين ذكر وأنثى ، وأموات وأحياء ثم إلى ربهم يكون المنتهى (٣) فى الأغانى : « القراميل : وهو بعنانها

وأنا قاصد البُطاح . فسار يومين ثم لحقه رسول الأنصار يطلبون منه الانتظار ، فلحقوا به . فلما وصل البُطاح وعليها مالك بن نويرة ، فبث خالد السرايا فى البُطاح يدعون الناس ، فاستقبله أمراء بنى تميم بالسمع والطاعة ، وبذلوا الزكوات ، إلاّ ما كان من مالك بن نويرة فإنه متحيّر فى أمره ، متنحّ عن الناس ، فجاءته السرايا فأسروه وأسروا معه أصحابه . واختلفت السرية فيهم ، فشهد أبو قتادة ــ الحرث بن ربعى الأنصارى ــ أنهم أقاموا الصلاة ، وقال آخرون : إنهم لم يُؤذنوا ولا صَلّوا ، فيقال : إن الأسارى باتوا فى كبولهم فى ليلة شديدة البرد ، فنادى منادى خالد : أن أدفئوا أسراكم ، فظن القوم أنه أراد القتل[1] ، فقتلوهم ، وقتل ضرار بن الأزور مالك بن نويرة ، فلما سمع الداعية خرج وقد فرغوا منهم ، فقال : إذا أراد الله أمراً أصابه .

واصطفى خالد امرأة مالك بن نويرة وهى أم تميم ابنة المنهال[2] ، وكانت جميلة ، فلما حلّت بنى بها ، ويقال : بل استدعى خالد مالك بن نويرة فأنبه على ما صَدر منه من مُتابعة سَجاح ، وعلى مَنعه الزكاة ، وقال : ألم تعلم أنها قرينة الصلاة ؟ فقال مالك : إن صاحبكم كان يزعم ذلك ، فقال : أهُو صاحبنا وليس بصاحبك ؟ يا ضِرار اضرب عنقه ، فضُربت عنقه ، وأمر برأسه فجعل مع حَجرين وطبخ على الثلاثة قدراً فأكل منها خالد تلك الليلة ليرهب بذلك الأعراب ، من المرتدة وغيرهم . ويقال : إن شَعَرَ مالك جعلت النار تعمل فيه إلى أن نضج لحم القدر ولم تفرغ الشعر لكثرته . وقد تكلم أبو قتادة مع خالد فيما صَنع وتقاولا فى ذلك ، حتى ذهب أبو قتادة فشكاه إلى الصديق ، وتكلم عمر مع أبى قتادة فى خالد ، وقال للصديق : اعزله فإن فى سيفه رَهَقاً[3] ، فقال أبو بكر ، لا أشيم سيفاً سلّه الله على الكفار ، وجاء مُتَمّم بن نويرة فجعل يشكو إلى الصديق خالداً ، وعمر يساعده وينشد الصديق ما قال فى أخيه من المراثى ، فوداه الصديق من عنده ، ومن قول متمم فى ذلك :

وكُنا كندمانى جَذيمةَ حُِقبة ... من الدهر حتى قيل لَن يتصدعا

وعشنا بخــير ما حَيينا وَقبلنا ... أباد المنايا قوم كسرى وتُبّعا

فلمــا تفرقنا كأنى ومالكا ... لطُول اجتماع لم نَبِتْ ليــلةً معاً

وقال أيضاً :

لقــد لامنى عند القُبور على البكا ... رَفيقى لتذراف الدموع السّوافك

وقال أتبكى كُل قبر رأيته ... لقبرٍ ثوَى بين اللّوى فالدّكادك

فقلت له : إنّ الأسى يبعثُ الأسى ... فَدعْنى فهــذا كلّه قَبرُ مالكِ

---

(١) ذلك ؛ لأن هذا معناه فى لغتهم : القتل ، من دفأه ــ بمعنى قتله

(٢) المنهال بن عصمة الرياحى ، وهو الذى كفن مالكا فى ثوبيه (٣) أى : سفها وظلما وعجلة

والمقصود: أنه لم يزل عمر بن الخطاب رضى الله عنه يحرّض الصديق ويذمره على عزل خالد عن الإمرة ويقول: إن فى سَيفه لَرَهقا، حتى بعث الصديق إلى خالد بن الوليد فقدم عليه المدينة، وقد لبس دِرْعَه التى من حديد، وقد صَدِئ من كثرة الدماء، وغرز فى عمامته النُشّاب المُضَمّخ بالدماء، فلما دخل المسجد قام إليه عمر بن الخطاب فانتزع الأسهُم من عمامة خالد فحطّمها، وقال: أرياء؟ قتلت امرأ مسلما ثم نَزوْت على امرأته، والله لأرجمنك بالجنادل. وخالد لا يكلّمه، ولا يظن إلا أنّ رأى الصديق فيه كرأى عمر، حتى دخل على أبى بكر فاعتذر إليه، فعذره وتجاوز عنه ما كان منه فى ذلك ووَدَى مالك بن نويرة. فخرج من عنده وعمر جالس فى المسجد، فقال خالد: هلمّ إلىّ يا ابن أم شملة، فلم يردّ عليه وعرف أن الصديق قد رضى عنه، واستمر أبو بكر بخالد على الإمرة، وإن كان قد اجتهد فى قتل مالك بن نويرة وأخطأ فى قتله، كما أن رسول الله ﷺ لما بعثه إلى أبى جَذِيمة فقتل أولئك الأسارى الذين قالوا: صَبأنا صَبأنا، ولم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فوداهم رسول الله ﷺ حتى ردّ إليهم مِيلَغَة[1] الكلاب، ورفع يديه وقال: اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد، ومع هذا لم يعزل خالدا عن الإمرة.

مقتل مسيلمة الكذاب، لعنه الله وأخزاه

لما رضى الصديق عن خالد بن الوليد وعذره بما اعتذر به، بعثه إلى قتال بنى حنيفة باليمامة، وأوعب معه المسلمون، وعلى الأنصار ثابت بن قيس بن شماس، فسار لا يمر بأحد من المرتدين إلا نكّل بهم، وقد اجتاز بخيول لأصحاب سَجاح، فشردهم وأمر بإخراجهم من جزيرة العرب، وأردف الصديق خالدا بسرية لتكون ردءاً له من ورائه، وقد كان بعث قبلهُ إلى مُسيلمة عِكرمة بن أبى جهل، وشرحبيل بن حَسنة، فلم يقاوما بنى حنيفة؛ لأنهم فى نحو أربعين ألفا من المقاتلة، فعجّل عِكرمة قبل مجىء صاحبه شُرحبيل، فناجزهم فنكب، فانتظر خالدا - فلما سمع مسيلمة بقدوم خالد عسكر بمكان يقال له: عَقْرباء - فى طرف اليمامة والريف وراء ظهورهم، وندب الناس وحثهم، فحشد له أهل اليمامة، وجعل على مُجَنّبتى[2] جيشه المُحَكّم بن الطُّفيل، ونهار الرَّحّال[3] بن عُنْفُوة بن نهشل، وكان الرحال هذا صديقه الذى شهد له أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إنه قد أشرك معه مُسيلمة بن حبيب فى الأمر، وكان هذا الملعون من أكبر ما أضل أهل اليمامة، حتى اتبعوا مُسيلمة، لعنهما الله. وقد كان الرحال هذا قد وفد إلى النبى ﷺ وقرأ البقرة، وجاء زمن الردة إلى أبى بكر فبعثه إلى أهل اليمامة يدعوهم إلى الله ويثبتهم على الإسلام، فارتد مع مُسيلمة وشهد له بالنبوة.

(١) الميلغة - بكسر الميم - الإناء يلغ فيه الكلب فى الدم (٢) المجنبة - بفتح النون - المقدمة، والمجنبتان - بالكسر - الميمنة والميسرة (٣) فى نسخ الرجال، وقال ابن حميد: هو بالحاء المهملة

قال سيف بن عمر ، عن طلحة عن عكرمة عن أبى هريرة : كنت يوما عند النبى ﷺ فى رهط معنا الرَّحَّال بن عُنفُوَة ، فقال : إن فيكم لرجلا ضرسُه فى النار أعظم من أُحُد ، فهلك القوم وبقيت أنا والرحال وكنت متخوفاً لها ، حتى خرج الرَّحَّال مع مسيلمة وشهد له بالنبوة ، فكانت فتنة الرجال أعظم من فتنة مُسَيلمة . رواه ابن إسحاق عن شيخ عن أبى هريرة .
وقرب خالد وقد جعل على المقدمة شُرَحبيل بن حَسَنة ، وعلى المُجَنِّبتين : زيدا وأبا حذيفة ، وقد مرت المقدمة فى الليل بنحو من أربعين ، وقيل ستين فارسا؛ عليهم مجاعة بن مرارة ، وكان قد ذهب لأخذ ثأر له فى بنى تميم وبنى عامر وهو راجع إلى قومه فأخذوهم ، فلما جىء بهم إلى خالد عن آخرهم فاعتذروا إليه فلم يصدقهم ، وأمر بضرب أعناقهم كلهم ، سوى مُجّاعة فإنه استبقاه مقيدا عنده ـ لعلمه بالحرب والمكيدة ـ وكان سيدا فى بنى حنيفة ، شريفا مطاعا . ويقال : إن خالدا لما عرضوا عليه قال لهم : ماذا تقولون يا بنى حنيفة ؟ قالوا : نقول : منّا نَبى ومنكم نبىّ ، فقتلهم إلا واحداً اسمه سَارية بن عامر ، فقال له : أيها الرجل إن كنت تريد بهذه القرية غدا خيرا أو شرا فاستبق هذا الرجل ـ يعنى مُجّاعة بن مرارة ـ فاستبقاه خالد مقيدا ، وجعله فى الخيمة مع امرأته ، وقال : استوصى به خيرا ، فلما تواجه الجيشان قال مسيلمة لقومه : اليوم يوم الغَيرة ، اليوم إن هُزمتم تستنكح[1] النساء سبيّات ، ويُنكحن غير خطيبات ، فقاتلوا عن أحسابكم وامنعوا نساءكم وتقدم المسلمون حتى نزل بهم خالد على كُثيب يُشرف على اليمامة ، فضرب به عسكره ، وراية المهاجرين مع سالم مولى أبى حذيفة ، وراية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شَماس ، والعرب على راياتها ، ومُجّاعة بن مرارة مُقَيّد فى الخيمة مع أم تميم امرأة خالد ، فاصطدم المسلمون والكفار فكانت جَولة ، وانهزمت الأعراب حتى دخلت بنو حنيفة خَيمة خالد بن الوليد وهَمّوا بقتل أمّ تميم ، حتى أجارها مُجّاعة وقال : نعمت الحرّة هذه ، وقد قُتل الرَّحّال بن عُنفُوة ـ لعنه الله ـ فى هذه الجولة ؛ قتله زيد بن الخطاب .

ثم تذامَر الصحابة بينهم وقال ثابت بن قَيس بن شَماس : بئس ما عودتم أقرانكم ، ونادَوا من كل جانب : اخلصنا يا خالد ، فخلصت ثُلّة من المهاجرين والأنصار وحمى البَراء بن مَعرور ـ وكان إذا رأى الحرب أخذته العُرَوَاء[2] فيجلس على ظهر الرِّجال حتى يبول فى سراويله ، ثم يثور كما يثور الأسد ، وقاتلت بَنو حنيفة قتالا لم يُعهد مثله ، وجعلت الصحابة يتواصون بينهم ويقولون :يا أصحاب سُورة البقرة ، بَطَل السِّحرُ اليوم ، وحفَرَ ثابت بن قيس لقدميه فى الأرض إلى أنصاف ساقيه ، وهو حامل لواء الأنصار بعد ما تحنّط وتكفن ، فلم يزل ثابتا حتى قتل هناك ،

(١) فى الطبرى : تستردف (٢) العرواء : رعدة تصيب الإنسان ، وأصلها : برد الحمى .

وقال المهاجرون لسالم مولى أبى حذيفة : أتخشى أن نؤتى من قبلك ؟ فقال : بئس حامل القرآن أنا إذاً ، وقال زيد بن الخطاب : أيها الناس، عضوا على أضراسكم واضربوا فى عدوكم وامضوا قدماً . وقال : والله لا أتكلم اليوم حتى يهزمهم الله أو ألقى الله فأكلمه بحجتى، فقتل شهيداً رضى الله عنه . وقال أبو حذيفة : يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال ، وحملوا فيهم حتى أبعدهم وأصيب رضى الله عنه ، وحمل خالد بن الوليد حتى جاوزهم ، وسار لحيال مسيلمة وجعل يترقب أن يصل إليه فيقتله ، ثم رجع ثم وقف بين الصفين ودعا إلى البراز ، وقال : أنا ابن الوليد العَود ، أنا ابن عامر وزيد ثم نادى بشعار المسلمين ـ وكان شعارهم يومئذ : يا محمداه ـ وجعل لا يبرز لهم أحد إلا قتله ، ولا يدنو منه شىء إلا أكله ، ودارت رحى المسلمين ، ثم اقترب من مسيلمة فعرض عليه النَّصَف والرجوع إلى الحق ، فجعل شيطان مسيلمة يلوى عنقه ، لا يقبل منه شيئاً ، وكلما أراد مسيلمة يقارب من الأمر ـ صرفه عنه شيطانه .

فانصرف عنه خالد، وقد ميز خالد المهاجرين من الأنصار من الأعراب ، وكل بنى أب على رايتهم ، يقاتلون تحتها ، حتى يعرف الناس من أين يؤتون ، وصبرت الصحابة فى هذا الموطن صبراً لم يعهد مثله ، ولم يزالوا يتقدمون إلى نحور عدوهم حتى فتح الله عليهم، وولى الكفار الأدبار واتبعوهم يقتلون فى أقفائهم ، ويضعون السيوف فى رقابهم حيث شاءوا ، حتى ألجأوهم إلى حديقة الموت، وقد أشار عليهم محكم اليمامة ـ وهو المحكم بن الطفيل لعنه الله ـ بدخولها ، فدخلوها وفيها عدو الله مسيلمة لعنه الله . وأدرك عبد الرحمن بن أبى بكر المحكم بن الطفيل فرماه بسهم فى عنقه وهو يخطب فقتله، وأغلقت بنو حنيفة الحديقة عليهم، وأحاط بهم الصحابة، وقال البراء بن مالك: يا معشر المسلمين ؛ ألقونى عليهم فى الحديقة ، فاحتملوه فوق الجَحَف[1] ورفعوها بالرماح حتى ألقوه عليهم من فوق سورها ، فلم يزل يقاتلهم دون بابها حتى فتحه ، ودخل المسلمون الحديقة من حيطانها وأبوابها، يقتلون من فيها من المرتدة من أهل اليمامة ، حتى خلصوا إلى مسيلمة لعنه الله ، وإذا هو واقف فى ثُلمة[2] جدار كأنه جمل أورَق[3] ، وهو يريد يتساند ، لا يعقل من الغيظ ، وكان إذا اعتراه شيطانه أزبد حتى يخرج الزبد من شدقيه ، فتقدم إليه وَحْشِى بن حرب مولى جبير بن مطعم ـ قاتل حمزة ـ فرماه بحربته فأصابه وخرجت من الجانب الآخر ، وسارع إليه أبو دُجَانة سماك بن خرشة ، فضربه بالسيف فسقط ، فنادت امرأة من القصر : وا أمير الوضاءة ، قتله العبد

(١) الجحف ـ محركة ـ التروس من جلود بلا خشب ولا عقب .

(٢) الثلمة : الفرجة ، والخلل فى الحائط وغيره .

(٣) الأورق من الإبل : ما فى لونه بياض إلى سواد

الأسود ، فكان جملة من قتلوا فى الحديقة وفى المعركة قريباً من عشرة آلاف مقاتل ، وقيل : أحد وعشرون ألفاً . وقتل من المسلمين ستمائة ، فالله أعلم ؛ وفيهم من سادات الصحابة وأعيان الناس ـ من يذكر بعد .

وخرج خالد وتبعه مجّاعة بن مرارة يرسُف فى قيوده ، فجعل يريه القتلى ليعرفه بمسيلمة ، فلما مروا بالرجّال بن عنفوة قال له خالد : أهذا هو ؟ قال : لا ، والله هذا خير منه ، هذا الرجّال بن عنفوة ، قال سيف بن عمر : ثم مروا برجل أصفر أخنس[1] ، فقال : هذا صاحبكم ، فقال خالد : قبحكم الله على اتباعكم هذا . ثم بعث خالد الخيول حول اليمامة يلتقطون ما حول حصونها من مال وسبى ، ثم عزم على غزو الحصون ولم يكن بقى فيها إلا النساء والصبيان والشيوخ الكبار ، فخدعه مجّاعة فقال : إنها ملأى رجالا ومقاتلة فهلم فصالحنى عنها ، فصالحه خالد لما رأى بالمسلمين من الجهد ، وقد كلّوا من كثرة الحروب والقتال ، فقال : دعنى حتى أذهب إليهم ليوافقونى على الصلح ، فقال : اذهب ، فسار إليهم مجّاعة فأمر النساء أن يلبسن الحديد ويبرزن على رءوس الحصون ، فنظر خالد فإذا الشرفات ممتلئة من رءوس الناس ، فظنهم كما قال مجاعة فانتظر الصلح ، ودعاهم خالد إلى الإسلام فأسلموا عن آخرهم ورجعوا إلى الحق ، ورد عليهم خالد بعض ما كان أخذ من السبى ، وساق الباقين إلى الصديق . وقد تسرّى على بن أبى طالب بجارية منهم ، وهى أم ابنه محمد ، الذى يقال له : محمد بن الحنَفيّة رضى الله عنه ، وقد قال ضرار بن الأزور فى غزوة اليمامة هذه :

فلو سُئلت عنا جَنوبُ لأخبرت عَشيّة سالت عَقْرَباء وَمَلْهَمُ
وسالَ بفَرْع الواد حتى تَرقْرَقت حِجارته فيها من القوم بالدَّم
عشيةَ لا تُغنى الرِّماحُ مكانَها ولا النبلُ إلا المَشْرَفِىّ المصمّم[2]
فإن تبتغى الكفّارَ غيرَ مُليمة جَنوب فإنى تابعُ الدينِ مسلم
أجاهد إذ كان الجهاد غنيمة وَللهُ بالمرء المجاهد أعلم

وقد قال خليفة بن خياط ، ومحمد بن جرير ، وخلق من السلف : كانت وقعة اليمامة فى سنة إحدى عشرة ، وقال ابن قانع : فى آخرها ، وقال الواقدى وآخرون : كانت فى سنة ثنتى عشرة والجمع بينها : أن ابتداءها فى سنة إحدى عشرة ، والفراغ منها فى سنة ثنتى عشرة ، والله أعلم .

ولما قدمت وفود بنى حنيفة على الصديق قال لهم : أسمعونا شيئاً من قرآن مسيلمة ، فقالوا : أو تعفينا ياخليفة رسول الله ؟ فقال : لابد من ذلك ، فقالوا : كان يقول : ياضفدع بنت الضفدعين نقى لكم نقّين ، لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين ، رأسك فى الماء ، وذَنَبك فى الطين . وكان

(١) الخنس ـ محركة ـ تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل فى الأرنبة .
(٢) المصمم من السيوف : الذى يمر فى العظام

يقول : والمبذِّرات زَرعا ، والحاصدات حَصدا ، والذّاريات قَمْحا ، والطاحنات طحنًا ، والخابزات خُبزاً ، والثّاردات ثردًا[1] ، واللاقمات لقْما ، إهالَةً وَسمنا ، لقد فُضِّلتم على أهل الوَبر ، وما سبقكم أهل المدَر ، رفيقكم فامنعوه ، والمعتر[2] فآوُوه ، والناعى فواسوه . وذكروا أشياء من هذه الخرافات التى يأنف من قولها الصبيان وهم يلعبون ، فيقال : إن الصديق قال لهم : وَيحكم ، أين كان يذهب بقولكم ؟ إن هذا الكلام لم يخرج من إلّ[3] ، وكان يقول : والفيل وما أدراك ما الفيل ، له زلوم طويل . وكان يقول : والليل الدامس ، والذئب الهامس[4] ، ما قطعت أسد من رَطْب ولا يابس ، وتقدم قوله : لقد أنعم الله على الحُبلى ، أخرج منها نَسْمة تسعى ، من بين صفاق وحشى . وأشياء من هذا الكلام السخيف الركيك البارد السميج . وقد أورد أبو بكر ابن الباقلانى رحمه الله فى كتابه إعجاز القرآن ، أشياء من كلام هؤلاء الجهلة المتنبئين ، كمُسيلمة وطُليحة ، والأسود ، وسجَاح وغيرهم ، مما يدل على ضعف عقولهم وعقول من اتّبعهم على ضلالهم ومحالهم . وقد روينا عن عمرو بن العاص ، أنه وفد إلى مسيلمة فى أيام جاهليته ، فقال له مُسيلمة : ما أنزل على صاحبكم فى هذا الحين ؟ فقال له عمرو : لقد أنزل عليه سورة وَجيزة بليغة ، فقال : وماهى ؟ قال أنزل عليه (وَالعَصْرِ * إن الإنسان لفى خُسر * إلاّ الذينَ آمنُوا وعَملُوا الصَّالحاتِ وتَوَاصَوْا بالحَقِّ وتواصَوا بالصَّبْر) قال : ففكر مسيلمة ساعة ثم رفع رأسه فقال : ولقد أنزل علىّ مثلها ، فقال له عمرو : وما هى ؟ فقال مسيلمة : يا وَبر يا وَبْر ، إنما أنت إيراد وصَدر ، وسائرك حَفر نقر . ثم قال : كيف ترى يا عمرو ؟ فقال له عمرو : والله إنك لتعلَم أنى أعلم أنك تَكْذِب .

وذكر علماء التاريخ : أنه كان يتشبه بالنبى ﷺ . بلغه أن رسول الله ﷺ بَصق فى بئر فغزر ماؤه ، فبصق فى بئر فغاض ماؤه بالكلية . وفى أخرى : فصار ماؤه أجاجا ، وتوضأ وسقى بوضوئه نخلاً فيبست وهلكت . وأتى بولدان يبرك عليهم فجعل يمسح رءوسهم ، فمنهم من قَرِع رأسه[5] ، ومنهم من لَثِغ[6] لسانه . ويقال : إنه دعا لرجل أصابه وَجع فى عينيه فمسحهما فعمى . وقال سيف ابن عمر ، عن خليد بن زفر النمرى ، عن عمير بن طلحة عن أبيه ، أنه جاء إلى اليمامة فقال : أين مسيلمة ؟ فقال : مه رسول الله ، فقال : لا ، حتى أراه ، فلما جاء قال : أنت مسيلمة ؟ فقال : نعم قال : من يأتيك ؟ قال : رحمن ، قال : أفى نور أم فى ظلمة ؟ فقال : فى ظلمة ، فقال : أشهد أنك كذاب وأن محمدا صادق ، ولكن كذاب ربيعة أحَبّ إلينا من صادق مُضَر ، واتبعه هذا الأعرابى الجلف ـ لعنه الله ، حتى قتل معه يوم عَقرباء ، لا رحمه الله .

---

(١) ثرد الخبز ثردا : فته ثم بله بمرق (٢) المعتر : المعترض بالسؤال

(٣) أى من ربوبية . والإل : الله سبحانه وتعالى (٤) أى : الشديد

(٥) القرع : ذهاب الشعر عن مقدم الرأس (٦) اللثغ : النطق بالسين ثاء ، وبالراء غينا

ذكر ردة أهل البحرين وعودهم إلى الإسلام

كان من خبرهم: أن رسول الله ﷺ كان قد بعث العلاء بن الحضرمى إلى ملكها ؛ المنذر بن ساوى العبدى ، وأسلم على يديه وأقام فيهم الإسلام والعدل ، فلما توفى رسول الله ﷺ ، توفى المنذر بعده بقليل ، وكان قد حضر عنده فى مرضه عمرو بن العاص ، فقال له : يا عمرو، هل كان رسول الله ﷺ يجعل المريض شيئا من ماله ؟ قال : نعم ، الثلث ، قال : ماذا أصنع به ؟ قال : إن شئت تصدقت به على أقربائك ، وإن شئت على المحاويج ، وإن شئت جعلته صدقة من بعدك حبسا محرماً ، فقال : إنى أكره أن أجعله كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام[1] ، ولكنى أتصدق به ، ففعل ، ومات ، فكان عمرو بن العاص يتعجب منه . فلما مات المنذر ارتد أهل البحرين وملكوا عليهم الغرور ، وهو المنذر بن النعمان بن المنذر . وقال قائلهم : لو كان محمد نبيا ما مات . ولم يبق بها بلدة على الثبات سوى قرية يقال لها: «جواثا» ، كانت أول قرية أقامت الجمعة من أهل الردة ، كما ثبت ذلك فى البخارى عن ابن عباس ، وقد حاصرهم المرتدون وضيقوا عليهم ، حتى منعوا من الأقوات، وجاعوا جوعاً شديدا حتى فرج الله ، وقد قال رجل منهم يقال له: عبد الله ابن حذف - أحد بنى بكر بن كلاب ، وقد اشتد عليه الجوع :

ألا أبلغ أبا بكر رسولاً وفتيان المدينة أجمعينا

فهل لكم إلى قوم كرام قعود فى جواثا محصرينا

كأن دماءهم فى كل فج شعاع الشمس يغشى الناظرينا

توكلنا على الرحمن إنا قد وجدنا الصبر للمتوكلينا

وقد قام فيهم رجل من أشرافهم ، وهو الجارود بن المعلى - وكان ممن هاجروا إلى رسول الله ﷺ - خطيبا ، وقد جمعهم فقال : يا معشر عبد القيس ، إنى سائلكم عن أمر ، فأخبرونى إن علمتموه ، ولا تجيبونى إن لم تعلموه ، فقالوا : سل ، قال: أتعلمون أنه كان لله أنبياء قبل محمد ؟ قالوا : نعم ، قال: تعلمونه أم ترونه ؟ قالوا: نعلمه، قال: فما فعلوا ؟ قالوا : ماتوا ، قال: فإن محمداً ﷺ مات كما ماتوا ، وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فقالوا : ونحن أيضا نشهد أن

(١) البحيرة : المشقوقة الأذن . والسائبة: المتروكة ترعى ولا ينتفع بها، وكان الجاهليون إذا أنجبت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر، بحروا أذنها وتركوها ترعى، لا تركب ولا تحمل . وكان أحدهم يقول : إذا شفيت فناقتى سائبة ويجعلها كالبحيرة. أما الوصيلة فهى:الشاة تلد أنثى وذكرا، فلا يذبح الذكر-وكانت الشاة إذا ولدت أنثى فهى لهم ، وإذا ولدت ذكرا فهو لآلهتهم ، فإذا ولدتهما قالوا وصلت الأنثى أخاها فلا يذبح الذكر لآلهتهم . والحام : الفحل ينتج من صلبه عشرة أبطن فيحرم ظهره ولا يمنع من ماء ولا مرعى وقد أبطل الإسلام هذه العادات،قال تعالى:(ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام)

لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأنت أفضلنا وسيدنا ، وثبتوا على إسلامهم ، وتركوا بقية الناس فيما هم فيه ، وبعث الصديق رضى الله عنه — كما قدمنا — إليهم العلاء بن الحضرمى ، فلما دنا من البحرين جاء إليه ثمامة بن أثال فى محفل كبير ، وجاء كل أمراء تلك النواحى فانضافوا إلى جيش العلاء بن الحضرمى ، فأكرمهم العلاء ورحّب بهم وأحسن إليهم .

وقد كان العلاء من سادات الصحابة العلماء العباد مجابى الدعوة ، اتفق له فى هذه الغزوة ، أنه نزل منزلا فلم يستقر الناس على الأرض حتى نفرت الإبل بما عليها من زاد الجيش وخيامهم وشرابهم ، وبقوا على الأرض ليس معهم شىء سوى ثيابهم — وذلك ليلاً — ولم يقدروا منها على بعير واحد ، فركب الناس من الهمّ والغمّ مالا يحدّ ولا يوصف ، وجعل بعضهم يوصى إلى بعض . فنادى منادى العلاء ، فاجتمع الناس إليه ، فقال : أيها الناس ! ألستم المسلمين ؟ ألستم فى سبيل الله ؟ ألستم أنصار الله ؟ قالوا : بلى ، قال : فأبشروا فوالله لا يخذلُ اللهُ مَن كان فى مثل حالكم ، ونُودى بصلاة الصبح حين طلع الفجر فصلى بالناس ، فلما قضى الصلاة جثا على ركبتيه وجثا الناس . ونَصِب[1] فى الدعاء ، ورفع يديه وفعل الناس مثله حتى طلعت الشمس ، وجعل الناس ينظرون إلى سَراب الشمس يلمعُ مرة بعد أخرى وهو يجتهد فى الدعاء ، فلما بلغ الثالثة إذا قد خلق الله إلى جانبهم غديرا عظيما من الماء القَراح ، فمشى ومشى الناس إليه فشربوا واغتسلوا ، فما تعالى النهار حتى أقبلت الإبل من كل فجّ بما عليها ؛ لم يفقد الناس من أمتعتهم سِلْكاً[2] ، فسقوا الإبل عَلَلاً بعد نَهَل[3] . فكان هذا مما عاين الناس من آيات الله بهذه السرية ثم لما اقترب من جيوش المرتدة — وقد حشدوا وجمعوا خلقا عظيما — نزل ونزلوا ، وباتوا متجاورين فى المنازل ، فبينما المسلمون فى الليل ، إذ سمع العلاء أصواتا عالية فى جيش المرتدين ، فقال : مَن رَجل يكشف لنا خبر هؤلاء ؟ فقام عبد الله بن حَذَف ، فدخل فيهم فوجدهم سكارى لا يعقلون من الشراب ، فرجع إليه فأخبره ، فركب العلاء من فوره والجيش معه — فكبَسُوا أولئك فقتلوهم قتلا عظيما ، وقلّ من هرب منهم ، واستولى على جميع أموالهم وحواصلهم وأثقالهم ، فكانت غنيمة ، عظيمة جسيمة .

وكان الحُطَم بن ضبيعة — أخو بنى قيس بن ثعلبة من سادات القوم — نائما ، فقام دَهِشاً حين اقتحم المسلمون عليهم ، فركب جواده فانقطع ركابه فجعل يقول : مَنْ يُصلِح لى ركابى ؟ فجاء رجل من المسلمين فى الليل فقال : أنا أُصلِحُها لك ، ارفع رجلك ، فلما رفعها ضربه بالسيف فقطعها مع قدمه ، فقال له : أجهز عَلىّ ، فقال : لا أفعل ، فوقع صريعا ، كلما مرّ به أحد يسأله أن يقتله فيأبى ، حتى مرّ به قَيسُ بن عاصم فقال له : أنا الحُطم فاقتلنى فقتله ، فلما وجد رِجْله مقطوعة نَدِم على قتله وقال : واسوأتاه ، لو أعلمُ ما به لم أحرّكه .

---

(١) أى : تعب فيه واجتهد (٢) السلك : معروف ، وهو الخيط الذى يخاط به .
(٣) العلل : الشرب الثانى . والنهل : الشرب الأول وبابه طرب

ثم ركب المسلمون فى آثار المنهزمين ، يقتلونهم بكل مَرْصَد وطريق ، وذهب مَن فرّ منهم أو أكثرهم فى البحر إلى دَارِين[1] ركبوا إليها السفن ،ثم شرع العَلاء بن الحضرمى فى قَسم الغنيمة ونقل الأثقال، وفرغ من ذلك وقال المسلمين اذهبوا بنا إلى دارين لنغزوَ مَن بها من الأعداء ، فأجابوا إلى ذلك سريعا . فسار بهم حتى أتى ساحل البحر ليركبوا فى السفن ، فرأى أن الشُّقة بعيدة ، لا يصلون إليهم فى السفن حتى يذهب أعداء الله. فاقتحم البحر بفرسه وهو يقول : يا أرحم الراحمين ، يا حَكيم يا كريم ، يا أحد يا صمد ، يا حىّ يا مُحيى ، يا قيوم ياذا الجلال والإكرام لا إله إلا أنت يا ربنا . وأمَر الجيش أن يقولوا ذلك ويقتحموا ، ففعلوا ذلك، فأجاز بهم الخليج بإذن الله، يمشون على مِثْل رَمْلة دَمِثة فوقها ماء لا يَغْمرُ أخفاف الإبل ، ولا يصل إلى رُكَب الخيل ، ومسيرته للسفن يوم وليلة ،فقطعه إلى الساحل الآخر، فقاتل عدوّه وقهرهم واحتاز غنائمهم، ثم رجع فقطعه إلى الجانب الآخر فعاد إلى موضعه الأول ، وذلك كله فى يوم، ولم يترك من العدو مُخْبِراً[2] ، واستاق الذرارى والأنعام والأموال ، ولم يفقد المسلمون فى البحر شيئا سوى عَليقة فرس لرجل من المسلمين ، ومع هذا رجع العَلاء فجاء بها . ثم قسم غنائم المسلمين فيهم ، فأصاب الفارس ألفين والراجل ألفا ، مع كثرة الجيش . وكتب إلى الصديق فأعلمه بذلك ، فبعث الصديق يشكره على ما صنع . وقد قال رجل من المسلمين فى مرورهم فى البحر ، وهو عفيف بن المنذر :

ألم تر أن الله ذلّل بَحرَه ... وأنزَل بالكفار إحدى الجلائل
دعَونا الذى شقّ البحار فجاءنا ... بأعجبَ منْ فَلَق البحار الأوائل

وقد ذكر سيف بن عمر عن التميمى ، أنه كان مع المسلمين فى هذه المواقف والمشاهد التى رأوها من أمر العَلاء ، وما أجرى الله على يديه من الكرامات-رجل من أهل هَجر راهب، فأسلم حينئذ ، فقيل له : ما دعاك إلى الإسلام ؟ فقال : خشيت إن لم أفعل أن يمسخنى الله ؛ لما شاهدت من الآيات . قال : وقد سمعت فى الهواء وقت السَّحَر دعاء ، قالوا : وما هو ؟ قال : اللهم أنت الرحمن الرحيم ؛ لا إله غيرك ، والبديعُ ليس قبلك شىء ، والدائم غير الغافل ، والحى الذى لا يموت ، وخالق ما يُرَى وما لا يُرَى ، وكل يوم أنت فى شأن ، وعَلمتَ اللهم كلّ شىء عِلما ، قال : فعلمتُ أن القوم لم يُعانوا بالملائكة إلاّ وهم على أمر الله ، قال : فحسن إسلامه ، وكان الصحابة يسمعون منه .

---

(١) دارين : موضع بالبحرين ، منه المسك الدارى .

(٢) أى : أحدا يخبر بما حدث ، يريد أنه استأصلهم .

ذكر ردة أهل عمان ومهرة واليمن

أما أهل عمان فنبغ فيهم رجل يقال له : ذو التاج ـ لقيط بن مالك الأزدي ، وكان يسمى في الجاهلية ـ الجُلَنْدَى ، فادّعى النبوة أيضا ، وتابعه الجهلة من أهل عمان، فتغلب عليها وقهر جَيْفَراً وعبّاداً وألجأهما إلى أطرافها ، من نواحي الجبال والبحر ، فبعث جَيْفَر إلى الصديق فأخبره الخبر واستجاشه ، فبعث إليه الصديق بأميرين وهما: حُذيفة بن مِحْصَن الحِميري، وعَرْفجة البارقي من الأزد ؛ حُذَيفة إلى عُمان ، وعرفجة إلى مَهْرة وأمرهما أن يجتمعا ويتفقا ويبتدئا بعُمان، وحُذيفة هو الأمير ، فإذا ساروا إلى بلاد مَهْرة فعرفجة الأمير . وقد قدمنا أن عِكرمة بن أبي جهل ، لما بعثه الصديق إلى مُسَيلمة وأتبعه بشُرحبيل بن حَسَنة ـ عجّل عكرمة وناهض مُسَيلمة قبل مجيء شُرحبيل، ليفوز بالظّفر وحده ، فناله من مُسيلمة قَرح والذين معه ، فتقهقر حتى جاء خالد بن الوليد ، فقهر مُسَيلمة كما تقدم وكتب إليه الصديق يلومه على تسرّعه ،قال : لا أرَيَنَّك ولا أسمعنّ بك إلا بعد بلاء ، وأمره أن يلحق بحُذيفة وعَرفَجة إلى عُمان ، وكل منكم أمير على جيشه ، وحُذَيفة ما دمتم بعُمان فهو أمير الناس ، فإذا فرغتم فاذهبوا إلى مَهْرة ، فإذا فرغتم منها فاذهب إلى اليمن وحضرموت فكن مع المهاجر بن أبي أميّة ، ومن لَقِيته من المرتدة بين عمان إلى حضرموت واليمن، فنكّل به .

فسار عِكرمة لما أمره به الصديق ، فلحق حُذيفة وعَرْفجة قبل أن يصلا إلى عمان ، وقد كتب إليهما الصديق : أن ينتهيا إلى رَأي عِكرِمة بعد الفراغ من السَّير من عُمان أو المقام بها ، فساروا فلما اقتربوا من عمان راسلوا جَيْفراً ، وبلغ لَقيط بن مالك مجيء الجيش ، فخرج في جموعه فعسكر بمكان يقال له : دَبا ، وهي مِصر تلك البلاد وسُوقُها العظمى ، وجعل الذّراري والأموال وراء ظهورهم ؛ ليكون أقوى لحربهم ، واجتمع جَيْفر وعبّاد بمكان يقال له : صُحَار ، فعسكرا به ، وبعثا إلى أمراء الصديق فقدموا على المسلمين . فتقابل الجيشان هنالك ، وتقاتلوا قتالا شديدا ، وابتلى المسلمون وكادوا أن يُولّوا ، فمنّ الله بكرمه ولطفه أن بعث إليهم مَدداً ، في الساعة الرّاهنة من بني ناجية وعبدِ القيس، في جماعة من الأمراء . فلما وصلوا إليهم كان الفتح والنصر، فولّى المشركون مُدْبرين ، وركب المسلمون ظهورهم فقتلوا منهم عشرة آلاف مقاتل ، وسَبَوْا الذّراري وأخذوا الأموال والسوق بحذافيرها ، وبعثوا بالخمس إلى الصديق رضي الله عنه مع أحد الأمراء ، وهو عَرْفجة ، ثم رجع الى أصحابه .

وأما مَهْرة فإنهم لما فرغوا من عُمان كما ذكرنا ـ سار عِكرمة بالناس إلى بلاد مَهْرة ، بمن معه من الجيوش ومن أضيف اليها ، حتى اقتحم على مَهْرة بلادها ، فوجدهم جُندَين ؛ على أحدهما ـ وهم الأكثر ـ أمير يقال له : المُصَبّح ـ أحد بني محارب ، وعلى الجند الآخر أمير يقال له :

شخريت ، وهما مختلفان ، وكان هذا الاختلاف رحمةً على المؤمنين . فراسل عكرمة شخريت فأجابه وانضاف إلى عكرمة ؛ فقوى بذلك المسلمون ، وضعف جأش المُصَبِّح ، فبعث إليه عكرمة يدعوه إلى الله وإلى السّمع والطاعة ، فاغترّ بكثرة من معه وازداد مخالفة لشخريت ، فتمادى على طغيانه ، فسار إليه عكرمة بمن معه من الجنود فاقتتلوا مع المُصَبِّح أشد من قتال دبا المتقدم ، ثم فتح الله بالظفر والنصر ، ففر المشركون وقتل المُصَبِّح ، وقتل خلق كثير من قومه ، وغنم المسلمون أموالهم ، فكان فى جملة ما غنموا : ألفا نجيبة ، فخمّس عكرمة ذلك كله وبعث بخمسه إلى الصديق مع شخريت ، وأخبره بما فتح الله عليه ، والبشارة مع رجل يقال له : السّائب ، من بنى عابد من مخزوم ، وقد قال فى ذلك رجل يقال له عُلْجُوم :

جَزَى اللهُ شِخْرِيتاً وأفناء هَيْثم ... وفِرْضِمَ إذ سارت إلينا الحلائب[1]

جزاء مُسِيئٍ لم يراقِب لذمّةٍ ... ولم يَرْجُها فيما يُرَجِّى الأقاربُ

أعِكْرِمَ لولا جَمعُ قومى وفِعْلهمُ ... لضاقت عليكم بالفضاء المذاهبُ

وكنّا كمن اقتادَ كفاً بأختها ... وحَلّت علينا فى الدُّهور النوائب

وأما أهل اليمن ؛ فقد قدمنا أن الأسود العنسى ـ لعنه الله ـ لما نبغ باليمن ، أضلّ خلقا كثيرا من ضعفاء العقول والأديان ؛ حتى ارتد كثير منهم أو أكثرهم عن الإسلام ، وأنه لما قتله الأمراء الثلاثة ؛ قيس بن مَكْشوح ، وفيروز الدّيلمى ، ودَاذَوَيه ، وكان ما قدمنا ذكره ، ولمّا بلغهم موتُ رسول الله ﷺ ازداد بعض أهل اليمن فيما كانوا فيه من الحَيرة والشك ، أجارنا الله من ذلك ، وطمع قيس بن مَكْشوح فى الإمرة باليمن ، فعمل لذلك ، وارتدّ عن الإسلام وتابعه عوامّ أهل اليمن ، وكتب الصديق إلى الأمراء والرؤساء ـ من أهل اليمن ـ أن يكونوا عوناً إلى فيروز والأبناء ـ على قيس بن مكشوح حتى تأتيهم جنوده سريعا ، وحرص قيس على قتل الأميرين الأخيرين ، فلم يقدر إلا على دَاذَويه ، واحترز منه فيروز الديلمى ، وذلك أنه عمل طعاما وأرسل إلى دَاذَويه أولاً ، فلما جاءه عجّل عليه فقتله ، ثم أرسل إلى فيروز ليحضر عنده ، فلما كان ببعض الطريق سمع امرأة تقول لأخرى : وهذا أيضا والله مقتول كما قُتل صاحبه ، فرجع من الطريق وأخبر أصحابه بقتل دَاذَويه ، وخرج إلى أخواله خَوْلان ، فتحصن عندهم ، وساعدته عُقيل وعَكّ وخلق ، وعمد قيس إلى ذرارى فيروز وداذويه والأبناء فأجلاهم عن اليمن ، وأرسل طائفة فى البر وطائفة فى البحر ، فاحتدّ فيروز فخرج فى خلق كثير ، فتصادف هو وقيس فاقتتلوا قتالا شديدا فهزم قيساً وجنده من العوام ، وبقية جند الأسود العنسى ، فهزموا فى كل وجه وأسر قيس

(١) الحلائب : الجماعات من الخيل ، جمع حلبة ـ بالفتح ـ وهى الدفعة من الخيل فى الرهان . وخيل تجتمع للسباق من كل أوب

وَعمْرو بن معدى كرب ، وكان عمرو قد ارتدّ أيضاً ، وبايع الأسود العنسى . وبعث بهما المهاجر ابن أبى أميــة إلى أبى بكر أسيرين ، فعنّفهما وأنّبهما ، فاعتذرا إليــه فقبل منهما علانيتهما ، ووكلَ سرائرهما إلى الله عز وجل ، وأطلق سراحهما وردّهما إلى قومهما ورجعت عمال رسول الله ﷺ الذين كانوا باليمن إلى أماكنهم التى كانوا عليها فى حياته عليه السلام بعد حروب طويلة ، لو استقصينا إيرادها لطال ذكرها .

وملخصها : أنه ما من ناحية من جزيرة العرب إلاّ وحصل فى أهلها ردّة لبعض الناس ، فبعث الصديق إليهم جيوشا وأمراء يكونون عونا لمن فى تلك الناحية من المؤمنين ، فلا يتواجَه المشركون والمؤمنون فى مَوطن من تلك المواطن ، إلا غلب جيش الصديق لمن هناك من المرتدين ، ولله الحمد والمنة ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وغنموا مغانم كثيرة ؛ فيتقوّون بذلك على من هنالك ، ويبعثون بأخماس ما يغنمون إلى الصديق فينفقه فى الناس ، فيحصل لهم قوة أيضاء ويستعدون به على قتال من يريدون قتالهم من الأعاجم والروم ، على ما سيأتى تفصيله ولم يزل الأمر كذلك حتى لم يبق بجزيرة العرب إلا أهل طاعة لله ولرسوله ، وأهل ذمّة من الصديق ؛ كأهل نجران وما جرى مجراهم ، ولله الحمد . وعامة ما وقع من هذه الحروب كان فى أواخر سنة إحدى عَشرة وأوائل سنة ثنتى عشرة ولنذكر بعد إيراد هذه الحوادث مَنْ تُوفى فى هذه السنة من الأعيان والمشاهير، وبالله المستعان . وفيها رجع معاذ بن جبل من اليمن . وفيها استقضى أبو بكر الصديق عمر بن الخطاب رضى الله عنهما .

ذكر من توفى فى هذه السنة

- أعنى سنة إحدى عشرة - من الأعيان والمشاهير، وذكرنا معهم مَن قُتل باليمامة،لأنها كانت فى سنة إحدى عَشرة على قول بعضهم ، وإن كان المشهور أنها فى ربيع سنة ثنتى عشرة .

توفى فيها : رسول الله ﷺ - محمد بن عبد الله - سيّد ولد آدم فى الدنيا والآخرة ، وذلك فى ربيعها الأول يوم الاثنين ثانى عشرة على المشهور ، كما قدمنا بيانه . وبعده بستة أشهر على الأشهر ، توفيت ابنتهُ فاطمة رضى الله عنها ، وتكنى بأم أبيها . وقد كان صلوات الله وسلامه عليه عَهد إليها أنها أول أهله لحوقا به ، وقال لها مع ذلك : أما ترضَين أن تكونى سيدة نساء أهل الجنة ؟ وكانت أصغر بنات النبى ﷺ على المشهور ولم يبق بعده سواها ، فلهذا عَظُم أجرها لأنها أصيبت به عليه السلام. ويقال : إنها كانت تَوأماً لعبد الله ابن رسول الله ﷺ، وليس له عليه السلام نَسلٌ إلا من جهتها . قال الزبير بن بكار : وقد روى أنه عليه السلام ليلة زفاف عَلىٍّ على فاطمة، توضأ وصَبَّ عليه وعلى فاطمةَ ، ودعا لهما أن يبارك فى نسلهما. وقد تزوجها ابنُ عمّها على بن أبى طالب بعد الهجرة ، وذلك بعد بدر ، وقيل : بعد أُحُد ، وقيل بعد تزويج رسول الله ﷺ

عائشة بأربعة أشهر ونصف . وبنى بها بعد ذلك بسبعة أشهر ونصف ، فأصدقها دِرْعَهُ الحُطَمِيَّة وقيمتها أربعمائة درهم ، وكان عمرها إذ ذاك خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ، وكان عليّ أسن منها بست سنين . وقد وردت أحاديث موضوعة فى تزويج على بفاطمة لم نذكرها رغبة عنها . فولدت له حَسَنًا، وحُسَيْنا، ومُحسِنا، وأم كلثوم - التى تزوج بها عمر بن الخطاب بعد ذلك .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، أنا عطاء بن السائب عن أبيه عن عليّ ، أن رسول الله لما زوجه فاطمة، بعث معها بخميلة ووسادة من أدم حشوها ليف ، ورحًى وسقاء وجرّتين ، فقال على لفاطمة ذات يوم : والله لقد سَنَوْتُ[1] حتى لقد اشتكيت صدرى ، وقد جاء الله أباك بسَبْى فاذهبى فاستخدميه[2] ، فقالت : وأنا والله لقد طحنت حتى مَجَلَت[3] يداى ، فأتت النبى ﷺ فقال : ما جاء بك أى بنية ؟ قالت: جئت لأسلّم عليك- واستحيت أن تسأله - ورجعت ، فقال : ما فعلت ؟ قالت : استحييت أن أسأله، فأتياه جميعا فقال على: يارسول الله، والله لقد سَنَوْتُ حتى اشتكيت صدرى ، وقالت فاطمة : لقد طحنت حتى مَجَلت يداى ، وقد جاءك الله بسَبْى وسَعة فأخْدِمنا ، فقال : والله لا أعطيكما وأدع أهل الصُّفة تَطْوَى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم ، فرجعا، فأتاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد دخلا فى قطيفتهما، إذا غطّت رءوسهما تكشفت أقدامهما، وإذا غطّت أقدامهما تكشفت رءوسهما ، فثارا ، فقال: مكانكما ، ثم قال: ألا أخبركما بخير مما سألتمانى؟ قالا: بلى ، قال : كلمات علّمنيهن جبريل، تسبّحان الله فى دُبر كلّ صلاة عشرا ، وتحمدانه عشرا ، وتكبّرانه عشرا، وإذا آويتما إلى فراشكما فسبّحا ثلاثا وثلاثين، وحمَدا ثلاثا وثلاثين وكبرا أربعا وثلاثين، قال: فوالله ما تركتهنّ منذ علّمنيهن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فقال له ابن الكوا[4] : ولا ليلة صفّين ؟ فقال : قاتلكم الله يا أهل العراق، نعم ولا ليلة صفّين .

وآخر هذا الحديث ثابت فى الصحيحين من غير هذا الوجه ؛ فقد كانت فاطمة صابرة مع عليّ على جهد العيش وضيقه ، ولم يتزوج عليها حتى ماتت ، ولكنه أراد أن يتزوّج فى وقت- بدرة بنت أبى جهل ، فأنِف رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك ،وخطب الناس فقال : لا أحرّم حلالاً ولا أحِلُّ حراما ، وإن فاطمة بضعة منى يَرِيبنى ما رابها ، ويؤذينى ما آذاها ، وإنى أخشى أن تفتن عن دينها ، ولكن إن أحبّ ابن أبى طالب أن يطلقها ويتزوج بنت أبى جهل ، فإنه والله لا تجتمع بنتُ نبى الله وبنتُ عدوّ الله تحت رجل واحد أبدا ، قال : فترك عليّ الخطبة .

---

(١) أى : استقيت ومنه السانية ، وهى الناقة التى يستقى عليها

(٢) أى : اسأليه خادما . ولفظ الخادم يقع على الذكر والأنثى

(٣) أى : ثخن جلدها وظهر فيها ما يشبه البثر من العمل بالأشياء الصلبة الخشنة

(٤) هو عبد الله بن الكواء ،كان من رءوس الخوارج، ثم رجع عن مذهبه وعاد لصحبة على .

ولما مات رسول الله ﷺ سألت من أبي بكر الميراث، فأخبرها أن رسول الله ﷺ قال: لا نُورَث ما تركنا فهو صدقة، فسألت أن يكون زوجُها ناظرا على هذه الصدقة، فأبى ذلك وقال: إنى أعولُ مَن كان رسول الله يعُول، وإنى أخشى إن تركت شيئا مما كان رسول الله ﷺ يفعله - أن أضِلّ، ووالله لقرابةُ رسول الله ﷺ أحبُّ إلىّ أن أصل من قرابتى، فكأنها وَجدت فى نفسها من ذلك، فلم تزل تبغضهُ مدة حياتها. فلما مرضت جاءها الصديق فدخل عليها فجعل يترضاها وقال: والله ما تركتُ الدار والمالَ والأهلَ والعشيرة إلا ابتغاء مرضاة الله ومرضاة رسوله ومرضاتكم أهلَ البيت، فرضيت رضى الله عنهما. رواه البيهقى من طريق إسماعيل بن أبى خالد عن الشعبى، ثم قال: وهذا مرسل حسن بإسناد صحيح. ولما حضرتها الوفاة أوصت إلى أسماء بنت عُميس - امرأة الصديق - أن تغسّلها، فغسلتها هى وعلىّ بن أبى طالب وسلمى أم رافع، قيل: والعباس بن عبد المطلب. وما روى من أنها اغتسلت قبل وفاتها وأوصت أن لا تُغسل بعد ذلك - فضعيف لا يعول عليه والله أعلم. وكان الذى صلّى عليها زوجُها علىّ، وقيل: عمها العباس، وقيل: أبو بكر الصديق فالله أعلم. ودفنت ليلا وذلك ليلة الثلاثاء لثلاث خلَوْن من رمضان سنة إحدى عشرة. وقيل: إنها توفيت بعده عليه السلام بشهرين، وقيل: بسبعين يوما، وقيل: بخمسة وسبعين يوما، وقيل: بثلاثة أشهر، وقيل: بثمانية أشهر، والصحيح ما ثبت فى الصحيح من طريق الزهرى عن عروة عن عائشة، أن فاطمة عاشت بعد النبى ﷺ ستة أشهر، ودفنت ليلاً، ويقال إنها لم تضحك فى مدة بقائها بعده عليه السلام، وأنها كانت تذوب من حُزنها عليه، وشوقها إليه. واختلف فى مقدار سنها يومئذ؛ فقيل: سبع - وقيل: ثمان - وقيل: تسع وعشرون، وقيل: ثلاثون، وقيل: خمسٌ وثلاثون سنة، وهذا بعيد وما قبله أقرب منه، والله أعلم. ودفنت بالبقيع وهى أول من ستر سريرها. وقد ثبت فى الصحيح أن عليا كان له وَجهة[1] من الناس حياة فاطمة، فلما ماتت التمس مُبايعة الصديق فبايعه كما هو مروى فى البخارى، وهذه البَيعة لإزالة ما كان وَقع من وَحشة حصلت بسبب الميراث، ولا ينفى ما ثبت من البَيعة المتقدمة عليها كما قررنا. والله أعلم.

وممن توفى فى هذه السنة: أم أيمن - بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصين بن مالك بن سلمة ابن عمرو بن النعمان - مولاة رسول الله ﷺ وَرِثها من أبيه، وقيل: من أمه، وحَضنته وهو صغير، وكذلك بعد ذلك، وقد شربت بوله فقال لها: لقد احتضَرت[2] بحضار من النار، وقد أعتقها وزوجها عبيدا فولدت منه ابنها أيمن فعرفت به، ثم تزوجها زيد بن حارثة - مولى رسول الله،

---

(١) الوجهة: الراحة والتخلص من الهموم والأحزان

(٢) أى: عدوت، والحضار: البيض من الإبل الواحد والجمع فى ذلك سواء

فولدت أسامة بن زيد ، وقد هاجرت الهجرتين: إلى الحبشة والمدينة، وكانت من الصالحات، وكان عليه السلام يزورها فى بيتها ويقول : هى أمىّ بعد أمىّ . وكـذلك كان أبو بكر وعمر يزورانها فى بيتها ، كما تقدم ذلك فى ذكر الموالى. وقد توفيت بعده عليه السلام بخمسة أشهر، وقيل بستة أشهر.

ومنهم: ثابت بن أقرم بن ثعلبة ، بن عدى بن العجلان البلوى ـ حليف الأنصار ، شهد بدراً وما بعدها ، وكان ممن حضر مؤتة ، فلما قتل عبد الله بن رواحة دفعت الراية إليه فسلمها لخالد بن الوليد ، وقال : أنت أعلم بالقتال منى . وقد تقدم أن طليحة الأسدى قتله ، وقتل معه عكاشة بن محصن وذلك حين يقول طليحة :

عشية غادرت ابن أقرم ثاويا وعكاشـــــة الغنمى تحت مجال

وذلك فى سنة إحدى عشرة ، وقيل سنة ثنتى عشرة . وعن عروة أنه قتل فى حياة النبى ﷺ وهذا غريب ، والصحيح الأول ، والله أعلم .

ومنهم : ثابت بن قيس بن شماس — الأنصارى الخزرجى ، أبو محمد خطيب الأنصار ، ويقال له أيضاً : خطيب النبى ﷺ ، وقد ثبت عنه عليه السلام أنه بشره بالشهادة ، وقد تقدم الحديث فى دلائل النبوة ، فقتل يوم اليمامة شهيداً ، وكانت راية الأنصار يومئذ بيده . وروى الترمذى بإسناد على شرط مسلم ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله قال : نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس وقال أبو القاسم الطبرانى : ثنا أحمد بن المعلى الدمشقى ، ثنا سليمان بن عبد الرحمن ، ثنا الوليد بن مسلم ، حدثنى عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، عن عطاء الخراسانى قال : قدمت المدينة فسألت عمن يحدثنى بحديث ثابت بن قيس بن شماس ، فأرشدونى إلى ابنته ، فسألتها فقالت : سمعت أبى يقول : لما أنزل على رسول الله ﷺ : (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ[1]) اشتدت على ثابت وغلق عليه بابه ، وطفق يبكى ، فأخبر رسول الله فسأله ، فأخبره بما كبر عليه منها ، وقال : أنا رجل أحب الجمال ، وأنا أسود قومى ، فقال : إنك لست منهم ؛ بل تعيش بخير وتموت بخير ، ويدخلك الله الجنة ، فلما أنزل على رسول الله : (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ[2]) فعل مثل ذلك ، فأخبر النبى ﷺ فأرسل إليه فأخبره بما كبر عليه منها ، وأنه جهير الصوت ، وأنه يتخوف أن يكون ممن حبط عمله ، فقال : إنك لست منهم ، بل تعيش حميدا وتقتل شهيداً ويدخلك الله الجنة ، فلما استنفر أبو بكر المسلمين إلى أهل الردة واليمامة ومسيلمة الكذاب ، سار ثابت فيمن سار ، فلما لقوا

---

(١) من الآية : ١٨ من سورة لقمان (٢) من الآية : ٢ من سورة الحجرات

مسيلمة وبنى حنيفة - هزموا المسلمين ثلاث مرات ، فقال ثابت وسالم مولى أبى حذيفة : ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله ، ﷺ لحملا لأنفسهما حفرة فدخلا فيها فقاتلا حتى قُتلا . قالت : ورأى رجل من المسلمين ثابت بن قيس فى منامه فقال : إنى لما قُتلت بالأمس مرّ بى رجل من المسلمين فانتزع منى درعاً نفيسةً ومنزله فى أقصى العسكر ، وعند منزله فرس يستن(١) فى طوله ، وقد أكفأ على الدرع بُرمة ، وجعل فوق البرمة رحلا ، وائت خالد بن الوليد فليبعث إلى درعى فليأخذها ، فإذا قدمت على خليفة رسول الله فأعلمه أن علىّ من الدّين كذا ولى من المال كذا وفلان من رقيقى عتيق ، وإياك أن تقول : هذا حلم فتضيعه ، قال : فأتى خالداً فوجه إلى الدرع فوجدها كما ذكر ، وقدم على أبى بكر فأخبره ، فأنفذ أبو بكر وصيته بعد موته فلا نعلم أحداً جازت وصيته بعد موته - إلا ثابت بن قيس بن شماس . ولهذا الحديث وهذه القصة شواهد أخر ، والحديث المتعلق بقوله : (لا ترْفَعُوا أصْواتَكُمْ فَوقَ صَوْتِ النَّبى) فى صحيح مسلم عن أنس . وقال حماد بن سلمة : عن أنس ، أن ثابت بن قيس بن شماس ، جاء يوم اليمامة وقد تحنّط ونشر أكفانه وقال : اللهم إنى أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء . فقتل ، وكانت له درع فسرقت ، فرآه رجل فيما يرى النائم فقال : إن درعى فى قدر تحت الكانون فى مكان كذا وكذا ، وأوصاه بوصايا ، فطلبوا الدرع فوجدوها وأنفذوا الوصايا رواه الطبرانى أيضاً .

ومنهم : حَزن بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران المخزومى ، له هجرة ويقال : أسلم عام الفتح ، وهو جد سعيد بن المسيب ، أراد رسول الله ﷺ أن يسميه سهلا فامتنع وقال : لا أغير اسماً سمانيه أبواى ، فلم تزل الحزونة فينا استشهد يوم اليمامة وقتل معه أيضا ابناه : عبد الرحمن ووهب ، وابن ابنه حكيم بن وهب بن حزن . وممن استشهد فى هذه السنة : دَاذَوَيه الفارسى - أحد أمراء اليمن الذين قتلوا الأسود العنسى ؛ قتله غِيلة قيس بن مَكْشوح حين ارتد قبل أن يرجع قيس إلى الإسلام ، فلما عنفه الصديق على قتله أنكر ذلك ، فقبل علانيته وإسلامه .

ومنهم : زيد بن الخطاب ، بن نفيل القرشى العدى أبو محمد ، وهو أخو عمر بن الخطاب لأبيه ، وكان زيد أكبر من عمر ، أسلم قديما ، وشهد بدراً وما بعدها ، وقد آخى رسول الله ﷺ بينه وبين معن بن عدى الأنصارى وقد قتلا جميعا باليمامة ، وقد كانت راية المهاجرين يومئذ بيده ، فلم يزل يتقدم بها حتى قتل فسقطت ، فأخذها سالم مولى أبى حذيفة . وقد قتل زيد يومئذ الرجال بن عنفوة ، واسمه : نَهار . وكان الرجال هذا قد أسلم وقرأ البقرة ، ثم ارتد ورجع فصدق مسيلمة ، وشهد له بالرسالة فحصل به فتنة عظيمة فكانت وفاته على يد زيد - رضى الله عن زيد . ثم

(١) أى يقمص . والقمص أن يرفع يديه ويطرحهما معاً ويعجن برجليه .

قتل زيداً رجل يقال له : أبو مريم الحنفي ، وقد أسلم بعد ذلك وقال لعمر : يا أمير المؤمنين: إن الله أكرم زيدا بيدى ولم يُهنّى على يده وقيل : إنما قتله سلمة بن صبيح ابن عم أبي مريم هذا ، ورجحه أبو عمر وقال : لأن عمر استقضى أبا مريم ، وهذا لا يدل على نفى ما تقدم ، والله أعلم .
وقد قال عمر لما بلغه مقتل زيد بن الخطاب : سبقنى إلى الحسنيين : أسلم قبلى ، واستشهد قبلى .
وقال لمتمم بن نويرة حين جعل يرثى أخاه مالكا بتلك الأبيات المتقدم ذكرها : لو كنتُ أحسن الشعر لقلت كما قلت ، فقال له متمم : لو أن أخى ذهب على ما ذهب عليه أخوك ماحزنت عليه ، فقال له عمر : ما عزانى أحد بمثل ما عزيتنى به . ومع هذا كان عمر يقول : ما هبت الصبا إلا ذكرتنى زيد بن الخطاب ، رضى الله عنه .

ومنهم: سالم بن عبيد ـ ويقال : ابن يَعْمل ـ مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وإنما كان معتقا لزوجته بثينة بنت معاذ ، وقد تبناه أبو حذيفة وزوجه بابنة أخيه فاطمة بنت الوليد بن عتبة فلما أنزل الله: (ادعُوهُمْ لآبائِهِم[1]) جاءت امرأة أبى حذيفة ـ سهلة بنت سهل بن عمرو ـ فقالت: يا رسول الله! إن سالما يدخل علىّ وأنا غُفُل[2]، فأمرها أن ترضعه فأرضعته ، فكان يدخل عليها بتلك الرضاعة . وكان من سادات المسلمين ، أسلم قديما وهاجر إلى المدينة قبل رسول الله ﷺ ، فكان يصلى بمن بها من المهاجرين ، وفيهم عمر بن الخطاب لكثرة حفظه القرآن ، وشهد بدراً وما بعدها . وهو أحد الأربعة الذين قال فيهم رسول الله ﷺ : استقرئوا القرآن من أربعة، فذكر منهم سالما مولى أبى حذيفة. وروى عن عمر أنه قال لما احتضر : لو كان سالم حيا لما جعلتها شورى. قال أبو عمر بن عبد البر : معناه أنه كان يصدر عن رأيه فيمن يوليه الخلافة . ولما أخذ الراية يوم اليمامة بعد مقتل زيد بن الخطاب،قال له المهاجرون : أتخشى أن نؤتى من قبلك ؟ فقال : بئس حامل القرآن أنا إذاً . انقطعت يده اليمنى فأخذها بيساره، فقطعت فاحتضنها وهو يقول : (وما مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ[3])، (وكأيِّن مِنْ نَبِىٍّ قاتَلَ معه رِبِّيُّون كَثِير[4]) فلما صرع قال لأصحابه : ما فعل أبو حذيفة ؟ قالوا : قتل، قال: فما فعل فلان؟ قالوا : قتل ، قال : فأضجعونى بينهما . وقد بعث عمر بميراثه إلى مولاته التى اعتقته « بثينة » ، فردته وقالت : إنما اعتقته سائبةً ، فجعله عمر فى بيت المال .

---

(١) من الآية : ٥ من سورة الأحزاب . (٢) أى : ساهية غير متنبهة .
(٣) من الآية : ١٤٤ من سورة آل عمران
(٤) من الآية : ١٤٦ من السورة نفسها .

ومنهم أبو دُجانة سِماك بن خرَشة ـ ويقال: سماك بن أوس بن خرشة بن لوذان بن عبد ودّ بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصارى الخزرجى . شهد بدرا وأبلى يوم أحد ، وقاتل شديداً ، وأعطاه رسول الله ﷺ يومئذ سيفاً فأعطاه حقه وكان يتبختر عند الحرب ، فقال عليه السلام : إن هذه لَمِشية يبغضها الله ، إلا فى هذا الموطن . وكان يَعْصب رأسه بعصابة حمراء ، شعاراً له بالشجاعة . وشهد اليمامة ، ويقال: إنه ممن اقتحم على بنى حنيفة يومئذ الحديقة فانكسرت رجله ، فلم يزل يقاتل حتى قتل يومئذ . وقد قتل مسيلمة مع وحشى بن حرب ، رماه وحشى بالحربة ، وعلاه أبو دجانة بالسيف . قال وحشى : فربك أعلم أينا قتله وقد قيل إنه عاش حتى شهد صفّين مع على ، والأول أصح . وأما ما يروى عنه من ذكر الحرز المنسوب إلى أبى دجانة ، فإسناده ضعيف ولا يلتفت إليه ، والله أعلم .

ومنهم : شجاع بن وهب ـ بن ربيعة الأسدى ، حليف بنى عبد شمس ، أسلم قديماً وهاجر وشهد بدرا وما بعدها . وكان رسول رسول الله إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى فلم يسلم ، وأسلم حاجبه سِوَى ، واستشهد شجاع بن وهب يوم اليمامة عن بضع وأربعين سنة ، وكان رجلا طُوالا نحيفاً أحنى .

ومنهم : الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم بن فهر بن غَنْم بن دوس الدّوسى أسلم قديما قبل الهجرة ، وذهب إلى قومه فدعاهم إلى الله فهداهم الله على يديه ، فلما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة ، جاءه بتسعين أهل بيت من دوس مسلمين . وقد خرج عام اليمامة مع المسلمين ومعه ابنه عمرو ، فرأى الطفيل فى المنام كأن رأسه قد حُلق ، وكأن امرأة أدخلته فى فرجها ، وكأن ابنه يجتهد أن يلحقه فلم يصل ، فأوّلها بأنه سيقتل ويدفن ، وأن ابنه يحرص على الشهادة فلا ينالها عامه ذلك ، وقد وقع الأمر كما أولها ، ثم قتل ابنه شهيدا يوم اليرموك كما سيأتى .

ومنهم : عباد بن بشر بن وقش الأنصارى ـ أسلم على يدى مصعب بن عمير قبل الهجرة ، قبل إسلام معاذ ، وأسيد بن الحضير ، وشهد بدراً وما بعدها . وكان ممن قتل كعب بن الأشرف ، وكانت عصاه تضىء له إذا خرج من عند رسول الله فى ظلمة . قال موسى بن عقبة عن الزهرى : قتل يوم اليمامة شهيدا عن خمس وأربعين سنة ، وكان له بلاء وعناء . وقال محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن عائشة قالت : تهجد رسول الله فسمع صوت عباد فقال : اللهم اغفر له .

ومنهم : السائب بن عثمان بن مظعون ـ بدريّ من الرماة ، أصابه يوم اليمامة سهم فقتله وهو شاب ، رحمه الله .

ومنهم: السائب بن العوام ـ أخو الزبير بن العوام، استشهد يومئذ رحمه الله .

ومنهم عبد الله بن سهيل بن عمرو ـ بن عبد شمس بن عبدودّ القرشي العامرى . أسلم قديماً وهاجر،ثم استضعف بمكة ، فلما كان يوم بدر خرج معهم ، فلما تواجهوا فرّ إلى المسلمين فشهدها معهم ، وقتل يوم اليمامة فلما حج أبو بكر عزّى أباه فيه، فقال سهيل : بلغنى أن رسول الله ﷺ قال : إن الشهيد ليشفع لسبعين من أهله ، فأرجو أن يبدأ بى .

ومنهم: عبد الله بن عبد الله بن أبىّ بن سلول ـ الأنصارى الخزرجي . كان من سادات الصحابة وفضلائهم . شهد بدرا وما بعدها، وكان أبوه رأس المنافقين ، وكان أشد الناس على أبيه ، ولو أذن له رسول الله فيه لضرب عنقه ، وكان اسمه الحباب، فسماه رسول الله ﷺ :عبد الله ، وقد استشهد يوم اليمامة رضى الله عنه .

ومنهم: عبد الله بن أبى بكر الصديق ـ أسلم قديما ، ويقال : إنه الذى كان يأتى بالطعام والشراب والأخبار إلى رسول الله ﷺ وإلى أبى بكر وهما بغار ثور ، ويبيت عندهما ويصبح بمكة كبائت ، فلا يسمع بأمر يكادان به إلا أخبرهما به . وقد شهد الطائف ، فرماه رجل يقال له أبا محْجَن الثقفى بسهم فذوى[1] منها فاندملت، ولكن لم يزل منها صمتا حتى مات[2] فى شوال سنة إحدى عشرة .

ومنهم: عُكاشة بن مِحْصَن ـ بن حرثان بن قيس بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد ابن خزيمة الأسدى ـ حليف بنى عبد شمس ، يكنى أبا مِحْصَن . وكان من سادات الصحابة وفضلائهم هاجر وشهد بدراً وأبلى يومئذ بلاء حسناً، وانكسر سيفه فأعطاه رسول الله يومئذ عُرجونا فعاد فى يده سيفاً أمضى من الحديد، شديد المتن. وكان ذلك السيف يسمى العَون . وشهد أحداً والخندق وما بعدها . ولما ذكر رسول الله ﷺ السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب،فقال عكاشة: يا رسول الله! ادع الله أن يجعلنى منهم، فقال : اللّهم اجعله منهم. ثم قام رجل آخر فقال : يارسول الله ادع أن يجعلنى منهم ، فقال : سبقك بها عكاشة . والحديث مروى من طرق تفيد القطع . وقد خرج عكاشة مع خالد يوم إمرة الصديق بذى القَصة، فبعثه وثابت بن أقرم بين يديه طليعة، فتلقاهما طليحة الأسدى وأخوه سلمة فقتلاهما ، وقد قتل عكاشة قبل مقتله حبال بن طليحة ، ثم أسلم طليحة بعد ذلك كما ذكرنا ، وكان عمر عكاشة يومئذ أربعا وأربعين سنة ، وكان من أجمل الناس رضى الله عنه .

---

(١) أى : ذبل . (٢) عبارة الحافظ بن عبد البر « فدمل جرحه حتى انتقض به فمات » .

ومنهم : معن بن عدى ـ بن الجعد بن عجلان بن ضبيعة البلوى ، حليف بنى عمرو بن عوف ، وهو أخو عاصم بن عدى، شهد العقبة وبدراً وأحداً والخندق وسائر المشاهد ، وكان قد آخى رسول الله ﷺ بينه وبين زيد بن الخطاب ، فقتلا جميعا يوم اليمامة رضى الله عنهما . وقال مالك عن ابن شهاب عن سالم عن أبيه قال : بكى الناس على رسول الله ﷺ حين مات ، وقالوا : والله وددنا أنا متنا قبله ونخشى أن نفتتن بعده ، فقال معن بن عدى : لكنى والله ما أحب أن أموت قبله لأصدقه ميتاً كما صدقته حياً .

ومنهم : الوليد وأبو عبيدة ـ ابنا عمارة بن الوليد بن المغيرة ، قتلا مع عمهما خالد بن الوليد بالبطاح وأبوهما عمارة بن الوليد ـ وهو صاحب عمرو بن العاص إلى النجاشي، وقضيته مشهورة.

ومنهم : أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ـ بن عبد شمس القرشي العبشمي . أسلم قديماً قبل دار الأرقم ، وهاجر إلى الحبشة وإلى المدينة، وشهد بدرا وما بعدها ، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين عباد بن بشر ، وقد قتلا شهيدين يوم اليمامة . وكان عمر أبى حذيفة يومئذ ثلاثا أو أربعا وخمسين سنة . وكان طويلا حسن الوجه أثعل ـ وهو الذى له سن زائدة ، وكان اسمه مشيم، وقيل هاشم .

ومنهم: أبو دجانة - واسمه سماك بن خرشة تقدم قريبا . وبالجملة فقد قتل من المسلمين يوم اليمامة أربعمائة وخمسون من حملة القرآن ومن الصحابة وغيرهم ، وإنما أوردنا هؤلاء لشهرتهم وبالله المستعان.

قلت : وممن استشهد يومئذ من المهاجرين : مالك بن عمرو ـ حليف بنى غنم ـ مهاجرى بدرى ، ويزيد بن رقيش بن رباب الأسدى بدرى ، والحكم بن سعيد بن العاص بن أمية الأموى ، وحسن ابن مالك بن بحينة، أخو عبد الله بن مالك الأزدى ـ حليف بنى المطلب بن عبد مناف ، وعامر بن البكر الليثى ـ حليف بنى عدى، بدرى ومالك بن ربيعة حليف بنى عبد شمس، وأبو أمية صفوان ابن أمية بن عمرو ، ويزيد بن أوس حليف بنى عبد الدار ، وحيى ويقال : معلى بن حارثة الثقفى ، وحبيب بن أسيد بن حارثة الثقفى ، والوليد بن عبد شمس المخزومى ، وعبد الله بن عمرو بن بجرة العدوى ، وأبو قيس بن الحارث بن قيس السهمى ـ وهو من مهاجرة الحبشة ، وعبد الله بن الحارث ابن قيس ، وعبد الله بن مخرمة بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبد ود بن نصر العامرى ـ من المهاجرين الأولين ، شهد بدرا ، وما بعدها وقتل يومئذ . وعمرو بن أويس بن سعد بن أبى سرح العامرى ، وسليط بن عمرو العامرى ، وربيعة بن أبى خرشة العامرى ، وعبد الله بن الحارث بن رخصة ـ من بنى عامر .

ومن الأنصار ـ غير من ذكرنا تراجمهم : عمارة بن حزم بن زيد بن لوذان النجارى ، وهو أخو عمرو بن حزم ؛ كانت معه راية قومه يوم الفتح ، وقد شهد بدرا وقتل يومئذ .

وعقبة بن عامر بن نابى بن زيد بن حرام السلمى ، شهد العقبة الأولى وشهد بدراً وما بعدها .

وثابت بن هزال - من بنى سالم بن عوف ، بدرىّ فى قول . وأبو عقيل بن عبد الله بن ثعلبة من جَحْجَبى ، شهد بدرا وما بعدها ، فلما كان يوم اليمامة أصابه سهم فنزعه ثم تحزّم وأخذ سيفه فقاتل حتى قتل ، وقد أصابته جراحات كثيرة . وعبد الله بن عتيك ، ورافع بن سهل .

وحاجب بن يزيد الأشهلى . وسهل بن عدى . ومالك بن أوس . وعمر بن أوس .

وطلحة بن عتبة من بنى جَحْجَبى . ورباح مولى الحارث . ومعن بن عدى . وجزء بن مالك ابن عامر من بنى جَحْجَبى ، وورقة بن إياس بن عمرو الخزرجى بدرى . ومروان بن العباس . وعامر بن ثابت . وبشر بن عبد الله الخزرجى . وكليب بن تميم . وعبد الله بن عتبان .

وإياس بن وديعة ، وأسيد بن يربوع وسعد بن حارثة ، وسهل بن حمان ، ومحاسن بن حمير وسلمة بن مسعود ، وقيل : مسعود بن سنان ، وضمرة بن عياض ، وعبد الله بن أنيس .

وأبو حبّة بن غزّية المازنى ، وخباب بن زيد ، وحبيب بن عمرو بن محصن ، وثابت بن خالد ، وفروة بن النعمان ، وعائذ بن ماعص ، ويزيد بن ثابت بن الضحاك - أخو زيد بن ثابت .

قال خليفة بن خيّاط : فجميع من استشهد من المهاجرين والأنصار يوم اليمامة - ثمانية وخمسون رجلاً ، يعنى وبقية الأربعمائة والخمسين من غيرهم ، والله أعلم .

وقد قتل من الكفار فيما سقنا من المواطن التى التقى فيها المسلمون والمشركون فى هذه وأوائل التى قبلها - ما ينيف على خمسين ألفاً ، ولله الحمد والمنة ، وبه التوفيق والعصمة .

فمن مشاهيرهم : الأسود العنسى - لعنه الله ، واسمه : عَبْهلة بن كعب بن غوث ؛ خرج أول مخرجه من بلدة باليمن يقال لها كهف خُبان ، ومعه سبعمائة مقاتل ، فما مضى شهر حتى تملك صنعاء ، ثم استوثقت له اليمن بحذافيرها فى أقصر مدة ، وكان معه شيطان يحذق له ، ولكن خانه أحوج ما كان إليه . ثم لم تمض له ثلاثة أشهر أو أربعة أشهر ، حتى قتله الله على يدى إخوان صدق ، وأمراء حق ، كما قدمنا ذكره ، وهم داذويه الفارسى ، وفيروز الديلمى ، وقيس بن مكشوح المرادى ، وذلك فى ربيع الأول من سنة إحدى عشرة - قبل وفاة رسول الله ﷺ بليال وقيل : بليلة ، فالله أعلم .

وقد أطلع الله رسوله ليلة قتله على ذلك كما أسلفناه .

ومنهم : مسيلمة بن حبيب اليمامى الكذاب - لعنه الله - قدم المدينة وافداً إلى رسول الله ﷺ مع قومه بنى حنيفة ، وقد وقف عليه رسول الله ﷺ فسمعه وهو يقول : إن جعل لى محمد الأمر من بعده اتبعته ، فقال له : لو سألتنى هذا العود - لعرجون فى يده - ما أعطيتكه ، ولئن أدبرت ليعقرنك الله ، وإنى لأراك الذى أريتُ فيه ما أريت ، وكان رسول الله ﷺ قد رأى فى المنام

كان فى يده سوارين من ذهب فأهمه شأنهما ، فأوحى الله إليه فى المنام انفخهما ، فنفخهما فطارا ، فأولهما بكذابين يخرجان ، وهما: صاحب صنعاء، وصاحب اليمامة . وهكذا وقع، فإنهما ذهبا وذهب أمرهما . أما الأسود، فذبح فى داره. وأما مسيلمة فعقره الله على يدى وحشى بن حرب، رماه بالحربة فأنفذه كما تعقر الإبل ، وضربه أبو دُجانة على رأسه ففلقه وذلك بعقر داره فى الحديقة التى يقال لها حديقة الموت . وقد وقف عليه خالد بن الوليد وهو طريح- أراه إياه من بين القتلى مجاعة بن مرارة ويقال: كان أصفر أخينس ، وقيل : كان ضخماً أسمر اللون كأنه جمل أورق[1] ، ويقال إنه مات وعمره مائة وأربعون سنة فالله أعلم. وقد قتل قبله وزيراه ومستشاراه- لعنهما الله ، وهما: المحكم ابن الطفيل الذى يقال له: مُحكم اليمامة ، قتله عبد الرحمن بن أبى بكر ؛ رماه بسهم وهو يخطب قومه يأمرهم بمصالح حربهم فقتله ، والآخر نهار بن عُنفُوة الذى يقال له الرحّال بن عنفوة ، وكان ممن أسلم، ثم ارتد وصدق مسيلمة لعنهما الله فى هذه الشهادة . وقد رزق الله زيد بن الخطاب قتله قبل أن يقتل زيد رضى الله عنه .

ومما يدل على كذب الرحّال فى هذه الشهادة الضرورة فى دين الإسلام ، وما رواه البخارى وغيره ، أن مسيلمة كتب إلى رسول الله ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم، من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، سلام عليك ! أما بعد، فإنى قد أشركت معك فى الأمر ، فلك المدر ولى الوبر ويروى : فلكم نصف الأرض ولنا نصفها ، ولكن قريشاً قوم يعتدون . فكتب إليه رسول الله ﷺ : « بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد! فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » . وقد قدمنا ما كان يتعاطاه مسيلمة ويتعاناه -لعنه الله- من الكلام الذى هو أسخف من الهذيان ، مما كان يزعم أنه وحى من الرحمن ، تعالى الله عما يقوله وأمثاله علوا كبيراً . ولما مات رسول الله ﷺ زعم أنه استقل بالأمر من بعده ، واستخف قومه فأطاعوه ، وكان يقول :

خذى الدّف ياهذه والعبى وبُثّى محاسن هذا النبى
تولّى نبىُّ بنى هاشم وقام نبىٌّ بنى يَعْرُب

فلم يمهله الله بعد وفاة رسول الله ﷺ إلا قليلا، حتى سلط الله عليه سيفاً من سيوفه ، وحتفا من حتوفه فبعج بطنه ، وفلق رأسه، وعجل الله بروحه إلى النار فبئس القرار ، قال الله تعالى (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ، وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ، وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ، الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ[2])

(١) الأورق من الإبل : ما فى لونه بياض إلى سواد ، وهو من أطيب الإبل لحما لا سيرا وعملا .
(٢) الآية : ٩٣ من سورة الأنعام .

فمسيلمة والأسود وأمثالهما - لعنهم الله - أحق الناس دخولا فى هذه الآية الكريمة ، وأولاهم بهذه العقوبة العظيمة .

سنة ثنتى عشرة من الهجرة النبوية

استهلت هذه السنة وجيوش الصديق وأمراؤه الذين بعثهم لقتال أهل الردة - جوالون فى البلاد يميناً وشمالا ؛ لتمهيد قواعد الإسلام وقتال الطغاة من الأنام ، حتى رُدّ شارد الدين بعد ذهابه ، ورجع الحق إلى نصابه ، وتمهدت جزيرة العرب ، وصار البعيد الأقصى كالقريب الأدنى ، وقد قال جماعة من علماء السير والتواريخ : إنّ وقعة اليمامة كانت فى ربيع الأول من هذه السنة ، وقيل : إنها كانت فى أواخر التى قبلها . والجمع بين القولين : أن ابتداءها كان فى السنة الماضية ، وانتهاءها وقع فى هذه السنة الآتية . وعلى هذا القول ينبغى أن يذكروا فى السنة الماضية كما ذكرناه ؛ لاحتمال أنهم قتلوا فى الماضية ، ومبادرة إلى استيفاء تراجمهم ، قبل أن يذكروا مع من قتل بالشام والعراق فى هذه السنة على ما سنذكر إن شاء الله ، وبه الثقة وعليه التكلان .

وقد قيل : إن وقعة جُواثا وعمان ومهرة وما كان من الوقائع التى أشرنا إليها ، إنما كانت فى سنة ثنتى عشرة . وفيها كان قتل الملوك الأربعة : جَمْد . ومِخْوس وأَبْضَعة . ومِشرحا ، وأختهم : العَمَرّدة الذين ورد الحديث فى مسند أحمد بلعنهم . وكان الذى قتلهم : زياد بن لبيد الأنصارى .

بعث خالد بن الوليد إلى العراق

لما فرغ خالد بن الوليد من اليمامة ، بعث إليه الصديق أن يسير إلى العراق ، وأن يبدأ بفَرْج الهند ، وهى الأُبلّة ، ويأتى العراق من أعاليها ، وأن يتألف الناس ويدعوهم إلى الله عز وجل ، فإن أجابوا وإلا أخذ منهم الجزية ، فإن امتنعوا عن ذلك قاتلهم . وأمره أن لا يكره أحداً على المسير معه ، ولا يستعين بمن ارتد عن الإسلام وإن كان عاد إليه وأمره أن يستصحب كل امرىء مرّ به من المسلمين . وشرع أبو بكر فى تجهيز السرايا والبعوث والجيوش إمداداً لخالد رضى الله عنه .

قال الواقدى : اختلف فى خالد ، فقائل يقول : مضى من وجهه ذلك من اليمامة إلى العراق ، وقائل يقول : رجع من اليمامة إلى المدينة ، ثم سار إلى العراق من المدينة ، فمر على طريق الكوفة حتى انتهى إلى الحيرة . قلت : والمشهور الأول . وقد ذكر المدائنى بإسناده ، أنّ خالداً توجه إلى العراق فى المحرم سنة اثنتى عشرة ، فجعل طريقه البصرة وفيها قُطبة بن قتادة ، وعلى الكوفة المثنى بن حارثة الشيبانى . وقال محمد بن إسحاق ، عن صالح بن كيسان : إن أبا بكر كتب إلى خالد أن يسير إلى العراق ، فمضى خالد يريد العراق حتى نزل بقُرّيات من السواد يقال لها : بانِقيا - وبارُوسما - وأُلّيس ،

وصاحبها جابان ، فصالحه أهلها . قلت : وقد قتل منهم المسلمون قبل الصلح خلقا كثيراً ، وكان الصلح على ألف درهم ، وقيل : دينار ، في رجب ، وكان الذى صالحه بُصْبُهْرَى بن صَلُوبا ، ويقال صَلُوبا بن بُصْبُهْرَى ، فقبل منهم خالد وكتب لهم كتابا ثم أقبل حتى نزل الحيرة ، فخرج إليه أشرافها مع قبيصة بن إياس بن حَيَّة الطائى ، وكان أمّره عليها كسرى بعد النعمان بن المنذر ، فقال لهم خالد : أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام ، فإن أجبتم إليه فأنتم من المسلمين ، لكم مالهم وعليكم ما عليهم ، فإن أبيتم فالجزية ، فإن أبيتم فقد أتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة ، جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم . فقال له قبيصة : ما لنا بحربك من حاجة ، بل نقيم على ديننا ونعطيكم الجزية . فقال لهم خالد : تبًا لكم، إن الكفر فلاة مضلّة ، فأحمق العرب من سلكها، فلقيه رجلان : أحدهما عربى والآخر أعجمى. فترك العربى واستدل بالأعجمى، ثم صالحهم على تسعين ألفا. وفى رواية : مائتى ألف درهم، فكانت أول جزية أخذت من العراق وحملت إلى المدينة هى والقريات قبلها التى صالح عليها ابن صَلُوبا.

قلت : وقد كان مع نائب كسرى على الحيرة ممن وفد إلى خالد ـ عمرو بن عبد المسيح بن حيان ابن بُقَيلة[1] ، وكان من نصارى العرب، فقال له خالد: من أين أثرك ؟ قال: من ظهر أبى ، قال: ومن أين خرجت ؟ قال من بطن أمى ، قال : ويحك! على أى شيء أنت ؟ قال : على الأرض ، قال : ويلك! وفى أى شيء أنت ؟ قال : فى ثيابى ؛ قال : ويحك ! تعقل ؟ قال : نعم وأقيد ، قال : إنما أسألك ، قال : وأنا أجيبك ، قال : أسلم أنت أم حرب ؟ قال : بل سلم ، قال : فما هذه الحصون التى أرى ؟ قال : بنيناها للسفيه ، نحبسه حتى يجىء الحليم فينهاه . ثم دعاهم إلى الإسلام أو الجزية أو القتال ، فأجابوا إلى الجزية بتسعين أو مائتى ألف كما تقدم . ثم بعث خالد بن الوليد كتابا إلى أمراء كسرى بالمدائن ومرازبته ووزرائه ، كما قال هشام بن الكلبى، عن أبى مخنف عن مجالد عن الشعبى قال : أقرأنى بنو بقيلة كتاب خالد بن الوليد إلى أهل المدائن : من خالد بن الوليد إلى مرازبة أهل فارس ؛ سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ! فالحمد لله الذى فضّ[2] خدمتكم وسلب ملككم ووهّن كيدكم ، وإنه من صلّى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا ـ فذلكم المسلم الذى له مالنا وعليه ما علينا . أما بعد ، فإذا جاءكم كتابى فابعثوا إلى بالرُّهُن واعتقدوا منى الذّمة ، وإلا فوالذى لا إله غيره ؛ لأبعثن إليكم قوماً يحبون الموت كما تحبون أنتم الحياة . فلما قرءوا الكتاب أخذوا يتعجبون .

وقال سيف بن عمرو ، عن طليحة الأعلم، عن المغيرة بن عيينة ـ وكان قاضى أهل الكوفة ـ

---

(١) فى تاريخ الطبرى : عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة ، وهانىء بن قبيصة .

(٢) فض الله خدمتهم : أى فرق جماعتهم .

قال : قال : فرّق خالد مخرجه من اليمامة إلى العراق ـ جنده ثلاث فرق ، ولم يحملهم على طريق واحدة ، فسرّح المثنى قبله بيومين ـ ودليله ظَفَر ، وسرح عدى بن حاتم وعاصم بن عمرو ـ ودليلاهما مالك بن عبّاد وسالم بن نصر ، أحدهما قبل صاحبه بيوم . وخرج خالد ـ يعنى فى آخرهم ـ ودليله رافع ، فواعدهم جميعا الحفير ليجتمعوا به ، ويصادموا عدوهم ، وكان فَرْج الهند أعظم فروج فارس بأسا وأشدها شوكة ، وكان صاحبه يحارب العرب فى البر والهند فى البحر وهو هرمز ، فكتب إليه خالد ، فبعث هرمز بكتاب خالد إلى شيرَى بن كسرى ، وأردشير بن شيرى ، وجمع هرمز ـ وهو نائب كسرى ـ جموعا كثيرة وسار بهم إلى كاظمة ، وعلى مجنّبتيه قُباذ وأنوشَجان ـ وهما من بيت الملك ـ وقد تفرق الجيش فى السلاسل لئلا يفروا ، وكان هُرمز هذا من أخبث الناس طوية وأشدهم كفراً[1] ، وكان شريفا فى الفرس ، وكان كلما ازداد شرفا زاد فى حِليته ، فكانت قلنسوة هرمز بمائة ألف . وقدم خالد بمن معه من الجيش وهم ثمانية عشر ألفا ، فنزل تجاههم على غير ماء ، فشكى أصحابه ذلك ، فقال : جالدوهم حتى تجلوهم عن الماء ، فإن الله جاعل الماء لأصبر الطائفتين . فلما استقر بالمسلمين المنزل ـ وهم ركبان على خيولهم ـ بعث الله سحابة فأمطرتهم حتى صار لهم غدران من ماء ، فقوى المسلمون بذلك ، وفرحوا فرحا شديداً . فلما تواجه الصفان وتقاتل الفريقان ، ترجل هرمز ودعا إلى النزال ، فترجل خالد وتقدم إلى هرمز ، فاختلفا ضربتين واحتضنه خالد ، وجاءت حامية هرمز فما شغله عن قتله . وحمل القعقاع بن عمرو على حامية هرمز فأناموهم ، وانهزم أهل فارس ، وركبَ المسلمون أكتافهم إلى الليل ، واستحوذ المسلمون وخالد على أمتعتهم وسلاحهم فبلغ وَقر ألف بعير ، وسميت هذه الغزوة : ذات السلاسل ؛ لكثرة من سلسل بها من فرسان فارس ، وأفلت قُباذ وأنوشَجان .

ولما تراجع الطلب نادى منادى خالد بالرحيل ، فسار بالناس وتبعته الأثقال حتى نزل بموضع الجسر الأعظم من البصرة اليوم ، وبعث بالفتح والبشارة والخمس ـ مع زرّ بن كليب ـ إلى الصديق ، وبعث معه بفيل ، فلما رآه نسوة أهل المدينة جعلن يقلن : أمن خلق الله هذا ؟ أم شيء مصنوع ؟ فرده الصديق مع زرّ ، وبعث أبو بكر لما بلغه الخبر إلى خالد ، فنفله سَلَب هرمز ، وكانت قلنسوته بمائة ألف ، وكانت مرصعة بالجوهر . وبعث خالد الأمراء يمينا وشمالا يحاصرون حصونا هنالك ، ففتحوها عنوةً وصلحا ، وأخذوا منها أموالا جمّة ، ولم يكن خالد يتعرض للفلاحين ـ من لم يقاتل منهم ـ ولا أولادهم ، بل للمقاتلة من أهل فارس .

(١) حتى لقد ضربوه مثلا فى ذلك ، فقالوا : أخبث من هرمز ، وأكفر من هرمز .

ثم كانت وقعة المَذار[1] فى صفر من هذه السنة . ويقال لها : وقعة الثِّنى - وهو النهر - قال ابن جرير: ويومئذ قال الناس : صفر الأصفار ، فيه يقتل كل جبار ، على مجمع الأنهار . وكان سببها: أن هرمزاً كان قد كتب إلى أرْدشير وشيرى ، بقدوم خالد نحوه من اليمامة ، فبعث إليه كسرى بمدد مع أمير يقال له : قارِن بن قريانس ، فلم يصل إلى هرمز حتى كان من أمره مع خالد ما تقدم، وفرّ من فر من الفرس ، فتلقاهم قارِن ، فالتفّوا عليه . فتذامروا واتفقوا على العود إلى خالد ، فساروا إلى موضع يقال له : المَذار ، وعلى مجنّبتى قارن : قُباذ وأنوشجان ، فلما انتهى الخبر إلى خالد ، قسّم ما كان معه من أربعة أخماس غنيمة يوم ذات السلاسل ، وأرسل إلى الصديق بخبره مع الوليد بن عقبة ، وسار خالد بمن معه بالجيوش حتى نزل على المذار ، وهو على تعبئته ، فاقتتلوا قتال حَنَق وحفيظة ، وخرج قارن يدعو إلى البراز ، فبرز إليه خالد وابتدره الشجعان من الأمراء . فقَتل معقل بن الأعشى بن النباش قارناً ، وقتل عدى بن حاتم قباذ ، وقتل عاصم أنوشجان ، وفرّت الفرس ، وركبهم المسلمون فى ظهورهم فقتلوا منهم يومئذ ثلاثين ألفاً ، وغرق كثير منهم فى الأنهار والمياه ، وأقام خالد بالمذار وسلّم الأسلاب إلى من قتل ، وكان قارن قد انتهى شرفه فى أبناء فارس . وجمع بقية الغنيمة وخمّسها ، وبعث بالخمس وبالفتح والبشارة إلى الصديق ، مع سعيد بن النعمان - أخى بنى عدى بن كعب . وأقام خالد هناك حتى قسّم أربعة الأخماس، وسبى ذرارىّ من حصره من المقاتلة ، دون الفلاحين فإنه أقرهم بالجزية . وكان فى هذا السبى : حبيب أبو الحسن البصرى وكان نصرانياً ، ومافنّة مولى عثمان ، وأبو زياد مولى المغيرة بن شعبة . ثم أمَّرَ على الجند سعيد بن النعمان ، وعلى الجزية سويد بن مقرّن ، وأمره أن ينزل الحفير ، ليجبى إليه الأموال ، وأقام خالد يتجسس الأخبار عن الأعداء .

ثم كان أمر الولَجة[2] فى صفر أيضاً من هذه السنة ، فيما ذكره ابن جرير . وذلك لأنه لما انتهى الخبر بما كان بالمذار من قبل قارن وأصحابه - إلى أردشير ، وهو ملك الفرس يومئذ - بعث أميرا شجاعا يقال له: الأَنْدَرْ زَغَرَ ، وكان من أبناء السواد ، ولد بالمدائن ونشأ بها ، وأمده بجيش آخر مع أمير يقال له: بَهْمَن جاذَوَيْه ، فساروا حتى بلغوا مكانا يقال له : الولَجة ، فسمع بهم خالد ، فسار بمن معه من الجنود ووصّى من استخلفه هناك بالحذر وقلة الغفلة ، فنازل أندرزغر ومن ناشب[3] معه ، واجتمع عنده بالولجة ، فاقتتلوا قتالا شديداً هو أشد مما قبله ، حتى ظن الفريقان أن الصبر قد فرغ ، واستبطأ كمينه الذى كان قد أرصدهم وراءه فى موضعين ، فما

---

(١) المذار : بلد بين واسط والبصرة .

(٢) قال الطبرى : الولجة: مما يلى كسكر من البر. وكسكر: كورة قصبتها واسط (٣) أى: اجتمع وانضم

كان إلا يسيرا حتى خرج الكمينان من هاهنا ومن هاهنا ، فنفرت صفوف الأعاجم ، فأخذهم خالد من أمامهم والكمينان من ورائهم ، فلم يعرف رجل منهم مقتل صاحبه ، وهرب الأندرزغر من الوقعة فمات عطشا. وقام خالد فى الناس خطيبا فرغبهم فى بلاد الأعاجم ، وزهدهم فى بلاد العرب وقال : ألا ترون ما ههنا من الأطعمات ؟ وبالله لو لم يلزمنا الجهاد فى سبيل الله والدعاء إلى الإسلام ولم يكن إلا المعاش ـ لكان الرأى أن نقاتل على هذا الريف ، حتى نكون أولى به ، ونولى الجوع والإقلال من تولاه ، ممن اثاقل عما أنتم عليه . ثم خمس الغنيمة ، وقسم أربعة أخماسها بين الغانمين ، وبعث الخمس إلى الصديق ، وأسر من أسر من ذرارى المقاتلة ، وأقر الفلاحين بالجزية. وقال سيف بن عمر ، عن عمرو عن الشعبى ، قال: بارز خالد يوم الولجة رجلا من الأعاجم يعدل بألف رجل فقتله ، ثم اتكأ عليه وأتى بغدائه فأكله وهو متكئ عليه بين الصفين .

ثم كانت وقعة أليس[1] فى صفر أيضا؛ وذلك أن خالدا كان قد قتل يوم الولجة طائفة من بكر بن وائل، من نصارى العرب ممن كان مع الفرس، فاجتمع عشائرهم وأشد هم حنقا إلى عبد الأسود العجلى ، وكان قد قتل له ابن بالأمس ، فكاتبوا الأعاجم ، فأرسل إليهم أردشير جيشا ، فاجتمعوا بمكان يقال له : أليس ، فبينما هم قد نصبوا لهم سماطا فيه طعام يريدون أكله ، إذ غافلهم خالد بجيشه ، فلما رأوه أشار من أشار منهم بأكل الطعام وعدم الاعتناء بخالد ، وقال أمير كسرى : بل ننهض إليه ، فلم يسمعوا منه . فلما نزل خالد تقدم بين يدى جيشه ونادى بأعلى صوته لشجعان من هنا لك من الأعراب : أين فلان ؟ أين فلان ؟ فكلهم تلكأوا عنه إلا رجلا يقال له : مالك بن قيس ، من بنى جذرة ، فإنه برز إليه ، فقال له خالد: يا بن الخبيثة ما جرأك على من بينهم وليس فيك وفاء ؟ فضربه فقتله . ونفرت الأعاجم عن الطعام وقاموا إلى السلاح فاقتتلوا قتالا شديداً جداً ، والمشركون يرقبون قدوم بهمن مدداً من جهة الملك إليهم ، فهم فى قوة وشدة وكلب فى القتال . وصبر المسلمون صبرا بليغا ، وقال خالد : اللهم لك على إن منحتنا أكتافهم أن لا أستبقى منهم أحداً ـ أقدر عليه ـ حتى أجرى نهرهم بدمائهم .

ثم إن الله عز وجل منح المسلمين أكتافهم ، فنادى منادى خالد : الأسر ، الأسر ، لا تقتلوا إلا من امتنع من الأسر ، فأقبلت الخيول بهم أفواجا يساقون سوقا، وقد وكل بهم رجالا يضربون أعناقهم فى النهر ، ففعل ذلك بهم يوما وليلة ، وطلبهم فى الغد ، وكلما حضر منهم أحد ضربت عنقه فى النهر ، وقد صرف ماء النهر إلى موضع آخر، فقال له بعض الأمراء : إن النهر لا يجرى بدمائهم حتى ترسل الماء على الدم فيجرى معه فتبر بيمينك ، فأرسله فسال النهر دما عبيطا[2] ،

---

(١) أليس : قرية من قرى الأنبار والأنبار مدينة على الطرق غربى بغداد .

(٢) العبيط من الدم : الخالص الطرى

فلذلك سمى نهر الدم إلى اليوم ، فدارت الطواحين بذلك الماء المختلط بالدم العبيط ما كفى العسكر بكماله ثلاثة أيام ، وبلغ عدد القتلى سبعين ألفا . ولما هزم خالد الجيش ورجع من رجع من الناس ، عدل خالد إلى الطعام الذى كانوا قد وضعوه ليأكلوه ، فقال للمسلمين : هذا نفل[1] فانزلوا فكلوا ، فنزل الناس فأكلوا عشاء . وقد جعل الأعاجم على طعامهم مرققا كثيراً ، فجعل من يراه من أهل البادية من الأعراب يقولون : ماهذه الرقع ؟ يحسبونها ثيابا ، فيقول لهم من يعرف ذلك من أهل الأرياف والمدن : أما سمعتم رقيق العيش ؟ قالوا : بلى ، قالوا : فهذا رقيق العيش ، فسموه يومئذ رُقاقا ، وإنما كانت العرب تسميه العود . وقد قال سيف بن عمر ، عن عمرو بن محمد عن الشعبى ، عمن حدّث عن خالد ، أن رسول الله ﷺ نفّل الناس يوم خيبر الخبز والبطيخ والشواء وما أكلوا غير ذلك غير متأثليه[2] .

وكان كل من قتل بهذه الوقعة يوم أليس من بلدة يقال لها . أمغيشيا ، فعدل إليها خالد وأمر بخرابها واستولى على مابها ، فوجدوا بها مغنما عظيما ، فقسم بين الغانمين فأصاب الفارس بعد النفل ألفا وخمسمائة ، غير ما تهيأ له مما قبله . وبعث خالد إلى الصديق بالبشارة والفتح والخمس من الأموال والسبى مع رجل يقال له : جَنْدل من بنى عجل ، وكان دليلا صارما ، فلما بلّغ الصديق الرسالة وأدى الأمانة ، أثنى عليه وأجازه جارية من السبى ، وقال الصديق : يا معشر قريش ! إن أسدكم قد عدا على الأسد فغلبه على خراذيله[3] ، عجزت النساء أن يلدن مثل خالد بن الوليد . ثم جرت أمور طويلة لخالد فى أماكن متعددة يمل سماعها ، وهو مع ذلك لا يكلّ ولا يملّ ، ولا يهن ولا يحزن ، بل يزيد كاله فى قوة وصرامة وشدة وشهامة ، ومثل هذا إنما خلقه الله عزاً للإسلام وأهله ، وذلا للكفر وشتات شمله .

فصل

ثم سار خالد فنزل الخورنق والسّدير والنّجف ، وبث سراياه هاهنا وهاهنا ، يحاصرون الحصون من الحيرة ويستنزلون أهلها قسراً وقهراً ، وصلحاً ويسراً ، وكان فى جملة ما نزل بالصلح قوم من نصارى العرب ؛ فيهم ابن بقيلة المتقدم ذكره . وكتب لأهل الحيرة كتاب أمان ، فكان الذى راوده عليه عمرو بن عبد المسيح ابن بقيلة ، ووجد خالد معه كيساً ، فقال : مافى هذا ؟ ـ وفتحه خالد فوجد فيه شيئا ـ فقال ابن بقيلة : هو سمّ ساعة ، فقال : ولم استصحبته معك ؟ فقال : حتى إذا رأيت مكروها فى قومى أكلته ، فالموت أحب إلى من ذلك ، فأخذه خالد فى يده وقال : إنه لن تموت نفس

(١) النفل ـ محركة ـ الغنيمة والهبة ، والجمع أنفال ونفال . (٢) أى من يتخذونه أصل مال .

(٣) الخراذيل : قطع اللحم ، والواحدة خرذولة

حتى تأتى على أجلها ، ثم قال : بسم الله خير الأسماء ، رب الأرض والسماء ، الذى ليس يضر مع اسمه داء ، الرحمن الرحيم ، قال : وأهوى إليه الأمراء ليمنعوه منه فبادرهم فابتلعه ، فلما رأى ذلك ابن بقيلة قال : والله يا معشر العرب لتملكن ما أردتم ما دام منكم أحد ، ثم التفت إلى أهل الحيرة فقال : لم أر كاليوم امرأ أوضح إقبالا من هذا ، ثم دعاهم وسألوا خالداً الصلح فصالحهم وكتب لهم كتابا بالصلح ، وأخذ منهم أربعمائة ألف درهم عاجلة ، ولم يكن صالحهم حتى سلموا كرامة بنت عبد المسيح إلى رجل من الصحابة يقال له : شُوَيل .

وذلك أنه لما ذكر رسول الله ﷺ قصور الحيرة، وكأن شرفها أنياب الكلاب ، فقال له : يا رسول الله ! هب لى ابنة بقيلة ، فقال : هى لك . فلما فتحت ادعاها شويل وشهد له اثنان من الصحابة ، فامتنعوا من تسليمها إليه وقالوا : ما تريد إلى امرأة ابنة ثمانين سنة ؟ فقالت لقومها : ادفعونى إليه فإنى سأفتدى منه ، وإنه قد رآنى وأنا شابة ، فسلمت إليه ، فلما خلا بها قالت : ما تريد إلى امرأة بنت ثمانين سنة ؟ وأنا أفتدى منك فاحكم بما أردت ، فقال : والله لا أفديك بأقل من عشر مائة ، فاستكثرتها خديعة منها ، ثم أتت قومها فأحضروا له ألف درهم ، ولامه الناس وقالوا : لو طلبت أكثر من مائة ألف لدفعوها إليك ، فقال : وهل عدد أكثر من عشر مائة ؟ وذهب إلى خالد وقال : إنما أردت أكثر العدد ، فقال خالد : أردت أمرا وأراد الله غيره ، وإنا نحكم بظاهر قولك ، ونيتك عند الله ، كاذبا أنت أم صادقا .

وقال سيف بن عمر ، عن عمرو بن محمد عن الشعبى : لما افتتح خالد الحيرة صلى ثمانى ركعات بتسليمة واحدة ، وقد قال عمر بن القعقاع فى هذه الأيام ومن قتل من المسلمين بها وأيام الردة :

سقى الله قتلى بالفرات مقيمة ... وأخرى بأثباج النجاف الكوانف
ونحن وطئنا بالكواظم هرمزاً ... وبالثنى قرنى قارن بالجوارف
ويوم أحطنا بالقصور تتابعت ... على الحيرة الروحاء إحدى المصارف
حططناهم منها وقد كان عرشهم ... يميل بهم فعل الجبان المخالف
رمينا عليهم بالقبول وقد رأوا ... غبوق المنايا حول تلك المحارف
صبيحة قالوا نحن قوم تنزلوا ... إلى الريف من أرض العريب المقانف

وقد قدم جرير بن عبد الله البجلى على خالد بن الوليد وهو بالحيرة بعد الوقعات المتعددة ، والغنائم المتقدم ذكرها ، ولم يحضر شيئا منها ؛ وذلك لأنه كان قد بعثه الصديق مع خالد ابن سعيد بن العاص إلى الشام ، فاستأذن خالد بن سعيد فى الرجوع إلى الصديق ليجمع له قومه من بجيلة فيكونوا معه ، فلما قدم على الصديق فسأله ذلك غضب الصديق وقال : أتيتنى لتشغلنى عما هو أرضى لله من الذى تدعونى إليه ، ثم سيره الصديق إلى خالد بن الوليد بالعراق .

قال سيف بأسانيده : ثم جاء ابن صَلُو با فصالح خالداً على بانقيا وبَسْما وما حول ذلك على عشرة آلاف دينار ، وجاءه دَهَّاقِينُ تلك البلاد فصالحوه على بلدانهم وأهاليهم كما صالح أهل الحيرة ، واتفق فى تلك الأيام التى كان قد تمكّن بأطراف العراق واستحوذ على الحيرة وتلك البلدان وأوقع بأهل أُلّيس والثِّنى ، وما بعدها بفارس ، ومن ناشَب معهم - ما أوقع من القتل الفظيع فى فرسانهم - أن عدَت فارس على ملكهم الأكبر أرْدَشير وابنه شيرين فقتلوهما ، وقتلوا كلّ من يُنسب إليهما ، وبقيت الفرس حائرين فيمن يُولُّوه أمرهم ، واختلفوا فيما بينهم ، غير أنهم قد جهّزوا جيوشا تكون حائلة بين خالد وبين المدائن التى فيها إيوانُ كِسْرى وسَرير مملكته ، فحينئذ كتب خالد إلى مَن هنالك من المرازبة والأمراء فى الدولة - يدعوهم إلى الله ، وإلى الدخول إلى دين الإسلام ليثبت مُلكهم عليهم ، وإلاّ فليدفعوا الجزية ، وإلا فليعلموا وليستعدوا لقدومه عليهم بقوم يحبُّونَ الموت كما يحبون هم الحياة . فجعلوا يعجبون من جُرأة خالد وشجاعته ، ويسخرون من ذلك لحماقتهم ورُعونتهم فى أنفسهم ، وقد أقام خالد هنالك بعد صالح الحيرة سَنةً يتردّد فى بلاد فارس ها هنا وها هنا ، ويوقع بأهلها من البأس الشديد ، والسَّطوة الباهرة ، ما يَبهر الأبصار لمن شاهد ذلك ، ويشنف أسماع من بلغه ذلك ، ويحير العقول لمن تدبره .

فتح خالد للأنبار ، وتسمى هذه الغزوة ذات العيون

ركب خالد فى جيوشه فسار حتى انتهى إلى الأنبار ، وعليها رجل من أعقل الفرس وأسودهم فى أنفسهم ، يقال له: شيرزاذ ، فأحاط بها خالد وعليها خَنْدق وحوله أعراب من قومهم على دينهم ، واجتمع معهم أهل أرضهم ، فمانعوا خالداً أن يصل إلى الخَندق فضرب معهم رأسا ، ولما تواجه الفريقان أمَرَ خالد أصحابه فرشقوهم بالنّبال حتى فقأوا منهم ألفَ عين ، فتصايح الناس : ذهبت عُيونُ أهْل الأنبار ، وسميت هذه الغزوة ذات العُيون ، فراسل شيرزاذ خالداً فى الصّلح ، فاشترط خالد أموراً امتنع شيرزاد من قَبولها ، فتقدم خالد إلى الخَندق فاستدعى بِرَذَايا[1] الأموال من الإبل فذبحها حتى ردَم الخندق بها وجاز هو وأصحابه فوقَها ، فلما رأى شيرزاذ ذلك أجاب إلى الصُّلح على الشروط التى اشترطها خالد ، وسأله أن يَردّه إلى مَأْمنه ، فوفى له خالد بذلك ، وخرج شيرزاذ من الأنبار وتسلّمها خالد ، فنزلها واطمأن بها ، وتعلّم الصحابة ممّن بها من العرب - الكتابة العربية ، وكان أولئك العرب قد تعلّموها من عرب قبلهم وهم بنو إياد ؛ كانوا بها فى زمان بختنصّر حين أباح العراق للعرب ، وأنشدوا خالدا قول بعض إياد يمتدح قومه :

قَوْمى إيادٌ لو أنهم أمَم ... أوْلو أقامُوا فتُهزَلَ النّعَم

قَومٌ لهم باحَـةُ العراق إذا ... ساروا جميعا واللّوْح والقَلَمْ

(١) الرذايا : جمع رذية، وهى الناقة المهزولة من السير

ثم صالح خالد أهل البوازيج وكَلْوَاذى ، قال : ثم نقض أهل الأنبار ومن حولهم عهدَهم لما اضطربت بعضُ الأحوال ، ولم يبق على عهده سوى البَوازيج وبانِقيا . قال سيف ، عن عبد العزيز ابن سياه عن حبيب بن أبى ثابت قال : ليس لأحد من أهل السواد[1] عَهدٌ قَبْلَ الوقعة ، إلا بنو صلوبا وهم أهل الحيرة ، وكَلْواذى وقُرًى مِن قرى الفرات ، غَدَروا حتى دُعوا إلى الذّمة[2] بعد ما غَدروا . وقال سيف عن محمد بن قيس : قلت للشعبى : أخذ السواد عَنوة وكل أرض إلا بعض القلاع والحصون ؟ قال : بعضٌ صالح وبعضٌ غالَبَ . قلت : فهل لأهل السواد ذِمّة اعتقدوها قبل الحرب ؟ قال : لا ، ولكنهم لما دُعُوا ورَضُوا بالخراج وأخذ منهم ـ صاروا ذِمّة .

وقعة عين التمر[3]

لما استقلّ خالد بالأنبار استناب عليها الزِّبرقان بن بدر ، وقصد عَين التّمر ، وبها يومئذ مِهران بن بهرام جُوبين ـ فى جمع عظيم من العجم ، وحولهم من الأعراب طوائف من النمر وتغلب وإياد ومن لاقاهم ، وعليهم عَقّة بن أبى عَقّة ، فلما دنا خالد قال عَقّة لمهران : إن العرب أعلم بقتال العرب ، فدَعنا وخالدا ، فقال له : دُونكم وإياهم ، وإن احتجتم إلينا أعنّاكم ، فلامَت العجم أميرهم على هذا ، فقال : دَعُوهم فإن غلبوا خالدا فهو لكم ، وإن غُلبوا قاتلنا خالداً وقد ضعفوا ونحن أقوياء ، فاعترفوا له بفضل الرأى عليهم . وسار خالد وتلقاه عَقّة ، فلما تواجهوا قال خالد لمجنّبتيه[4] : احفظوا مكانكم فإنى حامل ، وأمر حُماته أن يكونوا من ورائه ، وحمل على عَقّة وهو يُسوّى الصفوف فاحتضنه وأسره ، وانهزم جيش عَقّة من غير قتال ، فأكثروا فيهم الأسر ، وقصد خالد حِصن عَين التمر . فلما بلغ مِهران هزيمة عَقّة وجيشه ، نزل من الحصن وهرب وتركه ، ورَجعت فُلاّل نصارى الأعراب إلى الحصن فوجدوه مفتوحا فدخلوه واحتموا به ، فجاء خالد وأحاط بهم وحاصرهم أشد الحصار ، فلما رأوا ذلك سألوه الصّلح فأبى إلا أن ينزلوا على حُكم خالد ، فنزلوا على حُكمه ؛ فجُعلوا فى السّلاسل وتسلّم الحصن ، ثم أمر فضربت عنق عقّة ومن كان أسر معه والذين نزلوا على حكمه أيضا أجمعين ، وغَنم جميع ما فى ذلك الحصن .

ووجد فى الكنيسة التى به أربعين غلاما يتعلمون الإنجيل وعليهم باب مُغلق ، فكسره خالد وفرّقهم فى الأمراء وأهل الغناء ، وكان حُمرَان صار إلى عثمان بن عفان من الخمس ، ومنهم : سيرين والد محمد بن سيرين ؛ أخذه أنس بن مالك ، وجماعة آخرون من الموالى المشاهير أراد بهم وبذراريهم خيرا . ولما قدم الوليد بن عُقبة على الصّديق بالخمس ، ردّه الصديق إلى عِياض بن غنم مَدَدًا له وهو محاصر دُومَة الجَنْدل ، فلما قدم عليه وَجده فى ناحية من العراق يُحاصر قوما ، وهم قد أخذوا عليه

(١) يطلق السواد على العراق عامة
(٢) الذمة : العهد والكفالة
(٣) بلدة قريبة من الأنبار غربى الكوفة
(٤) المجنبتان : ميمنة الجيش وميسرته

الطُّرق، فهو محصور أيضا ، فقال عِياض للوليد : إن بعض الرأى خيرٌ من جَيش كثيف ، ماذا ترى فيما نحن فيه ؟ فقال له الوليد : اكتب إلى خالد يمدّك بجيش من عنده ، فكتب إليه يستمدّه ، فقدم كتابه على خالد عقب وقعة عين التمر وهو يستغيث به ، فكتب إليه : من خالد إلى عِياض، إياك أريد .

لَبِّثْ قليلا تأتِك الحلائبُ(١) يَحملن آساداً عليها القاشِبُ(٢)
كتائبٌ تَتْبعها كتائبُ

خبر دومة الجندل

لما فرغ خالد من عين التمر قصد إلى دُومة الجندل ، واستخلف على عين التمر : عُوَيْمر بن الكاهن الأسلمى ، فلما سمع أهل دُومة الجندل بمسيره إليهم ، بعثوا إلى أحزابهم من بَهراء وتَنُوخ وكَلْب وغسّان والضّجاعم فأقبلوا إليهم ، وعلى غسان وتنوخ ابن الأيهم ، وعلى الضّجاعم ابن الحِدْرجان ، وجماع الناس بدُومة إلى رجلين : أُكَيدر بن عبد الملك ، والجُودِىّ بن ربيعة ، فاختلفا ؛ فقال أُكَيدر : أنا أعلم الناس بخالد ، لا أحد أيمنُ طائرا منه فى حرب ، ولا أحدّ منه ، ولا يرى وجهَ خالد قوم أبدا ـ قلّوا أو كثروا ـ إلا انهزموا عنه ، فأطيعونى وصالحوا القوم ، فأبَوا عليه ، فقال : لن أمالئكم على حرب خالد وفارقهم ، فبعث إليه خالدُ عاصمَ بن عمر فعارضه فأخذه ، فلما أتى به خالدا أمَر فضُربت عنقه وأخذ ما كان معه ، ثم تواجه خالد وأهل دُومة الجندل وعليهم الجُودِىّ بن ربيعة ، وكلُّ قبيلة مع أميرها من الأعراب ، وجعل خالد دُومة بينه وبين جيش عِياض بن غنم ، وافترق جيش الأعراب فرقتين ؛ فرقة نحو خالد ، وفرقة نحو عِياض . وحمل خالد عَلَى مَن قبله ، وحمل عياض على أولئك ، فأسر خالد الجودِىّ ، وأسر الأقرعُ بن حابس وديعةَ ، وفرّت الأعراب إلى الحصن فملأوه ، وبقى منهم خلق ضاق عنهم ، فعطفت بنو تميم على من هم خارج الحصن فأعطوهم مِيرةً فنجا بعضهم ، وجاء خالد فضرب أعناق من وجده خارج الحصن ، وأمر بضرب عُنق الجودِىّ ومن كان معه من الأسارى ؛ إلا أسارى بنى كلب ، فإن عاصم بن عمرو والأقرع من حابس ، وبنى تميم ـ أجاروهم ، فقال لهم خالد : مالى ومالكم ؟ أتحفظون أمر الجاهلية وتضيعون أمر الإسلام ؟ فقال له عاصم بن عمرو : أتحسدونهم

---

(١) الحلائب : الجماعات ، يقال : أحلب القوم ـ إذا اجتمعوا للنصرة

(٢) القشب : سقى السم والإصابة بالمكروه ، وقشب الطعام : خلطه بالسم ، والقاشب : الضعيف النفس

العافية وتحوّذونهم[1] الشيطان ؟ ثم أطاف خالد بالباب فلم يزُل عنه حتى اقتلعه، واقتحموا الحصن فقتلوا من فيه من المقاتلة ، وسبوا الذرارى فبايعوهم بينهم فيمن يزيد ، واشترى خالد يومئذ ابنة الجودىّ ، وكانت موصوفة بالجمال ، وأقام بدومة الجندل ورد الأقرع إلى الأنبار . ثم رجع خالد إلى الحيرة ، فتلقاه أهلها من أهل الأرض بالقلايس[2] ، فسمع رجلا منهم يقول لصاحبه : مر بنا فهذا يوم فرح الشر .

خبر وقعتى الحصيد والمصيخ

قال سيف : عن محمد وطلحة والمهلب قالوا : وكان خالد أقام بدومة الجندل ، فظن الأعاجم به وكاتبوا عرب الجزيرة فاجتمعوا لحربه ، وقصدوا الأنبار يريدون انتزاعها من الزبرقان ـ وهو نائب خالد عليها ، فلما بلغ ذلك الزبرقان كتب إلى القعقاع بن عمرو ـ نائب خالد على الحيرة ، فبعث القعقاع أعبَد بن فدَكىّ السعدى وأمره بالحصيد ، وبعث عروة بن أبى الجعد البارقى وأمره بالخنافس ، ورجع خالد من دومة إلى الحيرة وهو عازم على مصادمة أهل المدائن ـ محلة كسرى ، لكنه يكره أن يفعل ذلك بغير إذن أبى بكر الصديق ، وشغله ما قد اجتمع من جيوش الأعاجم مع نصارى الأعراب يريدون حربه ، فبعث القعقاع بن عمرو أميراً على الناس ، فالتقوا بمكان يقال له: الحُصَيد ،وعلى العجم رجل منهم يقال له: رُوزَبه، وأمده أمير آخر يقال له، زَرْمِهر،فاقتتلوا قتالا شديداً ، وهُزم المشركون فقتل منهم المسلمون خلقا كثيراً ، وقتل القعقاع بيده زَرْمهر ، وقتل رجل يقال له عِصْمة بن عبد الله الضبى رُوزَبه . وغنم المسلمون شيئا كثيرا ، وهرب من هرب من العجم ، فلجأوا إلى مكان يقال له : خَنافس، فسار إليهم أبو ليلى بن فَدَكىّ السعدى .

فلما أحسوا بذلك ساروا إلى المُصَيَّخ[3] ، فلما استقروا بها بمن معهم من الأعاجم والأعارب قصدهم خالد بن الوليد بمن معه من الجنود ، وقسم الجيش ثلاث فرق ، وأغار عليهم ليلاوهم نائمون فأنامهم ، ولم يفلت منهم إلا اليسير، فما شبهوا إلا بغنم مُصرّعة .

وقد روى ابن جرير عن عدى بن حاتم قال : انتهينا فى هذه الغارة إلى رجل يقال له: حُرْقوص ابن النعمان النمرى ، وحوله بنوه وبناته وامرأته ، وقد وضع لهم جفنة من خمر وهم يقولون : أحد يشرب هذه الساعة وهذه جيوش خالد قد أقبلت ؟ فقال لهم : اشربوا شرب وداع ، فما أرى أن تشربوا خمراً بعدها ، فشربوا وجعل يقول :

---

(١) أى: تجعلون الشيطان مخالطهم ومحوط بهم (٢) أى : بأنواع اللهو والغناء والضرب بالدفوف

(٣) فى نسخة : بالصاد والحاء المهملة .

ألا يا اسقيانى قبل نائرة الفجر لعل منايانا قريب ولا ندرى

القصيدة- إلى آخرها ، قال : فهجم الناس عليه، فضرب رجل رأسه فإذا هو فى جفنته ،وأخذت بنوه وبناته وامرأته ، وقد قتل فى هذه المعركة رجلان كانا قد أسلما ومعهما كتاب من الصديق بالأمان ولم يعلم بذلك المسلمون ، وهما : عبد العزى بن أبى رُهم بن قرواش ؛ قتله جرير بن عبد الله البجلى ، والآخر : لَبيد بن جرير ؛ قتله بعض المسلمين . فلما بلغ خبرهما الصديق وَدَاهما ، وبعث بالوصاة بأولادهما ، وتكلم عمر بن الخطاب فى خالد بسببهما ، كما تكلم فيه بسبب مالك ابن نويرة ، فقال له الصديق : كذلك يلقى من يساكن أهل الحرب فى ديارهم ؛ أى الذنب لهما فى مجاورتهما المشركين وهذا كما فى الحديث « أنا بَرِىء من كلِّ مَنْ ساكَن المُشرك فى داره »، وفى الحديث الآخر: « لا ترى نارهما»- أى لا يجتمع المسلمون والمشركون فى محلة واحدة.

ثم كانت وقعة الثَّنى[1] والزُّميل وقد بيتوهم فقتلوا من كان هنالك من الأعراب والأعاجم ، فلم يفلت منهم أحد ولا انبعث بخبر . ثم بعث خالد بالخمس من الأموال والسبى إلى الصديق ، وقد اشترى على بن أبى طالب من هذا السبى- جارية من العرب ، وهى ابنة ربيعة بن بجير التغلبى ، فاستولدها عمر ورقية ، رضى الله عنهم أجمعين .

وقعة الفراض

ثم سار خالد بمن معه من المسلمين إلى وقعة الفراض - وهى : تخوم الشام والعراق والجزيرة ، فأقام هناك شهر رمضان مفطراً لشغله بالأعداء ، ولما بلغ الروم أمرُ خالد ومصيره إلى قرب بلادهم ، حَمُوا وغضبوا وجمعوا جموعا كثيرة ، واستمدوا تغلب ، وإياد والنَّمر ، ثم ناهَدوا[2] خالداً فحالت الفرات بينهم ، فقالت الروم لخالد : اعبر إلينا ، وقال خالد للروم : اعبروا أنتم ، فعبرت الروم إليهم ، وذلك للنصف من ذى القعدة سنة ثنتى عشرة ، فاقتتلوا هنالك قتالا عظيما بليغا ، ثم هزم الله جموع الروم وتمكن المسلمون من اقتفائهم ، فقتل فى هذه المعركة مائة ألف، وأقام خالد بعد ذلك بالفراض عشرة أيام، ثم أذن بالقفول إلى الحيرة ، لخمس بقين من ذى القعدة. وأمر عاصم بن عمرو أن يسير فى المقدمة ، وأمر شَجرة بن الأعز أن يسير فى الساقة ، وأظهر خالد أنه يسير فى الساقة .

وسار خالد فى عدة من أصحابه وقصد شطر المسجد الحرام ، وسار إلى مكة فى طريق

(١) الثنى : موضع بالجزيرة قرب الرصافة ، وبقربة الزميل (٢) المناهدة . المناهضة فى الحرب

لم يسلك قبله قط ، ويأبى له في ذلك أمر لم يقع لغيره ؛ فجعل يسير متعسفاً[1] على غير جادة حتى انتهى إلى مكة ، فأدرك الحج هذه السنة . ثم عاد فأدرك أمر السَّاقة قبل أن يصلوا إلى الحيرة ، ولم يعلم أحد بحجّ خالد هذه السنة إلا القليل من الناس ممن كان معه ، ولم يعلم أبو بكر الصديق بذلك أيضاً إلا بعدما رجع أهل الحج من الموسم ، فبعث يَعْتب عليه في مفارقته الجيش ، وكانت عقوبته عنده أن صَرَفه من غزو العراق إلى غزو الشام ، وقال له فيما كتب إليه : وإن الجموع لم تُشْجِ[2] بعون الله شجيك ، فليهنئك أبا سليمان النية والحظوة ، فأتمم يتمم الله لك ، ولا يدخلنّك عُجب فتخسر وتخذل ، وإياك أن تُدِلَّ بعمل ، فإن الله له المنّ وهو ولي الجزاء .

فصل فيما كان من الحوادث في هذه السنة

فيها : أمر الصديق زيد بن ثابت أن يجمع القرآن من اللِّخاف والعُسُب[3] وصدور الرجال ، وذلك بعد ما استحر[4] القتل في القراء يوم اليمامة ، كما ثبت به الحديث في صحيح البخاري . وفيها تزوج علي بن أبي طالب بأُمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ ، وهي من أبي العاص بن الربيع ابن عبد شمس الأموي ، وقد توفي أبوها في هذا العام ، وهذه هي التي كان رسول الله ﷺ يحملها في الصلاة فيضعها إذا سجد ويرفعها إذا قام . وفيها تزوج عُمر بن الخطاب عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفيل ، وهي ابنة عمه ، وكان لها محبًّا وبها مُعْجبا ، وكان لا يمنعها من الخروج إلى الصلاة ويكره خروجها ، فجلس لها ذات ليلة في الطريق في ظُلمة فلما مرّت ضرب بيده على عجُزها ، فرجَعت إلى منزلها ولم تخرج بعد ذلك . وقد كانت قبله تحتَ زيد بن الخطاب ، فيما قيل ، فقُتل عنها ، وكانت قبل زيد تحت عبد الله بن أبي بكر فقتل عنها . ولما مات عُمر تزوجها بعده الزبير ، فلما قتل خَطبها علي بن أبي طالب ، فقالت : إني أرغب بك عن الموت ، وامتنعت عن التزوج حتى ماتت . وفيها اشترى عمر مولاه أسلم ، ثم صار منه أن كان أحد سادات التابعين ، وابنه زيد بن أسلم أحد الثقات الرفعاء . وفيها حج بالناس أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان . رواه ابن إسحاق عن العلاء بن عبد الرحمن ابن يعقوب مَولى الحُرَقَة ، عن رجل من بني سهم ، عن أبي ماجدة ، قال : حج بنا أبو بكر في خلافته سنة ثنتي عشرة ، فذكر حديثا في القصاص من قَطع الأذن ، وأنّ عمر حكم في ذلك بأمر الصديق . قال ابن إسحاق : وقال بعض الناس لم يحج أبو بكر في خلافته ، وأنه بعث على الموسم سنة ثنتي عشرة ـ عمر بن الخطاب ، أو عبد الرحمن بن عوف .

---

(١) أي : متخبطا على غير هداية (٢) أي : لم يصادفها ما صادفك من الجهد والمشقة . والشجو : الحاجة والشجي : المشغول (٣) اللخاف : حجارة بيض رقاق ، واحدها لخفة ـ بالفتح . والعسب : جريد من النخل دقيق مستقيم ليس عليه خوص ، واحده : عسيب أو عسيبة (٤) أي اشتد وكثر

فصل فيمن توفى فى هذه السنة

قد قيل إن وقعة اليمامة وما بعدها كانت فى سنة ثنتى عشرة ، فليذكر ها هنا من تقدم ذكره فى سنة إحدى عشرة ؛ من قتل باليمامة وما بعدها ، ولكن المشهور ما ذكرناه .

بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجى ـ والد النعمان بن بشير ، شهد العقبة الثانية ، وبدراً وما بعدها ، ويقال : إنه أول من أسلم من الأنصار ، وهو أول من بايع الصديق يوم السقيفة من الأنصار ، وشهد مع خالد حروبه إلى أن قتل بعين التمر رضى الله عنه . وروى له النسائى حديث النحل .

والصَّعب بن جَثَّامة الليثى ـ أخو محكم بن جثامة ، له عن رسول الله ﷺ أحاديث ، قال أبو حاتم : هاجر ، وكان نزل ودّان ، ومات فى خلافة الصديق .

أبو مَرْثَد الغَنَوى ـ واسمه معاذ بن الحصين ، ويقال : ابن حصين بن يربوع بن عمرو بن يربوع ابن خَرَشة بن سعد بن طريف بن خِيلان بن غَنم بن غَنِىّ بن أعصر بن سعد بن قيس بن غيلان ابن مضر بن نزار ـ أبو مَرْثد الغنوى ، شهد هو وابنه مَرْثد بَدراً ، ولم يشهدها رجل هو وابنه سواهما ، واستشهد ابنه مرثد يوم الرجيع كما تقدم ، وابن ابنه أنيس بن مرثد ـ له صحبة أيضا ، شهد الفتح وحُنيناً ، وكان عين رسول الله ﷺ يوم أوطاس ؛ فهم ثلاثة نسقا ، وقد كان أبو مَرثد حليفا للعباس بن عبد المطلب ، وروى له عن النبى ﷺ حديث واحد ، أنه قال : « لا تصلّوا إلى القبور ولا تجلسوا إليها » ، قال الواقدى : توفى سنة ثنتى عشرة ، زاد غيره : بالشام ، وزاد غيره : عن ست وستين سنة . وكان رجلا طويلا كثير الشعر ، قلت : وفى قبلىّ دمشق قبر يعرف بقبر كثير ، والذى قرأته على قبره . هذا قبر كنَّاز بن الحصين صاحب رسول الله ﷺ ، ورأيت على ذلك المكان روحا وجلالة . والعجب أن الحافظ ابن عساكر لم يذكره فى تاريخ الشام ، فالله أعلم .

وممن توفى فى هذه السنة : أبو العاص بن الربيع ـ بن عبد العزى بن عبد شمس ، بن عبد مناف ابن قصى القرشى العبشمى ، زوج أكبر بنات رسول الله ﷺ زينب ، وكان محسنا إليها ومحبا لها ، ولما أمره المسلمون بطلاقها ـ حين بعث رسول الله ﷺ ـ أبى عليهم ذلك ، وكان ابن أخت خديجة بنت خويلد ، واسم أمه هالة ، ويقال : هند بنت خويلد . واختلف فى اسمه فقيل : لقيط ـ وهو الأشهر ، وقيل : مهشم ، وقيل : هشيم ، وقد شهد بدرا من ناحية الكفار فأسر ، فجاء أخوه عمرو بن الربيع ليفاديه وأحضر معه فى الفداء قلادة كانت خديجة أخرجتها مع ابنتها زينب حين تزوج أبو العاص بها ، فلما رآها رسول الله رقّ لها رقة شديدة وأطلقه بسببها ، واشترط عليه أن يبعث له زينب إلى المدينة فوفى له بذلك ، واستمر أبو العاص على كفره بمكة إلى قبيل الفتح بقليل ،

فخرج فى تجارة لقريش فاعترضه زيد بن حارثة فى سرية فقتلوا جماعة من أصحابه وغنموا العير ، وفر أبو العاص هاربا إلى المدينة ، فاستجار بامرأته زينب فأجارته ، فأجاز رسول الله جوارها ، وردّ عليه ما كان معه من أموال قريش ، فرجع بها أبو العاص إليهم ، فردّ كل مال إلى صاحبه ، ثم تشهد شهادة الحق وهاجر إلى المدينة ، وردّ عليه رسول الله ﷺ زينب بالنكاح الأول ، وكان بين فراقها له وبين اجتماعها ـ ست سنين ، وذلك بعد سنتين من وقت تحريم المسلمات على المشركين فى عمرة الحديبية . وقيل : إنما ردها عليه بنكاح جديد ، فالله أعلم . وقد ولد له من زينب : على بن أبى العاص وخرج مع علىّ إلى اليمن حين بعثه إليها رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ يثنى عليه خيرا فى صهارته ، ويقول : حدثنى فصدقنى ، ووعدنى فوفانى . وقد توفى فى أيام الصديق سنة ثنتى عشرة . وفى هذه السنة تزوج على بن أبى طالب بابنته أمامة بنت أبى العاص ، بعد وفاة خالتها فاطمة ، وما أدرى هل كان ذلك قبل وفاة أبى العاص أو بعده ؟ فالله أعلم .

﴿ تم الجزء السادس من البداية والنهاية ، ويليه الجزء السابع وأوله : سنة ثلاث عشرة من الهجرة النبوية ، نسأل الله التوفيق والإعانة على إتمامه . ﴾

فهرس المجلد السادس

﴿ من البداية والنهاية لابن كثير ﴾

رقم الصحيفة	الموضوع

تمت والحمد لله

